UNIVERSAL
LIBRARY
OU-232968
UNIVERSAL
LIBRARY

(فهرست الجزء الاوّل من تاريخ ابن الاثير)

صحيفة

صحيفة

(تمت الفهرست)

(فهرسة الجزء الاول من تاريخ الجبرتى)

صحيفه

صحيفه

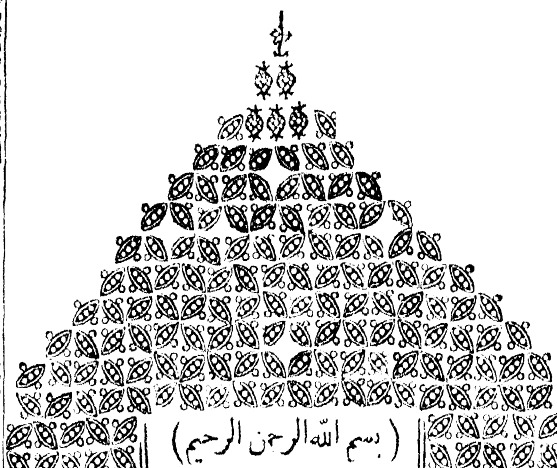
(تمت)

ما شاء الله كان

الجزء الاول من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري الملقب بعز الدين رحمه الله

وبهامشه التاريخ المسمى عجائب الآثار في التراجم والاخبار للورعي العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الحنفي رحمة الله تعالى عليه

الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠١ هجريه



الحمد لله القديم فلا أوّل لوجوده الدائم الكريم فلا آخر لبقائه ولا نهاية لجوده الملك حقا فلا تدرك العقول حقيقة كنهه القادر فكل ما فى العالم من أثر قدرته المقدس فلا تقرب الحوادث حماه المنزه عن التغيير فلا يتغير ومنه سواه مصرف الخلائق بين رفع وخفض وبسط وقبض وابرام ونقض واماتة واحياء وايجاد وافناء واسعاد واضلال واعزاز واذلال يؤتى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير مبيد القرون السالفة والامم الخالفة لم يمنعهم منه ما اتخذوه معقلا وحرزا فهل تحس منهم من احدا وتسمع لهم ركزا بتقديره النفع والضر وله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين احمده على ما اولى من نعمه واجزل للناس من قسمه واصلى على رسوله محمد سيد العرب والعجم المبعوث الى جميع الامم وعلى آله واصحابه اعلام الهدى ومصابيح الظلم صلى الله عليه وعليهم وسلم *(اما بعد)* فانى لم ازل محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها مؤثرا للاطلاع على الجلى من حوادثها وخافيها مائلا الى المعارف والآداب والتجارب المودعة فى مطاويها فلما تأملتها رأيتها متباينة فى تحصيل الغرض يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل الى العرض فمن بين مطوّل قد استقصى الطرق والروايات ومختصر قد اخل بكثير مما هو آت ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات والمشهور من الكائنات وسوّد كثير منهم الاوراق بصغائر الامور التى الاعراض

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القديم الاوّل الذى لا يزول ملكه ولا يتحوّل خالق الخلائق وعالم الذرات بالحقائق مفنى الامم ومحيي الرمم ومعيد النعم ومبيد النقم وكاشف الغمم وصاحب الجود والكرم لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون واشهد أن لا اله الا الله تعالى عما يشركون واشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الى الخلق أجمعين المنزل عليه نبأ القرون الاولين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما تعاقبت الليالى والايام وتداولت السنين والاعوام *(وبعد)* فيقول الفقير عبد الرحمن بن حسن الجبرتى الحنفى غفر الله له ولوالديه وأحسن اليهما واليه انى كنت سودت أوراقا فى حوادث آخر القرن الثانى عشر وما يليه من أوائل الثالث عشر الذى نحن فيه جمعت فيها بعض الوقائع اجماليه وأخرى محققة تفصيليه وغالبها محن ادركناها وأمور شاهدناها

عنها اولى وترك تسطيرها احرى كقولهم خلع فلان الذمى صاحب العيار وزاد رطلا فى الاسعار واكرم فلان واهين فلان وقد ارخ كل منهم الى زمانه وجاء بعده من ذيل عليه وأضاف المتجددات بعد تاريخه اليه والشرقى منهم قد اخل بذكر أخبار الغرب والغربى قد اهمل احوال الشرق فكان الطالب اذا أراد أن يطالع تاريخا احتاج الى مجلدات كثيرة وكتب متعددة مع ما فيها من الاخلال والاملال فلما رأيت الامر كذلك شرعت فى تأليف تاريخ جامع لاخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ليكون تذكرة لى اراجعه خوف النسيان وآتى فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان متتابعة يتلو بعضها بعضا الى وقتنا هذا ولا أقول انى أتيت على جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ فان من هو بالموصل لابد أن يشذ عنه ما هو باقصى الشرق والغرب ولكن أقول انى قد جمعت فى كتابى هذا ما لم يجتمع فى كتاب واحد ومن تامله علم صحة ذلك فابتدأت بالتاريخ الكبير الذى صنفه الامام أبو جعفر الطبرى اذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه والمرجوع عند الاختلاف اليه فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة منها وقد ذكر هو فى اكثر الحوادث روايات ذوات عدد كل رواية منها مثل التى قبلها أو أقل منها وربما زاد الشئ اليسير أو نقصه فقصدت أتم الروايات فنقلتها وأضفت اليها من غيرها ما ليس فيها وأودعت كل شئ مكانه فجاء جميع ما فى تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقا واحدا على ما تراه فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها وأضفت منها الى ما نقلته من تاريخ الطبرى ما ليس فيه ووضعت كل شئ منها موضعه الا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى لم أضف الى ما نقله أبو جعفر شيئا الا ما فيه زيادة بيان أو اسم انسان أو ما لا يطعن على أحد منهم فى نقله وانما اعتمدت عليه من بين المؤرخين اذ هو الامام المتقن حقا الجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا على انى لم أنقل الا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه ولم أكن كالخابط فى ظلماء الليالى ولا كمن يجمع الحصباء واللآلى ورأيتهم أيضا يذكرون الحادثة الواحدة فى سنين ويذكرون منها فى كل شهر أشياء فتأتى الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض ولا تفهم الا بعد امعان النظر فجمعت انا الحادثة فى موضع واحد وذكرت كل شئ منها فى أى شهر أو سنة كانت فأتت متناسقة متتابعة قد أخذ بعضها برقاب بعض وذكرت فى كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها فاما الحوادث الصغار التى لا يحتمل منها كل شئ ترجمة فانى أفردت لجميعها ترجمة واحدة فى آخر كل سنة فاقول ذكر عدة حوادث واذا ذكرت بعض من نبغ وملك فى قطر من البلاد ولم تطل أيامه فانى أذكر جميع حاله من أوله الى آخره عند ابتداء أمره لانه اذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به وذكرت فى آخر كل سنة من توفى فيها من مشهورى العلماء

واستطردت فى ضمن ذلك سوابق سمعتها ومن أفواه الشيخة ٣ تلقيتها وبعض تراجم الاعيان المشهورين من العلماء والامراء المعتبرين وذكر لمع من أخبارهم وأحوالهم وبعض تواريخ مواليدهم ٣ ووفياتهم فأحببت جمع شملها وتقييد شواردها فى أوراق متسقة النظام مرتبة على السنين والاعوام ليسهل على الطالب النبيه المراجعة ويستفيد ما يرومه من المنفعة ويعتبر المطلع على الخطوب الماضية فيتأسى اذا لحقه مصاب ويتذكر بحوادث الدهر انما يتذكر أولو الالباب فانها حوادث غريبة فى بابها متنوعة فى عجائبها (وسميته) عجائب الآثار فى التراجم والاخبار وانا ارجو ممن اطلع عليه وحل بمحل القبول لديه ان لا ينسانا من صالح دعواته وان يغضى عما عثر عليه من هفواته (اعلم) ان التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وانسابهم ووفياتهم وموضوعه أحوال الاشخاص الماضية من الانبياء والاولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين وغيرهم والغرض منه الوقوف على الاحوال الماضية من حيث هى وكيف كانت وفائدته العبرة بتلك الاحوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن ليحترز العاقل عن مثل أحوال الهالكين من الامم المذكورة السالفين ويستجلب خيار أفعالهم ويتجنب سوء أقوالهم ويزهد فى الفانى ويجتهد فى طلب الباقى وأول واضع له فى الاسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك حين كتب أبو موسى الاشعرى الى عمر أنه يأتينا من

(قوله الشيخة بكسر الشين وفتح الياء وسكونها جمعان من جموع شيخ أفاده فى القاموس اه مصحح)

والاعيان والفضلاء وضبطت الاسماء المشتبهة المؤتلفة في الخط المختلفة في اللفظ الواردة فيه بالحروف ضبطا يزيل الاشكال ويغني عن الانقاط والاشكال فلما جمعت أكثره أعرضت عنه مدة طويلة لحوادث تجددت وقواطع توالت وتعددت ولان معرفتي بهذا النوع كملت وتمت ثم ان نفرا من اخواني وذوي المعارف والفضائل من خلاني ممن أرى مجادلتهم نهاية أوطاري وأعدهم من أماثل مجالسي وسماري رغبوا الي في ان يسمعوه مني ليرووه عني فاعتذرت بالاعراض عنه وعدم الفراغ منه فانني لم أعاود مطالعة مسودته ولم أصلح ما أصلح فيها من غلط وسهو ولا أسقطت منها ما يحتاج الى اسقاط ومحو وطالت المراجعة مدة وهم للطلب ملازمون وعن الاعراض معرضون وشرعوا في سماعه قبل اتمامه واصلاحه واثبات ما تمس الحاجة اليه وحذف ما لا بد من اطراحه والعزم على اتمامه فاتر والعجز ظاهر للاشتغال بما لا بد منه لعدم المعين والمظاهر ولهموم توالت ونوائب تتابعت فانا ملازم الاهمال والتواني فلا أقول اني لاسير اليه سير الشواني فبينما الامر كذلك اذ برز أمر من طاعته فرض واجب واتباع أمره حكم لازب من أعلاق الفضل باقباله عليه نافقة وأرواح الجهل باعراضه عنها نافقة من أحيا المكارم وكانت أمواتا وأعادها خلقا جديدا بعد ان كانت رفاتا من عم رعيته عدله ونواله وشملهم احسانه وافضاله مولانا مالك الملك الرحيم العالم المؤيد المنصور المظفر بدر الدين ركن الاسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين خلد الله دولته فحينئذ ألقيت عني جلباب المهل وطويت رداء الكسل وألقت الدواة وأصلحت القلم وقلت هذا اوان الشد فاشتدي زيم وجعلت الفراغ أهم مطلب واذا أراد الله أمرا هيأ له السبب وشرعت في اتمامه مسابقا ومن العجب ان السكيت يروم ان يجيء سابقا ونصبت نفسي غرضا للسهام وجعلتها مظنة لاقوال اللوام لان المآخذ اذا كانت تتطرق الى التصنيف المهذب والاستدراك كانت تتعلق بالمجموع المرتب الذي تكررت مطالعته وتنقيحه وأجيد تاليفه وتصحيحه فهي بغيره أولى وبه أحرى على اني مقر بالتقصير فلا أقول ان الغلط سهو جرى به القلم بل أعترف بان ما أجهل أكثر مما أعلم (وقد سميته) اسما يناسب معناه وهو الكامل في التاريخ ولقد رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية يحتقر التواريخ ويزدريها ويعرض عنها ويلغيها ظنا منه ان غاية فائدتها انما هو القصص والاخبار ونهاية معرفتها الاحاديث والاسمار وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره وأصبح مخشلبا جوهره ومن رزقه الله طبعا سليما وهداه صراطا مستقيما علم ان فوائدها كثيرة ومنافعها الدنيوية والاخروية جمة غزيرة وها نحن نذكر شيئا مما ظهر لنا فيها ونكل الى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها * فاما فوائدها الدنيوية

فمنها

قيل أمير المؤمنين كتب لا ندري على أيها نعمل فقد قرأنا صكا محله شعبان فما ندري أي الشعبانين أهو الماضي أم القابل وقيل رفع لعمر صك محله شعبان فقال أي شعبان هذا هو الذي نحن فيه أو الذي هو آت ثم جمع وجوه الصحابة رضي الله عنهم وقال ان الاموال قد كثرت وما قسمناه غير موقت فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك فقال له الهرمزان وهو ملك الاهواز وقد أسر عند فتوح فارس وحمل الى عمر وأسلم على يديه ان للعجم حسابا يسمونه ماه روز ويسندونه الى من غلب عليهم من الاكاسرة فعربوا لفظة ماه روز بمورخ ومصدره التاريخ واستعملوه في وجوه التصريف ثم شرح لهم الهرمزان كيفية استعمال ذلك فقال لهم عمر ضعوا للناس تاريخا يتعاملون عليه وتصير أوقاتهم فيما يتعاملونه من المعاملات مضبوطة فقال له بعض من حضر من مسلمي اليهود ان لنا حسابا مثله مسندا الى الاسكندر فما ارتضاه الآخرون لما فيه من الطول وقال قوم نكتب على تاريخ الفرس قيل ان تواريخهم غير مسندة الى مبدأ معين بل كلما قام منهم ملك ابتدؤا التاريخ من لدن قيامه وطرحوا ما قبله فاتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الاسلام من لدن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم لان وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد بخلاف وقت ولادته ووقت مبعثه صلى الله عليه وسلم وكان للعرب في القديم من الزمان بارض اليمن والحجاز تواريخ [illegible] عن سلف الى زمن الهجرة لما هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وظهر الاسلام

فمنها ان الانسان لايخفى انه يحب البقاء ويؤثر ان يكون فى زمرة الاحياء فياليت شعرى أى فرق بين مارآه أمس أوسمعه وبين ماقرأه فى الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين فاذا طالعها فكأنه عاصرهم واذا علمها فكأنه حاضرهم ومنها ان الملوك ومن اليهم الامر والنهى اذا وقفوا على مافيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة فى الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف عن سلف ونظروا الى ما اعقبت من سوء الذكر وقبيح الاحدوثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الاموال وفساد الاحوال استقبحوها واعرضوا عنها واطرحوها واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها ومايتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم وان بلادهم وممالكهم عمرت وأموالها درت استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ماينافيه هذا سوى مايحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التى دفعوا بها مضرات الاعداء وخلصوا بها من المهالك واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخرا ومنها مايحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير اليه عواقبها فانه لايحدث امر الا قد تقدم هو أو نظيره فيزداد بذلك عقلا ويصبح لان يقتدى به اهلا ولقد احسن القائل حيث يقول

رايت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع

فلا ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع

كما لاتنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

يعنى بالمطبوع العقل الغريزى الذى خلقه الله تعالى للانسان وبالمسموع مايزداد به العقل الغريزى من التجربة وجعله عقلا ثانيا توسعا وتعظيما له والافهو زيادة فى عقله الاول ومنها مايتجمل به الانسان فى المجالس والمحافل من ذكر شئ من معارفها ونقل طريفة من طرائفها فترى الاسماع مصغية اليه والوجوه مقبلة عليه والقلوب متاملة مايورده ويصدره مستحسنة مايذكره * وأما الفوائد الاخروية فمنها ان العاقل اللبيب اذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا باهلها وتتابع نكباتها الى اعيان قاطنيها وانها سلبت نفوسهم وذخائرهم واعدمت أصاغرهم وأكابرهم فلم تبق على جليل ولا حقير ولم يسلم من نكدها غنى ولا فقير زهد فيها واعرض عنها واقبل على التزود للآخرة منها ورغب فى دار تنزهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها من هذه النقائص ولعل قائلا يقول ماترى ناظرا فيها زهد فى الدنيا واقبل على الآخرة ورغب فى درجاتها العليا فياليت شعرى كم رأى هذا القائل قارئا للقرآن العزيز وهو سيد المواعظ وافصح الكلام يطلب به اليسير من هذا الحطام فان القلوب مولعة بحب العاجل ومنها التخلق بالصبر والتأسى وهما من محاسن الاخلاق فان العاقل اذا رأى ان مصاب الدنيا لم يسلم منه نبى مكرم ولا ملك معظم بل ولا احد من البشر علم انه يصيبه مااصابهم وينوبه مانابهم

وقات كلمة الله تعالى اتخذت هجرته مبدأ التاريخ وسميت كل سنة باسم الحادثة التى وقعت فيها وتدرج ذلك الى سنة سبع عشرة من الهجرة فى زمن عمر فكان اسم السنة الاولى سنة الاذن بالرحيل من مكة الى المدينة والثانية سنة الامر بالقتال الى آخره وقال اصحاب التواريخ ان العرب فى الجاهلية كانت تستعمل شهور الاهلة وتقصد مكة للحج وكان حجهم وقت عاشر الحجة كارسمه سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكن لما كان لايقع فى فصل واحد من فصول السنة بل يختلف موقعه بسبب تفاضل مابين السنة الشمسية والقمرية ووقوع ايام الحج فى الصيف تارة وفى الشتاء اخرى وكذا فى الفصلين الآخرين ارادوا ان يقع حجهم فى زمان واحد لايتغير وهو وقت ادراك الفواكه والغلال واعتدال الزمن فى الحر والبرد ليسهل عليهم السفر ويتجروا باموالهم من البضائع والارزاق مع قضاء مناسكهم فشكوا ذلك الى اميرهم وخطيبهم فقام فى الموسم عند اقبال العرب من كل مكان فخطب ثم قال أنا أنشات لكم فى هذه السنة شهرا ازيده فتكون السنة ثلاثة عشر شهرا وكذلك افعل فى كل ثلاث سنين او اقل حسبما تقتضيه حساباته وضعته ايا فى حجكم وقت ادراك الفواكه والغلال فتقصدونها عامة كم منها فوافقت العرب على ذلك ومضت الى سبيلها فنسأ المحرم وجعله كبيسا واخر الى صفر وصفر الى ربيع الاول وهكذا فوقع الحج فى السنة الثانية فى عاشر المحرم وهو ذو الحجة عندهم وآخر السنة فوقع فى السنة الاولى فى محرمات

وهل انا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد

ولهذه الحكمة وردت القصص فى القرآن المجيد ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فان ظن هذا القائل ان الله سبحانه اراد بذكرها الحكايات والاسمار فقد تمسك من اقوال الزيغ بحكم سببها حيث قالوا هذه أساطير الاولين اكتتبها نسأل الله تعالى ان يرزقنا قلبا عقولا ولسانا صادقا ويوفقنا للسداد فى القول والعمل وهو حسبنا ونعم الوكيل

(ذكر الوقت الذى ابتدئ فيه بعمل التاريخ فى الاسلام)

قيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أمر بعمل التاريخ والصحيح المشهور ان عمر بن الخطاب أمر بوضع التاريخ وسبب ذلك ان أبا موسى الاشعرى كتب الى عمر انه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الناس للمشورة فقال بعضهم أرخ بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بمهاجرة رسول الله فقال عمر بل نؤرخ بمهاجرة رسول الله فان مهاجرته فرق بين الحق والباطل قاله الشعبى وقال ميمون بن مهران رفع الى عمر صك محله شعبان فقال أى شعبان أشعبان هو آت أم شعبان الذى نحن فيه ثم قال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعوا للناس شيئا يعرفونه فقال بعضهم اكتبوا على تاريخ الروم فانهم يؤرخون من عهد ذى القرنين فقال هذا يطول فقال اكتبوا على تاريخ الفرس فقيل ان الفرس كلما قام ملك طرح تاريخ من كان قبله فاجتمع رأيهم على ان ينظروا كم أقام رسول الله بالمدينة فوجدوه عشر سنين فكتبوا التاريخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن سيرين قام رجل الى عمر فقال أرخوا فقال عمر ما أرخوا فقال شئ تفعله الاعاجم فى شهر كذا من سنة كذا فقال عمر حسن فأرخوا فاتفقوا على الهجرة ثم قالوا من أى الشهور فقالوا من رمضان ثم قالوا فالمحرم هو منصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجمعوا عليه وقال سعيد بن المسيب جمع عمر الناس فقال من أى يوم نكتب التاريخ فقال على من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفراقه ارض الشرك ففعله عمر وقال عمرو بن دينار اول من ارخ يعلى بن أمية وهو باليمن وأما قبل الاسلام فقد كان بنو ابراهيم يؤرخون من نار ابراهيم الى بنيان البيت حين بناه ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ثم ارخ بنو اسمعيل من بنيان البيت حتى تفرقوا فكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بمخرجهم ومن بقى بتهامة من بنى اسمعيل يؤرخون من خروج سعد ونهد وجهينة بنى زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤى وأرخوا من موته الى الفيل ثم كان التاريخ من الفيل حتى ارخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة او ثمان عشرة وقد كان كل طائفة من العرب تؤرخ بالحادثات المشهورة فيها ولم يكن لهم تاريخ يجمعهم وفى ذلك قول بعضهم

هأنا ذا آمل الخلود وقد * أدرك عقلى ومولدى حجرا

وقال

الاول رأس السنة والآخر فى النسيء وعدة الشهور ثلاثة عشر وبعد انقضاء سنتين او ثلاثة وانتهاء نوبة الكبيس اى الشهر الذى كان يقع فيه الحج وانتقاله الى الشهر الذى بعده قام فيهم خطيبا وتكلم بما اراد ثم قال انا جعلنا الشهر الفلانى من السنة الفلانية الداخلة للشهر الذى بعده ولهذا فسر النسيء بالتاخير كما فسر بالزيادة وكانوا يديرون النسيء على جميع شهور السنة بالنوبة حتى يكون لهم مثلا فى سنة محرمان وفى اخرى صفران ومثل هذا بقية الشهور فاذا آلت النوبة الى الشهر المحرم قام لهم خطيبا فينبئهم ان هذه السنة قد تكرر فيها اسم الشهر الحرام فيحرم عليهم واحدا منها بحسب رأيه على مقتضى مصلحتهم فلما انتهت النوبة فى ايام النبى صلى الله عليه وسلم الى ذى الحجة وتم دور النسيء على جميع الشهور حج صلى الله عليه وسلم فى تلك السنة حجة الوداع وهى السنة العاشرة من الهجرة لموافقة الحج فيها عاشر الحجة ولهذا لم يحج صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة حين حج ابو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس لوقوعه فى عاشر ذى القعدة فلما حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع خطب وامر الناس بما شاء الله تعالى ومن جملته الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يعنى رجوع الحج الى الموضع الاول كما كان فى زمن سيدنا ابراهيم صلوات الله تعالى عليه ثم تلا قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا

المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين 7

وقال الجعدي
فمن يك سائلا عني فاني * من الشبان ايام الختان

وقال آخر
وماهي الا في ازار وعلقة * بغار ابن همام على حي خثعما

وكل واحد أرخ بحادث مشهور عندهم فلو كان لهم تاريخ يجمعهم لم يختلفوا في التاريخ والله أعلم

(القول في الزمان)

الزمان عبارة عن ساعات الليل والنهار وقد يقال ذلك للطويل والقصير منهما والعرب تقول *اتيتك زمان الصرام * وزمان الصرام يعني به وقت الصرام وكذلك أتيتك ازمان الحجاج أمير ويجمعون الزمان يريدون بذلك ان كل وقت من اوقات امارته من الازمنة

(القول في جميع الزمان من اوله الى آخره)

اختلاف الناس في ذلك فقال ابن عباس من رواية سعيد بن جبير عنه سبعة آلاف سنة وقال وهب بن منبه ستة آلاف سنة قال أبو جعفر والصحيح من ذلك ما دل على صحته الخبر الذي رواه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اجلكم في اجل من قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وروى نحو هذا المعنى أنس وأبو سعيد الا انهما قالا الى غروب الشمس و بدل صلاة العصر بعد العصر وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وروى نحوه جابر بن سمرة وأنس وسهل بن سعيد و بريدة والمستورد بن شداد وأشياخ من الانصار كلهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذه أخبار صحيحة قال وقد زعم اليهود ان جميع ما ثبت عندهم على ما في التوراة من لدن خلق آدم الى الهجرة أربعة آلاف سنة وثلثمائة واثنتان وأربعون سنة وقالت اليونانية من النصارى ان من خلق آدم الى الهجرة خمسة آلاف سنة وتسعمائة واثنتين وتسعين سنة وشهرا وزعم قائل أن اليهود انما نقصوا من السنين دفعا منهم لنبوة عيسى اذ كانت صفته ومبعثه في التوراة وقالوا لم يأت الوقت الذي في التوراة ان عيسى يكون فيه فهم ينتظرون بزعمهم خروجه ووقته قال وأحسب أن الذي ينتظرونه و يدعون صفته في التوراة هو الدجال وقالت المجوس ان قدر مدة الزمان من لدن ملك جيومرث الى وقت الهجرة ثلاثة آلاف ومائة وتسع وثلاثون سنة وهم لا يذكرون مع ذلك شيئا يعرف فوق جيومرث و يزعمون أنه هو آدم وأهل الاخبار يختلفون فيه فمن قائل مثل قول المجوس ومن قائل انه يسمى بآدم بعد ان ملك الاقاليم السبعة وانه حام بن يافث بن نوح وكان بارا بنوح فدعا له ولذريته بطول العمر والتمكين في البلاد واتصال الملك فاستجيب له فملك جيومرث وولده الفرس ولم يزل الملك فيهم الى أن دخل المسلمون المدائن وغلبوهم على ملكهم ومن قائل غير ذلك كذا قال

ومنع العرب من هذا الحساب وأمر بقطعه والاستمرار بوقوع الحج في أي زمان أتى من فصول السنة الشمسية فصارت سنوهم دائرة في الفصول الاربع والحج واقع في كل زمان منها كما كان في زمن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم كون حجة الصديق واقعة في القعدة هو قول طائفة من العلماء وقال آخرون بل وقعت حجته أيضا في ميقاتها من ذي الحجة وقد روى في السنة ما يدل على ذلك والله أعلم بالحقائق *ولما كان علم التاريخ علما شريفا فيه العظة والاعتبار وبه يقيس العاقل نفسه على من مضى من أمثاله في هذه الدار وقد قص الله تعالى أخبار الامم السالفة في أم الكتاب فقال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب وجاء من أحاديث سيد المرسلين كثير من أخبار الامم الماضين كحديثه عن بني اسرائيل وما غيروه من التوراة والانجيل وغير ذلك من أخبار العجم والعرب مما يفضي بمتأمله الى العجب وقد قال الشافعي رضي الله عنه من علم التاريخ زاد عقله وقد قيل شعر *

اذا عرف الانسان أخبار من مضى * توهمته قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر دهره * الى الحشر ان أبقى الجميل من الذكر
فكن عالما أخبار من عاش وانقضى * وكن ذا نوال واغتنم آخر العمر

ولم تزل الامم الماضية من حين أوجد الله هذا النوع الانساني تعتني

أبو جعفر (قلت) ثم ذكر أبو جعفر بعد هذا أصولا تتضمن الدلالة على حدوث الازمان والاوقات وهل خلق الله قبل خلق الزمان شيئا أم لا وعلى فناء العالم وان لا يبقى الا الله تعالى وانه أحدث كل شئ واستدل على ذلك بأشياء يطول ذكرها ولا يليق ذلك بالتواريخ لاسيما المختصرات منه فانه بعلم الاصول أولى وقد فرغ المتكلمون منه في كتبهم فرأينا تركه أولى (بريدة بضم الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخرها هاء)

(القول في ابتداء الخلق وما كان أوله)

صح في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عبادة بن الصامت انه سمعه يقول ان أول ما خلق الله تعالى القلم وقال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن وروى نحو ذلك عن ابن عباس وقال محمد بن اسحق أول ما خلق الله تعالى النور والظلمة فجعل الظلمة ليلا أسود وجعل النور نهارا أبيض مضيأ والاول أصح للحديث وابن اسحق لم يسند قوله الى أحد واعترض أبو جعفر على نفسه بما روى سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى كان على عرشه قبل ان يخلق شيأ فكان أول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة وأجاب بان هذا الحديث ان كان صحيحا فقد رواه شعبة أيضا عن أبي هاشم ولم يقل فيه ان الله كان على عرشه روى أنه قال أول ما خلق الله القلم

(القول فيما خلق بعد القلم)

ثم ان الله خلق بعد القلم وبعد ان أمره فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة سحابا رقيقا وهو الغمام الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم وقد سأله أبو رزين العقيلي أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق فقال في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء وهو الغمام الذي ذكره الله في قوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام (قلت) فيه نظر لانه قد تقدم ان أول ما خلق الله تعالى القلم وقال له اكتب فجرى في تلك الساعة ثم ذكر في أول هذا الفصل ان الله خلق بعد القلم وبعد ان جرى بما هو كائن سحابا ومن المعلوم ان الكتابة لابد فيها من آلة يكتب بها وهو القلم ومن شئ يكتب فيه وهو الذي يعبر عنه ههنا باللوح المحفوظ وكان ينبغي أن يذكر اللوح المحفوظ ثانيا للقلم والله أعلم ويحتمل أن يكون ترك ذكره لانه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق الملازمة ثم اختلف العلماء فيما خلق الله بعد الغمام فروى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس أول ما خلق الله العرش فاستوى عليه وقال آخرون خلق الله الماء قبل العرش وخلق العرش فوضعه على الماء وهو قول أبي صالح عن ابن عباس وقول ابن مسعود ووهب بن منبه وقد قيل ان الذي خلق الله تعالى بعد القلم الكرسي

ثم

يدونه سلفا عن سالف وخلفا عن بعد خلف الى ان نبذه أهل عصرنا وأغفلوه وتركوه وأهملوه وعدوه من شغل البطالين وقالوا أساطير الاولين ولعمري انهم ٨ لمعذورون وبالاهم مشتغلون ولا يرضون لاقلامهم المتعبة في مثل هذه المنقبة فان الزمان قد انعكست أحواله وتقاصت ظلاله وانخرمت قواعده في الحساب فلا تضبط وقائعه في دفتر ولا كتاب واشتغال الوقت في غير فائدة ضياع وما مضى وفات ليس له استرجاع الا أن يكون مثل الحقير منزويا في زوايا الخمول والاهمال منجمعا عما اشتغلوا به من الاشغال فيشغل نفسه في أوقات من خلواته وبلياليه وحدته بعد سيئات الدهر وحسناته شعر

لو بال هذا الدهر في قارورة * بان الذي يشكوه للمتطبب *

وفن التاريخ علم يندرج فيه علوم كثيرة لولاه ما ثبتت أصولها ولا تشعبت فروعها منها طبقات القراء والمفسرين والمحدثين وسير الصحابة والتابعين وطبقات المجتهدين وطبقات النحاة والحكماء والاطباء وأخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأخبار المغازي وحكايات الصالحين ومسامرة الملوك من القصص والاخبار والمواعظ والعبر والامثال وغرائب الاقاليم وعجائب البلدان * ومنها كتب المحاضرات ومفاكهة الخلفاء وسلوان المطاع ومحاضرات الراغب وأما الكتب المصنفة فيه فكثيرة جدا ذكر منها في مفتاح السعادة ألفا وثلثمائة

(قوله منها طبقات القراء هكذا في نسخة وهي واضحة وفي بعض النسخ منها طبقات المناوي والقراء اه مصحح

ثم العرش ثم الهواء ثم الظلمات ثم الماء فوضع العرش عليه قال وقول من قال ان الماء خلق قبل العرش أولى بالصواب لحديث أبي رزين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان الماء كان على متن الريح حين خلق العرش قاله سعيد بن جبير عن ابن عباس فان كان كذلك فقد خلقا قبل العرش وقال غيره ان الله خلق القلم قبل ان يخلق شيأ بالف عام واختلفوا أيضا في اليوم الذي ابتدأ الله تعالى فيه خلق السموات والارض وقال عبد الله ابن سلام وكعب والضحاك ومجاهد ابتداء الخلق يوم الاحد وقال محمد بن اسحق ابتداء الخلق يوم السبت وكذلك قال أبو هريرة واختلفوا أيضا فيما خلق كل يوم فقال عبد الله ابن سلام ان الله تعالى بدأ الخلق يوم الاحد فخلق الارضين يوم الاحد والاثنين وخلق الاقوات والرواسي في الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات يوم الخميس والجمعة ففرغ آخر ساعة من الجمعة فخلق فيها آدم عليه السلام فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة ومثله قال ابن مسعود وابن عباس من رواية أبي صالح عنه الا انهما لم يذكرا خلق آدم ولا الساعة وقال ابن عباس من رواية على بن أبي طلحة عنه ان الله تعالى خلق الارض باقواتها من غير ان يدحوها ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك فذلك قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وهذا القول عندي هو الصواب وقال ابن عباس أيضا من رواية عكرمة عنه ان الله تعالى وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بالفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت ومثله قال ابن عمرو وروى السدى عن أبي صالح وعن أبي مالك عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات قال ان الله عز وجل كان عرشه على الماء ولم يخلق شيأ مما خلق قبل الماء فلما أراد ان يخلق الخلق اخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع ارضين في يومين يوم الاحد ويوم الاثنين فخلق الارض على حوت والحوت النون الذي ذكره الله تعالى في القرآن في قوله ن والقلم والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الارض فتحرك الحوت فاضطربت وتزلزلت الارض فارسى عليها الجبال فقرت فالجبال تفخر على الارض فذلك قوله تعالى وجعلنا فيها رواسي أن تميد بكم قال ابن عباس والضحاك ومجاهد وكعب وغيرهم كل يوم من هذه الايام الستة التي خلق الله فيها السماء والارض كالف سنة (قلت) انما ما ورد في هذه الاخبار من أن الله تعالى خلق الارض في يوم كذا والسماء في يوم كذا انما هو مجاز والا فلم يكن ذلك الوقت أيام وليالي لان الايام عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها والليالي عبارة عما بين غروبها وطلوعها ولم يكن ذلك الوقت سماء ولا شمس وانما المراد به انه

كتاب قال في ترتيب العلوم وهذا بحسب ادراكه واستقصائه والاذهى تزيد على ذلك لانه ما الف في فن من الفنون مثل ما ألف في التواريخ وذلك لانجذاب الطبع اليها والتطلع على الامور المغيبات ولكثرة رغبة السلاطين لزيادة اعتنائهم بحسب التطلع على سير من تقدمهم من الملوك مع ما لهم من الاحوال والسياسات وغير ذلك فمن الكتب المصنفة فيه تاريخ ابن كثير في عدة مجلدات وهو القائل شعرا *

تمر بنا الايام تترى وانما * نساق الى الآجال والعين تنظر
فلا عائد صفو الشباب الذي مضى * ولا زائل هذا المشيب المكدر

وتاريخ الطبري وهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري مات سنة عشر وثلثمائة ببغداد وتاريخ ابن الاثير الجزري المسمى بالكامل ابتدأ فيه من اول الزمان الى أواخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وله كتاب أخبار الصحابة في ست مجلدات وتاريخ ابن الجوزي وله المنتظم في تواريخ الامم ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي في أربعين مجلدا وتاريخ ابن خلكان المسمى بوفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان وتواريخ المسعودي أخبار الزمان والاوسط ومروج الذهب ومن أجل التواريخ تواريخ الذهبي الكبير والاوسط المسمى بالعبر والصغير المسمى دول الاسلام وتواريخ السمعاني منها ذيل تاريخ بغداد لابي بكر بن ٢ يخ علي الخطيب نحو خمسة عشر مجلدا وتاريخ مرو يزيد على عشرين مجلدا والانساب في نحو ثمان مجلدات وتواريخ العلامة ابن حجر العسقلاني وتاريخ الصفدي وتواريخ السيوطي وتاريخ الحافظ ابن عساكر في سبعة وخمسين مجلدا وتاريخ اليافعي

خلق كل شيء بمقدار يوم كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وليس في الجنة بكرة وعشيا (سلام والد عبد الله بتخفيف اللام)

(القول في الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه)

قد ذكرنا ما خلق الله تعالى من الأشياء قبل خلق الأوقات وأن الأزمنة والأوقات إنما هي ساعات الليل والنهار وأن ذلك إنما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك فلنذكر الآن بأي ذلك كان الابتداء أبالليل أم بالنهار فإن العلماء اختلفوا في ذلك فإن بعضهم يقول إن الليل خلق قبل النهار ويستدل على ذلك بأن النهار من نور الشمس فإذا غابت الشمس جاء الليل فبان بذلك أن النهار هو النور وارد على الظلمة التي هي الليل وإذا لم يرد نور الشمس كان الليل ثابتا فدل ذلك على أن الليل هو الأول وهذا قول ابن عباس وقال آخرون كان النهار قبل الليل واستدلوا بأن الله تعالى كان ولا شيء معه ولا ليل ولا نهار وأن نوره كان يضيء به كل شيء خلقه حتى خلق الليل قال ابن مسعود إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات من نور وجهه قال أبو جعفر والأول أولى بالصواب للعلة المذكورة أولا ولقوله تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها فبدأ بالليل قبل النهار وقال عبيد بن عمير الحارثي كنت عند علي فسأله ابن الكواء عن السواد الذي في القمر فقال ذلك آية محيت وقال ابن عباس مثله وكذلك قال مجاهد وقتادة وغيرهما إن ذلك خلقهما الله تعالى الشمس أنور من القمر (قلت) وروى أبو جعفر ههنا حديثا طويلا عدة أوراق عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في خلق الشمس والقمر وسيرهما فإنهما على عجلتين لكل عجلة ثلثمائة وستون عروة يجرها بعددها من الملائكة وأنهما يسقطان عن العجلتين فيغوصان في بحر بين السماء والأرض فذلك كسوفهما ثم إن الملائكة يخرجونهما فذلك تجليهما من الكسوف وذكر الكواكب وسيرها وطلوع الشمس من مغربها ثم ذكر مدينة بالمغرب تسمى جابرسا وأخرى بالمشرق تسمى جابرقا ولكل واحدة منهما عشرة آلاف باب يحرس كل باب منها عشرة آلاف رجل لا تعود الحراسة إليهم إلى يوم القيامة وذكر يأجوج ومأجوج ومنسك وتاريس إلى أشياء أخر لا حاجة إلى ذكرها فأعرضت عنها لمنافاتها العقول ولو صح إسناده لذكرناه وقلنا به ولكن الحديث غير صحيح ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يسطر في الكتب بمثل هذا الإسناد الضعيف *وإذ كنا قد بينا مقدار مدة ما بين أول ابتداء الله عز وجل في إنشاء ما أراد إنشاءه من خلقه إلى حين فراغه من إنشاء جميعه من سني الدنيا ومدة أزمانها وكان الغرض في كتابنا هذا ذكر ما قد بينا أنا ذاكروه من تاريخ الملوك الجبابرة والعاصية ربها والمطيعة ربها وأزمان الرسل والأنبياء وكنا قد أتينا على ذكر ما تصح به التاريخات وتعرف به الأوقات وهو الشمس والقمر فلنذكر الآن أول من أعطاه الله تعالى ملكا وأنعم عليه فكفر نعمته

و بستان التواريخ في ست مجلدات وتواريخ بغداد وتواريخ حلب وتواريخ أصبهان للحافظ أبي نعيم وتاريخ بلخ وتاريخ الأندلس والإحاطة في أخبار غرناطة وتاريخ اليمن وتاريخ مكة وتواريخ الشام وتاريخ المدينة المنورة وتواريخ الحافظ المقريزي وهي التاريخ الكبير المقفى والسلوك في دول الملوك والمواعظ والاعتبار في الخطط والآثار وغير ذلك ونقل في مؤلفاته أسماء تواريخ لم نسمع بأسمائها في غير كتبه مثل تاريخ ابن أبي طي والمسبحي وابن المأمون وابن زولاق والقضاعي ومن التواريخ تاريخ العلامة العيني في أربعين مجلدا رأيت منه بعض مجلدات بخطه وهي ضخمة في قالب الكامل ومنها تاريخ الحافظ السخاوي والضوء اللامع في أهل القرن التاسع رتبه على حروف المعجم في عدة مجلدات وتاريخ العلامة ابن خلدون في ثمان مجلدات ضخام ومقدمته مجلد على حدته من أطلع عليها رأى بحرا امتلأ عبابا بالعلوم مشحونا بنفائس جواهر المنطوق والمفهوم وتاريخ ابن دقماق وكتب التواريخ أكثر من أن تحصى وذكر المسعودي جملة كبيرة منها وتاريخه لغاية سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة فما ظنك بما بعد ذلك (قلت) وهذه صارت أسماء من غير مسميات فإنا لم نر من ذلك كله إلا بعض أجزاء مدشتة بقيت في بعض خزائن كتب الأوقاف بالمدارس مما تداولته أيدي الصحافين وباعها القومة والمباشرون ونقلت إلى بلاد المغرب والسودان ثم ذهبت بقايا البقايا في الفتن وجد والحروب وأخذ الفرنسيس ما وجدوه إلى بلادهم ولما عزمت على جمع ما كنت سودته أردت أن أوصله بشيء قبله فلم أجد

بعد البحث والتفتيش الابلغ كراريس سودها بعض العامة من الاجناد ركيكة التركيب مختلة التهذيب والترتيب
وقد اعتراها النقص من مواضع في خلال بعض الوقائع وكنت ظفرت بتاريخ ١١ من ثلاث الفروع لكنه على نسق
في الجملة مطبوع لشخص يقال له أحمد چلبي بن عبد الغني مبتدئاً فيه من وقت تملك بني عثمان للديار المصرية ويتنهي كغيره ممن ذكرناه الى خمسين ومائة وألف هجرية ثم ان ذلك الكتاب استعاره بعض الاصحاب وزلت به القدم ووقع في صندوق العدم ومن ذلك الوقت الى وقتنا هذا لم يتقيد أحد بتقييد ولم يسطر في هذا الشان شيأ يفيد فرجعنا الى النقل من أفواه الشيخة المسنين وصكوك دفاتر الكتبة والمباشرين وما انتقش على احجار ترب المقبورين وذلك من أول القرن الى السبعين وما بعدها الى التسعين أمور شاهدناها ثم نسيناها وتذكرناها ومنها الى وقتنا أمور تعقلناها وقيدناها وسطرناها الى ان تم ما قصدنا باي وجه كان وانتظم ما أردنا استطراده من وقتنا الى ذلك الاوان وسنورد ان شاء الله تعالى ما ندركه من الوقائع بحسب الامكان والخلو من الموانع الى ان ياتي امر الله وان مردنا الى الله ولم اقصد بجمعه خدمة ذي جاه كبير أو طاعة وزير أو أمير ولم أداهن فيه دولة بنفاق أو مدح أو ذم
مباين للاخلاق لميل نفساني أو غرض جسماني وأنا أستغفر الله من وصفي طريقاً لم أسلكه وتجارتي برأس مال لم أملكه شعر

كمن يحدو وليس له بعير * ومن يرعى وليس له سوام * ومن يسقي وقهوته سراب * ومن يدعو وليس له طعام * هذا مع
إعترافي بقصور الباع وفتور الطباع في قوانين المعاني العربية ودواوين المثاني الادبية * مالي والاعراض الذي قلدته *

وجحد ربوبيته واستكبر فسلبه الله نعمته وأخزاه وأزله ثم نتبعه ذكر من استن سنته واقتفى أثره وأحل الله به نقمته ونذكر من كان بازائه أو بعده من الملوك المطيعة ربها المحمودة آثارها ومن الرسل والانبياء ان شاء الله تعالى

(قصة ابليس لعنه الله وابتداء أمره واطغائه آدم عليه السلام)

فاولهم وامامهم ورئيسهم ابليس وكان الله تعالى قد حسن خلقه وشرفه وملكه على سماء الدنيا والارض فيما ذكر وجعله مع ذلك خازناً من خزان الجنة فاستكبر على ربه وادعى الربوبية ودعا من كان تحت يده الى عبادته فمسخه الله تعالى شيطاناً رجيماً وشوه خلقه وسلبه ما كان خوله ولعنه وطرده عن سمواته في العاجل ثم جعل مسكنه ومسكن اتباعه في الآخرة نار جهنم نعوذ بالله تعالى من نار جهنم ونعوذ بالله تعالى من غضبه ومن الحور بعد الكور ونبدأ بذكر الاخبار عن السلف بما كان الله أعطاه من الكرامة وبادعائه ما لم يكن ونتبع ذلك بذكر أحداث في سلطانه وملكه الى حين زوال ذلك عنه والسبب الذي به زال عنه ان شاء الله تعالى

(ذكر الاخبار بما كان لابليس لعنه الله من الملك)
(وذكر الاحداث في ملكه)

روى عن ابن عباس وابن مسعود ان ابليس كان له ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازناً قال ابن عباس ثم انه عصى الله تعالى فمسخه شيطاناً رجيماً وروى عن قتادة في قوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه انما كانت هذه الآية في ابليس خاصة لما قال ما قال لعنه الله تعالى وجعله شيطاناً رجيماً وقال فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وروى عن ابن جريج مثله * وأما الاحداث التي كانت في ملكه وسلطانه فمنها ما روى عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان خازناً من خزان الجنة قال وخلقت الملائكة من نور وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها اذا التهبت وخلق الانسان من طين فاول من سكن في الارض الجن فاقتتلوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً قال فبعث الله تعالى اليهم ابليس في جند من الملائكة وهم هذا الحي الذين يقال لهم الجن فقاتلهم ابليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور واطراف الجبال فلما فعل ذلك اغتر في نفسه وقال قد صنعت ما لم يصنعه أحد فاطلع الله تعالى على ذلك من قلبه ولم يطلع عليه أحد من الملائكة الذين معه وروى عن أنس نحوه وروى أبو صالح عن ابن عباس ومرة الهمداني عن ابن مسعود انهما قالا لما فرغ الله تعالى من خلق ما احب استوى على العرش فجعل ابليس على

ما للذباب وطعمة العنقاء أبكي اعجزي وهو يبكي ذلة * شتان بين بكائه وبكائي * (مقدمة) * اعلم ان الله تعالى لما خلق الارض ودحاها وأخرج منها ماءها ١٢ ومرعاها وبث فيها من كل دابة وقدر أقواتها أحوج بعض الناس الى بعض في ترتيب معايشهم ومآكلهم وتحصيل ملابسهم ومساكنهم لانهم ليسوا كسائر الحيوانات التي تحصل ما تحتاج اليه بغير صنعة فان الله تعالى خلق الانسان ضعيفا لا يستقل وحده بامر معاشه لاحتياجه الى غذاء ومسكن ولباس وسلاح فجعلهم الله تعالى يتعاضدون ويتعاونون في تحصيلها وترتيبها بان يزرع هذا لذاك ويخبز ذاك لهذا وعلى هذا القياس تتم سائر أمورهم ومصالحهم وركز في نفوسهم الظلم والعدل ثم مست الحاجة بينهم الى سائس عادل وملك عالم يضع بينهم ميزانا للعدالة وقانونا للسياسة توزن به حركاتهم وسكناتهم وترجع اليه طاعاتهم ومعاملاتهم فانزل الله كتابه بالحق وميزانه بالعدل كما قال تعالى الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان (قال) علماء التفسير المراد بالكتاب والميزان العلم والعدل وكانت مباشرة هذا الامر من الله بنفسه من غير واسطة وسبب على خلاف ترتيب المملكة وقانون الحكمة فاستخلف فيها من الآدميين خلائف ووضع في قلوبهم العلم والعدل ليحكموا بها بين الناس حتى يصدر تدبيرهم عن دين مشروع وتجتمع كلمتهم على رأي متبوع ولو تنازعوا في وضع الشريعة لفسد نظامهم واختل معاشهم فهي الخلافة قد هوان ينوب أحدهما [illegible] التصرف واتفقا على حدود أوامره ونواهيه وأما معنى العدالة فهي خلق في النفس أو صفة

ملك سماء الدنيا وكان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم من خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في نفسه كبر وقال ما أعطاني الله تعالى هذا الامر الالمزية لي على الملائكة فاطلع الله على ذلك منه فقال اني جاعل في الارض خليفة قال ابن عباس وكان اسمه عزازيل وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما فدعاه ذلك الى الكبر وهذا قول ثالث في سبب كبره وروى عكرمة عن ابن عباس ان الله تعالى خلق خلقا فقال اسجدوا لآدم فقالوا لا نفعل فبعث عليهم نارا فاحرقتهم ثم خلق خلقا آخر فقال اني خالق بشرا من طين فاسجدوا لآدم فابوا فبعث الله تعالى عليهم نارا فاحرقتهم ثم خلق هؤلاء الملائكة فقال اسجدوا لآدم قالوا نعم وكان ابليس من أولئك الذين لم يسجدوا وقال شهر بن حوشب ان ابليس كان من الجن الذين سكنوا الارض وطردتهم الملائكة وأسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء وروى عن سعيد بن مسعود ذلك وأولى الاقوال بالصواب ان يقال كما قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه وجائز أن يكون فسوقه من اعجابه بنفسه لكثرة عبادته واجتهاده وجائز أن يكون لكونه من الجن (ومرة الهمداني بسكون الميم والدال المهملة نسبة الى همدان قبيلة كبيرة من اليمن)

(ذكر خلق آدم عليه السلام)

ومن الاحاديث في سلطانه خلق أبينا آدم عليه السلام وذلك لما أراد الله تعالى أن يطلع ملائكته على ما علم من انطواء ابليس على الكبر ولم يعلمه الملائكة حتى دنا أمره من البوار وملكه من الزوال فقال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء * وروى عن ابن عباس ان الملائكة قالت ذلك للذي كانوا عهدوا من أمره وأمر الجن الذين كانوا سكان الارض قبل ذلك فقالوا لربهم تعالى أتجعل فيها من يكونون مثل الجن الذين كانوا يسفكون الدماء فيها ويفسدون ويعصونك ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال الله لهم اني أعلم ما لا تعلمون يعني من انطواء ابليس على الكبر والعزم على خلاف أمري واغتراره وأنا مبدي ذلك لكم منه لتروه عيانا فلما أراد الله أن يخلق آدم أمر جبريل أن يأتيه بطين من الارض فقالت الارض أعوذ بالله منك أن تنقص مني وتشينني فرجع ولم يأخذ منها شيأ وقال يا رب انها عاذت بك فاعذتها فبعث ميكائيل فاستعاذت منه فاعاذها فرجع وقال مثل جبريل فبعث اليها ملك الموت فاستعاذت منه فقال أنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمر ربي فاخذ من وجه الارض فخلطه ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء وطينا لازبا فلذلك خرج بنو آدم مختلفين وروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على

فى الذات تقتضى المساواة لانها أكمل الفضائل لشمول أثرها وعموم منفعتها كل شئ وانما يسمى الانسان عادلا لما وهبه الله قسطا من عدله وجعله سببا وواسطة لايصال فيض فضله واستخلفه فى أرضه ١٣ بهذه الصفة حتى يحكم بين الناس بالحق والعدل كما قال تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق وخلائف الله هم القائمون بالقسط والعدالة فى طريق الاستقامة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه والعدالة تابعة للعلم باوساط الامور المعبر عنها فى الشريعة بالصراط المستقيم وقوله تعالى ان ربى على صراط مستقيم اشارة الى أن العدالة الحقيقية ليست الا لله تعالى فهو العادل الحقيقى الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ووضع كل شئ على مقتضى علمه الكامل وعدله الشامل وقوله صلى الله عليه وسلم بالعدل قامت السموات والارض اشارة الى عدل الله تعالى الذى جعل لكل شئ قدرا لو فرض فارض زائدا عليه أو ناقصا عنه لم ينتظم الوجود على هذا النظام بهذا التمام والكمال *(تتمة)* عليها مدار هذا الباب والله الهادى الى طريق الصواب (أصناف العدل من الخلائق خمسة) ورفع الله بعضهم فوق بعض درجات كما قال تعالى وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات (الاول الانبياء) عليهم الصلاة والسلام فهم أدلاء الامة وعمد الدين ومعادن حكم الكتاب وأمناء الله فى خلقه وهم السرج المنيرة على سبيل الهدى وحملة الامانة عن الله الى خلقه بالهداية بعثهم الله رسلا الى قومهم

قدر الارض منهم الاحمر والاسود والابيض وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب ثم بلت طينته حتى صارت طينا لازبا ثم تركت حتى صارت حمأ مسنونا ثم تركت حتى صارت صلصالا كما قال ربنا تبارك وتعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون واللازب الطين الملتزق بعضه ببعض أى ثم ترك حتى تغير وانتن وصار حمأ مسنونا يعنى منتنا ثم صار صلصالا وهو الذى له صوت وانما سمى آدم لانه خلق من أديم الارض قال ابن عباس أمر الله بتربة آدم فرفعت فخلق آدم من طين لازب من حمأ مسنون وانما كان حمأ مسنونا بعد التراب فخلق منه آدم بيده لئلا يتكبر ابليس عن السجود له قال فمكث أربعين ليلة وقيل أربعين سنة جسدا ملقى فكان ابليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل أى يصوت قال فهو قول الله تعالى من صلصال كالفخار يقول هو كالمنفوخ الذى ليس بصمت ثم يدخل من فيه فيخرج من دبره ويدخل من دبره فيخرج من فيه ثم يقول لست شيأ ولشئ ما خلقت ولئن سلطت عليك لاهلكنك ولئن سلطت على لاعصينك فكانت الملائكة تمر به فتخافه وكان ابليس أشدهم منه خوفا فلما بلغ الحين الذى أراد الله أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فلما نفخ الروح فيه دخلت من قبل رأسه وكان لا يجرى شئ من الروح فى جسده الا صار لحما فلما دخلت الروح رأسه عطس فقالت له الملائكة قل الحمد لله وقيل بل ألهمه الله التحميد فقال الحمد لله رب العالمين فقال الله له رحمك ربك يا آدم فلما دخلت الروح عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما بلغت جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة فلذلك يقول الله تعالى خلق الانسان من عجل فسجد له الملائكة كلهم الا ابليس استكبر وكان من الكافرين فقال الله له يا ابليس ما منعك ان تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه لم أكن لاسجد لبشر خلقته من طين فلم يسجد كبرا وبغيا وحسدا فقال الله له يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى الى قوله لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين فلما فرغ من ابليس ومعاتبته وأبى الا المعصية أوقع عليه اللعنة وأيأسه من رحمته وجعله شيطانا رجيما وأخرجه من الجنة قال الشعبى أنزل ابليس مشتمل الصماء عليه عمامة اعور فى احدى رجليه نعل وقال حميد بن هلال نزل ابليس مختصرا فلذلك كره الاختصار فى الصلاة ولما أنزل قال يا رب أخرجتنى من الجنة من أجل آدم وانى لا أقوى عليه الا بسلطانك قال فانت مسلط قال زدنى قال لا يولد ولد الا ولد لك مثله قال زدنى قال صدورهم مساكن لك وتجرى منهم مجرى الدم قال زدنى قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم قال آدم يا رب قد أنظرته وسلطته على وانى لا امتنع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يا رب زدنى قال الحسنة بعشر أمثالها وأزيدها والسيئة بواحدة أو أمحوها قال يا رب زدنى قال يا عبادى الذين

أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا قال يا رب زدني قال التوبة لا أمنعها من ولدك ما كانت فيهم الروح قال يا رب زدني قال أغفر ولا أبالي قال حسبي ثم قال الله لآدم ائت أولئك النفر من الملائكة فقل السلام عليكم فأتاهم فسلم عليهم فقالوا له وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع الى ربه فقال هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم فلما امتنع ابليس من السجود وظهر للملائكة ما كان مستترا عنهم علم الله آدم الاسماء كلها واختلف العلماء في الاسماء فقال الضحاك عن ابن عباس علمه الاسماء كلها التي تتعارف بها الناس انسان ودابة وأرض وسهل وجبل وفرس وحمار وأشباه ذلك حتى القسوة والفسية وقال مجاهد وسعيد بن جبير مثله وقال ابن زيد علم أسماء ذريته وقال الربيع علم أسماء الملائكة خاصة فلما علمها عرض الله أهل الاسماء على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أني ان جعلت الخليفة منكم أطعتموني وقدستموني ولم تعصوني وان جعلته من غيركم أفسد فيها وسفك الدماء فانكم ان لم تعلموا أسماء هؤلاء وأنتم تشاهدونهم فبأن لا تعلموا ما يكون منكم ومن غيركم وهو مغيب عنكم أولى وأحرى وهذا قول ابن مسعود ورواية أبي صالح عن ابن عباس وروى عن الحسن وقتادة انهما قالا لما أعلم الله الملائكة بخلق آدم واستخلافه وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال اني أعلم ما لا تعلمون قالوا فيما بينهم ليخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق خلقا الا كنا أكرم على الله منه وأعلم منه فلما خلقه وأمرهم بالسجود له علموا انه خير منهم وأكرم على الله منهم فقالوا ان يك خيرا منا وأكرم على الله منا فنحن أعلم منه فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا بان علمه الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أني لا أخلق أكرم منكم ولا أعلم منكم ففزعوا الى التوبة واليها يفزع كل مؤمن فقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قالا وعلمه اسم كل شيء من هذه الخيل والبغال والابل والجن والوحش وكل شيء

(ذكر اسكان آدم الجنة واخراجه منها)

فلما ظهر للملائكة من معصية ابليس وطغيانه ما كان مستترا عنهم وعاتبه الله على معصيته بترك السجود لآدم فاصر على معصيته وأقام على غيه لعنه الله وأخرجه من الجنة وطرده منها وسلبه ما كان اليه من ملك سماء الدنيا والارض وخزن الجنة فقال الله له أخرج منها يعني من الجنة فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين وأسكن آدم الجنة قال ابن عباس وابن مسعود فلما أسكن آدم الجنة كان يمشي فيها فردا ليس له زوج يسكن اليها فنام نومة واستيقظ فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها فقال من أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي قالت له الملائكة لينظروا مبلغ علمه ما اسمها قال حواء قالوا ولم سميت حواء قال لانها خلقت من حي وقال الله له

وأنزل معهم الكتاب والميزان ولا يتعدون حدود ما أنزل الله اليهم من الاوامر والزواجر ارشادا وهداية لهم حتى يقوم الناس بالقسط والحق ويخرجونهم من ظلمات الكفر والطغيان الى نور اليقظة والايمان وهم سبب نجاتهم من دركات جهنم الى درجات الجنان وميزان عدالة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الدين المشروع الذي وصاهم الله باقامته في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فكل أمر من أمور الخلائق دنيا وأخرى عاجلا وآجلا قولا وفعلا حركة وسكونا جار على نهج العدالة ما دام موزونا بهذا الميزان ومنحرف عنها بقدر انحرافه عنه ولا تصح الاقامة بالعدالة الا بالعلم وهو اتباع أحكام الكتاب والسنة (الثاني العلماء) الذين هم ورثة الانبياء فهم قعدوا مقامات القدوة من الانبياء وان لم يعطوا درجاتهم واقتدوا بهداهم واقتفوا آثارهم اذهم أحباب الله وصفوته من خلقه ومشرق نور حكمته قصدوا بابا أتوا به وسروا على سبيلهم وأيدوا دعوتهم ونشروا حكمتهم كشفا وفهما وذوقا وتحقيقا ايمانا وعلما بكمال المتابعة لهم ظاهرا وباطنا فلا يزالون مواظبين على تمهيد قواعد العدل واظهار الحق برفع منار الشرع واقامة أعلام الهدى والاسلام وأحكام مباني التقوى برعاية الاحوط في الفتوى تزهدا بالرخص لانهم أمناء الله في العالم وخلاصة بني آدم مخلصون في مقام العبودية يجتهدون في اتباع أحكام الشرع يقفون بباب الحبيب لا يبرحون ومن خشية ربهم مشفقون مقبلون على الله تعالى بطهارة

يا آدم

الاسرار وطائرين اليه باجنحة العلم والانوار هم أبطال ميادين العظمة وبلابل بساتين العلم والمكالمة أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وتلذذوا بنعيم المشاهدة ولهم عند ربهم ما يشتهون وما ظهر في هذا الزمان من الاختلال في حال البعض من حب الجاه والمال والرياسة والمنصب والحسد والحقد لا يقدح في حال الجميع لانه لا يخلو الزمان من محقيهم وان كثر المبطلون ولكنهم أخفياء مستورون تحت قباب الخمول لا تنكشف عن حالهم يد الغيرة الالهية والحكمة الازلية وهم آحاد الاكوان وافراد الزمان وخلفاء الرحمن وهم مصابيح الغيوب مفاتيح أقفال القلوب وهم خلاصة خاصة الله من خلقه وما برحوا أبدا في مقعد صدقهم بهم يهتدي كل حيران ويرتوي كل ظمآن وذلك ان مطالع شمس مشارق أنوارهم مقتبس من مشكاة النبوة المصطفوية ومعدن شجرة أسرارهم مؤيد بالكتاب والسنة لا أحصي ثناء عليهم أفض اللهم علينا مما لديهم (الثالث الملوك وولاة الامور) يراعون العدل والانصاف بين الناس والرعايا توصلا الى نظام المملكة وتوسلا الى قوام السلطنة لسلامة الناس في أموالهم وأبدانهم وعمارة بلدانهم ولولا قهرهم وسطوتهم لتسلط القوي على الضعيف والدني على الشريف فرأس المملكة وأركانها وثبات أحوال الامة وبنيانها العدل والانصاف سواء كانت الدولة اسلامية أو غير اسلامية فهما أس كل مملكة وبنيان كل سعادة ومكرمة فان الله تعالى أمر بالعدل ولم يكتف به حتى أضاف اليه

يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقال ابن اسحق فيما بلغه عن أهل الكتاب وغيرهم منهم عبد الله بن عباس قال ألقى الله تعالى على آدم النوم وأخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولأم مكانه لحما وخلق منه حواء وآدم نائم فلما استيقظ رآها الى جنبه فقال لحمي ودمي وروحي فسكن اليها فلما زوجه الله تعالى وجعل له سكنا من نفسه قال له يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وعن مجاهد وقتادة مثله فلما أسكن الله آدم وزوجته الجنة أطلق لهما ان يأكلا كل ما أرادا من كل ثمارها غير ثمرة شجرة واحدة ابتلاء منه لهما وليمضي قضاؤه فيهما وفي ذريتهما فوسوس لهما الشيطان وكان سبب وصوله اليهما أنه أراد دخول الجنة فمنعته الخزنة فأتى كل دابة من دواب الارض وعرض نفسه عليها انها تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجته فكل الدواب أبى عليه حتى أتى الحية وقال لها أمنعك من ابن آدم فانت في ذمتي ان أنت أدخلتيني فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به وكانت كاسية على أربعة قوائم من أحسن دابة خلقها الله كأنها بختية فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها قال ابن عباس اقتلوها حيث وجدتموها اخفروا ذمة عدو الله فيها فلما دخلت الحية الجنة خرج ابليس من فيها فناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها فقالا له ما يبكيك قال أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما ثم أتاهما فوسوس لهما وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين أي تكونا ملكين أو تخلدا ان لم تكونا ملكين في نعمة الجنة قال الله تعالى فدلاهما بغرور وكان ابتداء حواء لوسوسته أعظم فدعاها آدم لحاجته فقالت لا الا ان تأتي ههنا فلما أتى قالت لا الا ان تأكل من هذه الشجرة وهي الحنطة قال فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وكان لباسهما الظفر فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وكانت الشجرة من أكل منها أحدث وذهب آدم هاربا في الجنة فناداه ربه أن يا آدم مني تفر قال لا يا رب ولكن حياء منك فقال يا آدم من أين أتيت قال من قبل حواء يا رب فقال الله فان لها علي ان أدميها في كل شهر وان أجعلها سفيهة وقد كنت خلقتها حليمة وان أجعلها تحمل كرها وتضع كرها وتشرف على الموت مرارا وقد كنت جعلتها تحمل يسرا وتضع يسرا ولولا بليتها لكان النساء لا يحضن ولكن حليمات ولكن يحملن يسرا ويضعن يسرا وقال الله تعالى له لألعنن الارض التي خلقت منها لعنة يتحول ثمارها شوكا ولم يكن في الجنة ولا في الارض شجرة أفضل من الطلح والسدر وقال للحية دخل الملعون في جوفك حتى غر عبدي ملعونة أنت لعنة يتحول بها قوائمك في بطنك ولا يكون لك رزق الا التراب أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك حيث لقيت واحدا منهم أخذت بعقبه وحيث

لقيل شدخ رأسك اهبطوا بعضكم لبعض عدو آدم وابليس والحية فاهبطهم الى الارض وسلب الله آدم وحواء كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة قيل كان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن سقته حواء الخمر حتى سكر فلما سكر قادته اليها فاكل (قلت) والعجب من سعيد كيف يقول هذا والله يقول فى صفة خمر الجنة لا فيها غول

(ذكر اليوم الذى أسكن آدم فيه الجنة واليوم الذى أخرج فيه منها واليوم الذى تاب فيه)

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أسكن الجنة وفيه أهبط منها وفيه تاب الله عليه وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة يقللها لا يوافقها عبد مسلم يسال الله فيها خيرا الا أعطاه اياه قال عبد الله بن سلام قد علمت أى ساعة هى هى آخر ساعة من النهار وقال أبو العالية أخرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة منه وأهبط الى الارض لتسع ساعات مضين من ذلك اليوم وكان مكثه فى الجنة خمس ساعات منه وقيل كان مكثه ثلاث ساعات منه ٢ فان كان قائل هذا القول أراد انه سكن الفردوس لساعتين مضتا من يوم الجمعة من أيام الدنيا التى هى على ما هى به اليوم فلم يبعد قوله من الصواب لان الاخبار كذا كانت واردة عن السلف من أهل العلم بان آدم خلق آخر ساعة من اليوم السادس التى مقدار اليوم منها ألف سنة من سنيننا فمعلوم ان الساعة الواحدة من ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاما من أعوامنا وقد ذكرنا ان آدم بعد ان تجرد بناطيته بقى قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين عاما وذلك لا شك انه عنى به أعوامنا ثم بعد ان نفخ فيه الروح الى ان تناهى أمره وأسكن الجنة واهبط الى الارض غير مستنكر ان يكون مقدار ذلك من سنيننا قدر خمس وثلاثين سنة وان كان أراد انه سكن الجنة لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من الايام التى مقدار اليوم منها ألف سنة من سنيننا فقد قال غير الحق لان كل من له قول فى ذلك من أهل العلم يقول انه نفخ فيه الروح آخر نهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس وقد روى أبو صالح عن ابن عباس ان مكث آدم كان فى الجنة نصف يوم كان مقداره خمسمائة عام وهذا أيضا خلاف ما وردت به الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن العلماء

(ذكر الموضع الذى أهبط فيه آدم وحواء من الارض)

قيل ثم ان الله تعالى اهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذى خلقه فيه وهو يوم الجمعة مع زوجته حواء من السماء وقال على وابن عباس وقتادة وأبو العالية انه أهبط بالهند على جبل يقال له نود من أرض سرنديب وحواء بجدة قال ابن عباس فجاء

الاحسان فقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان لان بالعدل ثبات الاشياء ودوامها وبالجور والظلم خرابها وزوالها فان الطباع البشرية مجبولة على حب الانتصاف من الخصوم وعدم الانصاف لهم والظلم والجور كامن فى النفوس لا يظهر الا بالقدرة كما قيل

والظلم من شيم النفوس فان تجد ... ذا عفة فلعلة لا يظلم

فلولا قانون السياسة وميزان العدالة لم يقدر مصل على صلاته ولا عالم على نشر علمه ولا تاجر على سفره ولله در عبد الله بن المبارك حيث قال

لولا الخلافة ما قامت لنا سبل ... وكان أضعفنا نهبا لأقوانا

فان قيل فما حد الملك العادل قلنا هو كما قال العلماء بالله من عدل بين العباد وتحذر من الجور والفساد حسبما ذكره رضى الصوفى فى كتابه المسمى بقلادة الارواح وسعادة الافراح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها وفى حديث آخر والذى نفس محمد بيده انه ليرفع للملك العادل الى السماء مثل عمل الرعية وكل صلاة يصليها تعدل سبعين ألف صلاة وكان الملك

(٢ قوله فان كان قائل هذا القول الخ) غير محرر وعبارة مروج الذهب وأما ما ذهب اليه الجمهور من أهل الفقه والآثار فهو ان الابتداء كان يوم الاحد والفراغ يوم الجمعة وفيه نفخ فى آدم الروح وهو اليوم السادس من نيسان ثم خلقت حواء من آدم وأسكنا الجنة فى ثلاث ساعات مضت منه فمكثا ثلاث ساعات وهو ربع يوم مائتى سنة وخمسين سنة من أعوام الدنيا انتهت اه مصحح

في طلبها فكان كلما وضع قدمه بموضع صار قرية وما بين خطوتيه مفاوز فسار حتى أتى جمعا فازدلفت اليه حوّاء فلذلك سميت المزدلفة وتعارفا بعرفات فلذلك سميت عرفات واجتمعا بجمع فلذلك سميت جمعا واهبطت الحية باصفهان وابليس بميسان وقيل اهبط آدم بالبرية وابليس بالابلة قال أبو جعفر وهذا مالا يوصل الى معرفة صحته الا بخبر يجئ مجئ الحجة ولا نعلم خبرا في ذلك غير ما ورد في هبوط آدم بالهند فان ذلك مما لا يدفع صحته علماء الاسلام قال ابن عباس فلما اهبط آدم على جبل نود كانت رجلاه تمس الارض ورأسه بالسماء يسمع تسبيح الملائكة فكانت تهابه فسألت الله ان ينقص من طوله فنقص طوله الى ستين ذراعا فحزن آدم لما فاته من الانس باصوات الملائكة وتسبيحهم فقال يارب كنت جارك في دارك ليس لي رب غيرك ادخلتني جنتك آكل منها حيث شئت فاهبطتني الى الجبل المقدس فكنت أسمع أصوات الملائكة وأجد ريح الجنة فحططتني الى ستين ذراعا فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني ريح الجنة فاجابه الله تعالى بمعصيتك يا آدم فعلت بك ذلك فلما رأى الله تعالى عرى آدم وحوّاء أمره ان يذبح كبشا من الضأن من الثمانية الازواج التي أنزلها الله من الجنة فاخذ كبشا فذبحه واخذ صوفه فغزلته حوّاء ونسجه آدم فعمل لنفسه جبة ولحوّاء درعا وخمارا فلبسا ذلك وقيل أرسل اليهما ملكا يعلمهما ما يلبسانه من جلود الضأن والانعام وقيل كان ذلك لباس أولاده وأما هو وحوّاء فكان لباسهما ما كانا خصفا من ورق الجنة فاوحى الله الى آدم ان لي حرما حيال عرشي فانطلق وابن لي بيتا فيه ثم حف به كما رأيت ملائكتي يحفون بعرشي فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي فقال آدم يارب وكيف لي بذلك لست أقوى عليه ولا اهتدي اليه فقيض الله ملكا فانطلق به نحو مكة وكان آدم اذا مر بروضة قال للملك انزل بنا ههنا فيقول الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزله آدم عمرانا وما عداه مفاوز فبنى البيت من خمسة أجبل من طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي وبنى قواعده من حراء فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فاراه المناسك التي يفعلها الناس اليوم ثم قدم به مكة فطاف بالبيت أسبوعا ثم رجع الى الهند فمات على نود فعلى هذا القول اهبط حوّاء وآدم جميعا وان آدم بنى البيت وهذا خلاف الذي نذكره ان شاء الله تعالى منه ان البيت أنزل من السماء وقيل حج آدم من الهند أربعين حجة ماشيا ولما أنزل الى الهند كان على رأسه اكليل من شجر الجنة فلما وصل الى الارض يبس فتساقط ورقه فنبتت منه أنواع الطيب بالهند وقيل بل الطيب من الورق الذي خصفه آدم وحوّاء عليهما وقيل لما أمر بالخروج من الجنة جعل لا يمر بشجرة منها الا أخذ منها غصنا فاهبط وتلك الاغصان معه فكان أصل الطيب بالهند منها وزوده الله من ثمار الجنة فثمارنا هذه منها غير ان هذه تتغير وتلك لا تتغير وعلمه صنعة كل شئ ونزل معه بعض طيب

العادل قد عبد الله بعبادة كل عابد وقام له بشكر كل شاكر فمن لم يعرف قدر هذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى واشتغل بظلمه وهواه يخاف عليه بان يجعله الله من جملة أعدائه وتعرض الى أشد العذاب كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحب الناس الى الله تعالى يوم القيامة وأقربهم منه امام عادل وان أبغض الناس الى الله تعالى وأشدهم عذابا يوم القيامة امام جائر فمن عدل في حكمه وكف عن ظلمه نصره الحق وأطاعه الخلق وصفت له النعمى وأقبلت عليه الدنيا فتهنأ بالعيش واستغنى عن الجيش وملك القلوب وأمن الحروب وصارت طاعته فرضا وظلت رعيته جندا لان الله تعالى ما خلق شيأ أحلى مذاقا من العدل ولا أروح الى القلوب من الانصاف ولا أمر من الجور ولا أشنع من الظلم (فالواجب) على الملوك وعلى ولاة الامور أن لا يقطع في باب العدل الا بالكتاب والسنة لانه يتصرف في ملك الله وعباد الله بشريعة نبيه ورسوله نيابة عن تلك الحضرة ومستخلفا عن ذلك الجناب المقدس ولا يامن من سطوات ربه وقهره فيما يخالف أمره فينبغي أن يحترز عن الجور والمخالفة والظلم والجهل فانه أحوج الناس الى معرفة العلم واتباع الكتاب والسنة وحفظ قانون الشرع والعدالة فانه منتصب لمصالح العباد واصلاح البلاد وملتزم بفصل خصوماتهم وقطع النزاع بينهم وهو حامي الشريعة بالاسلام فلا بد من معرفة أحكامها والعلم بحلالها وحرامها ليتوصل بذلك الى

الجنة والحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وكان من ياقوت الجنة ونزل معه عصا موسى وهي من آس الجنة أو من لبان وانزل بعد ذلك العلاة والمطرقة والكلبتان وكان حسن الصورة لا يشبهه من ولده غير يوسف وأنزل عليه جبريل بصرة فيها حنطة فقال آدم ماهذا قال هذا الذي أخرجك من الجنة فقال ما اصنع به فقال انثره في الارض ففعل فانبته الله من ساعته ثم حصده وجمعه وتركه وذراه وطحنه وعجنه وخبزه كل ذلك بتعليم جبريل وجمع له جبريل الحجر والحديد فقدحه فخرجت منه النار وعلمه جبريل صنعة الحديد والحراثة وانزل اليه ثورا فكان يحرث عليه قيل هو الشقاء الذي ذكره الله تعالى بقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ثم ان الله تعالى أنزل آدم من الجبل وملكه الارض وجميع ما عليها من الجن والدواب والطير وغير ذلك فشكا الى الله تعالى وقال يا رب أما في هذه الارض من يسبحك غيري فقال الله تعالى ساخرج من صلبك من يسبحني ويحمدني وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكري وأجعل فيها بيتا اختصه بكرامتي واسميه بيتي وأجعله حرما آمنا فمن حرمه بحرمتي فقد استوجب كرامتي ومن أخاف أهل فيه فقد خفر ذمتي وأباح حرمتي أول بيت وضع للناس فمن اعتمده لا يريد غيره فقد وفد الي وزارني وضافني ويحق على الكريم أن يكرم وفده واضيافه وان يسعف كلا بحاجته تعمره انت يا آدم ما كنت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة ثم أمر آدم أن ياتي البيت الحرام وكان قد أهبط من الجنة ياقوتة واحدة وقيل درة واحدة وبقي كذلك حتى أغرق الله قوم نوح عليه السلام فرفع وبقي أساسه فبوأه الله لابراهيم عليه السلام فبناه على ما نذكره ان شاء الله تعالى وسار آدم الى البيت ليحجه ويتوب عنده وكان قد بكى هو وحواء على خطيئتهما وما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يا كلا ولم يشربا أربعين يوما ثم اكلا وشربا بعدها ومكث آدم لم يقرب حواء مائة عام فحج البيت وتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (نود بضم النون وسكون الواو وآخره دال مهملة)

(ذكر اخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق)

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أخذ الله الميثاق على ذرية آدم بنعمان من عرفة فاخرج من ظهره كل ذرية ذرأها الى أن تقوم الساعة فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة الى قوله بما فعل المبطلون (نعمان بفتح النون الاولى) وقيل عن ابن عباس أيضا انه أخذ عليهم الميثاق بدحناء وضع وقال السدي أخرج الله ادم من الجنة ولم يهبطه الى الارض من السماء ثم مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج ذرية كهيئة الذر بيضاء مثل اللؤلؤ فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي ومسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منها كهيئة الذر سوداء فقال ادخلوا

ابراء ذمته وضبط مملكته وحفظ رعيته فيجتمع له مصلحة دينه ودنياه وتعلق القلوب بمحبته والدعاء له فيكون ذلك أقوم لعمود ملكه وأدوم لبقائه وابلغ الاشياء ١٨ في حفظ المملكة العدل والانصاف على الرعية (وقيل) لحكيم أيما افضل العدل أم الشجاعة فقال من عدل استغنى عن الشجاعة لان العدل اقوى جيش واهنأ عيش (وقال) الفضيل بن عياض النظر الى وجه الامام العادل عبادة وان المقسطين عند الله على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمن (قال سفيان الثوري) صنفان اذا صلحا صلحت الامة واذا فسدا فسدت الامة الملوك والعلماء والملك العادل هو الذي يقضي بكتاب الله عز وجل ويشفق على الرعية شفقة الرجل على اهله (روى) ابن يسار عن ابيه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما وال ولي من أمر أمتي شيأ فلم ينصح لهم ويجتهد لنصيحته وجهده لنفسه كبه الله على وجهه يوم القيامة في النار (الرابع) أوساط الناس يراعون العدل في معاملاتهم وأروش جناياتهم بالانصاف فهم يكافؤن الحسنة بالحسنة والسيئة بمثلها (الخامس) القائمون بسياسة نفوسهم وتعديل قواهم وضبط جوارحهم وانخراطهم في سلك العدول لان كل فرد من افراد الانسان مسؤل عن رعاية رعيته التي هي جوارحه وقواه كما ورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته كما في صاحب الدار مسؤل عن اهل بيته وحاشيته ولا تؤثر عدالة الشخص في غيره ما لم تؤثر اولا في نفسه اذ التأثير في البعيد قبل القريب بعيد وقوله تعالى أتامرون الناس

النار

النار ولا ابالي فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فاعطوه الميثاق طائفة طائعين وطائفة على وجه التقية

(ذكر الاحداث التي كانت في عهد ادم في الدنيا)

وكان أول ذلك قتل قابيل بن ادم أخاه هابيل وأهل العلم مختلفون في اسم قابيل فبعضهم يقول قين وبعضهم يقول قائين وبعضهم يقول قاين وبعضهم يقول قابيل واختلفوا أيضا في سبب قتله فقيل كان سببه أن آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت له فيها بقابيل بن آدم وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولم تجد عليهما طلقا حين ولدتهما ولم ترمعهما دما لطهر الجنة فلما أكلا من الشجرة وهبطا الى الارض فاطمأنا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق حين ولدتهما ورأت معهما الدم وكانت حواء فيما يذكرون لا تحمل الا توأما ذكرا وأنثى فولدت حواء لادم أربعين ولدا لصلبه من ذكر وأنثى في عشرين بطنا وكان الولد منهم أي أخواته شاء تزوج الا توأمته التي تولد معه فانها لا تحل له وذلك انه لم يكن يومئذ نساء الا أخواتهم وأمهم حواء فامر آدم ابنه قابيل ان ينكح توأمة هابيل وأمر هابيل ان ينكح توأمة أخيه قابيل وقيل بل كان آدم غائبا وكان لما أراد السير قال للسماء احفظي ولدي بالامانة فابت وقال للارض فابت وللجبال فابت وقال لقابيل فقال نعم تذهب وترجع وتجد ما يسرك فانطلق آدم فكان ما ذكره وفيه قال الله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ولما قال آدم لقابيل وهابيل في معنى نكاح أختيهما ما قال لهما اسلم هابيل لذلك ورضي به وأبى ذلك قابيل وكرهه تكرما عن أخت هابيل ورغب باخته عن هابيل وقال نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الارض فانا أحق باختي وقال بعض أهل العلم ان أخت قابيل كانت من أحسن الناس فضن بها على أخيه وأرادها لنفسه وانهما لم يكونا من ولادة الجنة انما كانا من ولادة الارض والله أعلم فقال له أبوه آدم يا بني انها لا تحل لك فابى أن يقبل ذلك من أبيه فقال له أبوه يا بني فقرب قربانا ويقرب اخوك هابيل قربانا فايكما قبل الله قربانه فهو أحق بها وكان قابيل على بذر الارض وهابيل على رعاية الماشية فقرب قابيل قمحا وقرب هابيل ابكارا من ابكار غنمه وقيل قرب بقرة فارسل الله نارا بيضاء فاكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل وبذلك كان يقبل القربان اذا قبله الله فلما قبل الله قربان هابيل وكان في ذلك القضاء له باخت قابيل غضب قابيل وغلب عليه الكبر واستحوذ عليه الشيطان وقال لاقتلنك حتى لا تنكح اختي قال هابيل انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك الى قوله فطوعت له نفسه قتل اخيه فاتبعه وهو في ماشيته

بالبر وتنسون انفسكم دليل على ذلك والانسان متصف بالخلافة لقوله تعالى ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ولا يصح لخلافة الله الا بطهارة النفس كما ان اشرف العبادات لا تصح الا بطهارة الجسم فما اقبح بالمرء ان يكون حسن جسمه باعتبار قبح نفسه كما قال حكيم لجاهل صبيح الوجه اما البيت فحسن واما ساكنه فقبيح وطهارة النفس شرط في صحة الخلافة وكمال العبادة ولا يصح نجس النفس لخلافة الله تعالى ولا يكمل لعبادته وعمارة ارضه الا من كان طاهر النفس قد ازيل رجسه ونجسه فللنفس نجاسة كما ان للبدن نجاسة فنجاسة البدن يمكن ادراكها بالبصر ونجاسة النفس لا تدرك الا بالبصيرة كما أشار له بقوله تعالى انما المشركون نجس فان الخلافة هي الطاعة والاقتدار على قدر طاقة الانسان في اكتساب الكمالات النفسية والاجتهاد بالاخلاص في العبودية والتخلق باخلاق الربوبية ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر الفعل * فكل اناء بالذي فيه ينضح * ولهذا قيل من طابت نفسه طاب عمله ومن خبثت نفسه خبث عمله وقيل في قوله عليه الصلاة والسلام لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب انه أشار بالبيت الى القلب وبالكلب الى النفس الامارة بالسوء أو الى الغضب والحرص والحسد وغيرها من الصفات الذميمة الراسخة في النفس ونبه بان نور الله لا يدخل القلب اذا كان فيه ذلك الكلب كما قيل ومن ربط الكلب العقور ببابه * فعقر جميع الناس من رابط الكلب * والى الطهارتين أشار بقوله تعالى وثيابك فطهر والرجز فاهجر واما الذي تطهر به

وقتله فهما اللذان قص الله خبرهما في القرآن فقال واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر الى آخر القصة قال فلما قتله سقط في يده ولم يدر كيف يواريه وذلك أنه كان فيما يزعمون اول قتيل من بني آدم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يوارى سوأة اخيه قال ياويلتي أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة أخي فاصبح من النادمين الى قوله لمسرفون فلما قتل اخاه قال الله تعالى يا قابيل اين اخوك هابيل قال لا ادرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان صوت دم اخيك يناديني من الارض الآن انت ملعون من الارض التي فتحت فاها فبلعت دم اخيك فاذا انت عملت في الارض فانها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فزعا تائها في الارض فقال قابيل عظمت خطيئتي ان لم تغفرها قيل كان قتله عند عقبة حراء ثم نزل من الجبل آخذا بيد أخته وهرب بها الى عدن من اليمن قال ابن عباس لما قتل اخاه اخذ بيد أخته ثم هبط بها من جبل نود الى الحضيض فقال له آدم اذهب فلا تزال مرعوبا لا تأمن من تراه فكان لا يمر به احد من ولده الا رماه فاقبل ابن لقابيل اعمى ومعه ابن له فقال للاعمى ابنه هذا ابوك قابيل فارمه فرمى الاعمى اباه قابيل فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت اباك فرفع الاعمى يده فلطم ابنه فمات فقال ياويلتي قتلت ابي برميتي وابني بلطمتي ولما قتل هابيل كان عمره عشرين سنة وكان لقابيل يوم قتله خمس وعشرون سنة وقال الحسن كان الرجلان اللذان ذكرهما الله تعالى في القرآن بقوله واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق من بني اسرائيل ولم يكونا من بني آدم لصلبه وكان آدم اول من مات وقال ابو جعفر الصحيح عندنا انهما ابنا آدم لصلبه للحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل منها وذلك لانه اول من سن القتل فبان بهذا انهما لصلب آدم فان القتل ما زال بين بني آدم قبل بني اسرائيل وفي هذا الحديث انه اول من سن القتل ومن الدليل على انه مات من ذرية آدم قبله ما ورد في تفسير قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما عن ابن عباس وابن جبير والسدى وغيرهم قالوا كانت حواء تلد لآدم فتعبدهم اي تسميهم عبد الله وعبد الرحمن ونحو ذلك فيصيبهم الموت فاتاها ابليس فقال لو سميتما بغير هذه الاسماء لعاش ولد كما فولدت ولدا فسمته عبد الحرث وهو اسم ابليس فنزلت هو الذي خلقكم من نفس واحدة الآيات وقد روى هذا المعنى مرفوعا (قلت) انما كان الله تعالى يميت اولادهم اولا واحيا هذا المسمى بعبد الحرث امتحانا واختبارا وان كان الله تعالى يعلم الاشياء بغير امتحان لكن علما لا يتعلق به الثواب والعقاب ومن الدليل على ان القاتل والمقتول ابنا آدم لصلبه ما رواه العلماء عن علي بن أبي طالب ان آدم قال لما قتل هابيل

النفس حتى تصلح للخلافة وتستحق به ثوابه فهو العلم والعبادة الموظفة اللذان هما سبب الحياة *(توضيح)* اعلم ان الانسان من حيث الصورة التخطيطية كصورة في جدار وانما فضيلته بالنطق والعلم ولهذا قيل ما الانسان لولا اللسان الا بهيمة مهملة او صورة ممثلة فبقوة العلم والنطق والفهم يضارع الملك وبقوة الاكل والشرب والشهوة والنكاح والغضب يشبه الحيوان فمن صرف همته كلها الى تربية القوة الفكرية بالعلم والعمل فقد لحق بافق الملك فيسمى ملكا وربانيا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته كلها الى تربية القوة الشهوانية باتباع اللذات البدنية يأكل كما تاكل الانعام فخليق أن يلحق بالبهائم اما غمرا كثور أو شرها كخنزير أو عقورا ككلب أو حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا حيلة ومكر كثعلب أو يجمع ذلك كله فيصير كشيطان مريد والى ذلك الاشارة بقوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت وقد يكون كثير من الناس من صورته صورة انسان وليس هو في الحقيقة الا كبعض الحيوان قال الله تعالى ان هم الا كالانعام بل هم أضل

(شعر)

مثل البهائم جهلا جل خالقهم
لهم تصاوير لم يقرن بهن حجا

(وصل) من نصائح الرشاد لمصالح العباد اعلم ان سبب هلاك الملوك اطراح ذوى الفضائل واصطناع ذوى الرذائل والاستخفاف بعظة الناصح والاغترار بتزكية المادح من نظر في العواقب سلم من النوائب وزوال الدول باصطناع السفل ومن استغنى بعقله

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

فى ابيات غيرها وقد زعم اكثر علماء الفرس ان جيومرث هو آدم وزعم بعضهم انه ابن آدم لصلبه من حواء وقالوا فيه اقوالا كثيرة يطول بذكرها الكتاب اذ كان قصدنا ذكر الملوك وايامهم ولم يكن ذكر الاختلاف فى نسب ملك من جنس ما انشأناله الكتاب فان ذكرنا من ذلك شيئا فلتعريف من ذكرنا ليعرفه من لم يكن عارفا به وقد خالف علماء الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم انه غير آدم ووافق علماء الفرس على اسمه وخالفهم فى عينه وصفته فزعم ان جيومرث الذى زعمت الفرس انه آدم اسمه وحام بن يافث بن نوح وانه كان معمرا سيدا نزل جبل دنباوند من جبال طبرستان من ارض المشرق وتملك بها وبفارس وعظم امره وامر ولده حتى ملكوا بابل وملكوا فى بعض الاوقات الاقاليم كلها وابتنى جيومرث المدن والحصون واعد السلاح واتخذ الخيل وتجبر فى آخر امره وتسمى بآدم وقال من سمانى بغيره قتلته وتزوج ثلاثين امرأة فكثر منهن نسله وأن مارى ابنه وماريانة اخته ممن كانا ولدا فى آخر عمره فاعجب بهما وقدمهما فصار الملوك من نسلهما قال ابو جعفر وانما ذكرت من امر جيومرث فى هذا الموضع ما ذكرت لانه لا تدافع بين علماء الامم انه ابو الفرس من العجم وانما اختلفوا فيه هل هو آدم ابو البشر ام غيره على ما ذكرناه ومع ذلك فلأن ملكه وملك أولاده لم يزل منتظما على سياق متصل بارض المشرق وجبالها الى ان قتل يزدجرد بن شهريار بمرو ايام عثمان بن عفان والتاريخ على اسماء ملوكهم اسهل بيانا واقرب الى التحقيق منه على اعمار ملوك غيرهم من الامم اذ لا يعلم أمة من الامم الذين ينتسبون الى آدم دامت لهم المملكة واتصل الملك لملوكهم يأخذه آخرهم عن اولهم وغابرهم عن سالفهم سواهم وأنا ذاكر ما انتهى الينا من القول فى عمر آدم وأعمار من بعده من ولده من الملوك والانبياء وجيومرث ابى الفرس فأذكر ما اختلفوا فيه من امرهم الى الحال التى اجتمعوا عليها واتفقوا على ملك منهم فى زمان بعينه أنه هو الملك فى ذلك الزمان ان شاء الله وكان آدم مع ما اعطاه الله تعالى من ملك الارض نبيا رسولا الى ولده وانزل الله عليه احدى وعشرين صحيفة كتبها آدم بيده علمه اياها جبريل * روى أبو ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا قال قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا يعنى كثيرا طيبا قال قلت من اولهم قال آدم قال قلت يا رسول الله وهو نبى مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه رجلا وكان ممن أنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم فى احدى وعشرين ورقة

(ذكر ولادة شيث)

مثل ومن اكتفى برأيه زل ومن استشار ذوى الالباب سلك سبيل الصواب ومن استعان بذوى العقول فاز بدرك المأمول من عدل فى سلطانه استغنى عن أعوانه عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان الملك يبقى على الكفر والعدل ولا يبقى على الجور والايمان ويقال حق على من ملكه الله على عباده وحكمه فى بلاده أن يكون لنفسه مالكا وللهوى تاركا وللغيظ كاظما وللظلم هاضما وللعدل فى حالتى الرضا والغضب مظهرا وللحق فى السر والعلانية مؤثرا واذا كان كذلك ألزم النفوس طاعته والقلوب محبته وأشرق بنور عدله زمانه وكثر على عدوه أنصاره واعوانه ولقد صدق من قال

يا أيها الملك الذى
بصلاحه صلح الجميع
أنت الزمان فان عدل
ت فكله أبدا ربيع

(وقال) عمرو بن العاص ملك عادل خير من مطر وابل من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه (موعظة) كل محنة الى زوال وكل نعمة الى انتقال (شعر)

رأيت الدهر مختلفا يدور
فلا حزن يدوم ولا سرور
وشيدت الملوك به قصورا
فما بقى الملوك ولا القصور

(وقال المأمون)

يبقى الثناء وتنفد الاموال
ولكل وقت دولة ورجال

من كبرت همته كثرت قيمته لا تثق بالدولة فانها ظل زائل ولا تعتمد على النعمة فانها ضيف راحل فان الدنيا لا تصفو لشارب ولا تبقى لصاحب (كتب) عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصرى أن عظنى فكتب اليه ان الذى

ومن الاحداث فى أيامه ولادة شيث وكانت ولادته بعد مضى مائة وعشرين سنة لآدم وبعد قتل هابيل بخمس سنين وقيل ولد فردا بغير توأم وتفسير شيث هبة الله ومعناه انه خلف من هابيل وهو وصى آدم وقال ابن عباس كان معه توأم ولما حضرت آدم الوفاة عهد الى شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعبادة الخلوة فى كل ساعة منها وأعلمه بالطوفان وصارت الرياسة بعد آدم اليه وأنزل الله عليه خمسين صحيفة واليه انساب بنى آدم كلهم اليوم وأما الفرس الذين قالوا ان جيومرث هو آدم فانهم قالوا ولد لجيومرث ابنه ميشان أخت ميشى وتزوج ميشى اخته ميشان فولدت له سيامك وسيامى فولد لسيامك ابن جيومرث افروال ودقس وبواسب واجرب وأوراش وأمهم جميعا سيامى ابنة ميشى وهى أخت أبيهم وذكروا ان الارض كلها سبعة أقاليم فارض بابل وما يوصل اليه مما يأتيه الناس برا وبحرا فهو من اقليم واحد وسكانه ولد افروال بن سيامك واعقابهم فولد لافروال بن سيامك من افرى ابنة سيامك أوشهنج بيشداد الملك وهو الذى خلف جده جيومرث فى الملك وهو أول من جمع ملك الاقاليم السبعة وسنذكر اخباره وكان بعضهم يزعم ان أوشهنج هذا هو ابن آدم لصلبه من حواء وأما ابن الكلبى فانه زعم أن أول من ملك الارض أوشهنق ابن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح قال والفرس تزعم انه كان بعد آدم بمائتى سنة وانما كان بعد نوح بمائتى سنة ولم تعرف الفرس ما كان قبل نوح والذى ذكره هشام بن الكلبى لا وجه له لان أوشهنج مشهور عند الفرس وكل قوم أعلم بانسابهم وآبائهم من غيرهم قال وقد زعم بعض نسابة الفرس ان أوشهنج هذا هو مهلائيل وان أباه افروال هو قينان وان سيامك هو أنوش أبو قينان وان ميشى هو شيث أبو أنوش وان جيومرث هو آدم فان كان الامر كما زعم فلا شك ان أوشهنج كان فى زمن آدم رجلا وذلك لان مهلائيل فيما ذكر فى الكتب الاولى كانت ولادة أمه دينة ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم وأتاه بعد ما مضى من عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة وقد كان له حين وفاة آدم ستمائة سنة وخمس وستون سنة على حساب أن عمر آدم كان ألف سنة وقد زعمت الفرس ان ملك أوشهنج كان أربعين سنة فان كان الامر على ما ذكره النسابة الذى ذكرت عنه ما ذكرت فلا يبعد من قال ان ملكه كان بعد وفاة آدم بمائتى سنة

(ذكر وفاة آدم عليه السلام)

ذكر ان آدم مرض احد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وأمره ان يخفى علمه عن قابيل وولده لانه قتل هابيل حسدا منه له حين خصه آدم بالعلم فاخفى شيث وولده ما عندهم من العلم ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به وقد روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى لآدم حين خلقه ائت اولئك النفر من الملائكة فقل السلام عليكم فاتاهم فسلم عليهم وقالوا له عليك السلام ورحمة الله ثم رجع الى ربه فقال له

يعجبك لا ينصحك والذى ينصحك لا يعجبك (وسال) معاوية الاحنف بن قيس وقال له كيف الزمان فقال أنت الزمان ان صلحت صلح الزمان وان فسدت فسد الزمان آفة الملوك سوء السيرة وآفة الوزراء خبث السريرة وآفة الجند مخالفة القادة وآفة الرعية مخالفة السادة وآفة الرؤساء ضعف السياسة وآفة العلماء حب الرياسة وآفة القضاة شدة الطمع وآفة العدول قلة الورع وآفة القوى استضعاف الخصم وآفة الجرىء اضاعة الحزم وآفة المنعم قبح المن وآفة المذنب حسن الظن والخلافة لا يصلحها الا التقوى والرعية لا يصلحها الا العدل فمن جارت قضيته ضاعت رعيته ومن ضعفت سياسته بطلت رياسته ويقال شيآن اذا صلح أحدهما صلح الآخر السلطان والرعية *ومن كلام بعض البلغاء خير الملوك من كفى وكف وعفا وعف وقال الشاعر فى بعض ولاة بنى مروان

إذا ما قضيتم ليلكم عند نامكم
وأفنيتموا أيامكم بمدام
فمن ذا الذى يغشاكم فى ملمة
ومن ذا الذى يلقاكم بسلام
رضيتم من الدنيا بايسر بلغة
بلثم غلام أو بشرب مدام
ألم تعلموا ان اللسان موكل
بمدح كرام أو بذم لئام

(قال) وهب بن منبه اذا هم الوالى بالجور أو عمل به أدخل الله النقص فى أهل مملكته حتى فى التجارات والزراعات وفى كل شئ واذا هم بالخير أو عمل به أدخل الله البركة على أهل مملكته حتى فى التجارات والزراعات وفى كل شئ ويعم البلاد والعباد وانقبض عنان العبارات النقلية فى أرض

هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم ثم قبض له يديه فقال له خذ واختر فقال اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين ففتحها له فاذا فيها صورة آدم وذريته كلهم واذا كل رجل منهم مكتوب عنده أجله واذا آدم قد كتب له عمر ألف سنة واذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم النور فقال هؤلاء الانبياء والرسل الذين أرسلهم الى عبادي واذا فيهم رجل هو من اضوئهم نورا ولم يكتب له من العمر الا أربعين سنة فقال آدم يارب هذا من اضوئهم نورا ولم تكتب له الا اربعين سنة بعد ان اعلمه انه داود عليه السلام فقال ذلك ما كتبت له فقال يارب انقص له من عمري ستين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اهبط الى الارض بعد ايامه فلما أتاه ملك الموت لقبضه قال له آدم عجلت ياملك الموت قد بقي من عمري ستون سنة فقال له ملك الموت مابقي شئ سألت ربك ان يكتبه لابنك داود فقال ما فعلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم فنسي آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فحينئذ وضع الله الكتاب وامر بالشهود وروى عن ابن عباس قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول من جحد آدم ثلاث مرار وان الله لما خلقه مسح ظهره فاخرج منه ما هو ذارئ الى يوم القيامة فجعل يعرضهم على آدم فرأى منهم رجلا يزهر قال أي رب أي بني هذا قال ابنك داود فقال كم عمره قال ستون سنة قال زده من العمر قال الله تعالى لا الا ان تزيده انت وكان عمر آدم ألف سنة فوهب له أربعين سنة فكتب عليه بذلك كتابا واشهد عليه الملائكة فلما احتضر آدم اتته الملائكة لتقبض روحه فقال قد بقي من عمري أربعون سنة قالوا انك قد وهبتها لابنك داود فقال ما فعلت ولا وهبت له شيئا فانزل الله عليه الكتاب واقام الملائكة شهودا فاكمل لآدم ألف سنة واكمل لداود مائة سنة وروى مثل هذا عن جماعة منهم سعيد ابن جبير وقال ابن عباس كان عمر آدم تسعمائة سنة وستا وثلاثين سنة وأهل التوراة يزعمون ان عمر آدم تسعمائة سنة وثلاثون سنة والاخبار عن رسول الله والعلماء ماذكرنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق وعلى رواية أبي هريرة التي فيها ان آدم وهب داود من عمره ستين سنة لم يكن كثير اختلاف بين الحديثين وما في التوراة من ان عمره كان تسعمائة وثلاثين سنة ولعل الله ذكر عمره في التوراة سوى ماوهبه لداود قال ابن اسحق عن يحيى بن عباد عن أبيه قال بلغني ان آدم حين مات بعث الله بكفنه وحنوطه من الجنة ثم وليت الملائكة قبره ودفنه حتى غيبوه وروى أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم حين حضرته الوفاة بعث الله اليه بحنوطه وكفنه من الجنة فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم فقال خلي عني وعن رسل ربي فما لقيت ما لقيت الا منك ولا أصابني ما أصابني الا فيك فلما قبض غسلوه بالسدر والماء وترا وكفنوه في وتر من الثياب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس لما مات آدم قال شيث لجبرائيل صل عليه فقال تقدم أنت فصل

الاشارات العقلية المقتطفة من نظم السلوك في مسامرة الملوك وغرر الخصائص ودرر النقائص وهو باب واسع كثير المنافع وملاك الامر في ذلك حسن القابلية وأن تكون مرآة القلب غير صدئة كما قيل

اذا كان الطباع طباع سوء
فليس بنافع أدب الاديب

(وقيل) ان الاخلاق وان كانت غريزية فانه يمكن تطبيعها بالرياضة والتدريب والعادة والفرق بين الطبع والتطبيع ان الطبع جاذب مفتعل والتطبيع مجذوب منفعل تتفق نتائجهما مع التكلف ويفترق تأثيرهما مع الاسترسال وقد يكون في الناس من لا يقبل طبعه العادة الحسنة ولا الاخلاق الجميلة ونفسه مع ذلك تتشوق الى المنقبة وتأنف من المثلبة لكن سلطان طبعه يأبى عليه ويستعصي عن تكليف ماندب اليه يختار العطل منها على التحلي ويستبدل الحزن على فواتها بالتسلي فلا ينفعه التأديب ولا يردعه التاديب وسبب ذلك ما قرره المتكلمون في الاخلاق من ان الطبع المطبوع أملك للنفس التي هي محله لاستيطانه اياها وكثرة اعانته لها والادب طارئ على المحل غريب منه قال الشاعر

ومن يبتدع ماليس من خيم نفسه
يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وأما الذي يجمع الفضائل والرذائل فهو الذي تكون نفسه الناطقة متوسطة الحال بين اللؤم والكرم وقد تكتسب الاخلاق من معاشرة الاخلاء اما بالصلاح أو بالفساد فرب طبع كريم أفسدته معاشرة الاشرار وطبع لئيم أصلحته مصاحبة الاخيار وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المرء على دين خليله فلينظر أحدكم

على أبيك فكبر عليه ثلاثين تكبيرة فاما خمس فهي الصلاة وأما خمس وعشرون تفضيلا لآدم وقيل دفن في غار في جبل أبي قبيس يقال له غار الكنز وقال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكانت وفاته يوم الجمعة كما تقدم وذكر ان حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع زوجها في الغار الذي ذكرت الى وقت الطوفان واستخرجهما نوح وجعلهما في تابوت ثم حملهما معه في السفينة فلما غاضت الارض بالماء ردهما الى مكانهما الذي كانا فيه قبل الطوفان قال وكانت حواء فيما ذكر قد غزلت ونسجت وعجنت وخبزت وعملت أعمال النساء كلها واذ قد فرغنا من ذكر آدم وعدوه ابليس وذكر أخبارهما وما صنع الله بعدوه ابليس حين تجبر وتكبر من تعجيل العقوبة وطغى وبغى من الطرد والابعاد والنظرة الى يوم الدين وما صنع بآدم اذ أخطا ونسي من تعجيل العقوبة له ثم تغمده الله بالرحمة اذ تاب من زلته فأرجع الى ذكر قابيل وشيث ابني آدم وأولادهما ان شاء الله

(ذكر شيث بن آدم عليهما السلام)

فقد ذكرنا بعض أمره وانه كان وصي آدم في مخلفيه بعد مضيه لسبيله وما أنزل الله عليه من الصحف وقيل انه لم يزل مقيما بمكة يحج ويعتمر الى ان مات وانه كان جمع ما أنزل عليه وعلى أبيه آدم من الصحف وعمل بما فيها وانه بنى الكعبة بالحجارة والطين وأما السلف من علمائنا فانهم قالوا لم تزل القبة التي جعل الله لآدم مكان البيت الى أيام الطوفان فرفعها الله حين أرسل الطوفان وقيل ان شيثا لما مرض أوصى الى ابنه أنوش ومات فدفن مع أبويه بغار أبي قبيس وكان مولده لمضي مائتي سنة وخمس وثلاثين سنة من عمر آدم وقيل غير ذلك وقد تقدم وكانت وفاته وقد أتت عليه تسعمائة سنة واثنتا عشرة سنة وقام أنوش بن شيث بعد موت أبيه بسياسة الملك وتدبير من تحت يديه من رعيته مقام أبيه لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل فكان جميع عمر أنوش سبعمائة وخمس سنين وكان مولده بعد ان مضى من عمر أبيه شيث ستمائة سنة وخمس سنين وهذا قول أهل التوراة وقال ابن عباس ولد لشيث أنوش وولد معه نفرا كثيرا واليه أوصى شيث ثم ولد لانوش بن شيث ابنه قينان من أخته نعمة بنت شيث بعد مضي تسعين سنة من عمر أنوش وولد معه نفرا كثيرا واليه الوصية وولد لقينان مهلائيل ونفرا كثيرا معه واليه الوصية وولد لمهلائيل يرد وهو اليارد ونفر معه واليه الوصية فولد يرد حنوخ وهو ادريس النبي ونفرا معه واليه الوصية وولد حنوخ متوشلخ ونفرا معه واليه الوصية واما التوراة ففيها ان مهلائيل ولد بعد ان مضى من عمر آدم عليه السلام ثلثمائة وخمس وتسعون سنة ومن عمر قينان سبعون وولد يرد لمهلائيل بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة فكان على مناهج أبيه غير ان الاحداث بدأت في زمانه

من خالل وقال علي رضي الله عنه لولده الحسن الاخ رقعة في ثوبك فانظر بمن ترقعه وقال بعض الحكماء في وصيته لولده يا بني احذر مقارنة ذوي الطباع المرذولة لئلا تسرق طباعك من طباعهم وأنت لا تشعر وأنشده

واصحب الاخيار وارغب فيهم ... رب من صاحبته مثل الجرب

وأما اذا كان الخليل كريم الاخلاق شريف الاعراق حسن السيرة طاهر السريرة فبه في محاسن الشيم يقتدى وبنجم رشده في طريق المكارم يهتدى واذا كان سيئ الاعمال خبيث الاقوال كان المغتبط به كذلك ومع هذا فواجب على العاقل اللبيب والفطن الاريب ان يجهد نفسه حتى يحوز الكمال بتهذيب خلائقه ويكتسي حلل الجمال بدماثة شمائله وجميل طرائقه وقال عمرو بن العاص المرء حيث يجعل نفسه ان رفعها ارتفعت وان وضعها اتضعت وقال بعض الحكماء النفس عروف عزوف ونفور ألوف متى ردعتها ارتدعت ومتى حملتها احتملت وان أصلحتها صلحت وان أفسدتها فسدت وقال الشاعر

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ... فان أطعمت تاقت والا تسلت

(وقالوا) من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه والمنهج القويم الموصل الى النفس الجميل ان يستعمل الانسان فكره وتمييزه فيما ينتج عن الاخلاق المحمودة والمذمومة منه ومن غيره فيأخذ نفسه بما استحسن منها واستملح ويصرفها عما استهجن منها واستقبح (فقد) قيل كفاك تأديبا تركك ما كرهه الناس من غيرك وقال الشاعر

*(ذكر

* كفى أدبا لنفسك ما ترى

(ذكر الاحداث التي كانت من لدن ملك شيث الى ان ملك يرد)

ذكر ان قابيل لما قتل هابيل وهرب من أبيه آدم الى اليمن أتاه ابليس فقال له ان هابيل انما قبل قربانه وأكلته النار لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت أيضا نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها وقال ابن اسحق ان قينا وهو قابيل نكح أخته اشوث بنت آدم فولدت له رجلا وامرأة حنوخ بن قين وعذب بنت قين فنكح حنوخ أخته عذب فولدت ثلاثة بنين وامرأة عيرد ومحويل وأنوشيل وموليث ابنة حنوخ فنكح أنوشيل بن حنوخ أخته موليث وولدت له رجلا اسمه لامك فنكح لامك امرأتين اسم احديهما عدى والاخرى صلى فولدت عدى بواس ابن لامك وكان أول من سكن القباب واقتنى المال وتوبلين وكان أول من ضرب بالونج والصنج وولدت رجلا اسمه توبلقين وكان أول من عمل النحاس والحديد وكان أولادهم فراعنة وجبابرة وكانوا قد أعطوا بسطة في الخلق قال ثم انقرض ولد قين ولم يتركوا عقبا الا قليلا وذرية آدم كلها جهلت أنسابهم وانقطع نسلهم الا ما كان من شيث فمنه كان النسل وأنساب الناس اليوم كلهم اليه دون أولاد أبيه آدم ولم يذكر ابن اسحق من أمر قابيل وولده الا ما حكيت وقال غيره من أهل التوراة ان أول من اتخذ الملاهي من ولد قابيل رجل يقال له توبال بن قابيل اتخذها في زمان مهلائيل بن قينان اتخذ المزامير والطنابير والطبول والعيدان والمعازف فانهمك ولد قابيل في اللهو وتناهى خبرهم الى من بالجبل من ولد شيث فهم منهم مائة رجل بالنزول اليهم وبمخالفة ما أوصاهم به آباؤهم وبلغ ذلك يارد فوعظهم ونهاهم فلم يقبلوا ونزلوا الى ولد قابيل فأعجبوا بما رأوا منهم فلما أرادوا الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقت من آبائهم فلما أبطؤا ظن من بالجبل ممن كان في نفسه زيغ انهم أقاموا اغتباطا فتسللوا ينزلون من الجبل ورأوا اللهو فأعجبهم ووافقوا نساء من ولد قابيل متشرعات اليهم وصرن معهم وانهمكوا في الطغيان وفشت الفحشاء وشرب الخمر فيهم وهذا القول غير بعيد من الحق وذلك انه قد روي عن جماعة من سلف علماء المسلمين نحو منه وان لم يكونوا بينوا زمان من حدث ذلك في ملكه الا انهم ذكروا ان ذلك كان فيما بين آدم ونوح منهم ابن عباس أو مثله ومثله روى الحكم بن عتيبة عن أبيه مع اختلاف قريب من القولين والله أعلم وأما نسابو الفرس فقد ذكرت ما قالوا في مهلائيل بن قينان وانه هو أوشهنج الذي ملك الاقاليم السبعة وبينت قول من خالفهم وقال هاشم بن الكلبي انه أول من بنى البناء واستخرج المعادن وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد وبنى مدينتين كانتا أول ما بني على ظهر الارض من المدائن وهما مدينة بابل وهي بالعراق ومدينة السوس بخورستان وكان ملكه أربعين سنة وقال غيره هو أول من استنبط الحديد وعمل منه الادوات للصناعات وقدر المياه في مواضع المنافع وحض الناس على الزراعة واعتماد

لغيرك شاتنا بين الانام * وقال أيضا * اذا أعجبتك خلال امرئ * فكنه تكن مثل من يعجبك * فليس على المجد والمكرمات اذا جئتها حاجب يحجبك * وقالوا من نظر في عيوب الناس فانكرها ثم رضيها لنفسه فذلك هو الاحمق بعينه قال الشاعر

لا تلم المرء على فعله
وأنت منسوب الى مثله
من ذم شيأ وأتى مثله
فانما دل على جهله

اللهم بحرمة سيد الانام يسر لنا حسن الختام واصرف عنا سوء القضاء وانظر لنا بعين الرضاء وهذا أوان انشقاق كمائم طلع الشماريخ عن زهر مجمل التاريخ (فنقول) أول خليفة جعل في الارض آدم عليه الصلاة والسلام بمصداق قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة ثم توالت الرسل بعده لكنهم لم تكن عامة الرسالة بل كل رسول أرسل الى فرقة فهؤلاء الرسل عليهم السلام مقررون شرائع الله بين عباده وملزموهم بتوحيده وامتثال أوامره ونواهيه ليترتب على ذلك انتظام أمور معاشهم في الدنيا وفوزهم بالنعيم السرمدي اذا امتثلوا في الاخرى الى أن جاء ختامهم الرسول الاكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأمره بالصدع والاعلان والتطهير من عبادة الاوثان وآمن به من آمن من الصحابة رضوان الله عليهم وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ولم يزل هذا الدين القويم من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم يزيد وينمو ويتعالى ويسمو حتى تم ميقاته وقربت من النبي

الاعمال وأمر بقتل السباع الضارية واتخاذ الملابس من جلودها والمفارش وبذبح البقر والغنم والوحش وأكل لحومها وانه بنى مدينة الري قالوا وهي أول مدينة بنيت بعد مدينة جيومرث التي كان يسكنها بدنباوند وقالوا انه أول من وضع الاحكام والحدود وكان ملقبا بذلك يدعى بيشداد ومعناه بالفارسية أول من حكم بالعدل وذلك ان بيش معناه أول وداد معناه عدل وقضاء وهو أول من استخدم الجواري وأول من قطع الشجر وجعله في البناء وذكروا انه نزل الهند وتنقل في البلاد وعقد على رأسه تاجا وذكروا انه قهر ابليس وجنوده ومنعهم الاختلاط بالناس وتوعدهم على ذلك وقتل مردتهم فهربوا من خوفه الى المفاوز والجبال فلما مات عادوا وقيل انه سمى شرار الناس شياطين واستخدمهم وملك الاقاليم كلها وانه كان بين مولد أوشهنج وموت جيومرث مائتا سنة وثلاث وعشرون سنة (عتيبة بالعين وبعدها تاء فوقها نقطتان وياء تحتها نقطتان وباء موحدة)

(ذكر يرد)

وقيل يارد بن مهلائيل أمه خالته سمعن ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم ولد بعدما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة وفي أيامه عملت الاصنام وعاد من عاد عن الاسلام ثم نكح يرد في قول ابن اسحق وهو ابن مائة واثنتين وستين سنة بركنا ابنة الدرمسيل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم فولدت له حنوخ وهو ادريس النبي فكان أول بني آدم أعطي النبوة وخط بالقلم وأول من نظر في علوم النجوم والحساب وحكماء اليونانيين يسمونه هرمس الحكيم وهو عظيم عندهم فعاش يرد بعد مولد ادريس ثمانمائة سنة وولد له بنون وبنات فكان عمره تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة وقيل أنزل على ادريس ثلاثون صحيفة وهو أول من جاهد في سبيل الله وقطع الثياب وخاطها وأول من سبى من ولد قابيل بن آدم فاسترق منهم وكان وصي والده يرد فيما كان آباؤه وصوا اليه وفيما أوصى بعضهم بعضا وتوفي آدم بعد ان مضى من عمر ادريس ثلثمائة وثمان سنين ودعا ادريس قومه ووعظهم وأمرهم بطاعة الله تعالى ومعصية الشيطان وان لا يلابسوا ولد قابيل فلم يقبلوا منه وقال في التوراة ان الله رفع ادريس بعد ثلثمائة سنة وخمس وستين سنة من عمره وبعد ان مضى من عمر أبيه ثمانمائة سنة وسبع وعشرون سنة فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمسا وثلاثين سنة تمام تسعمائة واثنتين وستين سنة قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أباذر من الرسل أربعة ٣ سريانيون آدم وشيث وحنوخ وهو أول من خط بالقلم وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وقيل ان الله أرسله الى جميع أهل الارض في زمانه وجمع له علم الماضين وزاده ثلاثين صحيفة وقال بعضهم ملك بيوراسب في عهد ادريس وكان قد وقع اليه من كلام آدم فاتخذه سحرا وكان بيوراسب يعمل به (يارد بياء معجمة

وفاته وأنزل الله عليه اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا * ولما قبض صلى الله عليه وسلم قام بالامر بعده أبو بكر الصديق ٢٦ رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه ثم عثمان رضي الله عنه ثم علي كرم الله وجهه ولم تصف له الخلافة بمغالبة معاوية رضوان الله عليهم أجمعين في الامر وبموت علي رضي الله عنه ٣ تمت مدة الخلافة التي نص عليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا وبخلافة معاوية كان ابتداء دولة الامويين وانقرضت بظهور أبي مسلم الخراساني واظهاره دولة بني العباس فكان أولهم السفاح وظهرت دولتهم الظهور التام وبلغت القوة الزائدة والضخامة العظيمة ثم أخذت في الانحطاط بتغلب الاتراك والديلم ولم تزل منحطة وليس للخلفاء في آخر الامر الا الاسم فقط حتى ظهرت فتنة التاتار التي أبادت العالم وخرج هولاكوخان وملك بغداد وقتل الخليفة المعتصم وهو آخر خلفاء بني العباس ببغداد * وفي خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه افتتحت الديار المصرية والبلاد الشامية على يد عمرو بن العاص ولم تزل في النيابة ايام الخلفاء الراشدين ودولة بني امية وبني العباس الى ان ضعفت الخلافة العباسية بعد قتل المتوكل بن المعتصم بن الرشيد سنة سبع وأربعين ومائتين وتغلب على النواحي كل متملك لها فانفرد احمد بن

(٣ قوله تمت مدة الخلافة الخ المذكور في كتب التواريخ أن الثلاثون سنة تمت بخلافة سيدنا الحسن ومدتها ستة أشهر اه)

معجمة باثنتين من تحتها وراء مهملة ودال مهملة وحنوخ بحاء مهملة مفتوحة ونون بعدها واو وخاء معجمة وقيل بخائين معجمتين)

(ذكر ملك طهمورث)

زعمت الفرس انه ملك بعد موت أوشهنج طهمورث بن ويونجهان يعني خير أهل الارض ابن حبايداد بن أوشهنج وقيل في نسبه غير ذلك وزعم الفرس أيضا انه ملك الاقاليم السبعة وعقد على رأسه تاجا وكان محمودا في ملكه مشفقا على رعيته وانه ابتنى سابور من فارس ونزلها وتنقل في البلدان وانه وثب بابليس حتى ركبه فطاف عليه في أداني الارض واقاصيها وافزعه ومردته حتى تفرقوا وكان أول من اتخذ الصوف والشعر للبس والفرش وأول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وغيرها وأخذ الجوارح للصيد وكتب بالفارسية وان بيوراسب ظهر في أول سنة من ملكه ودعا الى ملة الصابئين كذا قال أبو جعفر وغيره من العلماء انه ركب ابليس وطاف عليه والعهدة عليهم وانما نحن نقلنا ما قالوه قال ابن الكلبي أول ملوك الارض من بابل طهمورث وكان لله مطيعا وكان ملكه أربعين سنة وهو أول من كتب بالفارسية وفي أيامه عبدت الاصنام وأول ما عرف الصوم في ملكه وسببه ان قوما فقراء تعذر عليهم القوت فامسكوا نهارا وأكلوا ليلا ما يمسك رمقهم ثم اعتقدوه تقربا الى الله وجاءت الشرائع به

(ذكر حنوخ وهو ادريس عليه السلام)

ثم نكح حنوخ بن يرد هدانة ويقال اذانة ابنة باويل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم وهو ابن خمس وستين سنة فولدت له متوشلخ بن حنوخ فعاش بعد ما ولد متوشلخ ثلثمائة سنة ثم رفع واستخلفه حنوخ على أمر ولده وأمر الله وأوصاه وأهل بيته قبل أن يرفع واعلمهم ان الله سوف يعذب ولد قابيل ومن خالطهم ونهاهم عن مخالطتهم وانه كان أول من ركب الخيل لانه سلك رسم أبيه حنوخ في الجهاد ثم نكح متوشلخ عربا ابنة عزازيل بن أنوشيل بن حنوخ بن قين وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة فولدت له لمك بن متوشلخ فعاش بعد ما ولد له لمك سبعمائة سنة وولد له بنون وبنات فكان كل ما عاش متوشلخ تسعمائة سنة وسبعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى الى ابنه لمك فكان لمك يعظ قومه وينهاهم عن مخالطة ولد قابيل فلم يقبلوا حتى نزل اليهم جميع من كان معهم في الجبل وقيل كان لمتوشلخ ابن آخر غير لمك يقال له صابي وبه سمي الصابئون (قلت محويل بحاء مهملة وياء معجمة باثنتين من تحت وقين بقاف وياء معجمة باثنتين من تحت ومتوشلخ بفتح الميم وبالتاء المعجمة باثنتين من فوق وبالشين المعجمة وبحاء مهملة وقيل خاء معجمة) ونكح لمك بن متوشلخ قينوش ابنة براكيل

طولون بمملكة مصر والشام وكذلك اولاده من بعده ثم دولة الاخشيد وبعده كافور ابو المسك ممدوح المتنبي ولما مات قدم جوهر القائد من قبل المعز الفاطمي من المغرب فملكها من غير ممانع واسس القاهرة وذلك في سنة احدى وستين وثلثمائة وقدم المعز الى مصر بجنوده وامواله ومعه رمم آبائه واجداده محمولة في توابيت وسكن بالقصرين وادعى الخلافة لنفسه دون العباسيين واول ظهور امرهم في سنة سبعين ومائتين فظهر عبد الله ابن عبيد الملقب بالمهدي وهو جد بني عبيد الخلفاء المصريين العبيديين الروافض باليمن واقام على ذلك الى سنة ثمان وسبعين فحج تلك السنة واجتمع بقبيلة من كنانة فاعجبهم حاله فصحبهم الى مصر ورأى منهم طاعة وقوة فصحبهم الى المغرب فنما شأنه وشأن اولاده من بعده الى ان حضر المعز لدين الله أبو تميم معد بن اسمعيل بن القاسم بن المهدي الى مصر وهو اولهم فملكوا نيفا ومائتين من السنين الى أن ضعف أمرهم في أيام العاضد وسوء سياسة وزيره شاور فتملكت الافرنج بلاد السواحل الشامية وظهر بالشام نور الدين محمود بن زنكي فاجتهد في قتال الافرنج واستخلاص ما استولوا عليه من بلاد المسلمين وجهز أسد الدين شيركوه بعساكر لاخذ مصر فحاصرها نحو شهرين فاستنجد العاضد بالافرنج فحضروا من دمياط فرحل أسد الدين الى الصعيد فجبى خراجه ورجع الى الشام وقصد الافرنج الديار المصرية في جيش عظيم وملكوا بلبيس وكانت اذ ذاك مدينة حصينة ووقعت حروب بين الفريقين فكانت الغلبة فيها على المصريين وأحاطوا

ابن محويل بن حنوخ ابن قين وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة فولدت له نوحا بن لمك وهو النبى فعاش لمك بعد مولد نوح خمسمائة سنة وخمسا وتسعين سنة وولد له بنون وبنات ثم مات ونكح نوح ابن لمك عزرة بنت براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين وهو ابن خمسمائة سنة فولدت له ولده ساما وحاما ويافث بنى نوح وكان مولد نوح بعد موت آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ولما أدرك قال له أبوه لمك قد علمت انه لم يبق فى هذا الجبل غيرنا فلا تستوحش ولا تتبع الامة الخاطئة وكان نوح يدعو قومه ويعظهم فيستخفون به وقيل كان نوح فى عهد بيوراسب وكانوا قومه فدعاهم الى الله تسعمائة وخمسين سنة كلما مضى قرن اتبعهم قرن على ملة واحدة من الكفر حتى أنزل الله عليهم العذاب وقال ابن عباس فيما رواه الكلبى عن أبى صالح عنه فولد لمك نوحا وكان له يوم ولد نوح اثنتان وثمانون سنة ولم يكن فى ذلك الزمان أحد ينهى عن منكر فبعث الله اليهم نوحا وهو ابن أربعمائة وثمانين سنة فدعاهم مائة وعشرين سنة ثم أمره الله بصنعة الفلك فصنعها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ثم مكث من بعد السفينة ثلثمائة سنة وخمسين سنة وروى عن جماعة من السلف انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على ملة الحق وان الكفر بالله حدث فى القرن الذى بعث اليهم نوح فيه فأرسله الله وهو أول نبى بعث بالانذار والدعاء الى التوحيد وهو قول ابن عباس وقتادة

(ذكر ملك جمشيد)

وأما علماء الفرس فانهم قالوا ملك بعد طهمورث جمشيد والشيد عندهم الشعاع وجم القمر لقبوه بذلك لجماله وهو جم بن ويونجهان وهو أخو طهمورث وقيل انه ملك الاقاليم السبعة وسخر له ما فيها من الجن والانس وعقد التاج على رأسه وأمر لسنة مضت من ملكه الى خمسين سنة بعمل السيوف والدروع وسائر الاسلحة وآلة الصناع من الحديد ومن سنة خمسين من ملكه الى سنة مائة بعمل الابريسم وغزله والقطن والكتان وكل ما يستطاع غزله وحياكة ذلك وصبغه ألوانا ولبسه ومن سنة مائة الى سنة خمسين ومائة صنف الناس أربع طبقات طبقة مقاتلة وطبقة فقهاء وطبقة كتاب وصناع وطبقة حراثين واتخذ منهم خدما ووضع لكل أمر خاتما مخصوصا به فكتب على خاتم الحرب الرفق والمداراة وعلى خاتم الخراج العمارة والعدل وعلى خاتم البريد والرسل الصدق والامانة وعلى خاتم المظالم السياسة والانتصاف وبقيت رسوم تلك الخواتيم حتى محاها الاسلام ومن سنة مائة وخمسين الى سنة خمسين ومائتين حارب الشياطين وأذلهم وقهرهم وسخروا له ومن سنة خمسين ومائتين الى سنة ست عشرة وثلثمائة وكل الشياطين بقطع الاحجار والصخور من الجبال وعمل الرخام والجص والكلس والبناء بذلك وللحمامات والنقل من البحار والجبال والمعادن والذهب والفضة وسائر ما يذاب

بالاقليم براو بحرا وضربوا على أهل الضرائب ثم ان الوزير شاور أشار بحرق الفسطاط فأمر الناس بالجلاء عنها وأرسل عبيده بالمشعل والنفوط فأوقدوا فيها النار فاحترقت عن آخرها واستمرت النار بها أربعة وخمسين يوما وأرسل الخليفة العاضد يستنجد نور الدين وبعث اليه بشعور نسائه فأرسل اليه جندا كثيفا وعليهم أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين يوسف فارتحل الافرنج عن البلاد وقبض أسد الدين على الوزير شاور والذى أشار بحرق المدينة وصلبه وخلع العاضد على أسد الدين الوزارة فلم يلبث أن مات بعد خمسة وستين يوما فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين وقلده الامور ولقبه الملك الناصر فبذل لله همته وأعمل حيلته وأخذ فى اظهار السنة واخفاء البدعة فثقل أمره على الخليفة العاضد فأبطن له فتنة أثارها فى جنده ليتوصل بها الى هزيمة الاكراد واخراجهم من بلاده فتفاقم الامر وانشقت العصا ووقعت حروب بين الفريقين أبلى فيها الناصر يوسف وأخوه شمس الدولة بلاء حسنا وانجلت الحروب عن نصرتهما فعند ذلك ملك الناصر القصر وضيق على الخليفة وحبس أقاربه وقتل أعيان دولته واحتوى على ما فى القصور من الذخائر والاموال والنفائس بحيث استمر البيع فيه عشر سنين غير ما اصطفاه صلاح الدين لنفسه وخطب للمستضيء العباسى بمصر وسير البشارة بذلك الى بغداد ومات العاضد قهرا وأظهر من الناصر يوسف الشريعة المحمدية وطهر الاقاليم من البدع والتشييع والعقائد الفاسدة وأظهر عقائد أهل السنة والجماعة

من الجواهر وأنواع الطيب والادوية فنفذوا فى ذلك بأمره ثم أمر فصنعت له عجلة من الزجاج فاصعد فيها الشياطين وركبها وأقبل عليها فى الهواء من دنباوند الى بابل فى يوم واحد وهو يوم هرمزروز افروردين ماه فاتخذ الناس ذلك اليوم عيدا وخمسة أيام بعده وكتب الى الناس فى اليوم السادس يخبرهم انه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله فكان من جزائه اياه عليها انه قد جنبهم الحر والبرد والاسقام والهرم والحسد فمكث الناس ثلثمائة سنة بعد الثلثمائة والستة عشر سنة لا يصيبهم شئ مما ذكره ثم بنى قنطرة على دجلة فبقيت دهرا طويلا حتى خربها الاسكندر وأراد الملوك عمل مثلها فعجزوا فعدلوا الى عمل الجسور من الخشب ثم ان جما بطر نعمة الله عليه وجمع الانس والجن والشياطين وأخبرهم انه وليهم ومانعهم بقوته من الاسقام والهرم والموت وتمادى فى غيه فلم يحر أحد منهم جوابا وفقد مكانه بهاءه وعزه وتخلت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم بسياسة أمره فاحس بذلك بيوراسب الذى يسمى الضحاك فابتدر الى جم ليبتزه فهرب منه ثم ظفر به بعد ذلك بيوراسب فاستطرد امعاءه وأشره بمنشار وقيل انه ادعى الربوبية فوثب عليه أخوه ليقتله واسمه اسفنور فتوارى عنه مائة سنة فخرج عليه فى تواريه بيوراسب فغلبه على ملكه وقيل كان ملكه سبعمائة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر قلت وهذا الفصل من حديث جم قد أتينا به تاما بعد ان كنا عازمين على تركه لما فيه من الاشياء التى تمجها الاسماع وتاباها العقول والطباع فانها من خرافات الفرس مع أشياء أخر قد تقدمت قبلها وانما ذكرناها ليعلم جهل الفرس فانهم كثيرا ما يشنعون على العرب بجهلهم وما بلغوا هذا ولا قاربوا ولولا ذلك لكان كتابنا هذا الفصل لخلا من شئ نذكره من أخبارهم

﴿ذكر الاحداث التى كانت فى زمن نوح عليه السلام﴾

قد اختلف العلماء فى ديانة القوم الذين أرسل اليهم نوح فمنهم من قال انهم كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله تعالى من ركوب الفواحش والكفر وشرب الخمور والاشتغال بالملاهى عن طاعة الله ومنهم من قال انهم كانوا أهل طاعة بيوراسب أول من أظهر القول بمذهب الصابئين وتبعه على ذلك الذين أرسل اليهم نوح وسنذكر أخبار بيوراسب فيما بعد وأما كتاب الله فينطق بانهم أهل أوثان قال تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا قلت لا تناقض بين هذه الاقاويل الثلاثة فان القول الحق الذى لا يشك فيه هو انهم كانوا أهل أوثان يعبدونها كما نطق به القرآن وهو مذهب طائفة من الصابئين فان أصل مذهب الصابئين عبادة الروحانيين وهم الملائكة لتقربهم الى الله تعالى زلفى فانهم اعترفوا بصانع العالم وانه حكيم قادر مقدس الا انهم قالوا الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى معرفة جلاله وانما نتقرب اليه بالوسائط المقربة لديه وهم

وهى عقائد الاشاعرة والماتريدية وبعث اليه أبو حامد الغزالى بكتاب ألفه له فى العقائد فحمل الناس على العمل بما فيه ومحا من الاقليم مستنكرات الشرع وأظهر الهدى ولما توفى نور الدين الشهيد انضم اليه ملك الشام وواصل الجهاد وأخذ فى استخلاص ما تغلب عليه الكفار من السواحل وبيت المقدس بعد ما أقام بيد الافرنج نيفا واحدى وتسعين سنة وأزال ما أحدثه الافرنج من الآثار والكنائس ولم يهدم القمامة اقتداء بعمر رضى الله عنه وافتتح الفتوحات الكثيرة واتسع ملكه ولم يزل على ذلك الى أن توفى سنة تسع وثمانين وخمسمائة ولم يترك الا أربعين درهما وهو الذى انشأ قلعة الجبل وسور القاهرة العظيم وكان المشد على عمائره بهاء الدين قراقوش ثم استمر الامر فى أولاده وأولاد أخيه الملك العادل وحضر الافرنج أيضا الى مصر فى أيام الملك الكامل بن العادل وملكوا دمياط وهدموها وحاصرهم شهورا حتى أجلاهم وعمرت بعد ذلك دمياط هذه الموجودة فى غير مكانها وكانت تسمى بالمنشية والكامل هذا هو الذى انشأ قبة الشافعى رضى الله عنه عندما دفن بجواره موتاهم وأنشأ المدرسة الكاملية بين القصرين المعروفة بدار الحديث ❊ وفى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل حضر الافرنج وملكوا دمياط وزحفوا الى فارسكور واستمر الملك الصالح يحاربهم أربعة عشر شهرا وهو مريض واحصر جهة الشرق وانشأ المدينة المعروفة بالمنصورة ومات بها سنة سبع وأربعين وستمائة والحرب قائم وأخفت زوجته شجرة الدر موته ودبرت الامور حتى حضر ابنه توران شاه

الروحانيون وحيث لم يعاينوا الروحانيين تقربوا اليهم بالهيا كل وهي الكواكب السبعة السيارة لانها مدبرة لهذا العالم عندهم ثم ذهبت طائفة منهم وهم أصحاب الاشخاص حيث رأوا ان الهيا كل تطلع وتغرب وترى ليلا ولا ترى نهارا الى وضع الاصنام لتكون نصب أعينهم ليتوسلوا بها الى الهيا كل والهيا كل الى الروحانيين والروحانيون الى صانع العالم فلهذا كان أصل وضع الاصنام أولا وقد كان أخيرا في العرب من هو على هذا الاعتقاد قال تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقد حصل من عبادة الاصنام مذهب الصابئين والكفر والفواحش وغير ذلك من المعاصي فلما تمادى قوم نوح على كفرهم وعصيانهم بعث الله اليهم نوحا يحذرهم بأسه ونقمته ويدعوهم الى التوبة والرجوع الى الحق والعمل بأمر الله تعالى وأرسل نوح وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما وقال عون بن شداد ان الله تعالى أرسل نوحا وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة وقيل غير ذلك وقد تقدم قال ابن اسحق وغيره ان قوم نوح كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال اللهم اغفر لي ولقومي فانهم لا يعلمون حتى اذا تمادوا في معصيتهم وعظمت منهم الخطيئة وتطاول عليه وعليهم الشأن اشتد عليه البلاء وانتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن الا كان أخبث من الذي كان قبله حتى ان كان الآخر ليقول قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنونا لا يقبلون منه شيئا وكان يضرب ويلف ويلقى في بيته يرون انه قد مات فاذا أفاق اغتسل وخرج اليهم يدعوهم الى الله فلما طال ذلك عليه ورأى الاولاد شرا من الآباء قال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان تك لك فيهم حاجة فاهدهم وان يك غير ذلك فصبرني الى ان تحكم فيهم فاوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلما يئس من ايمانهم دعا عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى آخر القصة فلما شكا الى الله واستنصره عليهم أوحى الله اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاقبل نوح على عمل الفلك ولها عن دعاء قومه وجعل يهيئ عتاد الفلك من الخشب والحديد والقار وغيرها مما لا يصلحه سواه وجعل قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه فيقول ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون قال ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة واعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم وصنع الفلك من خشب الساج وأمره ان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا وقال قتادة كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وقال الحسن كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والله أعلم وأمر نوحا أن يجعله ثلاث طبقات سفلى ووسطى وعليا ففعل نوح كما أمره الله تعالى حتى اذا فرغ منه

من حصن كيفا وانهزمت الافرنج واسر ملكهم ريدا وكانوا طائفة الفرنسيس * والملك الصالح هذا هو أول من اشترى المماليك واتخذ منهم جندا كثيفا وبنى لهم قلعة الروضة واسكنهم بها وسماهم البحرية ومقدمهم الفارس اقطاي والملك الصالح هو الذي بنى المدارس الصالحية بين القصرين ودفن بقبة بنيت له بجانب المدرستين * ولما انهزم الافرنج ومات الصالح وتملك ابنه توران شاه استوحش من مماليك أبيه واستوحشوا منه فتعصبوا عليه وقتلوه بفارسكور وقلدوا السلطنة شجرة الدر ثلاثة أشهر ثم خلعت وهي آخر الدولة الايوبية ومدة ولايتهم احدى وثمانون سنة * ثم تولى سلطنة مصر عز الدين أيبك التركماني الصالحي سنة ثمان واربعين وستمائة وهو أول الدولة التركية بمصر ولما قتل ولوا ابنه المظفر علي فلما وقعت حادثة التتار العظمى خلع المظفر لصغره وتولى الملك المظفر قطز وخرج بالعساكر المصرية لمحاربة التتار فظفر عليهم وهزمهم ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك بعد ان كانوا ملكوا معظم المعمور من الارض وقهروا الملوك وقتلوا العباد وأخربوا البلاد * وفي سنة أربع وخمسين وستمائة ملكوا اكثر بلاد الروم بالسيف وفي البحر فلما فرغوا من ذلك جميعه نزل هولاكو خان وهو ابن طولون ابن جنكيزخان على بغداد وذلك سنة ست وخمسين وهي اذ ذاك كرسي مملكة الاسلام ودار الخلافة وقد ملكها وقتلوا ونهبوا واسروا من بها من جمهور المسلمين والفقهاء والعلماء والائمة والقراء والمحدثين وأكابر الاولياء

وقد عهد الله اليه اذا جاء أمرنا وفار التنور فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الاقليل وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه فلما فار التنور وكان فيما قيل من حجارة كانت لحواء وقال ابن عباس كان ذلك تنورا من أرض الهند وقال مجاهد والشعبي كان التنور بارض الكوفة وأخبرته زوجته بفوران الماء من التنور وأمر الله جبرائيل فرفع الكعبة الى السماء الرابعة وكانت من ياقوت الجنة كما ذكرناه وخبأ الحجر الاسود بجبل أبي قبيس فبقي فيه الى أن بنى ابراهيم البيت فاخذه فجعله موضعه ولما فار التنور حمل نوح من أمر الله بحمله وهم أولاده الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم وستة أناسي فكانوا مع نوح ثلاثة عشرة وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم كلهم بنو شيث وقال قتادة كانوا ثمانية أنفس نوح وامرأته وثلاثة بنوه ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة ولم يذكر فيهم زوج نوح وحمل معه جسد آدم ثم أدخل ما أمر الله به من الدواب وتخلف عنه ابنه يام وكان كافرا وكان آخر من دخل السفينة الحمار فلما دخل صدره تعلق ابليس بذنبه فلم ترتفع رجلاه فجعل نوح يامره بالدخول فلا يستطيع حتى قال ادخل وان كان الشيطان معك فقال كلمة زلت على لسانه فلما قالها دخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل وان كان الشيطان معك فتركه ولما أمر نوح بادخال الحيوان السفينة قال أي رب كيف أصنع بالاسد والبقرة وكيف أصنع بالعناق والذئب والطير والهر قال الذي ألقى بينها العداوة هو يؤلف بينها فالقى الحمى على الاسد وشغله بنفسه ولذلك قيل

وما الكلب محموما وان طال عمره * الا انما الحمى على الاسد الورد

وجعل نوح الطير في الطبق الاسفل من السفينة وجعل الوحش في الطبق الاوسط وركب هو ومن معه من بني آدم في الطبق الاعلى فلما اطمأن نوح في الفلك وأدخل فيه كل من أمر به وكان ذلك بعد ستمائة سنة من عمره في قول بعضهم وفي قول بعضهم ما ذكرناه وحمل معه من حمل جاء الماء كما قال الله تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر فكان بين ان أرسل الماء وبين ان احتمل الماء الفلك أربعون يوما وأربعون ليلة وكثر واشتد وارتفع وطمى وغطى نوح عليه وعلى من معه طبق السفينة وجعلت الفلك تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه الذي هلك وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين وكان كافرا قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء وكان عهد الجبال وهي حرزه وملجأ فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وعلا الماء على رؤس الجبال فكان على أعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا فهلك ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلم يبق الا نوح ومن معه والا عوج بن

والصالحين وفيها الخليفة رب العالمين وامام المسلمين وابن عم سيد المرسلين فقتلوه وأهله وأكابر دولته وجرى في بغداد ما لم يسمع بمثله في الآفاق ثم ان هولاكوخان أمر بعد القتلى فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف وزيادة ثم تقدم التتار الى بلاد الجزيرة واستولوا على حران والرها وديار بكر في سنة سبع وخمسين ثم جاوزوا الفرات ونزلوا على حلب في سنة ثمان وخمسين وستمائة واستولوا عليها وأحرقوا المساجد وجرت الدماء في الازقة وفعلوا ما لم يتقدم مثله * ثم وصلوا الى دمشق وسلطانها الناصر يوسف بن أيوب فخرج هاربا وخرج معه أهل القدرة ودخل التتار الى دمشق وتسلموها بالامان ثم غدروا بهم وتعدوها فوصلوا الى نابلس ثم الى الكرك وبيت المقدس فخرج سلطان مصر بجيش الترك الذين تهابهم الاسود وتقل في أعينهم أعداد الجنود فالتقاهم عند عين جالوت فكسرهم وشردهم وولوا الادبار وطمع الناس فيهم يتخطفونهم ووصلت البشائر بالنصر فطار الناس فرحا * ودخل المظفر الى دمشق مؤيدا منصورا وأحبه الخلق محبة عظيمة وساق بيبرس خلف التتار الى بلاد حلب وطردهم وكان السلطان وعده بحلب ثم رجع عن ذلك فتأثر بيبرس وأضمر له الغدر وكذلك السلطان وأسر ذلك الى بعض خواصه فاطلع بيبرس فساروا الى مصر وكل منهما محترس من صاحبه فاتفق بيبرس مع جماعة من الامراء على قتل المظفر فقتلوه في الطريق * (وتسلطن بيبرس) ودخل مصر سلطانا وتلقب بالملك الظاهر وذلك سنة

عنق فيما زعم أهل التوراة وكان بين ارسال الماء وبين ان غاض ستة أشهر وعشر ليال قال ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوما فاقبلت الوحش حين أصابها المطر والطين الى نوح وسخرت له فحمل منها كما أمره الله فركبوا فيها لعشر ليال مضين من رجب وكان ذلك لثلاث عشرة خلت من آب وخرجوا منها يوم عاشوراء من المحرم فلذلك صام من صام يوم عاشوراء وكان الماء نصفين نصفا من السماء ونصفا من الارض وطافت السفينة بالارض كلها لا تستقر حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم اسبوعا ثم ذهبت في الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودي وهو جبل بقردي بارض الموصل فاستقرت عليه فقيل عند ذلك بعدا للقوم الظالمين ولما استقرت قيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء نشفته الارض واقام نوح في الفلك الى ان غاض الماء فلما خرج منها اتخذ بناحية من قردى من أرض الجزيرة موضعا وابتنى قرية سموها ثمانين وهي الآن تسمى سوق الثمانين لان كل واحد ممن معه بنى لنفسه بيتا وكانوا ثمانين رجلا قال بعض اهل التوراة لم يولد لنوح الا بعد الطوفان وقيل ان ساما ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة وقيل ان اسم ولده الذي أغرق كان كنعان وهو يام وأما المجوس فانهم لا يعرفون الطوفان ويقولون لم يزل الملك فينا من عهد جيومرث وهو آدم قالوا ولو كان كذلك لكان نسب القوم قد انقطع وملكهم قد اضمحل وكان بعضهم يقر بالطوفان ويزعم انه كان في اقليم بابل وما قرب منه وان مساكن ولد جيومرث كانت بالمشرق فلم يصل ذلك اليهم وقول الله تعالى أصدق في ان ذرية نوح هم الباقون فلم يعقب أحد ممن كان معه في السفينة غير ولده سام وحام ويافث ولما حضرت نوحا الوفاة قيل له كيف رأيت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وأوصى الى ابنه سام وكان أكبر ولده

(ذكر بيوراسب وهو الازدهاق الذي يسميه العرب الضحاك)

وأهل اليمن يدعون أن الضحاك منهم وانه أول الفراعنة وكان ملك مصر لما قدمها ابراهيم الخليل والفرس تذكر انه منهم وتنسبه اليهم وانه بيوراسب بن أرونداسب بن زينكاو بن وندريشتك بن تاز بن فروال بن سيامك بن ميشي بن جيومرث ومنهم من ينسبه هذه النسبة وزعم أهل الاخبار انه ملك الاقاليم السبعة وانه كان ساحرا فاجرا قال هشام بن الكلبي ملك الضحاك بعد جم فيما يزعمون والله أعلم ألف سنة ونزل السواد في قرية يقال لها برس في ناحية طريق الكوفة وملك الارض كلها وسار بالفجور والعسف وبسط يده في القتل وكان اول من سن الصلب والقطع واول من وضع العشور وضرب الدراهم واول من تغنى وغنى له قال وبلغنا ان الضحاك هو نمروذ وان ابراهيم عليه السلام ولد في زمانه وانه صاحبه الذي أراد احراقه وتزعم الفرس ان الملك لم يكن الا للبطن الذي منه أوشهنج وجم وطهمورث وان الضحاك كان غاصبا وانه

ثمان وخمسين وستمائة * وهو السلطان ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقداري الصالحي النجمي أحد المماليك البحرية وعندما استقر بالقلعة ابطل المظالم والمكوس وجميع المنكرات وجهز الحج بعد انقطاعه اثنتي عشرة سنة بسبب فتنة التتار وقتل الخليفة ومنافقة أمير مكة مع التتار فلما وصلوا الى مكة منعوهم من دخول المحمل ومن كسوة الكعبة فقال أمير المحمل لامير مكة أما تخاف من الملك الظاهر بيبرس فقال دعه يأتيني على الخيل البلق فلما رجع أمير المحمل وأخبر السلطان بما قاله أمير مكة جمع له في السنة الثانية أربعة عشر ألف فرس ابلق وجهزهم صحبة امير الحاج وخرج بعدهم على ثلاث نوق عشاريات فوافاهم عند دخولهم مكة وقد منعهم التتار وأمير مكة فحاربوهم فنصرهم الله عليهم وقتل ملك التتار وأمير مكة طعنه السلطان بالرمح وقال له أنا الملك الظاهر جئتك على الخيل البلق فوقع الى الارض وركب السلطان فرسه ودخل الى مكة وكسا البيت وعاد الى مصر واستقر ملكه حتى مات بدمشق سابع عشري المحرم سنة ست وسبعين وستمائة ومدته سبع عشرة سنة وشهران واثنا عشر يوما وحج سنة سبع وستين وستمائة ولذلك خبر طويل ذكره العلامة المقريزي في ترجمته في تواريخه وفي الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك وكان من أعظم الملوك شهامة وصرامة وانقيادا للشرع وله فتوحات غصب وعمارات مشهورة ومآثر حميدة ومنها ردّ الخلافة لبني العباس وذلك انه لما جرى ما جرى على بغداد وقتل الخليفة وبقيت

غصب اهل الارض بسحره وخبثه وهول عليهم بالحيتين اللتين كانتا على منكبيه وقال كثير من أهل الكتب ان الذي كان على منكبيه كان لحمتين طويلتين كل واحدة منهما كرأس الثعبان وكان يسترهما بالثياب ويذكر على طريق التهويل انهما حيتان يقتضيانه الطعام وكانتا تتحركان تحت ثوبه اذا جاع ولقى الناس منه جهدا شديدا وذبح الصبيان لان اللحمتين اللتين كانتا على منكبيه كانتا تضربانه فاذا طلاهما بدماغ انسان سكنتا فكان يذبح كل يوم رجلين فلم يزل الناس كذلك حتى أراد الله هلاكه فوثب رجل من العامة من اهل أصبهان يقال له كابي بسبب ابنين له أخذهما أصحاب بيوراسب بسبب اللحمتين اللتين على منكبيه واخذ كابي عصا كانت بيده فعلق بطرفها جرابا كان معه ثم نصب ذلك كالعلم ودعا الناس الى مجاهدة بيوراسب ومحاربته فاسرع الى اجابته خلق كثير لما كانوا فيه من البلاء وفنون الجور فلما غلب كابي تفاءل الناس بذلك العلم فعظموه وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم علمهم الاكبر الذي يتبركون به وسموه درفش كابيان فكانوا لا يسيرونه الا في الامور الكبار العظام ولا يرفع الا لاولاد الملوك اذا وجهوا في الامور الكبار وكان من خبر كابي أنه من اهل أصبهان فثار بمن اتبعه فالتفت الخلائق اليه فلما أشرف على الضحاك قذف في قلب الضحاك منه الرعب فهرب عن منازله وخلى مكانه فاجتمع الاعاجم الى كابي فاعلمهم انه لا يتعرض للملك لانه ليس من اهله وامرهم ان يملكوا بعض ولد جم لانه ابن الملك اوشهنج الاكبر بن فروال الذي رسم الملك وسبق في القيام به وكان افريدون بن اثفيان مستخفيا من الضحاك فوافى كابي ومن معه فاستبشروا به فانه فملكوه وصار كابي والوجوه لافريدون اعوانا على أمره فلما ملك وأحكم ما احتاج اليه من امر الملك واحتوى على منازل الضحاك وسار في اثره فاسره بدنباوند في جبالها وبعض المجوس تزعم انه وكل به قوما من الجن وبعضهم يقول انه اتى سليمان بن داود وحبسه سليمان في جبل دنباوند وكان ذلك الزمان بالشام فسار بيوراسب بحبسه يجره حتى حمله الى خراسان فلما عرف سليمان ذلك امر الجن فاوثقوه حتى لا يزول وعملوا عليه طلسما كرجلين يدقان باب الغار الذي حبس فيه أبدا لئلا يخرج فانه عندهم لا يموت وهذا ايضا من اكاذيب الفرس البارده ولهم فيه اكاذيب اعجب من هذا تركنا ذكرها وبعض الفرس يزعم ان افريدون قتله يوم النيروز فقال العجم عند قتله امروز نوروز اي استقبلنا الدهر بيوم جديد فاتخذوه عيدا وكان اسره يوم المهرجان فقال العجم امد مهرجان اقتل من كان يذبح وزعموا انهم لم يسمعوا في أمور الضحاك شيء يستحسن غير شيء واحد وهو ان بليته لما اشتدت ودام جوره وتراسل الوجوه في امره فاجمعوا على المصير الى بابه فوافاه الوجوه فاتفقوا على أن يدخل عليه كابي الاصبهاني فدخل عليه ولم يسلم فقال ايها الملك اي السلام اسلم عليك

معالك الاسلام بلا خلافة ثلاث سنوات حضر شخص من أولاد الخلفاء الفارين في الواقعة الى عرب العراق ومعه عشرة من بني مهارش فركب الظاهر للقائه ومعه القضاة وأهل الدولة فاثبت نسبه على يد قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز ثم بويع بالخلافة فبايعه السلطان وقاضي القضاة والشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم الكبار على مراتبهم ولقب بالمستنصر وركب يوم الجمعة وعليه السواد الى جامع القلعة وخطب خطبة بليغة ذكر فيها شرف بني العباس ودعا فيها للسلطان وللمسلمين ثم صلى بالناس ورسم بعمل خلعة خليفية الى السلطان وكتب له تقليدا وقرئ بظاهر القاهرة بحضرة الجمع وألبس الخليفة السلطان الخلعة بيده وفوض اليه الامور وركب السلطان بالخلعة والتقليد محمول على رأسه ودخل من باب النصر وزينت القاهرة والامراء مشاة بين يديه ورتب له اتابكيا واستادارا وخازندارا وحاجبا وشرابيا وكاتبا وعين له خزانة وجملة مماليك ومائة فرس وثلاثين بغلا وعشر قطارات جمال الى امثال ذلك ثم انه عزم على التوجه الى العراق فخرج معه السلطان وشيعه الى دمشق وجهز معه ملوك الشرق صاحب الموصل وصاحب سنجار والجزيرة وغرم عليه وعليهم ألف ألف دينار وستين ألف دينار وسافروا حتى تجاوزوا هيت فلاقاهم التتار وقتلوهم فعدم الخليفة ولم يعلم له خبر * وبعد أيام حضر شخص آخر من بني العباس وكان أيضا مختفيا عند بني خفاجة فتوصل مع العرب الى دمشق وأقام عند الامير عيسى بن مهنا

سلام من ملك الاقاليم كلها ام سلام من ملك هذا الاقليم فقال بل سلام من ملك الاقاليم لا في ملك الارض فقال كالي اذ كنت ملك الاقاليم كلها فلم خصصتنا بانقالك واسبابك من بينهم ولم لا تقسم الامور بيننا وبينهم وعددوا عليه اشياء كثيرة فصدقه وعمل كلامه في الضحاك فاقر بالاساءة وتالف القوم ووعدهم بما يحبون وأمرهم بالانصراف ليعودوا ويقضي حوائجهم ثم ينصرفوا الى بلادهم وكانت أمه حاضرة تسمع معاتبتهم وكانت شرا منه فلما خرج القوم دخلت مغتاظة من احتماله وحلمه عنهم فوبخته وقالت له الا أهلكتهم وقطعت أيديهم فلما أكثرت عليه قال لها يا هذه لا تفكري في شئ الا وقد سبقت اليه الا ان القوم بدهوني بالحق وقرعوني به فكلما هممت بهم تخيل لي الحق بمنزلة الجبل بيني وبينهم فما امكنني فيهم شئ ثم جلس لاهل النواحي فوفى لهم بما وعدهم وقضى أكثر حوائجهم وقال بعضهم كان ملكه ستمائة سنة وكان عمره ألف سنة وانه كان في باقي عمره شبيها بالملك لقدرته ونفوذ أمره وقيل كان ملكه ألف سنة ومائة سنة وانما ذكرنا خبر بيوراسب ههنا لان بعضهم يزعم ان نوحا كان في زمانه وانما أرسل اليه والى أهل مملكته وقيل انه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة صور ومدينة دمشق

(ذكر ذرية نوح عليه السلام)

قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين انهم سام وحام ويافث وقال وهب بن منبه ان سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم وان حام أبو السودان وان يافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج وقيل ان القبط من ولد قوط بن حام وانما كان السواد في نسل حام لان نوحا نام فانكشفت سوأته فرآها حام فلم يغطها ورآها سام ويافث فالقيا عليه ثوبا فلما استيقظ علم ما صنع حام واخوته فدعا عليه قال ابن اسحق فكانت امرأة سام بن نوح صلب ابنة بتاويل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم فولدت له نفرا أرفخشذ وأشوذ ولاوذ وآرم قال ولا أدري آرم لام أرفخشذ واخوته أم لا فمن ولد لاوذ بن سام فارس وجرجان وطسم وعمليق وهو أبو العماليق ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون والفراعنة بمصر وكان اهل البحرين وعمان منهم ويسمون جاسم وكان منهم بنو أميم بن لاوذ واهل وبار بارض الرمل وهي بين اليمامة والشحر وكانوا قد كثروا فاصابتهم نقمة من الله من معصية أصابوها فهلكوا وبقيت منهم بقية وهم الذين يقال لهم النسناس وكان طسم ساكني اليمامة الى البحرين فكانت طسم والعماليق واميم وجاسم قوما عربا لسانهم عربي ولحقت عبيل بيثرب قبل ان تبنى ولحقت العماليق بصنعاء قبل ان تسمى صنعاء وانحدر بعضهم الى يثرب فاخرجوا منها عبيلا فنزلوا موضع الجحفة فاقبل سيل فاجتحفهم اي اهلكهم فسميت الجحفة قال وولد آرم بن سام عوص وعابر وحويل

فاخبر به صاحب دمشق فطلبه وكاتب السلطان في شأنه فأرسل يستدعيه فارسله مع جماعة من امراء العرب فلما وصل الى القاهرة وجد المستنصر قد سبقه بثلاثة أيام فلم يران يدخل اليها فرجع الى حلب فبايعه صاحبها ورؤساؤها ومنهم عبد الحليم ابن تيمية وجمع خلقا كثيرا وقصد عانة ولقب بالحاكم فلما خرج المستنصر وافاه بعانة فانقاد له هذا ودخل تحت طاعته وخاصته فلما قتل المستنصر قصد الحاكم الرحبة وجاء الى عيسى بن مهنا فكاتب الملك الظاهر فيه فطلبه فقدم الى القاهرة ومعه ولده وجماعته فاكرمه الملك الظاهر وبايعه بالخلافة كما سبق للمستنصر وأنزله بالبرج الكبير بالقلعة واستمرت الخلافة بمصر وأقام الحاكم فيها نيفا وأربعين سنة وهذه من مناقب الملك الظاهر * ولما مات الملك الظاهر تولى بعده ابنه الملك السعيد ثم أخوه الملك العادل وكان صغيرا والامر لقلاوون فخلعه واستبد بالملك ولقب بالملك المنصور وقلاوون الالفي الصالحي النجمي جد الملوك القلاوونية وهو صاحب الخيرات والبيمارستان المنصوري والمدرسة والقبة التي دفن بها وله فتوحات بسواحل البحر الرومي ومصافات مع التتار وغير ذلك تولى سنة ثمان وسبعين وستمائة ومات أواخر سنة تسع وثمانين وكانت مدته احدى عشرة سنة * وتولى بعده ابنه الملك الاشرف خليل بن قلاوون وكان بطلا شجاعا ذا همة عالية ورياسة فولد

رضية تانه امراؤه وغدروه وقتلوه بتروجة جهة البحيرة سنة ثلاث وتسعين وستمائة ونقل الى تربته التي أنشأها بالقرب من المشهد

ثم ولده عوص عابر وعاد وعبيل وولد عابر ابن آرم ثمود وجديس وكانوا عربا يتكلمون بهذا اللسان المصري وكانت العرب تقول لهذه الامم ولجرهم العرب العاربة ويقولون لبني اسمعيل العرب المتعربة لانهم انما تكلموا بلسان هذه الامم حين سكنوا بين اظهرهم فكانت عاد بهذا الرمل الى حضرموت وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى ولحقت جديس بطسم وكانوا معهم باليمامة الى البحرين واسم اليمامة اذذاك جو وسكنت جاشم عمان والنبط من ولد نبيط بن ماش بن آرم بن سام والفرس بنو فارس بن تيرش بن ماسور بن سام قال وولد لارفخشذ بن سام ابنه قينان كان ساحرا وولد لقينان شالخ بن أرفخشذ من غير ذكر قينان لما ذكر من سحره وولد لشالخ عابر ولعابر فالغ ومعناه القاسم لان الارض قسمت والالسن تبلبلت في أيامه وقحطان بن عابر فولد لقحطان يعرب ويقطان فنزلا اليمن وكان أول من سكن اليمن واول من سلم عليه بأبيت اللعن وولد لفالغ ابن عابر ارغو وولد لارغو ساروغ وولد لساروغ ناخور وولد لناخور تارح واسمه بالعربية آزر وولد لآزر ابراهيم عليه السلام وولد لارفخشذ ايضا نمروذ وقيل هو نمروذ ابن كوش بن حام بن نوح قال هشام بن الكلبي السند والهند بنو توقير بن يقطن بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وجرهم من ولد يقطن بن عابر وحضرموت بن يقطن ويقطن هو قحطان في قول من نسبه الى غير اسمعيل والبربر من ولد ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ما خلا صنهاجة وكتامة فانهما بنو فريقش بن صيفي ابن سبأ وأما يافث فمن ولده جامر وموعج وموارك ويوان وفوبا وماشج وتيرش فمن ولد جامر ملوك فارس في قول ومن ولد تيرش الترك والخزر ومن ولد ماشج الاشبان ومن ولد موعج ياجوج وماجوج ومن ولد يوان الصقالبة وبرجان والاشبان كانوا في القديم بارض الروم قبل ان يقع بها من وقع من ولد العيص ابن اسحق وغيرهم وقصد كل فريق من هؤلاء الثلاثة سام وحام ويافث أرضا فسكنوها ودفعوا غيرهم عنها ومن ولد يافث الروم وهم بنو لنطي بن يونان بن يافث بن نوح واما حام فولد له كوش ومصرايم وقوط وكنعان فمن ولد كوش نمروذ بن كوش وقيل هو من ولد سام وصارت بقية ولد حام بالسواحل من النوبة والحبشة والزنج ويقال ان مصرايم ولد القبط والبربر واما قوط فقيل انه سار الى الهند والسند فنزلها واهلها من ولده واما الكنعانيون فلحق بعضهم بالشام ثم جاءت بنو اسرائيل فقتلوهم بها ونفوهم عنها وصار الشام لبني اسرائيل ثم وثبت الروم على بني اسرائيل فاجلوهم عن الشام الى العراق الا قليلا منهم ثم جاءت العرب فغلبوا على الشام وكان يقال لعاد عاد ارم فلما هلكوا قيل لثمود ثمود ارم قال وزعم أهل التوراة ان أرفخشذ ولد لسام بعد ان مضى من عمر سام مائة سنة وسنتان وكان جميع عمر سام ستمائة سنة ثم ولد لارفخشذ قينان بعد أن مضى من عمر أرفخشذ خمس وثلاثون سنة وكان عمره اربعمائة وثمانيا وثلاثين

النفيسي بجانب مدرسة أخيه الصالح علي بن قلاوون مات في حياة ابيه وكان هو أكبر أولاده مرشحا للسلطنة * ولما مات الاشرف تولى بعده اخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون الالفي الصالحي النجمي اقيم في السلطنة وعمره تسع سنين فاقام سنة وخلع بمملوك ابيه زين الدين (كتبغا) الملك العادل فثار الامير حسام الدين لاجين المنصوري نائب السلطنة على العادل وتسلطن عوضه ثم ثار عليه طغي وكرجي فقتلاه وقتلا ايضا واستدعى الناصر من الكرك فقدم واعيد الى السلطنة مرة ثانية فاقام عشر سنين وخمسة اشهر محجورا عليه والقائم بتدبير الدولة الاميران بيبرس الجاشنكير وسلار نائب السلطنة فدبر لنفسه في سنة ثمان وسبعمائة واظهر انه يريد الحج بعياله فوافقه الاميران على ذلك وشرعا في تجهيزه وكتب الى دمشق والكرك برمي الاقامات والزم عرب الشرقية بحمل الشعير فلما تهيأ الذلك احضر الامراء تقادمهم الخيل والجمال ثم ركب الى بركة الحاج وتعين معه للسفر جماعة من الامراء وعاد بيبرس وسلار من غير ان يترجلا له عند نزوله بالبركة فرحل من ليلته وخرج الى الصالحية وعيد بها وتوجه الى الكرك فقدمها في عاشر شوال ونزل بقلعتها وصرح بانه قد ثنى عزمه عن الحج واختار الاقامة بالكرك وترك السلطنة ليستريح وكتب الى الامراء بذلك وسأل ان ينعم عليه بالكرك والشوبك واعاد من كان معه من الامراء وسلمهم الهجن وعدتها خمسمائة هجين والمال والجمال وجميع التقادم وامر نائب الكرك بالمسير عنه

وتسلطن بيبرس الجاشنكير وتلقب بالملك المظفر وكتب للناصر تقليدا بنيابة الكرك فعندما وصله التقليد مع آل ملك اظهر البشر وخطب باسم المظفر على منبر الكرك وانعم على البريد الحاج آل ملك واعاده فلم يتركه المظفر واخذ ينا كده ويطلب منه من معه من المماليك الذين اختارهم للاقامة عنده والخيول التى اخذها من القلعة والمال الذى اخذه من الكرك وهدده فحنق لذلك وكتب الى نواب الشام يشكو ماهو فيه فاحثوه على القيام لاخذ ملكه ووعدوه بالنصرة فتحرك لذلك وسار الى دمشق واتت النواب اليه وقدم الى مصر وفر بيبرس وطلع الناصر الى القلعة يوم عيد الفطر سنة تسع وسبعمائة فأقام فى الملك اثنتين وثلاثين سنة وثلاثة اشهر ومات فى ليلة الخميس حادى عشرى ذى الحجة سنة احدى واربعين وسبعمائة وعمره سبع وخمسون سنة وكسور ومدة سلطنته ثلاث واربعون سنة وثمانية اشهر وتسعة ايام * وكان ملكا عظيما جليلا كفؤا للسلطنة ذا دهاء محبا للعدل والعمارة وطابت مدته وشاع ذكره وطار صيته فى الآفاق وهابته الاسود وخطب له فى بلاد بعيدة * ومن محاسنه انه لما استبد بالملك اسقط جميع المكوس من اعمال الممالك المصرية والشامية وراك البلاد وهو الروك الناصرى المشهور وابطل الرشوة وعاقب عليها فلا يتقلد المناصب الا مستحقها بعد التروى والامتحان واتفاق الرأى ولا يقضى الا بالحق فكانت ايامه سعيدة وافعاله حميدة * وفى ايامه كثرت العمائر حتى يقال ان مصر والقاهرة

سنة ثم ولد لقينان شالخ بعد أن مضى من عمره تسع وثلاثون سنة ولم يذكر مدة عمر قينان فى الكتب لما ذكرنا من سحره ثم ولد لشالخ عابر بعد ما مضى من عمره ثلاثون سنة وكان عمره كله أربعمائة وثلاثا وثلاثين سنة ثم ولد لعابر فالغ وأخوه قحطان وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة وكان عمره اربعمائة واربعا وسبعين سنة ثم ولد لفالغ أرغو بعد ثلاثين سنة من عمر فالغ وكان عمره مائتين وتسعا وثلاثين سنة وولد لارغو ساروغ بعد ما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة وكان عمره مائتين وتسعا وثلاثين سنة وولد لساروغ ناخور بعد ثلاثين سنة من عمره وكان عمره كله مائتين وثلاثين سنة ثم ولد لناخور تارح أبو ابراهيم بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وكان عمره كله مائتين وثمانيا وأربعين سنة وولد لتارح وهو آزر ابراهيم عليه السلام وكان بين الطوفان ومولد ابراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف سنة وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة وولد لقحطان بن عابر يعرب فولد ليعرب يشجب فولد يشجب سبأ فولد سبأ حمير وكهلان وعمرا والاشعر وانمارا ومرا فولد عمرو بن سبأ عديا وولد عدى لخما وجذاما

(ذكر ملك افريدون)

وهو افريدون بن اثغيان وهو من ولد جمشيد وقد زعم بعض نسابة الفرس ان نوحا هو افريدون الذى قهر الضحاك وسلبه ملكه وزعم بعضهم ان افريدون هو ذو القرنين صاحب ابراهيم الذى ذكره الله فى كلامه العزيز وانما ذكرته فى هذا الموضع لان قصته فى أولاده الثلاثة شبيهة بقصة نوح على ما سيأتى ولحسن سيرته وهلاك الضحاك على يديه ولانه قيل ان هلاك الضحاك كان على يد نوح وامّا باقى نسابة الفرس فانهم ينسبون افريدون الى جمشيد الملك وكان بينهما عشرة آباء كلهم يسمى اثغيان خوفا من الضحاك وانما كانوا يتميزون بالقاب لقبوها فكان يقال لاحدهم اثغيان صاحب البقر الحمر واثغيان صاحب البقر البلق واشباه ذلك وكان افريدون اول من ذلل الفيلة وامتطاها ونتج البغال واتخذ الاوز والحمام وعمل الترياق ورد المظالم وامر الناس بعبادة الله والانصاف والاحسان ورد على الناس ما كان الضحاك غصبه من الارض وغيرها الا ما لم يجد له صاحبا فانه وقفه على المساكين وقيل انه أول من سمى الصوفى وهو اول من نظر فى علم الطب وكان له ثلاثة بنين اسم الاكبر شرم والثانى طوج والثالث ايرج فخاف ان يختلفوا بعده فقسم ملكه بينهم أثلاثا وجعل ذلك فى سهام كتب اسماءهم عليها وأمر كل واحد منهم فاخذ سهما فصارت الروم وناحية العرب لشرم وصارت الترك والصين لطوج وصارت العراق والسند والهند والحجاز وغيرها لايرج وهو الثالث وكان يحبه واعطاه التاج والسرير ومات افريدون ونشبت العداوة بين أولاده وأولادهم من بعدهم ولم يزل التحاسد ينمو بينهم الى ان وثب طوج وشرم على أخيهما ايرج فقتلاه

وقتلا

وقتلا ابنين كانا لايرج وماكا الارض بينهما ثلثمائة سنة ولم يزل افريدون يتبع من بقى بالسواد من آل نمرود والنبط وغيرهم حتى أتى على وجوههم ومحا اعلامهم وكان ملكه خمسمائة سنة

(ذكر الاحداث التى كانت بين نوح وابراهيم)

قد ذكرنا ما كان من أمر نوح وامر ولده واقتسامهم الارض بعده ومساكن كل فريق منهم فكان ممن طغى وبغى فأرسل الله اليهم رسولا فكذبوه فأهلكهم الله هذان الحيان من ولد ارم بن سام بن نوح أحدهما عاد والثانى ثمود فامّا عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى وكانت مساكنهم ما بين الشحر وعمان وحضرموت بالاحقاف فكانوا جبارين طوال القامة لم يكن مثلهم يقول الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فأرسل الله اليهم هود بن عبد الله ابن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص ومن الناس من يزعم انه هود وهو عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وكانوا أهل اوثان ثلاثة يقال لاحدهما ضرا وللآخر صمود وللثالث الهباء فدعاهم الى توحيد الله وافراده بالعبادة دون غيره وترك ظلم الناس فكذبوه وقالوا من اشد منا قوة ولم يؤمن بهود منهم الا قليلا وكان من أمرهم ما ذكره ابن اسحق قال ان عادا أصابهم قحط تتابع عليهم بتكذيبهم هودا فلما أصابهم قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة يستسقون لكم فبعثوا قيل ابن عير ولقيم بن هزال ومرثد بن سعد وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر ولقمان بن عاد بن فلان ابن عاد الاكبر فى سبعين رجلا من قومهم فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر بظاهر مكة خارجا عن الحرم فاكرمهم وكانوا اخواله وصهره لان لقيم بن هزال كان تزوج هزيلة بنت بكر أخت معاوية فاولدها أولادا كانوا عند خالهم معاوية بمكة وهم عبيد وعمرو وعامر وعمير بنو لقيم وهم عاد الآخرة التى بقيت بعد عاد الاولى فلما نزلوا على معاوية أقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية فلما رأى معاوية طول مقامهم وتركهم ما أرسلوا له شق عليه ذلك وقال هلك اخوالى واستحيا ان يأمر الوفد بالخروج الى ما بعثوا له فذكر ذلك للجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله لعلهم يتحركون فقال معاوية

الا يا قيل ويحك قم فهينم ✽ لعل الله يصبحنا غماما

فيسقى أرض عاد ان عادا ✽ قد آمسوا لا يبينون الكلاما

فى أبيات ذكرها ✽ والهينمة الكلام الخفى فلما غنتهم الجرادتان ذلك الشعر وسمعه القوم قال بعضهم لبعض يا قوم بعثكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذى نزل بهم فابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد انهم والله لا يسقون بدعائكم ولكن أطيعوا نبيكم فأنتم تسقون وأظهر اسلامه عند ذلك فقال جلهمة بن الخيبرى

زادا فى ايامها أكثر من النصف وكذلك القرى بحيث صارت كل بلدة من القرى القبلية والبحرية مدينة على انفرادها وله ولامرائه مساجد ومدارس وتكايا مشهورة وحضر فى أوائل دولته القان غازان بجنود التتار فخرج اليهم بعساكر مصر وهزمهم مرتين وبعض مناقبه تحتاج الى طول ونحن لانذكر الا لمعا فمن أراد الاطلاع عليها فعليه بالمطولات وفى السيرة الناصرية مؤلف مخصوص مجلدان ضخمان ينقل عنه المؤرخون ولم نره ومما قيل فيه شعر من قصيدة طويلة للصفى الحلى

الناصر السلطان من خضعت له ✽ كل الملوك مشارقا ومغاربا

ملك يرى تعب المكارم راحة ✽ ويعد راحات الفراغ متاعبا

بمكارم تذر السباسب أبحرا ✽ وعزائم تدع البحار سباسبا

لم تخل أرض من سناه وان خلت ✽ من ذكره ملئت قنا وقواضبا

ترجى مكارمه ويخشى بطشه ✽ مثل الزمان مسالما ومحاربا

فاذا سطا ملأ القلوب مهابة ✽ واذا سخا ملأ العيون مواهبا

كالغيث يبعث من عطاه وابلا ✽ سبطا ويرسل من سناه حاصبا

كالليث يحمى غابه بزئيره ✽ طورا وينشب فى القنيص مخالبا

كالسيف يبدى للنواظر منظرا ✽ طلقا ويمضى فى الهياج مضاربا

كالسيل تحمد منه عذبا واصلا ✽ ويعده قوم عذابا واصبا

كالبحر يهدى للنفوس نفائسا ✽ منه ويبدى للعيون عجائبا

فاذا نظرت ندى يديه ورأيه ✽ لم تلف الا صيبا أو صائبا ✽ ابقى قلاوون الفخار لولده ✽ ارثا وفازوا بالثناء مكاسبا

قوم اذا سئموا الصوافن صيروا ✽ للمجد أخطار الامور مراكبا ✽ عشقوا الحروب تيمنا بلقا العدا ✽ فكأنهم حسبوا العداة حبائبا

خال معاوية لمعاوية بن بكراحبس عنا مرثد بن سعد وخرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد فدعوا الله تعالى لقومهم واستسقوا فأنشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ونادى مناد منها يا قيل اختر لنفسك وقومك فقال قد اخترت السحابة السوداء فانها اكثرماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لاتبقى من عاد أحدا لا ولدا تترك ولا والدا الا جعلته همدا الابنى اللوذية المهدى وبنو اللوذية بنو لقيم بن هزال كانوا بمكة عند خالهم معاوية بن بكر وساق الله السحابة السوداء بما فيها من العذاب الى عاد فخرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها أى كل شئ أمرت به وكان اول من رأى ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها فهدد فلما رأت ما فيها صاحت وصعقت فلما أفاقت قالوا ماذا رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فلما خرجت الريح من الوادى قال شعبة رهط من الخلجان تعالوا حتى نقوم على شفير الوادى فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله فتدق عنقه وبقى الخلجان فمال الى الجبل وقال

لم يبق الا الخلجان نفسه * يالك من يوم دهانى أمسه

بثابت الوطء شديد وطسه * لولم يجئنى جئته أجسه

فقال له هود أسلم تسلم فقال ومالى قال الجنة فقال فما هؤلاء الذين فى السحاب كأنهم البخت قال الملائكة قال أيعيذنى ربك منهم ان اسلمت قال هل رأيت ملكا لا يعيذ من جنده فقال لو فعل ما رضيت ثم جاءت الريح وألحقته بأصحابه وسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما كما قال تعالى * والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحدا الا اهلك واعتزل هود والمؤمنون فى حظيرة لم يصبه ومن معه الا ما يلين الجلود وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعاد وفد عاد الى معاوية بن بكر فنزلوا عليه فأتاهم رجل على ناقة فأخبرهم بمصاب عاد وسلامة هود فقال وكان قد قيل للقمان ابن عاد اختر لنفسك الا انه لا سبيل الى الخلود فقال يا رب أعطنى عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة أنسر فعمر فيما يزعمون عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ الذكر حين يخرج من بيضته حتى اذا مات أخذ غيره وكان يعيش كل نسر ثمانين سنة فلما مات السابع مات لقمان معه وكان السابع يسمى لبدا فقال وكان عمره ومائة وخمسين سنة وقبره بحضرموت وقيل بالحجر من مكة فلما هلكوا ارسل الله طيرا أسود فنقلتهم الى البحر فذلك قوله تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فذلك قوله أهلكوا بريح صرصر عاتية وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم البيت على من فيه وامام ودفهم ولد ثمود بن جاثر بن ارم بن سام وكانت مساكن ثمود بالحجر بين الحجاز والشام وكانوا بعد عاد قد كثروا وكفروا وعتوا

وكأنما طلوا السيوف سوالفا * والذين قدوا القسى حواجبا * يا ايها الملك العزيز ومن له * شرف يجر على النجوم ذوائبا
اصلحت بين المسلمين بهمة * تدر الاجانب ٣٨ بالوداد اقاربا * ووهبتهم زمن الامان فمن رأى * ملكا يكون له الزمان مواهبا
الى آخرها وهذا ما حضرنى منها * ومن احسن ما قيل فى مراثيه هذان البيتان

قلت لبدر الافق لما بدا
ووجهه منكسف باسر
مالك لا تسفر عن بهجة
فقال مات الملك الناصر

ولاصفى الحلى فيه مرثية وائية بليغة نحو ستين بيتا * ولما مات دفن على والده بالقبة المنصورية بين القصرين * وتولى من اولاده واولاد اولاده اثناعشر سلطانا * منهم السلطان حسن صاحب الجامع بسوق الخيل بالرميلة ومن شاهده عرف علو همته بين الملوك وهو الذى الف باسمه الشيخ ابن ابى حجلة التلمسانى كتبه العشرة التى منها ديوان الصبابة والسكردان وطوق الحمامة وحاطب ليل وقرع سن * وديك الجن وغير ذلك * ومنهم الملك الاشرف شعبان بن حسين ابن الملك الناصر محمد وهو الذى امر الاشراف بوضع العلامة الخضراء فى عمائمهم وفى ذلك يقول بعضهم

جعلوا لابناء النبى علامة
ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم
يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

* وفى ايام الاشرف هذا قدمت الافرنج الى الاسكندرية على حين غفلة ونهبوا اموالها واسروا نساءها * ووصل الخبر الى مصر فتجهز الاشرف وسار بعساكره فوجدهم قد ارتحلوا فبعث

فبعث الله اليهم صالح بن عبيد بن أسف بن ماشج بن عبيد بن جادر بن ثمود وقيل اسف بن كماشج بن أروم بن ثمود يدعوهم الى توحيد الله تعالى وافراده بالعبادة فقالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا وكان الله قد أطال أعمارهم حتى ان كان أحدهم يبنى البيت من المدر فينهدم وهو حى فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فارهين فنحتوها وكانوا فى سعة من معايشهم ولم يزل صالح يدعوهم فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم بالدعاء والتحذير والتخويف سألوه فقالوا يا صالح أخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم فارنا آية فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال نعم فخرجوا بأصنامهم وصالح معهم فدعوا أصنامهم ان لا يستجاب لصالح ما يدعو به وقال له سيد قومه يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة ناقة جوفاء عشراء فان فعلت ذلك صدقناك فأخذ عليهم المواثيق بذلك وأتى الصخرة وصلى ودعا ربه عز وجل فاذا هى تتمخض كما تتمخض الحامل ثم انفجرت وخرجت من وسطها الناقة كما طلبوا وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها فى العظم فآمن به سيد قومه واسمه جندع بن عمرو ورهط من قومه فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه الناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ومتى عقرتموها أهلككم الله فكان شربها يوما وشربهم يوما معلوما فاذا كان يوم شربها خلوا بينها وبين الماء وحلبوا لبنها وملؤا كل وعاء واناء واذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء فلم تشرب منه شيأ وتزودوا من الماء للغد فأوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل قال الا تعقروها أنتم يوشك ان يولد فيكم مولود يعقرها قالوا وما علامته فوالله لا نجده الا قتلناه قال فانه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر قال فكان فى المدينة شيخان عزيزان منيعان لاحدهما ابن رغب له عن المناكح وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤا فزوج أحدهما ابنه بابنة الآخر فولد بينهما المولود فلما قال لهم صالح انما يعقرها مولود فيكم اختاروا قوابل من القرية وجعلوا معهن شرطا يطوفون فى القرية فاذا وجدوا امرأة تلد نظروا ولدها ما هو فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن هذا الذى يريد نبى الله صالح فأراد الشرط ان يأخذوه فحال جداه بينهم وبينه وقالوا لو أراد صالح هذا لقتلناه فكان شر مولود وكان يشب فى اليوم شباب غيره فى الجمعة فاجتمع تسعة رهط منهم يفسدون فى الارض ولا يصلحون كانوا قتلوا أبناءهم حين ولدوا خوفا ان يكون عاقر الناقة منهم ثم ندموا فاقسموا ليقتلن صالحا وأهله وقالوا نخرج فترى الناس أننا نريد السفر فنأتى الغار الذى على طريق صالح فنكون فيه فاذا جاء الليل وخرج صالح الى مسجده قتلناه ثم رجعنا الى الغار ثم انصرفنا الى رحالنا وقلنا ما شهدنا قتله فيصدقنا قومه وكان صالح لا يبيت معهم كان يخرج الى مسجد له يعرف بمسجد صالح فيبيت فيه فلما دخلوا الغار سقطت عليهم صخرة فقتلتهم فانطلق رجال ممن

منها وتركوها ولهذه الواقعة تاريخ اطلعت عليه فى مجلدين ويقال ان الفرنساوى الذى يكون فى اذنه قرط امه اصلها من النساء المأسورات فى تلك الواقعة * وفى ايامه كثر عيث المماليك الاجلاب فأمر باخراجهم من مصر فتجمعوا وعصوا فخار بهم وقاتلهم فانهزموا فقبض على كثير منهم فقتل منهم طائفة وغرق منهم طائفة ونفى منهم طائفة وبقى منهم بمصر طائفة التجؤا الى بعض الامراء وهؤلاء المماليك كانوا من مماليك يلبغا العمرى مملوك السلطان حسن ومنهم صرغتمش واسندمر وآلجاى اليوسفى وهم كثيرون مختلفو الاجناس ومنهم من جنس الجركس فلم يزالوا فى اختلاف ومقت وهياج وحقد للدولة الى أن تحيلوا وتراجعوا وتداخلوا فى الدولة فاستقر أمرهم على ان طائفة منهم سكنوا بالطباق ودخلوا فى مماليك الاسياد أى أولاد السلطان ومنهم من بقى أمير عشرة لا غير ومنهم من انضم الى المماليك السلطانية ومماليك الامراء وكانوا أرذل مذكور فى الاقليم المصرى * فلما عزم الاشرف على الحج وأخذ فى أسباب ذلك انتهزوا عند ذلك الفرصة وكتموا أمرهم ومكروا مكرهم وتواعدوا مع أصحابهم الذين بصحبة السلطان انهم يثيرون الفتنة مع السلطان فى العقبة وكذلك المقيمون بمصر يفعلون فعلهم حتى ينقضوا نظام الدولة ويزيلوا السلطان والامراء * ولما خرج السلطان من مصر خرج فى أبهة عظيمة وتجمل زائد بعد ان رتب الامور واستخلف بمصر وثغورها من يثق به وأخذ بصحبته من لا يظن فيها الخيانة ومنهم جملة

عرف الحال الى الغار فرأوهم هلكى فعادوا يصيحون أن صالحا أمرهم بقتل أولادهم ثم قتلهم وقيل انما كان تقاسم التسعة على قتل صالح بعد عقر الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك ان التسعة الذين عقروا الناقة قالوا تعالوا فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قتله وان كان كاذبا ألحقناه بالناقة فأتوه ليلا في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فهلكوا فأتى أصحابهم فرأوهم هلكى فقالوا لصالح أنت قتلتهم وأرادوا قتله فمنعهم عشيرته وقالوا انه قد انذركم العذاب فان كان صادقا فلا تزيدوا ربكم غضبا وان كان كاذبا فنحن نسلمه اليكم فعادوا عنه فعلى القول الاول يكون التسعة الذين تقاسموا غير الذين عقروا الناقة والثاني أصح والله أعلم واما سبب قتل الناقة فقيل ان قدار بن سالف جلس مع نفر يشربون الخمر فلم يقدروا على ماء يمزجون به خمرهم لانه كان يوم شرب الناقة فحرض بعضهم بعضا على قتلها وقيل ان ثمودا كان فيهم امرأتان يقال لاحداهما قطام وللاخرى قبال وكان قدار يهوى قطام ومصدع يهوى قبال ويجتمعان بهما في بعض الليالي فقالتا لقدار ومصدع لا سبيل لكما الينا حتى تقتلا الناقة فقالا نعم وخرجا وجمعا أصحابهما وقصدا الناقة وهي على حوضها فقال الشقي لاحدهم اذهب فاعقرها فأتاها فتعاظمه ذلك فاضرب عنه وبعث آخر فأعظم ذلك وجعل لا يبعث أحدا الا تعاظمه قتلها حتى مشى هو اليها فتطاول فضرب عرقوبها فوقعت تركض وكان قتلها يوم الاربعاء واسمه بلغتهم جبار وكان هلاكهم يوم الاحد وهو عندهم أول فلما قتلت أتى رجل منهم صالحا فقال أدرك الناقة فقد عقروها فأقبل وخرجوا يتلقونه يعتذرون اليه يا نبي الله انما عقرها فلان انه لا ذنب لنا قال انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى الله ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه ولما رأى الفصيل امه تضطرب قصد جبلا يقال له القارة قصيرا فصعده وذهبوا يطلبونه فأوحى الله الى الجبل فطال في السماء حتى ما يناله الطير ودخل صالح القرية ولما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم استقبل صالحا فرغا ثلاثا فقال صالح لكل رغوة أجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وآية العذاب أن وجوهكم تصبح في اليوم الاول مصفرة وتصبح في اليوم الثاني محمرة وتصبح في اليوم الثالث مسودة فلما أصبحوا اذا وجوههم كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فلما أصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة فلما أصبحوا في اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فتكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا أنفسهم الى الارض فجعلوا يقلبون أبصارهم الى السماء والارض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما أصبحوا في اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة فتقطعت قلوبهم في صدورهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين وأهلك الله من كان بين المشارق والمغارب منهم

من الجلبان وأبقى منهم ومن غيرهم بمصر كذلك ولا ينفع الحذر من القدر * فلما خرج السلطان وبعد عن مصر أثاروا الفتنة بعد ان استمالوا طائفة من المماليك السلطانية وفعلوا ما فعلوه ونادوا بموت السلطان وولوا ابنه ووقفوا مستعدين منتظرين فعل أصحابهم الغائبين مع السلطان وثار أيضا أصحابهم على السلطان في العقبة فانهزم بعد أمور طالبا المجيء الى مصر وصحبته الامراء الكبار وبعض مماليك ونهبت الخزينة والحج وذهب البعض الى الشام والبعض الى الحجاز والبعض الى مصر صحبة حريم السلطان وجرى ما هو مسطر في الكتاب من ذبح الامراء واختفاء السلطان وخنقه وتمكن هؤلاء الاجلاب من الدولة ونهبوا بيوت الاموال وذخائر السلطان واقتسموا محاظيه وكذلك الامراء ووصل كل صعلوك منهم لمراتب الملوك وأزالوا عز الدولة القلاوونية وأخذوا لانفسهم الامريات والمناصب وأصبح الذين كانوا بالامس أسفل الناس ملوك الارض يجبى اليهم ثمرات كل شيء * ثم وقعت فيهم حوادث وحروب اسفرت عن ظهور برقوق الجركسي أحد مماليك يلبغا العمري واستقراره أميرا كبيرا وكان غاية في الدهاء والمكر فلم يزل يدبر لنفسه حتى عزل ابن الاشرف وأخذ السلطنة لنفسه وهو أول ملوك الجراكسة بمصر وبالاشرف شعبان هذا وأولاده زالت دولة القلاوونية وظهرت دولة الجراكسة * أولهم برقوق وبعده ابنه فرج واستمر الملك فيهم وفي أولادهم الى الاشرف قانصوه الغوري وابتداء دولتهم سنة أربع وثمانين وسبعمائة وانقضاؤها سنة

الا

الا رجلا كان فى الحرم فنعه الحرم قيل ومن هو قيل أبو رغال وهو أبو ثقيف فى قول ولما سار النبى صلى الله عليه وسلم أتى على قرية ثمود فقال لاصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها وأراهم مرتقى الفصيل فى الجبل وأراهم الفج الذى كانت الناقة ترد منه الماء وأما صالح عليه السلام فانه سار الى الشأم فنزل فلسطين ثم انتقل الى مكة فأقام بها يعبد الله حتى مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة وكان قد أقام فى قومه يدعوهم عشرين سنة وأما أهل التوراة فانهم يزعمون انه لا ذكر لعاد وهود وثمود وصالح فى التوراة قال وأمرهم عند العرب فى الجاهلية والاسلام كشهرة ابراهيم الخليل عليه السلام (قلت) وليس انكارهم ذلك باعجب من انكارهم نبوة ابراهيم الخليل ورسالته وكذلك انكارهم حال المسيح عليه السلام

(ذكر ابراهيم الخليل عليه السلام ومن كان فى عصره من ملوك العجم)

وهو ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام واختلف فى الموضع الذى كان فيه والموضع الذى ولد فيه فقيل ولد بالسوس من أرض الاهواز وقيل ولد ببابل وقيل بكوثى وقيل بحران ولكن أباه نقله قال عامة أهل العلم كان مولده فى عهد نمروذ بن كوش ويقول عامة أهل الاخبار ان نمروذ كان عاملا للازدهاق الذى زعم بعض من زعم ان نوحا أرسل اليه وأما جماعة من سلف من العلماء فانهم يقولون كان ملكا برأسه قال ابن اسحق وكان ملكه قد احاط بمشارق الارض ومغاربها وكان ببابل قال ويقال لم يجتمع ملك الارض الا لثلاثة ملوك نمروذ وذى القرنين وسليمان بن داود وأضاف غيره اليهم بختنصر وسنذكر بطلان هذا القول فلما اراد الله ان يبعث ابراهيم حجة على خلقه ورسولا الى عباده ولم يكن فيما بينه وبين نوح نبى الا هود وصالح فلما تقارب زمان ابراهيم اتى اصحاب النجوم نمروذ فقالوا له انا نجد غلاما يولد فى قريتك هذه يقال له ابراهيم يفارق دينكم ويكسر اصنامكم فى شهر كذا من سنة كذا فلما دخلت السنة التى ذكروا حبس نمروذ الحبالى عنده الا أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانه لم يظهر عليها اثره فذبح كل غلام ولد فى ذلك الوقت فلما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبة منها فولدت ابراهيم واصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة ثم رجعت الى بيتها راجعة ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل فكان يشب فى اليوم ما يشب غيره فى الشهر وكانت تجده حيا يمص ابهامه يجعل الله رزقه فيها وكان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وقيل بل علم آزر بولادة ابراهيم وكتمه حتى نسى الملك ذكر ذلك فقال آزر ان لى ابنا قد خبأته أفتخافون عليه الملك ان انا جئت به فقالوا لا فانطلق فاخرجه من السرب فلما نظر الى الدواب والى الخلق ولم يكن رأى قبل ذلك غير أبيه وأمه فجعل يسأل اباه عما يراه فيقول ابوه هذا بعير أو بقرة او غير ذلك

ثلاث وعشرين وتسعمائة فتكون مدة دولتهم مائة سنة وتسعة وثلاثين سنة * وسبب انقضائها فتنة السلطان سليم شاه ابن عثمان وقدومه الى الديار المصرية فخرج اليه سلطان مصر قانصوه الغورى فلاقاه عند مرج دابق بحلب وخامر عليه أمراؤه خيربك والغزالى فخذلوه وفقد ولم يزل حتى تملك السلطان سليم الديار المصرية والبلاد الشامية وأقام خيربك نائبا بها كما هو مسطر ومفصل فى تواريخ المتأخرين مثل مرج الزهور لابن اياس وتاريخ القرمانى وابن زنبل وغيرهم * وعادت مصر الى النيابة كما كانت فى صدر الاسلام ولما خلص له أمر مصر عفا عمن بقى من الجراكسة وابنائهم ولم يتعرض لاوقاف السلاطين المصرية بل قرر مرتبات الاوقاف والخيرات والعلوفات وغلال الحرمين والانبار ورتبه للايتام والمشايخ والمتقاعدين ومصارف القلاع والمرابطين وأبطل المظالم والمكوس والمغارم ثم رجع الى بلاده وأخذ معه الخليفة العباسى وانقطعت الخلافة والمبايعة وأخذ صحبته ما انتقاه من أرباب الصنائع التى لم توجد فى بلاده بحيث انه فقد من مصر نيف وخمسون صنعة * ولما توفى تولى بعده ابنه الغازى السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان فاسس القواعد وتمم المقاصد ونظم الممالك وآثار الحوالك ورفع منار ٦ يخ مل ل الدين وأخمد نيران الكافرين وسيرته الجميلة أغنت عن التعريف وتراجمه مشحونة بها التصانيف ولم تزل البلاد منتظمة فى سلكهم ومنقادة تحت حكمهم من ذلك الاوان الذى استولوا عليها فيه الى

فقال ماهؤلاء الخلق بد من ان يكون لهم رب وكان خروجه بعد غروب الشمس فرفع رأسه الى السماء فاذا هو بالكوكب وهو المشترى فقال هذا ربى فلم يلبث أن غاب فقال لا احب الآفلين وكان خروجه فى آخر الشهر فلهذا رأى الكوكب قبل القمر وقيل كان تفكر وعمره خمسة عشر شهرا وقال لامه وهو فى المغارة اخرجينى انظر فأخرجته عشاء فنظر فرأى الكوكب وتفكر فى خلق السموات والارض وقال فى الكوكب ما تقدم فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما غاب قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين فلما جاء النهار وطلعت الشمس رأى نورا اعظم من كل ما رأى فقال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون ثم رجع ابراهيم الى ابيه وقد عرف ربه وبرئ من دين قومه الا انه لم ينادهم بذلك فاخبرته امه بما كانت صنعت من كتمان حاله فسره ذلك وكان آزر يصنع الاصنام التى يعبدونها ويعطيها ابراهيم ليبيعها فكان ابراهيم يقول من يشترى ما لا يضره ولا ينفعه فلا يشتريها منه احد وكان يأخذها وينطلق بها الى نهر فيصوب رؤسها فيه ويقول اشربى استهزاء بقومه حتى فشا ذلك عنه فى قومه غيرانه لم يبلغ خبره نمرود فلما بدا لابراهيم ان يدعو قومه الى ترك ما هم عليه ويأمرهم بعبادة الله تعالى دعا اباه الى التوحيد فلم يجبه ودعا قومه فقالوا من تعبد انت قال رب العالمين قالوا نمرود قال بل أعبد الذى خلقنى فظهر امره وبلغ نمرود أن ابراهيم اراد ان يرى قومه ضعف الاصنام التى يعبدونها ليلزمهم الحجة فجعل يتوقع فرصة يتمكن بها ليفعل باصنامهم ذلك فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم اى طعين ليهربوا منه اذا سمعوا به وانما يريد ابراهيم ان يخرجوا عنه ليبلغ من اصنامهم وكان لهم عيد يخرجون اليه جميعهم فلما خرجوا قال هذه المقالة فلم يخرج معهم الى العيد وخالف الى أصنامهم وهو يقول تالله لاكيدن أصنامكم فسمعه ضعفاء الناس ومن هو فى آخرهم ورجع الى الاصنام وهى فى بهو عظيم بعضها الى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدى آلهتهم وقالوا نترك الآلهة الى حين نرجع فتأكله فلما نظر ابراهيم الى ما بين أيديهم من الطعام قال ألا تأكلون فلما لم يجبه أحد قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فكسرها بفأس فى يده حتى اذا بقى أعظم صنم منها ربط الفأس بيده ثم تركهن فلما رجع قومه ورأوا ما فعل باصنامهم راعهم ذلك واعظموه وقالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم يعنون يسبها ويعيبها ولم نسمع ذلك من غيره وهو الذى نظنه صنع بها هذا وبلغ ذلك نمرود واشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ما نفعل به وقيل يشهدون عليه كرهوا ان يأخذوه بغير بينة فلما أتى به واجتمع له قومه عند ملكهم نمرود وقالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون غضب من ان تعبدوا هذه الصغار وهو

هذا الوقت الذى نحن فيه وولاة مصر نوابهم وحكامها أمراؤهم وكانوا فى صدر دولتهم من خير من تقلد أمور الامة بعد الخلفاء المهديين وأشد من ذب عن الدين وأعظم من جاهد فى المشركين فلذلك اتسعت ممالكهم بما فتحه الله على أيديهم وأيدى نوابهم وملكوا أحسن المعمور من الارض ودانت لهم الممالك فى الطول والعرض هذا مع عدم اغفالهم الامور وحفظ النواحى والثغور واقامة الشعائر الاسلامية والسنن المحمدية وتعظيم العلماء وأهل الدين وخدمة الحرمين الشريفين والتمسك فى الاحكام والوقائع بالقوانين والشرائع فتحصنت دولتهم وطالت مدتهم وهابتهم الملوك وانقاد لهم الممالك والملوك * ومما يحسن ايراده هنا ما حكاه الاسحاقى فى تاريخه انه لما تولى السلطان سليم ابن السلطان سليمان المذكور كان لوالده مصاحب يدعى شمسى باشا العجمى ولا يخفى ما بين آل عثمان والعجم من العداوة المحكمة الاساس فأقر السلطان سليم شمسى باشا العجمى مصاحبا على ما كان عليه أيام والده وكان شمسى باشا المذكور له مداخل عجيبة وحيل غريبة يلقيها فى قالب مرضى ومصاحبة يسحر بها العقول فقصد أن يدخل شيأ منكرا يكون سببا لخلخلة دولة آل عثمان وهو قبول الرشا من أرباب الولاة والعمال فلما تمكن من مصاحبة السلطان قال له على سبيل العرض عبدكم فلان المعزول من منصب كذا وليس بيده منصب الآن فصده من فيض انعامكم عليه المنصب الفلانى ويدفع الى

اكبر

الخزينة كذا وكذا فلما سمع السلطان سليم ما أبداه شمسي باشا علم انها مكيدة منه وقصده ادخال السوء بيت آل عثمان فتغير مزاجه وقال له يا رافضي تريد أن تدخل الرشوة بيت السلطنة حتى يكون ذلك سببا لازالتها وأمر بقتله فتلاطف به

أكبرهم فكسرها فارعووا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسرها الى أنفسهم فيما بينهم فقالوا لقد ظلمناه وما نراه الا كما قال ثم قالوا وعرفوا انها لا تضر ولا تنفع ولا تبطش لقد علمت ما هؤلاء ينطقون أي لا يتكلمون فيخبرونا من صنع هذا بها وما تبطش بالايدي فنصدقك يقول الله تعالى ثم نكسوا على رؤسهم في الحجة عليهم لابراهيم فقال لهم ابراهيم عند قولهم ما هؤلاء ينطقون أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ثم ان نمروذ قال لابراهيم أرأيت الهك الذي تعبدون وتدعوا الى عبادته ما هو قال ربي الذي يحيي ويميت قال نمروذ أنا أحيي وأميت قال ابراهيم وكيف ذلك قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فاقتل أحدهما فأكون قد أمته وأعفو عن الآخر فأكون قد أحييته فقال ابراهيم ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيئا ثم انه وأصحابه اجمعوا على قتل ابراهيم فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم قال عبد الله بن عمر أشار بتحريقه رجل من اعراب فارس قيل له وللفرس اعراب قال نعم الاكراد هم اعرابهم قيل كان اسمه هيزن فخسف به فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة فأمر نمروذ بجمع الحطب من أصناف الخشب حتى ان كانت المرأة لتنذر بأن بلغت ما تطلب أن تحتطب لنار ابراهيم حتى اذا أرادوا أن يلقوه فيها قدموه واشعلوا النار حتى ان كانت الطير لتمر بها فتحترق من شدتها وحرها فلما أجمعوا لقذفه فيها صاحت السماء والارض وما فيها الا الثقلين الى الله صيحة واحدة أي ربنا ابراهيم ليس في أرضك من يعبدك غيره يحرق بالنار فيك فأذن لنا في نصره فقال الله تعالى ان استغاث بشيء منكم فلينصره وان لم يدع غيري فأنا له فلما رفعوه على رأس البنيان رفع رأسه الى السماء وقال اللهم أنت الواحد في السماء وأنت الواحد في الارض حسبي الله ونعم الوكيل وعرض له جبريل وهو يوثق فقال ألك حاجة يا ابراهيم قال أما اليك فلا فقذفوه في النار فناداها الله فقال يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وقيل ناداها جبريل فلو لم يتبع بردها سلاما لمات ابراهيم من شدة بردها فلم يبق يومئذ نار الا طفئت ظنت انها هي وبعث الله ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد فيها الى جنبه يؤنسه فمكث نمروذ اياما لا يشك ان النار قد أكلت ابراهيم فرأى كأنه نظر فيها وهي يحرق بعضها بعضا وابراهيم جالس الى جنبه رجل مثله فقال لقومه لقد رأيت كأن ابراهيم حي ولقد شبه علي ابنوا لي صرحا يشرف بي على النار فبنوا له وأشرف منه فرأى ابراهيم جالسا والى جانبه رجل في صورته فناداه نمروذ يا ابراهيم ان الهك كبير الذي بلغت قدرته وعزته أن حال بينك وبين ما أرى هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال أتخشى ان أقمت فيها قال لا فقام ابراهيم فخرج منها فلما خرج قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رأيت معك مثلك في صورتك قال ذلك ملك الظل أرسله الي ربي ليؤنسني قال نمروذ اني متقرب الى الهك قربانا لما رأيت من

وقال له يا بادشاه لا تعجل هذه وصية والدك لي فانه قال لي ان السلطان سليم صغير السن وربما يكون عنده ميل للدنيا فاعرض عليه هذا الامر فان جنح اليه فامنعه بلطف فان امتنع فقل له هذه وصية والدك فدم عليها ودعا له بالثبات وخلص من القتل * فانظر يا أخي وتأمل فيما تضمنته هذه الحكاية من المعاني وأقول بعد ذلك يضيق صدري ولا ينطلق لساني ولسان الحال مجهول حتى يفصح عنه اللسان بالقول وقد أخرسني العجز أن أفصح فما أفغير الله ابتغي حكما * وكانوا اقدموا على صحة فقد داخلتهم حروف العلل وفي أثناء الدولة العثمانية ونوابهم وأمرائهم المصرية ظهر في عسكر مصر سنة جاهلية وبدعة شيطانية زرعت فيهم النفاق وأسست فيما بينهم الشقاق ووافقوا فيه أهل الحرف الاثنام في قولهم سعد وحرام وهو ان الجند بأجمعهم اقتسموا قسمين واحتزبوا بأسرهم حزبين فرقة يقال لها قاسمية وأخرى تدعى فقارية ولذلك أصل مذكور وفي بعض سير المتأخرين مسطور لا بأس بايراده في المسامرة تتميما للغرض في مناسبة المذاكرة * وهو ان السلطان سليم شاه لما انتزع ملك الديار المصرية من يد مناه وقتل من قتل من الجراكسة وساهم في سوق المواكسة قال يوما لبعض جلسائه وخاصته

قدرته وعزته وما صنع بك حين أبيت الا عبادته فقال ابراهيم اذا لا يقبل الله منك ما كنت على شيء من دينك فقال يا ابراهيم لا أستطيع ترك ملكي وقرب أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم ومنعه الله منه وآمن مع ابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوف من نمروذ وملئهم وآمن له لوط بن هاران وهو بن أخي ابراهيم وكان لهم أخ ثالث يقال له ناخور بن تارح وهو أبو بتويل وبتويل أبو لابان وأبو ربقا امرأة اسحق ابن ابراهيم أم يعقوب ولابان أبو ليا وراحيل زوجتي يعقوب وآمنت به سارة وهي ابنة عمه وهي سارة ابنة هاران الاكبر عم ابراهيم وقيل كانت ابنة ملك حران فآمنت بالله تعالى مع ابراهيم

(ذكر هجرة ابراهيم عليه السلام ومن آمن معه)

ثم ان ابراهيم والذين اتبعوا أمره اجمعوا على فراق قومهم فخرج مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق ابن لاوذ بن سام بن نوح وقيل كان أخا الضحاك استعمله على مصر وكانت سارة من أحسن النساء وجها وكانت لا تعصي ابراهيم شيأ فلما وصفت لفرعون أرسل الى ابراهيم فقال من هذه التي معك قال أختي يعني في الاسلام وتخوف ان قال هي امرأتي أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الي فأمر بذلك ابراهيم فتزينت وأرسلها اليه فلما دخلت عليه أهوى بيده اليها وكان ابراهيم حين أرسلها قام يصلي فلما أهوى اليها أخذ أخذا شديدا فقال ادعي الله ولا أضرك فدعت له فأرسل فأهوى اليها فأخذ أخذا شديدا فقال ادعي الله ولا أضرك فدعت له فأرسل ثم فعل ذلك الثالثة فذكر مثل المرتين فدعا أدنى حجابه فقال انك لم تأتني بانسان وانك أتيتني بشيطان أخرجها وأعطها هاجر ففعل فاقبلت بهاجر فلما احس ابراهيم بها انفتل من صلاته فقال مهيم فقالت كفى الله كيد الكافر وأخدم هاجر وكان أبو هريرة يقول تلك أمكم يا بني ماء السماء وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث مرات اثنتين في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله في سارة هي أختي

(ذكر ولادة اسمعيل عليه السلام وحمله الى مكة)

قيل كانت هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لابراهيم وقالت خذها لعل الله يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت فوقع ابراهيم على هاجر فولدت اسمعيل ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما يعني ولادة هاجر وكان ابراهيم قد خرج بها الى الشام من مصر خوفا من فرعون فنزل السبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع

واصدقائه ياهل ترى هل بقي أحد من الجراكسة تراه وسؤال من جنس ذلك ومعناه فقال له خبير ملك نعم أيها الملك العظيم هنا رجل قديم يسمى سودون الامير ٤٤ طاعن في السن كبير رزقه الله تعالى بولدين شهمين بطلين لا يضاهيهما أحد في الميدان ولا يناظرهما فارس من الفرسان فلما حصلت هذه القضية تنحى عن المقارشة بالكلية وحبس ولديه بالدار وسد أبوابه بالاحجار وخالف العادة واعتكف على العبادة وهو الى الآن مستمر على حالته مقيم في بيته وراحته فقال السلطان هذا والله رجل عاقل خبير كامل ينبغي لنا ان نذهب لزيارته ونقتبس من بركته واشارته قوموا بنا جملة نذهب اليه على غفلة لكي أتحقق المقال وأشاهده على أي حالة هو من الاحوال ثم ركب في الحال ببعض الرجال الى أن توصل اليه ودخل عليه فوجده جالسا على مصطبة الايوان وبين يديه المصحف وهو يقرأ القرآن وعنده خدم واتباع وعبيد ومماليك انواع فعندما عرف انه السلطان بادر لمقابلته بغير توان وسلم عليه ومثل بين يديه فأمره بالجلوس ولاطفه بالكلام المانوس الى أن اطمأن خاطره وسكنت ضمائره فسأله عن سبب عزلته وانجماعه عن خلطته بعشيرته فاجابه انه لما راى في دولتهم اختلال الامور وترادف الظلم والجور وان سلطانهم مستقل برأيه فلم يصغ الى وزير ولا عاقل مشير واقصى كبار مسيرة دولته وقتل أكثرهم عما أمكنه من سياسته وقلد مماليكه الصغار مناصب الامراء الكبار ورخص لهم فيما يفعلون

وتركهم وما يفترون فسعوا بالفساد وظلموا العباد وتعدوا على الرعية حتى في المواريث الشرعية فانحرفت عنه القلوب وابتهلوا الى علام الغيوب فعلمت ان أمره في ادبار ولا بد لدولته من الدمار فتنحيت عن حال الغرور وتباعدت عن نار الشرور ومنعت ولدي من التداخل في الاهوال وحبستهما عن مباشرة القتال خوفا عليهما لما اعلمه فيهما من الاقدام فيصيبهما كغيرهما من البلاء العام فان عموم البلاء منصوص واتقاء الفتن بالرحمة مخصوص ثم أحضر ولديه المشار اليهما وأخرجهما من محبسهما فنظر اليهما السلطان فرأى فيهما مخايل الفرسان الشجعان وخاطبهما فأجاباه بعبارة رقيقة وألفاظ رشيقة ولم يتلعثما في كل ما سألهما فيه ولم يتعديا في الجواب فصل التشبيه والتنبيه ثم احضروا ما يناسب المقام من موائد الطعام فأكل وشرب ولذ وطاب وحصل له مزيد الانشراح وكمال الارتياح وقدم الامير سودون الى السلطان تقادم وهدايا وتفضل عليه الخان ايضا بالانعام والعطايا وامر بالتوقيع لهم حسب مطالبهم ورفع درجة منازلهم ومراتبهم ولما فرغ من تكرمه واحسانه ركب عائدا الى مكانه واصبح ثاني يوم ركب السلطان مع القوم وخرج الى الخلا بجم من الملا وجلس ببعض القصور ونبه على جميع اصناف العساكر بالحضور فلم يتأخر منهم أمير ولا كبير ولا صغير فطلب الامير سودون وولديه فحضروا بين يديه فقال لهم أتدرون لم طلبتكم وفي هذا المكان جمعتكم فقالوا لا يعلم ما في القلوب

مسيرة يوم وليلة فبعثه الله نبيا وكان ابراهيم قد اتخذ بالسبع بئرا ومسجدا وكان ماء البئر معينا طاهرا فآذاه اهل السبع فانتقل عنهم فنضب الماء فاتبعوه يسألونه العود اليهم فلم يفعل وأعطاهم سبعة اعنز وقال اذا أوردتموها الماء ظهر حتى يكون معينا طاهرا فاشربوا منه ولا تغترف منه امرأة حائض فخرجوا بالاعنز فلما وقفت على الماء ظهر اليها وكانوا يشربون منه الى أن غرفت منه امرأة طامث فعاد الماء الى الذي هو عليه اليوم وأقام ابراهيم بين الرملة وايليا ببلد يقال له قط أو قط قال فلما ولد اسمعيل حزنت سارة حزنا شديدا فوهبها الله اسحق وعمرها سبعون سنة وعمر ابراهيم مائة وعشرون سنة فلما كبر اسمعيل واسحق اختصما فغضبت سارة على هاجر فاخرجتها ثم اعادتها فغارت منها فاخرجتها وحلفت لتقطعن منها بضعة فتركت أنفها وأذنها لئلا تشينها ثم خفضتها فمن ثم خفض النساء وقيل كان اسمعيل صغيرا وانما أخرجتها سارة غيرة منها وهو الصحيح وقالت سارة لا تساكنني في بلد فاوحى الله الى ابراهيم أن يأتي مكة وليس بها يومئذ نبت فجاء ابراهيم باسمعيل وأمه هاجر فوضعهما بمكة بموضع زمزم فلما مضى نادته هاجر يا ابراهيم من أمرك أن تتركنا بارض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا زاد ولا أنيس قال ربي أمرني قالت فانه لن يضيعنا فلما ولى قال ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن يعني من الحزن وقال ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم الآية فلما ظمئ اسمعيل جعل يدحص الارض برجله فانطلقت هاجر حتى صعدت الصفا لتنظر هل ترى شيأ فلم تر شيأ فانحدرت الى الوادي فسعت حتى أتت المروة فاستشرفت هل ترى شيأ فلم تر شيأ ففعلت ذلك سبع مرار فذلك اصل السعي ثم جاءت الى اسمعيل وهو يدحص الارض بقدميه وقد نبعت العين وهي زمزم فجعلت تفحص الارض بيدها عن الماء وكلما اجتمع أخذته وجعلته في سقائها قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحمها الله لو تركتها لكانت عينا سائحة وكانت جرهم بواد قريب من مكة ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادي قالوا ما لزمته الا وفيه ماء فجاؤا الى هاجر فقالوا لو شئت لكنا معك فآنسناك والماء ماؤك قالت نعم فكانوا معها حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم فتعلم العربية منهم هو وأولاده فهم العرب المتعربة واستأذن ابراهيم سارة أن يأتي هاجر فاذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس هنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع قال ابراهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندي ضيافة وما عندي أحد فقال ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه وعاد ابراهيم وجاء اسمعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل عندك أحد قالت جاءني شيخ كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال

لك قالت قال اقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم ماشاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة ان يزور اسمعيل فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فجاء ابراهيم حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب ليتصيد وهو يجيء الآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله فقال لها هل عندك ضيافة قالت نعم قال فهل عندك خبز أو بر أو شعير أو تمر قال فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بخبز أو تمر أو بر أو شعير لكانت أكثر أرض الله من ذلك فقالت انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام بالاناء فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولت المقام الى شقه الايسر ففعلت به كذلك فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه عني السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح ابيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدمه وهو يقرؤك السلام ويقول قد استقامت عتبة بابك قال ذلك ابراهيم وقيل ان الذي انبع الماء جبرئيل فانه نزل الى هاجر وهي تسعى في الوادي فسمعت حسه فقالت قد اسمعتني فاغثني فقد هلكت أنا ومن معي فجاء بها الى موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت عينا فتعجب فجعلت تفرغ في شنها فقال لها لا تخافي الظما

(ذكر عمارة البيت الحرام بمكة)

قيل ثم أمر الله ابراهيم ببناء البيت الحرام فضاق بذلك ذرعا فارسل الله السكينة وهي ريح خجوج وهي الانيسة الهبوب لها رأسان فسار معها ابراهيم حتى انتهت الى موضع البيت فتطوت عليه كتطوي الحية فأمر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فبنى ابراهيم وقيل أرسل الله مثل الغمامة له رأس فكلمه وقال يا ابراهيم ابن على ظلي أو على قدري لا تزد ولا تنقص فبنى وهذان القولان نقلا عن علي وقال السدي الذي دله على موضع البيت جبريل فسار ابراهيم الى مكة فلما وصلها وجد اسمعيل يصلح نبلا له وراء زمزم فقال له يا اسمعيل ان الله قد امرني ان أبني له بيتا قال اسمعيل فاطع ربك فقال ابراهيم قد امرك ان تعينني على بنائه قال اذن أفعل فقام معه فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة ثم قال ابراهيم لاسمعيل ائتني بحجر حسن اضعه على الركن فيكون للناس علما فناداه أبو قبيس ان لك عندي وديعة وقيل بل جبريل أخبره بالحجر الاسود فأخذه ووضعه موضعه وكانا كلما بنيا دعوا الله ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر وهو مقام ابراهيم فجعل يناوله فلما فرغ من بناء البيت أمره الله ان يؤذن في الناس بالحج فقال ابراهيم يا رب وما يبلغ صوتي قال اذن وعلي البلاغ فنادى ايها الناس ان الله قد كتب

عليكم

الاعلام الغيوب فقال أريد أن يركب قاسم وأخوه ذو الفقار و يتراحا و يتسابقا بالخيل في هذا النهار فامتثلا أمره المطاع لانهما صارا من الجند والاتباع فنزلا وركبا ورمحا ولعبا واظهرا من انواع الفروسية الفنون حتى شخصت فيهما العيون وتعجب منهما الاتراك لانهم ليس لهم في ذلك الوقت ادراك ثم أشار اليهما فنزلا عن فرسيهما وصعدا الى أعلى المكان فخلع عليهما السلطان وقلدهما امارتان ونوه بذكرهما بين الاقران وتقيدا بالركاب وللازمة في الذهاب والاياب ثم خرج في اليوم الثاني وحضر الامراء والعسكر المتوالي فامرهم ان يقتسموا باجمعهم قسمين وينحازوا باسرهم فريقين قسم يكون رئيسهم ذا الفقار والثاني أخوه قاسم الكرار وأضاف الى ذي الفقار أكثر فرسان العثمانيين والى قاسم أكثر الفرسان المصريين وميز الفقارية بلبس الابيض من الثياب وأمر القاسمية ان يتميزوا بالاحمر في الملبس والركاب وأمرهم ان يركبوا في الميدان على هيئة المحاربين وصورة المتنابذين المتخاصمين فاذعنوا بالانقياد وعلوا على ظهور الجياد وساروا بالخيل وانحدروا كالسيل وانعطفوا متسابقين ورجعوا متلاحقين وتطاردوا في النزال واندفعوا كالجبال وساقوا في الفجاج وأثاروا العجاج ولعبوا بالرماح وتقابلوا بالصفاح وارتفعت الاصوات وكثرت الصيحات وزادت الهيازغ وكثرت الزعازع وكاد الخرق يتسع على الراقع وقرب ان يقع القتل والقتال فنودي فيهم عند ذلك بالانفصال عن ذلك

عليكم الحج الى البيت العتيق فسمعه ما بين السماء والارض وما فى اصلاب الرجال وارحام النساء فأجابه من آمن ممن سبق فى علم الله ان يحج الى يوم القيامة فأجيب لبيك لبيك ثم خرج باسمعيل معه الى التروية فنزل به منى ومن معه من المسلمين فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم بات حتى اصبح فصلى بهم الفجر ثم سار الى عرفة فقام بهم هنالك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهم الى الموقف من عرفة الذى يقف عليه الامام فوقف به على الاراك فلما غربت الشمس دفع به ومن معه حتى أتى المزدلفة فجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ثم بات بها ومن معه حتى اذا طلع الفجر صلى الغداة ثم وقف على قزح حتى اذا اسفر دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رمى الجمرة وأراه المنحر ثم نحر وحلق وأراه كيف يطوف ثم عاد به الى منى ليريه كيف رمى الجمار حتى فرغ من الحج وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان جبرئيل هو الذى أرى ابراهيم كيف يحج ورواه عنه ابن عمر ولم يزل البيت على ما بناه ابراهيم عليه السلام الى ان هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد النبى صلى الله عليه وسلم على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر قصة الذبيح)

واختلف السلف من المسلمين فى الذبيح فقال بعضهم هو اسمعيل وقال بعضهم هو اسحق وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما صحيح لم نعده الى غيره فاما الحديث فى أن الذبيح اسحق فقد روى الاحنف عن العباس بن عبد المطلب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث ذكر فيه وفديناه بذبح عظيم هو اسحق وقد روى هذا الحديث عن العباس من قوله لم يرفعه واما الحديث الآخر فى ان الذبيح اسمعيل فقد روى الصنابحى قال كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا الذبيح فقال على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله هد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك صلى الله عليه وسلم فقيل لمعاوية وما الذبيحان فقال ان عبد المطلب نذر ان سهل الله حفر زمزم أن يذبح أحد أولاده فخرج السهم على عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم ففداه بمائة بعير وسنذكره ان شاء الله تعالى والذبيح الثانى اسمعيل

(ذكر من قال انه اسحق)

ذهب عمر بن الخطاب وعلى والعباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله رضى الله عنهم فيما رواه عنه عكرمة وعبد الله بن مسعود وكعب وابن سابط وابن أبى الهذيل ومسروق الى ان الذبيح اسحق عليه السلام حدث عمرو بن أبى سفيان بن أبى أسيد بن أبى جارية الثقفى ان كعبا قال لابى هريرة الا أخبرك عن اسحق بن ابراهيم قال بلى قال كعب لما رأى

اليوم افترق امراء مصر وعساكرها فرقتين واقتسموا بهذه اللعبة حزبين واستمر كل منهم على محبة اللون الذى ظهر فيه وكره اللون الآخر فى كل ما يتقلبون فيه حتى أوانى المتناولات والمأكولات والمشروبات والفقارية يميلون الى نصف سعد والعثمانين* والقاسمية لا يألفون الا نصف حرام والمصريين* وصار فيهم قاعدة لا يتطرقها اختلال ولا يمكن الانحراف عنها بحال من الاحوال ولم يزل الامر يفشو ويزيد ويتوارثه السادة والعبيد حتى تجسم وتنما واهريقت فيه الدما فكم خربت بلاد وقتلت امجاد وهدمت دور واحرقت قصور وسبيت أحرار وقهرت أخيار ولم يلذ ساعة تداور شرا طويلا وقيل غير ذلك وان أصل القاسمية ينسبون الى قاسم بك الدفتردار تابع مصطفى بك والفقارية نسبة الى ذى الفقار بك الكبير وأول ظهور ذلك من سنة خمسين والف والله أعلم بالحقائق *واتفق ان قاسم بك المذكور أنشأ فى بيته قاعة جلوس وتأنق فى تحسينها وعمل فيها ضيافة لذى الفقار بك أمير الحاج المذكور فأتى عنده وتغدى عنده بطائفة قليلة ثم قال له ذو الفقار بك وأنت أيضا تضيفنى فى غد وجمع ذو الفقار مماليكه فى ذلك اليوم وصناجق وامراء واختيارية فى الوجاقات وحضر قاسم بك بعشرة من طائفته واثنين خواصك خلفه والسعاة والسراج فدخل عنده فى البيت وأوصى ذو الفقار ان لا أحد يدخل عليهما الا بطلب الى ان فرشوا السماط وجلس صحبته على السماط فقال قاسم بك حتى يقعد الصناجق والاختيارية فقال ذو الفقار

ابراهيم ذبح اسحق قال الشيطان والله لئن لم افتن عند هذا آل ابراهيم لم افتن أحدا منهم بعد ذلك أبدا فتمثل رجلا يعرفونه فأقبل حتى اذا خرج ابراهيم باسحق ليذبحه دخل على سارة امرأة ابراهيم فقال لها أين أصبح ابراهيم غاديا باسحق قالت لبعض حاجته قال لا والله انما غدا به ليذبحه قالت سارة لم يكن ليذبح ولده قال الشيطان بلى والله لانه زعم ان الله قد أمره بذلك قالت سارة فهذا أحسن ان يطيع ربه ثم خرج الشيطان فأدرك اسحق وهو مع أبيه فقال له ان ابراهيم يريد أن يذبحك قال اسحق ما كان ليفعل قال بلى والله انه زعم أن ربه أمره بذلك قال اسحق فوالله لان أمره ربه بذلك ليطيعنه فتركه ولحق ابراهيم فقال أين أصبحت غاديا بابنك قال لبعض حاجتى قال لا والله انما تريد ذبحه قال ولم قال لانك زعمت أن الله أمرك بذلك قال ابراهيم فوالله ان كان الله أمرنى بذلك لافعلن فلما اخذ ابراهيم اسحق ليذبحه أعفاه الله من ذلك وفداه بذبح عظيم وأوحى الله الى اسحق انى معطيك دعوة أستجيب لك فيها قال اسحق اللهم فأيما عبد لقيك من الاولين والآخرين لا يشرك بك شيأ فادخله الجنة وقال عبيد بن عمير قال موسى يا رب يقولون يا اله ابراهيم واسحق ويعقوب فبم نالوا ذلك قال ان ابراهيم لم يعدل بى شيأ قط الا اختارنى وان اسحق جاد لى بالذبح وهو بغير ذلك أجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادنى حسن ظن بى (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين وجارية بالجيم)

(ذكر من قال ان الذبيح اسمعيل عليه السلام)

روى سعيد بن جبير ويوسف بن مهران والشعبى ومجاهد وعطاء بن أبى رباح كلهم عن ابن عباس انه قال ان الذبيح اسمعيل وقال زعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود وقال أبو الطفيل والشعبى ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظى انه اسمعيل قال الشعبى رأيت قرنى الكبش فى الكعبة قال محمد بن كعب ان الذى أمر الله ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك فى كتاب الله فى قصة الخبر عن ابراهيم وما أمر به من ذبحه ابنه انه اسمعيل وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابنى ابراهيم قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ونقول وبشرناه باسحق نبيا ومن وراء اسحق يعقوب بابن وابن ابن فلم يكن يأمره بذبح اسحق وله فيه من الله عز وجل ما وعده وما الذى أمر بذبحه الا اسمعيل فذكر ذلك محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة فقال ان هذا الشئ ما كنت أنظر فيه وانى لاراه كما قلت

(ذكر السبب الذى من أجله أمر ابراهيم بالذبح وصفة الذبح)

قيل أمر الله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فيما ذكر انه دعا الله ان يهب له ولدا ذكرا صالحا فقال رب هب لى من الصالحين فلما بشرته الملائكة بغلام حليم قال اذن هو لله ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ معه السعى قيل له أوف بنذرك الذى نذرت وهذا على قول من

زعم

اللهم يا أكارون بعدنا هؤلاء جميعهم مما ليكى عندما أموت يترحمون على ويدعون لى وأنت قاعتك تدعو لك بالرحمة لكونك ضيعت المال فى الماء والطين فعند ذلك تنبه قاسم بك وشرع ينشئ اشراقات كذلك وكانت الفقارية موصوفة بالكثرة والكرم والقاسمية بكثرة المال والبخل وكان الذى يتميز به أحد الفريقين من الآخر اذا ركبوا فى الموا كب ان يكون بيرق الفقارى أبيض ومزاريقه برمانة وبيرق القاسمية أحمر ومزاريقه بجلبة ولم يزل الحال على ذلك (واستهل القرن الثانى عشر) وامراء مصر فقارية وقاسمية (فالفقارية) ذو الفقار بك وابراهيم بك أمير الحاج ودرويش بك واسمعيل بك ومصطفى بك قزلار وأحمد بك قزلار بجية ويوسف بك القرد وسليمان بك بارم ذيله ومرجان جوز بك كان أصله قهوجى السلطان محمد قلدوه صنجقا فقاريا بمصر الجميع تسعة وأمير الحاج منهم (والقاسمية) مراد بك الدفتردار ومملوكه أيوظ بك وابراهيم بك أبو شنب وقانصوه بك وأحمد بك منوفية وعبد الله بك (ونواب مصر من طرف السلطان سليمان بن عثمان فى أوائل القرن) حسن باشا السلحدار سنة تسع وتسعين وألف وسنة مائة وواحد بعد الالف والسلطان فى ذلك الوقت السلطان سليمان بن ابراهيم خان وتقلد ابراهيم بك أبو شنب امارة الحاج واسمعيل بك دفتردار وذلك سنة تسع وتسعين (وفى أواخر الحجة) سنة تسع وتسعين وألف حصلت واقعة عظيمة بين ابراهيم بك ابن ذى الفقار وبين العرب الحاز بين

زعم ان الذبيح اسحق وقائل هذا يزعم ان ذلك كان بالشام على ميلين من ايليا واما من زعم انه اسمعيل فيقول ان ذلك كان بمكة قال محمد بن اسحق ان ابراهيم قال لابنه حين أمر بذبحه يا بني خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب لاهلك فلما توجه اعترضه ابليس ليصده عن ذلك فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر الله فاعترض اسمعيل فأعلمه ما يريد ابراهيم يصنع به فقال سمعا الامر ربي وطاعة فذهب الى هاجر فاعلمها فقالت ان كان ربه أمره بذلك فتسليما لامر الله فرجع بغيظه لم يصب منهم شيأ فلما خلا ابراهيم بالشعب وهو شعب ثبير قال له يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم قال له يا أبت ان أردت ذبحي فاشدد رباطي لا يصبك من دمي شئ فينتقص أجري فان الموت شديد واشحذ شفرتك حتى تريحني فاذا أضجعتني فكبني على وجهي فاني أخشى ان نظرت في وجهي أنك تدركك رحمة فتحول بينك وبين أمر الله وان رأيت ان ترد قميصي الى هاجر امي فعسى أن يكون أسلى لها عني فافعل فقال ابراهيم نعم المعين انت أي بني على أمر الله فربطه كما أمره ثم حد شفرته وتله للجبين ثم أدخل الشفرة لحلقه فقلبها الله لقفاها ثم اجتذبها اليه ليفرغ منه فنودي أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها وقيل جعل الله على حلقه صحيفة نحاس قال بن عباس خرج عليه كبش من الجنة قد رعى فيها اربعين خريفا وقيل هو الكبش الذي قربه هابيل وقال علي عليه السلام كان كبشا أقرن أعين أبيض وقال الحسن ما فدى اسماعيل الا بتيس من الاروى هبط عليه من ثبير فذبحه قيل بالمقام وقيل بمنى في المنحر

(ذكر ما امتحن الله به ابراهيم عليه السلام)

بعد ابتلاء الله تعالى ابراهيم بما كان من نمروذ وذبح ولده بعد رجاء تقدم ابتلاء الله بالكلمات التي اخبر انه ابتلاه بهن فقال تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن واختلف السلف من العلماء الائمة في هذه الكلمات فقال ابن عباس من رواية عكرمة عنه في قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه الا ابراهيم وقال الله وابراهيم الذي وفى قال والكلمات عشر في براءة وهي التائبون العابدون الحامدون الآية وعشر في الاحزاب وهي ان المسلمين والمسلمات الآية وعشر في المؤمنون من أولها الى قوله تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون وقال آخرون وهي عشر خصال قال ابن عباس من رواية طاوس وغيره عنه الكلمات عشر وهي خمس في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الراس وخمس في الجسد وهي تقليم الاظفار وحلق العانة والختان ونتف الابط وغسل أثر الغائط وقال آخرون هي مناسك الحج وقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما وهو قول ابي صالح ومجاهد وقال آخرون هي ست وهي الكواكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان وذبح

خلف جبل الجيوشي وقتلوا كثيرا من العرب ونهبوا أرزاقهم ومواشيهم واحضروا منهم أسرى كثيرة ووقفت العرب في طريق الحج ثلاث السنة بالشرفة فقتلوا من الحاج خلقا كثيرا وأخذوا نحو ألف جمل باحمالها وقتلوا الخليل كتخدا الحج فعين عليهم خمسة امراء من الصناجق فوصلوا الى العقبة وهرب العربان * وفي أيامه سافر ألفا شخص من العسكر والبسوا عليهم مصطفى بك طكوزجلان وسافروا الى أدرنه في غرة جمادى الاولى سنة مائة وألف * وفي رابع جمادى الثانية خنق الباشا كتخدا بعد ان أرسله الى در الطين على انه يتوجه الى جرجا لتحصيل الغلال وذلك لذنب نقمه عليه * وفي شعبان نقب المحابيس العرقانة وهرب المسجونون منها * وفي أيامه غلت الاسعار مع زيادة النيل وطلوعه في أوانه على العادة ثم عزل حسن باشا ونزل الى بيت محمد بك حاكم جرجا المقتول وتولى قيطاس بك قائمقام فكانت مدته هذه المرة سنة واحدة وتسعة أشهر * ثم تولى أحمد باشا وكان سابقا كتخدا ابراهيم باشا الذي مات بمصر وحضر أحمد باشا من طريق البر وطلع الى القلعة في سادس عشر المحرم سنة مائة وواحدى وألف ووصل أغا بطلب ألفي عسكري وعليهم صنجق يكون عليهم سردار فعينوا مصطفى بك حاكم جرجا سابقا وسافر في منتصف جمادى الآخرة * وفي هذا التاريخ سافرت تجريدة عظيمة الى ولاية البحيرة والبهنسا وعليهم صنجقان وتوجهوا في ثاني عشر جمادى الآخرة وسافر أيضا خلفهم اسمعيل بك وجميع الكشاف

ابنه وهو قول الحسن قال ابتلاه بذلك فعرف أن ربه دائم لا يزول فوجه وجهه للذي فطر السموات والارض وهاجر من وطنه وأراد ذبح ابنه وختن نفسه وقيل غير ذلك مما لا حاجة اليه في التاريخ المختصر وانما ذكرنا هذا القدر لئلا يخلو من فصول الكتاب

(ذكر عدو الله نمروذ وهلاكه)

ونرجع الآن الى خبر عدو الله نمروذ وما آل اليه أمره في دنياه ونمرده على الله تعالى واملاء الله له وكان أول جبار في الارض وكان احراقه ابراهيم ما قدمناه ذكره فأخرج ابراهيم عليه السلام من مدينته وحلف انه يطلب اله ابراهيم فأخذ اربعة افرخ نسور فرباهن باللحم والخمر حتى كبرن وغلظن فقرنهن بتابوت وقعد في ذلك التابوت فأخذ معه رجلا ومعه لحم لهن فطرن به حتى اذا ذهبن اشرف ينظر الى الارض فرأى الجبال تدب كالنمل ثم رفع لهن اللحم ونظر الى الارض فرآها يحيط بها بحر كأنها فلك في ماء ثم رفع طويلا فوقع في ظلمة فلم ير ما فوقه وما تحته ففزع وألقى اللحم فاتبعته النسور منقضات فلما نظرت الجبال اليهن وقد اقبلن منقضات وسمعن حفيفهن فزعت الجبال وكادت تزول ولم يفعلن وذلك قول الله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وكان طيرانهن من بيت المقدس ووقوعهن في جبل الدخان فلما رأى أنه لا يطيق شيأ أخذ في بنيان الصرح فبناه حتى علا وارتقى فوقه ينظر الى اله ابراهيم بزعمه وأحدث ولم يكن يحدث وأخذ الله بنيانهم من القواعد من أساس الصرح فسقط وتبلبلت الالسن يومئذ من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا وكان لسان الناس قبل ذلك سريانيا هكذا روى انه لم يحدث وهذا ليس بشئ فان الطبع البشري لم يخل منه انسان حتى الانبياء صلوات الله عليهم وهم أكثر اتصالا بالعالم العلوي وأشرف أنفسا ومع هذا فيأكلون ويشربون ويبولون ويتغوطون فلو خلا منه أحد لكان الانبياء أولى لشرفهم وقربهم من الله تعالى وان كان لكثرة ملكه فالصحيح انه لم يملك مستقلا ولو ملك مستقلا لكان الاسكندر أكثر ملكا منه ومع هذا فلم ينقل فيه شئ من هذا قال زيد بن أسلم ان الله تعالى بعث الى نمروذ بعد ابراهيم ملكا يدعوه الى الله أربع مرات فأبى وقال أرب غيري فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع جموعه ففتح الله عليه بابا من البعوض فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها فبعثها الله عليهم فأكلتهم ولم يبق منهم الا العظام والملك كما هو لم يصبه شئ فارسل الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكث يضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من يجمع يديه ويضرب بهما رأسه وكان ملكه ذلك أربعمائة سنة وأماته الله تعالى وهو الذي بنى الصرح وقال جماعة ان نمروذ بن كنعان ملك مشرق الارض ومغربها وهذا قول يدفعه أهل العلم بالسير وأخبار الملوك وذلك انهم لا ينكرون أن مولد ابراهيم كان أيام الضحاك الذي ذكرنا بعض أخباره فيما

وكتخدا الباشا وأغوات البلكات وكتخدا الجاويشية وبعض اختيارية وحاربوا ابن وافي وعربانه مرارا ثم وقعت بينهم وقعة كبيرة فهزم فيها الاحزاب وولوا منهزمين . . نحو الغرق وأما قيطاس بك وحسن أغا بلغيا وكتخدا الباشا فانهم صادفوا جمعا من العرب في طريقهم فأخذوهم ونهبوا مالهم وقطعوا منهم رؤسا ثم حضروا الى مصر * وفي أيامهم كانت وقعة ابن نائب شريف مكة ومحاربته بهامع محمد بك حاكم جدة فكانت الهزيمة على الشريف * وتولى السيد محسن بن حسين بن زيد امارة مكة ونودي بالامان بعد حروب كثيرة وزينت مكة ثلاثة أيام بلياليها وذلك في منتصف رجب ومرض أحمد باشا وتوفي ثاني عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين ومائة وألف ودفن بالقرافة فكانت مدته سنة واحدة وستة أشهر * ومن مآثره ترميم الجامع المؤيدي وقد كان تداعى الى السقوط فأمر بالكشف عليه وعمره ورممه * وفي رابع عشر رجب توفي قيطاس بك الدفتردار * وفي ثاني يوم حضر قانصوه بك تابع المتوفي من سفره بالخزينة فكان كتخدا الباشا المتولي قائمقام بعد موت سيده وألبس قانصوه بك دفتردار ثم ورد مرسوم بولاية على كتخدا الباشا قائمقام واذن بالتصرف الى آخر مسرى فكانت مدة تصرفه اربعة وتسعين يوما * ثم تولى على باشا وحضر من البحر الى القلعة في ثاني عشري رمضان سنة اثنتين ومائة وألف وحضر صحبته ترجمان مضى وأقام بمصر الى أن توجه الى الحج ورجع على طريق الشام * وفي ثاني عشري القعدة حضر قراسليمان من الديار الرومية

ومعه مرسوم مضمونه الخبر بجلوس السلطان أحمد بن السلطان ابراهيم فزينت مصر ثلاثة أيام وضربت مدافع من القلعة
* وفى ثالث عشر صفر سنة ثلاث ومائة وألف ورد نجاب من مكة وأخبر بان الشريف سعد تغلب على محسن وتولى امارة مكة فأرسل الباشا عرضا الى السلطنة بذلك * وفى ثامن ربيع أول ورد مرسوم مضمونه ولاية نظر الدشائش والحرمين لاربعة من الصناجق فتولى ابراهيم بك ابن ذى الفقار أمير الحاج حالا عوضا عن أغات مستحفظان ومراد بك الدفتردار على المحمدية عوضا عن كتخدا مستحفظان وعبد الله بك على وقف الخاصكية عوضا عن كتخدا العزب واسمعيل بك على اوقاف الحرمين عوضا عن باش جاويش مستحفظان فالبسهم على باشا قفاطين على ذلك * وفى مستهل رمضان من السنة حضر من الديار الرومية الشريف سعد بن زيد بولاية مكة وتوجه الى الحجاز * وفى شهر شوال سافر على كتخدا أحمد باشا المتوفى الى الروم * وفى تاريخه تقلد اسمعيل بك الدفتردارية عوضا عن مراد بك * وفى ثالث عشر شوال قتل جلب خليل كتخدا مستحفظان ببابهم وحصلت فى بابهم فتنة آثارها كوك محمد وأخرجوا سليم افندى من بلكهم ورجب كتخدا وألبسوهما الضخقية فى ثالث عشرينه وأبطل كوك محمد الحمايات من مصر باتفاق السبع بلكات وأبطلوا جميع ما يتعلق بالعزبية والانكشارية من الحمايات بالثغور وغيرها وكتب بذلك بيورلدى ونادوا به فى الشوارع * وفى غرة القعدة قبض الباشا على

مضى وانه كان ملك شرق الارض وغربها وقول القائل ان الضحاك الذى ملك الارض هو نمروذ ليس بصحيح لان أهل العلم بالمتقدمين يذكرون ان نسب نمروذ فى النبط معروف ونسب الضحاك فى الفرس مشهور وانما الضحاك استعمل نمروذ على السواد وما اتصل به يمنة ويسرة وجعله وولده عمالا على ذلك وكان هو ينتقل فى البلاد وكان وطنه وموطن أجداده دنباوند من جبال طبرستان وهناك رمى به افريدون حين ظفر به وكذلك بختنصر ذكر بعضهم انه ملك الارض جميعها وليس كذلك وانما كان أصبهبذ ما بين الاهواز الى أرض الروم من غربى دجلة من قبل لهراسب لان لهراسب كان مشتغلا بقتال الترك مقيما بازائهم ببلخ وهو بناها لما تطاول مقامه هناك لحرب الترك ولم يملك أحد من النبط شبرا من الارض مستقلا برأسه فكيف الارض جميعها وانما تطاولت مدة نمروذ بالسواد فكانت أربعمائة سنة ثم دخل من نسله بعده ملك يقال له نبط بن كوش ملك بعده مائة سنة ثم كداوص بن نبط ثمانين سنة ثم بالش بن كداوص مائة وعشرين سنة ثم نمروذ بن بالش سنة وشهرا فذلك سبعمائة سنة وسنة وشهر أيام الضحاك وظن الناس فى نمروذ ما ذكرنا فلما ملك افريدون وقهر الازدهاق قتل نمروذ بن بالش وشرد النبط وقتل فيهم مقتلة عظيمة

(ذكر قصة لوط وقومه)

قد ذكرنا هاجر لوط مع ابراهيم عليه السلام الى مصر وعودهم الى الشام ومقام لوط بسدوم فلما أقام بها أرسله الله الى أهلها وكانوا أهل كفر بالله تعالى وركوب فاحشة كما قال تعالى لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون فى ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل أنهم كانوا يأخذون المسافر اذا مر بهم ويعملون به ذلك العمل الخبيث وهو اللواطة وأما اتيانهم المنكر فى ناديهم فقيل كانوا يحذفون من مر بهم ويسخرون منهم وقيل كانوا يتضارطون فى مجالسهم وقيل كان ياتى بعضهم بعضا فى مجالسهم وكان لوط يدعوهم الى عبادة الله وينهاهم عن الامور التى يكرهها الله منهم من قطع السبيل وركوب الفواحش واتيان الذكور فى الادبار ويتوعدهم على اصرارهم وترك التوبة بالعذاب الاليم فلا يزجرهم ذلك ولا يزيدهم وعظه الا تماديا واستعجالا لعقاب الله انكارا منهم لوعيده ويقولون له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه النصرة عليهم لما تطاول عليه أمرهم وتماديهم فى غيهم فبعث الله جبرائيل لما أراد هلاكهم ونصر رسوله جبرائيل وملكين آخرين معه أحدهما ميكائيل والآخر اسرافيل فاقبلوا فيما ذكر مشاة فى صورة رجال وامرهم ان يبدؤا بابراهيم وسارة وبشروه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم وكان الضيف قد أبطأ عنه خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه وكان يضيف

سليم افندى وخنقه بالقلعة ونزل الى بيته محمولا فى تابوت وتغيب رجب كتخدا ثم استعفى من الصنجقية فرفعوها عنه وسافر الى المدينة * وفى ثامن عشر ربيع الاول ورد مرسوم بتزيين الاسواق بمصر وضواحيها بمولودين توأمين

رزقهما السلطان أحمد سمى أحدهما سليمان والآخر ابراهيم * وفى ثانى عشر شعبان سافر حسن بك ابو يدك بألف نفر من العسكر لاحقا بابراهيم بك أبى شنب وقد كان سافر فى أواخر ربيع الاول لقلعة كريد * وفى ثانى عشرى رمضان سنة خمس ومائة وألف الموافق لحادى عشر بشنس هبت ريح شديدة وتراب أظلم منه الجو وكان الناس فى صلاة الجمعة فظن الناس انها القيامة وسقطت المركب التى على منارة جامع طولون وهدمت دور كثيرة *(واستهلت سنة ست)* وقصر مد النيل تلك السنة وهبط بسرعة فشرقت الاراضى ووقع الغلاء والفناء وفى شهر الحجة سافر اناس من مكة الى دار السلطنة وشكوا من ظلم الشريف سعد فعين اليه محمد بك نائب جدة واسمعيل باشا نائب الشام فوردا بصحبة الحاج فتحاربوا معه ونزعوه ونهب العسكر منزله وولوا الشريف عبد الله بن هاشم على مكة ثم بعد عود الحاج رجع سعد وتغلب وطرد عبد الله بن هاشم * وفى هذه السنة وقعت مصالحات فى المال الميرى بسبب الرى والشراقى * وفى ثانى عشر جمادى الآخرة حضر الشريف احمد بن غالب امير مكة مطرودا من الشريف سعد * وفى ثامن عشرى رجب سنة ألف ومائة وستة ورد الخبر بجلوس السلطان مصطفى ابن محمد * وفى ثانى عشر

من نزل به وقد وسع الله عليه الرزق فرح بهم ورأى ضيفا لم ير مثلهم حسنا وجمالا فقال لا يخدم هؤلاء القوم احد الا انا بيدى فخرج الى أهله فجاء بعجل سمين قد حنذه أى انضجه فقربه اليهم فامسكوا ايديهم عنه فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة فضحكت لما عرفت من أمر الله ولما تعلم من قوم لوط فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فقالت وصكت وجهها أألد وانا عجوز الى قوله حميد مجيد وكانت ابنة تسعين سنة وابراهيم ابن عشرين ومائة فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى ذهب يجادل جبرائيل فى قوم لوط وقال له ارأيت ان كان فيهم خمسون من المسلمين قالوا وان كان فيهم خمسون من المسلمين لم يعذبهم قال واربعون قالوا واربعون قال وثلاثون حتى بلغ عشرة قالوا وان كان فيهم عشرة قال ماقوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير ثم قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين ثم مضت الملائكة نحو سدوم قرية لوط فلما انتهوا اليها القوا لوطا فى أرض له يعمل فيها وقد قال الله تعالى لهم لا تهلكوهم حتى تشهدوا عليهم لوطا أربع شهادات فاتوه فقالوا انا مضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت اليهم فقال لهم أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية والله ما أعلم على ظهر الارض انسانا أخبث منهم حتى قال ذلك أربع مرات وقيل بل لقوا ابنته فقالوا ياجارية هل من منزل قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم خافت عليهم من قومها فأتت أباها فقالت يا أبتاه أدرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت أصبح وجوها منهم لئلا يأخذهم قومك فيفضحوهم وكان قومه قد نهوه أن يضيف رجلا فجاء بهم فلم يعلم الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها وقالت لهم قد نزل بنا قوم ما رأيت أحسن وجوها منهم ولا أطيب رائحة فجاءه قومه يهرعون اليه فقال يا قوم اتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد فنهاهم ورغبهم وقال هؤلاء بناتى هن أطهر لكم مما تريدون قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد أولم ننهك عن العالمين فلم يقبلوا منه قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد يعنى لو أن لى أنصارا أو عشيرة يمنعونى منكم فلما قال ذلك وجد عليه الرسل فقالوا ان ركنك لشديد ولم يبعث الله نبيا الا فى ثروة من قومه ومنعة من عشيرته وأغلق لوط الباب فعالجوه وفتح لوط الباب فدخلوا واستأذن جبرائيل ربه فى عقوبتهم فأذن له فبسط جناحه ففقأ أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم بعضا عميانا يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط أسحر قوم فى الارض وقالوا للوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون فأخرجهم الله الى الشام وقال لوط أهلكوهم الساعة فقالوا ان نؤمر الا بالصبح أليس الصبح بقريب فلما كان الصبح أدخل جبرائيل وقيل ميكائيل جناحه فى أرضهم وقراهم الخمس فرفعها حتى سمع أهل السماء

السماء صياح ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل فأهلكت من لم يكن بالقرى وسمعت امرأة لوط الهدة فقالت واقوماه فادركها حجر فقتلها ونجى الله لوطا وأهله الا امرأته وذكر أنه كان فيها أربعمائة ألف وكان ابراهيم يتشرف عليها ويقول سدوم يوما هالك ومدائن قوم لوط خمس سدوم وصبعة وعمرة ودوما وصعوة وسدوم هى القرية العظمى (قوله يهرعون اليه هو مشى بين الهرولة والجمز)

(ذكر وفاة سارة زوج ابراهيم عليه السلام وذكر أولاده وأزواجه)

لا يدفع احد من أهل العلم ان سارة توفيت بالشام ولها مائة وسبع وعشرون سنة وقيل انها كانت بقرية الجبابرة من أرض كنعان وقيل عاشت هاجر بعد سارة مدة والصحيح ان هاجر توفيت قبل سارة كما ذكرنا فى مسير ابراهيم الى مكة وهو الصحيح ان شاء الله تعالى فلما ماتت سارة تزوج بعدها قطورا ابنة يقطن امرأة من الكنعانيين فولدت له ستة نفر افشان وزمران ومدين ومدان ونشق وسرح وكان جميع أولاد ابراهيم مع اسمعيل واسحق ثمانية نفر وكان اسمعيل بكره وقيل فى عدد أولاده غير ذلك فالبربر من ولد نفشان وأهل مدين قوم شعيب من ولد مدين وقيل تزوج بعد قطورا امرأة أخرى اسمها حجون ابنة اهير

(ذكر وفاة ابراهيم وعدد ما انزل عليه)

قيل لما أراد الله قبض روح ابراهيم أرسل اليه ملك الموت فى صورة شيخ هرم فرآه ابراهيم وهو يطعم الناس وهو شيخ كبير فى الحر فبعث اليه بحمار فركبه حتى أتاه فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه فيدخلها فى عينه وأذنه ثم يدخلها فاه فاذا دخلت جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذى يسأله الموت فقال يا شيخ مالك تصنع هذا فقال يا ابراهيم الكبر قال ابن كم أنت فزاد على عمر ابراهيم سنتين فقال ابراهيم انما بينى و بين أن أصير هكذا سنتان اللهم اقبضنى اليك فقام الشيخ وقبض روحه ومات وهو ابن مائتى سنة وقيل مائة وخمس وسبعين سنة وهذا عندى فيه نظر لان ابراهيم لا يخلو أن يكون قد رأى من هو أكبر منه بسنتين أو أكثر من ذلك فان من عاش مائتى سنة كيف لا يرى من هو أكبر منه بهذا القدر القريب ولكن هكذا روى ثم انه قد بلغه عمر نوح ولم يصبه شئ مما رأى بذلك الرجل * وروى أبو ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال وأنزل الله على ابراهيم عشر صحائف قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المسلط المبتلى المغرور انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال (٣) منها وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا

شعبان طلع احمد بك بموكب مسافرا باش على الف عسكرى الى انكروس وطلع بعده ايضا فى سابع عشرينه اسمعيل بك بالف عسكرى لمحافظة رودس بموكب الى بولاق فأقام بها ثلاثة ايام ثم سافر الى الاسكندرية * وفى رابع شعبان ورد مرسوم بضبط اموال نذير اغا واسمعيل اغا الطواشيين فحبسوهما بباب مستحفظان وضبطوا أموالهما وختموها * وفى خامس شوال انهى ارباب الاوقاف والعلماء والمجاورون بالازهر الى على باشا امتناع الملتزمين من دفع خراج الاوقاف وخراج الرزق المرصدة على المساجد وما يلزم من تعطيل الشعائر فأمر الملتزمين بدفع ما عليهم من غير توقف فامتثلوا * وفى شوال أرسل الباشا الى مراد بك الدفتردار بعمل جمعية فى بيته بسبب غلال الانبار فاجتمعوا وتشاوروا فى ذلك فوقع التوافق ان البلاد الشراقى تبقى غلالها الى العام القابل وأما الرى فيدفع ملتزموها ما عليهم وأخذوا أوراقا بيعت بالثمن اشتراها الملتزمون من أرباب الاستحقاق عن الجراية مائة وخمسون نصفا وغلق الملتزمون ما عليهم بشراء الوصولات * وفى ثانى عشر شوال ورد الخبر من منفلوط بان الشريف فارس بن اسمعيل التفلاوى قتل عبد الله بن وافى شيخ عرب المغاربة * وفى حادى عشر القعدة ورد اغا بمرسوم بمبيع متاع نذير اغا واسمعيل اغا المعتقلين وضبط اثمانها ماعدا الجواهر والذخائر التى اختلسوها من السرايا فانها تبقى بأعيانها وان يفحص عن أموالهما وأماناتهما وان يسجنا فى قلعة اليىكبر يةففعل بهم ذلك وبلغ أثمان المبيعات الفا وأربعمائة كيس

خلاف الجواهر والذخائر فانها جهزت مع الاموال صحبة الخزينة على يد سليمان بك كاشف ولاية المنوفية * وفي منتصف المحرم سنة سبع ومائة وألف اجتمع الفقراء والشحاذون رجالا ونساء وصبيانا وطلعوا الى القلعة ووقفوا بحوش الديوان وصاحوا من الجوع فلم يجبهم أحد فرجموا بالاحجار فركب الوالي وطردهم فنزلوا الى الرميلة ونهبوا حواصل الغلة التي بها ووكالة القمح وحاصل كتخدا الباشا وكان ملآنا بالشعير والفول وكانت هذه الحادثة ابتداء الغلاء حتى بيع الاردب القمح بستمائة نصف فضة والشعير بثلثمائة والفول باربعمائة وخمسين والارز بثمانمائة نصف فضة وأما العدس فلا يوجد وحصل شدة عظيمة بمصر وأقاليمها وحضرت أهالي القرى والارياف حتى امتلأت منهم الازقة واشتد الكرب حتى أكل الناس الجيف ومات الكثير من الجوع وخلت القرى من أهاليها وخطف الفقراء الخبز من الاسواق ومن الافران ومن على رؤس الخبازين ويذهب الرجلان والثلاثة مع طبق الخبز يحرسونه من الخطف وبايديهم العصي حتى يخبزوه بالفرن ثم يعودون به واستمر الامر على ذلك الى ان عزل علي باشا في ثامن عشري المحرم سنة سبع ومائة وألف * وورد سلم اسمعيل باشا من الشام وجعل ابراهيم بك أبا شنب قائمقام ونزل علي باشا الى منزل أحمد كتخدا العزب المطل على بركة الفيل فكانت مدته اربع سنوات وثلاثة أشهر وأياما ثم تولى اسماعيل باشا وحضر من البر وطلع الى القلعة بالموكب على العادة في يوم الخميس

على عقله ان يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يفكر فيها في صنع الله وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاده أو مرمة لمعاشه أو لذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل الا فيما يعنيه * وهو أول من اختتن وأول من أضاف الضيف وأول من اتخذ السراويل الى غير ذلك من الاقاويل

(ذكر خبر ولد اسمعيل بن ابراهيم)

قد ذكرنا فيما مضى سبب اسكان اسمعيل الحرم وتزوجه امرأة من جرهم وفراقه اياها بأمر ابراهيم ثم تزوج أخرى وهي السيدة بنت مضاض الجرهمي وهي التي قال لها قولي لزوجك قد رضيت عتبة بابك فولدت لاسمعيل اثني عشر رجلا نابت وقيدار واذبل وميشا ومسمع ورماوماش وآزر وقطورا وفافس وطميا وقيدمان وكان عمر اسمعيل فيما يزعمون سبعا وثلاثين ومائة سنة ومن نابت وقيدار ابني اسمعيل نشر الله العرب وأرسله الله تعالى الى العماليق وقبائل اليمن وقد ينطق أولاد اسمعيل بغير الالفاظ التي ذكرت ولما حضرت اسمعيل الوفاة أوصى الى أخيه اسحق ان يزوج ابنته من العيص ابن اسحق وان يدفن عند قبر أمه هاجر بالحجر

(ذكر اسحق بن ابراهيم وأولاده)

قيل ونكح اسحق رفقا بنت بتويل فولدت له عيص ويعقوب توأمين وان عيص كان أكبرهما وكان عمر اسحق لما ولدا له ستين سنة ثم نكح عيص بن اسحق نسمة بنت عمه اسمعيل فولدت له الروم بن عيص وكل بني الاصفر من ولده وزعم بعض الناس ان الاشبان من ولده ونكح يعقوب بن اسحق وهو اسرائيل ابنة خاله ليا بنت ليان بن بتويل فولدت له روبيل وكان أكبر ولده وشمعون ولاوي ويهوذا وزبالون واشحر وقيل ويشحر ثم توفيت ليا فتزوج أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وولد له من سريتين أربعة نفر دان ونفتالي وجاد واشر فكان ليعقوب اثنا عشر رجلا قال السدي تزوج اسحق بجارية فحملت بغلامين فلما أرادت ان تضع أراد يعقوب ان يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلي لاعترضن في بطن أمي ولاقتلنها فتأخر يعقوب وخرج عيص وأخذ يعقوب بعقب عيص فسمي يعقوب وسمي أخوه عيص لعصيانه وكان عيص احبهما الى أبيه ويعقوب أحبهما الى أمه وكان عيص صاحب صيد فقال له اسحق لما كبر وعمي يا بني اطعمني لحم صيد واقترب مني أدع لك بدعاء دعالي به أبي وكان عيص رجلا أشعر وكان يعقوب أجرد وسمعت أمهما ذلك فقالت ليعقوب يا بني اذبح شاة واشوها والبس جلدها وقربها الى أبيك وقل له أنا ابنك عيص ففعل ذلك

يعقوب

سابع عشر صفر فلما استقر في الولاية ورأى ما فيه الناس من الكرب والغلاء أمر بجميع الفقراء والشحاذين بقراميدان فلما اجتمعوا أمر بتوزيعهم على الامراء والاعيان كل انسان على قدر حاله وقدرته وأخذ لنفسه جانبا وللاعيان دولته جانبا وعين لهم ما يكفيهم من الخبز والطعام صباحا ومساء الى ان انقضى الغلاء وأعقب ذلك وباء عظيم فامر الباشا بيت المال ان يكفن الفقراء والغرباء فصاروا يحملون الموتى من الطرقات ويذهبون بهم الى مغسل السلطان عند سبيل المؤمن الى ان انقضى أمر الوباء وذلك خلاف من كفنه الاغنياء واهل الخير من الامراء والتجار وغيرهم وانقضى ذلك في آخر شوال * وتوفي فيه الشيخ زين العابدين البكري * وابراهيم بك ابن ذى الفقار أمير الحاج وغيرهم ولما انقضى ذلك عمل الباشا مهما عظيما لختان ولده ابراهيم بك وختن معه الفقراء وثلثمائة وستة واثنى عشر ولدا من أولاد الفقراء ورسم لكل غلام بكسوة كاملة ودينار * وورد مرسوم بمحاسبة على باشا المنفصل فحوسب فطلع عليه ستمائة كيس فختم على منزله وباعوا موجوداته حتى غلق ذلك وورد أمر بالتزيين بسبب نصرة فزينت المدينة وضواحيها ثلاثة ايام * وفي رجب ورد مرسوم بطلب الفين من العسكر وأميرهم مراد بك فلبس الخلع هو ومراد بك المناصب وسافر وافي حادي عشر شعبان * وفي سابع عشر رجب سنه سبع ومائة وألف تقلد قيطاس بك تابع أمير الحاج ذى الفقار بك الصنجقية عوضا عن ابن سيده ابراهيم بك وورد الافراج عن نذير اغا وتبعه خمسمائة عثماني

يعقوب فلما جاء قال يا ابتاه كل قال من أنت قال أنا ابنك عيص فمسه اسحق فقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت أمه انه عيص فكل فاكل ودعا له ان يجعل الله في ذريته الانبياء والملوك وقام يعقوب وجاء عيص وكان في الصيد فقال لابيه قد جئتك بالصيد الذي طلبت فقال يا بنى قد سبقك أخوك فخاف عيص ليقتلن يعقوب فقال يا بنى قد بقيت لك دعوة فدعا له ان تكون ذريته عدد التراب وان لا يملكهم غيرهم وهرب يعقوب خوفا من أخيه الى خاله وكان يسري بالليل ويكمن بالنهار فلذلك سمى اسرائيل ثم ان يعقوب تزوج ابنتي خاله وجمع بينهما فلذلك قال الله تعالى وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وولد له منهما فماتت راحيل في نفاسها ببنيامين واراد يعقوب الرجوع الى بيت المقدس فاعطاه خاله قطيع غنم فلما ارتحلوا لم يكن لهم نفقة فقالت زوجة يعقوب ليوسف اسرق صنما من اصنام أبي نستنفق منه فسرق صنما من أصنام أبيها واحب يعقوب يوسف وأخاه بنيامين حبا شديدا ليتمهما وقال يعقوب لراع من الرعاة اذا أتاكم أحد يسألكم من أنتم فقولوا نحن ليعقوب عبد عيص فلقيهم عيص فسألهم فاجابه الراعي بذلك الجواب فكف عيص عن يعقوب ونزل يعقوب الشام ومات اسحق بالشام وعمره مائة وستون سنة ودفن عند أبيه ابراهيم عليه السلام

(قصة ايوب عليه السلام)

وهو رجل من الروم من ولد عيص وهو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن اسحق ابن ابراهيم وقيل موص بن روعيل بن عيص وكانت زوجته التي أمر ان يضربها بالضغث ليا ابنة يعقوب بن اسحق وقيل هي رحمة ابنة افرايم بن يوسف وكانت أمه من ولد لوط وكان دينه التوحيد والاصلاح بين الناس واذا أراد حاجة سجد ثم طلبها وكان من حديثه وسبب بلائه ان ابليس سمع تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب حين ذكره الله فحسده وسأل الله ان يسلطه عليه ليفتنه عن دينه فسلطه على ماله فجمع ابليس عظماء أصحابه من العفاريت وكان لايوب البثنية جميعها من اعمال دمشق بما فيها وكان له فيها ألف شاة برعاتها وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة الفدان اتان ولكل اتان ولد واثنان وما فوق ذلك فلما جمعهم ابليس قال ما عندكم من القوة والمعرفة فاني قد تسلطت على مال أيوب فقال كل منهم قولا فارسلهم فاهلكوا ماله كله وأيوب يحمد الله ولا يرجع عن الجد في عبادته والشكر له على ما أعطاه والصبر على ما ابتلاه فلما رأى ذلك ابليس من أمره سأل الله ان يسلطه على ولده فسلط ولم يجعل له سلطانا على جسده ولا عقله وقلبه فاهلك ولده كلهم ثم جاء اليه متمثلا بمعلمهم الذي كان يعلمهم الحكمة جريحا مشدوخا رقه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فسر بذلك ابليس ثم ان ايوب ندم لذلك وجد واستغفر فصعد حفظته من الملائكة بتوبته

وخمس جرايات وعشرة آلاف في ديوان مصر واستقر رفيقه اسمعيل اغا في السجن * وفي رابع رجب ورد أحمد بك من السفر وفي
وسابعه تقلد أيوب بك امارة الحج ٥٦ * وفي ثاني شعبان ورد اسمعيل بك راجعا من السفر * وفي ثالث عشر ربيع الاول
سنة ثمان ومائة وألف ورد
امر بتزيين أسواق مصر سرورا
بمولود للسلطان وسمي محمودا
* وورد أيضا الخبر باستشهاد
مراد بك * وفي ثالث عشر
رمضان من السنة قامت
العساكر على ياسف اليهودي
قتلوه وجروه من رجله وطرحوه
في الرميلة وقامت الرعايا
فجمعوا حطبا وأحرقوه وذلك
يوم الجمعة بعد الصلاة وسبب
ذلك انه كان ملتزما بدار
الضرب في دولة علي باشا
المنفصل ثم طلب الى اسلامبول
وسئل عن أحوال مصر فاملى
أمورا والتزم بتحصيل الخزينة
زيادة عن المعتاد وحسن عنده
احداث محدثات ولما حضر
مصر تلقته اليهود من بولاق
واطلعوه الى الديوان وقرئت
الاوامر التي حضر بها واوقفه
الباشا على اجرائها وتنفيذها
وأشهر النداء بذلك في شوارع
مصر فاغتم الناس وتوجه
التجار وأعيان البلد الى الامراء
وراجعوهم في ذلك فركب
الامراء والصناجق وطلعوا
الى القلعة وفاوضوا الباشا
فخاطبهم بما لا يرضيهم فقاموا
عليه قومة واحدة وسألوه
ان يسلمهم اليهودي فامتنع
من تسليمه فاغلظوا عليه
وصمموا على أخذه منه فأمرهم بوضعه في العرقانة ولا يشوشوا عليه حتى ينظروا في أمره ففعلوا به ذكر
كأمرهم فقامت الجند على الباشا وطلبوا أن يسلمهم اليهودي المذكور ليقتلوه فامتنع فمضوا الى السجن واخرجوه وفعلوا

الى الله قبل ابليس فلما لم يرجع ايوب عن عبادة ربه والصبر على ما ابلاه به سأل الله تعالى ان يسلطه على جسده فسلطه عليه خلا لسانه وقلبه وعقله فانه لم يجعل له على ذلك سلطانا فجاءه وهو ساجد فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده وصار أمره الى ان انتثر لحمه وامتلأ جسده دودا وان كانت الدودة لتسقط من جسده فيردها اليه ويقول كلي من رزق الله واصابه الجذام وكان اشد من ذلك عليه أنه كان يخرج في جسده مثل ثدي المرأة ثم يتفقأ وانتن حتى لم يطق احد أن يشم ريحه فاخرجه أهل القرية منها الى الكناسة خارج القرية لا يقربه أحد الا زوجته وكانت تختلف اليه بما يصلحه فبقي مطروحا على الكناسة سبع سنين ما يسأل الله ان يكشف ما به وما على وجه الارض اكرم على الله منه وقيل كان سبب بلائه ان أرض الشام اجدبت فارسل فرعون الى أيوب ان هلم الينا فان لك عندنا سعة فاقبل باهله وخيله وماشيته فاقطعهم فرعون القطائع ثم ان شعيا النبي دخل الى فرعون فقال يا فرعون اما تخاف ان يغضب الله غضبة فيغضب لغضبه اهل السماء وأهل الارض والبحار والجبال وايوب ساكت لا يتكلم فلما خرجا اوحى الله الى ايوب يا ايوب سكت عن فرعون لذهابك الى أرضه استعد للبلاء فقال أيوب أما كنت اكفل اليتيم وآوي الغريب وأشبع الجائع واكفت الارملة فمرت سحابة يسمع فيها عشرة آلاف صوت من الصواعق يقولون من فعل ذلك يا ايوب فاخذ ترابا ووضعه على رأسه وقال أنت يا رب فاوحى الله اليه استعد للبلاء قال فديني قال أسلمه لك قال فما أبالي وقيل كان السبب غير ذلك وهو نحو ما ذكرناه فلما ابتلاه الله واشتد البلاء قالت امرأته انك رجل مجاب الدعوة فادع الله ان يشفيك فقال كنا في النعماء سبعين سنة فلنصبر في البلاء سبعين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة وقيل انما اقسم ليجلدها لان ابليس ظهر لها وقال بما اصابكم ما أصابكم قالت بقدر الله قال وهذا أيضا بقدر الله فاتبعيني فاتبعته فاراها جميع ما ذهب منهم في واد وقال اسجدي لي واردده اليكم فقالت ان لي زوجا أستأمره فلما اخبرت أيوب قال الم تعلمي ان ذلك الشيطان لئن شفيت لاجلدنك مائة جلدة وأبعدها وقال لها طعامك وشرابك علي حرام لا أذوق مما تاتيني به شيأ فابعدي عني فلا اراك فذهبت عنه فلما رأى أيوب ان امرأته قد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال رب اني مسني الضر وانت أرحم الراحمين كرر ذلك فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ورد الله اليه جسده وصورته وأما امرأته فقالت كيف اتركه وليس عنده أحد يموت جوعا وتأكله السباع فرجعت اليه فرأت أيوب وقد عوفي فلم تعرفه فتعجبت حيث لم تره على حاله فقالت له يا عبد الله هل رأيت ذلك الرجل المبتلى الذي كان ههنا قال وهل تعرفينه اذا رأيتيه قالت نعم قال هو انا فعرفته وقيل انما قال مسني الضر لما وصل الدود الى لسانه وقلبه فخاف ان يبطل عن

نه ماذكر * وفى ذلك يقول الشيخ حسن البدرى الحجازى رحمه الله * بمصر حل يهودى * اخنى عليه الاله
فظ غليظ عنيف * سوء كريه اقاه بعشر صوم أتانا * له حواد علاه ٧٥ والناس تشتد سعيا * امامه ووراه
ومعه أمروفيه *
ماقاده لرداه
من أن دينار مصر *
يغيرون حلاه
والقرش يبدل نقش *
فيه ينقش سواه
ليأخذ المال قهرا *
بالنقص مما حواه
فحين قص عليهم *
ماقص قصوا قفاه
بصارم ذى صقال *
أزال عنا عناه
وبعد ذا حرقوه * والعالمون تراه
حتى استحال رمادا *
فيه الهباء حكاه
يا بئس ذاك اليهودى
يا بئس ماقد جناه
يا نعم مافعلوه *
به على ما جناه
يا نعم قوما عليه *
غاروا وحلوا عراه
لو أفلتوه علانا *
واجتاحنا بوباه
وكان ثالث عشر *
من صومنا ماد هاه
بجمعة عطلوها *
فى قلعة من بلاه
وموته أرخوه *
قدذاق ماقد بناه
وقال ذا حسن من *
الى الحجاز انتماه
(وفى تاريخه) احضر الباشا الشيخ
٨ يخ مل ل محمد الزرقانى احد شهود المحكمة بسبب انه كتب حجة وقف منزل آل الى بيت المال فأمر بحلق لحيته وتشهيره
على جمل فى الاسواق والمنادى ينادى عليه هذا جزاء من يكتب الحجج الزور ثم أمر بنفيه الى جزيرة الطينة * وفى صفر وردت

ذكر الله تعالى والفكر ورد الله اليه اهله ومثلهم معهم قيل هم باعيانهم وقيل رد الله
اليه امرأته ورد اليها شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وانزل الله اليه ملكا فقال يا ايوب
ان الله يقرئك السلام لصبرك على البلاء اخرج الى أندرك فخرج اليه فبعث الله سحابة
فالقت عليه جرادا من ذهب وكانت الجرادة تذهب فيتبعها حتى يردها فى اندره فقال
الملك اما تشبع من الداخل حتى تتبع الخارج فقال ان هذه البركة من بركات ربى
لست اشبع منها وعاش ايوب بعد ان رفع عنه البلاء سبعين سنة ولما عوفى امره الله ان
ياخذ عرجونا من النخل فيه مائة شمراخ فيضرب به زوجته ليبر من يمينه ففعل ذلك وقول
أيوب رب انى مسنى الضر دعاء ليس بشكوى ودليله قوله تعالى فاستجبنا له وكان من
دعاء أيوب أعوذ بالله من جار عينه ترانى ان رأى حسنة سترها وان رأى سيئة ذكرها
وقيل كان سبب دعائه انه كان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه اسم احدهم يلدد والآخر
اليفر والثالث صافر فانطلقوا اليه وهو فى البلاء فبكتوه أشد تبكيت وقالوا له لقد اذنبت
ذنبا ما اذنبه احد فلهذا لم يكشف العذاب عنك وطال الجدال بينهم وبينه فقال فتى
كان معهم لهم كلاما رد عليهم فقال قد تركتم من القول أحسنه ومن الرأى اصوبه
ومن الامر اجمله وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم فهل
تدرون حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم الم تعلموا ان أيوب
نبى الله وخيرته من خلقه يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يعلمكم الله انه سخط شيأ من أمره ولا
انه نزع شيأ من الكرامة التى أكرمه الله بها عباده ولا ان أيوب فعل غير الحق فى طول
ما صحبتموه فان كان البلاء هو والذى أزرى به عندكم ووضعه فى نفوسكم فقد علمتم ان
الله يبتلى النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لاولئك دليلا على
سخطه عليهم ولا على هوانهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم وأطال فى هذا النحو من
الكلام ثم قال لهم وقد كان فى عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يكل ألسنتكم ويكثر
قلوبكم ويقطع حجتكم الم تعلموا ان لله عبادا أسكتتهم خشيته عن الكلام من غير عى
ولا بكم وانهم لهم الفصحاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله
انكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم وطاشت أحلامهم وعقولهم فزعا من الله وهيبة
له فاذا أفاقوا استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون أنفسهم مع الظالمين وانهم
لابرار ومع المقصرين وانهم لاكياس أتقياء ولكنهم لا يستكثرون لله عز وجل الكثير
ولا يرضون له القليل ولا يدلون عليه بالاعمال فهم أينما لقيتهم خائفون مهمومون
وجلون فلما سمع أيوب كلامه قال ان الله يزرع الحكمة بالرحمة فى قلب الصغير والكبير
فتى كانت فى القلب ظهرت على اللسان ولا تكون الحكمة من قبل السن والشيبة
ولا طول التجربة واذا جعل الله تعالى عبدا حكيما عند الصبا لم تسقط منزلته عند
الحكام ثم أقبل على الثلاثة فقال رهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم قبل ان تضربوا كيف

سكة دينار وعليها طرة فجمع الباشا الامراء وأحضر أمين الضرب بخانة وسلمها له وأمره أن يطبع بها وأن يكون عيار الذهب
اثنين وعشرين قيراطا والوزن كل مائة شريفي مائة وخمسة عشر درهما وسعر الى طرة مائة وخمسة عشر نصفا * وفي
ذلك الشهر لبس عبد الرحمن بك على ولاية جرجا وتوجه اليها * وفي ثاني عشر ربيع الاول قامت العسكر المصرية وعزلوا الباشا فكانت مدة اسمعيل باشا سنتين وتقلد مصطفى بك قائممقام مصر الى أن حضر حسين باشا من صيدا وطلع الى القلعة في موكب عظيم في منتصف رجب سنة تسع ومائة وألف * وورد مرسوم بطلب تجهيز ألفي نفر من العسكر وعليهم يوسف بك المسلماني فقضى أشغاله وسافر في تاسع عشر رمضان * وفي منتصف شهر ذي الحجة خرج اسمعيل باشا الى العادلية ليسافر وكان قد حاسبه حسين باشا فتأخر عليه خمسون ألف أردب دفع عنها خمسين كيسا وباع منزله وبلاد البدرشين التي كان قد وقفها وتوجه الى بغداد * وفي سنة عشر ومائة وألف أخذ أرباب الاستحقاقات الجراية والعلائف بثمن عن كل أردب قمح خمسة وعشرون نصفا فضة وكل اردب شعير ستة عشر نصفا * وفي آخر جمادى الثانية ظهر رجل من أهل الفيوم يدعى بالعليمي قدم الى القاهرة وأقام بظاهر القهوة المواجهة لسبيل المؤمن فاجتمع عليه كثير من العوام وادعوا فيه الولاية وأقبلت عليه الناس من كل جهة على
واختلط النساء بالرجال وكان يحصل بسببه مفاسد عظيمة فقامت عليه العسكر وقتلوه بالقلعة ودفن بناحية مشهد السيدة

بكم لو قلت لكم تصدقوا عني بأموالكم لعل الله ان يخلصني أو قربوا قربانا لعل الله ان يتقبل ويرضى عني وانكم قد أعجبتكم أنفسكم فظننتم انكم عوفيتم باحسانكم فبغيتم وتعززتم لو صدقتم ونظرتم بينكم وبين ربكم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله بالعافية وقد كنت فيما خلا والرجال يوقرونني وأنا مسموع كلامي معروف من حقي مستنصف من خصمي فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم فانتم أشد على من مصيبتي ثم أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال رب لأي شئ خلقتني ليتني ان كرهتني لم تخلقني ياليتني كنت حيضة ملقاة وياليتني عرفت الذنب الذي أذنبت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتني فالموت أجمل بي ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللأرملة قيما الهي أنا عبد ذليل ان أحسنت فالمن لك وان أسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا فقد وقع على البلاء لو سلطته على جبل اضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي ذهب المال فصرت أسأل بكفي فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمنها علي ويعيرني هلك أولادي ولو بقي أحدهم أعانني قدماني أهلي وعقني أرحامي وتنكرت معارفي ورغب عني صديقي وجحدت حقوقي ونسيت صنائعي أصرخ فلا يصرخونني واعتذر فلا يعذرونني دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت الى أمتي فلم ترحمني وان قضاءك هو الذي أذاني وأقماني وان سلطانك هو الذي أسقمني فلوان ربي نزع الهيبة التي في صدري واطلق لساني حتى أتكلم ملء فمي ثم كان ينبغي للعبد أن يحاج مولاه عن نفسه لرجوت ان تعافيني عند ذلك ولكنه القاني وعلا عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه لا نظر الى فرحمني ولا دنا مني فاتكلم ببراءتي واخاصم عن نفسي فلما قال أيوب ذلك أظلتهم غمامة ونودي منها يا أيوب ان الله يقول قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا فقم فادل بحجتك وتكلم ببراءتك وقم مقام جبار فانه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار تجعل الذئار في فم الاسد واللجام في فم التنين وتكيل مكيالا من النور وتزن مثقالا من الريح وتصر صرة من الشمس وترد أمس لقد منتك نفسك أمرا لا تبلغه بمثل قوتك أردت ان تكابرني بضعفك أم تخاصمني بعيك أم تحاجني بخطك أين أنت مني يوم خلقت الارض هل علمت باي مقدار قدرتها أين كنت معي يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق ولا بدعائم يحملها هل تبلغ حكمتك ان تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بامرك ليلها ونهارها وذكر أشياء من مصنوعات الله فقال أيوب قصرت عن هذا الامر ليت الارض انشقت لي فذهبت فيها ولم أتكلم بشئ يسخطك الهي اجتمع على البلاء وأنا أعلم ان كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك لا يعجزك شئ ولا تخفى عليك خافية تعلم ما تخفي القلوب وقد علمت في بلائي ما لم أكن أعلمه كنت اسمع بسطوتك سمعا فاما الآن فهو نظر العين انما تكلمت بما تكلمت به لتعذرني وسكت لترحمني وقد وضعت يدي على في وعضضت

على لسانى والصقت بالتراب خدى فدسست فيه وجهى فلا أعود لشئ تكرهه ودعا فقال الله يا أيوب نفذ فيك حكمى وسبقت رحمتى غضبى قد غفرت لك ورددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وعبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصونى فيك فركض برجله فانفجرت له عين ماء فاغتسل فيها فرفع الله عنه البلاء ثم خرج فجلس وأقبلت امرأته فسألته عنه فقال هل تعرفينه قالت نعم مالى لا أعرفه فتبسم فعرفته بضحكه فاعتنقته فلم تفارقه من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد وانما ذكرته قبل يوسف وقصته لما ذكر بعضهم من أمره وانه كان نبيا فى عهد يعقوب وذكر ان عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وانه أوصى عند موته الى ابنه حومل وان الله بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وكان مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وسبعين سنة وصى الى ابنه عيدان وان الله بعث بعده شعيب بن صفيون بن عنقا بن نابت بن مدين بن ابراهيم عليه السلام

(ذكر قصة يوسف عليه السلام)

ذكروا ان اسحق توفى وعمره ستون ومائة سنة وقبره عند أبيه ابراهيم قبره ابناه يعقوب وعيص فى مزرعة حبرون وكان عمر يعقوب مائة وسبعا وأربعين سنة وكان ابنه يوسف قد قسم له ولامه شطر الحسن وكان يعقوب قد دفعه الى أخته ابنة اسحق تحضنه فاحبته حبا شديدا وأحبه يعقوب أيضا حبا شديدا فقال لاخته يا أخية سلمى الى يوسف فوالله ما أقدر ان يغيب عنى ساعة فقالت والله ما انا بتاركته ساعة فاصر يعقوب على أخذه منها فقالت اتركه عندى أياما لعل ذلك يسلينى ثم عمدت الى منطقة اسحق وكانت عندها لانها كانت أكبر ولده فحزمتها على وسط يوسف ثم قالت قد فقدت المنطقة فانظروا من أخذها فالتمست فقالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف وكان من مذهبهم ان صاحب السرقة يأخذ السارق له لا يعارضه فيه أحد فاخذت يوسف فامسكته عندها حتى ماتت واخذه يعقوب بعد موتها فهذا الذى تقول اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل وقيل فى سرقته غير هذا وقد تقدم فلما رأى اخوة يوسف محبة ابيهم له واقباله عليه حسدوه وعظم عندهم ثم ان يوسف رأى فى منامه كأن احد عشر كوكبا والشمس والقمر تسجد له فقصها على ابيه وكان عمره حينئذ اثنى عشرة سنة فقال له ابوه يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين ثم عبر له رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث وسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لابيه فقال لها يعقوب اكتمى ما قال يوسف ولا تخبرى أولادك قالت نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من الرعى أخبرتهم بالرؤيا فازدادوا حسدا وكراهة له وقالوا ما عنى بالشمس غير ابينا ولا

نفيسة رضى الله عنها * وفى ذلك يقول الشيخ حسن الحجازى عفا الله عنه * جاء دجال بمصر * وادعى ما يدعيه
هرع الناس اليه * من وضيع ووجيه * وعليه قد أكبوا * يرجون الخير فيه ٥٩ وله يدلى صريع * ليرى ما يعتريه
فيرى فيه انعكاسا *
خاب من يسعى اليه
جاءه أهل نفاق *
وقفوا عما يليه
عقدوا مجلس ذكر *
بينما رقص وتيه
ونباح وصياح *
وصراخ كالعتيه
ونساء مع رجال *
جالسات بالبديه
طول ليل ونهار *
أجل فسق تبتغيه
سلط الله عليه *
بعد هذا حاكميه
ثلاث بعد عشر *
من جماد الثانى فيه
قتلوه مع ثلاث *
بحسام صالتيه
وكفى الله البرايا *
شره مع تابعيه
قتله قد أرخوه *
قتل الشر لديه
قاله البدر الحجازى *
حسن فانظر اليه
ربنا منك بلطف *
واسع مع والديه
وصلاة وسلام *
للنبى طه النبيه
وعلى آل وصحب *
ثم قوم وارثيه
*وفى رابع عشر شوال كانت واقعة المغاربة من أهل تونس وفاس وذلك ان من عادتهم أن يحملوا كسوة الكعبة التى تحمل كل سنة للبيت الحرام ويمرون بها فى وسط القاهرة وتحمل المغاربة جانبا منها للتبرك بها ويضربون كل من رأوه يشرب الدخان فى طريق مرورهم فرأوا رجلا من اتباع

مصطفى كتخدا القازدغلى فكسروا أنبوبته وتشاجروا معه وشجوا رأسه وكان فى مقدمتهم طائفة منهم منسلحون وزاد التشاجر واتسعت القضية وقام عليهم أهل السوق وحضر أوده باشة البوابة فقبض على أكثرهم ووضعهم فى الحديد وطلع بهم الى الباشا واخبروه بالقضية فامر بسجنهم بالعرقانة فاستمروا حتى سافر الحج من مصر ومات منهم جماعة فى السجن ثم أفرج عن باقيهم * ثم تولى قره محمد باشا وحضر الى مصر منتصف ربيع الثانى سنة احدى عشرة ومائة والف وهو كتخدا اسمعيل باشا المتقدم ذكره * وفى ايامه سنة اربع عشرة حصلت حادثة الفتنة المقصوصة والتسعيرة وسيأتى خبر ذلك فى ترجمة على اغا مستحفظان * وفى سنة خمس عشرة وردت الاخبار بوفات السلطان مصطفى وجلوس السلطان احمد بن محمد خان فى سابع عشر ربيع الآخر منها وامر الباشا بقطع سقائف الدكاكين لاجل توسعة الطريق والاسواق ففعل ذلك ثم امر بقطع الارض وتمهيدها بحفر وانحو ذراع او اكثر من الاسواق ففعل ذلك ثم امر بقطع الارض الى ان كشفت الجدران ومكث محمد باشا واليا بمصر خمس سنوات الى ان عزل فى شهر رجب سنة ست عشرة ومائة والف * ومن مآثره تعمير الاربعين الذى بجوار باب قراميدان وانشأ فيه جامعا بخطبة وتكية لفقراء الخلوتية من الاروام واسكنهم بها وانشأ تجاهها مطبخا ودار ضيافة للفقراء وفى علوها مكتبا للاطفال يقرؤن فيه القرآن ورتب لهم ما يكفيهم وانشأ فيما بينها وبين البستان المعروف بالغورى حماما فسيحا مفروشا بالرخام الملون وجدد

بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ان ابن راحيل يريد ان يتملك علينا ويقول أنا سيدكم وتآمروا بينهم ان يفرقوا بينه وبين أبيه وقالوا ليوسف وأخوه احب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين فى خطا بين فى ايثارهما علينا اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين أى تائبين فقال قائل منهم وهو يهودا وكان أفضلهم وأعقلهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة وأخذ عليهم العهود أنهم لا يقتلونه فاجمعوا عند ذلك ان يدخلوا على يعقوب ويكلموه فى ارسال يوسف معهم الى البرية واقبلوا اليه ووقفوا بين يديه وكذلك كانوا يفعلون اذا أرادوا منه حاجة فلما رآهم قال ما حاجتكم قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون نحفظه حتى نرده أرسله معنا الى الصحراء يرتع ويلعب وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انه ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون لا تشعرون وانما قال لهم ذلك لانه كان رأى فى منامه كأن يوسف على راس جبل وكأن عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليقتلوه واذا ذئب منها يحمى عنه وكأن الارض انشقت فذهب فيها فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة ايام فلذلك خاف عليه الذئب فقال له بنوه لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما سمع يعقوب ذلك اطمأن اليهم فقال يوسف يا أبت ارسلنى معهم قال وتحب ذلك قال نعم فاذن له فلبس ثيابه وخرج معهم وهم يكرمونه فلما برزوا الى البرية أظهروا له العداوة وجعل بعض اخوته يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه وجعل يصيح يا ابتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الاماء فلما كادوا يقتلونه قال لهم يهودا أليس قد أعطيتمونى موثقا ان لا تقتلوه فانطلقوا به الى الجب فاوثقوه كتافا ونزعوا قميصه وألقوه فيه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى أتوارى به فى الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يؤانسونك قال انى لم ار شيأ فدلوه فى الجب فلما بلغ نصفه ألقوه وأرادوا أن يموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة فاقام عليها ثم نادوه فظن انهم قد رحموه فاجابهم فارادوا أن يرضخوه بالحجارة فمنعهم يهودا ثم أوحى الله اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون بالوحى وقيل لا يشعرون أنه يوسف والجب بارض بيت المقدس معروف ثم عادوا الى أبيهم عشاء يبكون فقالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب فقال لهم أبوهم بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل ثم قال لهم أرونى قميصه فأروه فقال تالله ما رأيت ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يشق قميصه ثم صاح وخر مغشيا عليه ساعة فلما أفاق بكى بكاء طويلا فاخذ القميص يقبله ويشمه وأقام يوسف فى الجب ثلاثة أيام وأرسل الله ملكا حل كتافه ثم جاءت سيارة فأرسلوا واردهم وهو الذى يتقدم الى الماء فادلى دلوه الى البئر فتعلق به يوسف فأخرجه من الجب وقال

يا بشرى

يا بشرى هذا غلام أى تباشروا وقيل بشرى اسم غلام وأسروه بضاعة يعني الوارد وأصحابه خافوا ان يقول اشتريناه فيقول الرفقة أشركونا فيه فقال ان أهل الماء استبضعونا هذا الغلام وجاء يهودا بطعام ليوسف فلم يره في الجب فنظر فرآه عند مالك في المنزل فاخبر اخوته بذلك فأتوا مالكا وقالوا هذا عبد آبق منا وخافهم يوسف فلم يذكر حاله واشتروه من اخوته بثمن بخس قيل عشرون درهما وقيل أربعون درهما وذهبوا به الى مصر فكساه مالك وعرضه للبيع فاشتراه قطفير وقيل اطفير وهو العزيز وكان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العمالقة قيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف ومات ويوسف حي وملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف فلم يؤمن فلما اشترى يوسف وأتى به الى منزله قال لامرأته واسمها راعيل أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا اذا ذهم الامور بعض ما نحن بسبيله أو نتخذه ولدا وكان لا يأتي النساء وكانت امرأته حسناء ناعمة في ملك ودنيا فلما خلا من عمر يوسف ثلاث وثلاثون سنة آتاه الله العلم والحكمة قبل النبوة وراودته راعيل عن نفسه وأغلقت الابواب عليه وعليها ودعته الى نفسها فقال معاذ الله انه ربي يعني ان زوجك سيدي أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون يعني ان خيانته ظلم وجعلت تذكر محاسنه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينتثر من جسدي قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هي أول ما يسيل من جسدي قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب فلم تزل به حتى همت به وهم بها وذهب ليحل سراويله ٣ فاذا هو بصورة يعقوب قد عض على اصبعه يقول يا يوسف أتواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ومثلك اذا واقعتها مثله اذا مات ووقع الى الارض وقيل جلس بين رجليها فرأى في الحائط ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فقام حين رأى برهان ربه هاربا يريد الباب فادركته قبل خروجه من الباب فجذبت قميصه من قبل ظهره فقدته والفيا سيدها لدى الباب وابن عمها معه فقالت له ما جزاء من أراد باهلك سوأ الا ان يسجن قال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فهربت منها فادركتني فقدت قميصي قال لهما ابن عمها تبيان هذا في القميص فان كان قد من قبل فصدقت وان كان قد من دبر فكذبت فأتى بالقميص فوجده قد من دبر فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وقيل كان الشاهد صبيا في المهد قال ابن عباس تكلم أربعة في المهد وهم صغار ابن ماشطة امرأة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وقال زوجها ليوسف أعرض عن هذا أى اذكر ما كان منها فلا تذكره لاحد ثم قال لزوجته استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وتحدث النساء بامر يوسف وامرأة العزيز وبلغ ذلك امرأة العزيز فارسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ يتكئن عليه

(٣ قوله وذهب ليحل سراويله نعوذ بالله من اعتقاد هذا بل همّ بها بالضرب تأديبا أو ان الهم وحصوله معلق على عدم رؤية البرهان والانبياء الله منزهون عن الهم على الفاحشة اهـ من هامش

بستان الغوري وغرس فيه الاشجار ورمم قاعة الغوري التي بالبستان وعمر بجوار المنزل سكن امير اخور وبنى مسطبة عظيمة برسم الباس القفاطين وتسليم المحمل لامير الحاج وارباب المناصب وعمر مسطبة يرمى عليها النشاب وانشأ الحمام البديع بقراميدان ونقل اليه من القلعة حوض رخام صحن قطعة واحدة انزلوه من السبع حدارات وعملوا به فسقية في وسط المسلخ وعمر بالقرافة مقام سيدي عيسى ابن سيدي عبد القادر الجيلاني وجعل به فقراء مجاورين ورتب لهم ما يكفيهم وانشأ صهريجا بداخل القلعة بجوار نوبة الجاويشية ورتب فيها خمسة عشر نفرا يقرؤن القرآن كل يوم بعد الشمس وهو الذي تسبب في قتل عبد الرحمن بك حاكم جرجا الخزازة معه من اجل مخدومه اسمعيل باشا وسياتي تتمة ذلك في خبره عند ذكر ترجمته * وتولى رامي محمد باشا وكان تولى الوزارة في زمن السلطان مصطفى وانفصل عنها وجعل محافظا بجزيرة قبرص ثم حضر منها واليا على مصر فطلع الى القلعة في يوم الاثنين سادس شعبان سنة ست عشرة ومائة والف * وفي سبع عشرة تقلد قيطاس بك امارة الحج عوضا عن ايوب بك * وفي تلك السنة توقف النيل عن الزيادة فضج الناس وابتهلوا بالدعاء وطلب الاستسقاء واجتمعوا على جبل

الجيوشي وغيره من الاماكن المعروفة باجابة الدعاء فاستجاب الله لهم فى حادى عشر توت وشذ ذلك من النوازل وقد ارخه بعضهم فقال * النيل فى مصر أوفى ٦٢ * فى توت حادى وعاشر والناس قد ارخوه * لله جبر الخواطر

وسائد وحضرن وقدمت لهن أترجا وأعطت كل واحدة منهن سكينا لقطع الاترج وقد اجلست يوسف فى غير المجلس الذى هن فيه وقالت له اخرج عليهن فخرج فلما رأينه اكبرنه وأعظمنه وقطعن ايديهن بالسكاكين ولم يشعرن وقلن معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فلما حل بهن ما حل من قطعهن ايديهن وذهاب عقولهن وعرفن خطأهن فيما قلن اقرت على نفسها وقالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاختار يوسف السجن على معصية الله فقال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن ثم بدا للعزيز من بعد ما رأى الآيات من القميص وخمش الوجه وشهادة الطفل وتقطيع النسوة ايديهن فى ترك يوسف مطلقا وقيل انها شكت الى زوجها وقالت ان هذا العبد قد فضحنى فى الناس يخبرهم انى راودته عن نفسه فسجنه سبع سنين فلما حبس يوسف ادخل معه السجن فتيان من اصحاب فرعون مصر أحدهما صاحب طعامه والآخر صاحب شرابه لانهما نقل عنهما انهما يريدان ان يسما الملك فلما دخل يوسف السجن قال انى اعبر الاحلام فقال أحد الفتيين للآخر هلم فلنجربه فقال الخباز انى أرانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه وقال الآخر انى أرانى اعصر خمرا فقال لهما يوسف لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما كره ان يعبر لهما ما سألاه عنه وأخذ فى غير ذلك وقال يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار وكان اسم الخباز مجلث واسم الآخر نبو فلم يدعاه حتى اخبرهما بتأويل ما سألاه عنه فقال اما احدكما وهو الذى رأى انه يعصر الخمر فيسقى ربه خمرا يعنى سيده الملك واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه فلما عبرلهما قالا ما رأينا شيأ قال قضى الامر الذى فيه تستفتيان ثم قال لنبو وهو الذى ظن انه ناج منهما اذكرنى عند ربك الملك واخبره انى محبوس ظلما فأنساه الشيطان ذكر ربه غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان فأوحى الله اليه يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن حبسك فلبث فى السجن سبع سنين ثم ان الملك وهو الريان بن الوليد بن الهروان بن اراشة بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح رأى رؤيا هالته رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات فجمع السحرة والكهنة والحازة والعافة فقصها عليهم فقالوا اضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين فقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة اى حين انا أنبئكم بتأويله فارسلوه الى يوسف فقص عليه الرؤيا فقال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون فان البقر السمان

* وفى ذلك يقول الشيخ حسن الحجازى

لأهل مصر نكير * ما فوقه قط نكر
نفاقهم ليس يحصى * وكذبهم ذاك سحر
تعطل النيل عاما * وكادلميات جبر
فعند ذا الكذب منهم * قد فاض ما فيه حصر
فى كل يوم وفاء * صبح وظهر وعصر
ويحلفون على ذا * يرون ما فيه وزر
للجبر كل نهار * يغدو لديه جسر
يروون اخبار شتى * عنها الحقيق يعرو
ملا على الناس فحج * فكاد يحصل كفر
ليأسهم واستمروا * يدعون لم يستقروا
حتى اتى من قدير * قد جل فتح ونصر
النيل اوفاه فضلا * وزال بالجبر كسر
فى حادى عشر بتوت * ذاك الوفاء المسر
وسبع عشر ذراعا * قد كان ذاك ونزر
فلم يعم الاراضى * وزاد فى القوت سعر
وعند ذاك الحجازى * حسن تغشاه يسر
العام ذاك ارخ * وجب فى توت يجبر
سنون

فروى بعض البلاد وهبط سعر بعد حصول الغلاء و بلغ سعر الاردب القمح مائتين واربعين فضة والفول كذلك والعدس

سنون مخاصيب والبقرات العجاف السنون المحول وكذلك السنبلات الخضر اليابسات فعادنبو الى الملك فاخبره فعلم ان قول يوسف حق فقال ائتوني به فلما اتاه الرسول ودعاه الى الملك لم يخرج معه وقال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن فلما رجع الرسول من عند يوسف سال الملك أولئك النسوة فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ولكن امرأة العزيز خبرتنا انها راودته عن نفسه فقالت امرأة العزيز انا راودته عن نفسه فقال يوسف انما رددت الرسل ليعلم سيدى انى لم اخنه بالغيب فى زوجته فلما قال ذلك قال له جبرائيل ولاحين هممت بها فقال يوسف وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء فلما ظهر للملك براءة يوسف وأمانته قال ائتونى به استخلصه لنفسى فلما جاءه الرسول خرج معه ودعا لاهل السجن وكتب على بابه هذا قبر الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم اغتسل ولبس ثيابه وقصد الملك فلما وصل اليه وكلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين فقال يوسف اجعلنى على خزائن الارض فاستعمله بعد سنة ولولم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته فسلم خزائنه كلها اليه بعد سنة وجعل القضاء اليه وحكمه نافذا ورد اليه عمل قطفير سيده بعد ان هلك وكان هلاكه فى تلك الليالى وقيل بل عزله فرعون وولى يوسف عمله والاول أصح لان يوسف تزوج امرأته على ما نذكره ولما ولى يوسف عمل مصر دعا الملك الريان الى الايمان فآمن ثم توفى ثم ملك بعده مصر قابوس بن مصعب بن معاوية ابن نمير بن السلواس بن فاران بن عمرو بن عملاق فدعاه يوسف الى الايمان فلم يؤمن وتوفى يوسف فى ملكه ثم ان الملك الريان زوج يوسف راعيل امرأة سيده فلما دخل بها قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء جميلة فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك فغلبتنى نفسى ووجدها بكرا فولدت له ولدين افرايم ومنشا فلما ولى يوسف خزائن أرضه ومضت السنون السبع المخصبات وجمع فيها الطعام فى سنبله ودخلت السنون المجدبة وقحط الناس وأصابهم الجوع وأصاب بلاد يعقوب التى هو بها فبعث بنيه الى مصر وأمسك بنيامين أخا يوسف لامه فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون وانما أنكروه لبعد عهدهم منه ولتغير لبسه فانه لبس ثياب الملوك فلما نظر اليهم قال أخبرونى ما شأنكم قالوا نحن من الشام جئنا نمتار الطعام قال كذبتم أنتم عيون فاخبرونى خبركم قالوا نحن عشرة أولاد رجل واحد صديق كنا اثنى عشر وانه كان لنا أخ فخرج معنا الى البرية فهلك وكان أحبنا الى أبينا قال فالى من سكن أبوكم بعده قالوا الى أخ لنا أصغر منه قال فائتونى به أنظر اليه فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه قال فاجعلوا بعضكم عندى رهينة حتى ترجعوا فوضعوا شمعون اصابته القرعة وجهزهم يوسف بجهازهم وقال لفتيانه

مائتى نصف فضة والشعير مائة نصف فضة والارز ار بعمائة نصف فضة الاردب وبيع اللحم الضانى كل رطل بثلاثة انصاف فضة والجاموسى والبقرى بنصفى فضة والسمن القنطار بستمائة نصف فضة والزيت بثلثمائة وخمسين والدجاجة بثمانية انصاف وعلى هذا فقس والبيض كل ثلاث بيضات بنصف والرطل الشمع الدهن بثمانية انصاف وكثر الشحاذون فى الازقة ✻ وفى سنة ثمان عشرة لم يأت من اليمن ولا من الهند مراكب فنجح القماش الهندى وغلا البن حتى بلغ القنطار الفين وسبعمائة وخمسين نصفا وغلا الشاش فبيع القرحات خان بار بعمائة نصف فضة والخنكارى بسبعمائة نصف ✻ وفى سادس رجب عزل محمد باشا وحضر مسلم على باشا ✻ وفى تاسعه نزل محمد باشا من القلعة فى موكب عظيم وسكن بمنزل احمد كتخدا العزب سابقا المطل على بركة الفيل بالقرب من حمام السكرار ✻ ووصل على باشا من طريق البر وذهبت اليه الملاقاة على العادة وأرسى بساحل بولاق يوم الاثنين تاسع شعبان وهو فى نحو ألف ومائتى نفس خلاف الاتباع ✻ وفى ثانى عشر شعبان سنة ثمان عشرة ركب بالموكب وطلع الى القلعة وضربوا المدافع لقدومه ✻ وفى أواخر هذا الشهر وقعت فتنة بين العزب والمتفرقة وسببها أن شخصا من بلك العزب يسمى محمد أفندى كاتب صغير سابقا ثم بعد عزله تولى خليفة فى ديوان المقابلة وحصل له تهمة عزل بها من المقابلة ثم عمل سردار بالاسكندرية على طائفة العزب وعمل كتخدا القبودان وركب فى المراكب واشيع انه غرق

في البحر فخلوا اسمه وماله من التعلقات في بابه وغيره وبعد مدة حضر الى مصر وطلع الى الديوان وصحح اسمه الذي في العزب
وجراياته وتعلقاته وبقي له بعض تعلقات ٦٤ لم يقدر على خلاصها ولم يساعده أهل بابه وأهملوا أمره فتغير خاطره منهم

وذهب الى بلك المتفرقة وانضم اليهم وسألهم أن يخرجوه من العزب ويدخلوه فيهم وجعل يركب معهم كل يوم للديوان ويرجع الى باب العزب فبينما هو ذات يوم طالع الى الديوان اذ وقف له جماعة من العزب وقبضوا على لجام فرسه وأنزلوه من على فرسه وحبسوه في بابهم وبلغ الخبر المتفرقة وهم في الديوان وحضر محمد أمين بيت المال في العزب وكان في ذلك اليوم نائبا عن باش جاويش لمرضه فعاتبه جماعة المتفرقة على ما فعله جماعته فأغلظ عليهم في الجواب فقبضوا عليه من أطواقه وأرادوا ضربه فدخل بينهم المصلحون وخلصوه من أيديهم ثم نزل الى باب العزب وأخبرهم بما فعله المتفرقة فاجتمعت طائفة العزب ووقفوا على بابهم فلما مر عليهم اثنان من جماعة المتفرقة نازلين الى منازلهما وهما محمد الابدال وصاوي علي فلما حاذياهم هجم عليهما طائفة العزب بهجمة واحدة وضربوهما ضربا مؤلما وأنزلوهما عن الخيل وشجوهما ونهبوا ما على الخيل من العدد وأخذوا ما عليهما من الملبوس فلما وصل الخبر للمتفرقة اجتمعوا مع بقية الوجاقات وقعدوا في باب الينكجرية وأنهوا أمرهم الى الاغوات والصناجق

اجعلوا بضاعتهم يعني ثمن الطعام في رحالهم لعلهم يرجعون لما علم ان أمانتهم وديانتهم تحملهم على رد البضاعة فيرجعون اليه لاجلها وقيل ردها لهم لانه خشي ان لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى فاذا رأوا معهم بضاعة عادوا وكان يوسف حين رأى ما بالناس من الجهد قد آسى بينهم وكان لا يحمل للرجل الا بعيرا فلما رجعوا الى أبيهم باحمالهم قالوا يا أبانا ان عزيز مصر قد أكرمنا كرامة لو أنه بعض أولاد يعقوب ما زاد على كرامته وانه ارتهن شمعون وقال ائتوني باخيكم الذي عطف عليه أبوكم بعد أخيكم فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل فلما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير قال يعقوب ذلك كيل يسير فقال يعقوب لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل ثم أوصاهم أبوهم بعد أن أذن لأخيهم في الرحيل معهم وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة خاف عليهم العين وكانوا ذوي صورة حسنة ففعلوا كما امرهم أبوهم ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه وعرفه وأنزلهم منزلا واجرى عليهم الوظائف وقدم لهم الطعام واجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف لقد بقي اخوكم هذا وحيدا فاجلسه معه وقعد يؤاكله فلما كان الليل جاءهم بالفرش وقال لينم كل اخوين منكم على فراش وبقي بنيامين وحده فقال هذا ينام معي فبات معه على فراشه فبقي يشمه ويضمه اليه حتى أصبح وذكر له بنيامين حزنه على يوسف فقال له أتحب ان أكون اخاك عوض أخيك الذاهب فقال بنيامين ومن يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه فعانقه وقال له اني أنا أخوك يوسف فلا تبتئس بما فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا ولا تعلمهم بما علمتك وقيل لما دخلوا على يوسف نقر الصواع وقال انه يخبرني انكم كنتم اثني عشر رجلا وانكم بعتم أخاكم فلما سمعه بنيامين سجد له وقال سل صاعك هذا عن أخي أحي هو فنقره ثم قال هو حي وستراه قال فاصنع بي ما شئت فانه ان علم بي سوف يستنقذني قال فدخل يوسف فبكى ثم توضأ وخرج اليهم قال فلما جهز يوسف ابل اخوته من الميرة جعل الاناء الذي يكيل به الطعام وهو الصواع وكان من فضة في رحل أخيه وقيل كان اناء يشرب فيه ولم يشعر أخوه بذلك وقيل ان بنيامين لما علم ان يوسف أخوه قال لا أفارقك قال يوسف أخاف غم أبوينا ولا يمكنني حبسك الا بعد ان أشهرك بامر فظيع قال افعل قال فاني أجعل الصواع في رحلك ثم أنادي عليك بالسرقة لآخذك منهم قال افعل فلما ارتحلوا أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين لانا رددنا ثمن الطعام الى يوسف فلما قالوا ذلك قالوا فما جزاؤه ان كنتم

كاذبين

وأهل الحل والعقد واستمروا على ذلك ثلاثة أيام الى ان وقع التوافق على اخراج اربعة أنفار الذين كانوا سببا لاشعال نار الفتنة

ونفيهم من مصر وهم أحمد كتخدا العزب ومحمد امين بيت المال والشريف محمد باش اوده باشه ومحمد افندى قاضى اوغلى الذى كان الباعث على ذلك فوافق على ذلك الجميع وصمموا عليه فسفروهم الى جهة الصعيد * وفى ثانى شهر الحجة عزل على اغا مستحفظان وتولى عوضه رضوان اغا كتخدا الجاوشية سابقا وركب بالشعار المعلوم وقطع ووصل وأمر اهل الاسواق ان يدفعوا الارطال فى دار الضرب بالدمغة السلطانية وجعلوا على كل دمغة نصف فضة فتحصل من ذلك مال له صورة * وفى سابع عشر المحرم سنة تسع عشرة ومائة والف توفى اسمعيل بك الدفتردار وولى ايوب بك عوضه وهو الذى كان امير الحاج سابقا * وفى سادس صفر ورد مرسوم من السلطان احمد بان يكون عيار الذهب اثنين وعشرين قيراطا وكانوا يقطعونه على ستة عشر * وفى يوم الخميس ورد أمر بحبس محمد باشا الرامى وبيع كامل ما يملكه من متاع وملبوس وغيره فحبس بقصر يوسف صلاح الدين وابطال والى البحر الذى يتولى من باب العزب * وفيه وصل الحجاج وقد تأخروا الى نصف صفر بسبب دخول مراكب الهند وشراء ما بها من الاقمشة * وفى شهر ربيع حبس جماعة من أتباع الباشا وهم الكتخدا والخازندار وغيرهم من ارباب الكلمة * وفى ثامن عشر جمادى الآخرة تقلد ابراهيم بك الدفتردارية عوضا عن ايوب بك بموجب مرسوم سلطانى وفيه عزل رضوان اغا مستحفظان وتولى احمد اغا ابن بكير افندى عوضا عنه * وفيه ورد امر بابطال نوبة محمد باشا ونفيه الى جزيرة رودس فنزل من

كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه تأخذونه لكم فبدأ باوعيتهم ففتشها قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه فقالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف وكانت سرقته حين سرق صنما لجده أبى أمه فكسره فعيروه بذلك وقيل ما تقدم ذكره من المنطقة فلما استخرجت السرقة من رحل الغلام قال اخوته يا بنى راحيل لا يزال لنا منكم بلاء فقال بنيامين بل بنو راحيل ما يزال لهم منكم بلاء وضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع الدراهم فى رحالكم فأخذ يوسف أخاه بحكم اخوته فلما رأوا انهم لا سبيل لهم عليه سألوه ان يتركه لهم وقالوا يا أيها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه فقال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فلما أيسوا من خلاصه خلصوا نجيا لا يختلط بهم غيرهم فقال كبيرهم وهو شمعون وقيل روبيل ألم تعلموا ان أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله لتأتننى به الا ان يحاط بنا ومن قبل هذه المرة ما فرطتم فى يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى بالخروج وقيل بالحرب فارجعوا الى أبيكم فقصوا عليه الخبر كما لما رجعوا الى أبيهم فاخبروه بخبر بنيامين وتخلف شمعون قال بل سولت لكم انفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله ان يأتينى بهم جميعا يوسف وأخيه وشمعون ثم اعرض عنهم وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم مملوء من الحزن والغيظ فقال له بنوه تالله لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا أى دنفا أو تكون من الهالكين فاجابهم يعقوب فقال انما أشكو بثى وحزنى الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون من صدق رؤيا يوسف وقيل بلغ من وجد يعقوب وجد سبعين مثكلا واعطى على ذلك اجر مائة شهيد قيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابوك فقال هشمنى وأفنانى ما ابتلانى الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه اتشكونى الى خلقى قال يا رب خطيئة فاغفرها قال قد غفرتها لك فكان يعقوب اذا سئل بعد ذلك قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله فاوحى الله اليه لو كانا ميتين لاحييتهما لك انما ابتليتك لانك قد شويت وقترت على جارك ولم تطعمه وقيل كان سبب ابتلائه انه كان له بقرة لها عجول فذبح عجلها بين يديها وهى تخور فلم يرحمها يعقوب فابتلى بفقد اعز ولده عنده وقيل ذبح شاة فقام ببابه مسكين فلم يطعمه منها فأوحى الله اليه فى ذلك وأعلمه انه سبب ابتلائه فصنع طعاما ونادى من كان صائما فليفطر عند يعقوب ثم ان يعقوب امر بنيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع اليها وتحسس الاخبار عن يوسف وأخيه فرجعوا الى مصر فدخلوا على يوسف وقالوا يا أيها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة يعنى قليلة فأوف لنا الكيل قيل كانت بضاعتهم دراهم زيوفا وقيل كانت سمنا وصوفا وقيل غير ذلك وتصدق علينا فضل ما بين الجيد والردئ * وقيل برد اخينا علينا فلما سمع كلامهم غلبته نفسه فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذى كان يكتم وقيل انما اظهر لهم ذلك لان اباه كتب

يومه الى بولاق واقام بها الى ان سافر * وفى اوائل رجب ورد امر بعزل على باشا وحبسه فى قصر يوسف واستخلاص ما عليه
من الديون الى تجار اسلامبول وجعل ابراهيم بك قائمقام وحبس على باشا وبيعت موجوداته * وفيها
وقعت فتنة بباب الينكجرية
وعزلوا افرنج احمد باش اوده
باشا وحسين اوده باشا ثم
نفوهم الى الطينة بدمياط
* ووردت الاخبار بولاية حسين
باشا على مصر وقدومه الى
الاسكندرية فقدم الى مصر
فى ثالث عشرى شعبان سنة
تسع عشرة * وفيه سافر الشريف
يحيى بن بركات الى مكة بمرسوم
سلطانى * وفيه فر افرنج احمد
اوده باشا وحسين اغا من حبس
الطينة ودخلا مصر ليلا فاختبأ
عند اغات الجراكسة والتجأ
حسين الى باب التفكجية *
وفى خامس عشر يفنه طلع
حسين باشا الى القلعة بالموكب
المعتاد على العادة * وفى
سادس عشر يفنه اجتمع
الينكجرية بالباب باسلحتهم
لما بلغهم قدوم افرنج أحمد
الى مصر وقالوا لابد من نفيه
ورجوعه الى الطينة فعاند
فى ذلك طائفة الجراكسة
وامتنعوا من التسليم فيه
وقالوا لابد من نقله من وجاقكم
وساعدهم بقية البلكات
ولم يوافق الينكجرية على
ذلك ومكثوا ببابهم يومين
وليلتين وكذلك فعل كل بلك
ببابه فاجتمع كل العلماء
والمشايخ على الصناجق
والاعيان وخاطبوهم فى حسم الفتنة فوقع الاتفاق على ان يجعلوه صاحب طبلخانه وارسلوا السرير
له القفاطين مع كتخدا الباشا وارباب الدرك واحضروه الى مجلس الاغا وقرؤا عليه فرمان الصنجقية وان خالف يكون عليه

اليه حين قيل له انه اخذ ابنه لانه سرق كتابا من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح
الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر المظهر العدل اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا
البلاء اما جدى فشدت يداه ورجلاه والقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما ابى
فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على حلقه ليذبح ففداه الله واما انا فكان لى ابن
وكان أحب اولادى الى فذهب به اخوته الى البرية فعادوا ومعهم قميصه ملطخا بدم
وقالوا اكله الذئب وكان لى ابن آخر اخوه لامه فكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا
وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا
دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ الكتاب لم يتمالك ان بكى واظهر
لهم فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا أئنك لانت يوسف قال
انا يوسف وهذا اخى قد من الله علينا بأن جمع بيننا فاعتذروا وقالوا تالله لقد آثرك الله
علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم اى لا أذكر لكم ذنبكم يغفر الله لكم ثم
سألهم عن ابيه فقالوا لما فاته بنيامين عمى من الحزن فقال اذهبوا بقميصى هذا فالقوه
على وجه ابى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين فقال يهوذا أنا أذهب به لانى ذهبت اليه
بالقميص ملطخا بالدم واخبرته ان يوسف اكله الذئب فانا اخبره انه حى فافرحه كما
أحزنته وكان هو البشير ولما فصلت العير عن مصر حملت الريح الى يعقوب ريح يوسف
وبينهما ثمانون فرسخا يوسف بمصر ويعقوب بارض كنعان فقال يعقوب انى لاجد
ريح يوسف لولا ان تفندون فقال له من حضره من أولاده تالله انك من ذكر يوسف
لفى ضلالك القديم فلما ان جاء البشير بقميص يوسف القاه على وجه يعقوب فعاد
بصيرا وقال ألم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون يعنى تصديق الله تأويل رؤيا
يوسف ولما ان جاء البشير قال له يعقوب كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر
قال ما اصنع بالملك على أى دين تركته قال تركته على الاسلام قال الآن تمت النعمة
فلما رأى من عنده من اولاده قميص يوسف وخبره قالوا له يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا قال
سوف استغفر لكم أخر الدعاء الى السحر من ليلة الجمعة ثم ارتحل يعقوب وولده فلما
دنا من مصر خرج يوسف يتلقاه ومعه أهل مصر وكانوا يعظمونه فلما دنا احدهما من
صاحبه نظر يعقوب الى الناس والخيل وكان يعقوب يمشى ويتوكأ على ابنه يهوذا
فقال له يا بنى هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك يوسف فلما قرب منه أراد يوسف ان يبدأه
بالسلام فمنع من ذلك فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان لانه لم يفارقه الحزن
والبكاء مدة غيبة يوسف عنه قال فلما دخلوا مصر رفع أبويه يعنى امه وأباه على العرش
وقيل كانت خالته وكانت أمه قد ماتت وخرله يعقوب وامه واخوته سجدا وكان السجود
تحية الناس للملوك ولم يرد بالسجود وضع الجبهة على الارض فان ذلك لا يجوز الا لله تعالى
وانما أراد الخضوع والتواضع والانحناء على السلام كما يفعل الآن بالملوك والعرش

بخلاف ذلك فامتثل الامر ولبس الصنجقية وطلع من منزل اغات الجراكسة بموكب عظيم الى منزله ونزل له الصنجق السلطاني
والطبلخانه في غايته *(ومن الحوادث)* أنه حضر كتخدا حسين باشا المذكور من طريق البحر
باوامر منها تحرير عيار الذهب على ثلاثة وعشرين قيراطا وان يضربوا الزلاطة والعثامنة التي يقال لها الاخشاءة بدار الضرب واحضر معه سكة لذلك فامتنع المصريون من ذلك ووافقوا على تصحيح عيار الذهب فقط *وفي شهر شوال حضر أغا بمرسوم ببيع موجودات على باشا المعزول فباعوها بالمزاد بالديوان *وفي شهر الحجة ورد أغا بطلب خازندار ابراهيم بك الدفتردار وسببه انه انهى الى السلطان ان خليل الخازندار المذكور اتاه رجل دلال بقوس فصار يجذبها ويتصرف فيها وكان بجانبه رجل من العثمانيين فاخذ القوس من يد خليل المذكور واراد جذبها فلم يستطع فتعجب من قوة خليل المذكور وأخذ منه القوس وسافر بها الى الديار الرومية ليمتحن بها أهل ذلك الفن لم يقدر أحد على جذبها واتصل خبرها بالسلطان فطلبها لجذبها فلم يستطع فتعجب من صعوبتها فقال له الرجل ان بمصر مملوكا عند ابراهيم بك أوترها وصار يجذبها حتى تجمع طرفاها وعنده أيضا مكحلة ثلاثون درهما يرمي بها الهدف وهو
راكع على ظهر الحصان فأمر السلطان باحضاره فجهزه ابراهيم بك وارسله * سنة عشرين ومائة وألف *) ورد قبودان
يسمى جانم خوجه رئيس المراكب وطلع الى الديوان ومعه بقية الرؤساء فلما اجتمع بالباشا ابرزله مرسوما بتجهيز على باشا

السمر وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وكان بين رؤيا يوسف ومجيء يعقوب اربعون سنة وقيل ثمانون سنة فانه القي في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة والقيه وهو ابن سبع وتسعين سنة وعاش بعد جمع شمله ثلاثا وعشرين سنة وتوفي وله مائة وعشرون سنة واوصى الى أخيه يهوذا وقيل كانت غيبة يوسف عن يعقوب ثماني عشرة سنة وقيل ان يوسف دخل مصر وله سبع عشرة سنة واستوزره فرعون بعد ثلاث عشرة سنة من قدومه الى مصر وكانت مدة غيبته عن يعقوب اثنتين وعشرين سنة وكان مقام يعقوب بمصر واهله معه سبع عشرة سنة وقيل غير ذلك والله اعلم ولما مات يعقوب أوصى الى يوسف أن يدفنه مع أبيه اسحق ففعل يوسف وسار به الى الشام فدفنه عند أبيه ثم عاد الى مصر واوصى يوسف ان يحمل من مصر ويدفن عند آبائه فحمله موسى لما خرج ببني اسرائيل وولد ليوسف افرايم ومنشا فولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى وولد لمنشا موسى قيل موسى بن عمران وزعم اهل التوراة انه موسى الخضر وولد له رحمة امرأة ايوب في قول

(قصة شعيب عليه السلام)

قيل ان اسم شعيب يثرون بن ضيعون بن عنقا بن ثابت بن مدين بن ابراهيم وقيل هو شعيب ابن ميكيل من ولد مدين وقيل لم يكن شعيب من ولد ابراهيم وانما هو من ولد بعض من آمن بابراهيم وهاجر معه الى الشام ولكنه ابن بنت لوط فجدة شعيب ابنة لوط وكان ضرير البصر وهو معنى قوله تعالى وانا لنراك فينا ضعيفا أي ضرير البصر وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكره قال ذاك خطيب الانبياء بحسن مراجعته قومه وان الله أرسله الى أهل مدين وهم أصحاب الأيكة والأيكة شجر ملتف وكانوا أهل كفر بالله يبخسون الناس في المكاييل والموازين وافساد أموالهم وكان الله وسع عليهم في الرزق وبسط لهم في العيش استدراجا لهم منه مع كفرهم بالله فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني أراكم بخير واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط فلما طال تماديهم في غيهم وضلالهم ولم يزدهم تذكير شعيب اياهم وتحذيره عذاب الله اياهم الا تماديا ولما أراد الله اهلاكهم سلط عليهم عذاب يوم الظلة وهو ما ذكره ابن عباس في تفسير قوله تعالى فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم فقال بعث الله عليهم وقدة وحرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى اجتمعوا تحتها فارسل الله عليهم نارا قال عبد الله بن عباس فذلك عذاب يوم الظلة وقال قتادة بعث الله شعيبا الى أمتين الى قومه أهل مدين والى أصحاب الايكة وكانت الايكة من شجر ملتف فلما أراد الله أن يعذبهم بعث عليهم حرا شديدا ورفع لهم العذاب كأنه سحابة فلما دنت منهم خرجوا اليها رجاء

بردها فلما كانوا تحتها امطرت عليهم نارا قال فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة وأما أهل مدين فهم من ولد مدين بن ابراهيم الخليل فعذبهم الله بالرجفة وهي الزلزلة فهلكوا وقال بعض العلماء كان قوم شعيب عطلوا حدا فوسع الله عليهم فى الرزق ثم عطلوا حدا فوسع الله عليهم فى الرزق فجعلوا كلما عطلوا حدا وسع الله عليهم فى الرزق حتى اذا أراد هلاكهم سلط عليهم حرا لا يستطيعون ان يتقاروا ولا ينفعهم ظل ولا ماء حتى ذهب ذاهب منهم فاستظل تحت ظلة فوجد روحا فنادى أصحابه هلموا الى الروح فذهبوا اليه سراعا حتى اذا اجتمعوا اليها ألهبها الله عليهم نارا فذلك عذاب يوم الظلة وقد روى عامر عن ابن عباس انه قال له من حدثك ما عذاب يوم الظلة فكذبه وقال مجاهد عذاب يوم الظلة هو اظلال العذاب على قوم شعيب وقال زيد بن أسلم فى قوله تعالى ياشعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء قال مما كان ينهاهم عنه قطع الدراهم

(قصة الخضر وخبره مع موسى)

قال أهل الكتاب ان موسى صاحب الخضر هو موسى بن منشا بن يوسف بن يعقوب والحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى صاحب الخضر هو موسى بن عمران على ماذكره وكان الخضر ممن كان فى أيام افريدون الملك بن اثغيان فى قول علماء الكتاب الاول قبل موسى بن عمران وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان فى أيام ابراهيم الخليل وانه بلغ مع ذى القرنين نهر الحياة فشرب من مائه ولا يعلم ذو القرنين ومن معه فخلد وهو حى عندهم الى الآن وزعم بعضهم انه كان من ولد من آمن مع ابراهيم وهاجر معه واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح وكان أبوه ملكا عظيما وقال آخرون ذو القرنين الذى كان على عهد ابراهيم افريدون بن اثغيان وعلى مقدمته كان الخضر قال عبد الله بن شوذب الخضر من ولد فارس والياس من بنى اسرائيل يلتقيان كل عام بالموسم وقال ابن اسحق استخلف الله على بنى اسرائيل رجلا منهم يقال له ناشية بن أموص فبعث الله لهم الخضر نبيا قال واسم الخضر فيما يقول بنو اسرائيل أرميا بن حلقيا وكان من سبط هرون ابن عمران وبين هذا الملك وبين افريدون أكثر من ألف عام وقول من قال ان الخضر كان فى أيام افريدون وذى القرنين الاكبر قبل موسى بن عمران أشبه للحديث الصحيح ان موسى بن عمران أمره الله بطلب الخضر ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلم الخلق بالكائن من الامور فيحتمل ان يكون الخضر على مقدمة ذى القرنين قبل موسى وانه شرب من ماء الحياة فطال عمره ولم يرسل فى أيام ابراهيم وبعث فى أيام ناشية ابن أموص وكان ناشية هذا فى أيام بشتاسب بن لهراسب والحديث ما رواه أبى بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس ان نوفا يزعم ان

الخضر

الى الديار الرومية فجهز فى ثامن عشرينه ونزل بموكب فيه حسين باشا والصناجق والاغوات وأتباعهم ونزل فى السفائن وسافر فى أوائل ربيع الاول * وفى ثامن عشر شوال اجتمع عسكر بالديوان وأنهوا الى الباشا ان محمد بك حاكم جرجا أنزل عربان المغاربة وأمنهم وهذا يؤدى الى الفساد فعزلوه وولوا آخر اسمه محمد من اتباع قيطاس بك جعلوه صنجقا والبسوه على جرجا وهو الذى عرف بقطامش وستأتى أخباره * وفى تاسع عشر شوال ورد محسن زاده أخو كتخدا الوزير أدخله حسين باشا بموكب حفل وطلع الى القلعة وأبرز مرسوما بعزل ايواز بك وتوليه محمد باشا محسن زاده فى منصبه فانزله فى غيط قراميدان الى أن سافر صحبة الحاج الشريف * ومن الحوادث أن فى يوم الاثنين رابع عشر القعدة سنة عشرين ومائة وألف وقف مملوك لرجل يسمى محمد اغا الحلبي على دكان قصاب بباب زويلة ليشترى منه لحما فتشاجر مع جماعة عثمان اوده باش البوابة فأعلم عثمان بذلك فأرسل أعوانه فقبضوا على ذلك المملوك واحضروه اليه فأمر بحبسه فى سجن الشرطة فلما بلغ محمد جاويش سجن مملوكه حضر هو وأولاده وأتباعه الى باب صاحب الشرطة لخلاص مملوكه فتفاوضا فى الكلام وحصل بينهما مشاجرة فقبض عثمان أوده باشا على محمد جاويش المذكور وأودعه فى السجن وركب الى باش اوده باشا وهو اذ ذاك سليمان ابن عبد الله وطلع الى كتخدا مستحفظان وعرض القصة فلم يرضوا بذلك وأمروه باطلاقه فرجع وأخرج محمد جاويش ومملوكه من السجن وركب فى

ثاني يوم الحادثة اجتمعت طائفة الجاويشية مع طائفة المتفرقة والثلاث بلكات الاسباهية والامراء والصناجق والاغوات في الديوان وطلبوا نفي عثمان أوده باشا المذكور فلم توافقهم الينكجرية على ذلك فطلعوا الى الديوان وطلبوا عثمان المذكور للدعوى عليه فحضر وأقيمت الدعوى بحضرة الباشا والقاضي فامر القاضي بحبس عثمان كما حبس محمد جاويش فلم يرض الاخصام بذلك وقالوا لابد من عزله ونفيه فلم توافقهم الينكجرية فطلب العسكر من الباشا أمرا بنفيه فتوقف في ذلك فنزلوا مغضبين واجتمعوا بمنزل كتخدا الجاويشية وأنزلوا مطبخهم من نوبة خاناه الى منزل كتخدا الجاويشية صالح أغا وأقاموا به ثلاثة أيام ليلا ونهارا وامتنعوا من التوجه الى الديوان ثم اجتمع أهل البلكات وتحالفوا انهم على قلب رجل واحد واتفقوا على نفي عثمان أوده باشا ثم اجتمعوا على الصناجق واتفقوا ان يكونوا معهم على طائفة الينكجرية لانهم لم يعتبروهم وأرسل الاسباهية مكاتبات لانفارهم المحافظين مع الكشاف بالولايات يأمرونهم بالحضور وفي ذلك اليوم عزل أوده باشي البوابة وولي خلافه * وفي يوم الجمعة ثامن عشري الشهر حضر الى طائفة الينكجرية من أخبرهم ان العسكر يريدون قتالهم فارسلوا القابجية الى أنفارهم ليحضروا الى الباب بآلة الحرب فاجتمعوا وانزعج أهل الاسواق وقفل غالبهم دكاكينهم ثم انهم أتوا بعد ذلك وجلسوا في دكاكينهم واستمر أهل الوجاقات الستة يجتمعون ويتشاورون في أبوابهم وفي منزل محمد اغا

الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران قال كذب عدو الله حدثني أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان موسى قام في بني اسرائيل خطيبا فقيل له أي الناس اعلم فقال أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم اليه فقال يارب هل هنالك أعلم مني قال بلى عبد لي بمجمع البحرين قال يارب كيف لي به قال تأخذ حوتا فتجعله في مكتل فحيث تفقده فهو هنالك فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم قال لفتاه اذا فقدت هذا الحوت فاخبرني فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا الصخرة وذلك الماء وهو ماء الحياة فمن شرب منه خلد ولا يقاربه شئ ميت الاحيي فمس الحوت منه فحيي وكان موسى راقدا واضطرب الحوت في المكتل فخرج في البحر فامسك الله عنه جرية الماء فصار مثل الطاق فصار للحوت سربا وكان لهما عجبا ثم انطلقا فلما كان حين الغداء قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى تجاوز حيث أمره الله فقال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا قال يقصان آثارهما حتى أتيا الصخرة فاذا رجل نائم مسجى بثوبه فسلم موسى عليه فقال واني بارضنا السلام ثم قال له من أنت قال أنا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم قال يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله لا أعلمه قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ثم ركبا سفينة فجاء عصفور فقعد على حرف السفينة فنقر في الماء فقال الخضر لموسى ما ينقص علمي وعلمك من علم الله الا مقدار ما نقر هذا العصفور من البحر قال فبيناهم في السفينة فلم يفجأ موسى الا وهو يتد وتدا أو ينزع تختاما منها فقال له موسى حملنا بغير نول فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا امرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا قال وكانت الاولى من موسى نسيانا قال فخرجا فانطلقا يمشيان فابصرا غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ برأسه فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فلم يجدا أحدا يطعمهما ولا يسقيهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فاقامه فقال له موسى لم يضيفونا ولم ينزلونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وفي قراءة أبي سفينة صالحة وأما

الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا الى مالم تسطع عليه صبرا فكان ابن عباس يقول ما كان الكنز الا علما قيل لابن عباس لم نسمع لفتى موسى بذكر فقال شرب الفتى من الماء الخلد فاخذه العالم فطابق به سفينته ثم أرسلها فى البحر فانها لتموج به الى يوم القيامة الحديث يدل على ان الخضر كان قبل موسى وفى أيامه و يدل على خطا من قال انه أرميا لان أرميا كان أيام بختنصر و بين أيام موسى و بختنصر من المدة مالا يشكل على عالم بايام الناس فان موسى انما نبئ فى أيام منوجهر وكان ملكه بعد جده افريدون

(ذكر الخبر عن منوجهر والحوادث فى أيامه)

ثم ملك بعد افريدون منوشهر بن ايرج بن افريدون وقيل منوجهر بن منشخوارنر بن منشخوارنغ بن ويرك بن سروشنك بن ابوك بن بتك بن فرزشك بن زشك بن فرغوزك بن ابوك بن هوشنج . . .

ثم ملك بعد افريدون منوشهر بن اثغيان بن كاومنوجهر وهو من ولد ايرج بن افريدون وكان مولده بدنباوند وقيل بالرى فلما ولد منوجهر أخفى أمره خوفا من طوج وسلم عميه ولما كبر منوجهر سار الى جده افريدون فتوسم فيه الخير وجعل له ما كان جعله لجده ايرج من المملكة وتوجه بتاجه وقد زعم بعضهم ان منوجهر بن منشجر بن افريقش بن اسحق بن ابراهيم انتقل اليه الملك واستشهد بقول جرير بن عطية

وأبناء اسحاق الليوث اذا ارتدوا * حمائل موت لابسين السنورا
اذا انتسبوا عدوا الصبهبذ منهم * وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب فيهم ونبوة * وكانوا باصطخر الملوك وتسترا
فيجمعنا والغر ابناء فارس * أب لا يبالى بعده من تأخرا
أبونا خليل الله والله ربنا * رضينا بما أعطى الاله وقدرا

وأما الفرس فتنكر هذا النسب ولا تعرف لها ملكا الا فى أولاد افريدون ولا تقر بالملك لغيره قلت والحق ما قاله الفرس فان أسماء ملوكهم قبل الاسكندر معروفة و بعد أيامه ملوك الطوائف واذا كان منوجهر أيام موسى وكل ما بين موسى واسحق خمسة آباء معروفون ولم يزالوا بمصر ففى أى زمان كثروا وانتشروا وملكوا بلاد الفرس ومن أين لجرير هذا العلم حتى يكون قوله حجة لاسيما وقد جعل الجميع ابناء اسحق قال هشام بن الكلبى ملك طوج وسلم الارض بعد أخيهما ايرج ثلثمائة سنة ثم ملك منوجهر مائة وعشرين سنة ثم وثب به ابن لطوج التركى على رأس ثمانين سنة فنفاه من بلاد العراق اثنتى عشرة سنة ثم أديل منه منوجهر فنفاه عن بلاده وعاد الى ملكه بعد ذلك ثمانيا وعشرين سنة وكان منوجهر يوصف بالعدل والاحسان وهو أول من خندق الخنادق وجمع آلة الحرب وأول من وضع الدهقنة فجعل لكل قرية دهقانا وأمر أهلها بطاعته ويقال ان موسى ظهر فى سنة ستين من ملكه وقال غير هشام انه لما ملك سار نحو بلاد الترك طالبا بدم جده ايرج بن افريدون فقتل طوج بن

افريدون

المعروف بالشاطر ومنزل ابراهيم بك الدفتردار وأما الينكجرية فانهم كانوا يجتمعون بالباشا فقط * وفى يوم الاحد رابع عشر ذى الحجة قدم محمد بك الذى كان بالصعيد ٧٠ فى جند كثيف واتباع كثيرة وطلع الى ديوان مصر على عادة حكام الصعيد المعزولين ولبس الخلع السلطانية ونزل الى بيته بالصليبة ثم ان أهل الوجاقات الستة اجتمعوا واتفقوا على ابطال المظالم المتجددة بمصروضوا حيها وكتبوا ذلك فى قائمة واتفقوا ايضا ان من كان له وظيفة بدار الضرب والانبار والتعريف بالبحرين أو المذبح لايكون له جامكية فى الديوان ولا ينتسب لوجاق من الوجاقات وان لا يحتمى أحد من أهل الاسواق فى الوجاقات وان ينظر المحتسب فى أمورهم ويجرر موازينهم على العادة وان يركب معه نائب من باب القاضى مباشرا معه وان لا يتعرض أحد للمراكب التى بحر النيل التى تحمل غلال الانبار وان تحمل الغلال المذكورة جميع المراكب التى بحر النيل ولا تختص مركب منها بباب من أبواب الوجاقات وان كل ما يدخل مصر من بلاد الامناء باسم الانكشارية لا يؤخذ عليه عشور وان لا يباع شئ من قسم الحيوانات والقهوة الى جنس الافرنج وان لا يباع الرطل البن بأزيد من سبعة عشر نصف فضة وأرسلوا القائمة المكتتبة الى الباشا ليأخذوا عليها بيورلدى وينادى به فى الاسواق فتوقف الباشا فى اعطاء البيورلدى ولما بلغ الانكشارية ما فعل هؤلاء اجتمعوا بأبوابهم وكتبوا قائمة نظير تلك القائمة بمظالم الكردة ومظالم اسباهية الولايات وغيرها وأرسلوها الى الباشا فعرضها على أهل

الوجاقات فلم يعتبروها وقالوا لابد من اجراء قائمتنا وابطال ما يجب ابطاله منها من المظالم * وفي يوم الاحد حادي عشري الحجة
اجتمع أهل الوجاقات ومعهم الصناجق بباب العزب وقاضي
العسكر ونقيب الاشراف
بالديوان عند الباشا وأرسلوا
الى الباشا ان يكتب لهم
بيورلدي بابطال ماسألوه فيه
والمناداة به وان لم يفعل ذلك
أنزلوه ونصبوا عوضه حاكما
منهم وعرضوا ذلك على الدولة
فلما تحقق الباشا منهم ذلك
كتب لهم ماسألوه وكتب لهم
القاضي أيضا حجة على
موجبه ونزل بهما المحتسب
وصاحب الشرطة ونائب
القاضي وأغا من اتباع الباشا
ونادوا بذلك في الشوارع
(وفي غاية الحجة سنة عشرين)
كسف جرم الشمس في الساعة
الثامنة واستر بع عشرة
درجة ثم انجلت
(وفي يوم السبت رابع محرم
سنة احدى وعشرين ومائة
والف) اجتمع الينكجرية
عند أغاتهم وتحالفوا انهم
على قلب رجل واحد واجتمع
أنفارهم جميعا بالقبية
المعروف بخمسين كذلك
وتحالفوا كذلك * وفي سابعه
اجتمع أهل الوجاقات بمنزل
ابراهيم بك الدفتردار
وتصالحوا على أن يكونوا كما
كانوا عليه من المصافاة والمحبة
بشرط أن ينفذوا جميع
ما كتب في القائمة ونودي به
ولا يتعرضوا لشئ منه فلم
يستمر ذلك الصلح * وفي ليلة السبت حادي عشره وقع في الجامع الازهر فتنة بعد موت الشيخ النشرتي وسيأتي ذكرها
في ترجمة الشيخ عبد الله الشبراوي ثم ان الينكجرية قالوا لانوافق على نقل دار الضرب الى الديوان حتى تكتبوا لنا حجة بأن

افريدون وأخاه سلما ثم ان افراسياب بن فشنج بن رستم ابن ترك الذي ينسب اليه
الاتراك من ولد طوج بن افريدون حارب منوجهر بعد قتله طوج ستين سنة وحاصره
بطبرستان ثم اصطلحا على ان يجعلا حد ما بين ملكيهما رمية سهم رجل من أصحاب
منوجهر اسمه ايرشي وكان راميا شديد النزع فرمى سهما من طبرستان فوقع بنهر بلخ
وصار النهر حدا ما بين الترك ولد طوج وعمل منوجهر قنوات وهذا من أعجب ما يتداوله
الفرس في أكاذيبهم ان رمية سهم تبلغ هذا كله وقد ذكر ان منوجهر اشتق من
الفرات ودجلة ونهر بلخ أنهارا عظاما وأمر بعمارة الارض وقيل ان الترك تناولت
من أطراف رعيته بعد خمس وثلاثين سنة من ملكه فوبخ قومه وقال لهم أيها الناس
انكم لم تلدوا الناس كلهم وانما الناس ناس ما نافحوا عن أنفسهم ودفعوا العدو عنهم
وقد نالت الترك من أطرافكم وليس ذلك الا بترككم جهاد عدوكم وان الله أعطانا هذا
الملك ليبلونا انشكر أم نكفر فيعاقبنا فاذا كان غد فاحضروا فحضر الناس والاشراف
فقام على قدميه فقام له الناس فقال اقعدوا انما قمت لاسمعكم فجلسوا فقال أيها الناس
انما الخلق للخالق والشكر للمنعم والتسليم للقادر ولابد مما هو كائن وانه لا أضعف
من مخلوق طالبا كان أو مطلوبا ولا أقوى من خالق ولا أقدر ممن طلبته في يده ولا
أعجز ممن هو في يد طالبه وان التفكر نور والغفلة ظلمة والضلالة جهالة وقد ورد الاول
ولابد للآخر من اللحاق بالاول ان الله أعطانا هذا الملك فله الحمد ونسأله الهام الرشد
والصدق واليقين وانه لابد ان يكون للملك على اهل مملكته حق ولاهل مملكته
عليه حق فحق الملك عليهم ان يطيعوه ويناصحوه ويقاتلوا عدوه وحقهم على الملك ان
يعطيهم أرزاقهم في أوقاتها اذ لا معول لهم الا عليها وانها تجارتهم وحق الرعية على الملك
ان ينظر اليهم ويرفق بهم ولا يحملهم على ما لا يطيقون وان أصابتهم مصيبة أو تنقص
من ثمارهم ان يسقط عنهم خراج ما نقص وان اجتاحتهم مصيبة ان يعوضهم ما يقويهم
على عمارتهم ثم يأخذ منهم بعد ذلك قدر ما لا يجحف بهم في سنة أو سنتين الا وان الملك
ينبغي ان يكون فيه ثلاث خصال ان يكون صدوقا لا يكذب وان يكون سخيا لا يبخل
وان يملك نفسه عند الغضب فانه مسلط ويده مبسوطة والخراج يأتيه فلا يستأثر على
جنده ورعيته بما هم أهل له وان يكثر العفو فانه لا ملك أقوى ولا أبقى من ملك فيه
العفو فان الملك ان يخطئ في العفو خير من ان يخطئ في العقوبة الا وان الترك قد طمعت
فيكم فاكفونا فانما تكفون انفسكم وقد أمرت لكم بالسلاح والعدة وانا شريككم في الرأي
وانما لي من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم الا وانما الملك ملك اذا أطيع فان خولف
فهو مملوك وليس بملك الا وان أكمل الاداة عند المصيبات الاخذ بالصبر والراحة الى
اليقين فمن قتل في مجاهدة العدو رجوت له بفوز رضوان الله وانما هذه الدنيا سفر
لاهلها لا يحلون عقد الرحال الا في غيرها وهي خطبة طويلة ثم أمر بالطعام فأكلوا

وشربوا وخرجوا وهم له شاكرون مطيعون وكان ملكه مائة وعشرين سنة وزعم ابن الكلبي ان الرايش واسمه الحرث بن قيس بن صيفي بن سبا بن يعرب بن قحطان وكان قد ملك اليمن بعد يعرب بن قحطان كان ملكه باليمن أيام ملك منوجهر وانما سمى الرايش لغنيمة غنمها فادخلها اليمن فسمى الرايش ثم غزا الهند فقتل بها واسر وغنم ورجع الى اليمن ثم سار على جبلي طيئ ثم على الانبار ثم على الموصل ووجه منها خيله وعليها رجل من أصحابه يقال له شمر بن العطاف فدخل على الترك بأرض أذربيجان فقتل المقاتلة وسبى الذرية وكتب ما كان من مسيره على حجرين وهما معروفان باذربيجان ثم ملك بعده ابنه ابرهة ولقبه ذو المنار وانما لقب بذلك لانه غزا بلاد المغرب وأوغل فيها برا وبحرا وخاف على جيشه الضلال عند قفوله فبني المنار ليهتدوا وقد زعم أهل اليمن انه وجه ابنه العبد بن أبرهة في غزواته الى ناحية من أقاصي المغرب فغنم وقدم بسبي له وحشة منكرة فذعر الناس منهم فسمى ذو الاذعار فابرهة أحد ملوكهم الذين توغلوا في البلاد وانما ذكرت من ذكرت من ملوك اليمن ههنا لقول من زعم ان الرايش كان أيام منوجهر وان ملوك اليمن كانوا عمالا لملوك فارس

(قصة موسى عليه السلام ونسبه وما كان في أيامه من الاحداث)

قيل هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وولد لاوي ليعقوب وهو ابن تسع وثمانين سنة وولد قاهث للاوي وهو ابن ست وأربعين سنة وولد لقاهث يصهر وولد عمران ليصهر وله ستون سنة وكان عمره جميعه مائة وسبعا وأربعين سنة وولد موسى ولعمران سبعون سنة وكان عمر عمران جميعه مائة وسبعا وثلاثين سنة وأم موسى يوحانذ واسم امرأته صفورا بنت شعيب النبي وكان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول وقيل كانت من بني اسرائيل فلما نودي موسى اعلم ان قابوس فرعون مصر مات وقام أخوه الوليد ابن مصعب مكانه وكان عمره طويلا وكان أعتى من قابوس وافجر وأمر بان يأتيه هو وهرون بالرسالة ويقال ان الوليد تزوج آسية بعد أخيه ثم سار موسى الى فرعون رسولا مع هرون فكان من مولد موسى الى ان أخرج بني اسرائيل من مصر ثمانون سنة ثم سار الى التيه بعد ان مضى وعبر البحر وكان مقامهم هنالك الى ان خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة فكان ما بين مولد موسى الى وفاته مائة وعشرون سنة قال ابن عباس وغيره دخل حديث بعضهم في بعض ان الله تعالى لما قبض يوسف وهلك الملك الذي كان معه وتوارثت الفراعنة ملك مصر ونشر الله بني اسرائيل لم يزل بنو اسرائيل تحت يد الفراعنة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب واسحق وابراهيم شرعوا فيهم من الاسلام حتى كان فرعون موسى وكان أعتاهم على الله وأعظمهم

ذلك لم يكن لخيانة صدرت منا ولا تخوف عليها فامتنع اخصامهم من اعطاء حجة بذلك ثم توافق أهل البلكات الست على ان يعرضوا في شأن ذلك الى باب الدولة فان أقرها في مكانها رضوا به وان أمر بنقلها نقلت

فاجتمعوا هم ونقيب الاشراف ومشايخ السجاجيد وكتبوا العرض المذكور ووضعوا عليه ختومهم ما عدا الينكجرية فانهم امتنعوا من الختم ثم امضوه من القاضي وأرسلوه مع أنفار من البلكات وأغا من طرف الباشا في سادس عشري المحرم سنة احدى وعشرين ومائة وألف وأما الينكجرية فانهم اجتمعوا ببابهم وكتبوا عرضا من عند أنفسهم الى أرباب الحل والعقد من أهل وجاقهم بالديار الرومية وعينوا السفرية على أفندي كاتب مستحفظان سابقا وأحمد جربجي وجهزوهم للسفر فسافروا في يوم الاثنين سابع عشرينه

*وفي ثالث عشر ربيع الاول تقلد امارة الحاج قيطاس بك مقررا على العادة في صبيحة المولد النبوي في كل سنة وكان أشيع ان بعض الامراء سعى على منصب امارة الحج فلما بلغ الينكجرية ذلك اجتمعوا ببابهم لابسين سلاحهم وجلسوا خارج الباب الكبير على طريق الديوان بناء على انه ان لبس شخص امارة الحج خلاف قيطاس بك لا يمكنوه من

ذلك فلما رأى الصناجق والامراء ذلك منهم خافوهم وقالوا هذه أيام تحصيل الخزينة ونخشى وقوع قولا أ... من هؤلاء الجماعة يؤدي الى تعطيل المال فاجتمع رأى الصناجق وأهل الوجاقات الست على نفي ستة أشخاص من

الينكجرية الذين بيدهم الحل والعقد ويخرجونهم من مصر الى بلاد التزامهم تسكينا للفتنة حتى يأتي جواب العرض
فلما بلغ الينكجرية ما دبروه اجتمعوا في بابهم في عددهم وعددهم
فلم يلتفتوا الى فعلهم وقالوا
لابد من نفيهم أو محاربتهم
واجتمعوا كذلك في أبوابهم
واستعد الينكجرية في بابهم
وشحنوه بالاسلحة والذخيرة
والمدافع فحصل لاهل البلد
خوف وانزعاج وأغلقوا
الدكاكين وذلك سابع عشر
ربيع الاول ونقل الجاويشية
مطبخهم من القلعة من النوبة
الى منزل كتخدا الجاويشية
وأقام طائفة الينكجرية منهم
طوائف محافظين على أبواب
القلعة وباب الميدان
والمصراع الذى بالمطبخ
الموصل الى القرافة خوفا من
ان العسكر يستميلون الباشا
وينزلونه الميدان لانهم كانوا
أرسلوا له كتخدا الجاويشية
وطلبوا منه النزول الى
قراميدان ليتداعوا مع
الينكجرية على يد قاضى
العسكر فلم تمكنهم الينكجرية
من ذلك وحصل لكتخدا
الجاويشية ومن معه مشقة في
ذلك اليوم من المذكورين
حتى عودهم من عند الباشا
وما خلصوا الا بعد جهد عظيم
وفي يوم الخميس عشرى
ربيع الاول اجتمع
الصناجق والعسكر واختاروا
محمد بك الذى كان بالصعيد
لحصار القلعة من جهة
١٠ ... مل ل القرافة على جبل الجيوشى بالمدافع والعسكر ففعل ما أمروا به وخافت العسكر ووقع نهب
بالمدينة فعينوا اصطنى أغاغات الجراكسة يطوف في اسواق البلد وشوارعها كما كان يفعل في زمن عزل الباشاه وفي يوم

قولا واطولهم عمرا واسمه فيما ذكر الوليد بن مصعب وكان سيئ الملكة على بنى اسرائيل يعذبهم ويجعلهم خولا ويسومهم سوء العذاب فلما اراد الله ان يستنقذهم بلغ موسى الاشد وأعطاه الرسالة وكان شأن فرعون قبل ولادة موسى انه رأى في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل وأخربت بيوت مصر فدعا السحرة والحزاة والكهنة فسألهم عن رؤياه فقالوا يخرج من هذا البلد يعنون بيت المقدس الذى جاء بنو اسرائيل منه رجل يكون على وجهه هلاك مصر فأمر ان لا يولد لبنى اسرائيل مولود الا ذبح ويترك الجوارى وقيل انه لما تقارب زمان موسى أتى المنجمون فرعون وحزاته اليه فقالوا اعلم انا نجد في علمنا ان مولودا من بنى اسرائيل قد أظلك زمانه الذى يولد فيه يسلبك ملكك ويغلبك على سلطانك ويبدل دينك فأمر بقتل كل مولود يولد في بنى اسرائيل وقيل بل تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله عز وجل ابراهيم ان يجعل في ذريته أنبياء وملوكا فقال بعضهم ان بنى اسرائيل لينتظرون ذلك وقد كانوا يظنونه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا وعد الله ابراهيم فقال فرعون كيف ترون فاجمعوا على ان يبعث رجالا يقتلون كل مولود في بنى اسرائيل وقال للقبط انظروا عمالكم الذين يعملون خارجا فأدخلوهم واجعلوا بنى اسرائيل يلون ذلك فجعل بنى اسرائيل في أعمال غلمانهم فذلك حين يقول الله عز وجل ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم فجعل لا يولد لبنى اسرائيل مولود الا ذبح وكان يأمر بتعذيب الحبالى حتى يضعن فكان يشقق القصب ويوقف المرأة عليه فيقطع أقدامهن وكانت المرأة تضع فتتقى بولدها القصب وقضى الله الموت في مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون فكلموه وقالوا ان هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت فيوشك ان يقع العمل على غلماننا تذبح الصغار وتفنى الكبار فلو أنك كنت تبقى من أولادهم فأمرهم ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فلما كان في تلك السنة التى تركوا فيها ولد هرون وولد موسى في السنة التى يقتلون فيها وهى السنة المقبلة فلما أرادت أمه وضعه حزنت من شأنه فأوحى الله اليها أى ألهمها ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم وهو النيل ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فلما وضعته ارضعته ثم دعت نجارا فجعل له تابوتا وجعل مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه وألقته في اليم فلما توارى عنها أتاها ابليس فقالت في نفسها ما الذى صنعت بنفسى لو ذبح عندى فواريته وكفنته كان أحب الى من ان ألقيه بيدى الى حيتان البحر ودوابه فلما ألقته قالت لاخته واسمها مريم قصيه يعنى قصى أثره فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون انها أخته فاقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين أشجار عند دور فرعون فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغتسلن فوجدن

السبت ثانى عشرينه اجتمع الامراء الصناجق والاسباهية بالرميلة وعينوا أحمد بك المعروف بافرنج أحمد أغات التفكجية ليحاصروا طائفة الينكجرية من بابهم المتوصل منه الى المحجر و باب الوزير و منعوا من يصل اليهم بالامداد وأما الينكجرية الذين كانوا بالقاهرة فاجتمعوا بباب الشرطة واتفقوا على أن يدهموا العسكر المحافظين بالباب ويكشفوهم ويدخلوا الى باب الينكجرية فلما بلغ الصناجق ذلك والعسكر عينوا ابراهيم الشهير بالوالى ومصطفى أغات الجمجية فى طائفة من الاسباهية فنزلوا الى باب زويلة ولما بلغ خبرهم الينكجرية الذين كانوا تجمعوا فى باب الشرطة تفرقوا فجلس مصطفى اغا محل جلوس الاوده باشا وابراهيم بك فى محل جلوس العسس وانتشرت طوائفهم فى نواحى باب زويلة والخرق واستمروا ليلة الاحد على هذا المنوال فطلع فى صبحها نقيب الاشراف والعلماء وقاضى العسكر وارباب الاشاير واجتمعوا بالشيخونيتين بالصليبة وكتبوا فتوى بان الينكجرية ان لم يسلموا فى نفى المطلوبين والا جازت محاربتهم وارسلوا الفتوى صحبة خدادمن طرف القاضى الى باب الينكجرية فلما قرئت عليهم تراخت عزائمهم وتشاوروا عن المحاربة وسلموا فى نفى المطلوبين بشرط ضمانهم من القتل فضمنهم الامراء الصناجق وكتبوا اليهم حجة بذلك فلما وصلتهم الحجة انزلوا الانفار الثمانية المطلوبين الى امير اللواء ايواز بك ورضوان اغا فوجهابهم الى بولاق ومن هناك سافروا الى بلاد الريف ٭ وفى تاسع عشر

التابوت فادخلنه الى آسية وظنن ان فيه مالا فلما فتح ونظرت اليه آسية وقعت عليها رحمته وأحبته فلما أخبرت به فرعون وأتته به قالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه فقال فرعون يكون لك واما أنا فلا حاجة لى فيه قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى يحلف به لو أقر فرعون ان يكون له قرة عين كما اقرت لهداه الله كما هداها واراد ان يذبحه فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها وقال انى أخاف ان يكون هذا من بنى اسرائيل وان يكون هذا الذى على يديه هلاكنا فذلك قوله عز وجل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وأرادوا له المرضعات فلم يأخذ من أحد من النساء فذلك قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت أخته مريم هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها وقالوا ما يدريك ما نصحهم له هل يعرفونه حتى شكوا فى ذلك فقالت نصحهم له شفقتهم عليه ورغبتهم فى قضاء حاجة الملك ورجاء منفعته فانطلقت الى أمه فاخبرتها الخبر فجاءت أمه فلما أعطته ثديها أخذ منها فكادت تقول هذا ابنى فعصمها الله وانما سمى موسى لانه وجد فى ماء وشجر والماء بالقبطية مو والشجر سا فذلك قوله تعالى فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن وكان غيبته عنها ثلاثة أيام وأخذته معها الى بيتها واتخذه فرعون ولدا فدعى ابن فرعون فلما تحرك الغلام حملته أمه الى آسية فاخذت ترقصه وتلعب به وناولته فرعون فلما أخذه اليه أخذ الغلام بلحيته فنتفها قال فرعون على بالذباحين يذبحونه هو هذا قالت آسية لا تقتلوه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا انما هو صبى لا يعقل وانما فعل هذا من جهل وقد علمت انه ليس فى مصر امرأة اكثر حليا منى انا أضع له حليا من ياقوت وجمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان أخذ الجمر فانما هو صبى فاخرجت له ياقوتها ووضعت له طشتا من جمر فجاء جبريل فوضع يده فى جمرة فاخذها فطرحها موسى فى فمه فاحرقت لسانه فهو الذى يقول الله تعالى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى فدرأت عن موسى بذلك القتل وكبر موسى وكان يركب مركب فرعون ويلبس ما يلبس ويدعى موسى بن فرعون وامتنع به بنو اسرائيل ولم يبق قبطى يظلم اسرائيليا خوفا منه ثم ان فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له فرعون قد ركب فركب موسى فى اثره فادركه المقيل بارض يقال لها منف وهذه منف (بفتح الميم وسكون النون) مصر القديمة التى هى مصر يوسف الصديق وهى الآن قرية كبيرة فدخل نصف النهار وقد أغلقت أسواقها على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته يقول هذا اسرائيلى قيل انه السامرى وهذا من عدوه يقول من القبط فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فغضب موسى لانه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى اسرائيل وحفظه لهم وكان قد حماهم من القبط وكان الناس لا يعلمون انه منهم بل كانوا يظنون ان ذلك بسبب الرضاع فلما اشتد غضبه وكزه فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان

انه

ربيع الآخر ورد امير اخور صغير من الديار الرومية وطلع الى القلعة وابرز مرسومين قرئا بالديوان بحضر الجمع احدهما بابطال المظالم والحمايات بموجب القائمة المعروضة من

العسكر ونفى عطاء الله المعروف ببولاق واحمد جلبي بن يوسف اغا وان يحاسبوا تجار القهوة على مراجعة العشرة اثنى عشر بعد رأس المال والمصاريف والامر الثاني بنقل دار الضرب من قلعة الينكجرية الى حوش الديوان و بناء قنطرة اللاهون بالفيوم وان يحسب ما يصرف عليهما من مال الخزينة العامرة * وفي يوم تاريخه برز أمر من الباشا برفع صنجقية أحمد بك الشهير بافرنج احمد بك والحاقه بوجاق الجاويشية * وفي يوم السبت اجتمع أعيان مستحفظان بعزل أحمد كتخدا المعروف بشهر أغلان وارسلوا احضروا افرنج أحمد وتصالحوا معه وتعاهدوا على الصدق وان لا يغدرهم ولا يغدروه ومضوا معه الى الباب الجلي واخذوا عرضه وركب الحمار في يوم الاحد وطلع الى باب مستحفظان في جم غفير من الاوده باشية وتقرر باش أوده باشا كما كان سابقا وعاد الى منزله * وفي غاية الشهر رجع الانفار الثمانية المنفيون واخرجوهم من وجاق الينكجرية ووزعوهم على أهل الوجاقات باطلاع الامراء الصناجق والاغوات * وفي أوائل جمادى الاولى أرسل القاضي وأحضر مشايخ الحرف وعرفهم انه ورد أمر يتضمن أن لا يكون لاحد من أرباب الحرف والصنائع علاقة ولا نسبة في أحد الوجاقات السبع فاجابوه بان غالبهم عسكري وابن عسكري وقاموا على غير امتثال ثم بلغ القاضي

انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم أوحى الله تعالى الى موسى وعزتي لو أن النفس التي قتلت أقرت لي ساعة واحدة اني خالق رازق لاذقتك العذاب قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين فاصبح في المدينة خائفا يترقب ان يؤخذ فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يقول يستعينه قال له موسى انك لغوي مبين ثم أقبل لينصره فلما نظر الى موسى وقد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذي يقاتل الاسرائيلي خاف ان يقتله من أجل انه اغلظ له في الكلام قال أتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين فترك القبطي فذهب فافشى عليه ان موسى هو الذي قتل الرجل فطلبه فرعون وقال خذوه فانه صاحبنا فجاء رجل فاخبره وقال له ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج قيل كان حزقيل مؤمن آل فرعون كان على بقية من دين ابراهيم عليه السلام وكان أول من آمن بموسى فلما اخبره خرج من بينهم خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين وأخذ في ثنيات الطريق فجاءه ملك على فرس وفي يده عنزة وهي الحربة الصغيرة فلما رآه موسى سجد له من الفرق فقال له لا تسجد لي ولكن اتبعني فهداه نحو مدين وقال موسى وهو متوجه اليها عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فانطلق به الملك حتى انتهى به الى مدين فكان قد سار وليس معه طعام وكان يأكل ورق الشجر ولم يكن له قوة على المشي فما بلغ مدين حتى سقط خف قدمه فلما ورد ماء مدين قصد الماء فوجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان أي تحبسان غنمهما وهما ابنتا شعيب النبي وقيل ابنتا يثرون وهو ابن أخي شعيب فلما رآهما موسى سألهما ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فرحمهما موسى فاتى البئر فاقتلع صخرة عليها كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها فسقى لهما غنمهما فرجعتا سريعا وكانتا انما تسقيان من فضول الحياض وقصد موسى شجرة هناك ليستظل بها فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير قال ابن عباس لقد قال موسى ولو شاء انسان ان ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع لفعل وما سأل الا اكلة فلما رجع الجاريتان الى أبيهما سريعا سألهما فاخبرتاه فاعاد احداهما الى موسى تستدعيه فاتته وقالت له ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام معها فمشت بين يديه فضربت الريح ثوبها فانكشف عجيزتها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق فانا أهل بيت لا ننظر في أعقاب النساء فلما أتاه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما وهي التي أحضرته يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين قال لها أبوها القوة قد رأيتها فما يدريك بامانته فذكرت له ما أمرها به من المشي خلفه فقال له أبوها اني أريد ان أنكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشرا فمن عندك فقال

انهم أجمعوا على ايقاع مكروه به خافهم وترك ذلك وتغافل عنه ولم يذكره بعد ۞ وفي هذه السنة أبطل الينكجرية ما كانوا
يفعلونه من الاجتماع بالمقياس وعمل الاسمطة والجمعيات وغيرها عند تنظيفه ۞ وفي منتصف

له موسى ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل فاقام عنده يومه فلما أمسى احضر شعيب العشاء فامتنع موسى من الاكل فقال ولم ذلك قال انا من اهل بيت لا نأخذ على اليسير من عمل الآخرة الدنيا باسرها فقال شعيب ليس لذلك أطعمتك انما هذه عادتي وعادة آبائي فاكل وازدادت رغبة شعيب في موسى فزوجه ابنته التي احضرته واسمها صفورا وأمرها ان تأتيه بعصا فأتته بعصا وكانت تلك العصا قد استودعها اياه ملك في صورة رجل فدفعتها اليه فلما رآها أبوها أمرها بردها والاتيان بغيرها فالقتها وأرادت ان تأخذ غيرها فلم تقع بيدها سواها وجعل يرددها وكل ذلك لا يخرج في يدها غيرها فاخذها موسى ليرعى بها فندم أبوها حيث أخذها وخرج اليه ليأخذها منه حيث هي وديعة فلما رآه موسى يريد أخذها منه مانعه فتحاكما اول رجل يلقاهما فاتاهما ملك في صورة آدمي فقضى بينهما ان يضعها موسى في الارض فمن حملها فهي له فالقاها موسى فلم يطق أبوها حملها وأخذها موسى بيده فتركها له وكانت من عوسج لها شعبتان وفي رأسها محجن وقيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه وقيل في أخذها غير ذلك وأقام موسى عند شعيب يرعى له غنمه عشر سنين وسار باهله في زمن شتاء وبرد فلما كانت الليلة التي أراد الله عز وجل لموسى كرامته وابتداءه فيها بنبوته وكلامه اخطأ فيها الطريق حتى لا يدري أين يتوجه وكانت امرأته حاملا فاخذها الطلق في ليلة شاتية ذات مطر ورعد وبرق فاخرج زنده ليقدح نارا لاهله ليصطلوا ويبيتوا حتى يصبح ويعلم وجه طريقه فاصلد زنده فقدح حتى اعيا فرفعت له نار فلما رآها ظن انها نار وكانت من نور الله فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر فان لم اجد خبرا آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فمضى قصدها فرآها نورا ممتدا من السماء الى شجرة عظيمة من العوسج وقيل من العناب فتحير موسى وخاف حين رأى نارا عظيمة بغير دخان وهي تلتهب في شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة فلما دنا منها استأخرت عنه ففزع ورجع فنودي منها فلما سمع الصوت استأنس وعاد فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن من الشجرة في البقعة المباركة ان بورك من في النار ومن حولها يا موسى اني أنا الله رب العالمين فلما سمع النداء ورأى تلك الهيبة علم انه ربه تعالى فخفق قلبه وكل لسانه وضعفت قوته وصار حيا كميت الا ان الروح تتردد فيه فارسل الله اليه ملكا يشد قلبه فلما ثاب اليه عقله نودي اخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى وانما امر بخلع نعليه لانهما كانتا من جلد حمار ميت وقيل لينال قدمه الارض المباركة ثم قال له تسكينا لقلبه وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي يقول اضرب الشجر فيسقط ورقه للغنم ولي فيها مآرب اخرى احمل عليها المزود والسقاء وكانت تضيء لموسى في الليلة المظلمة وكانت اذا اعوزه الماء دلاها في البئر

جمادى الثانية تم بناء دار الضرب التي أحدثوها بحوش الديوان وضرب بها السكة وكان محلها قبل ذلك معمل البارود ونقل معمل البارود الى محل بجوارها ۞ وفيه لبس ابراهيم بك ابوشنب أميرا على الحاج عوضا عن قيطاس بك وتولى قيطاس بك دفتردار بمصر عوضا عن ابراهيم بك بموجب مرسوم ورد بذلك من الاعتاب ۞ وفي تاسع عشر رمضان ورد الخبر بعزل حسين باشا وولاية ابراهيم باشا القبودان وورد منه مكاتبة بان يكون حسين باشا نائبا عنه الى حين حضوره ولم يفوض امر النيابة الى احد من صناجق مصر كما هو المعتاد ۞ وفي شهر شوال الموافق لكيهك القبطي ترادفت الامطار وسالت الاودية حتى زاد بحر النيل مقدار خمسة أذرع وتغير لونه لكثرة مازج الطفل للماء في الاودية واستمرت الامطار تنزل وتسكب الى غاية الشهر وكان ابتداؤها من غرة رمضان ۞ وفي منتصف ذي القعدة نزل حسين باشا من القلعة بموكب عظيم وأمامه الصناجق والاغوات الى منزل الامير يوسف أغا دار السعادة بسويقة عصفور ووصل ابراهيم باشا القبودان وطلع الى القلعة في منتصف الحجة

فيثال

۞ (وفي منتصف محرم سنة اثنين وعشرين ومائة وألف) ۞ اجتمع أهل البلكات السبعة بسبيل علي باشا بجوار الامام الشافعي

واتفقوا على نفي ثلاثة أنفار من بينهم فنفوا في يوم الخميس من اختيارية الجاويشية قاسم أغا وعلي افندي كاتب الحوالة ومن وجاق المتفرقة علي افندي الخاسكي وسببه انهم اتهموهم بانهم يجتمعون ٧٧ بالباشا في كل وقت ويعرفونه بالاحوال وانهم أغروه بقطع الجوامك المكتتبة باسماء أولاد وعيال المحلول عنهم والجوامك المرتبة على الاوقاف واتفق انه مات جماعة فضبط جوامكهم المرتبة عن أولاد وعيال المحلول عنهم وان العسكر راجعوه في ذلك فلم يوافقهم على ذلك وأيضا راجعه الاختيارية المرة بعد المرة فقال لا أسلم الا لمن ينقل اسمه الى أحد الوجاقات السبعة فمن نقل اسمه فاني لا أعارضه فرضوا بذلك وأخذوا منه فرمانا وورد بعد ذلك سلحدار الوزير وعلى يده أوامر بابطال المرتبات وأن من عاند في ذلك يؤدبه الحاكم فاذعنوا بالطاعة فاراد الباشا نفي الثلاثة أنفار من اختيارية العزب فلم توافق العسكر ثم اتفق العسكر على كتابة عرض بالاستعطاف بابقاء ذلك وسافر به سبعة أنفار من الابواب السبعة ❊ وفي يوم الخميس غاية ربيع الاول تقلد الامير ابوار بك امارة الحج عوضا عن ابراهيم بك لضعف مزاجه ووهن قوته ❊ وفي أوائل جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف ورد من الديار الرومية مرسوم قرئ بالديوان مضمونه ان وزن الفضة المصرية زائد في الوزن عن وزن اسلامبول والامر بقطع الزائد وان تضرب سكة الجنزرلي ظاهرة ويكون عيارها على ثلاثة وعشرين قيراطا ❊ وفي ثاني رجب حصلت زلزلة في الساعة الثامنة ❊ وفيه ورد مرسوم بابقاء المرتبات التي عرض

فينال الماء ويصير في راسها شبه الدلو وكان اذا اشتهى فاكهة غرسها في الارض فنبتت لها اغصان تحمل الفاكهة لوقتها قال له ألقها يا موسى فالقاها موسى فاذا هي حية تسعى عظيمة الجثة في خفة حركة الجان فلما رآها موسى ولى مدبرا ولم يعقب فنودي يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون أقبل ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى عصا وانما أمره الله بالقاء العصا حتى اذا القاها عند فرعون لا يخاف منها فلما أقبل قال خذها ولا تخف وأدخل يدك في فيها وكان على موسى جبة صوف فلف يده بكمه وهو لها هائب فنودي ألق كمك عن يدك فالقاه وادخل يده بين لحييها فلما ادخل يده عادت عصا كما كانت لا ينكر منها شيئا ثم قال له أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء يعني برصا فأدخلها وأخرجها بيضاء من غير سوء مثل الثلج لها نور ثم ردها فعادت كما كانت فقيل له هذان برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف أن يقتلون وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فارسله معي ردأ يصدقني أي يبين لهم عني ما أكلمهم به فانه يفهم عني ما لا يفهمون قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فاقبل موسى الى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف على امه وهو لا يعرفهم ولا يعرفونه فجاء هرون فسأل امه عنه فاخبرته انه ضيف فدعاه فاكل معه وسأله هرون من أنت قال أنا موسى فاعتنقا وقيل ان الله ترك موسى سبعة أيام ثم قال اجب ربك فيما كلمك فقال رب اشرح لي صدري الآيات فامره بالمسير الى فرعون ولم يزل أهله مكانهم لا يدرون ما فعل حتى مر راع من أهل مدين فعرفهم فاحتملهم الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فلق البحر فساروا اليه وأما موسى فانه سار الى مصر وأوحى الله الى هرون يعلمه بقدوم موسى ويامره بتلقيه فخرج من مصر فالتقى به قال موسى يا هرون ان الله تعالى قد أرسلنا الى فرعون فانطلق معي اليه قال سمعا وطاعة فلما جاء الى بيت هرون وأظهر أنهما ينطلقان الى فرعون سمعت ذلك ام هرون فصاحت امهما فقالت أنشدكما الله ان لا تذهبا الى فرعون فيقتلكما جميعا فابيا فانطلقا اليه ليلا فضربا بابه فقال فرعون لبوابه من هذا الذي يضرب بابي هذه الساعة فاشرف عليهما البواب فكلمهما فقال له موسى انا رسول رب العالمين فاخبر فرعون فادخلهما اليه وقيل ان موسى وهرون مكثا سنتين يغدوان الى باب فرعون ويروحان يلتمسان الدخول اليه فلم يجسر أحد يخبره بشأنهما حتى أخبره مسخرة كان يضحكه بقوله فامر حينئذ فرعون بادخالهما فلما دخلا قال له موسى اني رسول من رب العالمين فعرفه فرعون فقال له ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما يعني نبوة وجعلني من المرسلين فقال له فرعون ان كنت جئت

فى شأنها كما كانت ولكن لا يكتب بعد اليوم فى التذاكر أولاد وعيال ولا ترتب على جهة وقف * وفى خامس عشره ورد
عزل ابراهيم باشا وولاية خليل باشا واقامة ايوب بك قائمقام ونزل ابراهيم باشا من القلعة الى منزل عباس
أغا بركة الفيل فكانت
مدته ثمانية أشهر ووصل خليل
باشا الكوسج وكان بصيدا
من أعمال الشام فقدم بالبر
يوم الثلاثاء عاشر شعبان سنة
اثنتين وعشرين ومائة وألف
* وفى ثانى عشر ذى القعدة
ورد أمر بطلب ثلاثة آلاف
من العسكر المصرى وعليهم
صنجق لسفر الموسقو وكانت
النوبة على محمد بك حاكم
جرجا فاعتذر عن سفره فأقيم
بدله اسمعيل بك تابع ذى
الفقار بك فقلدوه الصنجقية
وأمده محمد بك بأربعين
كيسا مصرية وجعله بدلا عنه
وألبس القفطان ثانى عشر
الحجة

*(ودخلت سنة ثلاث وعشرين
ومائة وألف)* واستهل
المحرم بيوم الخميس الموافق
لرابع عشر أمشير القبطى
سابع شباط الرومى وفى ذلك
اليوم انتقلت الشمس لبرج
الحوت * وفيه نزل اسمعيل
بك بموكب وشق وسط
القاهرة الى بولاق وسافر
بالعسكر فى منتصف المحرم
* وفى يوم الجمعة سادس
عشره اجتمعت طائفة مصطفى
كتخدا القزدغلى ومعه من
أعيان الينكجرية خمسة عشر
نفرا واتفقوا انهم لا يرضون افرنج أحمد باش اوده باشا فاما يلبس الضلمة أو يكون جربجيا فى الوجاق الذى
وان لم يرض باحد الامرين يخرج المذكورون من الوجاق ويذهبون الى أى وجاق شاؤا وكان الاجتماع بباب العزب

بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين قد فتح فاه فوضع اللحى الاسفل فى الارض والاعلى على القصر وتوجه نحو فرعون لياخذه فخافه فرعون ووثب فزعا فاحدث فى ثيابه ثم بقى بضعا وعشرين يوما يجيء بطنه حتى كاد يهلك وناشده فرعون بربه تعالى ان يرد الثعبان فاخذه موسى فعاد عصا ثم أدخل يده فى جيبه وأخرجها بيضاء كالثلج لها نور يتلألأ ثم ردها فعادت الى ما كانت عليه من لونها ثم أخرجها الثانية لها نور ساطع فى السماء تكل منه الابصار قد أضاءت ما حولها يدخل نورها البيوت ويرى من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها موسى فى جيبه وأخرجها فاذا هى على لونها وأوحى الله تعالى الى موسى وهرون ان قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى فقال له موسى هل لك فى ان أعطيك شبابك فلا تهرم وملكك فلا ينزع وأرد اليك لذة المناكح والمشارب والركوب فاذا مت دخلت الجنة وتؤمن بى فقال لا حتى يأتى هامان فلما حضر هامان عرض عليه قول موسى فعجزه وقال له تصير تعبد بعد ان كنت تعبد ثم قال له أنا أرد عليك شبابك فعمل له الوسمة فخضبه بها فهو أول من خضب بالسواد فلما رآه موسى هاله ذلك فاوحى الله اليه لا يهولنك ما ترى فلن يلبث الا قليلا فلما سمع فرعون ذلك خرج الى قومه فقال ان هذا الساحر عليم وأراد قتله فقال مؤمن من آل فرعون واسمه حزقيل أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات وقال الملأ من قوم فرعون أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم ففعل وجمع السحرة فكانوا سبعين ساحرا وقيل اثنين وسبعين وقيل خمسة عشر ألفا وقيل ثلاثين ألفا فوعدهم فرعون واتعدوا يوم العيد كان لفرعون فصفهم فرعون وجمع الناس وجاء موسى ومعه أخوه هرون وبيده عصاه حتى أتى الجمع وفرعون فى مجلسه مع اشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب فقال السحرة بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر ثم قالوا انا نأتينك بسحر لم تر مثله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فقال له السحرة يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين قال بل ألقوا فألقوا حبالهم وعصيهم فاذا هى فى رأى العين حيات أمثال الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا فأوجس موسى خوفا فأوحى الله اليه ان ألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا فالقى عصاه من يده فصارت ثعبانا عظيما فاعترضت ما ألقوه من حبالهم وعصيهم وهى كالحيات فى أعين الناس فجعلت تلقفها وتبتلعها حتى لم يبق منها شيء ثم أخذ موسى عصاه فاذا هى فى يده كما كانت وكان رئيس السحرة أعمى فقال له أصحابه ان عصا موسى صارت ثعبانا عظيما وتلقفت حبالنا وعصينا فقال لهم ولم يبق لها أثر ولا عادت الى حالها الاول فقالوا لا فقال هذا ليس بسحر فخر ساجدا وتبعه السحرة أجمعون وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم

وساعدهم على ذلك أرباب البلكات الستة وصمموا أيضا على رجوع الثمانية أنفار الذين كانوا أخرجوهم من باب الينكجرية ومشت الصناجق بينهم والاختيارية وصاروا يجتمعون تارة بمنزل قيطاس بك الدفتردار وتارة بمنزل ابراهيم بك أمير الحاج سابقا ثم اجتمع رأي الجميع على نقل الثمانية أنفار المذكورين ومن انضم اليهم من الوجاقات الى باب العزب وأن يخرجوا أنفارا كثيرة من مصر منفيين منهم ثلاثة من الاسكندرانية وعشرة من الجربجية والباقي من الينكجرية وعرضوا في شأن ذلك للباشا فاتفق الامر على ان من كان منهم مكتوبا لسفر الموسقو فليذهب مع المسافرين ومن لم يكن مكتوبا فيعطي عرضه ويذهب الى باب العزب وحضر كاتب العزب والينكجرية في المقابلة واخرجوا من كان اسمه في السفر وما عداهم أعطوهم عرضهم وتفرقوا عن ذلك ووقع الحث على سفر من خرج اسمه في المسافرين وعدم اقامتهم بمصر وان يلحقوا بالمسافرين بثغر الاسكندرية * وفي ثالث عشر صفر قدم ركب الحاج صحبة أمير الحاج ايواز بك * وفيه اجتمع حسن جاويش القزدغلي الذي كان سردار القطار والامير سليمان جربجي تابع القزدغلي سردار الصرة وابراهيم جربجي سردار جداوي وطلبوا عرضهم من باب مستحفظان فذهب اليهم اختيارية بابهم واستعطفوهم فلم يوافقوهم ثم طلب موسى جربجي تابع ابن الامير مرزا ان يخرج أيضا من الوجاق وينقلوا اسمه من الجملية فلم يوافقه رضوان أغا فذهب موسى جربجي الى ابراهيم بك وايواز بك

الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل فقطعهم وقتلهم وهم يقولون ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين فكانوا أول النهار كفارا وآخر النهار شهداء وكان حزقيل مؤمن آل فرعون يكتم ايمانه قيل كان من بني اسرائيل وقيل كان من القبط وقيل هو النجار الذي صنع التابوت الذي جعل فيه موسى وألقي في النيل فلما رأى غلبة موسى السحرة أظهر ايمانه وقيل أظهر ايمانه قبل ذلك وكان فرعون أراد قتل موسى فقال أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فلما أظهر ايمانه قتل وصلب مع السحرة وكانت امرأة مؤمنة تكتم ايمانها أيضا وكانت ماشطة ابنة فرعون فبينما هي تمشطها اذ وقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت ابنة فرعون أبي قالت لا بل ربي وربك ورب أبيك فاخبرت أباها بذلك فدعا بها وبولدها وقال لها من ربك قالت ربي وربك الله فأمر بتنور من نحاس فأحمي ليعذبها وأولادها فقالت لي اليك حاجة قال وما هي قالت تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها قال ذلك لك فأمر بأولادها فالقوا في التنور واحدا واحدا وكان آخر أولادها صبيا صغيرا فقال اصبري يا أماه فانك على الحق فالقيت في التنور مع ولدها وكانت آسية امرأة فرعون من بني اسرائيل وقيل كانت من غيرهم وكانت مؤمنة تكتم ايمانها فلما قتلت الماشطة رأت آسية الملائكة تعرج بروحها كشف الله عن بصيرتها وكانت تنظر اليها وهي تعذب فلما رأت الملائكة قوي ايمانها وازدادت يقينا وتصديقا لموسى فبينما هي كذلك اذ دخل عليها فرعون فأخبرها خبر الماشطة فقالت له آسية الويل لك ما أجرأك على الله فقال لها لعلك اعتراك الجنون الذي اعترى الماشطة فقالت ما بي جنون ولكني آمنت بالله تعالى ربي وربك ورب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أصابها ما أصاب الماشطة فاقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن باله موسى فخلت بها أمها وراودتها على موافقة فرعون فأبت وقالت أما ان اكفر بالله فلا والله فأمر فرعون حتى مدت بين يديه أربعة أوتاد وعذبت حتى ماتت فلما عاينت الموت قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين فكشف الله عن بصيرتها فرأت الملائكة وما أعد لها من الكرامات فضحكت فقال فرعون انظروا الى الجنون الذي بها تضحك وهي في العذاب ثم ماتت ولما رأى فرعون قومه قد دخلهم الرعب من موسى خاف ان يؤمنوا به ويتركوا عبادته فاحتال لنفسه وقال لوزيره يا هامان ابن لي صرحا لعلي أطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا فأمر هامان بعمل الآجر وهو أول من عمله وجمع الصناع وعمله في سبع سنين وارتفع البنيان ارتفاعا لم يبلغه بنيان آخر فشق ذلك على موسى واستعظمه فأوحى الله اليه ان دعه وما يريد فاني مستدرجه ومبطل ما عمله في ساعة واحدة فلما تم بناؤه أمر الله جبريل بخرابه وأهلك كل من عمل فيه من صانع ومستعمل فلما رأى فرعون ذلك من صنع الله أمر أصحابه

وقيطاس بك وسألهم أن يتشفعوا له في ذلك فلم يوافق رضوان أغا فاتفق رأيهم أن يعرضوا للباشا بأن يعزل رضوان أغا المذكور ويتولى على أغات الينكجرية سابقا وأن يعزل سليمان كتخدا الجاويشية ويولي عوضه اسمعيل أغا تابع ابراهيم بك فامتنع الباشا من ذلك وكان اختيارية الجملية توافقوا مع الامراء الصناجق على عزل رضوان أغا فلما رأوا امتناع الباشا أخذوا الصندوق من منزل رضوان أغا واجتمعوا بمنزل باشجاويش واجتمع أهل كل وجاق ببابهم واستمروا على ذلك أياما وأما الينكجرية الذين انتقلوا الى العزب فانهم اجتمعوا بباب العزب وقطعوا الطريق الموصلة الى القلعة ومنعوا من يريد الطلوع الى باب الينكجرية من العسكر والاتباع ولم يبق في الطريق الموصلة الى القلعة الا باب المطبخ ثم توجهوا الى السواقي لاجل منع الماء عن القلعة فمنعهم العسكر من الوصول اليها فكسروا خشب السواقي التي بعرب اليسار وقطعوا الاحبال والقواديس ثم ان نفرا من أنفار الينكجرية أراد الطلوع من طريق الحجر فضربوه وشجوا رأسه ومنعوه فمضى من طريق الجبل ودخل من باب المطبخ واجتمع بافرنج أحمد وبقية الينكجرية وعرفهم حاله فأخذ جماعة منهم وعرضوا أمره على خليل باشا وقاضي العسكر فقال هؤلاء صاروا بغاة خارجين عن الطاعة حيث فعلوا ذلك ومنعوا الماء والزاد وأخافوا الناس وسلبوهم فقد جاز لنا قتالهم ومحاربتهم وذلك سابع عشر صفر ثم ان أحمد أوده باشا استأذن الباشا في محاربة باب العزب

الى

بالشدة على بني اسرائيل وعلى موسى ففعلوا ذلك وصاروا يكلفون بني اسرائيل من العمل مالا يطيقونه وكان الرجال والنساء في شدة وكانوا قبل ذلك يطعمون بني اسرائيل اذا استعملوهم فصاروا لا يطعمونهم شيأ فيعودون باسوأ حال يريدون كسب ما يقوتهم فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان العاقبة للمتقين وان الله يستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون فلما أبى فرعون وقومه الا الثبات على الكفر تابع الله عليه الايات فارسل عليهم الطوفان وهو المطر المتتابع فغرق كل شئ لهم فقالوا يا موسى ادع ربك يكشف عنا هذا ونحن نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فكشفه الله عنهم ونبتت زروعهم فقالوا ما يسرنا انا لم نمطر فبعث الله عليهم الجراد فأكل زروعهم فسألوا موسى ان يكشفه عنهم ويؤمنوا به فدعا الله فكشفه فلم يؤمنوا وقالوا قد بقي من زروعنا بقية فأرسل الله عليهم الدبا وهو القمل فأهلك الزروع والنبات أجمع وكان يهلك أطعمتهم ولا يقدرون ان يحترزوا منه فسألوا موسى أن يكشفه عنهم ففعل فلم يؤمنوا فارسل الله عليهم الضفادع وكانت تسقط في قدورهم وأطعمتهم وملأت البيوت عليهم فسألوا موسى ان يكشفه عنهم ليؤمنوا به ففعل فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه الفرعونيين دما وكان الفرعوني والاسرائيلي يستقيان من ماء واحد فيأخذ الاسرائيلي ماء ويأخذ الفرعوني دما وكان الاسرائيلي يأخذ الماء في فيه فيمجه في فم الفرعوني فيصير دما فبقي ذلك سبعة أيام فسألوا موسى ان يكشفه عنهم ليؤمنوا ففعل فلم يؤمنوا فلما يئس من ايمانهم ومن ايمان فرعون دعا موسى وأمن هرون فقال ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله لهما فمسخ الله أموالهم ما عدا خيلهم وجواهرهم وزينتهم حجارة النخل والاطعمة والدقيق وغير ذلك فكانت احدى الآيات التي جاء بها موسى فلما طال الامر على موسى أوحى الله اليه يأمره بالمسير ببني اسرائيل وأن يحمل معه تابوت يوسف بن يعقوب ويدفنه بالارض المقدسة فسأل موسى عنه فلم يعرفه الا امرأة عجوز فأرته مكانه في النيل فاستخرجه موسى وهو في صندوق مرمر فأخذه معه فسار وأمر بني اسرائيل ان يستعيروا من حلي القبط ما أمكنهم ففعلوا ذلك وأخذوا شيأ كثيرا وخرج موسى ببني اسرائيل ليلا والقبط لا يعلمون وكان موسى على ساقة بني اسرائيل وهرون على مقدمتهم وكان بنو اسرائيل لما ساروا من مصر ستمائة ألف وعشرين ألفا وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون يا موسى أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا اما الاول فكانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا وأما الآن فيدركنا فرعون فيقتلنا قال موسى كلا ان معي ربي سيهدين وبلغ بنو اسرائيل

وضرب بهم بالمدافع والمكاحل فأذن له في ذلك * ومن ذلك الوقت تعوق القاضي عن النزول وأخافوه واستمر مع الباشا الى انقضاء الفتنة مدة سبعين يوما ورجع افرنج أحمد وشرع في المحاربة وضرب على باب العزب بالمدافع وذلك من بعد الزوال الى بعد العشاء وقتل من طائفة العرب أربعة أنفار بالحجر ثم في صبيحة ذلك اليوم اجتمع من الامراء الصناجق الامير ايواز بك أمير الحاج والامير ابراهيم بك أبو شنب وقانصوه بك ومحمود بك ومحمد بك تابع قيطاس بك الدفتردار واتفقوا على ان يلبسوا آلة الحرب ويذهبوا الى الرميلة معونة للعزب على الينكجرية فاخبروا ان أيوب بك ركب مدافع على طريق السائرين على منزله وعلى قاعة الكبش وربما انهم اذا طلعوا الى الرميلة يذهب أيوب بك وينهب منازلهم فامتنعوا من الركوب وعلموا ان منازلهم بلا حوم خوفا من طارق واستمر افرنج أحمد يحارب ثلاثة أيام بلياليها واجتمع على رضوان أغا طائفة من نفره وتذاكروا فيمن كان سببا لاثارة الفتنة فقالوا سليم جربجي ومحمد افندي ابن مناق ويوسف افندي وأحمد جربجي توالي فقالوا لا نرضى هؤلاء الاربعة بعد اليوم أن يكونوا اختيارية علينا ثم ركبوا وتوجهوا الى منزل قيطاس بك وارسلوا من كل بلك اثنين من الاختيارية

١١ [illegible] الى منزل أيوب بك بطلبون رضوان أغا فاركبوه في موكب عظيم وكتبوا تذاكر للاربعة الاختيارية المذكورين بانهم يلزمون بيوتهم ولا يركبون لاحد ولا يجتمع بهم أحد ثم ركب رضوان أغا الى منزل أيوب بك

الى البحر وبقي بين ايديهم وفرعون من ورائهم فأيقنوا بالهلاك فتقدم موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق فقال كل سبط قد هلك أصحابنا فأمر الله الماء فصار كالشبابيك فكان كل سبط يرى من عن يمينه وعن شماله حتى خرجوا ودنا فرعون وأصحابه من البحر فرأى الماء على هيئته والطرق فيه فقال لاصحابه الا ترون البحر قد فرق مني وانفتح لي حتى ادرك اعدائي فلما وقف فرعون على أفواه الطرق لم تقتحمه خيله فنزل جبريل على فرس أنثى وديق فشمت الحصن ريحها فاقتحمت في أثرها حتى اذا هم اولهم ان يخرج ودخل آخرهم أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فأغرقهم وبنو اسرائيل ينظرون اليهم وانفرد جبريل بفرعون وأخذ من حماة البحر فجعلها في فيه وقال حين ادركه الغرق آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وغرق فبعث الله اليه ميكائيل يعيره فقال له آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم لو رأيتني وأنا ادس من حماة البحر في فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها فلما نجا بنو اسرائيل قالوا ان فرعون لم يغرق فدعا موسى فأخرج الله فرعون غريقا فأخذه بنو اسرائيل يمثلون به ثم ساروا فأتوا على قوم يعبدون الاصنام فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون فتركوا ذلك ثم بعث موسى جندين عظيمين من كل جند اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهي يومئذ خالية من أهلها قد اهلك الله عظماءهم ورؤساءهم ولم يبق فيها الا النساء والصبيان والزمنى والمرضى والمشايخ والعاجزين فدخلوا البلاد وغنموا الاموال وحملوا ما اطاقوا وباعوا ما عجزوا عن حمله على غيرهم وكان على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وكان موسى قد وعده الله وهو بمصر انه اذا خرج مع بني اسرائيل منها واهلك الله عدوهم ان يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما اهلك الله فرعون وأنجى بني اسرائيل قالوا يا موسى ائتنا بالكتاب الذي وعدتنا فسأل موسى ربه ذلك فأمره ان يصوم ثلاثين يوما ويتطهر ويطهر ثيابه ويأتي الى الجبل جبل طور سيناء ليكلمه ويعطيه الكتاب فصام ثلاثين يوما أولها ذي القعدة وسار الى الجبل واستخلف أخاه هرون على بني اسرائيل فلما قصد الجبل أنكر ريح فمه فتسوك بعود خرنوب وقيل تسوك بلحاء شجرة فأوحى الله اليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك وأمره ان يصوم عشرة أيام أخرى فصامها وهي عشر ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة ففي تلك الليالي العشر افتتن بنو اسرائيل لان الثلاثين انقضت ولم يرجع اليهم موسى وكان السامري من أهل باجرمى وقيل من بني اسرائيل فقال لهم يا بني اسرائيل ان الغنائم لا تحل لكم والحلي الذي استعرتموه من القبط غنيمة فاحفروا حفرة وألقوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه ففعلوا ذلك وجاء السامري بقبضة من التراب الذي أخذه من أثر

وتذاكروا في الصلح وكتبوا تذكرة لاحمد اوده باشا بابطال الحرب فأبى من الصلح فكتبوا عرضا الى الباشا من لسان
الصناجق وأغوات الوجاقات الخمس برفع المحاربة فارسل الباشا الى الينكجرية فامتثلوا امره وابطلوا الحرب
وضرب المدافع ثم ان الصناجق
والاغوات ارسلوا يطلبون
جماعة من اختيارية
الينكجرية ليتكلموا معهم
في الصلح فاجابوا الى الحضور
غير انهم تعللوا بانقطاع
الطريق من العسكر المقيمين
بالجبر فارسلوا الى حسن
كتخدا العزب فارسل اليهم
من أحضرهم وخلت الطريق
فاجتمع رأي الينكجرية على
ارسال حسن كتخدا سابقا
وأحمد بن مقز كتخدا سابقا
أيضا فاجتمعوا بالعسكر
والصناجق بمنزل اسمعيل بك
وحضر معهم جميع أهل الحل
والعقد وتشاوروا في اخماد هذه
الفتنة وأرسلوا الى باب
الينكجرية فقالوا نحن لا نأبى
الصلح بشرط ان الدولاتية
الذين كانوا سببا لاثارة هذه
الفتنة لا يكونون في باب
العزب بل يذهبون الى
وجاقاتهم الاصلية ولا يقيمون
فيه وأن يسلموا الامير حسن
الاختيار للباشا يفعل فيه رأيه
فأبى أهل باب العزب ذلك ولم
يرضوه فارسل الامراء
الصناجق كتخداتهم الى
افرنج أحمد ومعهم اختيارية
الوجاقات الخمسة يشفعون عنده
بان الانفار العثمانية يرجعون
كما ذكرتم الى وجاقاتهم ويعفون من النفي ومن طلب الامير حسن فلم يوافق افرنج أحمد على ذلك يارب
وقال ان لم يرضوا بشرطي والا حاربتهم ليلا ونهارا الى ان أخفي آثار دار العزب فتفرقوا على غير صلح ثم اجتمع الامراء

حافر فرس جبريل فألقاه فيه فصار الحلى عجلا جسدا له خوار وقيل ان الحلى التي في النار
فذاب فألقى السامري ذلك التراب فصار الحلى عجلا جسدا له خوار وقيل كان يخور ويمشي
وقيل ما خار الا مرة واحدة ولم يعد وقيل ان السامري صاغ العجل من ذلك الحلى في ثلاثة
ايام ثم قذف فيه التراب فقام له خوار فلما رأوه قال لهم السامري هذا الهكم واله موسى
فنسي موسى وتركه ههنا وذهب يطلبه فعكفوا عليه يعبدونه فقال لهم هرون يا قوم
انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري فأطاعه بعضهم وعصاه بعضهم
فأقام بمن معه ولم يقاتلهم ولما ناجى الله تعالى موسى قال له ما أعجلك عن قومك يا موسى
قال هم أولاء على اثري قال فانا قد فتنا قومك من بعدك يا موسى واضلهم السامري
فقال موسى يا ربي هذا السامري قد أمرهم ان يتخذوا العجل من نفخ فيه الروح قال انا قال
فأنت اذا اضللتهم ثم ان موسى لما كلمه الله تعالى أحب ان ينظر اليه قال رب أرني أنظر
اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فتجلى الله
للجبل فجعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين
وأعطاه الالواح فيها الحلال والحرام والمواعظ وعاد موسى ولا يقدر أحد أن ينظر اليه
وكان يجعل عليه حريرة نحو أربعين يوما ثم يكشفها لما تغشاه من النور فلما وصل الى
قومه ورأى عبادتهم العجل ألقى الالواح وأخذ برأس أخيه ولحيته يجره اليه قال يا ابن
أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب
قولي فترك هرون وأقبل على السامري وقال ما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا
به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في
الحياة ان تقول لا مساس ثم أخذ العجل وبرده بالمبارد وأحرقه وأمر السامري فبال عليه
وذراه في البحر فلما ألقى موسى الالواح ذهب ستة اسباعها وبقي سبع وطلب بنو اسرائيل
التوبة فأبى الله ان يقبل توبتهم وقال لهم موسى يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم
العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم فاقتتل الذين عبدوه والذين لم يعبدوه فكان
من قتل من الفريقين شهيدا فاقتتل منهم سبعون الفا وقام موسى وهرون يدعوان الله
فعفا عنهم وأمرهم بالكف عن القتال وتاب عليهم وأراد موسى قتل السامري فأمره الله
بتركه وقال انه سخي فلذلك تركه موسى ثم ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا من اخيارهم
وقال لهم انطلقوا معي الى الله فتوبوا مما صنعتم وصوموا وتطهروا وخرج بهم الى
طور سيناء لميقات الذي وقته الله له فقالوا اطلب أن نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا
موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله ودخل فيه موسى وقال للقوم
ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام فوقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه
فلما فرغ انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد الله تعالى ويدعوه ويقول

الصناجق والاغوات فى رابع شهر ربيع بمنزل ابراهيم بك بقناطر السباع وتذاكروا فى اجراء الصلح على كل حال وكتبوا حجة على أن من صدر منه بعد اليوم ما يخالف رضا الجماعة يكون خصم الجماعة المذكورين جميعا وكلموا أيوب بك ان يرسل الى افرنج أحمد بصورة الحال وان يمنع المحاربة الى تمام الامر المشروع فبطل الحرب نحو خمسة عشر يوما وأخذ افرنج أحمد مدة هذه الايام فى تحصين جوانب القلعة وعمل متاريس ونصب مدافع وتهيئة ذخيرة وجبخانة وماء الصهاريج وحضر فى أثناء ذلك محمد بك حاكم الصعيد ونزل بالبساتين فاقام ثلاثة أيام ودخل فى اليوم الرابع ومعه السواد الاعظم من العربان والمغاربة والهوارة ونزل بيت آق بردى بالرميلة وحارب من جامع السلطان حسن من منزل يوسف اغات الجراكسة سابقا فلم يظفر وقتل من جماعته نحو ثلاثين نفرا وظهر عليه محمد بك المعروف بالصغير تابع قيطاس بك مع من انضم اليه من اتباع ابراهيم بك وابراز بك ومماليكه وكانوا اتترسوا فى ناحية سوق السلاح ووضعوا المتاريس فى شبابيك الجامع وانتقل من محله وذهب الى طولون وترس هنالك وهجم على طائفة العرب الذين كانوا بسبيل المؤمن على حين غفلة وصحبته ذو الفقار تابع أيوب بك فوقع بينهم مقتلة عظيمة من الفريقين فلم يطق العرب المقاومة فتركوا السبيل وذهبوا الى باب العزب ورابط محمد بك جماعة من عسكره فى مكانهم * ثم ان الشيخ الخليفى طلع الى باب الينكجرية وتكلم مع أحمد أوده باشا والاختيارية فى أمر الصلح فقام عليه

يا رب اخترت أخيار بنى اسرائيل واحضرتهم اليك وارجعتهم الى قومهم احياء فلا يصدقونى ولم يزل يتضرع حتى رد الله اليهم ارواحهم رجلا رجلا ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فعاشوا فقالوا يا موسى انت تدعو الله فلا تسأله شيأ الا اعطاك فادع ان يجعلنا انبياء فدعا الله فجعلهم انبياء وقيل امر السبعين كان قبل ان يتوب الله على بنى اسرائيل فلما مضوا للميقات واعتذروا قبل توبتهم وامرهم ان يقتل بعضهم بعضا والله اعلم ولما رجع موسى الى بنى اسرائيل ومعه التوراة ابوا ان يقبلوها ويعملوا بما فيها للاثقال والشدة التى جاء بها وامر الله جبريل فقلع جبلا من فلسطين على قدر عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ ورفعه فوق رؤسهم مقدار قامة الرجل مثل الظلة وبعث نارا من قبل وجوههم واتاهم البحر من خلفهم فقال لهم موسى خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتم به والا رضختكم بهذا الجبل وغرقتكم فى هذا البحر واحرقتكم بهذه النار فلما رأوا ان لا مهرب لهم قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة فى اليهود يسجدون على جانب وجوههم وقالوا سمعنا واطعنا ولما رجع موسى من المناجاة بقى اربعين يوما لا يراه احد الا مات وقيل ما رآه الا عمى فجعل على وجهه وراسه برنسا لئلا يرى وجهه * ثم ان رجلا من بنى اسرائيل قتل ابن عم له ولم يكن له وارث غيره ليرث ماله وحمله والقاه بموضع آخر ثم اصبح يطلب دمه عند موسى من بعض بنى اسرائيل فجحدوا فسأل موسى ربه فأمرهم ان يذبحوا بقرة فقالوا أتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين المستهزئين فقالوا ما هى ولو ذبحوا بقرة ما لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم لان رجلا منهم كان برا بابيه وكان له بقرة على النعت المذكور فنفعه بره بامه فلم يجدوا على الصفة المذكورة الا بقرته فباعها منهم بملء جلدها ذهبا فلما سألوا موسى عنها قال انها بقرة لا فارض ولا بكر يقول لا كبيرة ولا صغيرة نصف بين السنين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ان البقر تشابه علينا قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها يعنى لا عيب فيها وقيل لا بياض فيها قالوا الآن جئت بالحق وطلبوها فلم يجدوا الا بقرة ذلك الرجل البار بامه فاشتروها فغالى بها حتى اخذ ملء جلدها ذهبا فذبحوها وضربوا القتيل بلسانها وقيل بعجزها فحيى وقام وقال قتلنى فلان ثم مات

(ذكر أمر بنى اسرائيل فى التيه ووفاة هرون عليه السلام)

ثم ان الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يسير ببنى اسرائيل الى اريحاء بلد الجبارين وهى ارض بيت المقدس فساروا حتى كانوا قريبا منهم فبعث موسى اثنى عشر نقيبا من سائر اسباط بنى اسرائيل فساروا ليأتوا بخبر الجبارين فلقيهم رجل من الجبارين يقال

افرنج أحمد وأسمعه مالا يليق وأرسل الى الطبجية وأمرهم بضرب المدافع على حين غفلة فانزعج الناس وقاموا وقام الشيخ ومضى وأما سكان باب العزب فانهم أخذوا ما امكنهم من أمتعتهم وتركوا منازلهم ونزلوا المدينة وتفرقوا في حارات القاهرة وحصل عند الناس خوف شديد وأغلقوا الوكائل والخانات والاسواق ورحل غالب السكان القريبين من القلعة مثل جهة الرميلة والحطابة والمحجر خوفا من هدم المنازل عليهم وكان الامر كما ظنوه فان غالبها هدم من المدافع واحترق والذى سلم منها حرقته عسكر طرائف الينكجرية بالنار ولم يصب باب العزب شئ من ذلك ما عدا مجلس الكتخدا فانه انهدم منه جانب وكذلك موضع الاغا غير ثم ان افرنج أحمد تواقع مع أيوب بك وتحيزوا مع أغات جراكسة وأحمد أغا تفكجيان ورضوان أغا جمليان فتعهدوا وانضم اليهم بالمدرسة [illegible] وجامع مرزادة بسويقة العزى وجامع قجماس بالدرب الاحمر ليقطعوا الطريق على العزب واختار افرنج أحمد نحو تسعين نفرا من الينكجرية وأعطى كل شخص دينارا طرليا وأرسلهم بعد الغروب الى الاماكن المذكورة فاما رضوان أغا فانه تعلل واعتذر عن الركوب وأما أحمد أغا فانه توجه الى المحل الذى عين له فحارب مع طائفة من الصناجق والعزب في الجنابكية وأما الذين ربطوا بالجامع مرزاده فلم يأتهم أحد الى الصباح فاخذوا الفطور من الذاهبين اكثر

به الى باب العزب وفي أثناء ذلك نزل رجل أوده باشا من العزب من السلطان حسن يريد منزله فقبض عليه طائفة من

الا عوج بن عناق فأخذ الاثنى عشر فحملهم وانطلق بهم الى امرأته فقال انظرى الى هؤلاء القوم الذين يزعمون انهم يريدون أن يقاتلونا وأراد أن يطأهم برجله فمنعته امرأته وقالت أطلقهم ليرجعوا ويخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك فلما خرجوا قال بعضهم لبعض انكم ان أخبرتم بنى اسرائيل بخبر هؤلاء لا يقدموا عليهم فاكتموا الامر عنهم وتعاهدوا على ذلك ورجعوا فنكث عشرة منهم العهد وأخبروا بما رأوا وكتم رجلان منهم وهما يوشع ابن نون وكالب بن يوفنا ختن موسى ولم يخبروا الا موسى وهرون فلما سمع بنو اسرائيل الخبر عن الجبارين امتنعوا عن المسير اليهم فقال لهم موسى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان وهما يوشع وكالب من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فغضب موسى فدعا عليهم فقال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وكانت عجلة من موسى فقال الله تعالى فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فندم موسى حينئذ فقالوا له فكيف لنا بالطعام فنزل الله المن والسلوى فأما المن فقيل هو كالصمغ وطعمه كالشهد يقع على الاشجار وقيل هو الترنجبين وقيل هو الخبز الرقاق وقيل هو عسل كان ينزل لكل انسان صاع وأما السلوى فهو طائر يشبه السمانى فقالوا أين الشراب فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين فقالوا أين الظل فظلل عليهم الغمام فقالوا أين اللباس فكانت ثيابهم تطول معهم ولا تخرق لهم ثوب ثم قالوا يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم فلما خرجوا من التيه رفع عنهم المن والسلوى ثم ان موسى التقى هو وعوج بن عناق فوثب موسى عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع وكان طوله عشرة أذرع فأصاب كعب عوج فقتله وقيل عاش عوج ثلاثة آلاف سنة ثم ان الله أوحى الى موسى انى متوفى هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلقا فوجدا فيه شجرة لم يروا مثلها وفيه بيت مبنى وسرير عليه فرش وريح طيبة فلما رآه هرون أعجبه قال يا موسى انى أريد أن أنام على هذا السرير فقال له موسى ثم قال انى أخاف رب هذا البيت ان يأتى فيغضب على قال موسى لا تخف أنا أكفيك قال فنم معى فلما ناما أخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتنى فتوفى ورفع على السرير الى السماء ورجع موسى الى بنى اسرائيل فقال له بنو اسرائيل انك قتلت هرون لحبنا اياه فقال ويحكم أفترون أنى أقتل أخى فلما

أكثروا عليه صلى ودعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا اليه ما بين السماء والارض فاخبرهم انه مات وان موسى لم يقتله فصدقوه وكان موته في التيه

(ذكر وفاة موسى عليه السلام)

قيل بينما موسى عليه السلام يمشي ومعه يوشع بن نون فتاه اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن انها الساعة فالتزم موسى وقال لا تقوم الساعة وانا ملتزم نبي الله فاستل موسى من تحت القميص وبقي القميص في يدي يوشع فلما جاء يوشع بالقميص أخذه بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبي الله فقال ما قتلته ولكنه استل مني فلم يصدقوه قال فاذا لم تصدقوني فاخروني ثلاثة ايام فوكلوا به من يحفظه فدعا الله فاتى كل رجل كان يحرسه في المنام فاخبر أن يوشع لم يقتل موسى فانا رفعناه الينا فتركوه* وقيل ان موسى كره الموت فأراد الله أن يحبب اليه الموت فاوحى الله الى يوشع بن نون وكان يغدو عليه ويروح ويقول له موسى يا نبي الله ما أحدث الله اليك فقال له يوشع بن نون يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله لك ولا يذكر شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت وقيل انه مر بنفر وهم رهط من الملائكة يحفرون قبرا فعرفهم فوقف عليهم فلم ير أحسن منه ولم ير مثل ما فيه من الخضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد له منزل كريم ما رأيت مضجعا ولا مدخلا مثله فقالوا أتحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك وتنفس أسهل تنفس تنفسه فنزل فيه وتوجه الى ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وكان صلى الله عليه وسلم زاهدا في الدنيا راغبا فيما عند الله انما كان يستظل في عريش ويأكل ويشرب من نقير من حجر تواضعا الى الله تعالى وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله أرسل ملك الموت ليقبض روحه فلطمه ففقأ عينه فعاد وقال يا رب أرسلتني الى عبد لا يحب الموت قال الله ارجع اليه وقل له يضع يده على ظهر ثور فله بكل شعرة تحت يده سنة وخيره بين ذلك وبين ان يموت الآن فاتاه ملك الموت وخيره فقال له فما بعد ذلك قال الموت قال فالآن اذا فقبض روحه وهذا القول صحيح قد صح النقل به عن النبي صلى الله عليه وسلم فكان موته في التيه أيضا وقيل بل هو الذي فتح مدينة الجبارين على ما نذكره وكان جميع عمر موسى مائة وعشرين سنة من ذلك في ملك افريدون عشرون وفي ملك منوجهر مائة سنة وكان ابتداء أمره منذ بعثه الله الى ان قبضه في ملك منوجهر ثم نبي بعده يوشع بن نون فكان في زمن منوجهر عشرين سنة وفي زمن افراسياب سبع سنين

(ذكر يوشع بن نون عليه السلام وفتح مدينة الجبارين)

الاخصام وسلبوه ثيابه وتركوه بالقميص وأرسلوه الى افرنج أحمد فلما بلغ العرب ذلك ارسلوا طائفة منهم الى المقيمين بجامع مزدادة فدخلوا من بيت الشيخ يحيى بن بركات ونقبوا المنزل عمر كتخدا مستحفظان اذ ذاك وما بجواره من المنازل الى أن وصلوا منزل مراد كتخدا فبمجرد ما رآهم العسكر الذين بجامع مزدادة فروا وأما عمر اغات جراكسة المقيم بجامع قجماس فانه وزع أتباعه جهة باب زويلة وجهة التبانة فحصل لاهل تلك الخطة خوف شديد خصوصا من كان بيته بالشارع فارسلت العرب صالح جربجي الرزاز بجملة من عسكر العرب ومن انضم اليهم من الينكجرية الذين انقلبوا الى العرب صحبة أتباع الامير حسن باشجاويش سابقا والامير حسن جاويش تابع القزدغلي والامير حسن جلب كتخدا وجماعة محمد جاويش كدك خازندار رواح من جامع قجماس واستولى صالح جربجي عليه وعلى المتاريس التي بشبابيكه وملك الامير حسن جاويش تابع القزدغلي جامع المرداني وأقام به حسن جاويش جلب أقام بجامع أصلم واشتهرت طوائفهم بتلك الاخطاط والاماكن فلما أن السلاكون بها وأما عمر اغا الجراكسة فانه لما فر من جامع قجماس ذهب الى جامع المؤيد داخل باب زويلة ثم ان محمد بك ارسل بطلبه فركب ومر على أحمد اغا ابن تكجية فاركبه معه وذهبا الى محمد بك الصعيدي بالصليبة وحصل لاهل خط قوصون خوف عظيم بسبب اقامة أحمد اغا بالسلمانية ووصل غالبهم من

المنازل فلما رحل عنهم اطمأنوا وتراجعوا وحضرت طائفة من المتفرقة الى محل أحمد أغا التفكجية وعملوا متاريس على
رأس عطفة الخطيب ومكثوا هنالك أياما قلائل ثم رحلوا عنها فاتى على كتخدا الساكن بالداودية بطائفة
من العرب فملكوا ذلك الموضع وجلسوا به ثم ان طائفة من المتفرقة والاسباهية هجموا على منزل الامير قرا اسمعيل كتخدا مستحفظان قد دخلوا من بيت مصطفى بك ابن ايواز ونقبوا الحائط بينه وبين منزل قرا اسمعيل كتخدا فلما وصل الخبر الى العرب عينوا له بيرقا من عسكر العرب ورئيسهم أحمد جربجى تابع ظالم على كتخدا فلم يمكنه الدخول من جهة الباب فخرق صدر دكان وتوصل منه الى منزل أحمد أفندى كاتب الجرا كسة سابقا ثم نقبوا منه محلا توصلوا منه الى منزل اسمعيل كتخدا ودخلوا على طائفة البغاة فوجدوهم مشغولين فى نهب أثاث المنزل المذكور فهجموا عليهم هجمة واحدة فالقوا ما بايديهم من السلب ورجعوا القهقرى الى المحل الذى دخلوا منه من بيت مصطفى بك فتبعوهم وتقاتل الفريقان الى ان كانت الدائرة على المتفرقة والاسباهية ونهب العرب منزل مصطفى بك لكونه مكن البغاة من الدخول الى منزله ولكونه كان مصادقا لايوب بك ثم ان
أحمد جربجى المذكور انتقل بمن معه من العسكر الى قوصون ودخل جامع الماس وتحصن به
وكان محمد بك حاكم جرجا يمر من هنالك ويمضى الى الصليبة فانتهز أحمد جربجى فرصة وهو أنه وجد منزل حسين كتخدا

لما توفى موسى بعث الله يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام نبيا الى بنى اسرائيل وأمره بالمسير الى اريحاء مدينة الجبارين واختلف العلماء فى فتحها على يد من كان فقال ابن عباس ان موسى وهرون توفيا فى التيه وتوفى فيه كل من دخله وقد جاوز العشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فلما انقضى أربعون سنة اوحى الله الى يوشع بن نون فامره بالمسير اليها وفتحها ففتحها ومثله قال قتادة والسدى وعكرمة وقال آخرون ان موسى عاش حتى خرج من التيه وسار الى مدينة الجبارين وعلى مقدمته يوشع بن نون ففتحها وهو قول ابن اسحق قال ابن اسحق سار موسى بن عمران الى أرض كنعان لقتال الجبارين فقدم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهو صهره على أخته مريم بنت عمران فلما بلغوها اجتمع الجبارون الى بلعم بن باعورا وهو من ولد لوط فقالوا له ان موسى قد جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا فادع الله عليهم وكان بلعم يعرف اسم الله الاعظم فقال لهم كيف ادعوا على نبى الله والمؤمنين ومعهم الملائكة فراجعوه فى ذلك وهو يمتنع عليهم فاتوا امرأته واهدوا لها هدية فقبلتها وطلبوا اليها ان تحسن لزوجها ان يدعو على نبى بنى اسرائيل فقالت له فى ذلك فامتنع فلم تزل به حتى قال استخير الله فاستخار الله تعالى فنهاه فى المنام فاخبرها بذلك فقالت راجع ربك فعاود الاستخارة فلم يرد اليه جواب فقالت لو أراد ربك لنهاك ولم تزل تخدعه حتى اجابهم فركب حمارا له متوجها الى جبل مشرف على بنى اسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم فما سار عليه الا قليلا حتى ربض الحمار فنزل عنه وضربه حتى قام فركبه فسار به قليلا فبرك فعل ذلك ثلاث مرات فلما اشتد ضربه فى الثالثة انطقه الله فقال له ويحك يا بلعم اين تذهب اما ترى الملائكة تردنى فلم يرجع فاطلق الله الحمار حينئذ فسار عليه حتى أشرف على بنى اسرائيل فكان كلما أراد ان يدعو عليهم ينصرف لسانه الى الدعاء لهم واذا أراد ان يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم فقالوا له فى ذلك فقال هذا شئ غلبنا الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال الآن قد ذهبت منى الدنيا والآخرة ولم يبق غير المكر والحيلة وأمرهم ان يزينوا نساءهم ويعطوهن السلع للبيع ويرسلوهن الى العسكر ولا تمنع امرأة نفسها ممن يريدها وقال ان زنى منهم رجل واحد كفيتموهم ففعلوا ذلك ودخل النساء عسكر بنى اسرائيل فاخذ زمرى بن شلوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة واتى بها موسى فقال له أظنك تقول هذا حرام فوالله لا نطيعك ثم أدخلها خيمته فوقع عليها فانزل الله عليهم الطاعون وكان فنحاص بن العيزار بن هرون صاحب أمر عمه موسى غائبا فلما جاء رأى الطاعون قد استقر فى بنى اسرائيل وأخبر الخبر وكان ذا قوة وبطش فقصد زمرى فرآه وهو مضاجع المرأة فطعنهما بحربة فى يده فانتظمهما ورفع الطاعون وقد هلك فى تلك الساعة عشرون ألفا وقيل سبعون ألفا فانزل الله فى بلعم واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا

آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ثم ان موسى قدم يوشع الى اريحاء في بني اسرائيل فدخلها وقتل بها الجبارين وبقيت منهم بقية وقد قاربت الشمس الغروب فخشي ان يدركهم الليل فيعجزوه فدعا الله تعالى ان يحبس عليهم الشمس ففعل وحبسها حتى استأصلهم ودخلها موسى فأقام بها ما شاء الله ان يقيم وقبضه الله اليه لا يعلم بقبره أحد من الخلق وأما من زعم ان موسى كان قد توفي قبل ذلك فقال ان الله أمر يوشع بالمسير الى مدينة الجبارين فسار ببني اسرائيل ففارقه رجل يقال له بلعم بن باعورا وكان يعرف الاسم الاعظم وساق من حديثه نحو ما تقدم فلما ظفر يوشع بالجبارين أدركه المساء ليلة السبت فدعا الله فرد الشمس عليه وزاد في النهار ساعة فهزم الجبارين ودخل مدينتهم وجمع غنائمهم ليأخذها القربان فلم تأت النار فقال يوشع فيكم غلول فبايعوني فبايعوه فلصقت يده في يد من غل فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلتهما وقيل بل حصرها ستة أشهر فلما كان السابع تقدموا الى المدينة وصاحوا صيحة واحدة فسقط السور فدخلوها وهزموا الجبارين وقتلوا فيهم فأكثروا ثم اجتمع جماعة من ملوك الشام وقصدوا يوشع فقاتلهم وهزمهم وهرب الملوك الى غار فأمر بهم يوشع بن نون فقتلوا وصلبوا ثم ملك الشام جميعه فصار لبني اسرائيل وفرق عماله فيه ثم توفاه الله فاستخلف على بني اسرائيل كالب بن يوفنا وكان عمر يوشع مائة وستا وعشرين سنة وكان قيامه بالامر بعد موسى سبعا وعشرين سنة وأما من بقي من الجبارين فان افريقش بن قيس بن صيفي بن سبا بن كعب بن زيد بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان مر بهم متوجها الى افريقية فاحتملهم من سواحل الشام فقدم بهم افريقية فافتتحها وقتل ملكها جرجير واسكنهم اياها فهم البرابرة وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة فهم فيهم الى اليوم

(ذكر أمر قارون)

وكان قارون بن يصهر بن قاهث وهو ابن عم موسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى والاول أصح وكان عظيم المال كثير الكنوز قيل ان مفاتيح خزائنه كانت تحمل على أربعين بغلا فبغى على قومه بكثرة ماله فوعظوه ونهوه وقالوا له ما قص الله تعالى في كتابه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين فاجابهم بجواب مغتر لحلم الله عنه فقال انما أوتيته يعني المال والخزائن على علم عندي قيل على خبر ومعرفة مني وقيل لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا فلم يرجع عن غيه ولكنه تمادى في طغيانه حتى خرج على قومه في زينته وهي انه ركب برذونا أبيض بمراكب الارجوان المذهبة وعليه الثياب المعصفرة وقد حمل معه

الجزائرلي خاليا فدخل فيه فرأى داخله قصرا متصلا بمنزل محمد كتخدا عزبان المعروف بالبيرقدار بجلود هليرمنزاه وطبقاته تشرف على الشارع فكمن فيه هو وطائفة ممن معه ليقاتل محمد بك اذا مر به واذا بمحمد بك قد خرج من عطفة الحطب مارا الى جهة الصليبة فضربوه بالبندق فاصيب أربعة من طائفته فقتلوا فظن ان الرصاص أتاه من منزل محمد كتخدا البيرقدار فوقف على بابه واضرم النار فيه فاحترق أكثر المنزل ونهبوا ما فيه من اثاث ومتاع ثم ان النار اتصلت بالاماكن المجاورة له والمواجهة فاحترقت البيوت والرباع والدكاكين التي هنالك من الجهتين من جامع الماس الى تربة المظفر يمينا وشمالا وأفسدت ما بها من الامتعة والذي لم يحترق نهبته البغاة وخرجت النساء حواسر مكشفات الوجوه فاستولى أحمد جربجي على جامع الماس وعلى كتخدا الساكن بالداودية أقام بالمدرسة السليمانية وأما اطراف القاهرة وطرقها فانها تعطلت من المارة وعلى الخصوص طريق بولاق ومصر العتيقة والقرافة لكون أيوب بك ارسل الى حبيب الدجوي يستعين به فحضر منهم طائفة وكذلك اخلاط الهوارة الذين حضروا من الصعيد صحبة محمد بك فاحتاطوا بالاطراف يسلبون الخلق واستاقوا اجمال السقائين حتى كاد أهل مصر يموتون عطشا وصار العسكر فرقتين ايواز بك وقيطاس بك الدفتردار وابراهيم بك أمير الحاج سابقا ومحمد بك وقانصوه بك وعثمان بك ابن سليمان بك ومحمود بك والبلكات الاسباهية الثلاثة

ثلثمائة جارية على مثل برذونه واربعة آلاف من أصحابه وبنى داره وضرب عليها صفائح الذهب وعمل لها بابا من ذهب ففتن أهل الغفلة والجهل مثل ماله فنهاهم أهل العلم بالله وأمره الله تعالى بالزكاة فجاء الى موسى من كل ألف دينار دينار وعلى هذا من كل ألف شئ شئ فلما عاد الى بيته وجده كثيرا فجمع نفرا يثق بهم من بنى اسرائيل فقال ان موسى أمركم بكل شئ فاطعتموه وهو الآن يريد أخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم ان تحضروا فلانة البغى فتجعلوا لها جعلا وتقذفه بنفسها ففعلوا ذلك فاجابتهم اليه ثم أتى موسى فقال ان قومك قد اجتمعوا لك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم فقال من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كانت له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت فقال نعم قال فان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فقال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى أقسمت عليك بالذى أنزل التوراة الا صدقت أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء فقالت لا كذبوا ولكن جعلوا لى جعلا على ان أقذفك فسجد ودعا عليهم فأوحى الله اليه مر الارض بما شئت تطعك فقال يا أرض خذيهم وقيل ان هذا الامر بلغ موسى فدعا الله تعالى عليه فاوحى الله اليه مر الارض بما شئت تطعك فغدا موسى الى قارون فلما دخل عليه عرف الشر فى وجهه فقال له يا موسى ارحمنى فقال موسى يا أرض خذيهم فاضطربت داره وساخت بقارون وأصحابه الى الكعبين وجعل يقول يا موسى ارحمنى قال يا أرض خذيهم فاخذتهم الى ركبهم فلم يزل يستعطفه وهو يقول يا أرض خذيهم حتى خسف بهم فأوحى الله الى موسى ما أفظك أما وعزتى لو اياى نادى لاجبته ولا أعيد الارض تطيع أحدا أبدا بعدك فهو يخسف به كل يوم قامة فلما أنزل الله الخسف به حمد المؤمنون الله وعرف الذين تمنوا مكانه بالامس خطأ أنفسهم واستغفروا وتابوا

(ذكر من ملك من الفرس بعد منوجهر)

لما هلك منوجهر ملك فارس سار افراسياب بن فشنج بن رستم ملك الترك الى مملكة الفرس واستولى عليها وسار الى أرض بابل وأكثر المقام بها وبمهرجان فقذف وأكثر الفساد فى مملكة فارس وعظم ظلمه وأخرب ما كان عامرا ودفن الانهار والقنى وقحط الناس سنة خمس من ملكه الى أن خرج من مملكة فارس ولم يزل الناس منه فى أعظم البلية الى أن ملك زو بن طهماسب وكان منوجهر قد سخط على ولده طهماسب ونفاه عن بلاده فاقام فى بلاد الترك عند ملك لهم يقال له وامن وتزوج ابنته فولدت له زو بن طهماسب وكان المنجمون قد قالوا لابيها انه يولد لابنته ولد يقتله فحبسها فلما تزوجها طهماسب وولدت منه كتمت أمرها وولدها ثم ان منوجهر رضى عن طهماسب وأحضره اليه فاحتال فى اخراج زوجته وابنه زو من محبسهما فوصلت اليه ثم ان زو

والجاوشية والعزب بعصبة واحدة وايوب بك ومحمد بك الكبير وأغوات الاسباهية من غير الانفار ومحمد أغا متفرقه باشا وأهل بالكه وسليمان أغا كتخدا الجاوشية وبلك الينكجرية المقيمين بالقلعة صحبة افرنج أحمد والباشا وقاضى العسكر الجميع عصبة واحدة وأخذوا عندهم نقيب الاشراف بحيلة واحتبس وه عندهم وأغلقوا جميع أبواب القلعة ماعدا باب الجبل وامتنع الناس من النزول من القلعة والطلوع اليها الامن الباب المذكور واستمر افرنج أحمد ومن معه يضربون المدافع على باب العزب ليلا ونهارا وبباب العزب خلق كثيرون منتشرون نحوه ومالقوا من الحسارات وتلف والهدم واهلاك تصرف عليهم كل يوم فلما طال الامر اجتمع الامراء الصناجق بجامع شيخون بدرب الجماميز واتفقوا على عزل الباشا واقامة قائمقام من الامراء فاقاموا ونصروه بك قائمقام نائبا وولوا اغوات البلكات وهم الاسباهية الثلاثة فولوا على الجراكسة صالح أغا وعلى الجراكسة مصطفى أغا وعلى التفكجية أغا ابن ذى الفقار بك واسمعيل أغا جعلوه كتخدا الجاوشية وعبد الرحمن أغا متفرقه باشا وقلدوا الزعامة الامير حسن الذى كان زعيما وعزله الباشا وعبد الله أغا فلما أحكموا ذلك وبلغ الخبر طائفة الينكجرية الذين بالقلعة توجهوا الى خليل باشا واخبروه بالصورة فكتب لاغوات فيما البلكات الثلاث ومتفرقه باشا يأمرهم بمحاربة الصناجق ومن معهم لكونهم بغاة خارجين على نائب السلطان ثم اتفق

فيماذ كر قتل جده وامن في بعض الحروب وطرد افراسياب التركي عن مملكة فارس حتى رده الى الترك بعد حروب جرت بينهما فكانت غلبة افراسياب على اقاليم بابل ومملكة الفرس اثنتي عشرة سنة من لدن توفي منوجهر الى ان اخرجه منها زو وكان اخراجه منها في زوزابان من شهر ابان ماه فاتخذ لهم هذا اليوم عيدا وجعلوه الثالث لعيديهم النوروز والمهرجان وكان زو محمودا في ملكه محسنا الى رعيته وأمر باصلاح ما كان افراسياب أفسده من مملكتهم وبعمارة الحصون واخراج المياه التي غورها وطرقها حتى عادت البلاد الى أحسن ما كانت ووضع عن الناس الخراج سبع سنين فعمرت البلاد في ملكه وكثرت المعايش واستخرج بالسواد نهرا وسماه الزاب وبنى عليه مدينة وهي التي تسمى العتيقة وجعل لها طسوج الزاب الاعلى وطسوج الزاب الاوسط وطسوج الزاب الاسفل وكان أول من اتخذ ألوان الطبيخ وأمر بها وبأصناف الاطعمة وأعطى جنوده ما غنم من الترك وغيرهم وكان جميع ملكه الى ان انقضت مدته ثلاث سنين وكان كرشاسب بن انوط وزيره في ملكه ومعينه فيه وقيل كان شريكه في الملك والاول أصح وكان عظيم الشأن في فارس الا انه لم يملك

(ذكر ملك كيقباذ)

ثم ملك بعد زو كيقباذ بن راع بن ميسرة بن نوذر بن منوجهر وقدر مياه الانهار والعيون لشرب الارض وسمى البلاد بأسمائها وحدها بحدودها وكور الكور وبين حيز كل كورة وأخذ العشر من غلاتها لارزاق الجند وكان كيقباذ كرا حريصا على عمارة البلاد ومنعها من العدو كثير الكنوز وقيل ان الملوك الكيانية وأبناءهم من نسله وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة فكان مقيما بالقرب من نهر بلخ وهو جيحون لمنع الترك من تطرق شئ من بلاده وكان ملكه مائة سنة

(ذكر الاحداث في بني اسرائيل في عهد زو وكيقباذ ونبوة حزقيل)

لما توفي يوشع بن نون قام بأمر بني اسرائيل بعده كالب بن يوفنا ثم حزقيل بن بوزي وهو الذي يقال له ابن العجوز وانما قيل له ذلك لان أمه سألت الله الولد وقد كبرت فوهبه الله لها وهو الذي دعا للقوم الموتى فأحياهم الله وكان سبب ذلك ان قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فهرب عامة أهلها ونزلوا ناحية فهلك أكثر من بقي بالقرية وسلم الآخرون فلما ارتفع الطاعون رجعوا فقال الذين بقوا أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا ولو صنعنا كما صنعوا بقينا فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وهم بضعة وثلاثون ألفا وقيل ثلاثة آلاف وقيل أربعة آلاف وقيل غير ذلك حتى نزلوا ذلك المكان فصاح بهم ملك فماتوا وتخرت عظامهم فمر بهم حزقيل فلما رآهم جعل يتفكر في بعثهم فأوحى الله اليه أتريد أن أريك كيف أحييهم قال نعم فقيل ناد فنادى يا أيتها

مع أفرنج أحمد على اتخاذ عسكر جديد يقال لهم سردن كجدى ويعطى لكل من كتب اسمه خمسة دنانير وخمسة عثامنة فكتبوا نحو ثمانمائة شخص وعلى كل مائة بيرقدار ورئيس يقال له أغات السردن كجدى ثم ان محمد بك الصعيدي اتفق مع أفرنج أحمد بان يهجم على طائفة العزب من طريق قراميدان ويكسر باب العزب المتوصل منه الى قراميدان ويهجم على العزب ووصل خبر ذلك الى العزب فاستعدوا له وكنوا قريبا من الباب المذكور فلما كان بعد العشاء الاخيرة هجموا على الباب المذكور وكان العزب أحضروا شيأ كثيرا من حطب القرطم وطلوه بالزيت والقار والكبريت فلما تكامل عسكر محمد بك أوقدوا النار في ذلك الحطب فأضاء لهم قراميدان وصار كالنهار ثم ضربوهم بالبندق ففروا فصار كل من ظهر لهم ضربوه فقتلوا منهم طائفة كثيرة وولوا منهزمين ثم ان قانصوه بك صار يكتب بيورلديات وأوامر ويرسلها الى محمد بك الصعيدي يأمره بالتوجه الى ولايته آمنا على نفسه وتحصيل ما عليه من الاموال السلطانية فارعد وابرق ثم ان جماعة من العزب أخذوا حسن الوالي المولى من طرف قائمقام مصر وذهبوا وصحبتهم جماعة من أتباع الامراء الصناجق الى باب الوالي ليملكوه فلما بلغ الخبر عبد الله أغا الوالي أخذ فرشه وفر الى بيت أيوب بك وفر الاودباشا أيضا فلما قعد العزب أحدا في بيت الوالي توجهوا المنزل عبد الله الوالي لينهبوه فقام عليهم جماعة من أتباع سليمان كتخدا الجاويشية

العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعي فجعلت العظام تطير بعضها الى بعض حتى صارت أجسادا من عظام ثم نادى يا أيتها العظام ان الله أمرك ان تكتسي فألبست لحما ودما وثيابها التى ماتت فيها ثم نادى يا أيتها الارواح ان الله يأمرك أن تعودى الى أجسادك فعادت وقامت الاجساد أحياء وقالوا حين أحيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فرجعوا الى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد كفنا دسما ثم ماتوا ثم مات حزقيل ولم تذكر مدته فى بنى اسرائيل وقيل كانوا قوم حزقيل فلما ان ماتوا بكى حزقيل وقال يارب كنت فى قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا فقال الله أتحب ان أحييهم قال نعم قال فانى قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا

﴿ذكر الياس عليه السلام﴾

لما توفى حزقيل كثرت الاحداث فى بنى اسرائيل وتركوا عهد الله وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس بن ياسين بن فنحاص بن العزار بن هرون بن عمران نبيا وكان الانبياء فى بنى اسرائيل بعد موسى بن عمران يبعثون بتجديد ما نسوا من التوراة وكان الياس مع ملك من ملوكهم يقال له اخاب وكان يسمع منه ويصدقه وكان الياس يقيم له أمره وكان بنو اسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه يقال له بعل فجعل الياس يدعوهم الى الله وهم لا يسمعون الا من ذلك الملك وكان ملوك بنى اسرائيل متفرقة كل ملك قد تغلب على ناحية يأكلها فقال ذلك الملك الذى كان الياس معه والله ما أرى الذى تدعو اليه الا باطلا لانى أرى فلانا وفلانا يعد ملوك بنى اسرائيل قد عبدوا الاوثان فلم يضرهم ذلك شيأ يأكلون ويشربون ويتنعمون ما ينقص ذلك من دنياهم وما نرى لنا عليهم من فضل ففارقه الياس وهو يسترجع فعبد ذلك الملك الاوثان أيضا وكان للملك جار صالح مؤمن يكتم ايمانه وله بستان الى جانب دار الملك والملك يحسن جواره وللملك زوجة عظيمة الشر والكفر فقالت له لم لا تأخذ بستان الرجل فلم يفعل فكانت تخالف زوجها اذا سافر عن بلده وتظهر للناس فغاب مرة فوضعت امرأته على صاحب البستان من شهد عليه أنه سب الملك فقتلته وأخذت بستانه فلما عاد الملك غضب من ذلك واستعظمه وأنكره فقالت فات أمره فأوحى الله الى الياس يأمره ان يقول للملك وامرأته ان يردا البستان على ورثة صاحبه فان لم يفعلا غضب عليهما وأهلكهما فى البستان ولم يتمتعا به الا قليلا فأخبرهما الياس بذلك فلم يراجعا الحق فلما رأى الياس أن بنى اسرائيل قد أبوا الا الكفر والظلم دعا عليهم فأمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين فهلكت الماشية والطيور والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا واستخفى الياس خوفا من بنى اسرائيل فكان يأتيه رزقه ثم انه أوى ليلة الى امرأة من بنى اسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب به ضر شديد فدعا له فعوفى من الضر الذى كان

ومن بجوارهم من الجند فهزموا العرب وقتلوا منهم رجلا فاقام حسن الوالي بيساب قيطاس بك الدفتردار فلما اتسع الخرق أرسل الباشا الى ابراهيم بك وايواظ بك وقيطاس بك يطلبهم الى الديوان ليتداعوا مع الينكجرية فلما حضر تابع الباشا وقرأ عليهم الفرمان أجابوا بالسمع والطاعة واعتذروا عن الطلوع بانقطاع الطرق من الينكجرية وترتيب المدافع ولولا ذلك لتوجهنا اليه فلما يئس الباشا منهم اتفق مع أيوب بك ومن انضم اليه من العسكر على محاربتهم وبرز الجميع الى خارج البلد فلما كان يوم الاحد ثالث ربيع الاول أرسلوا أيوب بك ومحمد بك الى العزبان ليأخذوا جمال السقائين وحميرهم ومنع الماء عن البلد فأخذوا جميع ما وجدوه فعز الماء ووصل ثمن القربة خمسة أنصاف فضة فامر الامراء الآخرون طائفة من العسكر أن يركبوا الى جهة قصر العيني ويستخلصوا الجمال ممن نهبوهم فتوجهوا وجلسوا بالمساطب ينتظرون من يمر عليهم بالجمال فلما بلغ محمد بك حضورهم هناك جمع طائفة هوارة وهجموا عليهم وهم غير مستعدين فاندهشوا ودافعوا عن أنفسهم ساعة ثم فروا وتأخر عنهم جماعة لم يجدوا خيولهم لكون سواسهم أخذوها وفروا فقتلهم محمد بك وأرسل رؤسهم للباشا فانسر سرورا عظيما وأعطى ذهبا كثيرا فلما رجع المنهزمون الى منزل قانصوه بك وايواظ بك لم يسهل عليهم ذلك واتفقوا على البروز اليهم به فركبوا فى يوم الاثنين رابع عشر ربيع الثانى وخرج الفريقان الى جهة قصر العيني والروضة فتلاقيا وتحاربا وتقاتلا

قتالا عظيما تشيب منه الاطفال وقتل من الجند خاصة زيادة عن الاربعمائة نفر من الفريقين خلاف العربان والهوّارة وغيرهم وقصد ايواظ بك محمد بك الصعيدى فانهزم الى جهة المجراة فساق خلفه وكان الصعيدى قد اجلس أنفارا فوق المجراة مكيدة وحذرا فضربوا على ايواظ بك بالرصاص ليردوه فأصيب برصاصة فى صدره فسقط عن جواده وتفرقت جموعه واخذ الاخصام رأسه وبينما القوم فى المعركة اذ ورد عليهم الخبر بموت ايواظ بك فانكسرت نفوسهم وذهبوا فى طلبه فوجدوه مقتولا مقطوع الرأس فحمله أتباعه ورجع القوم الى منازلهم ولما قطعوا رأس ايواظ بك وذهبوا بها الى محمد بك قال هذه رأس من قالوا رأس قليدهم ايواظ بك فأخذها وذهب بها عند أيوب بك ورضوان فقال أيوب بك هذه رأس من قال رأس قليدهم فبكى أيوب بك وقال حرم علينا عيش مصر قال محمد بك هذا رأس قليدهم وراحت عليهم قال له أيوب بك أنت ربيت فى أين اما تعلم ان ايواظ بك وراءه رجال وأولاد ومال وهذه الدعوة ليس للقاسمية فيها جناية والا تجرى الدم فيطلبون ثارهم ويصرفون مالا ولا يكون الامار بيد الله ولما ذهبوا بالرأس الى الباشا فرح فرحا شديدا وظن تمام الامر له ولمن معه واعطى ذهبا وبقاشيش ودفنوا ايواظ بك وطلبوا من أيوب بك الرأس فارسلها اليهم بعد ما سلخها الباشا فدفنوها مع جثته ثم ان ايوب بك كتب تذكرة وأرسلها الى ابراهيم أبو شنب يعزيه فى ايواظ بك ويقول له ان شاء الله تعالى بعد ثلاثة أيام نأخذ خاطر الباشا

به واتبع الياس وكان معه وصحبه وصدقه وكان الياس قد كبر فاوحى الله اليه انك قد أهلكت كثيرا من الخلق من البهائم والدواب والطير وغيرها ولم يعص سوى بنى اسرائيل فقال الياس أى رب دعنى اكن انا الذى أدعو لهم وآتيهم بالفرج لعلهم يرجعون فجاء الياس اليهم وقال لهم انكم قد هلكتم وهلكت الدواب بخطاياكم فان أحببتم ان تعلموا ان الله ساخط عليكم بفعلكم وأن الذى أدعوكم اليه هو الحق فاخرجوا بأصنامكم وادعوها فان استجابت لكم فذلك الحق كما تقولون وان هى لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت الله ففرج عنكم قالوا انصفت فخرجوا باصنامهم فدعوها فلم يستجب لهم ولم يفرج عنهم فقالوا لالياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا لهم بالفرج وأن يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس وعظمت وهم ينظرون ثم أرسل الله منها المطر فحييت بلادهم وفرج الله عنهم ما كانوا فيه من البلاء فلم ينزعوا ولم يراجعوا الحق فلما رأى ذلك الياس سأل الله ان يقبضه فيريحه منهم فكساه الله الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فصار ملكيا انسيا سماويا أرضيا وسلط الله على الملك وقومه عدوا فظفر بهم وقتل الملك وزوجته بذلك البستان وألقاهما فيه حتى بليت لحومهما

(ذكر نبوة اليسع عليه السلام وأخذ التابوت من بنى اسرائيل)

فلما انقطع الياس عن بنى اسرائيل بعث الله اليسع فكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله وعظمت فيهم الاحداث وعندهم التابوت يتوارثونه فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة فكانوا اذا لقاهم عدو فيقدمون التابوت الا هزم الله العدو وكانت السكينة شبه رأس هر فاذا صرخت فى التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح ثم خلف فيهم ملك يقال له ايلاف وكان الله يمنعهم ويحميهم فلما عظمت أحداثهم نزل بهم عدو فخرجوا اليه وأخرجوا التابوت فاقتتلوا فغلبهم عدوهم على التابوت وأخذه منهم وانهزموا فلما علم ملكهم ان التابوت أخذ مات كمدا ودخل العدو أرضهم ونهب وسبى وعاد فكثروا على اضطراب من أمرهم واختلاف وكانوا يتمادون احيانا فى غيهم فيسلط الله عليهم من ينتقم منهم فاذا راجعوا التوبة كف الله عنهم شر عدوهم فكان هذا حالهم من لدن توفى يوشع بن نون الى ان بعث الله اشمويل وملكهم طالوت ورد عليهم التابوت وكانت مدة ما بين وفاة يوشع الذى كان يلى أمر بنى اسرائيل بعضها القضاة وبعضها الملوك وبعضها المتغلبون الى ان ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة الى اشمويل أربعمائة سنة وستين سنة فكان أول من سلط عليهم رجل من نسل لوط يقال له كوشان فقهرهم وأذاهم ثمانى سنين ثم أنقذهم من يده أخ لكالب الاصغر يقال له عتنيل فقام بامرهم أربعين سنة ثم سلط عليهم ملك يقال له عجلون فملكهم ثمانى عشرة سنة ثم استنقذهم منه رجل من سبط بنيامين يقال له أهود وقام بأمرهم ثمانين سنة ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له يابين

فملكهم عشرين سنة واستنقذهم منه امرأة من بنى أنبيائهم يقال لها دبورا ودبر الامر رجل من قبلها يقال له باراق أربعين سنة ثم سلط عليهم قوم من نسل لوط فملكوهم سبع سنين واستنقذهم رجل يقال له جدعون بن يواش من ولد نفتالى بن يعقوب فدبر أمرهم أربعين سنة وتوفى ودبر أمرهم بعده ابنه أبيمالخ ثلاث سنين ثم دبرهم بعده فولع بن فوّا بن خال أبيمالخ ويقال انه ابن عمه ثلاثا وعشرين سنة ثم دبر أمرهم بعده رجل يقال له يائيرا ثنتين وعشرين سنة ثم ملكهم قوم من أهل فلسطين بنى عمون ثمانى عشرة سنة ثم قام بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين ثم دبرهم بعده يحسون سبع سنين ثم بعده آلون عشر سنين ثم بعده اترون ويسميه بعضهم عكرون ثمانى سنين ثم قهرهم أهل فلسطين وملكوهم أربعين سنة ثم وليهم شمسون عشرين سنة ثم بقوا بعده عشر سنين بغير مدبر ولا رئيس ثم قام بأمرهم بعد ذلك عالى الكاهن وفى أيامه غلب أهل فلسطين على التابوت فى قول فلما مضى من وقت قيامه اربعون سنة بعث اشمويل نبيا فدبرهم عشر سنين ثم سألوا اشمويل ان يبعث لهم ملكا يقاتل بهم أعداءهم

(ذكر حال اشمويل وطالوت)

كان من خبر اشمويل بن بالى ان بنى اسرائيل لما طال عليهم البلاء وطمع فيهم الاعداء وأخذ التابوت منهم فصاروا بعده لا يلقون ملكا الا خائفين فقصدهم جالوت ملك الكنعانيين وكان ملكه ما بين مصر وفلسطين فظفر بهم فضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة فدعوا الله ان يبعث لهم نبيا يقاتلون معه وكان سبط النبوة هلكوا فلم يبق منهم غير امرأة حبلى فحبسوها فى بيت خيفة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بنى اسرائيل فى ولدها فولدت غلاما سمته اشمويل ومعناه سمع الله دعائى وسبب هذه التسمية انها كانت عاقرا وكان لزوجها امرأة أخرى قد ولدت له عشرة أولاد فبغت عليها بكثرة الاولاد فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولدا فرحم الله انكسارها وحاضت لوقتها وقرب منها زوجها فحملت فلما انقضت مدة الحمل ولدت غلاما فسمته اشمويل فلما كبر اسلمته فى بيت المقدس يتعلم التوراة وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ ان يبعثه الله نبيا أتاه جبريل وهو يصلى فناداه بصوت يشبه صوت الشيخ فجاء اليه فقال ما تريد فكره ان يقول لم ادعك فيفزع فقال ارجع فنم فرجع فعاد جبريل لمثلها فجاء الى الشيخ فقال له يا بنى عد فاذا دعوتك فلا تجبنى فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل وأمره بانذار قومه وأعلمه ان الله بعثه رسولا فدعاهم فكذبوه ثم أطاعوه واقام يدبر أمرهم عشر سنين وقيل أربعين سنة وكان العمالقة مع ملكهم جالوت قد عظمت نكايتهم فى بنى اسرائيل حتى كادوا يهلكونهم فلما رأى بنو اسرائيل ذلك قالوا ابعث لنا ملكا يقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا قالوا وما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فدعا الله فارسل اليه

ويقع الصلح وأرادوا بذلك التثبيط حتى يأخذوا من الباشا دراهم يصرفونها ويرتبوا أمرهم * وأما ما كان من امرا اتباع ايواظ بك فركب يوسف الجزار واخذ معه اسمعيل بن ايواظ بك المتوفى وأحمد كاشف وذهبوا عند قانصوه بك فوجدوا عنده ابراهيم بك وأحمد بك مملوكه وقيطاس بك وعثمان بك بارم ذيله ومحمد بك الصغير المعروف بقطامش جالسين وعليهم الحزن والكآبة فلما استقر بهم الجلوس بكى قيطاس بك فقال له يوسف الجزار وما فائدة البكاء دبروا أمركم قالوا كيف العمل قال يوسف الجزار هذه الواقعة ليس لنا فيها علاقة أنتم فقارية فى بعضكم واننا الآن انجرحنا ومات منا واحد خلف ألفا وخلف مالا اعلم انى صنجقا وأمير حاج وسر عسكر واعملوا ابن سيدى اسمعيل صنجقا يفتح بيت أبيه وفيه البركة وأعطونى فرمانا من الذى جعلتموه قائممقام وحجة من نائب الشرع الذى افتتحوه أيضا على أن الذى سقطت عدالته يسقط عنه حلوان البلاد ونحن نصرف الحلوان على العسكر والله يعطى النصر لمن يشاء من عباده ففعلوا ذلك وراشوا أمورهم فى الثلاثة أيام وتهيأ الفريقان للمبارزة وخرجوا يوم السبت تاسع عشر ربيع الثانى وكان أيوب بك حصن منزله فاتفق رأيهم على محاربة العسكر المجتمعة أولا ثم محاصرة المنزل فخرج أيوب بك على جهة طولون ووقعت حروب وأمور ثم رجعوا الى منازلهم فلما رأى طائفة العزب تطاول الامر وعدم التوصل الى القلعة وامتناع من فيها وضرب المدافع عليهم ليلا ونهارا اجمع رأيهم على

مصا

أن يولوا كتخدا على الينكجرية ويجلسوه بباب الوالي بطائفة من العسكر وينادوا في الشوارع بان كل من كانت له علوفة في وجاقات مستحفظان يأتي تحت البيرق بالبوابة ومن لم يأت بعد ثلاثة أيام ينهب بيته ففعلوا ذلك وعملوا حسن جاويش قريب المرحوم جلب خليل كتخدا الكونهانويته والبسه قانصوه بك قائمقام قفطانا وركب وأمامه الوالي والبيرق والعسكر والمنادي أمامه ينادي بما ذكر الى ان نزل بيت الوالي واحضروا الاوده باشا المتولي اذ ذاك واجلسوه محله وطاف البلد بطائفته وكذلك العسكر * وفي يوم الخميس هجمت الينكجرية من البذرم على باب العزب ومعهم محمد بك الكبير وكتخدا الباشا وافرنج أحمد فعند ما نزل أولهم من البذرم وكان العزب قد اعدوا في الزاوية التي تحت قصر يوسف مدافع ملآنين بالرش والفلوس الجدد فضربوا عليهم فوقع محمد أغا سر كدك والبيرقدار وانفار منهم فولوا منهزمين يطأ بعضهم بعضا فاخذت العزب روس المقتولين فارسلوها الى قانصوه بك ثم ان قائمقام والصناجق اتفقوا على تولية علي أغا مستحفظان لضبطه واهتمامه فلما أرسلوا اليه أبى ان يقبل ذلك فتغيب من منزله فركب يوسف بك الجزار ومحمد بك الصغير وعثمان بك في عدة كبيرة ودخلوا على منزل علي أغا فلم يجدوه واخبروا بالمكان الذي هو فيه فطلبوه فاتى بعد امتناع وتخويف وتوجهوا به الى قائمقام فالبسه قفطان الاغاوية يوم الخميس رابع عشري ربيع الثاني وعاد الى منزله بالقفطان يقدمه العسكر مشاة بالسلاح واللازمون معلنين

عصا وقرنا فيه دهن وقيل له ان صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا واذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن رأسه به وملكه عليهم فقاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا امثالها وكان طالوت دباغا وقيل كان سقاء يسقي الماء ويبيعه فضل حماره فانطلق يطلبه فلما اجتاز بالمكان الذي فيه اشمويل دخل يسأله أن يدعو له ليرد الله حماره فلما دخل نش الدهن فقاسوه بالعصا فكان مثلها فقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وهو بالسريانية شاول بن قيس بن اغمار بن ضرار بن يحرف بن يفتح بن ايش بن بنيامين بن يعقوب بن اسحق فقالوا والله ما كنت قط أكذب منك الساعة ونحن من سبط المملكة ولم يؤت طالوت سعة من المال فنتبعه فقال اشمويل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم فقالوا ان كنت صادقا فأت بآية فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة والسكينة رأس هر وقيل طشت من ذهب يغسل فيها قلوب الانبياء وقيل غير ذلك وفيه الالواح وهي من در وياقوت وزبرجد واما البقية فهي عصا موسى ورضاضة الالواح فحملته الملائكة واتت به الى طالوت نهارا بين السماء والارض والناس ينظرون فاخرجه طالوت اليهم فاقروا بملكه ساخطين وخرجوا معه كارهين وهم ثمانون ألفا فلما خرج قال لهم طالوت ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وهو نهر فلسطين وقيل الاردن فشربوا منه الا قليلا وهم أربعة آلاف فمن شرب منه عطش ومن لم يشرب منه الا غرفة روى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه لقيهم جالوت وكان ذا بأس شديد فلما رأوه رجع أكثرهم وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ولم يبق معه غير ثلثمائة وبضعة عشر عدد أهل بدر فلما رجع من رجع قالوا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وكان فيهم ايشا ابو داود ومعه من أولاده ثلاثة عشر ابنا وكان داود اصغر بنيه وقد خلفه يرعى لهم ويحمل لهم الطعام وكان قد قال لابيه ذات يوم يا أبتاه ما أرمي بقذافتي شيأ الا صرعته ثم قال له لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبت عليه واخذت باذنيه فلم اخفه ثم أتاه يوما آخر فقال اني لامشي بين الجبال فأسبح فلا يبقى جبل الا سبح معي قال له أبشر فان هذا خير اعطاكه الله فارسل الله الى النبي الذي مع طالوت قرنا فيه دهن وتنورا من حديد فبعث به الى طالوت وقال له ان صاحبكم الذي يقتل جالوت يوضع هذا الدهن على رأسه فيغلي حتى يسيل من القرن ولا يجاوز رأسه الى وجهه ويبقى على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه فدعا طالوت بني اسرائيل فجربهم فلم يوافقه منهم أحد فأحضر داود من رعيه فمر في طريقه بثلاثة أحجار فكلمته وقلن خذنا يا داود تقتل بنا جالوت فأخذهن فجعلهن في مخلاته وكان طالوت قد قال من قتل جالوت زوجته ابنتي وأجريت خاتمه في ملكي

بالتكبير والفاظ الجلالة كما هي عادتهم في المواكب * وفي صبيحة ذلك اليوم عين قائممقام بمعرفة حسن كتخدا مستحفظان
طائفة من العسكر الى بولاق صحبة ٩٤ أحمد جربجي ليلبسوه في التكية وصحبته والى بولاق وأغا من المتفرقة عوضا عن
أغات الرسالة الذي بها من جانب الباشا فاجلسوه في منزله ونهبوا ما وجدوه لأغات الرسالة الاول من فرش وأمتعة وخيل وغير ذلك * وفي صبيحة يوم السبت سادس عشريه خرج الفريقان الى خارج القاهرة من باب قناطر السباع واجتمعوا بالقرب من قصر العيني ومعهم المدافع وآلات الحرب فتحارب الفريقان من ضحوة النهار الى العصر وقتل من الفريقين من دنا اجله وأيوب بك ومحمد بك بالقصر ثم تراجع الفريقان الى داخل البلد وتأخرت طائفة من العرب فاتى اليهم محمد بك الصعيدي واحتاط بهم وحاصرهم وبلغ الخبر قانصوه بك فارسل اليهم يوسف بك ومحمد بك وعثمان بك فتقاتلوا مع محمد بك الصعيدي وهزموه وتبعوه الى قنطرة السد وقد كان أيوب بك داخل التكية المجاورة لقصر العيني فلما رأى الحرب ركب جواده ونجا بنفسه فبلغ يوسف بك انه بالتكية فقصدوه واحتاطوا بالقصر فاخبرهم الدراويش بذهابه فلم يصدقوهم ونهبوا القصر وأخربوه وأحرقوه وعادوا الى
منازلهم * وفي صبيحة يوم الاحد ذهب يوسف بك الجزار ونهب غيط افرنج أحمد ابن
الذي بطريق بولاق ثم اجتمعوا في محل الحرب وتحاربوا ولم يزالوا على ذلك وفي كل يوم يقتل منهم ناس كثير * وفي ثاني

فلما جاء داود وضعوا القرن على رأسه فغلى حتى ادهن منه ولبس التنور فملأه وكان داود مسقاما ازرق مصفارا فلما دخل في التنور تضايق عليه حتى ملأه وفرح اشمويل وطالوت وبنو اسرائيل بذلك وتقدموا الى جالوت وتصافوا للقتال وخرج داود نحو جالوت وأخذ الاحجار ووضعها في قذافته ورمى بها جالوت فوقع الحجر بين عينيه فنقب رأسه فقتله ولم يزل الحجر يقتل كل من أصابه وينفذ منه الى غيره فانهزم عسكر جالوت باذن الله ورجع طالوت فأنكح ابنته داود وأجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود وأحبوه فحسده طالوت وأراد قتله غيلة فعلم ذلك داود ففارقه وجعل في مضجعه زق خمر وسجاه ودخل طالوت الى منام داود وقد هرب داود فضرب الزق ضربة خرقه فوقعت قطرة من الخمر في فيه فقال يرحم الله داود ما كان أكثر شربه الخمر فلما أصبح طالوت علم أنه لم يصنع شيئا فخاف داود أن يغتاله فشدد حجابه وحراسه ثم ان داود أتاه من القابلة في بيته وهو نائم فوضع سهمين عند رأسه وعند رجليه فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به وأردت قتله وظفر بي فكف عني وأذكى عليه العيون فلم يظفروا به وركب طالوت يوما فرأى داود فركض في أثره فهرب داود منه واختفى في غار في الجبل فعمى الله أثره على طالوت ثم ان طالوت قتل العلماء حتى لم يبق أحد الا امرأة كانت تعرف اسم الله الاعظم فسلمها الى رجل يقتلها فرحمها وتركها وأخفى أمرها ثم ان طالوت ندم وأراد التوبة وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس فكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي ويقول أنشد الله عبدا علم لي توبة الا أخبرني بها فلما أكثر ناداه مناد من القبور يا طالوت اما رضيت قتلتنا احياء حتى تؤذينا أمواتا فازداد بكاء وحزنا فرحمه الرجل الذي أمره بقتل تلك المرأة فقال له ان دللتك على عالم لعلك تقتله قال لا فأخذ عليه العهود والمواثيق ثم أخبره بتلك المرأة فقال سلها هل لي من توبة فخرج عندها وسألها هل له من توبة فقالت ما اعلم له من توبة ولكن هل تعلمون قبر نبي قالوا نعم قبر يوشع بن نون فانطلقت وهم معها فدعت فخرج يوشع فلما رآهم قال ما لكم قالوا جئنا نسألك هل لطالوت من توبة قال ما أعلم له توبة الا أن يتخلى من ملكه ويخرج هو وولده فيقاتلون في سبيل الله حتى تقتل أولاده ثم يقاتل هو حتى يقتل فعسى ان يكون له توبة ثم سقط ميتا ورجع طالوت أحزن مما كان يخاف ان لا يتابعه ولده فبكى حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فسأله بنوه عن حاله فأخبرهم فتجهزوا للغزو فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم قاتل هو بعدهم حتى قتل وقيل ان النبي الذي بعث لطالوت حتى أخبره بتوبته اليسع وقيل اشمويل والله أعلم وكانت مدة ملك طالوت الى ان قتل اربعين سنة

(ذكر ملك داود)

هو داود بن ايشا بن عوفيذ بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن رام بن حصرون

ابن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وكان قصيرا أزرق قليل الشعر فلما قتل طالوت أتى بنو اسرائيل داود فاعطوه خزائن طالوت وملكوه عليهم وقيل ان داود ملك قبل ان يقتل جالوت وسبب ملكه حينئذ أن الله أوحى الى اشمويل ليأمر طالوت بغزو مدين وقتل من بها فسار اليها وقتل من بها الا ملكهم فانه أخذه أسيرا فأوحى الله الى اشمويل قل لطالوت أمرتك بأمر فتركته لانزعن الملك منك ومن بنيك ثم لا يعود فيكم الى يوم القيامة وأمر اشمويل بتمليك داود فملكه وسار الى جالوت فقتله والله أعلم فلما ملك بنى اسرائيل جعله الله نبيا وملكا وانزل عليه الزبور وعلمه صنعة الدروع وهو أوّل من عملها وألان له الحديد وأمر الجبال والطير يسبحن معه اذا سبح ولم يعط الله أحدا مثل صوته كان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وانها لمصيخة تسمع صوته وكان شديد الاجتهاد كثير العبادة والبكاء وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر وكان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف وكان يأكل من كسب يده وفى ملكه مسخ اهل أيلة قردة وسبب ذلك أنهم كانوا تأتيهم يوم السبت حيتان البحر كثيرا فاذا كان غير يوم السبت لا يجيء اليهم منها شيء فعملوا على جانب البحر حياضا كبيرة وأجروا اليها الماء فاذا كان آخر نهار يوم الجمعة يتحوّل الماء الى الحياض فيدخلها الحيتان ولا تقدر على الخروج منها فيأخذونها يوم الاحد فنهاهم بعض أهلها فلم ينتهوا فمسخهم الله قردة وبقوا ثلاثة ايام وهلكوا

(ذكر فتنته بزوجة أوريا)

ثم ان الله ابتلاه بزوجة أوريا وكان سبب ذلك انه قد قسم زمانه ثلاثة ايام يوما يقضى فيه بين الناس ويوما يخلو فيه للعبادة ويوما يخلو فيه مع نسائه وكان له تسع وتسعون امرأة وكان يحسد فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال أى رب أرى الخير قد ذهب به آبائى فأعطنى مثل ما أعطيتهم فأوحى الله اليه ان آباءك ابتلوا ببلاء فصبروا ابتلى ابراهيم بذبح ابنه وابتلى اسحق بذهاب بصره وابتلى يعقوب بحزنه على يوسف فقال رب ابتلنى بمثل ما ابتليتهم وأعطنى مثل ما أعطيتهم فأوحى الله اليه انك مبتلى فاحترس وقيل كان سبب البلية أنه حدث نفسه انه يطيق ان يقطع يوما بغير مقارفة سوء فلما كان اليوم الذى يخلو فيه للعبادة عزم على ان يقطع ذلك اليوم بغير سوء وأغلق بابه واقبل على العبادة فاذا هو بحمامة من ذهب فيها كل لون حسن قد وقعت بين يديه فاهوى ليأخذها فطارت غير بعيد من غير ان ييأس من أخذها فما زال يتبعها وهى تفر منه حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه حسنها فلما رأت ظله فى الارض جللت نفسها بشعرها فاستترت به فزاده ذلك رغبة فسأل عنها فأخبر أن زوجها بثغر كذا فبعث الى صاحب الثغر بأن يقدم أوريا بين يدى التابوت فى الحرب وكان كل من يتقدم بين يدى التابوت لا ينهزم اما ان يظفر او يقتل ففعل ذلك به فقتل وقيل ان داود لما نظر الى

جمادى الاولى اجتمع الامراء الصناجق بمنزل قائممقام وتنازعوا بسبب تطاول الحرب وامتداد الايام ثم اتفقوا على أن ينادى فى المدينة بان من له اسم فى وجاق من الوجاقات السبعة ولم يحضر الى بيت أغاته نهب ماله وقتل وأمهلوهم ثلاثة أيام ونودى بذلك فى عصريتها وكتب قائممقام بيورلدى الى من فى القلعة من طائفة الينكجرية والكتخدائية والجرجية والاوده باشية والنفر باننا أمهلنا كم ثلاثة أيام فمن لم ينزل منكم بعدها ولم يمتثل نهبنا داره وهدمناها وقتلناه من ظفرنا به ومن قر رفعنا اسمه من الدفتر فتلاشى أمرهم واختلفت كلمتهم * وفى رابعه خرج الامراء والاغوات الى محل الحرب وارسلوا طائفة كبيرة من العسكر المشاة لمحاصرة منزل أيوب بك فحارب الفرسان الى آخر النهار وأما الرجالة فانهم تسلقوا من منزل ابراهيم بك وتوصلوا الى منزل عمر اغا الجرا كسة فحاربوا من فيه الى أن اخلوه ودخلوا فيه وشرعوا اليلا فى نقب الربع المبنى على علو منزل أيوب بك فنقبوه وكمنوا فيه فلما كان صبيحة يوم الاحد خامس عشره حلوجة واحدة على منزل أيوب بك وضربوا البنادق فلم يجدوا من يمنعهم بل فر كل من فيه وركب أيوب بك وخرج هاربا من باب الجبل فلم يعلم أين توجه فملكوا منزله ونهبوه مع كونه كان مستعدا وركب فى أعالى منزله المدافع وفى قلعة الكبش فارسل له افرنج أحمد بيرقا وعساكر فلم يفده ذلك شيأ ونهبوا أيضا منزل أحمد أغا التفكجية بعد ما قتلوه بسبب قائممقام ولحق من لحق بايوب بك وفر الجميع الى

بجهة الشام وفر محمد بك الى جهة الصعيد ووقع النهب فى بيوت من كان من حزبهم ونهبوا بيت يوسف أغا ناظر الكسوة سابقا
وبيت محمد أغا متفرقه باشا و بيت محمد بك الكبير واحرقوه و بيت أحمد جربجى القونيلى وأحرقوا بيت أيوب بك
وماالاصقه من الربع والدكاكين فلما حصل ذلك واجتمع العساكر بمنزل قائمقام بالاسلحة وآلات الحرب وذلك سادس جمادى الاولى فارسلوا طائفة الى جبل الجيوشى فركبوا مدافع على محل الباشا ومدافع على قلعة المستحفظان وأحاطوا بالقلعة من أسفل وضربوا بواسطة مدافع على الباشا ورموا بنادق فنصب الباشا بيرقا أبيض بطلب الامان وفر من كان داخل القلعة من العسكر فبعضهم نزل بالحبال من السور وبعضهم خرج من باب المطبخ فعند ذلك هجمت العساكر الخارجة على الباب ودخلوا الديوان فارسل الباشا القاضى ونقيب الاشراف يأخذان له أمانا من الصناجق والعسكر فقابلوهما واكرموهما وسألوهما عن قصدهما فقالا لهم ان الباشا يقرئكم السلام ويقول لكم انا كنا اغتررنا بهؤلاء الشياطين وقد فروا والمراد أن تعلمونا عطلوبكم فلانخالفكم فقالوا لهما أعلموه أن الصناجق والامراء والافوات والعسكر قد اتفقوا على عزله وان قانصوه بك قائمقام وأما الباشا
فانه ينزل ويسكن فى المدينة الى أن نعرض الامر على الدولة ويأتينا جوابهم فارسل القاضى نائبه ياسره
الى الباشا يعرفه عن ذلك فاجابه بالطاعة واستامنهم على نفسه وماله وأتباعه وركب من ساعته فى خواصه يقدمه

المرأة فاعجبته فسال عن زوجها فقيل انه فى جيش كذا فكتب الى صاحب الجيش ان يبعثه فى سرية الى عدو كذا ففعل ذلك ففتح الله عليه فكتب الى داود فامر أن يرسله ايضا الى عدو كذا اشد منه ففعل فظفر فامر داود ان يرسل الى عدو ثالث ففعل فقتل آوريا فى المرة الثالثة فلما قتل تزوج داود امرأته وهى ام سليمان فى قول قتادة وقيل ان خطيئة داود كانت انه لما بلغه حسن امرأة أوريا فتمنى أن تكون له حلالا فاتفق ان اوريا سار الى الجهاد فقتل فلم يجد له من الهم ماوجده لغيره فبينما داود فى المحراب يوم عبادته وقد اغلق الباب اذ دخل عليه ملكان ارسلهما الله اليه من غير الباب فراعه ذلك فقالا لاتخف نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب أى قهرنى وأخذ نعجتى فقال للآخر ما تقول قال صدق انى أردت ان أكمل نعاجى مائة فأخذت نعجته فقال داود اذا لاندعك وذاك فقال الملك ما أنت بقادر عليه قال داود فان لم ترده عليه ماله ضربنا منك هذا وهذا واومأ الى أنفه وجبهته فقال يا داود أنت أحق ان يضرب منك هذا وهذا حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لاوريا الا امرأة واحدة فلم تزل به حتى قتل وتزوجت امرأته ثم غابا عنه فعرف ما ابتلى به وماوقع فيه فخر ساجدا اربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لابد منها وادام البكاء حتى نبت من دموعه عشب غطى رأسه ثم نادى يارب قرح الجبين وجمدت العين وداود لم يرجع اليه فى خطيئته بشئ فنودى اجائع فتطعم ام مريض فتشفى ام مظلوم فتنصر قال فنحب نحبة هاج ما كان نبت فعند ذلك قبل الله توبته وأوحى اليه ارفع رأسك فقد غفرت لك قال يارب كيف اعلم أنك قد غفرت لى وأنت حكم عدل لاتحيف فى القضاء اذا جاء اوريا يوم القيامة آخذا رأسه بيمينه تشخب اوداجه دما قبل عرشك يقول يارب سل هذا فيم قتلنى فأوحى الله اليه اذا كان ذلك دعوته واستوهبك منه فيهبك لى فاهبه بذلك الجنة قال يارب الآن علمت انك قد غفرت لى قال فما استطاع داود بعدها ان يملأ عينه من السماء حياء من ربه حتى قبض ونقش خطيئته فى يده فكان اذا رآها اضطربت يده وكان يؤتى بالشراب فى الاناء ليشربه فكان يشرب نصفه او ثلثيه فيذكر خطيئته فينتحب حتى تكاد مفاصله يزول بعضها من بعض ثم يملأ الاناء من دموعه وكان يقال ان دمعة داود تعدل دموع الخلائق وهو يجئ يوم القيامة وخطيئته مكتوبة بكفه فيقول يارب ذنبى ذنبى قدمنى فيقدم فلا يامن فيقول يارب اخرنى فلا يأمن وازالت الخطيئة طاعة داود من بنى اسرائيل واستخفوا باامره ووثب عليه ابن له يقال له ايشا وامه ابنة طالوت فدعا الى نفسه فكثر اتباعه من أهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما تاب الله على داود اجتمع اليه طائفة من الناس فحارب ابنه حتى هزمه ووجه اليه بعض قواده وأمره بالرفق به والتلطف لعله

ياسره ولا يقتله وطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فقتله فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر لذلك القائد

(ذكر بناء بيت المقدس ووفاة داود عليه السلام)

قيل أصاب الناس في زمان داود طاعون جارف فخرج بهم الى موضع بيت المقدس وكان يرى الملائكة تعرج منه الى السماء فلهذا قصده ليدعو فيه فلما وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى في كشف الطاعون عنهم فاستجاب له ورفع الطاعون فاتخذوا ذلك الموضع مسجدا وكان الشروع في بنائه لاحدى عشرة سنة مضت من ملكه وتوفي قبل ان يستتم بناءه وأوصى الى سليمان باتمامه وقتل القائد الذي قتل اخاه ايشا بن داود فلما توفي داود ودفنه سليمان تقدم بانفاذ امره فقتل القائد واستتم بناء المسجد بناه بالرخام وزخرفه بالذهب ورصعه بالجواهر وقوي على ذلك جميعه بالجن والشياطين فلما فرغ اتخذ ذلك اليوم عيدا عظيما وقرب قربانا فتقبله الله منه وكان ابتداؤه أولا بناء المدينة فلما فرغ منها ابتدأ بعمارة المسجد وقد اكثر الناس في صفة البناء مما يستبعد ولا حاجة الى ذكره وقيل ان سليمان هو الذي ابتدأ بعمارة المسجد وكان داود أراد أن يبنيه فأوحى الله اليه ان هذا بيت مقدس وانك قد صبغت يدك في الدماء فلست ببانيه ولكن ابنك سليمان يبنيه لسلامته من الدماء فلما ملك سليمان بناه ثم ان داود توفي وكان له جارية تغلق الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح فيقوم الى عبادته فاغلقتها ليلة فرأت في الدار رجلا فقالت من أدخلك الدار فقال انا الذي ادخل على الملوك بغير اذن فسمع داود قوله فقال انت ملك الموت قال نعم قال فهلا أرسلت الي لاستعد للموت قال قد ارسلت اليك كثيرا قال من كان رسولك قال اين ابوك واخوك وجارك ومعارفك قال ماتوا قال فهم كانوا رسلي اليك لانك تموت كما ماتوا ثم قبضه فلما مات ورث سليمان ملكه وعلمه ونبوته وكان له تسعة عشر ولدا فورثه سليمان دونهم وكان عمر داود لما توفي مائة سنة صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وكانت مدة ملكه اربعين سنة

(ذكر ملك سليمان بن داود عليه السلام)

لما توفي داود ملك بعده ابنه سليمان على بني اسرائيل وكان ابن ثلاث عشرة سنة وآتاه مع الملك النبوة وسأل الله ان يؤتيه ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاستجاب له وسخر له الانس والجن والشياطين والطير والريح فكان اذا خرج من بيته الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس وقيل انما سخر له الريح والجن والشياطين والطير وغير ذلك بعد أن زال ملكه واعاده الله سبحانه اليه على ما نذكره وكان ابيض جسيما كثير الشعر يلبس البياض وكان ابوه يستشيره في حياته ويرجع الى قوله فمن ذلك ما قصه الله في كتابه في قوله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الآية وكان خبره

قائمقام وأغات مستحفظان عن يمينه وأغات المتفرقة عن شماله واختيارية الوجاقات من خلفه وامامه ونزل من باب الميدان وشق من الرميلة على الصليبة والعامة قد اصطفت يشافهونه بالسب واللعن الى أن دخل بيت على أغا الخازندار بجوار المظفر وهجم العسكر على باب مستحفظان فلكوه ونهبوا بعض أسباب حسين أغا مستحفظان وخرج حسين أغا من باب المطبخ فلما رآه يوسف بك أشار الى العسكر فقطعوه وقطعوا اسمعيل أفندي بالحجر وكذلك عمر أغات الجراكسة بحضرة اسمعيل بن ايواظ وخازنداره ذو الفقار وقع في عرض بلديه على خازندار وحسن كتخدا الجلفي فحمياه من القتل وذو الفقار هذا هو الذي قتل اسمعيل بك بن ايواظ وصار أميرا كما يأتي ذكر ذلك في موضعه فقتلوه بباب العزب ونزل افرنج أحمد وكذلك أحمد أوده باشا الى الحجر متنكرين فعرفهما الجالسون بالحجر فقبضوا عليهما وذهبوا بهما الى باب العزب وقطعوا رأسهما وذهبوا بهما الى بيت ايواظ بك وطلع علي أغا الى محل حكمه وطلع حسن كتخدا من باب الوالي وأمامه العساكر بالأسلحة الى باب مستحفظان والابريق أمامه ونزل جاويش الى أحمد كتخدا برمقيس فوجد في بيت اسمعيل كتخدا عزبان فأخذه وطلع به الى الباب فخنقوه وأخذوه الى منزله في

 تابوت وركب علي اغا وامامه الملازمون بالبيرشان فطاف البلد وأمر بتنظيف الاتربة وأحجار المتاريس وبناء الثقوب والدس قائمقام اغوات البلكات السبع فقاطبين وطلع الذين كانوا بباب العزب من

ان غنما دخلت كرما فأكلت عناقيده وافسدته فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير ذلك ان يسلم الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ويدافع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها الى ان يعود كرمه الى حاله ثم يأخذ كرمه ويدافع الغنم الى صاحبها فأمضى داود قوله وقال الله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال بعض العلماء في هذا دليل على ان كل مجتهد في الاحكام الفروعية مصيب فان داود أخطأ الحكم الصحيح عند الله تعالى وأصابه سليمان فقال الله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما وكان سليمان يأكل من كسب يده وكان كثير الغزو وكان اذا أراد الغزو أمر بعمل بساط من خشب يسع عسكره ويركبون عليه هم ودوابهم وما يحتاجون اليه ثم أمر الريح فحملته فسارت في غدوته مسيرة شهر وفي روحته كذلك وكان له ثلثمائة زوجة وسبعمائة سرية وأعطاه الله انه لا يتكلم أحد بشئ الا حملته الريح اليه فيعلم ما يقول

* (ذكر ما جرى له مع بلقيس) *

نذكر أولا ما قيل في نسبها وملكها ثم ما جرى له معها فنقول قد اختلف العلماء في اسم آبائها فقيل انها هي بلقمة ابنة اليشرح بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبا بن يشجب ابن يعرب بن قحطان وقيل هي بلقمة ابنة الهدهاد واسمه اليشرح بن تبع ذي الاذعار ابن تبع ذي المنار بن تبع الرايش وقيل في نسبها غير ذلك لا حاجة الى ذكره وقد اختلف الناس في التبابعة وتقديم بعضهم على بعض والزيادة في عددهم والنقصان اختلافا لا يحصل الناظر فيه على طائل وكذا أيضا اختلفوا في نسبها اختلافا كثيرا وقال كثير من الرواة ان أمها جنية ابنة ملك الجن واسمها رواحة بنت السكر وقيل اسم أمها بلقمة بنت عمرو بن عمير الجني وانما نكح أبوها الى الجن لانه قال ليس في الانس لي كفؤ فخطب الى الجن فزوجوه واختلفوا في سبب وصوله الى الجن حتى خطب اليهم فقيل انه كان لهيا بالصيد فربما اصطاد الجن على صور الظباء فيخلي عنهن فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فانكحه على ان يعطيه ساحل البحر ما بين يبرين الى عدن وقيل ان أباها خرج يوما متصيدا فرأى حيتين تقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فأمر بقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها ماء فأفاقت فاطلقها وعاد الى داره وجلس منفردا فاذا معه شاب جميل فذعر منه فقال له لا تخف أنا الحية التي أنجيتني والاسود الذي قتلته غلام لنا تمرد علينا وقتل عدة من أهل بيتي وعرض على أبيها المال وعلم الطب فقال اما المال فلا حاجة لي به واما الطب فهو قبيح بالملك ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه على شرط ان لا يعير عليها شيأ تعمله ومتى عير فارقته فاجابه الى ذلك فحملت منه فولدت له غلاما فالقته في النار فجزع لذلك وسكت للشرط ثم حملت منه فولدت جارية

فالقتها

الينكجرية الى بابهم وعدتهم ستمائة انسان * وفي حادي عشر جمادى الاولى لبس يوسف بك الجزار على امارة الحاج ومحمود بك على السويس وعين يوسف بك المذكور ومصطفى أغات الجراكسة للتجريدة على الشرقية * وفي رابع عشره لبس محمد بك الصغير على ولاية الصعيد وخرج من بيته بموكب الى الاثر وصحبته الطوائف الذين عينوا معه من السبع بلكات بسرداريتهم وبيارقهم وعدتهم خمسمائة نفر منهم مائتان من الينكجرية والعزب وثلثمائة نفر من الخمس بلكات اعطوا كل نفر من المائتين ألف نصف فضة ترحيلة ولكل شخص من الثلثمائة ألف وخمسمائة نصف فضة وسافروا رابع جمادى الآخرة وكان محمد بك الكبير خرج مقبلا وصحبته هوارة فخرج وراءه يوسف بك الجزار وعثمان بك بارم ذيله ومحمد بك قطامش فوصلوا دير الطين فلاقاهم شيخ الترابين فاخبرهم انه مر من ناحية التبين نصف الليل فرجعوا الى منازلهم وبلغهم في حال رجوعهم ان خازندار رضوان اغا تخلف عند الدراويش بالتكية فقبضوا عليه وقطعوا دماغه ولم يزل محمد بك الصعيدي حتى وصل اخميم وصحبته الهوارة وقتل ما بها من الكشاف ونهب البلاد وفعل أفعالا قبيحة ثم ذهب الى اسيوط وارسل الى قائممقام جرجا فتصرف في جميع تعلقاته وأرسلها اليه فتودد ونزل مختفيا الى بحري ومر من انبابة نصف الليل ولم يزل اثرا الى دمياط ونزل في مركب افرنجي وطلع الى حلب ووصل خبره الى السردار فجمع السردارة والعسكر ولحقوه على

البرج فلم يدركوه ثم انه ركب من حلب وذهب الى دار السلطنة من البر وكان أيوب بك ومحمد أغا متفرقة وكتخدا الجاويشية سليمان أغا وحسن الوالي وصلوا وقابلوا الوزير واعلموه بقصتهم وعرضوا عليه الفتوى وعرض الباشا والقاضي فاكرمهم وانزلهم في مكان ورتب لهم تعيينا ثم اتاهم محمد بك وقابل معهم الوزير أيضا فخلع عليه وولاه منصبا وأما رضوان أغا فانه تخلف ببلاد الشام ومحمد أغا الكور صحبته * وفي تاسع عشر جمادى الاولى رجع يوسف بك ومصطفى أغا من الشرقية * وفي سابع جمادى الآخرة تقلد محمد بك ابن اسمعيل بك ابن ايواظ بك الصنجقية ثم انهم اجتمعوا في بيت قائمقام وكتبوا عرضحال بصورة ماوقع وطلبوا ارسال باشا واليا على مصر وذكروا فيه ان الخزنة تصل صحبة محمد بك الدالي وانقضت الفتنة وماحصل بها من الوقائع التي لخصنا بعضها وذكرناه على سبيل الاختصار واستمر خليل باشا بمصر حتى حضر والي باشا وحاسبوه وسافر في ثامن عشر جمادى الاولى سنة أربع وعشرين ومائة وألف وكانت أيام فتن وحروب وشرور كما قال الشيخ حسن الحجازي رحمه الله تعالى

قد جاء مصر باشة * ايامه ليست ملاح
ضرب مداوما بها * كذا رماح وصفاح

فقلت في تاريخه * خليل باشا في كلاح * أي في زمان كالح * ليس به وقت انشراح * ويسأل البدري حسن * من ربه قمع القباح *(وقال أيضا)* قد نزلت بمصرنا * نازلة على العبيد * فظيعة شنيعة * ليس عليها من مزيد

فالقتها الى كلبة فاخذتها فعظم ذلك عليه وصبر للشرط ثم انه عصى عليه بعض أصحابه فجمع عسكره فسار اليه ليقاتله وهي معه فانتهى الى مفازة فلما توسطها رأى جميع مامعهم من الزاد قد غاظ بالتراب واذا الماء يصب من القرب والمزاود فايقنوا بالهلاك وعلموا انه من فعال الجن عن أمر زوجته فضاق ذرعا عن حمل ذلك فاتاها وجلس وأومأ الى الارض وقال يا أرض صبرت لك على احراق ابني واطعام الكلبة ابنتي ثم أنت الآن قد فجعتينا بالزاد والماء وقد أشرفنا على الهلاك فقالت المرأة لو صبرت لكان خيرا لك وساخبرك ان عدوك خدع وزيرك فجعل السم في الازواد والمياه ليقتلك وأصحابك فمر وزيرك ليشرب مابقي من الماء ويأكل من الزاد فامره فامتنع فقتله ودلتهم على الماء والميرة من قريب وقالت اما ابنك فدفعته الى حاضنة تربيه وقدمات وأما ابنتك فهي باقية واذا بجويرية قد خرجت من الارض وهي بلقيس وفارقته امرأته وسار الى عدوه فظفر به وقيل في سبب نكاحه اليهم غير ذلك والجميع حديث خرافة لا أصل له ولا حقيقة وأما ملكها اليمن فقيل ان أباها فوض اليها الملك فملكت بعده وقيل بل مات من غير وصية بالملك لاحد فاقام الناس ابن أخ له وكان فاحشا خبيثا فاسقا لايبلغه عن بنت قيل ولا ملك ذات جمال الا احضرها وفضحها حتى انتهى الى بلقيس بنت عمه فاراد ذلك منها فوعدته ان يحضر عندها الى قصرها واعدت له رجلين من أقاربها وأمرتهما بقتله اذا دخل اليها وانفرد بها فلما دخل اليها وثبا عليه فقتلاه فلما قتل أحضرت وزراءه فقرعتهم فقالت أما كان فيكم من يانف لكريمته وكرائم عشيرته ثم ارتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه فقالوا لانرضى بغيرك فملكوها وقيل ان أباها لم يكن ملكا وانما كان وزير الملك وكان الملك خبيثا قبيح السيرة يأخذ بنات الاقيال والاعيان والاشراف وانها قتلته فملكها الناس عليهم وكذلك أيضا عظموا ملكها وكثرة جندها فقيل كان تحت يدها اربعمائة ملك كل ملك منهم على كورة مع كل ملك منهم اربعة آلاف مقاتل وكان لها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها وكان لها اثنا عشر قائدا يقود كل قائد منهم اثنى عشر ألف مقاتل وبالغ آخرون مبالغة تدل على سخف عقولهم وجهلهم قالوا كان لها اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل مع كل مقاتل سبعون ألف جيش في كل جيش سبعون ألف مبارز ليس فيهم الا أبناء خمس وعشرين سنة وما أظن السادة رواة هذا الكذب الفاحش عرف الحساب حتى يعلم مقدار جهله ولو عرف مبلغ العدد لاقصر عن اقدامه على هذا القول السخيف فان أهل الارض لايبلغون جميعهم شبابهم وشيوخهم وصبيانهم ونساؤهم هذا العدد فكيف ان يكونوا أبناء خمس وعشرين سنة فياليت شعري كم يكون غيرهم ممن ليس من أسنانهم وكم تكون الرعية وأرباب الحرف والفلاحة وغير ذلك وانما الجند بعض أهل البلاد وان كان

فقلت في تاريخها * خليل باشا في همة * أى في جمود وانطفا * وغاية المقت الشديد * ويسال البدري حسن * من ربه قهر المريد * وله غير ذلك في خصوص هذه الحادثة منظومات اذكر بعضها في ترجمة ايواظ بك وأحمد الافرنج وغيره * ثم تولى على مصر والى باشا فوصل الى مصر وطلع الى القلعة في أواخر رجب سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف * وفي شوال قلد وأحمد بك الاعسر تابع ابراهيم بك صنجقية وزادوه كشوفية البحيرة وكان قانصوه بك قائمقام قبل وصول الباشا وسهم باخراج تجريدة الى هوارة المفسدين الذين أتوا الى مصر صحبة محمد بك الصعيدي ورجع واصحبته وأخربوا الخيم وقتلوا الكشاف وأمير التجريدة محمد بك قطامش وصحبته الف عسكري وأعطوا كل عسكري ثلاثة آلاف نصف فضة من مال البهارسنة تاريخه وان يكون محمد بك حاكم جرجا عن سنة ثلاثة وعشرين وأربعة وعشرين وقضى أشغاله وبرز خيامه الى الآثار ثم طلب الوجه القبلي الى أن وصل الى اسيوط فقبض على كل من وجده من طرف محمد بك الصعيدي وقتله ومنهم حسين اوده باشا ابن دقمق ثم انتقل الى منفلوط وهربت طوائف الهوارة باهلها الى الجبل الغربي وأتت اليه هوارة بحري صحبة الامير حسن فاخبروه بما وقع لهم وسار بصحبته الى جرجا فنزل باصيران وابرز فرمانا قرىء بحضرة الجمع باهراق دم هوارة قبلى وأمر بالركوب عليهم الى اسنا وتساطا عليهم هوارة بحري ونهبوا مواشيهم وأغنامهم ومتاعهم وطواحينهم واشتغوا منهم وكل

الحاصل من اليمن قد قل في زماننا فان رقعة أرضه لم تصغر وهي لا تسع هذا العدد قياما كل واحد الى جانب الآخر ثم انهم قالوا أنفقت على كوة بيتها التي تدخل الشمس منها فتسجد لها ثلثمائة ألف أوقية من الذهب وقالوا غير ذلك وذكروا من أمر عرشها ما يناسب كثرة جيشها فلا نطيل بذكره وقد تواطؤا على الكذب والتلاعب بعقول الجهال واستهانوا بما يلحقهم من استجهال العقلاء لهم وانما ذكرنا هذا على قبحه ليقف بعض من كان يصدق به عليه فينتهي الى الحق وأما سبب مجيئها الى سليمان واسلامها فانه طلب الهدهد فلم يره وانما طلبه لان الهدهد يرى الماء من تحت الارض فيعلم هل في تلك الارض ماء أم لا وهل هو قريب أم بعيد فبينما سليمان في بعض مغازيه اذ احتاج الى الماء فلم يعلم أحد ممن معه بعده فطلب الهدهد ليسأله عن ذلك فلم يره وقيل بل نزلت الشمس الى سليمان فنظر ليرى من أين نزلت لان الطير كانت تظله فرأى موضع الهدهد فارغا فقال لاعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين وكان الهدهد قد مر على قصر بلقيس فرأى بستانا لها خلف قصرها فمال الى الخضرة فرأى فيه هدهدا فقال له أين أنت عن سليمان وما تصنع ههنا فقال له ومن سليمان فذكر له حاله وما سخر له من الطير وغيره فعجب من ذلك فقال له هدهد سليمان وأعجب من ذلك ان كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجعلوا الشكر لله ان سجدوا للشمس من دونه وكان عرشها سريرا من ذهب مكلل بالجواهر النفيسة من اليواقيت والزبرجد واللؤلؤ ثم ان الهدهد عاد الى سليمان فاخبره بعذره في تأخيره فقال له اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم فوافاها وهي في قصرها فالقاه في حجرها فأخذته وقرأته وأحضرت قومها وقالت اني ألقي الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وائتوني مسلمين يا أيها الملأ ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين قالت اني مرسلة اليهم بهدية فان قبلها فهو من ملوك الدنيا فنحن أعز منه وأقوى وان لم يقبلها فهو نبي من الله فلما جاءت الهدية الى سليمان قال للرسل أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم الى قوله وهم صاغرون فلما رجع الرسل اليها سارت اليه وأخذت معها الاقيال من قومها وهم القواد وقدمت عليه فلما قاربته وصارت منه على نحو فرسخ قال لاصحابه أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك يعني قبل أن تقوم في الوقت الذي تقصد فيه بيتك للغداء قال سليمان أريد أسرع من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا وكان يعرف اسم الله الاعظم أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك وقال له انظر الى السماء وأدم النظر فلا ترد طرفك حتى احضره عندك وسجد ودعا فرأى سليمان العرش قد نبع من تحت سريره فقال هذا من فضل ربي ليبلوني
الشكر

من وجدوه منهم قتلوه ولم يزل في سيره حتى وصل قنا وقوص ثم رجع الى جرجا ثم ان هوارة قبلي التجؤا الى ابراهيم بك ابو شنب والتمسوا منه أن يأخذ لهم مكتوبا من قيطاس بك بالامان ومكتوبا الى حاكم الصعيد كذلك وفرمانا من الباشا بموجب ذلك فارسل الى قيطاس بك تذكرة صحبة أحمد بك الاعسر يترجى عنده فاجاب الى ذلك وأرسلوا به محمد كاشف كتخدا وبرجوع التجريدة والعفو عن الهوارة ورجع محمد كاشف والتجريدة وصحبته التقادم والهدايا وأرسلوا الى ابراهيم بك مركب غلال وخيولا مثمنة وأغناما * وفي أواخر شوال ورد أغا من الدولة وعلى يده مرسومات منها محاسبة خليل باشا واستجلاب الخزينة وبيع بلاد من قتل في أيام الفتنة وكذلك املاكهم * وفي شهر رمضان قبل ذلك جلس رجل رومي واعظ يعظ الناس بجامع المؤيد فكثر عليه الجمع وازدحم المسجد وأكثرهم اتراك ثم انتقل من الوعظ وذكر ما يفعله أهل مصر بضرائح الاولياء وايقاد الشموع والقناديل على قبور الاولياء وتقبيل أعتابهم وفعل ذلك كفر يجب على الناس تركه وعلى ولاة الامور السعي في ابطال ذلك وذكر أيضا قول الشعراني في طبقاته ان بعض الاولياء اطلع على اللوح المحفوظ أنه لا يجوز ذلك ولا اطلاع الانبياء فضلا عن الاولياء على اللوح المحفوظ وانه لا يجوز بناء القباب على ضرائح الاولياء والتكايا ويجب هدم ذلك وذكر أيضا وقوف الفقراء بباب زويلة في ليالي رمضان فلما سمع حزبه ذلك خرجوا بعد صلاة التراويح ووقفوا بالنبابيت والاسلحة

أأشكر اذ أتاني به قبل أن يرتد الى طرفي أم أكفر اذ جعل تحت يدي من هو أقدر مني على احضاره فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو ولقد تركته في حصون وعنده جنود تحفظه فكيف جاء الى ههنا فقال سليمان للشياطين ابنوا لي صرحا تدخل علي فيه بلقيس فقال بعضهم ان سليمان قد سخر له ما سخر وبلقيس ملكة سبا ينكحها فتلد غلاما فلا ننفك من العبودية أبدا وكانت امرأة شعراء الساقين فقال الشياطين ابنوا له بنيانا يرى ذلك منها فلا يتزوجها فبنوا له صرحا من قوارير خضر وجعلوا له طوابق من قوارير بيض فبقي كأنه الماء وجعلوا تحت الطوابيق صور دواب البحر من السمك وغيره وقعد سليمان على كرسي ثم أمر فادخلت بلقيس عليه فلما أرادت ان تدخله ورأت صور السمك ودواب الماء حسبته لجة ماء فكشفت عن ساقيها لتدخل فلما رآها سليمان صرف نظره عنها وقال انه صرح ممرد من قوارير فقالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين فاستشار سليمان في شئ يزيل الشعر ولا يضر الجسد فعمل له الشياطين النورة فهي أول ما عملت النورة ونكحها سليمان وأحبها حبا شديدا وردها الى ملكها باليمن فكان يزورها كل شهر مرة يقيم عندها ثلاثة أيام وقيل انه أمرها ان تنكح رجلا من قومها فامتنعت وأنفت من ذلك فقال لا يكون في الاسلام الا ذلك فقالت ان كان ولا بد من ذلك فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجه اياها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على الملك وأمر الجن من أهل اليمن بطاعته فاستعملهم ذو تبع فعملوا له عدة حصون باليمن منها سلحين ومراوخ وفليون وهنيدة وغيرها فلما مات سليمان لم يطيعوا ذا تبع وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان وقيل بل بقيا وقيل ان بلقيس ماتت قبل سليمان بالشام وانه دفنها بتدمر واخفى قبرها

(ذكر غزوته أبا زوجته جرادة ونكاحها وعبادة الصنم في داره وأخذ خاتمه وعوده اليه)

قيل سمع سليمان بملك في جزيرة من جزائر البحر وشدة ملكه وعظم شأنه وانه لم يكن للناس اليه سبيل فخرج سليمان الى تلك الجزيرة وحملته الريح حتى نزل بجنوده بها فقتل ملكها وغنم ما فيها وغنم بنتا للملك لم ير الناس مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على قلة رغبة فيه وأحبها حبا شديدا وكانت لا يذهب حزنها ولا تزال تبكي فقال لها ويحك ما هذا الحزن والدمع الذي لا يرقأ قالت اني اذكر أبي وملكه وما أصابه فيحزنني ذلك قال فقد أبدلك الله ملكا خيرا من ملكه وهداك الى الاسلام قالت انه كذلك ولكني اذا ذكرته اصابني ما ترى فلو أمرت الشياطين فصوروا صورته في داري أراها بكرة وعشية لرجوت ان يذهب ذلك حزني فامر الشياطين فعملوا لها مثل صورته لا تنكر منها شيأ وألبستها ثيابا مثل ثياب أبيها وكانت اذا خرج سليمان

فهرب الذين يقفون بالباب فقطعوا الجوخ والاكر المعلقة وهم يقولون أين الاولياء فذهب بعض الناس الى العلماء بالازهر وأخبروهم بقول ذلك الواعظ ١٠٢ وكتبوا فتوى وأجاب عليها الشيخ أحمد النفراوى والشيخ أحمد الخليفى بأن

كرامات الاولياء لا تنقطع بالموت وان انكاره على اطلاع الاولياء على اللوح المحفوظ لا يجوز ويجب على الحاكم زجره عن ذلك وأخذ بعض الناس تلك الفتوى ودفعها للواعظ وهو فى مجلس وعظه فلما قرأها غضب وقال يا أيها الناس ان علماء بلادكم افتوا بخلاف ما ذكرت لكم وانى أريد أن أتكلم معهم وأباحثهم فى مجلس قاضى العسكر فهل منكم من يساعدنى على ذلك وينصر الحق فقال له الجماعة نحن معك لا نفارقك فنزل عن الكرسى واجتمع عليه من العامة زيادة عن ألف نفس ومربهم من وسط القاهرة الى أن دخل بيت القاضى قريب العصر فانزعج القاضى وسألهم عن مرادهم فقدموا له الفتوى وطلب منه احضار المفتين والبحث معهما فقال القاضى اصرفوا هؤلاء الجموع ثم تحضروهم ونسمع دعوا كم فقالوا اما تقول فى هذه الفتوى قال هى باطلة فطلبوا منه ان يكتب لهم حجة ببطلانها فقال ان الوقت قد ضاق واشهدوا ذهبوا الى منازلهم وخرج الترجمان فقال لهم ذلك

من دارها تغدو عليه فى جوار بها فتسجد له ويسجدن معها وتروح عشية وبرحن فتفعل مثل ذلك ولا يعلم سليمان بشئ من أمرها أربعين صباحا وبلغ الخبر آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد من منازل سليمان أى وقت أراد من ليل أو نهار سواء كان سليمان حاضرا أو غائبا فأتاه فقال يا نبى الله قد كبر سنى ودق عظمى وقد حان منى ذهاب بصرى وقد أحببت ان أقوم مقاما اذكر فيه أنبياء الله واثنى عليهم بعلمى فيهم واعلم الناس بعض ما يجهلون قال افعل فجمع له سليمان الناس فقام آصف خطيبا فيهم فذكر من مضى من الانبياء واثنى عليهم حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان احلمك فى صغرك وابعدك من كل ما يكره فى صغرك ثم انصرف فلىء سليمان غضبا فارسل اليه وقال له يا آصف لما ذكرتنى جعلت تثنى على فى صغرى وسكت عما سوى ذلك فما الذى أحدثت فى آخر أمرى قال ان غير الله ليعبد فى دارك أربعين يوما فى هوى امرأة قال انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت انك ما قلت الا عن شئ بلغك ودخل داره وكسر الصنم وعاقب تلك المرأة وجواريها ثم أمر بثياب الطهارة فاتى بها وهى ثياب تغزلها الابكار اللائى لم يحضن ولم تمسها امرأة ذات دم فلبسها وخرج الى الصحراء وفرش الرماد ثم أقبل تائبا الى الله وتمعك فى الرماد بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا وبكى واستغفر يومه ذلك ثم عاد الى داره وكانت أم ولد له لا يثق الا بها يسلم خاتمه اليها وكان لا ينزعه الا عند دخول الخلاء واذا أراد أن يصيب امرأة يسلمه اليها حتى يتطهر وكان ملكه فى خاتمه فدخل فى بعض تلك الايام الخلاء وسلم خاتمه اليها فاتاها شيطان اسمه صخر الجنى فى صورة سليمان فاخذ الخاتم وخرج الى كرسى سليمان وهو فى صورة سليمان فجلس عليه وعكفت عليه الانس والجن والطير وخرج سليمان وقد تغيرت حاله وهيئته فقال خاتمى فقالت ومن أنت قال انا سليمان قالت كذبت لست بسليمان قد جاء سليمان وأخذ خاتمه منى وهو جالس على سريره فعرف سليمان خطيئته فخرج وجعل يقول لبنى اسرائيل أنا سليمان فيحثون عليه التراب فلما رأى ذلك قصد البحر وجعل ينقل سمك الصيادين ويعطونه كل يوم سمكتين يبيع احداهما بخبز ويأكل الاخرى فبقى كذلك أربعين يوما ثم ان آصف وعظما بنى اسرائيل أنكروا حكم الشيطان المتشبه بسليمان فقال آصف يا بنى اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيت قالوا نعم قال أمهلونى حتى أدخل على نسائه واسألهن هل أنكرن ما انكرنا منه فدخل عليهن وسألهن فذكرن أشد مما عنده فقال انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم خرج الى بنى اسرائيل فاخبرهم فلما رأى الشيطان انهم قد علموا به طار من مجلسه فمر بالبحر فالقى الخاتم فيه فبلعته سمكة واصطادها صياد وعمل له سليمان يومه ذلك فاعطاه سمكتين تلك السمكة احداهما فاخذها فشقها ليصلحها ويأكلها فرأى خاتمه فى جوفها فاخذه وجعله فى أصبعه وخر لله

ساجد

فدبروه واختفى القاضى بحريمه فاوسع النائب الا انه كتب لهم حجة حسب مرادهم ثم اجتمع الناس فى يوم الثلاثاء عشرينه وقت الظهر بالمؤيد لاستماع الوعظ على عادتهم فلم يحضر لهم الواعظ فاخذوا يسألون عن

المانع من حضوره فقال بعضهم أظن أن القاضي منعه من الوعظ فقام رجل منهم وقال أيها الناس من أراد أن ينصر الحق
فليقم معي فتبعه الجم الغفير فمضى بهم الى مجلس القاضي فلما رآهم القاضي ومن في المحكمة
طارت عقولهم من الخوف وفر من بها من الشهود ولم يبق الا القاضي فدخلوا عليه وقالوا له أين شيخنا فقال لا أدري فقالوا له قم واركب معنا الى الديوان وتكلم الباشا في هذا الامر ونسأله ان يحضر لنا أخصامنا الذين افتوا بقتل شيخنا ونتباحث معهم فان أثبتوا دعواهم نجوا من أيدينا والا قتلناهم فركب القاضي معهم مكرها وتبعوه من خلفه وأمامه الى ان طلعوا الى الديوان فسأله الباشا عن سبب حضوره في غير وقته فقال انظر الى هؤلاء الذين ملؤا الديوان والحوش فهم الذين أتوا بي وعرفه قصتهم وما وقع منهم بالامس واليوم وانهم ضربوا الترجمان واخذوا مني حجة قهرا وأتوا اليوم واركبوني قهرا فارسل الباشا الى كتخدا الينكجرية وكتخدا العزب وقال لهما اسألوا هؤلاء عن مرادهم فقالوا نريد احضار النفراوي والخليفي ليجتمع شيخنا فيما افتيا به عليه فاعطاهم الباشا بيورلديا على مرادهم ونزلوا الى المؤيد وأتوا بالواعظ وأصعدوه الى الكرسي فصار يعظهم ويحرضهم على اجتماعهم في غد بالمؤيد ويذهبون بجمعيتهم الى القاضي وحضهم على الانتصار للدين وقمع الدجالين وافترقوا على ذلك واما الباشا فانه لما أعطاهم البيورلدي أرسل بيورلديا الى ابراهيم بك وقيطاس بك يعرفهم ما حصل وما فعله العامة من سوء الادب

ساجدا وعكفت عليه الانس والجن والطير واقبل عليه الناس ورجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وبث الشياطين في احضار صخر الذي أخذ الخاتم فاحضروه فنقب له صخرة وجعله فيها وسد النقب بالحديد والرصاص وألقاه في البحر وكان مقامه في الملك أربعين يوما بعدد عبادة الصنم في دار سليمان وقيل كان السبب في ذهاب ملكه ان امرأة له كانت أبر نسائه عنده تسمى جرادة ولا يأتمن على خاتمه سواها فقالت له ان أخي بينه وبين فلان حكومة وأنا أحب ان تقضي له فقال لها أفعل ولم يفعل فابتلى وأعطاها خاتمه ودخل الخلاء فخرج الشيطان في صورته فاخذه وخرج سليمان بعده فطلب الخاتم فقالت ألم تأخذه قال لا وخرج من مكانه تائها وبقي الشيطان أربعين يوما يحكم بين الناس ففطنوا له وأحدقوا به ونشروا التوراة فقرؤها فطار من بين أيديهم وألقى الخاتم في البحر فابتلعه حوت ثم ان سليمان قصد صيادا وهو جائع فاستطعمه وقال أنا سليمان فكذبه وضربه فشجه فجعل يغسل الدم فلام الصيادون صاحبهم وأعطوه سمكتين احداهما التي ابتلعت الخاتم فشق بطنها وأخذ الخاتم فرد الله اليه ملكه فاعتذروا اليه فقال لا أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم وسخر الله له الجن والشياطين والريح ولم يكن سخرها له قبل ذلك وهو الاشبه بظاهر القرآن وهو قوله تعالى قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد وقيل في سبب زوال ملكه غير ذلك والله أعلم

(ذكر وفاة سليمان)

لما رد الله الى سليمان الملك لبث فيه مطاعا والجن تعمل له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من شاء ويطلق من شاء حتى اذا دنا أجله وكان عادته اذا صلى كل يوم رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول ما اسمك فتقول كذا فيقول لاي شئ أنت فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فبينما هو قد صلى ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك فقالت الخرنوبة فقال لها لاي شئ أنت قالت لخراب هذا البيت يعني بيت المقدس فقال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب البيت وقلعها ثم قال اللهم عم عن الجن موتي حتى يعلم الناس ان الجن لا يعلمون الغيب وكان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل وأكثر يدخل طعامه وشرابه فادخله في المرة التي توفي فيها فبينما هو قائم يصلي متوكئا على عصاه أدركه أجله فمات ولا تعلم به الشياطين ولا الجن وهم في ذلك يعملون خوفا منه فأكلت الارضة عصاه فانكسرت فسقط فعلموا انه قد مات وعلم الناس ان الجن لا يعلمون الغيب ولو علموا الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ومقاساة الاعمال الشاقة ولما

وقصدهم نحريك الفتن وتحقيرنا نحن والقاضي وقد عزمت أنا والقاضي على السفر من البلد فلما قرأ الامراء ذلك لم يقر لهم
قرار وجمعوا الصناجق والاغوات ببيت الدفتردار واجمعوا رأيهم على أن ينظروا هذه العصبة من أي وجاق

سقط أراد بنو اسرائيل ان يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا يوما وليلة فا كانت منها فحسبوا بنسبته فكان أكل تلك العصا في سنة ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام لاتيناك باطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب لاتيناك باطيب الشراب ولكنا سننقل لك الماء والطين فهم ينقلون اليها حيث كانت ألم تر الى الطين يكون في وسط الخشبة فهو ما ينقلونه لها قيل ان الجن والشياطين شكوا ما يلحقهم من التعب والنصب الى بعض أولي التجربة منهم وقيل كان ابليس فقال لهم ألستم تنصرفون باحمال وتعودون بغير احمال قالوا بلى قال فلكم في كل ذلك راحة فحملت الريح الكلام فالقته في اذن سليمان فامر الموكلين بهم انهم اذا جاؤا بالاحمال والآلات التي يبني بها الى موضع البناء والعمل يحملهم من هناك في عودهم ما يلقونه من المواضع التي فيها الاعمال ليكون أشق عليهم وأسرع في العمل فاجتازوا بذلك الذي شكوا اليه حالهم فاعلموه حالهم فقال لهم انتظروا الفرج فان الامور اذا تناهت تغيرت فلم تطل مدة سليمان بعد ذلك حتى مات وكان مدة عمره ثلاثا وخمسين سنة وملكه أربعين سنة

(ذكر من ملك من الفرس بعد كيقباذ)

لما توفي كيقباذ ملك بعده ابنه كيكاووس بن كينية بن كيقباذ فلما ملك حمى بلاده وقتل جماعة من عظماء البلاد المجاورة له وكان يسكن بنواحي بلخ وولد له ولد سماه سياوخش وضمه الى رستم الشديد بن داستان بن نريمان بن جوذنك بن كرشاسب وكان أصبهبذ سجستان وما يليها وجعله عنده ليربيه فاحسن تربيته وعلمه العلوم والفروسية والآداب وما يحتاج الملوك اليه فلما كمل ما أراد حمله الى أبيه فلما رآه سر به صورة ومعنى وكان أبوه كيكاووس قد تزوج ابنة افراسياب ملك الترك وقيل انها ابنة ملك اليمن فهويت سياوخش ودعته الى نفسها فامتنع فسعت به الى أبيه حتى أفسدته عليه فسأل سياوخش رستم الشديد ان يخاطب أباه لينفذه الى محاربة افراسياب بسبب منعه بعض ما كان قد استقر بينهما وأراد البعد عن أبيه ليأمن كيد امرأته ففعل ذلك رستم فسيره أبوه وضم اليه جيشا كثيفا فسار الى بلاد الترك للقاء افراسياب فلما سار الى تلك الناحية جرى بينهما صلح فكتب سياوخش الى أبيه يعرفه ما جرى بينه وبين افراسياب من الصلح فكتب اليه والده يأمره بمناهضة افراسياب ومحاربته وفسخ الصلح فاستقبح سياوخش الغدر وأنف منه فلم ينفذ ما أمره به ورأى أن ذلك من فعل زوجة والده ليقتح فعله فراسل افراسياب في الامان لنفسه لينتقل اليه فاجابه افراسياب الى ذلك وكان السفير في ذلك قيران بن وكسعان ودخل سياوخش الى بلاد الترك فاكرمه افراسياب وأنزله وأجرى عليه وزوجه بنتاله يقال لها وسفافريد وهي أم كيخسرو وظهر له من أدب سياوخش ومعرفته بالملك وشجاعته ما خاف على

ويخرجوا من حقهم وينفي ذلك الواعظ من البلد وأمروا الاغاان يركب ومن رآه منهم قبض عليه وأن يدخل جامع المؤيد ويطرد من يسكنه من السقط فلما كان صبيحة ذلك اليوم ركب الاغا وأرسل الجاوبشية الى جامع المؤيد فلم يجدوا منهم احدا وجعل يفحص ويفتش على افراد المتعصبين فمن ظفر به أرسله الى باب أغاته فضربوا بعضهم ونفوا بعضهم وسكنت الفتنة *وفي ذلك يقول الشيخ حسن الحجازي رحمه الله

مصر قد حل بها واعظا
عن نهج صدق قد أعرض
أبدى جهلا فيها وقولا
منه الجبلي حالا تمحض
فأساء الظن بسادات
أحكام الدين بهم تنهض
الاقوال منا من أين لكم
ختم بخيرلهم يفرض
وكرامات لم انقطعت
بالموت زيارتهم ترفض
وتهدم شمع قبابهم
ومراتبهم كالا ينقض
وعلى اللوح المحفوظ فما
للهادي مطلع يعرض
وخرافات شتى الالسن
بها ان فاهت شرعا تقرض
رغلا واستوغل واستعلى
وعلينا العسكر قد حرض* والى القاضي ذهبوا جهرا* كي يكتب ما فيه نقض*
وبه نحوا الباشا انطلقوا* فارتاع وما عنهم اعرض* ولهم أمضى ما قد طلبوا* أن ينفى الواعظ واستنهض

ماكـه

ملكه منه وزاد الفساد بينهما بسعى ابنى افراسياب وأخيه كندر وحسدهم سياوخش فامرهم افراسياب بقتله فقتلوه ومثلوا به وكانت زوجته ابنة افراسياب حاملة منه بابنه كيخسرو فطلبوا الحيلة فى اسقاط ما فى بطنها فلم يسقط فانكر قيران الذى كان أمان سياوخش على يده قتله وحذر عاقبته والاخذ بثاره من والده كيكاوس ومن رستم وأخذ زوجة سياوخش اليه لتضع ما فى بطنها ويقتله فلما وضعت رق قيران لها وللمولود ولم يقتله وستر أمره حتى بلغ فسير كيكاوس الى بلاد الترك من كشف أمره وأخذه اليه وحين بلغ خبر قتله الى فارس لبس شادوس بن جودرز السواد حزنا وهو أول من لبسه ودخل على كيكاوس فقال له ما هذا فقال ان هذا اليوم يوم ظلام وسواد ثم ان كيكاوس لما علم بقتل ابنه سير الجيوش مع رستم الشديد وطوس أصبهبذ أصبهان فهاربة افراسياب فدخلا بلاد الترك فقتلا واسرا واثخنا فيها وجرى لهما مع افراسياب حروب شديدة قتل فيها ابنا افراسياب وأخوه الذين أشاروا بقتل سياوخش وزعمت الفرس ان الشياطين كانت مسخرة له وانها بنت له مدينة طولها فى زعمهم ثلثمائة فرسخ وبنوا عليها اسوارا من صفر وسورا من شبه وسورا من فضة وكانت الشياطين تنقلها بين السماء والارض وان كيكاوس لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث فيها ثم ان الله أرسل الى المدينة من يخربها فعجزت الشياطين عن المنع عنها فقتل كيكاوس جماعة من رؤسائهم وقال بعض العلماء باخبار المتقدمين انما سخر له فعل الشياطين بامر سليمان بن داود وكان مظفرا لا يناويه أحد من الملوك الا ظهر عليه فلم يزل كذلك حتى حدثته نفسه بالصعود الى السماء فسار من خراسان الى بابل وأعطاه الله تعالى قوة ارتفع بها هو ومن معه حتى بلغوا السحاب ثم سلبهم الله تلك القوة فسقطوا وهلكوا وأفلت بنفسه وأحدث يومئذ وهذا جميعه من أكاذيب الفرس البارده ثم ان كيكاوس بعد هذه الحادثة تمزق ملكه وكثرت الخوارج عليه وصاروا يغزونه فيظفر مرة ويظفرون أخرى ثم غزا بلاد اليمن وملكها يومئذ ذو الاذعار بن ابرهة ذى المنار بن الرايش فلما ورد اليمن خرج اليه ذو الاذعار وكان قد أصابه الفالج فلم يكن يغزو فلما وطئ كيكاووس بلاده خرج اليه بنفسه وعساكره وظفر بكيكاووس فاسره واستباح عسكره وحبسه فى بئر وأطبق عليه فسار رستم من سجستان الى اليمن وأخرج كيكاووس وأخذه وأراد ذو الاذعار منعه فجمع العساكر وأرادوا القتال ثم خاف البوار فاصطلحا على أخذ كيكاووس والعود الى بلاد الفرس فاخذه وأعاده الى ملكه فاقطعه كيكاووس سجستان وزابلستان وهى أعمال غزنة وأزال عنه اسم العبودية ثم توفى كيكاووس وكان ملكه مائة وخمسين سنة

(ذكر ملك كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس)

لما مات كيكاووس ملك بعده ابن ابنه كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس وأمه

فى الحال صناجق والامرا * فى فع أوائك واستقصص * فاذ قاموا معه صدقا * وازالوا كل من استعرض
والواعظ فروقيل قتل * وعليه الخزى قد استربض * وكفانا الله مؤنته * وله أرخ عيب أمرض
والبدرى من يسعى حسنا * يدعو من نافق أو رفض
رمضان به ذا كان فلا * بعد أن يرمض من أبغض

(وفى ثالث المحرم سنة اربع وعشرين ومائة والف) ورد مرسوم سلطانى بطلب ثلاثة آلاف من العساكر المصرية الى الغزو * وفى ثامنه تشاجر رجل شريف مع تركى فى سوق البندقانيين فضرب التركى الشريف فقتله ولم يعلم أين ذهب فوضع الاشراف المقتول فى تابوت وطلعوا به الى الديوان وأثبتوا القتل على القاتل فلما كان يوم عاشره قامت الاشراف وقفلوا اسواق القاهرة وصاروا يرجمون أصحاب الدكاكين بالحجارة ويأمرونهم بقفل الدكاكين وكل من لقوه من الرعية أو من أمير يضربونه ومكثوا على ذلك يومهم واصبحوا كذلك يوم الجمعة وأرسلوا خبر الاشراف القاطنين بقرى مصر ليحضروا واجتمعوا بالمشهد الحسينى ثم خرجوا وامامهم بيرق وذهبوا الى منزل قيطاس بك الدفتردار فخرج عليهم أتباعه بالسلاح فطردوهم وهزموهم فلما تفاقم أمرهم تحركت عليهم

العساكر وركب اغوات الاسباهية الثلاث وأغات الينكجرية فى عددهم وعددهم وطافوا البلد فعند ذلك تفرقت الجمعية ورجع كل الى مكانه ونادوا بالامن والامان وفتحت الدكاكين ثم اجتمع

وسعافريدا ابنة افراسياب ملك الترك فلما ملك كتب الى الاصبهبذين جميعهم ان يأتوا بعساكرهم جميعا فلما اجتمعوا جهز ثلاثين ألفا مع طوس وأمره بدخول بلاد الترك وان لا يمر بقرية ولا مدينة اهلها الا قتل كل من فيها الا مدينة من مدنهم كان بها اخ له اسمه فرود بن سياوخش كان أبوه قد تزوّج أمه في بعض مدائن الترك فاجتاز طوس بها فجرى بينه وبين فرود حرب قتل فيها فرود فبلغ خبره كيخسرو فعظم عليه وكتب الى عم له كان مع طوس يأمره بالقبض على طوس وارساله مقيدا والقيام بامر الجيش ففعل ذلك وسار بالعسكر نحو افراسياب فسير افراسياب العساكر اليه فاقتتلوا قتالا شديدا كثرت فيه القتلى وانحازت الفرس الى رؤس الجبال وعادوا الى كيخسرو فوبخ عمه ولامه واهتم بغزو الترك فامر بجمع العساكر جميعها وان لا يتخلف أحد فلما اجتمعوا أعلمهم انه يريد قصد بلاد الترك من أربعة وجوه فسير جودرز في أعظم العساكر وأمره بالدخول الى بلاد الترك مما يلي بلخ وأعطاه درفش كابيان وهو العلم الاكبر الذي لهم وكانوا لا يرسلونه الا مع بعض أولاد الملوك لامر عظيم وسير عسكرا آخر من ناحية الصين وسير عسكرا آخر مما يلي الخزر وعسكرا آخر بين هذين العسكرين فدخلت العساكر بلاد الترك من كل جهاتها وأخربتها لاسيما جودرز فانه قتل وأخرب وسبى وتبعه كيخسرو بنفسه في طريقه فوصل اليه وقد قتل جماعة كثيرة من أهل افراسياب وأثخن فيهم ورآه قد قتل خمسمائة ألف ونيفا وستين ألفا وأسر ثلاثين ألفا وغنم ما لا يحد ولا يحصى وعرض عليه من قتل من أهل افراسياب وقرابته فعظم جودرز عنده وشكره واقطعه أصبهان وجرجان ووردت عليه الكتب من عساكره الداخلة من تلك الوجوه الى الترك بما قتلوا وغنموا وأخربوا وانهم هزموا لافراسياب عسكرا بعد عسكر فكتب اليهم ان يجدوا في محاربتهم ويوافوه بموضع سماه لهم فلما بلغ افراسياب قتل من قتل من قرابته وأهله وعساكره عظم ذلك عليه فسقط في يديه ولم يكن بقي عنده من أولاده الا ولده شيده فوجهه في جيش نحو كيخسرو فسار اليه واقتتلوا قتالا شديدا أربعة أيام ثم انهزمت الترك وتبعهم الفرس يقتلونهم ويأسرون وأدركوا ابن افراسياب فقتلوه وسمع افراسياب بالحادثة وقتل ابنه فاقبل فيمن عنده من العساكر فلقي كيخسرو فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله واشتد الامر فانهزم افراسياب وكثر القتل في الترك فقتل منهم مائة ألف وجد كيخسرو في طلب افراسياب ولم يزل يهرب من بلد الى بلد حتى بلغ اذربيجان فاستتر وظفر به وأتى به الى كيخسرو فلما حضر عنده سأله عن غدره بابيه فلم يكن له حجة ولا عذر فامر بقتله فذبح كما ذبح سياوخش ثم انصرف من أذربيجان مظفرا منصورا فرحا فلما قتل افراسياب ملك الترك بعده أخوه كي سواسف فلما توفي ملك بعده ابنه جرزاسف وكان جبارا عاتيا فلما فرغ كيخسرو من الاخذ بثار ابيه واستقر في ملكه زهد في الدنيا وترك الملك وتنسك واجتهد أهله

واصحابه

رأى الامراء على نفي طائفة من اكابر الاشراف فتشفع فيهم المشايخ والعلماء فعفوا عنهم * وفي هذا الشهر وقع ثلج بقريتي سرسنة وعشما من بلاد المنوفية كل قطعة منه مقدار نصف رطل وأقل وأكثر ثم نزلت صاعقة أحرقت مقدارا عظيما من زرع الناحية وقتلت أناسا * وفي يوم الخميس ثامن ربيع الاول سافر مصطفى بك تابع يوسف أغا من بولاق بالعسكر صحبة المعينين للغزو وحضرت العساكر الذين كانوا في سفر الموسقو صحبة سردارهم اسمعيل بك ولما عادوا الى اسلامبول بالنصر وضعوا لهم على رؤسهم ريشا في عمائمهم سمة لهم ومات أميرهم اسمعيل بك باسلامبول ودخلوا مصر وعلى رؤسهم تلك الريش المسماة بالشلنجات * وفي ثاني عشرينه قبل الغروب خرجت فرتينة بريح عاصف أظلم منها الجو وسقط منها بعض منازل * وفي غرة ربيع الثاني ورد أغا ومعه مرسوم مضمونه حصول الصلح بين السلطنة والموسقو ورجوع العسكر المصري ولما رجعوا أخذوا منهم ثلثي النفقة وتركوا لهم الثلث وكذلك البواقي من الجوامك التي تعطى للسردارية وأصحاب الدركات * وفي ثامن عشره ورد قابجي باشا وعلى يده مرسوم بتقليد قيطاس بك الدفتردار أميرا على الحاج عوضا عن يوسف بك الجزار وان يكون ابراهيم بك بشناق المعروف بابي شنب دفتر دار فامتثلوا ذلك ولبسوا الخلع ومرسوم آخر بانشاء سفينتين ببحر القلزم لحمل غلال الحرمين وان يجهزوا الى مكة مائة وخمسين كيسا من الاموال السلطانية برسم عمارة العين على يد محمد بك ابن

وأصحابه به ليلازم الملك فلم يفعل فقالوا له فاعهد الى من يقوم بالملك بعدك فعهد الى
لهراسب وفارقهم كيخسرو وغاب عنهم فلا يدرى ما كان منه ولا أين مات وبعض يقول
غير ذلك وكان ملكه ستين سنة وملك بعده لهراسب

(ذكر أمر بنى اسرائيل بعد سليمان)

قيل ثم ملك بعد سليمان على بنى اسرائيل ابنه رحبعم بن سليمان وكان ملكه سبع
عشرة سنة ثم افترقت ممالك بنى اسرائيل بعد رحبعم فملك افيا بن رحبعم سبط يهوذا
و بنيامين دون سائر الاسباط وذلك ان سائر الاسباط ملكوا عليهم يوربعم بن بايعا
عبد سليمان بسبب القربان الذى كانت جرادة زوجة سليمان قربته فى داره
للصنم فتوعده الله تعالى ان ينزع بعض الملك عن ولده فكان ملك افيا بن رحبعم ثلاث
سنين ثم ملك اسا ابن افيا أمر السبطين اللذين كان أبوه يملكهما احدى وأربعين سنة
وكان رجلا صالحا وكان أعرج

(ذكر محاربة اسا ابن افيا وزرح الهندى)

قيل كان اسا ابن افيا رجلا صالحا وكان أبوه قد عبد الاصنام ودعا الناس الى عبادتها
فلما ملك ابنه اسا أمر مناديا فنادى ألا ان الكفر قد مات وأهله وعاش الايمان وأهله
فليس كافر فى بنى اسرائيل يطلع رأسه بكفر الا قتلته فان الطوفان لم يغرق الدنيا
وأهلها ولم يخسف بالقرى ولم يمطر الحجارة والنار من السماء الى الارض الا بترك طاعة الله
والعمل بمعصيته وشدد فى ذلك فأتى بعضهم عمن كان يعبد الاصنام ويعمل بالمعاصى الى
أم اسا الملك وكانت تعبد الاصنام فشكوا اليها فجاءت اليه ونهته عما كان يفعله
وبالغت فى زجره فلم يصغ الى قولها بل تهددها على عبادة الاصنام واظهر البراءة منها
فحينئذ أيس الناس منه وانتزح من كان يخافه وساروا الى الهند وكان بالهند ملك
يقال له زرح وكان جبارا عاتيا عظيم السلطان قد أطاعه أكثر البلاد وكان يدعو
الناس الى عبادته فوصل اليه أولئك النفر من بنى اسرائيل وشكوا اليه ملكهم
ووصفوا له البلاد وكثرتها وقلة عسكرها وضعف ملكها واطمعوه فيها فأرسل
الجواسيس فأتوه بأخبارها فلما تيقن الخبر جمع العساكر وسار الى الشام فى البحر
وقال له بنو اسرائيل ان لاسا صديقا ينصره ويعينه قال فأين اسا وصديقه من كثرة
عساكرى وجنودى وبلغ خبره الى اسا فتضرع الى الله تعالى وأظهر الضعف والعجز
عن الهندى وسأل الله النصرة عليه فاستجاب الله له وأراه فى المنام انى ساظهر من قدرتى
فى زرح الهندى وعساكره ما أكفيك شرهم وأغنمكم أموالهم حتى يعلم أعداؤك ان
صديقك لا يطاق وليه ولا ينهزم جنده ثم سار زرح حتى أرسى بالساحل وسار الى
بيت المقدس فلما صار على مرحلتين منه فرق عساكره فامتلأت منهم تلك الارض

حسين باشا ثم ان قيطاس بك اجتمع بالامراء وشكا اليهم احتياجه لدراهم يستعين بها على لوازم الحاج ومهماته فعرضوا
ذلك على الباشا وطلبوا منه ان يمده بخمسين كيسا من مال الخزينة ويعرض فى شأنها بعد سليمها الى
الدولة وان لم يمضوا ذلك
يحصلوها من الوجاقات بدلا
عنها * وفى يوم الاربعاء وصل
من طريق الشام باشا معين
لمحافظة جدة يسمى خليل باشا
فدخل القاهرة فى كبكبة
عظيمة وعساكر رومية كثيرة
يقال لهم سارجه سليمان
وجمال محملة بالاثقال يقدمهم
ثلاثة بيارق وخرج لملاقاته
الباشا وقيطاس بك أمير الحاج
فى طائفة عظيمة من الامراء
والاغوات والصناجق وقابلوه
وأنزلوه بالغيط المعروف بحسن
بك ومدوا هنالك سماطا
عظيما حافلا وقدموا له خيولا
وساروا معه الى ان دخلوا الى
المدينة فى موكب عظيم الى أن
أنزلوه بمنزل المرحوم اسمعيل
بك المتوفى فى سفر الموسقو
بجوار الحنفى فلم يزل هنالك حتى
سافر فى أوائل رجب سنة
تاريخه وخرج بموكب عظيم
أيضا * وفى منتصف شعبان
تقلد أحمد بك الاعسر على
ولاية جرجا عوضا عن محمد بك
الصغير المعروف بقطامش
ثم ورد أمر بتقليد امارة الحج
لمحمد بك قطامش عوضا عن
سيده وطلع بالحج سنة أربع
وعشرين ورجع سنة خمس
وعشرين وذلك من فعل
قيطاس بك سرا وتقلد ولاية جرجا مصطفى بك قزلار * وفى يوم الخميس عشرينه تقلد محمد بك المعروف بجركس تابع ابراهيم
بك ابى شنب الصنجقية وكذلك قيطاس تابع قيطاس بك أمير الحاج * وفى عاشر شوال ورد عبد الباقى أفندى وتولى

كتخدائية والى باشا ومعه تقرير للباشا على ولاية مصر * وفى ثالث عشر ذى القعدة ورد ايضا مرسوم صحبة أغا معين
بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى لسفر الموسقو ولنقضهم المهادنة وقرئ ذلك بالديوان بحضرة

الجمع فالبسوا حسين بك المعروف بشلاق سرداره عوضا عن عثمان بك ابن سليمان بك بارم ذيله وقضى أشغاله وسافر فى أوائل المحرم

(سنة خمس وعشرين ومائة وألف)

* ورد أيضا أغا باستعجال الخزينة ورجع الحجاج فى شهر صفر صحبة محمد بك قطامش وانتهت رياسة مصر الى قيطاس بك ومحمد بك وحسن كتخدا الجلفى وكور عبد الله وابراهيم الصابونجى فسولت لقيطاس بك نفسه قطع بيت القاسمية وأخذ يدبر فى ذلك وأغرى سالم بن حبيب فهجم على خيول اسمعيل بك ابن ايواز بك فى الربيع وجز أذناب الخيول ومعارفها ماعدا الخيول الخاص فانها كانت بدوار الوسية وذهب ولم يأخذ منها شيأ وحضر فى صبحها أمير اخور فاخبروه وكان عنده يوسف بك الجزار فلاطفه وسكن حدته وأشار عليه بتقليد حسن أبى دفية قائمقام الناحية ففعل ذلك وجرت له مع ابن حبيب أمور ستذكر فى ترجمة ابن حبيب فيما يأتى ثم انه كتب عرضحال أيضا على لسان الأمير منصور الخبيرى يذكر فيه ان عرب الضعفاء أخربوا الوادى وقطعوا درب الفيوم وأرسل ذلك العرضحال صحبة قاصد يأمنه قائممقام منصور وأرسله الى الباشا صحبة البكارى خفير القرافة فلما اطلع قيطاس بك فى صبحها الى الباشا

وملئت قلوب بنى اسرائيل رعبا وبعث اسا العيون فعادوا وأخبروه من كثرتهم بما لم يسمع بمثله وسمع الخبر بنو اسرائيل فصاحوا وبكوا وودع بعضهم بعضا وعزموا على أن يخرجوا الى رزح ويستسلموا اليه وينقادوا له فقال لهم ملكهم ان ربى قد وعدنى بالظفر ولا خلف لوعده فعاودوا الدعاء والتضرع ففعلوا ودعوا واجتهدوا وتضرعوا فزعموا ان الله أوحى اليه يا اسا ان الحبيب لا يسلم حبيبه وأنا الذى أكفيك عدوك فانه لا يهون من توكل على ولا يضعف من تقوى بى وقد كنت تذكرنى فى الرخاء فلا أسلمك فى الشدة وسأرسل بعض الزبانية يقتلون أعداءك فاستبشر وأخبر بنى اسرائيل فاما المؤمنون فاستبشروا وأما المنافقون فكذبوه وأمره الله بالخروج الى رزح فى عساكره فخرج فى نفر يسير فوقفوا على رابية من الارض ينظرون الى عساكره فلما رآهم رزح احتقرهم واستصغرهم وقال انما خرجت من بلادى وجمعت عساكرى وأنفقت اموالى لهذه الطائفة ودعا النفر من بنى اسرائيل الذين قصدوه والجواسيس الذين أرسلهم ليختبروا له وقال كذبتمونى وأخبرتمونى بكثرة بنى اسرائيل حتى جمعت العساكر وفرقت أموالى ثم أمر بهم فقتلوا وأرسل الى اسا يقول له أين صديقك الذى ينصرك ويخلصك من سطوتى فأجابه اسا يا شقى انك لا تعلم ما تقول أتريد أن تغالب الله بقوتك أم بكثرة بقلتك وهو معى فى موقفى هذا ولن يغلب أحد كان الله معه وستعلم ما يحل بك فغضب رزح من قوله وصف عساكره وخرج الى قتال اسا وأمر الرماة فرموهم بالسهام فبعث الله من الملائكة مددا لبنى اسرائيل فأخذوا السهام ورموا بها الهنود فقتلت كل انسان منهم نشابته فقتل جميع الرماة فضج بنو اسرائيل بالتسبيح والدعاء وتراءت الملائكة للهنود فلما رآهم رزح ألقى الله الرعب فى قلبه وسقط فى يده ونادى فى عساكره يأمرهم بالحملة عليهم ففعلوا فقتلتهم الملائكة ولم يبق منهم غير رزح وعبيده ونسائه فلما رأى ذلك ولى هاربا وهو يقول قتلنى صديق اسا فلما رآه اسا مدبرا قال اللهم انك ان لم تهلكه استنفر علينا نائبه وبلغ رزح ومن معه الى البحر فركبوا السفن فلما سارت بهم أرسل الله عليهم الرياح فغرقتهم أجمعين ثم ملك بعد اسا ابنه ساقاط الى أن هلك خمسا وعشرين سنة ثم ملكت عزليا بنت عمرم أخت اخزيا وكانت قتلت أولاد ملوك بنى اسرائيل ولم يبق منهم الا يواش بن اخزيا وهو ابن ابنها فانه ستر عنها ثم قتلها يواش وأصحابه وكان ملكها سبع سنين ثم ملك يواش أربعين سنة ثم قتله أصحابه وهو الذى قتل جدته ثم ملك عوزيا بن امصيا بن يواش ويقال له غوزيا الى أن توفى اثنتين وخمسين سنة ثم ملك يوثام بن عوزيا الى أن توفى ست عشرة سنة ثم ملك حزقيا بن احاز الى أن توفى فيقال انه صاحب شعيا الذى أعلمه شعيا انقضاء عمره فتضرع الى ربه فزاده وأمر شعيا باعلامه ذلك وقيل ان صاحب شعيا فى هذه القصة اسمه صدقيا على ما يرد ذكره

(ذكر

واجتمع باقى الامراء وكان قيطاس بك رتب مع الباشا اسرارا وافراه وأطمعه فى القاسمية ومايؤول اليه من حلوان بلاد ابراهيم بك و يوسف بك وابن ابواظ بك وأتباعهم فلما استقر مجلسهم دخل البكارى بالعرضحال فأخذه كاتب الديوان وقرأه على أسماع الحاضرين فاظهر الباشا الحدة وقال أنا أذهب لهؤلاء المفاسيد الذين يخربون بلاد السلطان و يقطعون الطريق فقال ابراهيم بك أقل مافينا يخرج من حقهم وانحط الكلام على ذهاب ابراهيم بك واسمعيل بك ويوسف بك وقيطاس بك وعثمان بك ومحمد بك قطامش وكان قانصوه بك فى بنى سويف فى الكشوفية وأحمد بك الاعسر فى أقليم البحيرة فلما وقع الاتفاق على ذلك خلع عليهم الباشا قفاطين ونزلوا فأرسلوا خيامهم ومطابخهم الى تحت أم دنان ببر الجيزة وعدوا بعد العصر ونزلوا بخيامهم واتفق قيطاس بك مع عثمان بك انهم يعدون خلفهم بعد المغرب ويكونون أكلوا العشاء وعلقوا على الخيول وعندما ينزلون الى الصيوان يتركون الخيول ملجمة والمماليك والطوائف باسلحتها فاذا أتى الينا الثلاثة صناجق نقتلهم ثم نركب على طوائفهم وخيولهم مربوطة فنقتل كل من وقع ونخلص ثار الفقارية الذين قتلهم خال ابراهيم بك فى الطرانة فلما فعلوا ذلك وعدوا وأوقدوا المشاعل وذلك وقت العشاء ونزلوا بالصيوان قال ابراهيم بك ليوسف بك واسمعيل بك قوموا بنا نذهب عند قيطاس بك قالا له أنت فيك الكفاية فذهب ابراهيم بك وهو ماش ولم يخطر بباله شئ من الخيانة فلما دخل

(ذكر شعيا والملك الذى معه من بنى اسرائيل ومسير سنحاريب الى بنى اسرائيل)

قيل كان الله تعالى قد أوحى الى موسى ماذكر فى القرآن وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال و بنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا فكثر فى بنى اسرائيل الاحداث والذنوب وكان الله يتجاوز عنهم متعطفا عليهم وكان من أول ما أنزل الله عليهم عقوبة لذنوبهم ان ملكا منهم يقال له صدقيا وكانت عادتهم اذا ملك عليهم رجل بعث الله اليه نبيا يرشده و يوحى اليه مايريد ولم يكن لهم غير شريعة التوراة فلما ملك صدقيا بعث الله تعالى اليه شعيا وهو الذى بشر بعيسى و بمحمد عليه السلام فلما قارب أن ينقضى ملكه عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل فأرسل الله عليهم سنحاريب ملك بابل فى عساكر يغص بها الفضاء فسار حتى نزل بيت المقدس وأحاط به وملك بنى اسرائيل مريض فى ساقه قرحة فأتاه النبى شعيا وقال له ان الله يامرك أن توصى وتعهد فانك ميت فأقبل الملك على الدعاء والتضرع فاستجاب الله له فأوحى الله الى شعيا انه قد زاد فى عمر الملك صدقيا خمس عشرة سنة وانجاه من عدوه سنحاريب فلما قال له ذلك زال عنه الالم وجاءته الصحة ثم ان الله أرسل على عساكر سنحاريب ملكا صاح بهم فماتوا الا غير ستة نفر منهم سنحاريب وخمسة من كتابه أحدهم بختنصر فى قول بعضهم فخرج صدقيا و بنو اسرائيل الى معسكرهم فغنموا مافيه والتمسوا سنحاريب فلم يجدوه فأرسل الطلب فى أثره فوجدوه ومعه أصحابه فأخذوهم وقيدوهم وحملوهم اليه فقال لسنحاريب كيف رأيت صنع ربنا بك فقال قد أتانى خبر ربكم ونصره اياكم فلم أسمع ذلك فطاف بهم حول بيت المقدس ثم سجنهم فأوحى الله الى شعيا يأمر الملك باطلاق سنحاريب ومن معه فأطلقهم فعادوا الى بابل وأخبروا قومهم بما فعل الله بهم و بعساكرهم و بقى بعد ذلك سبع سنين ثم مات وقد زعم بعض أهل الكتاب ان بنى اسرائيل سار اليهم قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل يقال له كفرو وكان بختنصر ابن عمه وكاتبه وان الله أرسل عليهم ريحا فاهلكت جيشه وأفلت هو وكاتبه وان هذا البابلى قتله ابن له وان بختنصر غضب لصاحبه فقتل ابنه الذى قتله وان سنحاريب سار بعد ذلك وكان ملكه بنينوى وغزا مع ملك اذربيجان يومئذ بنى اسرائيل فاوقع بهم ثم اختلف سنحاريب وملك اذربيجان وتحاربا حتى تفانى عسكراهما فخرج بنو اسرائيل وغنموا

مامعهم وقيل كان ملك سنحاريب الى أن توفي تسعا وعشرين سنة وكان ملك بني اسرائيل الذي حصره سنحاريب حزقيا فلما توفي حزقيا ملك بعده ابنه منشا خمسا وخمسين سنة ثم ملك بعده امون الى أن قتله أصحابه ثنتي عشرة سنة ثم ملك ابنه يوشيا الى أن قتله فرعون مصر الاجدع احدى وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابنه ياهواحاز بن يوشيا فعزله فرعون الاجدع واستعمل بعده يوياقيم بن ياهواحاز ووظف عليه خراجا يحمله اليه وكان ملكه اثنتي عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه يوياحين فغزاه بختنصر وأشخصه الى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه وملك بعده يقونيا ابن عمه وسماه صدقيا وخالفه فغزاه وظفر به وحمله الى بابل وذبح ولده بين يديه وسمل عينيه وخرب بيت المقدس والهيكل وسبى بني اسرائيل وحملهم الى بابل فمكثوا الى ان عادوا اليه على ما نذكره ان شاء الله وكان جميع ملك صدقيا احدى عشرة سنة وقيل ان شعيا أوحى الله اليه ليقوم في بني اسرائيل يذكرهم بما يوحي الله على لسانه لما كثرت فيهم الاحداث ففعل فعدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها وأخذ الشيطان بهدب ثوبه وأراه بني اسرائيل فوضعوا المنشار على الشجرة فنشروها حتى قطعوه في وسطها وقيل في أسماء ملوكهم غير ذلك تركناه كراهة التطويل ولعدم الثقة بصحة النقل به

(ذكر ملك لهراسب وابنه بشتاسب وظهور زرادشت)

قد ذكرنا ان كيخسرو لما حضرته الوفاة عهد الى ابن عمه لهراسب بن كيوجي بن كيكاووس فهو ابن ابن كيكاووس فلما ملك اتخذ سريرا من ذهب وكلل بانواع الجواهر وبنيت له بارض خراسان مدينة بلخ وسماها الحسناء ودون الدواوين وقوى ملكه بانتخاب الجنود وعمر الارض وجبى الخراج لارزاق الجند واشتدت شوكة الترك في زمانه فنزل مدينة بلخ لقتالهم وكان محمودا عند أهل مملكته شديد القمع لاعدائه المجاورين له شديد التفقد لاصحابه بعيد الهمة عظيم البنيان وشق عدة أنهار وعمر البلاد وحمل اليه ملوك الهند والروم والمغرب الخراج وكاتبوه بالتمليك هيبة له وحذرا منه ثم انه تنسك وفارق الملك واشتغل بالعبادة واستخلف ابنه بشتاسب في الملك وكان ملكه مائة وعشرين سنة وملك بعده ابنه بشتاسب وفي أيامه ظهر زرادشت بن سقيمان الذي ادعى النبوة وتبعه المجوس وكان زرادشت فيما يزعم أهل الكتاب من أهل فلسطين يخدم لبعض تلامذة أرميا النبي خاصا به فخانه وكذب عليه فدعا الله عليه فبرص ولحق ببلاد أذربيجان وشرع بها دين المجوس وقيل انه من العجم وصنف كتابا وطاف به الارض فما عرف أحد معناه وزعم انها لغة سماوية خوطب بها وسماه اشتا فسار من أذربيجان الى فارس فلم يعرفوا ما فيه ولم يقبلوه فسار الى الهند وعرضه على ملوكها ثم أتى الصين والترك فلم يقبله أحد وأخرجوه من بلادهم وقصد فرغانة فاراد ملكها ان

عندهم وسلم وجلس ساله قيطاس بك عن رفقائه فقال انهم جالسون محلهم فلم يتم ما أرادوه فيهم من الخيانة فعند ذلك قام محمد بك وعثمان بك الى خيامهما وقلعا اسلاحهما وخلعا الجامات الخيل وعلقا مخالي التبن ورجعا اليهما فقال قيطاس بك لابراهيم بك اركبوا أنتم الثلاثة في غد وانصبوا عند وسيم ونحن نذهب الى جهة سقارة فنطرد العرب فيأتون الى جهتكم فاركبوا عليهم فاجابه الى ذلك ثم قام وذهب الى رفقائه فاخبرهم بذلك وباتوا الى الصباح وفي الصباح حملوا وساروا الى جهة وسيم كما أشار اليهم قيطاس بك فنزلت اليهم الزيدية بالفطور وسألوهم عن العرب فقالوا لهم الوادي في أمن وأمان بحمد الله لا عرب ولا حرب ولا شر وأما قيطاس بك ومن معه فانه رجع الى مصر وأرسل الى ابن حبيب بان يجمع نصف سعد وعرب بلي ويرسلهم مع ابنه سالم يدهمون الجماعة بناحية وسيم ويقتلونهم فتلكأ ابن حبيب في جمع العربان لصداقة قديمة بينه وبين ابراهيم بك وحضر لهم رجل من الاجناد كان تخلف عنهم لعذر حصل له فاخبرهم برجوع قيطاس بك ومن معه الى مصر فركب ابراهيم بك ويوسف بك واسمعيل بك ونزلوا بالجيزة عند أبي هريرة وصحبتهم خيالة الزيدية وباتوا هنالك وعدوا في الصباح الى منازلهم سالمين

* وفي هذه السنة حصل طاعون وكان ابتداؤه في القاهرة في فترة ربيع الاول وتناقص في أواخر جمادى الآخرة وفيها وصل عابدين باشا الى الاسكندرية وتقلد يوسف بك الجزار قائمقام وخلع على ابن سيده اسمعيل بك ولما

يقتله

حضر الباشا الى الحلي وطلع الى العادلية وأحضر الامراء تقادمهم وقدم له اسمعيل بك تقدمة عظيمة وأحبه الباشا واختص به ومال قلبه الى فرقة القاسمية فقلدهم المناصب والكشوفيات وحضر مرسوم بامارة الحج لاسمعيل بك ابن ايواظ بك وعابدين باشا هذا هو الذي قتل قيطاس بك بقراميدان كما يأتي خبر ذلك في ترجمة قيطاس بك وهرب محمد بك قطامش تابعه بعد قتل سيده الى بلاد الروم وأقام هناك مدة ثم عاد الى مصر وسيأتي خبر ذلك في ترجمته وفي ولايته تقلد عبد الله كاشف وصاري علي وعلي الأرمني واسمعيل كاشف صناجق الاربعة ايواظية وتقلد منهم أيضا عبد الرحمن أغا ومحمد أغات جمليه واسمعيل أغا كتخدا وايواظ بك كتخدا جاويشية ومن اتباع ابراهيم بك أبي شنب قاسم الكبير وابراهيم فارسكور وقاسم الصغير ومحمد جلبي بن ابراهيم بك أبي شنب وجركس محمد الصغير خمستهم صناجق واستقر الحال وطلع بالحج الامير اسمعيل بك ابن ايواظ سنة سبع وعشرين وسنة ثمان وعشرين في أمن وأمان وسخاء ورخاء * وفي سنة ثمان وعشرين * ورد أغا من اسلامبول وعلى يده مرسوم بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصري وعليهم اميرفادر وكانت النوبة على محمد بك جركس الكبير فلما اجتمعوا بالديوان وقرئ المرسوم خلع الباشا على محمد بك جركس القفطان ونزل الى داره فطوى القفطان وارسله الى سيده ابراهيم بك ويقول له عندك خلا في صناجق كثيرة فاني قشلان فتكدر خاطره ثم ارسل اليه صحبة

يقتله فهرب منها وقصد بشتاسب بن لهراسب فأمر بحبسه فحبس مدة وشرح زرادشت كتابه وسماه زند ومعناه التفسير ثم شرح الزند بكتاب سماه بازند يعني تفسير التفسير وفيه علوم مختلفة كالرياضات وأحكام النجوم والطب وغير ذلك من أخبار القرون الماضية وكتب الانبياء وفي كتابه تمسكوا بما جئتكم به الى ان يجيئكم صاحب الجمل الاحمر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك على رأس ألف سنة وستمائة سنة وبسبب ذلك وقعت البغضاء بين المجوس والعرب ثم يذكر عند اخبار سابور ذي الاكتاف ان من جملة الاسباب الموجبة لغزوة العرب هذا القول والله أعلم ثم ان بشتاسب أحضر زرادشت وهو ببلخ فلما قدم عليه شرح له دينه فأعجبه واتبعه وقهر الناس على اتباعه وقتل منهم خلقا كثيرا حتى قبلوه ودانوا به وأما المجوس فيزعمون ان أصله من أذربيجان وانه نزل على الملك من سقف ايوانه وبيده كبة من نار يلعب بها ولا تحرقه وكل من أخذها من يده لم تحرقه وانه اتبعه الملك ودان بدينه وبنى بيوت النيران في البلاد واشعل من تلك النار في بيوت النيران فيزعمون ان النيران التي في بيوت عباداتهم من تلك الى الآن وكذبوا فان النار التي للمجوس طفئت في جميع البيوت لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم على ما نذكره ان شاء الله تعالى وكان ظهور زرادشت بعد مضي ثلاثين سنة من ملك بشتاسب وأتاه بكتاب زعم انه وحي من الله تعالى وكتب في جلد اثني عشر ألف بقرة حفرا ونقشا بالذهب فجعله بشتاسب في موضع باصطخر ومنع من تعليمه العامة وكان بشتاسب وآباؤه قبله يدينون بدين الصابئة وسيرد باقي اخباره

* (ذكر مسير بختنصر الى بني اسرائيل) *

قد اختلف العلماء في الوقت الذي أرسل فيه بختنصر على بني اسرائيل فقيل كان في عهد أرميا النبي ودانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وقيل انما أرسله الله على بني اسرائيل لما قتلوا يحيى بن زكريا والاول أكثر وكان ابتداء أمر بختنصر ماذكره سعيد بن جبير قال كان رجل من بني اسرائيل يقرأ الكتب فلما بلغ الى قوله تعالى بعثنا عليكم عبادا لنا أولي باس شديد قال أي رب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني اسرائيل على يده فأري في المنام مسكينا يقال له بختنصر ببابل فسار على سبيل التجارة الى بابل وجعل يدعو المساكين ويسأل عنهم حتى دلوه على بختنصر فارسل من يحضره فرآه صعلوكا مريضا فاقام عليه في مرضه يعالجه حتى برئ فلما برئ أعطاه نفقة وعزم على السفر فقال له بختنصر وهو يبكي فعلت معي ما فعلت ولا أقدر على مجازاتك قال الاسرائيلي بلى تقدر عليه تكتب لي كتابا ان ملكت أطلقتني فقال أتستهزئ بي فقال انما هذا أمر لا محالة كائن ثم ان ملك الفرس أحب أن يطلع على أحوال الشام فارسل انسانا يثق به ليتعرف له اخباره وحال من فيه فسار اليه ومعه

احمد بك الاعسر عشرين كيسا فاستقلها فاعطاه ايضا وصولا بعشرة اكياس على الطرانة فجهز حاله وركب الى قصر العيني بالموكب واحضر عنده الحريم فاقام اياما في حفظه وصفاته والاغا المعين يستعجل السفر وفي كل يوم ياتيه فرمان من الباشا بالاستعجال والذهاب وهو لا يبالي بذلك ثم ان الباشا تكلم مع ابراهيم بك في شأن ذلك فلما نزل الى بيته ارسل اليه احمد بك الاعسر وقاسم بك الكبير فاخبراه بتقريط الباشا والاستعجال فقال في جوابه جلوسي هنا احسن من اقامتي تحت الطرانة حتى يدفعوا لي العشرة اكياس فلا ارتحل حتى تاتيني العشرة اكياس ورمى لهم الوصول فرجع احمد بك الى ابراهيم بك واخبره بمقالته ورد اليه الوصول فما وسعه الا انه دفع ذلك القدر اليه نقدا وقال سوف يخرب هذا بيتي بعناده فلما وصله ذلك نزل الى المراكب وسافر * ثم ورد مسلم على باشا واخبر بولايته مصر *(عن سنة تسع وعشرين ومائة والف)* فاجتمعوا بالديوان وتقلد ابراهيم بك ابو شنب قائمقام ونزل الى بيته وخلع على احمد بك الاعسر وجعله امين السماط ونزل عابدين باشا من القلعة عندما وصل الخبر بوصول على باشا الى سكندرية وسافرت اليه ارباب الخدم والعكاكيز وسافر عابدين باشا قبل حضور على باشا مصر وحضر على باشا وطلع الى القلعة على الرسم المعتاد واستقر في ولاية مصر والامور صالحة والفتن ساكنة ورياسة مصر للامير ابراهيم بك ابي شنب الكبير والامير اسمعيل بك ابن ايواظ بك ومحمد كتخدا جدك

بختنصر فقيل لم يخرج الا للخدمة فلما قدم الشام رأى أكبر بلاد الله خيلا ورجالا وسلاحا فنفث ذلك في ذرعه فلم يسأل عن شيء وجعل بختنصر يجالس مجالس أهل الشام فيقول لهم ما يمنعكم ان تغزوا بابل فلو غزوتموها ما دون بيت مالها شيء فكلهم يقول له لا نحسن القتال ولا نراه فلما عادوا أخبر الطليعة بما رأوا من الرجال والسلاح والخيل وأرسل بختنصر الى الملك يطلب اليه ان يحضره ليعرفه جلية الحال فاحضره فأخبره بما كان جميعه ثم ان الملك أراد ان يبعث عسكرا الى الشام أربعة آلاف راكب جريدة واستشار فيمن يكون عليهم فاشاروا ببعض أصحابه فقال لا بل بختنصر فجعله عليهم فساروا فغنموا وأوقعوا ببعض البلاد وعادوا سالمين ثم ان لهراسب استعمله اصبهبذا على ما بين الاهواز الى أرض الروم من غربي دجلة وكان السبب في مسيره الى بني اسرائيل انه لما استعمله لهراسب كما ذكرنا سار الى الشام فصالحه أهل دمشق وبيت المقدس فعاد عنهم وأخذ رهائنهم فلما عاد من القدس الى طبرية وثب بنو اسرائيل على ملكهم الذي صالح بختنصر فقتلوه وقالوا داهنت أهل بابل وخذلتنا فلما سمع بختنصر قتل الرهائن الذين معه وعاد الى القدس فاخربه وقيل ان الذي استعمله انما كان الملك بهمن بن بشتاسب بن لهراسب وكان بختنصر قد خدم جده وأباه وخدمه وعمر طويلا فارسل بهمن رسلا الى ملك بني اسرائيل ببيت المقدس فقتلهم الاسرائيلي فغضب بهمن من ذلك واستعمل بختنصر على أقاليم بابل وسيره في الجنود الكثيرة فعمل بهم ما نذكره هذه الاسباب الظاهرة وانما السبب الكلي الذي أحدث هذه الاسباب الموجبة للانتقام من بني اسرائيل هو معصية الله تعالى ومخالفة أوامره وكانت سنة الله تعالى في بني اسرائيل انه اذا ملك عليهم ملكا ارسل معه نبيا يرشده ويهديه الى أحكام التوراة فلما كان قبل مسير بختنصر اليهم كثرت فيهم الاحداث والمعاصي وكان الملك فيهم يقونيا بن يوياقيم فبعث الله اليه أرميا وقيل هو الخضر عليه السلام فاقام فيهم يدعوهم الى الله وينهاهم عن المعاصي ويذكرهم نعمة الله عليهم باهلاك سنحاريب فلم يرعووا فامره الله أن يحذرهم عقوبته وانهم ان لم يراجعوا الطاعة سلط عليهم من يقتلهم ويسبي ذراريهم ويخرب مدينتهم ويستعبدهم ويأتيهم بجنود ينزع من قلوبهم الرأفة والرحمة فلم يراجعوها فارسل الله اليه لاقيضن لهم فتنة تذر الحليم حيران ويضل فيها رأي ذي الرأي وحكمة الحكيم ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا عاتيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل وعساكر مثل قطع السحاب يهلك بني اسرائيل وينتقم منهم ويخرب بيت المقدس فلما سمع أرميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه وجعل الرماد على رأسه وتضرع الى الله في رفع ذلك عنهم في أيامه فاوحى الله اليه وعزتي لا أهلك بيت المقدس وبني اسرائيل حتى يكون الامر من قبلك في ذلك ففرح أرميا وقال لا والذي بعث

موسى

مستحفظان وابراهيم جربجي الصابونجي عزبان واتباع حسن جاويش القازدغلي وهم عثمان أوده باشا وسليمان اوده
باشا تابع مصطفى كتخدا وخلافهم من رؤساء باب العزب و باقى البلكات ومات الامير ابراهيم

بك الكبير سنة ثلاثين فاستقل بالرياسة اسمعيل بك ابن ايواظ بك وسكن محمد بك ابن ابراهيم بك بمنزل أبيه وفي نفسه ما فيها من الغيرة والحسد لاسمعيل بك ابن خشداش أبيه (وفى أواخر سنة تسع وعشرين) ورد قابجي وعلى يده مرسوم بطلب ثلاثة آلاف من عسكر مصر وعليهم أمير اسفر الجهاد وكان الدور على محمد بك ابن ايواظ أخي اسمعيل بك فعلم أخوه انه خفيف العقل فلا يستر نفسه في السفر فقلد أحمد كاشف صنجقية وجعله أمير العسكر وجعل مملوكه على الهندي كتخدا اليه وقضوا اشغالهم وركب الامير والسدادرة بالموكب ونزلوا الى بولاق وسافروا بعد ثلاثة أيام وأدركوا عساكر الاروام وسافروا صحبتهم وحضر محمد جركس من السفر في سنة ثلاثين فوجد سيده ابراهيم بك توفى وأمير مصر اسمعيل بك فتاقت نفسه للرياسة فضم اليه جماعة من الفقارية مثل حسين أبو يدك وذي الفقار تابع عمر اغا وأصلان وقيلان ومن يلوذ بهم من أمثالهم واتفقوا هم سرا ط

قيطاس يقال له الصيفى وكان الدفتردار في ذلك الوقت أحمد بك الاعسر تابع ابراهيم بك
أبي شنب وكلما رأى تحرك محمد بك جركس لاثارة الفتن يهدى عليه و يلاطفه و يطفئ نار يته وكان ذو الفقار لما قتل

موسى وأنبياءه بالحق لآمر بهلاك بني اسرائيل أبدا وأتى ملك بني اسرائيل فاعلمه بما أوحى اليه فاستبشر وفرح ثم لبثوا بعد هذا الوحى ثلاث سنين ولم يزدادوا الا معصية وتماديا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحى حيث لم يكونوا هم يتذكرون فقال لهم ملكهم يا بني اسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يأتيكم عذاب الله فلم ينتهوا فالقى الله في قلب بختنصر ان يسير الى بني اسرائيل ببيت المقدس فسار في العساكر الكثيرة التي تملأ الفضاء وبلغ ملك بني اسرائيل الخبر فاستدعى أرميا النبي فلما حضر عنده قال له يا أرميا أين ما زعمت أن ربك أوحى اليك ان لا يهلك بيت المقدس حتى يكون الامر منك فقال أرميا ان ربي لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما قرب الاجل ودنا انقطاع ملكهم وأراد الله اهلاكهم أرسل الله ملكا في صورة آدمي الى أرميا وقال له استفته فاتاه وقال له يا أرميا انا رجل من بني اسرائيل استفتيك في ذوي رحمي وصلة أرحامهم بما أمرني الله به وآتيت اليهم حسنا وكرامة فلا تزيدهم كرامتي اياهم الا سخطا لي وسوء سيرة معي فافتني فيهم فقال له احسن فيما بينك وبين الله وصل ما أمرك الله به أن تصله فانصرف عنه الملك ثم عاد اليه بعد أيام في تلك الصورة فقال له أرميا اما طهرت اخلاقهم وما رأيت منهم ما تريد فقال والذى بعثك بالحق ما أعلم كرامة يؤتيها أحد من الناس الى ذوي رحمه الا وقد آتيتها اليهم وأفضل من ذلك فلم يزدادوا الا سوء سيرة فقال ارجع الى أهلك وأحسن اليهم فقام الملك من عنده فلبث أياما ونزل بختنصر على بيت المقدس باكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل وقال ملكهم لارميا أين ما وعدك ربك فقال اني بربي واثق ثم ان الملك الذى أرسله الله يستفتي أرميا عاد اليه وهو قاعد على جدار بيت المقدس فقال مثل قوله الاول وشكا أهله وجورهم وقال له يا نبي الله كل شئ كنت أصبر عليه قبل اليوم لان ذلك كان فيه سخطي وقد رأيتهم اليوم على عمل عظيم من سخط الله تعالى فلو كانوا على ما كانوا عليه اليوم لم يشتد عليهم غضبي وانما غضبت اليوم لله وأتيتك لاخبرك خبرهم واني أسألك بالله الذى بعثك بالحق الا ما دعوت الله عليهم ان يهلكوا فقال أرميا يا ملك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من فيه أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس والتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال يا ملك السموات والارض يا أرحم الراحمين أين ميعادك أيا رب الذى وعدتني به فأوحى الله اليه انه لم يصبهم ما أصابهم الا بفتياك التي أفتيت رسولنا فاستيقن انها فتياه وان السائل كان من عند الله وخرج أرميا حتى خالط الوحش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده ان يملؤا التراس والقوه

سيده عمر اغا واراد اسمعيل بك قتله أيضا في ذلك اليوم فوقع على خازندار حسن كتخدا الجلفي وحماه من القتل وأخرج له حسن كتخدا حصة في قن العروس بالمحلول من سيده وهي شركة اسمعيل بك ابن ايواظ ولم يقدر حسن كتخدا ان يذاكر اسمعيل بك في فائظها لعلمه بكراهته لذي الفقار ويريد قتله فلما مات حسن كتخدا الجلفي وحضر محمد بك جركس من السفر انضم اليه ذو الفقار المذكور وخاطب في شأنه اسمعيل بك فلم يفد ولم يرض أن يعطيه شيأ من فائظه وتكرر هذا امرا وحتى ضاق خناق ذي الفقار من الفشل فدخل على محمد بك جركس في وقت خلوة وشكا اليه حاله وفاوضه في اغتيال اسمعيل بك فقال له افعل ماتريد فأخذ معه في ثاني يوم اصلان وقيلان وجماعة خيالة من الفقارية ووقفوا لاسمعيل بك في طريق الرميلة عند سوق الغلة وهو طالع الى الديوان فمر اسمعيل بك وصحبته يوسف بك الجزار واسمعيل بك جرجا وصاري على بك فرموا عليهم بالرصاص فلم يصب منهم الا رجل قواس ورجع اسمعيل بك ومن بصحبته الى باب القلعة ونزل هناك وكتب عرضحال ملخصه الشكوى من محمد بك جركس وانه قد جمع عنده المفسدين ويريد اثارة الفتن في البلد وأرسله الى الباشا صحبة يوسف بك فأمر على باشا بكتابة فرمان خطابا للوجاقات باحضار محمد بك جركس وان أبى حاربوه واقتلوه فلما وصل الخبر الى جركس ركب في مع المنضمين اليه فقارية وقاسمية ووصل الى الرميلة فصادف الموجهين اليه فحاربهم وحاربوه وقتل حسين بك أبو يدك

فيه حتى ملؤه ثم انصرف راجعا الى بابل وأخذ معه سبايا بني اسرائيل وأمرهم فجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم فاجتمعوا واختار منهم مائة ألف صبي فقسمهم على الملوك والقواد الذين كانوا معه وكان من أولئك الغلمان دانيال النبي وحنانيا وعزاريا وميشائيل وقسم بني اسرائيل ثلاث فرق فقتل ثلثا وأقر بالشام ثلثا وسبى ثلثا ثم عمر الله بعد ذلك أرميا فهو الذي رؤي بفلوات الارض والبلدان ثم ان بختنصر عاد الى بابل وأقام في سلطانه ماشاء الله ان يقيم ثم رأى رؤيا فبينما هو قد أعجبه ما رأى اذ رأى شيأ انساه ما رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وقال أخبروني عن رؤيا رأيتها فانسيتها ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لانزعن أكتافكم فخرجوا من عنده ودعوا الله وتضرعوا اليه وسألوه ان يعلمهم اياها فاعلمهم الذي سألهم عنه فجاؤا الى بختنصر فقالوا رأيت تمثالا قال صدقتم قالوا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد فبينما أنت تنظر اليه قد أعجبك ارسل الله عليه صخرة من السماء فدقته وهي التي انستك الرؤيا قال صدقتم فما تأويلها قالوا اريت ملك الملوك فبعضهم كان الين ملكا من بعض وبعضهم كان احسن ملكا من بعض وبعضهم اشد وكان اول الملك الفخار وهو اضعفه والينه ثم كان فوقه النحاس وهو افضل منه واشد ثم كان فوق النحاس الفضة وهي افضل من ذلك واحسن ثم كان فوقها الذهب وهو احسن من الفضة وافضل ثم كان الحديد وهو ملكك فهو اشد الملك واعز وكانت الصخرة التي رايت ان ارسل الله ملكا من السماء فدق ذلك جميعه نبيا يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الامر اليه فلما عبر دانيال ومن معه رؤيا بختنصر قربهم وادناهم واستشارهم في امره فحسدهم اصحابه وسعوا بهم اليه وقالوا عنهم ما اوحشه منهم فامر فحفر لهم اخدودا والقاهم فيه وهم ستة رجال والقى معهم سبعا ضاريا لياكلهم ثم قال اصحاب بختنصر انطلقوا فلناكل ولنشرب فذهبوا فاكلوا وشربوا ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم لم يخدش منهم احدا ووجدوا معهم رجلا سابعا فخرج اليهم السابع وكان ملكا من الملائكة فلطم بختنصر لطمة فمسخه وصار في الوحش في صورة اسد وهو ومع ذلك يعقل ما يعقله الانسان ثم رده الله الى صورة الانس واعاد عليه ملكه فلما عاد الى ملكه كان دانيال واصحابه اكرم الناس عليه فعاد الفرس وسعوا بهم الى بختنصر وقالوا له في سعايتهم ان دانيال اذا شرب الخمر لا يملك نفسه من كثرة البول وكان ذلك عندهم عارا فصنع لهم بختنصر طعاما واحضره عنده وقال للبواب انظر اول من يخرج ليبول فاقتله وان قال لك انا بختنصر فقل له كذبت بختنصر امرني بقتلك واقتله فحبس الله عن دانيال البول وكان اول من قام من الجميع بختنصر فقام مدلا انه الملك لئلا يقدم أحد عليه وكان ذلك ليلا فلما رآه البواب شد عليه ليقتله فقال له انا بختنصر فقال له كذبت ان بختنصر امرني بقتلك وقتله وقيل

وآخرون وانهزم جركس وتفرق من حوله ولم يتمكن من الوصول الى داره فذهب على طريق الناصرية ولم يزل سائرا حتى وصل الى شبرا ولم يبق صحبته سوى مملوكين فلاقاه جماعة من عرب الجزيرة فقبضوا عليهم وأخذوا اسلاحهم وأتوا بهم الى بيت اسمعيل بك ابن ايواظ بك وكان عند أحمد كتخدا امين البحرين والصابونجى فاشارا عليه بقتله فلم يرض وقال انه دخل بيتى وخلع عليه فروة سمور وأعطاه كسوة وذهبا ونفاه الى جزيرة قبرص ورجع العسكر الذين كانوا بالسفر واستشهد امير العسكر أحمد بك فقلدت الدولة على كتخدا الهندى صنجقا عوضا عن مخدومه احمد بك واعطوه نظر الخاصكية قيد الحياة واطلقوا له بلاده من غير حلوان فلما وصلوا الى مصر عمل له يوسف بك الجزار سماطا بالحلى ثم ركب وطلع الى القلعة وخلع الباشا على على بك الهندى خلعة السلامة ونزل الى بيت اسمعيل بك وانعم عليه بتقاسيط بلاد فائظها اثنا عشر كيسا واستمر صنجقا وناظرا على الخاصكية * وفى هذه السنة اعنى سنة ثلاثين حصلت حادثة ببولاق وهو ان سكان حارة الجوابر تشاجروا مع بعض الجمالة اتباع أوسية امير الحاج فحضر اليهم اميراخور فضربوه ووصل الخبر الى الامير اسمعيل بك فارسل اليهم أغات الينكجرية والوالى فضربوهم فركب الصنجق بطائفته وقتلوا منهم جماعة وهرب باقيهم وأخرجوا النساء بمتاعهن وسمروا الدرب من الجهتين وكانت حادثة مهولة واستمر الدرب مقفولا ومسمرا نحو سنتين * وفيها كان موسم سفر الخزينة وأميرها

فى سبب قتله ان الله ارسل عليه بعوضة فدخلت فى منخره وصعدت الى رأسه فكان لا يقر ولا يسكن حتى يدق رأسه فلما حضره الموت قال لاهله شقوا راسى فانظروا ما هذا الذى قتلنى فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة بام رأسه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه وضعف بختنصر لما تجبر قتله باضعف مخلوقاته تبارك الذى بيده ملكوت كل شئ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد واما دانيال فانه اقام بارض بابل وانتقل عنها ومات ودفن بالسوس من اعمال خوزستان ولما اراد الله تعالى ان يرد بنى اسرائيل الى بيت المقدس كان بختنصر قد مات فانه عاش بعد تخريب بيت المقدس اربعين سنة فى قول بعض اهل العلم وملك بعده ابن له يقال له أولمردخ فملك الناحية ثلاثا وعشرين سنة ثم هلك وملك ابن له يقال له بلتاصر سنة فلما ملك تخلط فى امره فعزله ملك الفرس حينئذ وهو مختلف فيه على ما ذكرناه واستعمل بعده داريوش على بابل والشام وبقى ثلاثين سنة ثم عزله واستعمل مكانه اخشويرش فبقى اربع عشرة سنة ثم ملك ابنه كيرش العلمى وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان قد تعلم التوراة ودان باليهودية وفهم عن دانيال ومن معه مثل حنانيا وعزاريا وغيرهما فسالوه ان ياذن لهم فى الخروج الى بيت المقدس فقال لو كان بقى منكم ألف نبى ما فارقتكم وولى دانيال القضاء وجعل اليه جميع امره وامره ان يقسم ما غنمه بختنصر من بنى اسرائيل عليهم وامره بعمارة بيت المقدس فعمرت أيامه وعاد اليه بنو اسرائيل وهذه المدة لهؤلاء الملوك معدودة من خراب بيت المقدس منسوبة الى بختنصر وكان ملك كيرش اثنتين وعشرين سنة وقيل ان الذى امر بعود بنى اسرائيل الى الشام بشتاسب بن لهراسب وكان قد بلغه خراب بلاد الشام وانها لم يبق بها من بنى اسرائيل احد فنادى فى ارض بابل من شاء من بنى اسرائيل ان يرجع الى الشام فليرجع وملك عليهم رجلا من آل داود وأمره ان يعمر بيت المقدس فرجعوا وعمروه وكان أرميا بن حزقيا من سبط هرون بن عمران فلما وطئ بختنصر الشام وخرب بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل وسباهم قد فارق البلاد واختلط بالوحش فلما عاد بختنصر الى بابل أقبل ارميا على حمار له معه عصير عنب وفى يده سلة تين فرأى بيت المقدس خرابا فقال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم أمات حماره واعمى عنه العيون فلما أن عمر بيت المقدس احيا الله من ارميا عينيه ثم احيا جسده وهو ينظر اليه وقيل له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قيل بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ويتغير وانظر الى حمارك فنظر الى عظام حماره وهى تجتمع بعضها الى بعض ثم كسى لحما ثم قام حيا باذن الله ونظر الى المدينة وهى تبنى وقد كثر فيها بنو اسرائيل وتراجعوا اليها من البلاد وكان عهدها خرابا وأهلها ما بين قتيل وأسير فلما رآها عامرة قال أعلم ان الله على كل شئ قدير وقيل ان الذى اماته الله مائة عام ثم احياه كان عزيرا فلما عاش قصد منزله من بيت المقدس على وهم منه فرأى عنده عجوزا عمياء

زمنة كانت جارية له ولها من العمر مائة وعشرون سنة فقال لها هذا منزل عزير قالت نعم وبكت وقال ما أرى أحدا يذكر عزيرا غيرك فقال انا عزير فقالت ان عزيرا كان مجاب الدعوة فادع الله لي بالعافية فدعا لها فعاد بصرها وقامت ومشت فلما رأته عرفته وكان لعزير ولد وله من العمر مائة وثلاث عشرة سنة وله أولاد شيوخ فذهبت اليهم الجارية وأخبرتهم به فجاؤا فلما رأوه عرفه ابنه بشامة كانت في ظهره وقيل ان عزيرا كان مع بني اسرائيل بالعراق فعاد الى بيت المقدس فجدد لبني اسرائيل التوراة لانهم عادوا الى بيت المقدس ولم يكن معهم التوراة لانها كانت قد أخذت فيما اخذوا أحرقت وعدمت وكان عزير قد أخذ مع السبي فلما عاد عزير الى بيت المقدس مع بني اسرائيل جعل يبكي ليلا ونهارا وانفرد عن الناس فبينما هو كذلك في حزنه اذ أقبل اليه رجل وهو جالس فقال يا عزير ما يبكيك فقال ابكي لان كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا انعدم قال فتريد أن يرده الله عليكم قال نعم قال فارجع وصم وتطهر والميعاد بيننا غدا هذا المكان ففعل عزير ذلك وأتى المكان فانتظره وأتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله في صورة رجل فسقاه من ذلك الاناء فتمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وحدودها فحبوه حبا شديدا لم يحبوا شيئا قط مثله واصلح أمرهم وأقام عزير بينهم ثم قبضه الله اليه على ذلك وحدثت فيهم الاحداث حتى قال بعضهم عزير بن الله ولم يزل بنو اسرائيل ببيت المقدس وعادوا وكثروا حتى غلبت عليهم الروم زمن ملوك الطوائف فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة وقد اختلف العلماء في أمر بختنصر وعمارة بيت المقدس اختلافا كثيرا تركنا ذكره اختصارا

(ذكر غزو بختنصر العرب)

قيل أوحى الله الى برخيا بن حننيا يأمره ان يقول لبختنصر ليغزو العرب فيقتل مقاتلتهم ويسبي ذراريهم ويستبيح أموالهم عقوبة لهم على كفرهم فقال برخيا لبختنصر ما أمر به فابتدأ بمن في بلاده من تجار العرب فأخذهم وبنى لهم حيرا بالنجف وحبسهم فيه ووكل بهم وانتشر الخبر في العرب فخرجت اليه طوائف منهم مستأمنين فقبلهم وعفا عنهم فأنزلهم السواد فابتنوا الانبار وخلى عن أهل الحيرة فاتخذوها منزلا حياة بختنصر فلما مات انضموا الى أهل الانبار وهذا أول سكنى العرب السواد بالحيرة والانبار وسار الى العرب بنجد والحجاز فاوحى الله الى برخيا وارميا يأمرهما أن يسيرا الى معد بن عدنان فيأخذاه ويحملاه الى حران واعلمهما انه يخرج من نسله محمدا صلى الله عليه وسلم الذي يختم به الانبياء فسارا فطوى لهما المنازل والارض حتى سبقا بختنصر الى معد فحملاه الى حران في ساعتهما ولمعد حينئذ اثنتا عشرة سنة وسار بختنصر فلقي جموع العرب فقاتلهم فهزمهم وأكثر القتل فيهم وسار الى الحجاز بجمع عدنان العرب والتقى

هو

محمد بك ابن ابراهيم بك أبو شنب وكان وصل اليه الدور وخرج بالموكب وأرباب المناصب والسدادرة ولما وصل الى اسلامبول واجتمع بالوزير ورجال الدولة أوشى اليهم في حق اسمعيل بك ابن ايواظ وعرفهم انه ان استمر أمره بمصر ادعى السلطنة بها وطرد النواب فان الامراء وكبار الوجاقات والدفتردار وكتخدا الجاويشية صاروا كلهم اتباعه ومماليكه ومماليك أبيه وعلي باشا المتولي لا يخرج عن مراده في كل شئ ونفى وابعد كل من كان ناصحا في خدمة الدولة مثل جركس ومن يلوذ به وعمل للدولة أربعة آلاف كيس على ازالة اسمعيل بك والباشا وتوليه والي آخر يكون صاحب شهامة فأجابوه الى ذلك وكان قبل خروجه من مصر أوصى قاسم بك الكبير على احضار محمد بك جركس فارسل اليه وأحضره خفية واختفى عنده ثم ان أهل الدولة عينوا رجب باشا أمير الحاج الشامي ورسموا له عند حضوره الى مصر أن يقبض على علي باشا ويحاسبه ويقتله ثم يحتال على قتل اسمعيل بك ابن ايواظ وعشيرته ما عدا علي بك الهندي ورجع محمد بك ابن أبي شنب الى مصر وعمل دفتردار وحضر مسلم رجب باشا ومعه الامر بحبس علي باشا بقصر يوسف وقائمقامية الى أحمد بك الاعسر وبعد ايام وصل الخبر بوصول رجب باشا الى العريش وسافرت له الملاقاة وتقلد ابراهيم بك فارسكور أمين السماط وطلع اسمعيل بك أميرا بالحج تلك السنة * وهي سنة احدى وثلاثين ومائة وألف وذلك عند وصول رجب باشا الى العريش ثم حضر

رجب باشا الى مصر وعملوا له الشنك والموكب على العادة فلما استقر بالقلعة احضر اليه ابن على باشا وخازنداره وكاتب خزينته والروزنامجى وأمرهم بعمل حسابه ثم قطع رأسه ظلما وسلخها وأرسلها الى الباب ودفن على باشا بمقام أبى جعفر الطحاوى بالقرافة ويعرف الى الآن قبره بعلى باشا المظلوم وأمر بضبط جميع مخلفاته ثم أحضر له محمد جركس خفية وأمر الاغا والوالى بالمناداة عليه وكل من آواه يشنق على باب داره ثم اختلى به وقال له كيف العمل والتدبير فى قتل ابن ايواظ بك وجماعته فقال له الرأى فى ذلك أن ترسل الى العرب يقفون فى طريق اوشاوشة فانهم يرسلون يعرفونكم بذلك فارسلوا لهم عبد الله بك وبعد عشرة أيام أرسلوا يوسف بك الجزار ومحمد بك ابن ايواظ بك واسمعيل بك جرجا وعبد الرحمن اغا وكجماعات الجمليه فعندما يرحلون من البركة يقتل اسمعيل بك الدفتردار كتخدا الجاويشية وعند ذلك أنا أظهر وتقلد امارة الحج الى محمد بك ابن اسمعيل بك ونرسله بتجريدة الى ابن ايواظ بك يقتلونه مع جماعته وهذا هو الرأى والتدبير ففعلوا ذلك ولم يتم بل اختفى اسمعيل بك ودخل الى مصر ثم ظهر بعد ان دبر أموره وعزل رجب باشا وانزلوه الى بيت مصطفى كتخدا عزبان وفسد تدبيره وكتبوا عرضحال بصورة الواقع وأرسلوه الى اسلامبول وسيأتى تتمة خبر ذلك فى ترجمة اسمعيل بك وكان رجب باشا أخذ من مال دار الضرب مائة وعشرين كيسا صرفها على التجريدة * ثم وصل محمد باشا النشانجى سنة ثلاث وثلاثين فعندما استقر بالقلعة طلب من

وبختنصر بذات عرق فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عدنان وتبعه بختنصر الى حصون هنالك واجتمع عليه العرب وخندق كل واحد من الفريقين على نفسه وأصحابه فكمن بختنصر كمينا وهو أوّل كمين عمل وأخذتهم السيوف فنادوا بالويل ونهى عدنان عن بختنصر وبختنصر عن عدنان فافترقا فلما رجع بختنصر خرج معد بن عدنان مع الانبياء حتى أتى مكة فاقام اعلامها وحج وحج معه الانبياء وخرج معد حتى أتى ريشوب وسأل عمن بقى من ولد الحرث بن مضاض الجرهمى فقيل له بقى جوشم بن جلهمة فتزوّج معد ابنته معانة فولدت له نزار بن معد

(ذكر بشتاسب والحوادث فى ملكه وقتل أبيه لهراسب)

لما ملك بشتاسب بن لهراسب ضبط الملك وقرر قوانينه وابتنى بفارس مدينة فسا ورتب سبعة من عظماء أهل مملكته مراتب وملك كل واحد منهم مملكة على قدر مرتبته ثم انه أرسل الى ملك الترك واسمه خرزاسف وهو أخو افراسياب وصالحه واستقر الصلح على ان يكون لبشتاسب دابة واقفة على باب ملك الترك لا تزال على عادتها على أبواب الملوك فلما جاء زرادشت الى بشتاسب واتبعه على ماذكرناه أشار زرادشت على بشتاسب بنقض الصلح مع ملك الترك وقال أنا أعين لك طالعا تسير فيه الى الحرب فتظفر وهذا أوّل وقت وضعت الاختيارات للملوك بالنجوم وكان زرادشت عالما بالنجوم جيد المعرفة بها فاجابه بشتاسب الى ذلك فارسل الى الدابة التى بباب ملك الترك والى الموكل بها فصرفها فغضب ملك الترك وارسل اليه يتهدده وينكر عليه ذلك ويأمره بانفاذ زرادشت اليه وان لم يفعل غزاه وقتله وأهل بيته فكتب اليه بشتاسب كتابا غليظا يؤذنه فيه بالحرب وسار كل واحد منهما الى صاحبه والتقيا واقتتلا قتالا شديدا فكانت الهزيمة على الترك وقتلوا قتلا ذريعا ومروا منهزمين وعاد بشتاسب الى بلخ وعظم أمر زرادشت عند الفرس وعظم شأنه حيث كان هذا الظفر بقوله وكان أعظم الناس غنى فى هذه الحرب اسفنديار بن بشتاسب فلما انجلت الحرب سعى الناس بين بشتاسب وابنه اسفنديار وقال يريد الملك لنفسه فندبه لحرب بعد حرب ثم أخذه وحبسه مقيدا ثم ان بشتاسب سار الى ناحية كرمان وسجستان وسار الى جبل يقال له طميدزاد راسة دينه والتنسك هنالك وخلف أباه لهراسب ببلخ شيخا قد أبطله الكبر وترك بها خزائنه وأولاده ونساءه فبلغت الاخبار الى ملك الترك خرزاسف فلما تحققه جمع عساكره وحشد وسار الى بلخ وانتهز الفرصة بغيبة بشتاسب عن مملكته ولما بلغ بلخ ملكها وقتل لهراسب وولدين لبشتاسب والهرابذة واحرق الدواوين وهدم بيوت النيران وأرسل السرايا الى البلاد فقتلوا وسبوا واخربوا وسبى ابنتين لبشتاسب احداهما خمانى وأخذ علمهم الاكبر المعروف بدرفش كابيان وسار متبعا لبشتاسب وهرب بشتاسب من بين يديه فتحصن بتلك الجبال مما يلى فارس وضاق ذرعا بما نزل به فلما اشتد عليه

رجب باشا المائة وعشرين كيسا وقلدامارة الحج لمحمد بك اسمعيل فطلع بالحج سنة ثلاث وسنة أربع وثلاثين ثم حضر
مرسوم بالامان والعفو لاسمعيل بك ابن ايواظ بك وقرئ بالديوان وسافر رجب باشا وسكن الحال مع التنافر
والحقد الباطني الكامن في
نفس محمد بك جركس وابن
استاذه محمد بك أبي شنب
لاسمعيل بك ابن ايواظ وهو
يداهنهم ويتغافل عن
أفعالهم وقبائحهم ويسوس
اموره معهم وكل عقدة عقدوها
بمكرهم حلها بحسن رأيه
وسياسته وجودة رأيه وجرت
بينه وبينهم أمور ووقائع
ومخاصمات وجمعيات ومصالحات
يطول شرحها ذكرها أحمد
چلبي عبد الغني في تاريخه
الذي ضاع مني ولم يزل اسمعيل
بك ظاهرا عليهم حتى خانوه
واغتالوه وقتلوه بالقلعة على
حين غفلة على يد ذي الفقار
تابع عمر أغا وأصلان وقيلان
ومن معهم وقتلوا معه اسمعيل
بك جرجا وعبد الله اغا كتخدا
الجاويشية ثم عملوا على
قتل عبد الله بك ومحمد بك
ابن ايواظ وابراهيم بك ابن
الجزار وذلك في سنة ست
وثلاثين ومائة وألف في أيام
ولاية محمد باشا المذكور وسيأتي
تتمة ذلك في ذكر تراجمهم
وتقلد ذو الفقار قاتل اسمعيل
بك الصنجقية وكشوفية
المنوفية وانضم اليه من كان
خاملا من الفقارية وبدا امرهم
في الظهور فممن انضم اليه
مصطفى بك بلفيه ومحمد بك أمير الحاج وهو ابن اسمعيل بك الكبير الفقاري واسمعيل بك الدالي لياسر
وقيطاس بك الاعور واسمعيل بك ابن سيده ومصطفى بك قزلار وخلافهم اختيارية واغوات من الوجاقلية ونظم أموره

الامر أرسل الى ابنه اسفنديار مع عالمهم جاماسب فاخرجه من محبسه واعتذر اليه ووعده ان يعهد اليه بالملك من بعده فلما سمع اسفنديار كلامه سجد له ونهض من عنده وجمع من عنده من الجندويات ليلته مشغولا بالتجهز وسار من الغد نحو عسكر الترك وملكهم والتقوا واقتتلوا والتحمت الحرب وحمي الوطيس وحمل اسفنديار على جانب من العسكر فاثر فيه ووهنه وتابع الحملات وفشا في الترك ان اسفنديار هو المتولي لحربهم فانهزموا لا يلوون على شئ وانصرف اسفنديار وقد ارتجع درفش كابيان فلما دخل على أبيه استبشر به وأمره باتباع الترك ووصاه بقتل ملكهم ومن قدر عليه من اهله ويقتل من الترك من أمكنه قتله وان يستنقذ السبايا والغنائم التي أخذت من بلادهم فسار اسفنديار ودخل بلاد الترك وقتل وسبي وأخرب وبلغ مدينتهم العظمى ودخلها عنوة وقتل الملك واخوته ومقاتلته واستباح أمواله وسبي نساءه واستنقذ أختيه ودوخ البلاد وانتهى الى آخر حدود بلاد الترك والى التبت وأقطع بلاد الترك وجعل كل ناحية الى رجل من وجوه الترك بعد أن امنهم ووظف عليهم خراجا يحملونه كل سنة الى ابيه بشتاسب ثم عاد الى بلخ فحسده ابوه لما ظهر منه من حفظ الملك والظفر بالترك وأسر ذلك في نفسه وأمره بالتجهز والمسير الى قتال رستم الشديد بسجستان وقال له هذا رستم متوسط بلادنا ولا يعطينا الطاعة لان الملك كيكاوس اعتقه فاقطعه اياها وقد ذكرنا ذلك في ملك كيكاوس وكان غرض بشتاسب ان يقتله رستم أو يقتل هو رستم فانه كان أيضا شديد الكراهة لرستم فجمع العساكر وسار الى رستم لينتزع سجستان منه فخرج اليه رستم وقاتله فقتل اسفنديار قتله رستم ومات بشتاسب وكان ملكه مائة سنة واثنتى عشرة سنة وقيل مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين سنة وقيل انه جاءه رجل من بني اسرائيل زعم انه نبي أرسل اليه واجتمع به ببلخ فكان يتكلم بالعبرى وزرادشت نبي المجوس يعبر عنه وجاماسب العالم هو حاضر معهم يترجم أيضا عن الاسرائيلي وكان بشتاسب ومن قبله من آبائه وسائر الفرس يدينون بدين الصابئة قبل زرادشت

(ذكر الخبر عن ملوك بلاد اليمن من أيام كيكاوس الى أيام بهمن بن اسفنديار)

قدمنا ذكر الخبر عمن زعم ان كيكاوس كان في عهد سليمان بن داود وقد ذكرنا من كان في عهد سليمان من ملوك اليمن والخبر عن بلقيس بنت ايلشرح وصار الملك بعد بلقيس الى ياسر بن عمرو بن يعفر الذي يقال له انعم الانعامة قال أهل اليمن انه سار غازيا نحو المغرب حتى بلغ واديا يقال له وادي الرمل ولم يبلغه أحد قبله فلما انتهى اليه لم يجد وراءه مجازا لكثرة الرمل فبينما هو مقيم عليه اذا انكشف الرمل فامر رجلا يقال له عمرو أن يعبره وأصحابه فعبروا فلم يرجعوا فلما رأى ذلك أمر بنصب صنم نحاس فصنع ثم نصب على صخرة على شفير الوادي وكتب على صدره بالمسند هذا الصنم

وقضى لوازمه واشغاله وجعل مصطفى افندي الدمياطي كاتب تركي وعزم على السفر الى المنوفية وركب في موكب حافل
وصحبته من ذكر من الفقارية وكان رجب كتخدا ومحمد

ايا سر انعم الحميري ليس وراءه مذهب فلا يتكلفن أحد ذلك فيعطب وقيل ان وراء ذلك الرمل قوما من أمة موسى وهم الذين عنى الله بقوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والله أعلم ثم ملك بعده تبع وهو تبان وهو أسعد وهو أبو كرب بن ملكيكرب تبع بن زيد بن عمرو بن تبع وهو ذو الاذعار بن ابرهة تبع ذي المنار بن الرايش بن قيس بن صيفي بن سبا وكان يقال له الرائد وكان تبع هذا في أيام بشتاسب واردشير بهمن بن اسفنديار بن بشتاسب وانه شخص متوجها من اليمن في الطريق الذي سلكه الرايش حتى خرج على جبلي طيئ ثم سار يريد الانبار فلما انتهى الى موضع الحيرة تحير وكان ليلا فاقام بمكانه فسمي ذلك المكان بالحيرة وخلف به قوما من الازد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة فبنوا وأقاموا به ثم انتقل اليهم بعد ذلك أناس من طيئ وكلب والسكون وبلحرث بن كعب واياد ثم توجه الى الموصل ثم الى اذربيجان فلقي الترك فهزمهم فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم عاد الى اليمن فهابته الملوك واهدوا اليه وقدمت عليه هدية ملك الهند وفيها تحف كثيرة من الحرير والمسك والعود وسائر طرف الهند فرأى ما لم ير مثله فقال للرسول كل هذا في بلدكم فقال أكثره من بلد الصين ووصف له بلد الصين فحلف ليغزونها فسار بحمير حتى أتى الى الركايك وأصحاب القلانس السود ووجه رجلا من أصحابه يقال له ثابت نحو الصين في جمع عظيم فأصيب فسار تبع حتى دخل الصين فقتل مقاتلتها واكتسح ما وجد فيها وكان مسيره ومقامه ورجعته في سبع سنين ثم انه خلف بالتبت اثني عشر ألف فارس من حمير فهم أهل التبت ويزعمون انهم عرب وألوانهم ألوان العرب وخلقتهم هكذا ذكر وقد خالف هذه الرواية كثير من أصحاب السير والتواريخ وكل واحد منهم خالف الآخر وقدم بعضهم من أخره الآخر فلم يحصل منهم كثير فائدة ولكن ننقل ما وجدنا مختصرا

(ذكر خبر أردشير بهمن وابنته خماني)

ثم ملك بعد بشتاسب ابن ابنه أردشير بهمن بن اسفنديار وكان مظفرا في مغازيه وملك أكثر من أبيه وقيل انه ابتنى بالسواد مدينة وسماها اباوان اردشير وهي القرية المعروفة بهمينا بالزاب الاعلى وابتنى بكور دجلة الابلة وسار الى سجستان طالبا بثار أبيه فقتل رستم وأباه دستان وابنه فرامرز وبهمن هو أبو دارا الاكبر وأبو ساسان أبي ملوك الفرس الاحرار اردشير بن بابك وولده وأم دارا خماني ابنة بهمن فهي أخته وأمه وغزا بهمن رومية الداخلة في ألف ألف مقاتل وكان ملوك الارض يحملون اليه الاتاوة وكان أعظم ملوك الفرس شأنا وأفضلهم تدبيرا وكانت أم بهمن من نسل بنيامين بن يعقوب وأم ابنه ساسان من نسل سليمان بن داود وكان ملك بهمن مائة وعشرين سنة وقيل ثمانين سنة وكان متواضعا مرضيا فيهم وكانت كتبه تخرج من عبد الله خادم الله السائس لاموركم ثم ملكت بعده ابنته خماني ملكه وهاحبا لابيها واعقلها

جاويش الداودية متوجهين الى بيت محمد بك جركس وكانا خصيصين به وبيدهما باب الينكجرية مع الاقواسى ولهما الكلمة بالباب دون القازدغلية فصادفا موكب ذي الفقار فوقفا ونظرا الى الراكبين معه من الفقارية فتغير خاطرهما على جركس وتكدر مزاجهما وترجعا على اسمعيل بك ابن ايواظ ولما دخلا على جركس نظر اليهما فرآهما منفعلين فسألهما عن سبب انفعالهما فاخبراه بما رأياه وقالا ان دام هذا الحال قتلنا الفقارية فقال يكون خيرا ثم امر الصيفي بقتل اصلان وقيلان فوضع معه سراجا يثق به وأمره أن يقف في سلالم المقعد فعند ما علم بحضورهما احدث الصيفي مشاجرة مع ذلك السراج وفزع عليه بالطبنجة فهرب السراج من أمامه فجرى الصيفي خلفه فاخرج ذلك السراج طبنجته أيضا ورفع زنادها فقال له اصلان عيب فافرغها فيه وفرغ أيضا الصيفي طبنجته في قيلان وذلك بسلالم المقعد ببيت جركس وصيح الخدم الدم وأخذوا اخويهما وأرسلوا المقتولين الى بيوتهما في تابوتين ثم ان محمد بك جركس طلع الى القلعة وطلب من الباشا فرمانا بتجريدة يرسلها الى ذي الفقار ومن معه من الفقاريا فامتنع الباشا وقال رجل خاطر بنفسه وعرفكم واطلاعكم كيف انى أعطيكم بعد ذلك فرمانا بقتله فقام جركس ونزل

الى بيته ولم يقلع بعد ذلك الى الديوان واهملوا الدواوين والباشا فلما ضاق خناق الباشا ابرز مرسوما برفع صنجقية

جركس وكتب فرمانات للمشايخ والوجاقلية بذلك ويمنعهم من الذهاب اليه وبلغ الخبر الى جركس

فتدارك الامر وعمل جمعيات
ورتب أمورا واجتمعوا
بالرميلة وحوالى القلعة وعزلوا
الباشا وانزلوه واسكنوه فى بيت
ابن الدالى وكان ذلك فى أواخر
سنة سبع وثلاثين فكانت
مدته فى هذه المدة أربع
سنوات وارسلوا الى محمد بك ابن
أبى شنب فخلع عليه وجعلوه
قائمقام وأخذوا منه فرمانا
بالتجريدة على ذى الفقار
وجعلوا ابراهيم بك فارسكور
أمير العسكر وكاشف المنوفية
ووصل الخبر الى ذى الفقار بك
بما حصل من مصطفى بك
بالعيه فوزع متواتفه فى البلاد
ودخل الى مصر خفية الى بيت
أحمد أوده باشا مطرباز فلما
سافر ابراهيم بك بالتجريدة
فلم يجده فضبط موجوداته
وتحقق من المخبرين انه دخل
الى مصر وأرسل الخبر بذلك
لجركس فامر طلوبة الوالى
والمحتسب بالتفحص والتفتيش
عليه وأرسلوا عرضحال محضرا
بما فعلوه بعزل الباشا وكان
محمد باشا أرسل قبل ذلك
مكاتبات لرجال الدولة بما
حصل بالتفصيل فلما وصل
عرض المصريين عينوا على
باشا واليا جديدا الى مصر
بتدبير ومكيدة وتحيته قبودان
وقابجى طالب الاربعة آلاف كيس التى جعلها محمد بك ابن أبى شنب حلوانا على بلاد الشواربية منه

* ومن الحوادث فى أيام محمد باشا ان فى أوّل الخماسين الواقع فى شهر رجب سنة خمسة وثلاثين ومائتين وألف طلع الناس على

وفروسيتها وكانت تلقب بشهرزاد وقيل انما ملكت لانها حين حملت منه دارا الاكبر سالته ان يعقد التاج له فى بطنها ويؤثره بالملك ففعل بهمن وعقد التاج عليه حملا فى بطنها وساسان بن بهمن رجل يتصنع للملك فلما رأى فعل أبيه لحق باصطخر وتزهد ولحق برؤس الجبال واتخذ غنما وكان يتولاها بنفسه فاستبشعت العامة ذلك منه وهلك بهمن وابنه دارا فى بطن أمه فملكوها ووضعته بعد أشهر من ملكها فانفت من اظهار ذلك وجعلته فى تابوت وجعلت معه جواهر وأجرته فى نهر الكر من اصطخر وقيل بنهر بلخ وسار التابوت الى طحان من أهل اصطخر ففرح لما فيه من الجوهر فحضنته امرأته ثم ظهر أمره حين شب فاقرت خمانى باساءتها فلما تكامل امتحن فوجد على غاية ما يكون ابناء الملوك فحوّلت التاج اليه وسارت الى فارس وبنت مدينة اصطخر وكانت قد أوتيت ظفرا وغزت الروم وشغلت الاعداء عن تطرق بلادها وخففت عن رعيتها الخراج وكان ملكها ثلاثين سنة وقيل ان خمانى أم دارا حضنته حتى كبر فسلمت الملك اليه وعزلت نفسها فضبط الملك بشجاعة وحزم * ونرجع الى ذكر بنى اسرائيل ومقابلة تاريخ أيامهم الى حين تصرمها ومدة من كان فى ايامهم من ملوك الفرس * قد ذكرنا فيما مضى سبب انصراف من انصرف الى بيت المقدس من سبايا بنى اسرائيل الذين كان بختنصر سباهم وكان ذلك فى أيام كيرش بن اخشويرش وملكه ببابل من قبل بهمن دار بع سنين بعد وفاته فى ملك ابنته خمانى وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خربه بختنصر مائة سنة كل ذلك فى ايام بهمن بعضه وفى أيام ابنته خمانى بعضه وقيل غير ذلك وقد تقدم ذكر الاختلاف وقد زعم بعضهم ان كيرش هو بشتاسب وأنكر عليه قوله ولم يملك كيرش منفردا قط ولما عمر بيت المقدس ورجع اليه أهله كان فيهم عزير وكان الملك عليهم بعد ذلك من قبل الفرس اما رجل منهم واما رجل من بنى اسرائيل الى أن صار الملك بناحيتهم لليونانية والروم لسبب غلبة الاسكندر على الناحية حين قتل دارا بن دارا وكان جملة مدة ذلك فيما قيل ثمانيا وثمانين سنة

(ذكر خبر دارا الاكبر وابنه دارا الاصغر وكيف كان هلاكه مع خبر ذى القرنين)

وملك دارا بن بهمن بن اسفنديار وكان يلقب جهرازاد يعنى كريم الطبع فنزل ببابل وكان ضابطا لملكه قاهرا لمن حوله من الملوك يؤدون اليه الخراج وبنى بفارس مدينة سماها دارا بجرد وحذف دواب البرد ورتبها وكان معجبا بابنه دارا ومن حبه له سماه باسم نفسه وصير له الملك بعده وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده ابنه دارا وبنى بأرض الجزيرة بالقرب من نصيبين مدينة دارا وهى مشهورة الى الآن واستوزر انسانا لا يصلح لها فأفسد قلبه على أصحابه فقتل رؤساء عسكره واستوحش

يجري العادة في ذلك لاستنشاق النسيم في نواحي الخلاء وخرج سرب من النساء الى ناحية الازبكية وذهب منهن طائفة الى غيط الاعجام تجاه قنطرة الدكة فحضر اليهن جماعة سراجون وبايديهم السيوف من جهة الخليج وهم سكارى وهجموا عليهن وأخذوا ثيابهن وما عليهن من الحلي والحلل ثم ان الخفراء وأوده باشة القنطرة حضروا اليهن بعد ذهاب أولئك السراجين فاخذوا ما بقي وكملوا بقية النهب وجميع من كان هنالك من النساء من الاكابر ومن جملة ما ضاع حزام جوهر وبشت جوهر قالوا ان الحزام قيمته تسعة أكياس والبشت خمسة أكياس ومن جملة من كان هنالك آمنة الجنكية وصحبتها امرأة من الاكابر فعروهما وأخذوا ما عليهما وكان لها ولد صغير وعلى راسه طاقية عليها جواهر وبنادقة وزوج أساور جوهر وخلخال ذهب بندقي قديم وزنه أربعمائة مثقال ومن جملة ما أخذوا الباس شبيكة من الحرير الاصفر والقصب الاصفر وفي كل عين من الشبيكة لؤلؤة في كل لؤلؤة شريط مخيش والدكة كذلك وأخذوا أزرهن وفرجياتهن وأرسلن الى بيوتهن فاتين بثياب يستترن بها وذهبن وكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث ثم ان في ثاني يوم قدموا عرضحال الى الباشا وأخذوا على موجبه فرمانا الى أغات الينكجرية على أنه يتوجه وصحبته الوالي وأوده باشة البوابة فذهبوا الى محل الواقعة واحضروا أهل الخطة فشهدوا على ان هذه الفعلة من

منه الخاصة والعامة وكان شابا غرا جميلا حقودا جبارا سيء السيرة في رعيته وكان ملكه أربع عشرة سنة

(ذكر الاسكندر ذي القرنين)

كان فيلقوس أبو الاسكندر اليوناني من أهل بلدة يقال لها مقدونية كان ملكا عليها وعلى بلاد أخرى فصالح دارا على خراج يحمله اليه في كل سنة فلما هلك فيلقوس ملك بعده ابنه الاسكندر واستولى على بلاد الروم أجمع فقوي على دارا فلم يحمل اليه من الخراج شيأ وكان الخراج الذي يحمله بيضا من ذهب فسخط عليه دارا وكتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه في ترك حمل الخراج وبعث اليه بصولجان وكرة وقفيز من سمسم وكتب اليه انه صبي وانه ينبغي له أن يلعب بالصولجان والكرة ويترك الملك وان لم يفعل ذلك واستعصى عليه بعث اليه من يأتيه به في وثاق وان عدة جنوده كعدة حب السمسم الذي بعث به اليه فكتب اليه الاسكندر انه قد فهم ما كتب به وقد نظر الى ما ذكر في كتابه اليه من ارساله الصولجان والكرة وتيمن به لالقاء الملقي الكرة الى الصولجان واحترازه اياها وشبه الارض بالكرة وانه يجر ملك دارا الى ملكه وتيمنه بالسمسم الذي بعث كتيمنه بالصولجان والكرة لدسمه وبعده من المرارة والحرافة وبعث اليه بصرة فيها خردل وأعلمه في ذلك أن ما بعث به اليه قليل ولكنه مر حريف وان جنوده مثله فلما وصل كتابه الى دارا تأهب لمحاربته وقد زعم بعض العلماء باخبار الاولين ان الاسكندر الذي حارب دارا بن دارا هو أخو دارا الاصغر الذي حاربه وان أباه دارا الاكبر كان تزوج أم الاسكندر وهي ابنة ملك الروم فلما جاءت اليه وجد نتن ريحها وسهكها فامر أن يحتال لذلك منها فاجتمع رأي أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسية سندر فغسلت بمائها فاذهب ذلك كثيرا من نتنها ولم يذهب كله وانتهت نفسه عنها فردها الى أهلها وقد علقت منه فولدت في أهلها غلاما فسمته باسم الشجرة التي غسلت بمائها مضافا الى اسمها وقد هلك أبوها وملك الاسكندر بعده فمنع الخراج الذي كان يؤديه جده الى دارا فارسل يطلبه وكان بيضا من ذهب فاجابه اني قد ذبحت الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها فان أحببت وادعناك وان أحببت ناجزناك ثم خاف الاسكندر من الحرب فطلب الصلح فاستشار دارا أصحابه فاشاروا عليه بالحرب لفساد قلوبهم عليه فعند ذلك ناجز دارا القتال فكتب الاسكندر الى حاجبي دارا وحكمهما على الفتك بدارا فاحتكما شيأ ولم يشترطا أنفسهما فلما التقيا للحرب طعن دارا حاجباه في الوقعة وكانت الحرب بينهما سنة فانهزم أصحاب دارا ولحقه الاسكندر وهو بآخر رمق وقيل بل فتك به رجلان من حرسه من أهل همذان حبا للراحة من ظلمه وكان فتكهما به لما رأيا عسكره قد انهزم عنه ولم يكن ذلك بامر الاسكندر وكان قد أمر الاسكندر مناديا ينادي عند هزيمة عسكر دارا

أن يؤسر دارا ولا يقتل فاخبر بقتله فنزل اليه ومسح التراب عن وجهه وجعل رأسه في حجره وقال له اغا قتلك أصحابك واني لم أهمم بقتلك قط ولقد كنت أرغب بك يا شريف الاشراف ويا ملك الملوك وحر الاحرار عن هذا المصرع فأوص بما أحببت فاوصاه دارا ان يتزوج ابنته روشنك ويرعى حقها ويعظم قدرها ويستبقي احرار فارس ويأخذ له بثاره ممن قتله ففعل الاسكندر ذلك أجمع وقتل حاجبي دارا وقال لهما انكما لم تشترطا نفوسكما فقتلهما بعد أن وفى لهما بما ضمن لهما وقال ليس ينبغي ان يستبقي قاتل الملوك الا بذمة لا تخفر وكان التقاؤهما بناحية خراسان مما يلي الخزر وقيل ببلاد الجزيرة عند دارا وكان ملك الروم قبل الاسكندر متفرقا فاجتمع وملك فارس مجتمعا فتفرق وحمل الاسكندر كتبا لاهل فارس من علوم نجوم وحكم ونقلها الى الرومية وقد ذكرنا قول من قال ان الاسكندر اخو دارا لابيه وأما الروم وكثير من أهل الانساب فيزعمون انه الاسكندر بن فيلقوس وقيل فيلبوس بن مطربوس وقيل بن مصريم بن هرمس ابن هردس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن نوبه بن سرحون بن رومية بن زناط بن توقيل بن رومي بن الاصفر بن اليفر بن العيص بن اسحق بن ابراهيم فجمع بعد هلاك دارا ملك دارا فملك العراق والشام والروم ومصر والجزيرة وعرض جنده فوجدهم على ما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف رجل منهم من جنده ثمانمائة ألف رجل ومن جند دارا ستمائة ألف رجل وتقدم بهدم حصون فارس وبيوت النيران وقتل الهرابذة وأحرق كتبهم واستعمل على مملكة فارس رجالا وسار قاصدا الى أرض الهند فقتل ملكها وفتح مدنها وخرب بيوت الاصنام وأحرق كتب علومهم ثم سار منها الى الصين فلما وصل اليها أتاه حاجبه في الليل وقال هذا رسول ملك الصين فاحضره فسلم وطلب الخلوة ففتشوه فلم يروا معه شيأ فخرج من كان عند الاسكندر فقال أنا ملك الصين جئت أسئلك عن الذي تريده فان كان مما يمكن عمله عملته وتركت الحرب فقال له الاسكندر ما الذي آمنك مني قال علمت أنك عاقل حكيم ولم يكن بيني وبينك عداوة ولا دخل وأنت تعلم انك ان قتلتني لم يكن قتلي سببا لتسليم أهل الصين ملكي اليك ثم انك تنسب الى الغدر فعلم انه عاقل فقال له أريد منك ارتفاع ملكك ثلاث سنين عاجلا ونصف الارتفاع لكل سنة قال قد أجبتك ولكن اسئلني كيف حالي قال قل كيف حالك قال أكون أول قتيل لمحارب وأول أكلة لمفترس قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين قال يكون حالي أصلح قليلا قال فان قنعت منك بارتفاع سنة قال يبقى ملكي وتذهب لذاتي قال وأنا أترك لك ما مضى وآخذ الثلث لكل سنة فكيف يكون حالك قال يكون السدس للفقراء والمساكين ومصالح البلاد والسدس لي والثلث للعسكر والثلث لك قال قد قنعت منك بذلك فشكره وعاد وسمع العسكر بذلك ففرحوا بالصلح فلما كان الغد خرج ملك الصين بعسكر عظيم

الخفراء بيد أوده باشة مركز القنطرة وهو الذي أرسل السراجين والحمارة فقبضوا على الخفراء والاوده باشا وسئلوا فانكروا فحبس الاوده باشا في بابه والخفراء في العرقانة وأمر الباشا الوالي بعقابهم فلما رأوا آلة العذاب أقروا ان ذلك من فعل الاوده باشا فاخذ وامنه مالا كثيرا ونفوه الى أبي قير ونادى الاغا والوالي على النساء لا يذهبن الى الغيطان بعد اليوم ولا يركبن الحمير * ومنها انه ورد أغا من الديار الرومية في سابع عشر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وعلى يده مرسوم بدفع ستين كيسا الى باشة جدة ليشتروا بها مراكبا هنديا لحمل غلال الحرمين عوضا عن مركب غرقت قبل هذا التاريخ وحضر صحبة ذلك الاغا تاجر عظيم من تجار الشوام ومعها تباعه ووصل الجميع على خيل البريد الى أن وصلوا الى بركة الحاج فنزلوا ليأخذوا لهم راحة لكونهم وصلوا أرض الامان وفارقهم الاغا فنزل عليهم سالم بن حبيب فعراهم وأخذ ما معهم وكذلك كل من صادفه في الطريق * ومن جملة ذلك سبعون جملا لعبد الرحمن بك محملة ذخيرة من الوجه الى منزله وكذلك جمال عبد الله بك وجمال السقائين وحصل منهم ما لا خير فيه وكان صحبة سالم عرب الجزيرة ومغاربة وسبب ذلك انه لما طرد من دجوة وذهب الى الصعيد فنزل اليه قيطاس بك وجمع عليه عربان القبائل وحاربه وقتل أولاده فرجع من خلف الجبل احاط وقعد بالبركة وقطع الطريق فلما وصل الخبر بذلك الى مصر نزل اليه أمير الحاج وكاشف القليوبية حمزة بك تابع ابن

ابواظ وعينوا صحبتهم عرب الصوالحة وهم نصف حرام فنزل أمير الحاج بالمسبك وجلس هناك وابن حبيب نازل فى المساطب التى بعد البركة وناصب صيوان كاشف شرق اطفيح وكان نهبه وهو متوجه الى قبلى فان الكاشف لما اقبل عليه سالم رمح عليه وكان فى قلة فهزمه سالم وأخذ صيوانه ونهب الوطاق والجمال وأخذ النقاقير ونزل البركة وربط خيوله هو ومن معه فى الغيطان فاكلوا ستة وثلاثين فدان برسيم فى ليلة واحدة ثم ان الباشا أرسل الى امير الحاج بالرجوع وعينوا عبد الله بك وحمزة بك وخليل اغا وأرسل اسمعيل بك صحبتهم خمسمائة جندى من اتباعه ومن البلكات ومعهم فرمان لجميع العرب بالتعمير فى أوطانهم ماعدا سالم بن حبيب واخوته ومن يلوذ به وسافرت لهم التجريدة وارتحل ابن حبيب وسار الى جهة غزة ونهبت التجريدة ما فى طريقهم من البلاد وأرسل اليهم الباشا فرمانا بالعود فرجعوا من غير طائل ٭ ومنها انه ورد شاهقتان وهما مركبان من أرض حوران مملوأتان قمح حنطة فى كل واحدة عشرة آلاف اردب بيعتا فى دمياط وكان سعر الغلة غاليا لعدم قصور النيل فى العام الماضى وتسامعت البلاد بذلك فهذا هو السبب فى ورود هذين المركبين ٭ وفى شهر ذى القعدة سنة خمس وثلاثين ومائة والف تقلد الصنجقية على اغا الارمنى الذى عرف بابى العزب وكذلك على أغا صنجقية وأمين العنبر وحاكم جرجا وكمل بذلك صناجق مصر أربعة وعشرين صنجقا وكانوا فى المعتاد القديم اثنين وعشرين وكتخدا الباشا وقبطان الاسكندرية

احاط بعسكر الاسكندر فركب الاسكندر والناس فظهر ملك الصين على الفيل وعلى رأسه التاج فقال له الاسكندر أغدرت قال لا ولكنى أردت أن تعلم انى لم أطعك من ضعف ولكنى لما رأيت العالم العلوى مقبلا عليك أردت طاعته بطاعتك والقرب منه بالقرب منك فقال له الاسكندر لا يسام مثلك الجزية فما رأيت بينى وبينك من يستحق الفضل والوصف بالعقل غيرك وقد اعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك فقال له ملك الصين فلست تخسر وبعث اليه بضعف ما كان قرره معه وسار الاسكندر من يومه ودانت له عامة الارضين فى الشرق والغرب وملك التبت وغيرها فلما فرغ من بلاد المغرب والمشرق وما بينهما قصد بلاد الشمال وملك تلك البلاد ودان له من بها من الامم المختلفة الى ان اتصل بديار يأجوج ومأجوج وقد اختلفت الاقوال فيهم والصحيح انهم نوع من الترك لهم شوكة وفيهم شر وهم كثيرون وكانوا يفسدون فيما يجاورهم من الارض ويخربون ما قدروا عليه من البلاد ويؤذون من يقرب منهم فلما رأى أهل تلك البلاد الاسكندر شكوا اليه من شرهم كما أخبر الله عنهم فى قوله ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وهما جبلان متقابلان لا يرتقى فيهما وليس لهما مخرج الا من الفرجة التى بينهما فلما بلغ الى تلك وقارب السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير فاعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما يقول ما مكنى فيه ربى خير من خرجكم ولكن أعينونى بالقوة والقوة الفعلة والصناع والآلة التى يبنى بها فقال آتونى زبر الحديد أى قطع الحديد فأتوه بها فحفر الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل الحديد والحطب صفوفا بعضها فوق بعض حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما جبلان اشعل النار فى الحطب فحمى الحديد وافرغ عليه القطر وهو النحاس المذاب فصار موضع الحطب وبين قطع الحديد فبقى كانه برد محبر من حمرة النحاس وسواد الحديد وجعل اعلاه شرفا من الحديد فامتنعت يأجوج ومأجوج من الخروج الى البلاد المجاورة لهم قال الله تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا فلما فرغ من أمر السد دخل الظلمات مما يلى القطب الشمالى والشمس جنوبية فلهذا كانت ظلمة والا فليس فى الارض موضع الا تطلع الشمس عليه أبدا فلما دخل الظلمات أخذ معه أربعمائة من أصحابه يطلب عين الخلد فسار فيها ثمانية عشر يوما ثم خرج ولم يظفر بها وكان الخضر على مقدمته فظفر بها وسبح فيها وشرب منها والله أعلم ورجع الى العراق فمات فى طريقه بشهرزور بعلة الخوانيق وكان عمره ستا وثلاثين سنة فى قول ودفن فى تابوت من ذهب مرصع بالجوهر وطلى بالصبر لئلا يتغير وحمل الى أمه بالاسكندرية وكان ملكه اربع عشرة سنة وقتل دارا فى السنة الثالثة من ملكه

فتكرم الباشا بصنجقية كتخداه على بك الارمني اكراما لاسمعيل بك ابن ايواظ بك فكمل بذلك عشرة من أتباع
اسمعيل بك وهم اسمعيل بك الدفتردار وعبد الله بك وأخوه محمد وحمزة بك وعلي بك الهندي وصاري علي
بك وابراهيم بك خازندار الجزار
وعبد الرحمن بك وكيه وعلي
بك هذا المعروف بابي العزب
وهو عاشرهم ومن بيت أبي
شنب محمد بك ابنه وجركس
الكبير ومملوكه جركس
الصغير وقاسم الكبير وقاسم
الصغير والاعسر وابراهيم بك
فارسكور وذو الفقار تابع
قانصوه ومصطفى بك القزلار
وقيطاس بك تابع قيطاس
بك الكبير وابن اسمعيل بك
الدفتردار وهو محمد بك وأحمد
بك السلاماني ومرجان جوز
وابراهيم الوالي تتمة أربعة
عشر وتقلد كشوفية الغربية
محمد بن اسمعيل بك والبحيرة
احمد بك الاعسر وبني سويف
قاسم بك الصغير والجيزة محمد بك
ابن أبي شنب الدفتردار
والشرقية عبد الرحمن بك
والبس علي اغاويه خليل
اغا بعد عزله من اغاويه
الجراكسة وتقلد قيطاس بك
كشوفية المنوفية بعد عزله من
اغاويه التفكجية وتقلد
حسين اغا ابن محمد اغا تابع
البكري كشوفية الفيوم
وابراهيم بك الوالي على الخزينة
والبس اسمعيل بك محمد اغا
ابن اشرف على اغاويه الجملية
على ما هو عليه وكان أراد محمد
بك تلبيس مصطفى اغا بلغيه فحصل بين محمد بك بن ابي شنب وبين اسمعيل بك ابن ايواظ بك غم وقال
وكلام في الديوان فلما راى مصطفى أغا ذلك ما وسعه الا النزول من باب الميدان وتركهم وألبس عبد الغفار افندي اغاويه

وبنى اثنتي عشرة مدينة منها اصبهان وهي التي يقال لها جي ومدينة هراة ومرو وسمرقند وبنى بالسواد مدينة لروشنك ابنة دارا وبأرض اليونان مدينة وبمصر الاسكندرية فلما مات الاسكندر أطاف به من معه من الحكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم فكان يجمعهم ويستريح الى كلامهم فوقفوا عليه فقال كبيرهم ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا ووضع يده على التابوت وقال أصبح آسر الاسراء أسيرا وقال آخر هذا الملك كان يخبأ الذهب فقد صار الذهب يخبؤه وقال آخر ما أزهد الناس في هذا الجسد وما أرغبهم في التابوت وقال آخر من أعجب العجب أن القوي قد غلب والضعفاء لاهون مغترون وقال آخر هذا الذي جعل أجله أضمارا وجعل أمله عيانا هلا باعدت من أجلك لتبلغ بعض أملك بل هلا خففت من أملك بالامتناع من وفور أجلك وقال آخر أيها الساعي المنتصب جمعت ما خذلك عن الاحتياج اليه فتوفرت عليك أوزاره وفارقت آثامه فجمعت لغيرك واثمه عليك وقال آخر قد كنت لنا واعظا فما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتك فمن كان له معقول فليعقل ومن كان معتبرا فليعتبر وقال آخر رب هائب لك يخافك من ورائك وهو اليوم بحضرتك ولا يخافك وقال آخر رب حريص على سكوتك اذ لا تسكت وهو اليوم حريص على كلامك اذ لا تتكلم وقال آخر كم اماتت هذه النفس لئلا تموت وقد ماتت وقال آخر وكان صاحب كتب الحكمة قد كنت تأمرني ان لا ابعد عنك فاليوم لا اقدر على الدنو منك وقال آخر هذا يوم عظيم أقبل من شره ما كان مدبرا وادبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من زال ملكه فليبك وقال آخر يا عظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الذباب وقال آخر يا من ضاقت عليه الارض طولا وعرضا ليت شعري كيف حالك بما احتوى عليك منها وقال آخر اعجبوا ممن كان هذا سبيله كيف شهر نفسه بجمع الاموال الحطام البائد والهشيم النافد وقال آخر أيها الجمع الحافل والملقى الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغي والفساد وقال آخر انظروا الى حلم النائم كيف انقضى والى ظل الغمام كيف انجلى وقال آخر يا من غصبه الموت هلا غصبت على الموت وقال آخر قد رأيتم هذا الملك الماضي فليتعظ به هذا الملك الباقي وقال آخر ان الذي كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلم الآن كل ساكت وقال آخر سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال آخر مالك لا تقل عضوا من أعضائك وقد كنت تستقل بملك الارض بل مالك لا ترغب عن ضيق المكان الذي أنت فيه وقد كنت ترغب عن رحب البلاد وقال آخر ان دنيا يكون هذا في آخرها فالزهد أولى ان يكون في أولها وقال صاحب مائدته قد فرشت النمارق ونضدت النضائد ولا ارى عميد القوم وقال صاحب بيت ماله قد كنت تأمرني بالادخار فالى من ادفع ذخائرك

الجرا كسة ومصطفى اغاتابع عبد الرحمن بك اغات متفرقة وركب اسمعيل بك بطائفته ونزل من باب الجبل الى قصره بمصر القديمة ونزل بن أبي شنب والاعسر وقاسم بك وهم مملوؤن من الغيظ * وفي رجب قبل ذلك ورد اغا من الديار الرومية وعلى يده مرسوم وسيف وقفطان للشريف يحيى شريف مكة وتقرير للباشا على السنة واغاوية المتفرقة لعبد الغفار افندى ولم يسبق نظير ذلك وان اغاوية المتفرقة تاتى من الديار الرومية وسبب ذلك ان حسن أفندى والد عبد الغفار أفندى كان عنده طواشى أهداه الى السلطنة فأرسل ذلك الاغا أغاوية المتفرقة الى ابن سيده فالبسه الباشا القفطان على ذلك فحصل بسبب ذلك فتنة فى الوجاق وسبب ذلك ان وجاقهم فرقتان ظاهرتان بخلاف غيره والظاهر منهما ستة أشخاص من الاختيارية وهم سليمان أغا الشاطر وعلى أغا وعبد الرحمن أغا القاشقجى وخليل أغا وابراهيم كاتب المتفرقة سابقا وكبيرهم محمد أغا السنبلاوين وهم من طرف محمد بك جركس لكن لما ظهر اسمعيل بك انحطت كلمتهم وظهرت كلمة الذين من طرف اسمعيل بك وهم اسمعيل أغا ابن الدالى وأحمد جلبى بن حسين أغا سنانة الطالبية وأبو سيجلى فلما تولى عبد الغفار الاغاوية لحق أولئك الحقد والحسد وتناجوا فيما بينهم على ان يملكوا الباب فاجتمعوا بانفارهم وملكوا الباب فهرب عبد الغفار أغا الى بيت اسمعيل بك وكان عنده الجماعة الآخرون فدخل عليهم عبد الغفار أغا وأخبرهم بما حصل فاشار عليهم

وقال آخر هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طويت منها فى سبعة أشبار ولو كنت بذلك موقنا لم تحمل على نفسك فى الطلب وقالت زوجته روشنك ما كنت احسب ان غالب دارا يغلب فان الكلام الذى سمعت منكم فيه شماتة فقد خلف الكاس الذى شرب به ليشربه الجماعة وقالت امه حين بلغها موته لئن فقدت من ابنى أمره لم يفقد من قلبي ذكره فهذا كلام الحكماء فيه مواعظ وحكم حسنة فلهذا أثبتها * ومن حيل الاسكندر فى حروبه انه لما حارب دارا خرج الى بين الصفين وأمر مناديا فنادى يا معشر الفرس قد علمتم ما كتبتم الينا وما كتبنا اليكم من الامان فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل فانه يرى منا الوفاء فاتهمت الفرس بعضها بعضا واضطربوا ومن حيله انه تلقاه ملك الهند بالفيلة فنفرت خيل أصحابه عنها فعاد عنه وأمر باتخاذ فيلة من نحاس والبسها السلاح وجعلها مع الخيل حتى ألفتها ثم عاد الى الهند فخرج اليهم ملك الهند فامر الاسكندر بتلك الفيلة فملئت بطونها من النفط والكبريت وجرت على العجل الى وسط المعركة ومعها جمع من أصحابه فلما نشبت الحرب أمر باشعال النار فى تلك الفيلة فلما حميت انكشف أصحابه عنها وغشيتها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها فاحترقت وولت هاربة راجعة على الهند فانهزموا بين يديها ومن حيله انه نزل على مدينة حصينة وكان بها كثير من الاقوات وبها عيون ماء فعاد عنها فارسل اليها قوما على هيئة التجار ومعهم امتعة يبيعونها وأمرهم بشترى الطعام والمغالاة فى ثمنها فاذا صار عندهم أحرقوه وهربوا ففعلوا ذلك وهربوا اليه فانفذ السرايا الى سواد تلك المدينة وأمرهم بالغارة مرة بعد أخرى فهربوا ودخلوا البلد يحتموا به فسار الاسكندر اليهم فلم يمتنعوا عليه وكتب الى ارسطاطاليس يذكر له ان من خاصة الروم جماعة لهم همم بعيدة ونفوس كبيرة وشجاعة وانه يخافهم على نفسه ويكره قتلهم بالظنة فكتب اليه ارسطاطاليس فهمت كتابك فان ما ذكرت من بعد هممهم فان الوفاء من بعد الهمة وكبر النفس والغدر من دناءة النفس وخبثها واما شجاعتهم ونقص عقولهم فمن كانت هذه حاله فرفهه فى معيشته واخصصه بحسان النساء فان رفاهية العيش تميت الشجاعة وتحبب السلامة واياك والقتل فانه زلة لا تستقال وذنب لا يغفر وعاقب بدون القتل تكن قادرا على العفو فما احسن العفو من القادر وليحسن خلقك تخلص لك النيات بالمحبة ولا تؤثر نفسك على اصحابك فليس مع الاستئثار محبة ولا مع المواساة بغضة وكتب الى ارسطاطاليس ايضا لما ملك بلاد فارس يذكر له انه رأى بايران شهر رجالا ذوى رأى وصرامة وشجاعة وجمال وانساب رفيعة وانه انما ملكهم بالحظ والاتفاق وانه لا يأمن ان سافر عنهم فارقهم وثوبهم وانه لا يكفى شرهم الا بيوارهم فكتب اليه قد فهمت كتابك فى رجال فارس فاما قتلهم فهو من الفساد والبغى الذى لا يؤمن عاقبته ولو قتلتهم لانبتت أهل البلد امثالهم وصار جميع أهل البلد اعداءك بالطبع واعداء عقبك لانك تكون

اسمعيل بك ان يذهبوا الى بيت أحمد جابي ويجمعوه محل الحكم وأرسل أولئك الطرف فطلبوا محمد أغا أبطال و باكير أغا
تابع اسمعيل بك الكبير ومصطفى أغا وكانوا منفيين من بابهم الى العزب وكانوا كبراءهم وخرجوا منهم

قد وترتهم في غير حرب وأما اخراجك اياهم من عسكرك ففيه مخاطرة بنفسك وأصحابك ولكني اشير عليك برأي هو أبلغ من القتل وهو ان تستدعي منهم أولاد الملوك ومن يصلح للملك فتقلدهم البلدان وتجعل كل واحد منهم ملكا برأسه فتتفرق كلمتهم ويقع بأسهم بينهم ويجتمعون على الطاعة والمحبة لك ويرون انفسهم صنيعتك ففعل الاسكندر ذلك فهم ملوك الطوائف وقيل في ملوك الطوائف غير هذا السبب ونحن نذكره ان شاء الله

(ذكر من ملك من قومه بعد الاسكندر)

لما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه الاسكندروس فأبى واختار العبادة فملكت اليونان فيما قيل بطليموس بن لاغوس وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ثم ملك بعده بطليموس فيلوذفوس وكان ملكه اربعين سنة ثم ملك بعده بطليموس اوراغاطس اربعا وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس فيلافطر احدى وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس افيفانس اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس اوراغاطس تسعا وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس ساطر سبع عشرة سنة ثم ملك بعده بطليموس الاخشندر احدى عشرة سنة ثم ملك بعده بطليموس الذي اختفى عن ملكه ثماني سنين ثم ملكت بعده قالوبطرى سبع عشرة سنة وكانت من الحكماء وهؤلاء كلهم من اليونان وكل من كان بعد الاسكندر كان يدعى بطليموس كما كانت تدعى ملوك الفرس اكاسرة وملوك الروم قياصرة وقد ذكر بعض العلماء ان بطليموس صاحب المجسطي وغيره من الكتب لم يكن من هؤلاء الملوك وانما كان ايام ملوك الروم على ما نذكره ان شاء الله تعالى ثم ملك الشام فيما بعد قالوبطرى ملوك الروم فكان أول من ملك منهم جايوس يولوس خمس سنين ثم ملك بعده اغسطوس ستا وخمسين سنة فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى ابن مريم عليه السلام وقيل كان بين مولده وقيام الاسكندر ثلثمائة سنة وثلاث سنين

(ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الاسكندر وهم ملوك الطوائف)

لما مات الاسكندر ملك بلاد الفرس بعده ملوك الطوائف وقد تقدم ذكر السبب في تمليكهم وقيل كان السبب في ذلك ان الاسكندر لما ملك بلاد الفرس ووصل الى ما أراد كتب الى ارسطاطاليس الحكيم اني قد وترت جميع من في بلاد المشرق وقد خشيت ان يتفقوا بعدي على قصد بلادنا وايذاء قومنا وقد هممت ان اقتل أولاد من قتلت من الملوك والحقهم بآبائهم فما ترى فكتب اليه انك ان قتلت أبناء الملوك افضى الملك الى السفل والانذال والسفل اذا ملكوا قدروا واذا قدروا طغوا وبغوا وظلموا وما يخشى من معرتهم أكثر والرأي ان تجمع أبناء الملوك فتملك كل واحد منهم

في واقعة جركس المتقدمة فأبوا من الحضور اليهم فلما أبوا عليهم عملوا القاشقجي باش اختيارا عوضا عن ابطال وعزلوا ولوا الى مرادهم وطلع في صبحها اسمعيل بك الى الديوان وصحبته على بك وأمير الحاج وأخبروا الباشا بفعل القاشقجي فارسل الباشا اثنين أغوات ومن كل وجاق اثنين اختيارية لينظروا الخبر ففزعوا عليهم فرجعوا وأخبروا الباشا والامراء فأرسل لهم فرمانا بنفيهم الى الكشيدة فأبوا وصمموا على عدم ذهابهم الى الكشيدة وأقام الامراء عند الباشا الى الغروب ثم انهم نزلوا ووعدوا الباشا انهم في غد يفصلون هذا الامر وان لم يمتثلوا حاربناهم فلما كان في ثاني يوم عملوا جمعية واتفقوا على توزيع الستة أنفار على الست وجاقات وكتبوا من الباشا ست فرمانات لكل فرد منهم فرمان فكان كذلك وتفرقوا في الوجاقات ونزل اسمعيل بك ابن ايواظ ثالث عشر رجب سنة خمس وثلاثين الى بيته بعد اقامته في باب العزب ثلاثة أيام في طائفته ومماليكه وصناجقه بحيث ان أوائل الطائفة دخلوا الى البيت قبل ركوبه من باب العزب وكان خلفه نحو المائتين بالطرابيش الكشف وتم الامر بلدا على مراده ثم تحقق الخبر فظهر له ان أصل هذه الفتنة من اسمعيل أغا ابن الدالي فطلع في ثاني يوم الى الديوان والبس

بلدا واحدا او كورة واحدة فان كل واحد منهم يقوم في وجه الآخر يمنعه عن بلوغ غرضه خوفا على ما بيده فتتولد العداوة بينهم فيشتغل بعضهم ببعض فلا يتفرغون الى من بعد عنهم ففعل هذا اقسم الاسكندر بلاد المشرق على ملوك الطوائف ونقل عن بلادهم النجوم والحكمة وكان من حالهم بعد الاسكندر ما ذكره ارسطاطاليس واشتغلوا عن قصد اليونان وكان ارسطاطاليس من أفضل الحكماء واعلمهم وكان الاسكندر يصدر عن رايه وأخذ الحكمة عن أفلاطون تلميذ سقراط وسقراط تلميذ أوسيلاوس في الطبيعات دون غيرها ومعناه راس السباع وكان أوسيلاوس تلميذ انكساغورس الاان ارسطاطاليس خالف أستاذه في عدة مسائل فلما قيل له في ذلك قال أفلاطون صديق والحق صديق الاأن الحق أولى بالصداقة منه وقد اختلف العلماء في الملك الذي كان بسواد العراق بعد الاسكندر وعدد ملوك الطوائف الذين ملكوا اقليم بابل فقال هشام بن الكلبي وغيره ملك بعد الاسكندر بلاقس سلبقوس ثم انطيخس وهو الذي بني مدينة انطاكية وكان في ايدي هؤلاء الملوك سواد الكوفة أربعا وخمسين سنة وكانوا يتطرقون الجبال وناحية الاهواز وفارس

(ذكر ملك اشك بن اشكان)

ثم خرج رجل يقال له اشك وهو من ولد دارا الاكبر وكان مولده ومنشؤه بالري فجمع جمعا كبيرا وسار يريد انطيخس وزحف اليه انطيخس والتقيا ببلاد الموصل فقتل انطيخس وملك اشك السواد وصار بيده من الموصل الى الري واصبهان وعظمته سائر ملوك الطوائف لسنه وشرفه وفعله وبدءوا به في كتبهم وسموه ملكا من غير ان يعزل أحدا منهم ثم ملك بعده ابنه سابور بن اشك

(ذكر ملك جوذرز)

ثم ملك بعد سابور جوذرز اشكان وهو الذي غزا بني اسرائيل في المرة الثانية وسبب تسليط الله اياه عليهم قتلهم يحيى بن زكريا فاكثر القتل فيهم فلم يعد لهم جماعة كجماعتهم الاولى ورفع الله منهم النبوة وأنزل بهم الذل وقيل ان الذي غزا بني اسرائيل طيطوس بن اسفيانوس ملك الروم فقتلهم وسباهم وخرب بيت المقدس وقد كانت الروم غزت بلاد فارس يطلبون ثار انطيخس وملك بابل حينئذ بلاش أبو اردوان الذي قتله اردشير بن بابك فكتب بلاش الى ملوك الطوائف يعلمهم ما أجمعت عليه الروم من غزو بلادهم وما حشدوا وجمعوا وانه ان عجز عنهم ظفروا بهم جميعا فوجه كل ملك من ملوك الطوائف الى بلاش من الرجال والسلاح والمال بقدر قوته فاجتمع عنده أربعمائة ألف رجل فولى عليهم صاحب الحضر وكان له ما بين السواد والجزيرة فلقي الروم وقتل ملكهم واستباح عسكرهم وذلك الذي هيج الروم على بناء

اسمعيل أغا اغاوية العزب وأحضر محمد أغا ابطال وباكير أغا ومصطفى أغا من باب العزب وردهم الى محالهم وعمل ابطال باش اختيارات وفي ذلك اليوم حضر عبد الله بك وحمزة بك المتوجهان الى العزب ومعهما أربعمائة وخمسون رأسا وسبعة من المقادم بالحياة فارسل اليهما اسمعيل بك بأن يرميا الرؤس في الخانقاه ويقتلا الذين بالحياة ويدخلا الى مصر بالليل ففعلا ذلك والله أعلم بغرضه في ذلك وفي أيامه أيضا في شعبان سنة خمس وثلاثين ورد عرضحال من مكة بان يحيى الشريف وعلى باشا والي جدة وعسكر مصر الذين عينوا صحبة أحمد بك المسلماني واهل مكة تحاربوا مع الشريف مبارك شريف مكة سابقا وكان معه سبعة آلاف من العرب العمانية ووقع بينهم مقتلة عظيمة وسقط على باشا من على ظهر جواده الاان أحمد بك أدركه وأنقذه بجواده الجنيب فخلع على أحمد بك خلعة سمور وسردارية مستحفظان وكان ذلك في عرفات وقتل من العرب زيادة عن الفين وخمسمائة ومن العسكر نحو الخمسين ومن أتباع الباشا كذلك ومات على أغا سردار جمليان وكان الباشا قتل من الاشراف اثنى عشر شخصا وكانوا في جيرة الشريف يحيى وقد أبطل الجيرة ثم انهم رجعوا بعد المعركة الى جدة وانهم مجتهدون في جمع اللوم وقادمون علينا بمكة والقصد الاهتمام والتعجيل بارسال قدر ألف وخمسمائة عسكري وعليهم صنجق لان الذين عندنا عندما ينقضي الحج يذهبون الى بلادهم وتصير مكة خالية وقد أخبرنا كم وأرسلنا مثل ذلك الى

القسطنطينية ونقل الملك من رومية اليها وكان الذى انشأها قسطنطين الملك وهو أول من تنصر من ملوك الروم وأجلى من بقى من بنى اسرائيل عن فلسطين والشام لقتلهم عيسى بزعمهم وأخذ الخشبة التى يزعمون انهم صلبوا المسيح عليها فعظمها الروم وادخلوها خزائنهم وهى عندهم الى اليوم ولم يزل ملك فارس متفرقا حتى ملك اردشير ابن بابك ولم يبين هشام مدة ملكهم وقال غيره من أهل العلم بأخبار فارس ملك بلادهم بعد الاسكندر ملوك من غير الفرس كانوا يطيعون كل من ملك بلاد الجبل وهم الاشغانيون الذين يدعون ملوك الطوائف وكان ملكهم مائتى سنة وقيل كان ملكهم ثلثمائة وأربعين سنة ملك من هذه السنين اشك بن اشكان عشرين سنة ثم ابنه سابور ستين سنة وفى احدى وأربعين سنة من ملكه ظهر المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وان ابطرس بن اسفيانوس ملك رومية غزا بيت المقدس بعد ارتفاع المسيح بنحو من أربعين سنة فملك المدينة وقتل وسبى وأخرب المدينة ثم ملك جوذرز بن اشغان الاكبر عشر سنين ثم ملك بيرن الاشغانى احدى وعشرين سنة ثم ملك جوذرز الاشغانى تسعا وعشرين سنة ثم ملك نرسى الاشغانى أربعين سنة ثم ملك هرمز الاشغانى سبع عشرة سنة ثم ملك اردوان الاشغانى اثنتى وعشرين سنة ثم ملك كسرى الاشغانى أربعين سنة ثم ملك بلاش الاشغانى أربعا وعشرين سنة ثم ملك اردوان الاصغر ثلاث عشرة سنة ثم ملك اردشير بن بابك وقال بعضهم ملك بلاد الفرس بعد الاسكندر ملوك الطوائف الذين فرق الاسكندر المملكة بينهم وتفرد بكل ناحية من ملك عليها من حين ملكه عليها ما خلا السواد فانه كان أربعا وخمسين سنة بعد هلاك الاسكندر فى يد الروم وكان فى ملوك الطوائف رجل من نسل الملوك قد ملك الجبال واصبهان ثم غلب ولده بعد ذلك على السواد وكانوا ملوكا عليها وعلى الماهات والجبال واصبهان كالرئيس على سائر ملوك الطوائف لان العادة جرت بتقديمه وتقديم ولده ولذلك قصد لذكرهم فى كتب سير الملوك فاقتصرنا على ذكرهم دون غيرهم فكانت مدة ملوك الطوائف مائتى سنة وستين سنة وقيل ثلاثمائة وأربعا وأربعين سنة وقيل خمسمائة وثلاثا وعشرين سنة والله أعلم ❊ فن الملوك الذين ملكوا الجبال ثم تهيأت بعد أولادهم الغلبة على السواد اشك بن حره وهو من ولد اسفنديار بن بشتاسب فى قول بعض الفرس زعم ان اشك بن دارا قال بعضهم اشك بن أشكان الكبير هو من ولد كيكاوس وكان ملكه عشرين سنة ثم ملك بعده اشك ابنه احدى وعشرين سنة ثم ملك ابنه سابور ثلاثين سنة ثم ملك ابنه جوذرز عشر سنين ثم ملك ابنه بيرى احدى وعشرين سنة ثم ملك ابنه جوذرز الاصغر تسع عشرة سنة ثم ابنه نرسه أربعين سنة ثم هرمز بن بلاش بن أشكان سبع عشرة سنة ثم اردوان الاكبر بن اشكان اثنتى عشرة سنة ثم كسرى بن اشكان أربعين سنة ثم اردوان الاصغر بن بلاش ثلاث عشرة سنة

الديار الرومية صحبة الشيخ جلال الدين ومفتى مكة فكتب الباشا والامراء بذلك أيضا وانتظروا الجواب ثم ورد الساعى وأخبر بوصول على باشا الى سكندرية فى غليون البايلك وحضر بعد يومين المسلم بقائم مقامية لمحمد بك جركس فخلع عليه فروة سمور وأنزله بمكان شهر حواله ورتب له تعيينات وسافرت الملاقاة وأرباب الخدم والجاويشية والملازمون وقلد محمد بك خازنداره رضوان صنجقية وجعله أمين السماط وأخذ الخاصكية من على بك الهندى وأعطاها لرضوان المذكور وأبطل الخط الشريف الذى بيده بالخاصكية مدة حياته ووصل على باشا فى منتصف ربيع أول سنة ١١٣٨ وركب الى العادلية وخلع خلع القدوم وقدم وانه القادم وطلع الى القلعة بالموكب المعتاد وضربوا له المدافع والشنك وسكن الحال ثم ان محمد باشا المنفصل أرسل تذكرة على لسان كتخداه خطابا لمصطفى بك بلغيه وعثمان جاويش القازدغلى مضمونها أن حضرة الباشا يسلم عليكم ويقول لكم لابد من التدبير فى ظهور ذى الفقار وقطع بيت الى شنب حكم الامر السلطانى وتحصيل الاربعة آلاف كيس الحلوان المعينة بها القابجى فلما وصلت التذكرة الى مصطفى بك احضر عثمان جاويش وعرضها عليه فقال هذا يحتاج أولا الى بيت مفتوح تجتمع فيه الناس فاتفقا على ضم على بك الهندى اليهما وهو يجمع طوائف الصناجق المقتولين دماليكهم ثم يدبرون تدبيرهم بعد ذلك فاحضروه وعرضوا عليه ذلك فاعتذر بخلو يده

فقالوا له نحن نساعدك وكل ما تريده يحضر اليك وأحضر أحمد أوده باشا المطرباز ذا الفقار بك عند على بك الهندى ليلا ثم ان على بك الهندى أحضر مصطفى جلبي بن ايواظ فاحضر كامل طوائف أخيه وجماعة الامراء المقتولين و بلغ محمد

سنة وكان أعظم ملوك الاشكانية وأظهرهم وأعزهم قهر الملوك ثم ملك اردشير بن بابك وجمع مملكة الفرس على ما نذكره ان شاء الله وقد عد بعضهم فى أسماء الملوك غير ما ذكرنا لا حاجة الى الاطالة بذكره وقد ذكرنا بعض ما قيل عند ملك اردشير بن بابك

(ذكر الاحداث أيام ملوك الطوائف فمن ذلك ذكر المسيح عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهم السلام)

انما جمعنا هذين الامرين العظيمين فى هذه الترجمة لتعلق أحدهما بالآخر فنقول كان عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود وكان آل ماثان رؤس بنى اسرائيل وأحبارهم وكان متزوجا بحنة بنت فاقوذ وكان زكريا بن برخيا متزوجا باختها ايشاع وقيل كانت ايشاع أخت مريم بنت عمران وكانت حنة قد كبرت وعجزت ولم تلد ولدا فبينما هى فى ظل شجرة أبصرت طائرا يزق فرخاله فاشتهت الولد فدعت الله ان يهب لها ولدا ونذرت ان رزقها ولدا أن تجعله من سدنة بيت المقدس وخدمته فحررت ما فى بطنها ولم تعلم ما هو وكان النذر المحرر عندهم ان يجعل للكنيسة يقوم بخدمتها ولا يبرح منها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير فان أحب ان يقيم فيها أقام وان أحب ان يذهب ذهب حيث شاء ولم يكن يحرر الا الغلمان لان الاناث لا يصلحن لذلك لما يصيبهن من الحيض والاذى ثم هلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذا هى أنثى فقالت عند ذلك رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وانى سميتها مريم وهى بلغتهم العابدة ثم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم يلون من بيت المقدس ما يلى بنو شيبة من الكعبة فقالت دونكم هذه المنذورة فتنافسوا فيها لانها بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال زكريا انا أحق بها لان خالتها عندى فقالوا لكنا نقترع عليها فالقوا أقلامهم فى نهر جار قيل هو نهر الاردن فالقوا فيه اقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فاخذها وكفلها وضمها الى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى كبرت فبنى لها غرفة فى المسجد لا يرقى اليها الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء فيقول أنى لك هذا فتقول هو من عند الله فلما رأى زكريا ذلك منها دعا الله تعالى ورجا الولد حيث رأى فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف فقال ان الذى فعل هذا بمريم قادر على أن يصلح زوجتى حتى تلد فقال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فبينما هو يصلى فى المذبح الذى لهم فاذا هو برجل شاب وهو جبريل ففزع زكريا منه فقال له ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله يعنى عيسى ابن مريم عليه السلام ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وذلك ان أمه كانت حاملا به فاستقبلت مريم وهى حامل بعيسى فقالت لها يا مريم أحامل أنت فقالت لماذا تسألينى قالت لما انى أرى ما فى

بك جركس ان على بك الهندى عنده لموم وناس فارسل له رجب كتخدا ومحمد جاويش يأمره بتفريق الجمعية ووعده برد نظر الخاصكية اليه فلما وصلا اليه وجدا كثرة الناس والازدحام وأكلا وشربا فقال له رجب كتخدا ايش هذا الحال وأنت خلى وجميع الناس يحتاج الى مال فقال له وكيف أعمل قال اطردهم قال وكيف أطردهم وهم ما بين ابن استاذى وخشداشى وابن خشداشى حتى انى رهنت بلادا فقال اقعد مع عائلتك وخدمك ونرد لك نظر الخاصكية وأخلص لك البلاد المرهونة قال يكون خيرا وانصرفا من عنده ودخل على بك فاخبر ذا الفقار بذلك فقال له أرسل الى سليمان أغا أبى دفية ويوسف جربجى البركاوى فارسل اليهما واحضرهما وأدخلهما اليه وتشاوروا فيما يفعلونه فاتفقوا على قتل ابراهيم أفندى كتخدا العزب وبقتله يملكون باب العزب وعند ذلك يتم غرضنا فاصبحوا بعد ما دبروا أمرهم مع الباشا المعزول والفقارية والشواربية وفرقوا الدراهم فركب أبو دفية بعد الفجر وأخذ فى طريقه يوسف جربجى البركاوى ودخلا على ابراهيم كتخدا عزبان فركب معهم الى الباب وتطايس ذوا الفقار وأخذ صحبته سليمان كاشف ويوسف زوج هانم بنت ايواظ بك ويوسف الشرايبى ومحمد بن

الجزار وأتوا الى الرميلة ينتظرونهم بعدما ربطوا المحلات والجهات فعندما وصل ابراهيم كتخدا الى الرميلة تقدم اليه
سليمان كاشف ليسلم عليه وتبعه خازنداره ابن ايواظ وضربه فسقط الى الارض ورمحوا الى الباب
فطردوا البكجية وملكوه
وركب في الحال محمد باشا
وحضر الى جامع المحمودية ونزل
على باشا الى باب العزب
واجتمعت كامل صناجق
نصف سعد وقسموا المناصب
مثل الحال القديم أمير الحاج
من الفقارية والدفتردار من
القاسمية ومتفرقه باشا من
الفقارية وكذا الجاويشية
من القاسمية ونحو ذلك وقرؤا
فاتحة على ذلك وأغات
الينكجرية ابو دفية ومصطفى
فندي الدمياطي زعيم وكان
القبودان أتى من الاسكندرية
ونزل في قصر عثمان جاويش
القازدغلي بعسكره فأتى بهم
وملك السلطان حسن وكرنك
به مع ذي الفقار بك وخلع محمد
باشا على علي بك الهندي
دفتردار وعلى ذي الفقار
صنجقية كما كان وعلى علي
كاشف قطامش صنجقية وعلى
سليمان كاشف صنجقية
وحاكم جرجا وعلى مصطفى
جلبي ابن ايواظ صنجقية وعلى
يوسف أغا زوج هانم صنجقية
وعلى يوسف الشرايبي صنجقية
وسليمان أبي دفية أغات
مستحفظان ومصطفى الدمياطي
والي وحضر اليهم محمد بك أمير
الحاج سابقا ومصطفى بك
بلغيه واسمعيل بك الدالي وقيطاس بك السكور واسمعيل بك ابن قيطاس وأقاموا في المحمودية هذا واوا
ما كان من هؤلاء وأما محمد بك جركس فانه استعد أيضا وأرسل الى بيت قاسم بك عدة كبيرة من الاجناد ومدافع وعملوا

بطني يسجد لما في بطنك فذلك تصديقه وقيل صدق المسيح عليه السلام وله ثلاث سنين وسماه الله تعالى ولم يكن قبله من سمى هذا الاسم قال الله تعالى لم نجعل له من قبل سميا وقال تعالى والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا قيل أوحش ما يكون ابن آدم في هذه الايام الثلاثة فسلمه الله تعالى من وحشتها وانما ولد يحيي قبل المسيح بثلاث سنين وقيل بستة أشهر وكان لا يأتي النساء ولا يلعب مع الصبيان قال رب أنى يكون لي ولد وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر وكان عمره اثنتين وتسعين سنة وقيل مائة وعشرين سنة وكانت امرأته ابنة ثمان وتسعين سنة فقيل له كذلك الله يفعل ما يشاء وانما قال ذلك استخبارا اهل يرزق الولد من امرأته العاقر أم غيرها لا انكارا لقدرة الله تعالى قال رب اجعل لي آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا قال امسك الله لسانه عقوبة لسؤاله الآية والرمز الاشارة فلما ولد رآه أبوه حسن الصورة قليل الشعر قصير الاصابع مقرون الحاجبين دقيق الصوت قويا في طاعة الله منذ كان صبيا قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قيل انه قال له يوما الصبيان امض بنا يا يحيي اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وكان يأكل العشب وأوراق الشجر وقيل كان يأكل خبز الشعير فمر به ابليس ومعه رغيف شعير فقال أنت تزعم انك زاهد وقد ادخرت رغيف شعير فقال يحيي يا ملعون هو القوت فقال ابليس ان الاقل من القوت يكفي لمن يموت فاوحى الله اليه اعقل ما يقول لك وهو صغير اذ كان يدعو الناس الى عبادة الله ولبس الشعر فلم يكن له دينار ولا درهم ولا مسكن يسكن اليه أين ما جنه الليل أقام ولم يكن له عبد ولا أمة واجتهد في العبادة فنظر يوما الى بدنه وقد نحل فبكى فاوحى الله اليه يا يحيي أتبكي لما نحل من جسمك وعزتي وجلالي لو أطلعت في النار اطلاعة لتدرعت الحديد عوض الشعر فبكى حتى أكلت الدموع لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبل زكريا ومعه الاحبار فقالت يا بني ما يدعوك الى هذا قال أنت أمرتني بذلك حيث قلت ان بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها الا البكاؤن من خشية الله فقالت فابك واجتهد اذن فصنعت له أمه قطعتي لبد على خديه تواري اضراسه فكان يبكي حتى يبلهما وكان زكريا اذا أراد أن يعظ الناس نظر فان كان يحيي حاضرا لم يذكر جنة ولا نارا وبعث الله عيسى رسولا ينسخ بعض أحكام التوراة فكان مما نسخ انه حرم نكاح بنت الاخ وكان لملكهم واسمه هيرودس بنت أخ تعجبه يريد ان يتزوجها فنهاه يحيي عنها وكان لها كل يوم حاجة يقضيها لها فلما بلغ ذلك أمها قالت لها اذا سألك الملك ما حاجتك فقولي ان تذبح يحيي بن زكريا فلما دخلت عليه وسألها ما حاجتك قالت أريد أن تذبح يحيي بن زكريا فقال سلي غير هذا قالت ما أسألك غيره فلما أبت دعا بيحيي ودعا بطست فذبحه فلما رأت الرأس قالت اليوم قرت عيني فصعدت الى سطح قصرها فسقطت منه الى الارض

والها كلاب ضارية تحته فوثبت الكلاب عليها فأكلتها وهى تنظر وكان آخر ما أكل منها عيناها لتعتبر فلما قتل بذرت قطرة من دمه على الارض فلم تزل تغلى حتى بعث الله بختنصر عليهم فجاءته امرأة فدلته على ذلك الدم فألقى الله فى قلبه ان يقتل منهم على ذلك الدم حتى يسكن فقتل منهم سبعين ألفا حتى سكن الدم وقال السدى نحو هذا غير انه قال أراد الملك ان يتزوج بنت امرأة له فنهاه يحيى عن ذلك فطلبت المرأة من الملك قتل يحيى فأرسل اليه فقتله وأحضر رأسه فى طست وهو يقول له لا تحل لك فبقى دمه يغلى فطرح عليه تراب حتى بلغ سور المدينة فلم يسكن الدم فسلط الله عليهم بختنصر فى جمع عظيم فحصرهم فلم يظفر بهم فاراد الرجوع فاتته امرأة من بنى اسرائيل فقالت بلغنى انك تريد العود قال نعم قد طال المقام وجاع الناس وقلت الميرة بهم وضاق عليهم فقالت ان فتحت لك المدينة أتقتل من آمرك بقتله وتكف اذا امرتك قال نعم قالت اقسم جندك أربعة أقسام على نواحى المدينة ثم ارفعوا أيديكم الى السماء وقولوا اللهم انا نستفتحك على دم يحيى بن زكريا ففعلوا فخرب سور المدينة فدخلوها فأمرتهم العجوز ان يقتلوا على دم يحيى بن زكريا حتى يسكن فلم يزل يقتل حتى قتل سبعين ألفا وسكن الدم فامرته بالكف وكف وخرب بيت المقدس وامران تلقى فيه الجيف وعاد ومعه دانيال وغيره من وجوه بنى اسرائيل منهم عزريا وميشائيل ورأس الجالوت فكان دانيال أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس وسعوا بهم الى بختنصر وذكر نحو ما تقدم من القائهم الى السبع ونزول الملك عليهم ومسخ بختنصر ومقامه فى الوحش سبع سنين وهذا القول وما لم نذكره من الروايات من ان بختنصر هو الذى خرب بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا باطل عند أهل السير والتاريخ وأهل العلم بامور الماضين وذلك انهم أجمعون مجمعون على ان بختنصر غزا بنى اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا فى عهد أرميا بن حلقيا وبين عهد أرميا وقتل يحيى أربعمائة سنة واحدى وستون سنة عند اليهود والنصارى ويذكرون ان ذلك فى كتبهم وأسفارهم مبين وتوافقهم المجوس فى مدة غزو بختنصر بنى اسرائيل الى موت الاسكندر وتخالفهم فى مدة ما بين موت الاسكندر ومولد يحيى فيزعمون ان مدة ذلك كانت احدى وخمسين سنة * وأما ابن اسحق فانه قال الحق ان بنى اسرائيل عمروا بيت المقدس بعد مرجعهم من بابل وكثروا ثم عادوا يحدثون الاحداث ويعود الله سبحانه عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم زكريا وابنه يحيى وعيسى ابن مريم عليهم السلام فقتلوا يحيى وزكريا فابتعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له جودرس فسار اليهم حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم بيت المقدس قال لقائد عظيم من عسكره اسمه نبوزاذان وهو صاحب الفيل انى كنت حلفت لئن انا ظفرت ببنى اسرائيل لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى الا

متاريس عند درب الحجام وجامع الحصرية وهجمت عساكرهم على من بسبيل المؤمن بالبنادق والرصاص حتى أجلوهم وهزموهم وهربوا الى جهة القلعة وسوق السلاح وأكثرهم لم يدرك حصانه فلما وقع ذلك عملوا متاريسهم فى الحال عند مذبح الجمال ورموا على من بالمحمودية وهرب المجتمعون بالرميلة وبنى طائفة جركس فى الحال متاريس عند وكالة الاشكنية وارتبك أمر الفرقة الاخرى ثم ان يوسف جربجى البركاوى وكان حين ذاك من الخاملين القشلانين وتقدم له الطلوع بالسفر سردار بيرق رمى نفسه فى الهلاك وتسلق من باب العزب وربط الحائط والرصاص نازل وطلع عند محمد باشا والصناجق بالمحمودية وطلب منهم فرمانا لكتخدا العزب يعطيه بيرق سردن جشتى ومائة نفر وضمن لهم طرد الذين بسبيل المؤمن وملك بيت قاسم بك وعند ذلك يسير البيارق على بيت جركس وشرط عليهم ان يجعلوه بعد ذلك كتخدا العزب ففعلوا ذلك ونزل بمن معه من باب الميدان وسار بهم من جانب تكية اسمعيل باشا وهناك باب ينفذ على تربة الرميلة فوقف بهم هناك وطوى البيرق وهجم بمن معه على سبيل المؤمن بطلق رصاص متتابع وهم مهملون على حين غفلة فاجلوهم وفروا من مكانهم الى درب الحصرية وهم فى اقفيتهم حتى جاوزوا متاريسهم وملكوها منهم ودخلوا بيت قاسم بك وأداروا المدافع على بيت قاسم بك وصعدوا المنارة جامع الحصرية ورموا بالبنادق على بيت قاسم بك فعند ذلك نزلت البيارق من الابواب وساروا الى جهة الصليبة وطلع القبودان الى قصر يوسف

ورتبوا مدافعا على بيت جركس وأصيب قاسم بك برصاصة من المنارة ومات فعند ذلك عزم جركس على الرحيل والفرار فخرج معه أحمد بك الاعسر ومحمد بك جركس الصغير وأركب خمسة من مماليكه على خمسة من الهجن المحملة بالمال وذهبوا الى جهة مصر القديمة وعدوا الى البر الآخر وسافروا وتخلف منهم بمصر محمد بك ابن أبي شنب وعمر بك أمير الحاج ورضوان بك وعلى بك وابراهيم بك فارسكور وطلع محمد باشا الى القلعة ثانيا ونزل على باشا وسافر الى منصبه بكريد وترأس ذو الفقار بك وقلد عثمان بك كاشف مملوكه صنجقية وهو عثمان بك الشهير الذى يأتى ذكره وأرسلوه صحبة يوسف بك زوج هانم بنت ايواظ خلف محمد بك جركس ومعهم عساكر وأغات البلكات فصاروا كل من وجدوه من أتباع جركس بالجيزة أو خلافها يقتلونه ووقعوا بأحمد أفندى الروزنامجى فأرسلوه الى محمد باشا فسجنه مع المعلم داود صاحب العيار باعترافاته ثم قتلوهما وقتلوا عمر بك أمير الحاج ومحمد بك ابن أبي شنب وجدوهما بالجامع الازهر وعملوا رجب كتخدا سردار جداوى والاقواسى يوق وخرجا الى بركة الحاج ليذهبا الى السويس فأرسلوا من قتلهما وأتى برؤسهما ونهبوا بيوت المقتولين والهربانين وبيت جركس الكبير ومن معه وبعد أيام رجع عثمان بك ويوسف بك والتجريدة فأخبروا ذا الفقار بك وعلى بك الهندى انهم لما وصلوا حوش ذكر ابن عيسى سألوا العرب عن محمد بك جركس ومن معه فأخبروهم انهم باتوا هنالك ثم أخذوا معهم دليلا أوصلهم الى الجبل

ان لا أجد من أقتله وأمره ان يدخل المدينة ويقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم فدخل نبوزاذان المدينة فأقام في المدينة التى يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فقال يا بنى اسرائيل ما شأن هذا الدم يغلى فقالوا هذا دم قربان لنا لم يقبل فلذلك هو يغلى فقال ما صدقتمونى الخبر فقالوا انه قد انقطع منا الملك والنبوة فلذلك لم يقبل منا فذبح منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلا من رؤسهم فلم يهدأ فأمر بسبعمائة من علمائهم فذبحوا على الدم فلم يهدأ فلما رأى الدم لا يبرد قال لهم يا بنى اسرائيل أصدقونى واصبروا على أمر ربكم فقد طال ما ملكتم في الارض تفعلون ما شئتم قبل ان لا أدع منكم نافخ نار ولا ذكرا الا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر وقالوا هذا نبى كان ينهانا عن كثير مما يسخط الله ويخبرنا بخبركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه فقال ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتمونى لمثل هذا انتقم ربكم منكم وخر ساجدا وقال لمن حوله أغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من ههنا من جيش جودرس ففعلوا وخلا فى بنى اسرائيل ثم قال للدم يا يحيى قد علم ربى وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ باذن الله قبل ان لا يبقى من قومك أحد فسكن الدم ورفع نبوزاذان القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وصدقت به وأيقنت انه لا رب غيره ثم قال لبنى اسرائيل ان جودرس أمرنى ان اقتل فيكم حتى تسيل دماؤكم فى عسكره ولست أستطيع ان أعصيه قالوا افعل فأمرهم ان يحفروا حفيرة وأمر بالخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والابل فذبحها حتى كثر الدم واجرى عليه ماء فسال الدم فى العسكر فأمر بالقتلى الذين كان قتلهم فالقوا فوق المواشى فلما نظر جودرس الى الدم قد بلغ عسكره ارسل الى نبوزاذان ان ارفع القتل عنهم فقد انتقمت منهم بما عملوا وهى الوقعة الاخيرة التى أنزل الله ببنى اسرائيل يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا وعسى من الله حق وكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده ثم رد الله سبحانه لهم الكرة ثم كانت الوقعة الاخيرة جودرس وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبى ذراريهم ونسائهم يقول الله تعالى وليتبروا ما علوا تتبيرا وزعم بعض أهل العلم ان قتل يحيى كان أيام أردشير بن بابك وقيل كان قتله قبل رفع المسيح عليه السلام بسنة ونصف والله أعلم

الاخضر وركبوا من هناك الى درنه * وكان هروب جركس وخروجه من مصر يوم السبت سابع جمادى الآخرة (سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف) ثم انهم عملوا جمعية وكتبوا عرضحال بما حصل واعطوه للقابجى وسلموه ألف كيس من أصل حلوان بلاد اسمعيل بك ابن ايواظ وأمرائه وبلاد أبى شنب وابنه وأمرائه أيضا وذلك خلاف بلاد محمد بك قطامش ورضوان أغا وكور محمد أغا كتخدا قيطاس بك وكتبوا أيضا مكاتبة الى الوزير الاعظم بطلب محمد بك قطامش تابع قيطاس بك الذى تقدم ذكره وهروبه الى الروم بعد قتل سيده وختم عليه جميع الامراء الصناجق والاغوات واعطاه الباشا الى قابجى باشا فلما وصل الى الدولة طلب الوزير محمد بك فلما حضر بين يديه قال له أهل مصر ارسلوا يطلبونك اليهم بمصر فاعتذر بقلة ذات يده وانه مديون فانعموا عليه بالدفتردارية والذهاب الى مصر وكتبوا فرمانات لسائر الجهات باهدار دم محمد بك جركس أينما وجد لانه عاص ومفسد وأهل شر وذلك حسب طلب المصريين ثم ان محمد باشا والى مصر خلع على جماعة وقلدهم امريات فقلد مصطفى بن ايواظ صنجقية وحسن أغات الجملية سابقا صنجقية واسمعيل بن الدالى صنجقية ومحمد جاى بن يوسف بك الجزار صنجقية وسليمان كاشف القلاقة صنجقية وذلك خلاف الوجاقات والبلكات والسدادرة وغيرهم وسكن الحال وانتهت الرياسة بمصر الى ذى الفقار بك وعلى بك الهندى وحضر محمد بك قطامش الى مصر من الديار الرومية فلم يتمكن من الدفتردارية لان على

(ذكر قتل زكريا)

لما قتل يحيى وسمع أبوه بقتله فر هاربا فدخل بستانا عند بيت المقدس فيه اشجار فارسل الملك فى طلبه فمر زكريا بالشجرة فنادته هلم الى يا نبى الله فلما أتاها انشقت فدخلها فانطبقت عليه وبقى فى وسطها فاتى عدو الله ابليس فاخذ هدب ردائه فاخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا أخبرهم ثم اتى الطلب فاخبرهم فقال لهم ماتريدون فقالوا نلتمس زكريا فقال انه سحر هذه الشجرة فانشقت له فدخلها قالوا لا نصدقك قال فان لى علامة تصدقونى بها فاراهم طرف ردائه فاخذوا الفؤس وقطعوا الشجرة باثنتين وشقوها بالمناشير فمات زكريا فيها فسلط الله عليهم أخبث أهل الارض فانتقم به منهم وقيل ان السبب فى قتله ان ابليس جاء الى مجالس بنى اسرائيل فقذف زكريا بمريم وقال لهم ما أحبلها غيره وهو الذى كان يدخل عليها فطلبوه فهرب وذكر من دخوله الشجر نحو ما تقدم

(ذكر ولادة المسيح عليه الصلاة والسلام ونبوته الى آخر أمره)

كانت ولادة المسيح أيام ملوك الطوائف قالت المجوس كان ذلك بعد خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وبعد احدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين وقالت النصارى ان ولادته كانت لمضى ثلثمائة وثلاث وستين سنة من وقت غلبة الاسكندر على أرض بابل وزعموا ان مولد يحيى كان قبل مولد المسيح بستة اشهر وان مريم عليها السلام حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة وقيل عشرين وان عيسى عاش الى ان رفع اثنتين وثلاثين سنة وأياما وان مريم عاشت بعده ست سنين فكان جميع عمرها احدى وخمسين سنة وان يحيى قتل قبل ان يرفع المسيح وأتت المسيح النبوة والرسالة وعمره ثلاثون سنة وقد ذكرنا حال مريم فى خدمة الكنيسة وكانت هى وابن عمها يوسف بن يعقوب بن ماثان النجار يليان خدمة الكنيسة وكان يوسف حكيما نجارا يعمل بيديه ويتصدق بذلك وقالت النصارى ان مريم كان قد تزوجها يوسف ابن عمها الا انه لم يقربها الا بعد رفع المسيح والله أعلم وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف ابن عمها أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التى فيها الماء يستعذبان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذى لقيها فيه جبرائيل نفد ماؤها فقالت ليوسف ليذهب معها الى الماء فقال عندى من الماء ما يكفينى الى غد فاخذت قلتها وانطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت جبرائيل قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثنى اليك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا أى مطيعا لله قيل هو اسم رجل بعينه وتحسبه هو فقال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى

بك الهندى تقلدها بوجب الشرط السابق وكل قليل يذاكر محمد بك ذا الفقار بك فيقول له طوّل روحك فاتفق ان على بك
المعروف بابى الذهب ومصطفى بك بن ١٣٤ ايواظ ويوسف بك الخائن و يوسف بك الشرايبى وعبد الله أغا كتخدا
الجاويشية وسليمان أغا أبادفية والكل من فرقة القاسمية كانوا يجتمعون فى كل ليلة عند واحد منهم يعملون حظا و يشربون شرابا فاجتمعوا فى ليلة عند على بك أبى الذهب فلما أخذ الشراب من عقولهم تأوه مصطفى بك ابن ايواظ وقال يموت العزيز أخى الكبير والصغير و يصير الهندى مملوكنا سلطان مصر ونأكل من تحت يده والباشا فى قبضته وكان النيل قريب الوفاء فقال على بك انا أقتل الباشا يوم جبر البحر وقال أبودفية وأنا أقتل ذا الفقار وقال مصطفى بك وانا أقتل الهندى وكل واحد من الجماعة التزم بقتل واحد وقرؤا الفاتحة وكان معهم مملوك أصله من مماليك عبد الله بك ولما قتل سيده هرب الى الهند وأقام فى خدمته أياما فلما تقلد مصطفى بك الصنجقية أخذه من على بك الهندى فلما سمع منهم ذلك القول ذهب الى على بك الهندى وأخبره فأرسله الى ذى الفقار فأخبره أيضا فبعثه الى الباشا فأخبره فلما كان يوم الديوان وطلع على بك أبو الذهب قبض عليه الباشا وقتل تحت ديوان قايتباى وأحاط بداره ونهب ما فيها وكان وقرى
شيأ كثيرا وأرسل فى الوقت فرمانا الى الاغابالقبض على باقى الجماعة فقبضوا على مصطفى بك ابن ايواظ وأركبوه حمارا

غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا أى زانية قال كذلك قال ربك الى قوله أمرا مقضيا فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ فى جيب درعها ثم انصرف عنها وقد حملت بالمسيح وملأت قلتها وعادت وكان لا يعلم فى أهل زمانها أعبد منها ومن ابن عمها يوسف النجار وكان معها وهو أوّل من أنكر حملها فلما رأى الذى بها استعظمه ولم يدر على ماذا يضع ذلك منها فاذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا أراد أن يبرئها رأى الذى بها فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه لها ان قال لها انه قد وقع من أمرك شئ قد حرصت على ان أميته وأكتمه فغلبنى فقالت قل قولا جميلا فقال حدثينى هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل ينبت شجر بغير غيث يصيبه قالت نعم قال فهل يكون ولد بغير ذكر قالت له نعم ألم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه بغير بذر ألم تعلم ان الله خلق الشجر من غير مطر وانه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحدة منها وحده أو تقول لن يقدر الله على ان ينبت حتى يستعين بالبذر والمطر قال يوسف لا أقول هكذا ولكنى أقول ان الله يقدر على ما يشاء انما يقول لذلك كن فيكون قالت له ألم تعلم ان الله خلق آدم وحوّاء من غير ذكر ولا انثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه ان الذى بها شئ من الله لا يسعه ان يسألها عنه لما رأى من كتمانها له وقيل انها خرجت الى جانب الحجرات لحيض أصابها فاتخذت من دونهم حجابا من الجدران فلما طهرت اذا برجل معها وذكر الآيات فلما حملت أتتها خالتها امرأة زكريا ليلة تزورها فلما فتحت لها الباب التزمتها فقالت امرأة زكريا انى حبلى فقالت لها مريم وانا أيضا حبلى قالت امرأة زكريا فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك وولدت امرأة زكريا يحيى * وقد اختلف فى مدة حملها فقيل تسعة أشهر وهو قول النصارى وقيل ثمانية أشهر فكان ذلك آية أخرى لانه لم يعش مولود لثمانية أشهر غيره وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة وهو أشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله تعالى فحملته فانتبذت به مكانا قصيا عقيبه بالفاء فلما أحست مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقى فاتت اقصاه فاجاءها المخاض الى جذع النخلة فقالت وهى تتألم من الحبل استحياء من الناس ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا يعنى نسى ذكرى واثرى فلا يرى لى اثر ولا عين قالت مريم كنت اذا خلوت حدثنى عيسى وحدثته فاذا كان عندنا انسان سمعت تسبيحه فى بطنى فناداها جبرائيل من تحتها اى من أسفل الجبل لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير اجراه تحتها فمن قرأ من تحتها بكسر الميم جعل المنادى جبرائيل ومن فتحها قال انه عيسى انطقه الله وهزى اليك بجذع النخلة كان جذعا مقطوعا فهزته فاذا هو نخلة وقيل كان مقطوعا فلما اجهدها الطلق احتضنته فاستقام واخضر وأرطب فقيل لها وهزى اليك بجذع النخلة فهزته فتساقط الرطب فقال لها كلى واشربى

وصحبته مقدمه وأحضروه الى الباشا فامر بقتله وقتل معه مقدمه أيضا واختفى الباقون وأخذوا الفقار فرمانا بنفي هانم بنت ايواظ بك وأم محمد بك ابن أبي شنب وحظية على بك فانع عثمان جاويش القازدغلي في ذلك واستقبحه وضمن غائلتهن والزمهن أن لا يخرجن من بيوتهن ورتب لهن كفايتهن فلما حصل ذلك ضعف جانب القاسمية وانفرد على بك الهندي وكان ذو الفقار أرسل الى الشام فاحضر رضوان أغا ومحمد أغا الكور فجعلوا رضوان اغا أغات الجملية ومحمد بك الجزار غائب باقليم المنوفية فعند ذلك اغتنموا الفرصة وتحرك محمد بك قطامش في طلب الدفترداريه فدبروا امرهم مع يوسف جربجي عزبان البركاوي ورضوان أغا وعثمان جاويش القازدغلي وقتلوا على بك الهندي وذا الفقار قانصوه وأرسلوا الى محمد بك الجزار تجريدة وأميرها اسمعيل بك قيطاس وهو باقليم المنوفية وقلدوا مصطفى افندي الدمياطي صنجقية وجعلوه كمجرجا وقبضوا على سليمان بك أبي شنب وقضى اسمعيل بك أشغاله وسافر بالتجريدة الى المنوفية واخذ صحبته عربان نصف سعد وساروا الى محمد بك الجزار وكان لما وصله الخبر اخذ ما يعز عليه وترك الوطاق وارتحل الى جسر سديمة فلحقوه هنالك وحاربوه وحاربهم وقتل بينهم اجناد وعرب وحمى نفسه الى الليل ثم اخذ معه مملوكين وبعض احتياجات ونزل في مركب وسار الى رشيد وترك أربعة وعشرين مملوكا فاخذوا الهجن وساروا الى الامحيرين حتى جاوزوا وطاق اسمعيل

وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا وكان من صام في ذلك الزمان لا يتكلم حتى يمسي فلما ولدته ذهب ابليس فاخبر بني اسرائيل ان مريم قد ولدت فأقبلوا يشتد ون يدعونها فاتت به قومها تحمله وقيل ان يوسف النجار تركها في مغارة أربعين يوما ثم جاء بها الى أهلها فلما رأوها قالوا لها يا مريم لقد جئت شيأ فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فما بالك أنت وكانت من نسل هرون أخي موسى كذا قيل قلت انها ليست من نسل هرون انما هي من سبط يهودا بن يعقوب من نسل سليمان بن داود وانما كانوا يدعون بالصالحين وهرون من ولد لاوي بن يعقوب قالت لهم ما أمرها الله به بعد ذلك فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام أشارت اليه فغضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فتكلم عيسى فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا فكان أول ما تكلم به العبودية ليكون أبلغ في الحجة على من يعتقد انه اله وكان قومها قد أخذوا الحجارة ليرجموها فلما تكلم ابنها تركوها ثم لم يتكلم بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان وقال بنو اسرائيل ما احبلها غير زكريا فانه هو الذي كان يدخل عليها ويخرج من عندها فطلبوه ليقتلوه ففر منهم ثم ادركوه فقتلوه وقيل في سبب قتله غير ذلك وقد تقدم ذكره وقيل انه لما دنا نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجي من أرض قومك فانهم ان ظفروا بك عيروك وقتلوك وولدك فاحتملها يوسف النجار وسار بها الى أرض مصر فلما وصلا الى تخوم مصر ادركها المخاض فلما وضعت وهي محزونة قيل لها الا تحزني الآية الى انسيا فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء واصبحت الاصنام منكوسة على رؤسها وفزعت الشياطين فجاؤا الى ابليس فلما رأى جماعتهم سألهم فاخبروه فقال قد حدث في الارض حادث فطار عند ذلك وغاب عنهم فمر بالمكان الذي ولد فيه عيسى فرأى الملائكة محدقين به فعلم ان الحدث فيه ولم تمكنه الملائكة من الدنو من عيسى فعاد الى أصحابه واعلمهم بذلك وقال لهم ما ولدت امرأة الا وأنا حاضر واني لارجو ان اضل به أكثر ممن يهتدي واحتملته مريم الى أرض مصر فمكثت اثنتي عشرة سنة تكتمه من الناس فكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبيها قلت والقول الاول في ولادته بارض قومها لان القرآن اصح لقول الله تعالى فاتت به قومها تحمله وقوله كيف نكلم من كان في المهد صبيا وقيل ان مريم حملت المسيح الى مصر بعد ولادته ومعها يوسف النجار وهي الربوة التي ذكرها الله تعالى وقيل الربوة دمشق وقيل بيت المقدس وقيل غير ذلك فكان سبب ذلك الخوف من ملك بني اسرائيل وكان من الروم واسمه هيردوس فان اليهود اغروه بقتله فساروا الى مصر واقاموا بها اثنتي عشرة سنة الى ان مات ذلك الملك وعادوا الى الشام وقيل ان هيردوس

لم يرد قتله ولم يسمع به الا بعد رفعه وانما خافوا اليهود عليه والله اعلم

(ذكر نبوة المسيح وبعض معجزاته)

لما كانت مريم بمصر نزلت على دهقان وكانت داره يأوي اليها الفقراء والمساكين فسرق له مال فلم يتهم المساكين فحزنت مريم فلما رأى عيسى حزن امه قال أتريدين ان أدله على ماله قالت نعم قال انه أخذه الاعمى والمقعد اشتركا فيه حمل الاعمى المقعد فاخذه فقيل للاعمى ليحمل المقعد فأظهر العجز فقال له المسيح كيف قويت على حمله البارحة لما أخذتما المال فاعترفا واعاداه ونزل بالدهقان أضياف ولم يكن عنده شراب فاهتم لذلك فلما رآه عيسى دخل بيتا للدهقان فيه صفان من جرار فأمر عيسى بيده على أفواهها وهو يمشي فامتلأت شرابا وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة وكان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع أهلوهم وبما كانوا يأكلون قال وهب بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبي فضربه على رجله فقتله فألقاه بين رجلي المسيح متلطخا بالدم فانطلقوا به الى الحاكم في ذلك البلد فقالوا قتل صبيا فسأله الحاكم فقال ما قتلته فارادوا ان يبطشوا به فقال ائتوني بالصبي حتى أسأله من قتله فتعجبوا من قوله واحضروا عنده القتيل فدعا الله فأحياه فقال من قتلك فقال قتلني فلان يعني الذي قتله فقال بنو اسرائيل للقتيل من هذا قال هذا عيسى بن مريم ثم مات الغلام من ساعته وقال عطاء سلمت مريم عيسى الى صباغ يتعلم عنده فاجتمع عند الصباغ ثياب وعرض له حاجة فقال للمسيح هذه ثياب مختلفة الالوان وقد جعلت في كل ثوب منها خيطا على اللون الذي يصبغ به فاصبغها حتى أعود من حاجتي هذه فاخذها المسيح وألقاها في حب واحد فلما عاد الصباغ سأله عن الثياب فقال صبغتها فقال أين هي قال في هذا الحب قال كلها قال نعم قال لقد أفسدتها على أصحابها وتغيظ عليه فقال له المسيح لا تعجل وانظر اليها وقام وأخرجها كل ثوب منها على اللون الذي أراد صاحبه فتعجب الصباغ منه وعلم ان ذلك من الله تعالى ولما عاد عيسى وأمه الى الشام نزلوا بقرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى فأقام الى ان بلغ ثلاثين سنة فاوحى الله اليه ان يبرز للناس ويدعوهم الى الله تعالى ويداوي المرضى والزمنى والاكمه والابرص وغيرهم من المرضى ففعل ما أمر به وأحبه الناس وكثر اتباعه وعلا ذكره وحضر يوما طعام بعض الملوك وكان دعا الناس اليه فقعد على قصعة يأكل منها ولا تنقص فقال الملك من أنت قال انا عيسى بن مريم فنزل الملك عن ملكه واتبعه في نفر من أصحابه فكانوا الحواريين وقيل ان الحواريين هم الصباغ الذي تقدم ذكره وأصحاب له وقيل كانوا صيادين وقيل قصارين وقيل ملاحين والله اعلم وكانت عدتهم اثني عشر رجلا وكانوا اذا جاعوا أو عطشوا قالوا يا روح الله قد جعنا وعطشنا فيضرب بيده الى الارض فيخرج لكل انسان منهم رغيفان وما يشربون فقالوا من أفضل منا اذا شئنا أطعمتنا وسقيتنا

بك وتخلف عنهم مملوك ماشي فذهب الى وطاق اسمعيل بك قيطاس وعرفه بمكانهم فارسل اليهم كتخداه بطائفة فردوهم وأخذهم عنده فاقاموا في خدمته ولم يزل محمد بك في سيره حتى دخل الى رشيد واختفى في وكالة ووصل خبره الى حسين جربجي الخشاب فقبض عليه وقتله بعد أن استأذن في ذلك وتقلد في نظير ذلك الصنجقية وكشوفية البحيرة

(سنة أربعين ومائة وألف)

ونزل بعد ذلك الى البحيرة ثم حضر محمد بك جركس من غيبته ببلاد الافرنج وطلع على درنه وارسل مركبه التي وصل فيها الى الاسكندرية وحضر اليه امراؤه الذين تركهم قبل جهة قبلي فركب معهم ونزل الى البحيرة ليصل الاسكندرية فصادف حسين بك الخشاب ففر منه وغنم جركس خيامه وخيوله وجماله ثم رجع الى الفيوم ونزل على بني يوسف ثم ذهب الى القطيعة قرب جرجا واجتمع عليه القاسمية المشردون فخار به حسين بك حاكم جرجا والسدارة وقتل حسن بك وطائفته واستولى على رماتهم وعازقهم ووصلت اخباره الى مصر فجمع ذو الفقار بك جمعية واخرج فرمانا بسفر تجريدة فسافر اليه عثمان بك وعلي بك قطامش وعساكر فتلاقوا معه بوادي البهنسا فكانت الهزيمة على التجريدة واستولى محمد بك جركس ومن معه على مخيمهم وخيامهم وحال بينهم الليل ورجع المهزومون الى مصر فجمع ذو الفقار الامراء وقال واتفقوا على التشهيل واخراج تجريدة أخرى فاحتاجوا الى مصروف فطلبوا فرمانا من الباشا بمبلغ ثلثمائة كيس من

فقال افضل منكم من ياكل من كسب يده فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة ولما أرسله الله أظهر من المعجزات انه صوّر من الطين صورة طائر ثم نفخ فيه فصار طائرا باذن الله قيل هو الخفاش وكان غالبا على زمانه الطب فاتاهم بما أبرأ الاكمه والابرص واحيا الموتى بحيزالهم فمن أحياه عازر وكان صديقا لعيسى فمرض فارسلت اخته الى عيسى ان عازر يموت فسار اليه وبينهما ثلاثة أيام فوصل اليه وقد مات منذ ثلاثة أيام فاتى قبره فدعا له فعاش وبقي حتى ولد له وأحيا امرأة وعاشت وولد لها وأحيا سام بن نوح كان يوما مع الحواريين يذكر نوحا والغرق والسفينة فقالوا لو بعثت لنا من شهد ذلك فاتى تلا وقال هذا قبر سام ابن نوح ثم دعا الله فعاش وقال قد قامت القيامة فقال المسيح لا ولكن دعوت الله فاحياك فسألوه فاخبرهم ثم عاد ميتا وأحيا عزيرا النبي قال له بنو اسرائيل احي لنا عزيرا والا أحرقناك فدعا الله فعاش فقالوا ما تشهد لهذا الرجل قال اشهد انه عبد الله ورسوله واحيا يحيي بن زكريا واحيا غير من ذكرناه وكان يمشي على الماء

＊(ذكر نزول المائدة)＊

وكان من المعجزات العظيمة نزول المائدة وسبب ذلك ان الحواريين قالوا له يا عيسى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء فدعا عيسى فقال اللهم انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاوّلنا وآخرنا فانزل الله المائدة عليها خبز ولحم يأكلون منها ولا تنفد فقال لهم انها مقيمة ما لم تدخروا منها فما مضى يومهم حتى ادخروا وقيل أقبلت الملائكة تحمل المائدة عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أوّلهم وقيل كان عليها من ثمار الجنة وقيل كانت تمد بكل طعام الا اللحم وقيل كانت سمكة فيها طعم كل شئ فلما أكلوا منها وهم خمسة آلاف وزادت حتى بلغ الطعام ركبهم قالوا نشهد انك رسول الله ثم تفرقوا فتحدثوا بذلك فكذب به من لم يشهده وقالوا سحر أعينكم فافتتن بعضهم وكفر فمسخوا خنازير ليس فيهم امرأة ولا صبي فبقوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا وقيل كانت المائدة سفرة حمراء تحتها غمامة وفوقها غمامة وهم ينظرون اليها تنزل حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة واليهود ينظرون الى شئ لم يروا مثله ولم يجدوا ريحا أطيب من ريحها فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الجنة فقال المسيح لا من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة انما هو شئ خلقه الله بقدرته فقال لهم كلوا مما سألتم فقالوا له كل أنت يا روح الله فقال معاذ الله أن آكل منها فلم يأكل ولم يأكلوا منها فدعا المرضى والزمنى والفقراء فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة فشبعوا وهي بحالها لم تنقص فصح المرضى والزمنى واستغنى الفقراء ثم صعدت وهم ينظرون اليها حتى توارت وندم

من الميرى عن السنة القابلة فامتنع عليهم فركبوا عليه وانزلوه وقلدوا محمد بك قطامش قائمقام واخذوا منه فرمانا بطلوبهم وجهزوا أمر التجريدة واهتموا فيها اهتماما زائدا ورتبوا اشغالهم وخرجوا وجرت امور وحروب وقتل من جماعة جركس سليمان بك ثم وقعت الهزيمة على جركس ووصل الى مصر باكير باشا وذلك في سنة اثنتين وار بعين ومائة والف وطلع الى القلعة فمكث اشهرا وعزله العساكر في اواخر السنة وحصل بمصر في أيام هذه التجاريد ضنك عظيم وثار جماعة القاسمية المختفون بالمدينة ودبروا مكرهم ورئيسهم في ذلك سليمان أغا أبو دفية ودخل منهم طائفة على ذي الفقار بك وقت العشاء في رمضان وقتلوه وكان محمد بك جركس جهة الشرق ينتظر موعدهم معه فقضى الله بموت جركس خارج مصر وموت ذي الفقار داخلها ولم يشعر أحدهما بموت الآخر وكان بينهما خمسة أيام وثارت اتباع ذي الفقار بالقاسمية وظهروا عليهم وقتلوهم وشردوهم ولم يقم منهم قائم بعد ذلك الى يومنا هذا وانقرضت دولة القاسمية من الديار المصرية وظهرت دولة الفقارية وتفرع منها طائفة القازدغلية وسيأتي تتمة الاخبار عند ذكر تراجمهم في وفياتهم وقد جعلت هذا فصلا مستقلا من اوّل القرن الى سنة اثنتين وار بعين ومائة وألف التي هي آخر دولة القاسمية ＊(ذكر من مات في هذه السنين وماقبلها من هذا القرن وما قبله بقليل)＊ من العلماء والاعاظم على سبيل الاجمال بحسب الامكان فاني لم أعثر

الحواريون حيث لم يأكلوا منها وقيل انها انزلت أربعين يوما كانت تنزل يوما وتنقطع يوما وأمر الله عيسى أن يدعوا اليها الفقراء دون الاغنياء ففعل ذلك فاشتد على الاغنياء وجحدوا نزولها وشككوا في ذلك وشككوا غيرهم فيها فأوحى الله الى عيسى انى شرطت ان اعذب المكذبين عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلا فاصبحوا خنازير فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى وبكوا وبكى عيسى على الممسوخين فلما أبصرت الخنازير عيسى بكوا وطافوا به وهو يدعوهم باسمائهم وهم يشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا

(ذكر رفع المسيح الى السماء ونزوله الى امه وعوده الى السماء)

قيل ان عيسى استقبله ناس من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة وقذفوه وامه فسمع ذلك ودعا عليهم فاستجاب الله دعاءه ومسخهم خنازير فلما رأى ذلك رأس بنى اسرائيل فزع وخاف وجمع كلمة اليهود على قتله فاجتمعوا عليه فسألوه فقال يا معشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته وثاروا اليه ليقتلوه فبعث اليه جبريل فأدخله في خوخة الى بيت فيها روزنة في سقفها فرفعه الى السماء من تلك الروزنة فأمر رأس اليهود رجلا من أصحابه اسمه تطليانوس ان يدخل اليه فيقتله فدخل فلم ير أحدا وألقى الله عليه شبه المسيح فخرج اليهم فظنوه عيسى فقتلوه وصلبوه وقيل ان عيسى قال لاصحابه أيكم يحب أن يلقى عليه شبهى وهو مقتول فقال رجل منهم أنا يا روح الله فالقى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل ان الذى شبه بعيسى وصلب رجل اسرائيلى اسمه يوشع أيضا وقيل لما أعلم الله المسيح انه خارج من الدنيا جزع من الموت فدعا الحواريين فصنع لهم طعاما فقال احضرونى الليلة فان لى اليكم حاجة فلما اجتمعوا عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا أخذ يغسل أيديهم بيده ويمسحها بثيابه فتعاظموا ذلك وكرهوه فقال من يرد على الليلة شيأ مما أصنع فليس منى فاقروه حتى فرغ من ذلك ثم قال اما ما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدى فليكن لى اسوة فلا يتعاظم بعضكم على بعض واما حاجتى التى أستغيثكم عليها فتدعون الله لى وتجتهدون فى الدعاء ان يؤخر أجلى فلما نصبوا أنفسهم للدعاء أخذهم النوم حتى ما يستطيعون الدعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون لى ليلة قالوا والله ما ندرى ما لنا لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نقدر الليلة على سمر وكلما نريد الدعاء أحيل بيننا وبينه فقال يذهب بالراعى ويفترق الغنم وجعل ينعى نفسه ثم قال ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعنى أحدكم بدراهم يسيرة ولما كان ثمن خرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون أحد الحواريين وقالوا هذا صاحبه واختلف العلماء فى موته قبل رفعه الى السماء فقيل رفع ولم يمت وقيل توفاه الله ثلاث ساعات ثم أحياه ورفعه ولما رفع الى السماء قال الله له انزل فلما قالوا الشمعون

على شئ من تراجم المتقدمين من اهل هذا القرن ولم اجد شيأ مدونا فى ذلك الا ما حصلته من وفياتهم فقط وما وعيته فى ذهنى واستنبطته من بعض أسانيدهم واجازات أشياخهم على حسب الطاقة وذلك من أول القرن الى آخر سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف وهى أول دولة السلطان محمود بن عثمان *(وأولهم)* الامام العلامة والحبر الفهامة شيخ الاسلام والمسلمين وارث علوم سيد المرسلين الشيخ محمد الخرشى المالكى شارح خليل وغيره ويروى عن والده الشيخ عبد الله الخرشى وعن العلامة الشيخ ابراهيم اللقانى كلاهما عن الشيخ سالم السنهورى المالكى عن النجم الغيطى عن شيخ الاسلام زكريا الانصارى عن الحافظ ابن حجر العسقلانى بسنده الى الامام البخارى توفى سنة احدى ومائة وألف *(ومات)* الشيخ الامام شمس الدين محمد ابن داود بن سليمان العنانى نزيل الجنبلاطية أخذ عن على الحلبى صاحب السيرة والشهاب الغزى والشمس البابلى والشهاب الخفاجى والبرهان اللقانى وغيرهم حدث عنه حسن بن على البرهانى والحلبى والبديرى وغيرهم توفى سنة ثمان وتسعين وألف *(ومات)* امام المحققين وعمدة المدققين صاحب التآليف العديدة والتصانيف المفيدة السيد أحمد الحموى الحنفى ومن تصانيفه شرح الكنز وحاشية الدرر والغرر والرسائل وغير ذلك توفى أيضا فى تلك السنة رحمه الله ومن شيوخه الشيخ على الاجهورى والشيخ محمد بن علان والشيخ منصور الطوخى والشيخ أحمد الشبيشى والشيخ خليل اللقانى عن

عن المسيح جحد وقال ما أنا صاحبه فتركوه وفعلوا ذلك ثلاثا فلما سمع صياح الديك بكى وأحزنه ذلك وأتى احد الحواريين الى اليهود فدلهم على المسيح وأعطوه ثلاثين درهما فأتى معهم الى البيت الذي فيه المسيح فدخله فرفع الله المسيح وألقى شبهه على الذي دلهم عليه فأخذوه وأوثقوه وقادوه وهم يقولون له أنت كنت تحيي الموتى وتفعل كذا وكذا فهلا تنجي نفسك وهو يقول أنا الذي دللتكم عليه فلم يصغوا الى قوله ووصلوا به الى الخشبة وصلبوه عليها وقيل ان اليهود لما دلهم عليه الحواري اتبعوه وأخذوه من البيت الذي كان فيه ليصلبوه فاظلمت الارض وأرسل الله ملائكة فحالوا بينهم وبينه وألقى شبه المسيح على الذي دلهم عليه فأخذوه ليصلبوه فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا اليه فقتلوه وصلبوه عليها ورفع الله المسيح اليه بعد ان توفاه ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات ثم أحياه ورفعه ثم قال له انزل الى مريم فانه لم يبك عليك أحد بكاها ولم يحزن أحد حزنها فنزل عليها بعد سبعة أيام فاشتعل الجبل حين هبط نورا وهي عند المصلوب تبكي ومعها امرأة كان ابرأها من الجنون فقال ما شأنكما تبكيان قالتا عليك قال اني رفعني الله ولم يصبني الا خير وان هذا شئ شبه لهم وأمرها فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض رسلا عن الله وأمرهم ان يبلغوا عنه ما أمره الله به ثم رفعه الله اليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا فتفرق الحواريون حيث أمرهم فتلك الليلة التي اهبطه الله فيها هي التي تدخن فيها النصارى وتعدى اليهود على بقية الحواريين يعذبونهم ويشتمونهم فسمع بذلك ملك الروم واسمه هيردوس وكانوا تحت يده وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلا كان في بني اسرائيل وكان يفعل الآيات من احياء الموتى وخلق الطير من الطين والاخبار عن الغيوب فعدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم انه رسول الله فقال الملك ويحكم ما منعكم ان تذكروا هذا من أمره فوالله لو علمت ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايدى اليهود وسألهم عن دين عيسى فأخبروه وتابعهم على دينهم واستنزل المصلوب الذي شبه لهم فغيبه وأخذ الخشبة التي صلب عليها فأكرمها وصانها وعدا على بني اسرائيل وقتل منهم قتلى كثيرة فمن هناك كان أصل النصرانية في الروم وقيل كان هذا الملك هيردوس ينوب عن ملك الروم الاعظم الملقب قيصر واسمه طيباريوس وكان هذا أيضا يسمى ملكا وكان ملك طيباريوس ثلاثا وعشرين سنة منها الى ارتفاع المسيح ثماني عشرة سنة وأياما

(ذكر من ملك من الروم بعد رفع المسيح الى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم)

زعموا ان ملك الشام جميعه صار بعد طيباريوس الى ولده جايوس وكان ملكه أربع سنين ثم ملك بعده ابن له آخر اسمه قلوديوس أربع عشرة سنة ثم ملك بعده نيرون الذي

وغيرهم كالشيخ عبد الله بن عيسى العلم الغزي *(ومات)* علامة الفنون الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن أمين الدين محمد الضرير ابن شرف الدين حسين الحسيني الشهير بالشرنبابلي شيخ مشايخ الازهر في عصره كذا ذكر نسبه شيخنا السيد مرتضى نقلا عن سبطه العلامة محمد بدر الدين أخذ عن شيوخ عدة كالشيخ سلطان المزاحي والشيخ على الشبراملسي والنور الزيادي وأحمد البشبيشي وأجازه البابلي وأخذ عنه المليدي والملوي والجوهري والشبراوي بواسطة الشيخ عبد ربه الديوي توفي سنة اثنتين ومائة وألف *(ومات)* الشريف المعمر أبو الجمال محمد بن عبد الكريم الجزائري روى عن أبي عثمان سعيد قدوره وأبي البركات عبد القادر وأبي الوفاء الحسن بن مسعود اليوسي وأبي الغيث القشاشي وأجازه البابلي والاجهوري ومحمد الزرقاني وعبد العزيز بن محمد الزمزمي والشبراملسي والشهاب القليوبي والغنيمي والشهاب الشلبي ومحمد حجازي الواعظ ومفتي تعز محمد الحبشي والنجم الغزي والقشاشي والشهاب السبكي والمزاحي توفي سنة اثنتين ومائة وألف *(ومات)* الامام العالم العلامة أبو الامداد خليل بن ابراهيم اللقاني المالكي أخذ عن والده وعن أخويه عبد السلام ومحمد اللقانيين والنور الاجهوري والشبراملسي والشيخ عبد الله الخرشي والشمس البابلي وسلطان المزاحي والشيخ عامر الشبراوي والشهاب القليوبي والشمس الشوبري الشافعي وأحمد الشوبري الحنفي وعبد الجواد الجنبلاطي ويس العليمي الشامي وأحمد الدواخلي

وعلى النفتيتي وعقد دروسا بالمسجد الحرام وأخذ بها عن محمد بن علان الصديقي والقاضي تاج الدين المالكي وبالمدينة عن الوجيه الخياري وغرس الدين الخليلي وأجازوه توفي سنة خمس ومائة وألف *(ومات)*

قتل بطرس وبولس فصلبهما منكسين أربع عشرة سنة ثم ملك بعده بوطلايس أربعة أشهر ثم ملك اسفسيانوس وهذا الذي وجه ابنه طيطوس الى البيت المقدس فهدمه وقتل من بني اسرائيل غضبا للمسيح ثم ملك ابنه طيطوس ثم ملك أخوه دومطيانوس ست عشرة سنة ثم ملك بعده ناروس ستة سنين ثم ملك من بعده طرايانوس تسع عشرة سنة ثم ملك بعده هدريانوس احدى وعشرين سنة ثم ملك من بعده انطونينوس بن بطيانوس اثنتين وعشرين سنة ثم ملك مرقوس وأولاده تسع عشرة سنة ثم ملك بعده قومودوس ثلاث عشرة سنة ثم ملك من بعده فرطيناجوس ستة أشهر ثم ملك بعده سيواروس أربع عشرة سنة ثم ملك بعده انطينانوس سبع سنين ثم ملك من بعده مرقيانوس ست سنين ثم ملك من بعده انطينانوس أربع سنين وفي ملكه مات جالينوس الطبيب ثم ملك الخسندروس ثلاث عشرة سنة ثم ملك مكسيمانوس ثلاث سنين ثم ملك جورديانوس ست سنين ثم فيلفوس سبع سنين ثم ملك داقيوس ست سنين ثم ملك قالوس ست سنين ثم ملك والريانوس وقالينوس خمس عشرة سنة ثم ملك قلوديوس سنة ثم ملك قريطاليوس شهرين ثم ملك أورليانوس خمس سنين ثم ملك طيقطوس ستة أشهر ثم ملك فولورنوس خمسة وعشرين يوما ثم ملك فرويوس ست سنين ثم دقلطيانوس ست سنين ثم ملك مخسميانوس عشرين سنة ثم قسطنطين ثلاثين سنة ثم ملك يليانوس سنتين ثم ملك يويانوس سنة ثم ملك والنطيانوس وغرطيانوس عشر سنين ثم ملك غرطيانوس والنطيانوس الصغير سنة ثم ملك تيداسيس الاكبر سبع عشرة سنة ثم ارقاديوس وأنوريوس عشرين سنة ثم ملك تيداسيس الاصغر والنطيانوس ست عشرة سنة ثم ملك مرقيانوس سبع سنين ثم لاوست عشر سنين ثم ملك زانون ثماني عشرة سنة ثم ملك انسطاس سبعا وعشرين سنة ثم ملك يوسطنيانوس تسع سنين ثم ملك يوسطنيانوس الشيخ عشرين سنة ثم ملك يوسطينس اثنتي عشرة سنة ثم ملك طيباريوس ست سنين ثم مريقش وتاداسيس ابنه عشرين سنة ثم ملك فوقا الذي قتل سبع سنين وستة أشهر ثم هرقل الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين فمن لدن عمر البيت المقدس بعد ان أخربه بختنصر الى الهجرة على دولهم ألف سنة ونيف ومن ملك الاسكندر اليها تسعمائة ونيف وعشرون سنة فمن ذلك من وقت ظهوره الى مولد عيسى عليه السلام ثلثمائة سنة وثلاث سنين ومن مولده الى ارتفاعه اثنتان وثلاثون سنة ومن وقت ارتفاعه الى الهجرة خمسمائة وخمس وثمانون سنة وأشهر هذا الذي ذكره أبو جعفر من عدد ملوك الروم وقد أخلى ذكرهم عن شئ من الحوادث التي كانت في أيامهم وقد سطرها غيره من العلماء بالتاريخ وخالفه في كثير منها ووافقه في الباقي مع مخالفة الاسم وأضاف الى أسمائهم ذكر شئ من الحوادث في أيامهم وأنا أذكره مختصرا ان شاء الله

الامام أبو سالم عبد الله بن محمد ابن أبي بكر العياشي المغربي الامام الرحلة قرأ بالمغرب على شيوخ منهم أخوه الاكبر عبد الكريم بن محمد والعلامة أبو بكر بن يوسف السكتاني وامام المغرب سيدي عبد القادر الفاسي والعلامة أحمد ابن موسى الابار ورحل الى المشرق فقرأ بمصر على النور الاجهوري والشهاب الخفاجي وابراهيم المأموني وعلى الشبراملسي والشمس البابلي وسلطان المزاحي وعبد الجواد الطريني المالكي وجاور بالحرمين عدة سنين فأخذ عن زين العابدين الطبري وعبد الله بن سعيد باقشير وعلي بن الجمال وعبد العزيز الزمزمي وعيسى الثعالبي والشيخ ابراهيم الكردي وأجازوه ورجع الى بلاده وأقام بها الى أن توفي سنة تسعين وألف وله رحلة مجلدات وذكر فيها انه اجتمع بالشيخ حسن العجمي وأجاز كل صاحبه (ومات) الامام الحجة عبد الباقي ابن يوسف بن أحمد بن محمد بن علوان الزرقاني المالكي الوفائي ولد سنة عشرين وألف بمصر ولازم النور الاجهوري مدة وأخذ عن الشيخ يس الحمصي والنور الشبراملسي وحضر في دروس الشمس البابلي (ذكر الحديثية وأجازه جل شيوخه وتلقى الذكر من أبي الاكرام بن وفي سنة خمس وأربعين وألف وتصدر للاقراء بالازهر وله

(ذكر ملوك الروم وهم ثلاث طبقات فالطبقة الاولى الصابئون)

ذكر غير واحد من علماء التاريخ ان الروم غلبت اليونان وهم ولد صوفير والاسرائيليون يدعون ان صوفير هو الاصفر بن نفر بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانوا ينزلون رومية قبل غلبتهم على اليونان وكانوا يدينون قبل النصرانية بمذهب الصابئين ولهم أصنام يعبدونها على عادة الصابئين فكان أول ملوكهم برومية غاليوس وكان ملكه ثماني عشرة سنة وقيل كان ملك قبله روملس وارمانوس وهما بنياها واليهما نسبت وأضيف الروم اليها وانما غاليوس أول من يعد في التاريخ لشهرته ثم ملك بعده يوليوس أربع سنين وأربعة أشهر ثم ملك أوغسطس ومعناه الصبا وهو أول من سمي قيصر وتفسير ذلك انه شق عنه بطن أمه لانها ماتت وهي حامل به فاخرج من بطنها ثم صار ذلك لقبا لملوكهم وكان ملكه ستا وخمسين سنة وخمسة أشهر وأكثر المؤرخين يبتدؤن باسمه لانه أول من خرج من رومية وسير الجنود برا وبحرا وغزا اليونانيين واستولى على ملكهم وقتل قلوبطرة آخر ملوكهم واستولى على الاسكندرية ونقل ما فيها الى رومية وملك الشام واضمحل ملك اليونانيين ودخلوا في الروم واستخلف على البيت المقدس هيردوس بن انطيقوس ولاثنتين وأربعين سنة من ملكه كانت ولادة المسيح وهو الذي بنى قيصارية ثم ملك بعده طيباريوس ثلاثا وعشرين سنة وهو الذي بنى مدينة طبرية فأضيفت اليه وعربها العرب وفي ملكه رفع المسيح عليه السلام وملك بعد رفعه ثلاث سنين ثم ملك بعده ابنه غايوس أربع سنين وهو الذي قتل اصطفنوس رئيس الشمامسة عند النصارى ويعقوب أخا يوحنا ابن زبدي وهما من الحواريين وقتل خلقا من النصارى وهو أول الملوك من عباد الاصنام قتل النصارى ثم ملك قلوديوس بن طيباريوس أربع عشرة سنة وفي ملكه حبس شمعون الصفا ثم خلص شمعون من الحبس وسار الى انطاكية فدعا الى النصرانية ثم سار الى رومية فدعا أهلها أيضا فأجابته زوجة الملك وسارت الى البيت المقدس وأخرجت الخشبة التي تزعم النصارى ان المسيح صلب عليها وكانت في أيدي اليهود فأخذتها وردتها الى النصارى ثم ملك نيرون ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وفي آخر ملكه قتل بطرس وبولس بمدينة رومية وصلبهما منكسين وفي أيامه ظفرت اليهود بيعقوب بن يوسف وهو أول الاساقفة بالبيت المقدس فقتلوه وأخذوا خشبة الصليب فدفنوها وفي أيامه كان مارينوس الحكيم صاحب كتاب الجغرافيا في صورة الارض ثم ملك بعده غلباس سبعة أشهر ثم ملك أوتون ثلاثة أشهر ثم ملك بيطاليس أحد عشر شهرا ثم ملك أسباسيانوس سبع سنين وسبعة أشهر وفي أيامه خالف أهل البيت المقدس قيصر فحصرهم وافتتح المدينة عنوة وقتل كثيرا من أهلها من اليهود والنصارى وعمهم الاذى في أيامه ثم ملك ابنه طيطوس سنتين وثلاثة أشهر وفي أيامه

مؤلفات منها شرح مختصر خليل وغيره توفي في رابع عشرين رمضان سنة تسع وتسعين وألف وصلى عليه اماما بالناس الله محمد قوتي *(ومات)* عالم القدس الشيخ عبد الرحيم بن أبي اللطف الحسيني الحنفي المقدسي قرأ بمكة على الامام زين العابدين بن عبد القادر الطبري وبمصر على الشيخ الشبراملسي والشمس البابلي والشمس الشوبري والفقه على الشهاب الشوبري الحنفي وحسن الشرنبلالي وعبد الكريم الحموي الطرابلسي وبدمشق على السيد محمد بن علي بن محمد الحسيني المقدسي الدمشقي توفي غريبا بأدرنة سنة أربع ومائة وألف *(ومات)* الامام العلامة شمس الدين محمد بن قاسم بن اسمعيل البقري المقرئ الشافعي الصوفي الشناوي أخذ علم القرا آت عن الشيخ عبد الرحمن اليمني والحديث عن البابلي والفقه عن المزاحي والزيادي والشوبري ومحمد المنياوي والحديث أيضا عن النور الحلبي والبرهان اللقاني والطريقة عن عمه الشيخ موسى ابن اسمعيل البقري والشيخ عبد الرحمن الحلبي الاحمدي وغالب علماء مصر اما تلميذه أو تلاميذ تلميذه وألف وأجاد وانفرد ومولده سنة ثماني عشرة وألف وتوفي في رابع عشري جمادى الثانية سنة احدى عشرة ومائة وألف عن ثلاث وتسعين سنة *(ومات)* الاديب الفاضل الشاعر أبو بكر بن محمود بن أبي بكر بن أبي الفضل العمري الدمشقي الشافعي الشهير بالصفوري ولد بدمشق وبها نشأ ورحل الى مصر وتوطنها وأخذ بها عن الشمس البابلي ونظم سيرة الحلبي جزأ ولم يتمه وجمع

ثم الاستاذ محمد بن زين العابدين البكري وكان من الملازمين له توفي سنة اثنتين ومائة وألف ودفن بتربة ج خارج بولاق عند قصر الاستاذ البكري *(ومات)* السيد عبد الله بن عبد الرحمن بن

أظهر مرقيون مقالته بالاثنين وهما الخير والشر وبعد ثالث بينهما واليه ينسب المرقونية وهو من أهل حران ثم ملك ذومطيانش بن أسباسيانوس خمس عشرة سنة وعشرة أشهر ولتسع سنين من ملكه نفي يوحنا الحواري كاتب الانجيل الى جزيرة في البحر ثم رده ثم ملك نرواس سنة وخمسة أشهر ثم ملك طرايانوس تسع عشرة سنة وفي السادسة من ملكه توفي يوحنا كاتب الانجيل بمدينة افسوس ثم ملك أيليا اندريانوس عشرين سنة وقتل من اليهود والنصارى خلقا كثيرا لخلاف كان منهم عليه وأخرب البيت المقدس وهو آخر خرابه فلما مضى من ملكه ثمان سنين عمره أيضا وسماه أيليا فبقي الاسم عليه وكان قبل ذلك يسمى أورشلم وأسكن المدينة جماعة من الروم واليونان وبنى هيكلا عظيما للزهرة وكان عالي البنيان فهدم من أعلاه كثير وهو باق الى يومنا هذا وهو سنة ثلاث وستمائة وقد رأيته وهو محكم البناء ولا أدري كيف نسب الى داود وقد بني بعده بدهر طويل على أنني سمعت بالبيت المقدس من جماعة يذكرون ان داود بناه وكان يتفرغ فيه لعبادته وفي أيام هذا الملك كان ساقيدس الفيلسوف الصامت ثم ملك انطنينس بيوس اثنتين وعشرين سنة وفي أيامه كان بطليموس صاحب المجسطي والجغرافيا وغيرهما وقيل انه من ولد قلوديوس ولهذا قيل له القلوذي نسبة اليه وهو السادس من ملوك الروم ودليل كونه في هذا الزمان وليس من ملوك اليونان انه ذكر في كتاب المجسطي انه رصد الشمس بالاسكندرية سنة ثمانمائة وثمانين لبختنصر وكان من ملك بختنصر الى قتل دارا أربعمائة وتسع وعشرون سنة وثلثمائة وستة عشر يوما ومن قتل دارا الى زوال ملك قلوبطرة الملكة آخر ملوك اليونان على يد أوغسطس مائتا سنة وست وثمانون سنة ومدة غلبة أوغسطس الى انطنينوس مائة وسبع وستون سنة فمن ملك بختنصر الى ادريانوس ثمانمائة وثلاث وثمانون سنة تقريبا وهذا موافق لما حكاه بطليموس قال ومن زعم انه ابن قلوبطرة آخر ملوك اليونانيين فقد أبطل ذكر هذا بعض العلماء بالتاريخ وعدد ملوك اليونان وذكر مدة ملكهم على ما قال وأما أبو جعفر الطبري فانه ذكر في مدة ملكهم مائتي سنة وسبعا وعشرين سنة على ما تقدم ذكره ثم ملك بعده مرقس ويسمى أورليوس تسع عشرة سنة وفي ملكه أظهر ابن ديصان مقالته وكان اسقفا بالرها وهو من القائلين بالاثنين ونسب الى نهر على باب الرها يسمى ديصان وجد عليه منبوذا وبنى على هذا النهر كنيسة ثم ملك قومودوس اثنتي عشرة سنة وفي أيامه كان جالينوس قد أدرك بطليموس القلوذي وكان دين النصرانية قد ظهر في أيامه وذكرهم في كتابه في جوامع كتاب أفلاطون في السياسة ثم ملك برطيناقس ثلاثة أشهر ثم ملك يوليانوس شهرين ثم ملك سيوارس سبع عشرة سنة وشمل اليهود والنصارى في أيامه القتل والشر وبنى بالاسكندرية هيكلا عظيما سماه هيكل الآلهة ثم ملك

انطونيوس

بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن عبد الرحمن السقاف ترجمه صاحب المشرع فقال ولد بمكة وتربى في حجر والده وادرك شيخ الاسلام عمر بن عبد الرحيم البصري وصحب الشيخ محمد بن علوي وألبسه الخرقة وكذا أبو بكر ابن حسين العيدروس الشهير وزوجه ابنته وأخذ عنه العلوم الشرعية وزار جده وعاد الى مكة وبها توفي ليلة الجمعة سنة أربع ومائة وألف *(ومات)* الاستاذ زين العابدين محمد بن محمد بن محمد ابن الشيخ أبي المكارم محمد أبيض الوجه البكري الصديقي ولد سنة ستين وألف وكان تاريخ[3] ولادته أشرق الافق بزين العابدين توفي سنة سبع ومائة وألف في الفصل ودفن عند أسلافه بجوار الامام الشافعي رضي الله عنه *(ومات)* السند شيخ الشيوخ برهان الدين ابراهيم ابن حسن بن شهاب الدين الكوراني المدني ولد بشهران في شوال سنة خمس وعشرين وألف وأخذ العلم عن محمد شريف الكوراني الصديقي ثم ارتحل الى بغداد وأقام بها مدة ثم دخل دمشق ثم الى مصر ثم الى الحرمين وألقى عصا تسياره

[3] (قوله تاريخ الخ جمل اشرق الخ ألف وخمسون فلعل العشرة الباقية ذكرت في المصراع الاول أو الصواب وخمسين اهـ)

بالمدينة المنورة ولازم الصيفي القشاشي وبه تخرج وأجازه الشهاب الخفاجي والشيخ سلطان والشمس البابلي وعبد الله
ابن سعيد اللاهوري وأبو الحسين علي بن مطير الحكمي وقد أجاز لمن أدرك عصره وتوفي ثامن عشرين
جمادى الاولى سنة احدى
ومائة وألف *(ومات)*
الامام العلامة برهان الدين
ابراهيم بن مرعي الشبرخيتي
المالكي تفقه على الشيخ
الاجهوري والشيخ يوسف
الفيشي وله مؤلفات منها
شرح مختصر خليل في
مجلدات وشرح على العشماوية
وشرح على الاربعين النووية
وشرح على الفية السيرة
للعراقي مات غريقا بالنيل
وهو متوجه الى رشيد سنة
ست ومائة وألف *(ومات)
الاستاذ أبو السعود بن صلاح
الدين الدنجيهي الدمياطي
المولد والمنشا الشافعي الفاضل
البارع ولد سنة ألف وستين
وجوّد القرآن على العلامة
ابن المسعودي أبي النور
الدمياطي ثم قدم مصر ولازم
دروس الشهاب الشبشيري
وجد في الاشتغال وقدم مكة
وتوفي وهو راجع من الحج
بالمدينة في أوائل المحرم سنة
تسع ومائة وألف *(ومات)*
الامام العلامة مفتي المسلمين
الشيخ حسن بن علي بن محمد
ابن عبد الرحمن الجبرتي الحنفي
وهو جد الشيخ الوالد أخذ عن
أشياخ عصره من أهل القرن
الحادي عشر كالبابلي
والاجهوري والزرقاني وسلطان المزاحي والشبراملسي والشهاب الشوبري وتفقه على الشيخ حسن الشرنبلالي الكبير
ولازمه ملازمة كلية وكتب تقاريره على نسخ الكتب التي حضرها عليه ومنها كتاب الاشباه والنظائر للعلامة ابن نجيم

انطونيوس ست سنين ثم ملك مقرونيوس سنة وشهرين ثم ملك انطونيوس الثاني أربع سنين ثم ملك الاكصندروس ويلقب ماميامس ثلاث عشرة سنة ثم ملك مقسميانوس ثلاث سنين ثم ملك مقسموس ثلاثة أشهر ثم ملك غرديانوس ست سنين ثم ملك فيلبوس ست سنين وتنصر وترك دين الصابئين وتبعه كثير من أهل مملكته واختلفوا الذلك وكان فيمن خالفه بطريق يقال له داقيوس فقتل فيلبوس واستولى على الملك ثم ملك بعد فيلبس داقيوس سنتين وتتبع النصارى فهرب منه أصحاب الكهف الى غار في جبل شرقي مدينة افسوس وقد خربت المدينة وكان لبثهم فيه مائة وخمسين سنة وهذا باطل لانه على هذا السياق من حين رفع المسيح الى الآن نحو مائتي سنة وخمس عشرة سنة وكان لبث أصحاب الكهف على ما نطق به القرآن المجيد ثلثمائة وسبع سنين وازدادوا تسعا فذلك خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة فعلى هذا يكون ظهورهم قبل الاسلام بنحو ستين سنة وقد ذكرنا ان من لدن ظهورهم الى الهجرة زيادة على مائتي سنة فهذه الجملة أكثر من الفترة بين المسيح والنبي عليهما الصلاة والسلام الا ان هذا الناقل قد ذكر ان غيبتهم كانت مائة وخمسين سنة على ما نراه مذكورا وفيه مخالفة للقرآن ولولا نص القرآن لكان استقام له ما يريد ثم ملك بعده غاليوس سنتين وكان شريكه في الملك بوليانوس ملك خمس عشرة سنة ثم ملك قلوديوس ثم ملك ابنه أورليانوس ست سنين ثم ملك طاقسطوس وأخوه فورس تسعة أشهر ثم بروبس تسع سنين ثم ملك قاروس سنتين وخمسة أشهر ثم ملك دقلطيانوس سبع عشرة سنة ثم ملك مقسيمانوس وشاركه مقسنطيوس ثم اقتتلا فاقتسما الملك فملك الاب على الشام وبلاد الجزيرة وبعض الروم وملك الابن رومية وما اتصل بها من ارض الفرنج وملكا تسع سنين وتملك معهما قسطنس أبو قسطنطين بلاد بوزنطيا وما يليها وهي نواحي القسطنطينية ولم تكن بنيت حينئذ ثم مات قسطنس وملك بعده ابنه قسطنطين المعروف بامه هيلانا وهو الذي تنصر قال ومن أول ملوك الروم الى ههنا كانوا شبيهين بملوك الطوائف لا ينضبط عددهم وقد اختلف الناس فيهم كاختلافهم في ملوك الطوائف وانما الذي يعول عليه من قسطنطين الى هرقل الذي بعث محمد صلى الله عليه وسلم في أيامه ولقد صدق قائل هذا فان فيه من الاختلاف والتناقض ما ذكرنا بعضه عند ذكر دقيوس وأصحاب الكهف ولهذه العلة لم يذكر الطبري أصحاب الكهف في زمان أي الملوك كانوا وانما ذكرناه نحن لما في أيام الملوك من الحوادث

(الطبقة الثانية من ملوك الروم المتنصرة)

ثم ملك قسطنطين المعروف بامه هيلانا في جميع بلاد الروم وجرى بينه وبين مقسيمانوس وابنه حروب كثيرة فلما ماتا استولى على الملك وتفرد به وكان ملكه ثلاثا وثلاثين سنة

وثلاثة أشهر وهو الذى تنصر من ملوك الروم وقاتل عليها حتى قبلها الناس ودانوا بها الى هذا الوقت وقد اختلفوا فى سبب تنصره فقيل انه كان به برص وأراد وانزعه فأشار عليه بعض وزرائه ممن كان يكتم النصرانية باحداث دين يقاتل عليه ثم حسن له النصرانية يساعده من دان به ففعل ذلك فتبعه النصارى من الروم مع أصحابه وخاصته فقوى بهم وقهر من خالفه وقيل انه سير عساكر على اسماء أصنامهم فانهزمت العساكر وكان لهم سبعة أصنام على أسماء الكواكب السبعة على عادة الصابئين فقال له وزير له يكتم النصرانية فى هذا وازرى بالاصنام وأشار عليه بالنصرانية فأجابه فظفر ودام ملكه وقيل غير ذلك وهو الذى بنى مدينة القسطنطينية لثلاث سنين خلت من ملكه بمكانها الآن اختاره لحصانته وهى على الخليج الآخذ من البحر الاسود الى بحر الروم والمدينة على البر المتصل برومية وبلاد الفرنج والاندلس والروم تسميها استنبول يعنى مدينة الملك ولعشرين سنة مضت من ملكه كان السنهودس الاول بمدينة نيقية من بلاد الروم ومعناه الاجتماع فيه ألفان وثمانية وأربعون أسقفا فاختار منهم ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا متفقين غير مختلفين فحرموا اريوس الاسكندرانى الذى يضاف اليه الاريوسية من النصارى ووضع شرائع النصرانية بعد ان لم تكن وكان رئيس هذا المجمع بطرق الاسكندرية وفى السنة السابعة من ملكه صارت أمه هيلانا الرهاوية كان أبوه سباها من الرها فأولدها هذا الملك الى البيت المقدس واخرجت الخشبة التى تزعم النصارى ان المسيح صلب عليها وجعلت ذلك اليوم عيدا فهو عيد الصليب وبنت الكنيسة المعروفة بقمامة وتسمى القيامة وهى الى وقتنا هذا يحجها أنواع النصارى وقيل كان مسيرها بعد ذلك لان ابنها دان بالنصرانية فى قول بعضهم بعد عشرين سنة من ملكه وفى السنة الحادية والعشرين من ملكه طبق جميع ممالكه بالبيع وهو وأمه منها كنيسة حمص وكنيسة الرها وهى من العجائب ثم ملك بعده قسطنطين انطاكية أربعا وعشرين سنة بعهد من أبيه اليه وسلم اليه القسطنطينيه والى أخيه قسطنس انطاكية والشام ومصر والجزيرة والى أخيه قسطوس رومية وما يليهما من بلاد الفرنج والصقالبة وأخذ عليهما المواثيق بالانقياد لاخيهما قسطنطين ثم ملك بعده يوليانوس ابن اخيه سنتين وكان يدين بمذهب الصابئين ويخفى ذلك فلما ملك أظهرها وخرب البيع وقتل النصارى وهو الذى سار الى العراق ايام سابور بن اردشير فقتل بسهم غرب وقد ذكر أبو جعفر خبر هذا الملك مع سابور ذى الاكتاف وهو بعد سابور بن اردشير ثم ملك بعده يونيانوس سنة أظهر دين النصرانية ودان بها وعاد عن العراق ثم ملك بعده ولنطيوش اثنى عشرة سنة وخمسة أشهر ثم ملك والنس ثلاث سنين وثلاثة أشهر ثم ملك والنطيانوس ثلاث سنين ثم ملك تدوس الكبير ومعناه عطية الله تسع عشرة سنة وفى ملكه كان

وكتاب الدرر شرح الغرر للاخسرو وكلا النسختين بخطه الاصل وما عليهما من الهوامش ثم جرد ما عليهما فصارتا اليفين مستقلين وهما الحاشيتان المشهورتان على الدرر والاشباه للعلامة الشرنبلالى وكلتا النسختين وما عليهما من الهوامش موجودتان عندى الى الآن بخط المترجم ومن تآليفه رسالة على البسملة ولما توفى الاستاذ الشرنبلالى فى سنة تسع وستين وألف تصدر بعده للافادة والتدريس والافتاء واقرأ ولده الشيخ حسن وتقيد به حتى ترعرع ومهر وتوفى المترجم فى سنة ست وتسعين وألف وترك الجد ابراهيم صغيرا فربته والدته الحاجة مريم بنت المرحوم الشيخ محمد المنزلى حتى بلغ رشده فزوجته بينت عبد الوهاب أفندى الدلجى وعقد عقده عليها بحضرة كل من الشيخ جمال الدين يوسف أبى الارشاد بن وفى والشيخ عبد الحى الشرنبلالى الحنفى وشهاب الدين أحمد المرحومى والشيخ عبد الرؤف البشبيشى والشيخ شهاب الدين أحمد البرماوى والشيخ زين الدين أبى السعود الدنجيهى الشافعى الدمياطى شيخ المدرسة المتبولية والشيخ شمس الدين محمد الارمناوى وغيرهم المثبتة أسماؤهم فى حجة العقد فى كاغد كبير رومى محرر ومسطر بالذهب وعليه لوحة مموهة بالذهب مؤرخة بغاية شعبان سنة ثمان ومائة وألف وهى محفوظة عندى الى الآن بامضاء موسى أفندى بمحكمة الصالحية النجمية ودخل بها فى ربيع أول وحملت منه بالمرحوم الوالد فمات الجد بعد ولادة الوالد بشهر واحد وذلك فى سنة عشر ومائة وألف

وعمره ست عشرة سنة لاغير *(ومات)* الامام العلامة نور الدين حسن بن أحمد بن العباس بن أحمد بن العباس بن أبي
سعيد المكناسي ولد بها سنة ألف واثنتين وخمسين وقرأ على محمد بن أحمد الفاسي نزيل مكناس وحضر دروس سيدي
عبد القادر الفاسي وكثيرين
وقدم مصر سنة أربع وسبعين
وألف وحضر دروس
الشبراملسي ومنصور الطوخي
وأحمد البشبيشي ويحيى
الشهاوي وحج واجتمع على
السيد عبد الرحمن المحجوب
المكناسي وكانت له مشاركة
في سائر العلوم مات بمصر سنة
احدى ومائة وألف (ومات)
الشيخ الامام العلامة ابراهيم
ابن محمد بن شهاب الدين بن
خالد البرماوي الازهري
الشافعي الانصاري الاحمدي
شيخ الجامع الازهر قرأ على
الشمس الشوبري والمزاحي
والبابلي والشبراملسي ثم
لازم دروس الشهاب القليوبي
واختص به وتصدر بعده
بالتدريس في محله توفي سنة
ست ومائة وألف روى عنه
محمد بن خليل العجلوني وعلى
ابن علي المرحومي نزيل
مكة ورافقه المليحي في دروس
القليوبي وترجمه وأثنى عليه
وله تآليف عديدة *(ومات)*
عالم المغرب الشيخ الامام نور
الدين حسن بن مسعود اليوسي
قدم مكة حاجا سنة اثنتين ومائة
وألف وله مؤلفات عديدة
مشهورة توفي بالمغرب سنة
احدى عشرة ومائة وألف
(ومات) الامام العلامة شيخ الشيوخ الشيخ شاهين بن منصور بن عامر بن حسن
الارمناوي الحنفي ولد ببلده سنة ثلاثين وألف وحفظ القرآن والكنز والالفية والشاطبية والرحبية وغيرها ورحل الى

السنهودس الثاني بمدينة القسطنطينية اجتمع فيه مائة وخمسون اسقفا العنوا مقدونس واشياعه وكان فيه بطرك الاسكندرية وبطرك انطاكية وبطرك البيت المقدس والمدن التي يكون فيها كراسي البطرك أربع احداها رومية وهي لبطرس الحواري والثاني الاسكندرية وهي لمرقس أحد أصحاب الاناجيل الاربعة والثالثة القسطنطينية والرابعة انطاكية وهي لبطرس أيضا ولثمان سنين من ملكه ظهر أصحاب الكهف ثم ملك بعده ارقاديوس ابن تدوس ثلاث عشرة سنة ثم ملك تدوس الصغير ابن تدوس الكبير اثنتين وأربعين سنة ولاحدى وعشرين سنة من ملكه كان السنهودس الثالث بمدينة افسوس وحضر هذا المجمع مائتا اسقف وكان سببه ماظهر من نسطورس بطرك القسطنطينية وهو رأس النسطورية من النصارى من مخالفة مذهبهم فلعنوه ونفوه فسار الى صعيد مصر فاقام ببلاد اخميم ومات بقرية يقال لها سيصلح وكثر اتباعه وصار بسبب ذلك بينهم وبين مخالفيهم حرب وقتال ثم دثرت مقالته الى ان احياها برصوما مطران نصيبين قديما ومن العجائب ان الشهرستاني مصنف كتاب نهاية الاقدام في الاصول ومصنف كتاب الملل والنحل في ذكر المذاهب والآراء القديمة والجديدة ذكر فيه ان نسطور كان أيام المأمون وهذا تفرد به ولا أعلم له في ذلك موافقا ثم ملك بعده مرقيان ست سنين وفي أول سنة من ملكه كان السنهودس الرابع على ديقرس بطرك القسطنطينية اجتمع فيه ثلثمائة وثلاثون أسقفا وفي هذا المجمع خالفت اليعقوبية سائر النصارى ثم ملك ليون الكبير ست عشرة سنة ثم ملك ليون الصغير سنة وكان يعقوبي المذهب ثم ملك زينون سبع سنين وكان يعقوبيا فزهد في الملك فاستخلف ابنا له فهلك فعاد الى الملك ثم ملك نسطاس سبعا وعشرين سنة وكان يعقوبي المذهب وهو الذي بنى عمورية فلما حفر أساسها أصاب فيه مالا وفى بالنفقة على بنائها وفضل منه شئ بنى به بيعا وديرة ثم ملك يوسطين سبع سنين وأكثر القتل في اليعقوبية ثم ملك يوسطانوس تسعا وعشرين سنة وبنى بالرها كنيسة عجيبة وفي أيامه كان السنهودس الخامس بالقسطنطينية حرموا ادريا أسقف منبج لقوله بتناسخ الارواح في أجساد الحيوان وان الله يفعل ذلك جزاء لما ارتكبوه وفي أيامه كان بين اليعاقبة والملكية ببلاد مصر فتن وفي ايامه ثار اليهود ببيت المقدس وجبل الخليل على النصارى فقتلوا منهم خلقا كثيرا وبنى الملك من البيع والديرة شيئا كثيرا ثم ملك يوسطينوس ثلاث عشرة سنة وفي أيامه كان كسرى انوشروان ثم ملك طبياريوس ثلاث سنين وثمانية أشهر وكان بينه وبين انوشروان مراسلات ومهاداة وكان مغرى بالبناء وتحسينه وتزويقه ثم ملك موريق عشرين سنة وأربعة أشهر وفي أيامه ظهر رجل من أهل مدينة حماة يعرف بمارون اليه تنسب المارونية من النصارى وأحدث رأيا يخالف من تقدمه وتبعه خلق كثير بالشام ثم انهم انقرضوا ولم

الازهر فقرأ بالروايات على العلامة المقرئ عبد الرحمن اليمنى الشافعى ولازم فى الفقه العلامة أحمد الشوبرى وأحمد المنشاوى
الحنفيين وأحمد الرفاعى ويس الحمصى ومحمد المنزلاوى وعمر الدفرى والشهاب القليوبى وعبد السلام
اللقانى وابراهيم الميمونى الشافعى وحسن الشرنبلالى الحنفى وفى العلوم العقلية شيخ الاسلام محمد الشهير بسيبويه تلميذ أحمد بن قاسم العبادى ولازمه كثيرا وبشره باشياء حصلت له وأخذ عن العلامة سرى الدين الدرورى والشيخ على الشبراملسى والشمس البابلى وسلطان المزاحى واجازه جل شيوخه وتصدر للاقراء فى الازهر فى فنون عديدة وعنه أخذ جمع من الاعيان كمحمد ابن حسن الملا والسيد على الحنفى وغيرهما توفى سنة احدى ومائة وألف

(ومات) العلامة الشيخ أحمد بن حسن البشتكى أخذ عن البناء وعن الشيخ محمد الشرنبابلى وتوفى سنة عشر ومائة وألف *(ومات)* السيد الشريف عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه الترمى الامام الفقيه المحدث أخذ عن مصطفى بن زين العابدين العيدروس والسيد محمد سعيد وعنه ولده عبد الرحمن والسيد شيخ بن مصطفى العيدروس واخواه زين العابدين وجعفر توفى ببندر الشحر فى آخر جمادى ٤ سنة أربع ومائة وألف *(ومات)* خاتمة المحدثين بمصر شمس السنة محمد بن منصور الاطفيحى الوفائى الشافعى ولد سنة اثنتين وأربعين وألف وأخذ عن أبى الضياء على الشبراملسى وعن الشمس البابلى والشيخ سلطان

يعرف الآن منهم أحد وهذا موريق هو الذى قصده كسرى ابرويز حين انهزم من بهرام جوبين فزوجه ابنته وأمده بعساكره وأعاده الى ملكه على ما تقدم ذكره ان شاء الله ثم ملك بعده فوقاس وكان من بطارقة موريق فوثب به فاغتاله فقتله وملك الروم بعده وكان ملكه ثمان سنين وأربعة أشهر ولما ملك تتبع ولد موريق وحاشيته بالقتل فلما بلغ ذلك ابرويز غضب وسير الجنود الى الشام ومصر فاحتوى عليهما وقتلوا من النصارى خلقا كثيرا وسيرد ذلك عند ذكر ابرويز ثم ملك هرقل وكان سبب ملكه ان عساكر الفرس لما فتكت فى الروم ساروا حتى نزلوا على خليج القسطنطينية وحصروها وكان هرقل يحمل الميرة فى البحر الى أهلها فحسن موقع ذلك من الروم وبانت شهامته وشجاعته وأحبه الروم فحملهم على القتك بفوقاس وذكرهم سوء آثاره ففعلوا ذلك وقتلوه وملكوا عليهم هرقل

(ذكر الطبقة الثالثة من ملوك الروم بعد الهجرة)

فأولهم هرقل قد ذكر سبب ملكه وكان مدة ملكه خمسا وعشرين سنة وقيل احدى وثلاثين سنة وفى أيامه كان النبى صلى الله عليه وسلم ومنه ملك المسلمون الشام ثم ملك بعده ابنه قسطنطين وقيل هو ابن أخيه قسطنطين وكان ملكه تسع سنين وستة أشهر وسيرد خبره عند ذكر غزاة الصوارى ان شاء الله وفى أيامه كان السنهدوس السادس على لعن رجل يقال له قورس الاسكندرى خالف الملكية ووافق المارونية ثم ملك بعده ابنه قسطا خمس عشرة سنة فى خلافة على عليه السلام ومعاوية ثم ملك هرقل الاصغر بن قسطنطين أربع سنين وثلاثة أشهر ثم ملك قسطنطين بن قسطا ثلاث عشرة سنة بعض أيام معاوية وأيام يزيد وابنه معاوية ومروان بن الحكم وصدرا من أيام عبد الملك ثم ملك اسطينيان المعروف بالاخرم تسع سنين أيام عبد الملك ثم خلعه الروم وخرموا أنفه وحمل الى بعض الجزائر فهرب ولحق بملك الخزر واستنجده فلم ينجده فانتقل الى ملك برجان ثم ملك بعده لونطش ثلاث سنين أيام عبد الملك ثم ترك الملك وترهب ثم ملك افسمين المعروف بالطرسوسى سبع سنين فقصده اسطينيان ومعه برجان وجرى بينهما حروب كثيرة وظفر به اسطينيان وخلعه وعاد الى ملكه فكان ذلك أيام الوليد بن عبد الملك واستقر اسطينيان وكان قد شرط لملك برجان ان يحمل اليه خراجا كل سنة فعسف الروم وقتل بها خلقا كثيرا فاجتمعوا عليه وقتلوه فكان ملكه الثانى سنتين ونصفا وكان قتله أول دولة سليمان بن عبد الملك ثم ملك نسطاس بن فيلافوس وكان فى أيامه اختلاف بين الروم فخلعوه ونفوه ثم ملك تيدوس المعروف بالارمنى فى أيام سليمان بن عبد الملك أيضا وهو الذى حصره مسلمة بن عبد الملك ثم ملك بعده اليون ابن قسطنطين لضعفه عن الملك وضمن اليون للروم رد المسلمين عن القسطنطينية فملكوه فكان ملكه ستا وعشرين سنة ومات فى السنة التى بويع فيها الوليد بن يزيد بن عبد

الملك

المزاحي والشمس محمد عمر الشوبري الصوفي والشهاب أحمد القليوبي توفي سنة خمس عشرة ومائة وألف تاسع عشر شوال

(ومات) امام المحققين الشيخ عبدالحي بن عبدالحق بن عبد الشافي الشرنبلالي الحنفي علامة المتأخرين وقدوة المحققين ولد ببلده ونشأ بها ثم ارتحل الى القاهرة واشتغل بالعلوم وأخذ عن الشيخ حسن الشرنبلالي والشهاب أحمد الشوبري وسلطان المزاحي والشمس البابلي وعلى الشبراملسي والشمس محمد العناني والسري محمد بن ابراهيم الدروري والسراج عمر بن عمر الزهري المعروف بالدفري وتفقه بهم ولازم فضلاء عصره في الحديث والمعقول وأخذ أيضا عن الشيخ العلامة يس بن زين الدين العليمي الحمصي والشيخ عبد المعطي البصير والشيخ حسين النماوي وابن خفاجي واجتهد وحصل واشتهر بالفضيلة والتحقيق وبرع في الفقه والحديث وأكب عليهما آخرا واشتهر بهما وشارك في النحو والاصول والمعاني والصرف والفرائض مشاركة تامة وقصدته الفضلاء وانتفعوا به وانتهت اليه رياسة مصر توفي سنة سبع عشرة ومائة والف ودفن عند معبد السيدة نفيسة (ومات) الشيخ الامام الفقيه الفرضي الحيسوب صالح بن حسن بن أحمد بن علي البهوتي الحنبلي أخذ عن أشياخ وقته وكان عمدة في مذهبه وفي المعقول والمنقول والحديث وله عدة تصانيف وحواش وتعليقات وتقييدات مفيدة متداولة بأيدي الطلبة أخذ عن الشيخ منصور البهوتي الحنبلي ومحمد الخلوتي واخذ الفرائض عن الشيخ سلطان المزاحي ومحمد الدجوني وهو

الملك ثم ملك بعده ابنه قسطنطين احدى وعشرين سنة وفي ايامه انقرضت الدولة الاموية وتوفي لاشهر سنين مضت من ايام منصور ثم ملك بعده ابنه اليون تسع عشرة سنة وأربعة أشهر بقية أيام منصور وتوفي في خلافة المهدي ثم ملك بعده ريني امرأة اليون بن قسطنطين ومعها ابنها قسطنطين بن اليون وهي تدبر الامر بقية أيام المهدي والهادي وصدرا من خلافة الرشيد فلما كبر ابنها أفسد ما بينه وبين الرشيد وكانت أمه مهادنة له فقصده الرشيد وجرى له معه وقعة فانهزم وكاد يؤخذ فكحلته أمه وانفردت بالملك بعده خمس سنين وهادنت الرشيد ثم ملك بعدها نقفور وأخذ الملك منها وكان ملكه سبع سنين وثلاثة أشهر وهو نقفور بن استبراق وكنت قد رأيته مضبوطا بكثير من الكتب بسكون القاف حتى رأيت رجلا زعم ان اسمه نقفور بفتح القاف وعهد نقفور الى ابنه استبراق بالملك بعده وهو أول من فعل ذلك في الروم ولم يكن يعرف قبله وكانت ملوك الروم قبل نقفور تلقاها وكذلك ملوك الفرس فلم يفعله نقفور وكانت ملوك الروم قبله تكتب من فلان ملك النصرانية فكتب نقفور من فلان ملك الروم وقال لست ملك النصرانية كلها وكانت الروم تسمي العرب سارقينوس يعني عبيد سارة بسبب هاجر أم اسمعيل فنهاهم عن ذلك وجرى بين نقفور وبين برجان حرب سنة ثلاث وتسعين ومائة فقتل فيها ثم ملك بعده ابنه استبراق بعهد من أبيه اليه وكان ملكه شهرين ثم ملك بعده ميخائيل بن جرجس وهو ابن عم نقفور وقيل ابن استبراق وكان ملكه سنتين في أيام الامين وقيل أكثر من ذلك فوثب به اليون المعروف بالبطريق وغلب على الامر وحبسه ثم ملك بعده اليون البطريق سبع سنين وثلاثة أشهر فوثب به اصحاب ميخائيل في خلاص صاحبهم وقتل اليون ثم فتح لهم ذلك وعاد ميخائيل الى الملك وقيل انه كان قد ترهب أيام اليون وكان ملكه هذه الدفعة الثانية تسع سنين وقيل أكثر من ذلك ثم ملك بعده ابنه توفيل بن ميخائيل أربع عشرة سنة وهو الذي فتح زبطرة وسار المعتصم بسبب ذلك وفتح عمورية وكان موته أيام الواثق ثم ملك بعده ابنه ميخائيل ثمانيا وعشرين سنة وكانت أمه تدبر الملك معه وأرادت قتله فترهبت وخرج عليه رجل من اهل عمورية من ابناء الملوك السالفة يعرف بابن بقراط فلقيه ميخائيل فيمن عنده من أسارى المسلمين فظفر به ميخائيل فقتله ثم خرج عليه بسيل الصقلبي فاستولى على الملك وقتل ميخائيل سنة ثلاث وخمسين ومائتين ثم ملك بعده بسيل الصقلبي عشرين سنة أيام المعتز والمهتدي وصدرا من ايام المعتمد وكانت امه صقلبية فنسب اليها وقد غلط حمزة الاصفهاني فيه فقال عند ذكر ميخائيل ثم انتقل الملك عن الروم وصار في الصقالبة فتقلده بسيل الصقلبي ظنا منه ان أباه كان صقلبيا ثم ملك بعده ابنه اليون بن بسيل ستا وعشرين سنة أيام المعتمد والمعتضد والمكتفي وصدرا من أيام المقتدر وقيل ان وفاته كانت سنة

من مشايخ الشيخ عبد الله الشبراوى ولازم عمه الشمس الحلوتى وأخذ الحديث عن الشيخ عامر الشبراوى وله الفية فى الفقه والفية فى الفرائض ونظم الكافى توفى يوم الجمعة ثامن عشرين ربيع الاول سنة احدى وعشرين ومائة وألف

(ومات) الامام العلامة محمد فارس التونسى من ذرية سيدى حسن الششترى الاندلسى وهو والد الشيخ محمد ابن محمد فارس من أكابر الصوفية كان يحفظ غالب ديوان جده أقام بدمياط مدة ثم رجع الى مصر ومات بها سنة أربع عشرة ومائة وألف

(ومات) الامام العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الباقى بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقانى المالكى خاتمة المحدثين مع كمال المشاركة وفصاحة العبارة فى باقى العلوم ولد بمصر سنة خمس وخمسين وألف وأخذ عن النور الشبراملسى وعن حافظ العصر البابلى وعن والده وحدث عنه العلامة السيد محمد بن محمد ابن محمد الاندلسى وعبد الله الشبراوى والملوى والجوهرى والسيد زين الدين عبد الحى ابن زين العابدين بن الحسن البهنسى وعمر بن يحيى بن مصطفى المالكى والبدر البرهانى وله المؤلفات النافعة كشرح الموطا وشرح المواهب واختصر المقاصد الحسنة للسخاوى ثم اختصر هذا المختصر فى نحو كراسين باشارة والده وعم نفعها وكان معيدا لدروس الشبراملسى وكان يعتنى بشأنه كثيرا وكان اذا غاب يسأل عنه ولا يفتتح درسه الا اذا حضر مع انه أصغر الطلبة فكان يحسده الناس فى جماعته وكان الشيخ يعتذر عن ذلك و يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم (ذكر

سبع وتسعين ومائتين ثم ملك اخوه الاسكندروس سنة وشهرين ومات بالدبيلة وقيل انه اغتيل لسوء سيرته ثم ملك بعده قسطنطين بن اليون وهو صبى وتولى الامر له بطريق بطريق البحر واسمه ارمانوس وشرط على نفسه شروطا منها انه لا يطلب الملك ولا يلبس التاج لا هو ولا أحد من أولاده فلم يمض غير سنتين حتى خوطب هو وأولاده بالملوك وجلس مع قسطنطين على السرير وكان له ثلاثة من الولد فخصى أحدهم وجعله بطرقا ليأمن من المنازعة فان البطرق يحكم على الملك فبقى على حاله الى سنة ثلاثين وثلثمائة من الهجرة فاتفق ابناه مع قسطنطين الملك على ازالة أبيهما فدخلا عليه وقبضاه وسيراه الى دير له فى جزيرة بالقرب من القسطنطينيه وأقام ولداه مع قسطنطين نحو أربعين يوما وأراد الفتك به فسبقهما الى ذلك وقبض عليهما وسيرهما الى جزيرتين فى البحر فوثب أحدهما بالموكل به فقتله وأخذه أهل تلك الجزيرة فقتلوه وأرسلوا رأسه الى قسطنطين الملك فجزع لقتله وأما ارمانوس فانه مات بعد أربع سنين من ترهبه ودام ملك قسطنطين بقية أيام المقتدر والقاهر والراضى والمستكفى و بعض أيام المطيع ثم خرج على قسطنطين هذا قسطنطين ابن اندرونقس وكان أبوه قد توجه الى المكتفى سنة أربع وتسعين ومائتين وأسلم على يده وتوفى فهرب ابنه هذا على طريق ارمينيا وأذربيجان الى بلاد الروم فاجتمع عليه خلق كثير وكثر اتباعه فسار الى القسطنطينية ونازع الملك قسطنطين فى ملكه وذلك سنة احدى وثلثمائة فظفر به الملك فقتله وخرج عن طاعته أيضا صاحب رومية وهى كرسى ملك الافرنج وتسمى بالملك ولبس ثياب الملوك وكان قبل ذلك يطيع ملوك الروم أصحاب القسطنطينية ويصدرون عن أمرهم فلما كان سنة أربعين وثلثمائة قوى ملك رومية فخرج عن طاعته فأرسل اليه قسطنطين العساكر يقاتلونه ومن معه من الافرنج فالتقوا واقتتلوا فانهزمت الروم وعادت الى القسطنطينية منكوبة فحينئذ كف قسطنطين عن معارضته ورضى بالمسالمة وجرى بينهما مصاهرة فزوج قسطنطين ابنه ارمانوس بابنة ملك رومية ولم يزل أمر الافرنج بعد هذا يقوى و يزداد ويتسع ملكهم كالاستيلاء على بعض بلاد الاندلس على ما نذكره وكاخذهم جزيرة صقلية وبلاد ساحل الشام والبيت المقدس على ما نذكره وفى آخرة الامر ملكوا القسطنطينية سنة احدى وستمائة على ما نذكره ان شاء الله ومما ينبغى ان يلحق بهذا ان الطوائف من الترك اجتمعت منهم البجناك والبجنى وغيرهما وقصدوا مدينة للروم قديمة تسمى وليسة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وحصروها فبلغ خبرهم الى ارمانوس فسير اليهم عسكرا كثيفا فيهم من المتنصرة اثنا عشر الفا فقتلوا قتالا شديدا فانهزم الروم واستولى الترك على المدينة وخربوها بعد ان اكثروا القتل فيها والسبي والنهب ثم ساروا الى القسطنطينيه وحصروها أربعين يوما واغاروا على بلاد الروم واتصلت غاراتهم الى بلاد الافرنج ثم عادوا راجعين

(ذكر وصول قبائل العرب الى العراق ونزولهم الحيرة)

قال ابن الكلبي لما مات بختنصر انضم الذين اسكنهم الحيرة من العرب الى أهل الانبار وبقيت الحيرة خرابا دهرا طويلا وأهلها بالانبار لا يطلع عليهم قادم من العرب فلما كثر اولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ومزقتهم الحروب خرجوا يطلبون الريف فيما يليهم من اليمن ومشارف الشام واقبلت منهم قبائل حتى نزلوا بالبحرين وبها جماعة من الازد وكان الذين اقبلوا من تهامة مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم ابن اسد بن وبرة بن قضاعة ومالك بن زهير بن عمرو بن فهم في جماعة من قومهم والحيقاد ابن الحنق بن عمير بن قبيص بن معد بن عدنان في قبيص كلها ولحق بهم غطفان بن عمرو ابن الطمثان بن عوذ مناة بن يقدم بن افصى بن دعمى بن اياد بن نزار بن معد بن عدنان وغيره من اياد فاجتمع بالبحرين قبائل من العرب وتحالفوا على التنوخ وهو المقام وتعاقدوا على التناصر والتساعد فصاروا يدا واحدة وضمهم اسم تنوخ وتنخ عليهم بطون من غمارة بن لخم ودعا مالك بن زهير جذيمة الابرش بن مالك بن فهم بن غانم بن اوس الازدى الى التنوخ معه وزوجه أخته لميس فتنخ جذيمة وكان اجتماعهم أيام ملوك الطوائف وانما سموا ملوك الطوائف لان كل ملك منهم كان ملكه على طائفة قليلة من الارض قال ثم تطلعت أنفس من كان بالبحرين الى ريف العراق فطمعوا في ان يغلبوا الاعاجم فيما يلى بلاد العرب أو مشاركتهم فيه لاختلاف بين ملوك الطوائف فاجمعوا على المسير الى العراق فكان أوّل من طلع منهم الحيقاد بن الحنق في جماعة من قومه واخلاط من الناس فوجدوا الارمانيين وهم الذين ملكوا أرض بابل وما يليها الى ناحية الموصل يقاتلون الاردوانيين وهم ملوك الطوائف وهو ما بين نفر وهى قرية من سواد العراق الى الابلة فدفعوهم عن بلادهم والارمانيون من بقايا ارم فلهذا سموا الارمانيين وهم نبط السواد ثم طلع مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله وغيرهم من تنوخ الى الانبار على ملك الارمانيين وطلع غمارة ومن معه الى نفر على ملك الاردوانيين وكانوا لا يدينون للاعاجم حتى قدمها تبع وهو اسعد ابو كرب بن مليكيكرب في جيوشه فخلف بها من لم يكن فيه قوة من عسكره وسار تبع ثم رجع اليهم فاقرهم على حالهم ورجع الى اليمن وفيهم من كل القبائل ونزلت تنوخ من الانبار الى الحيرة في الاخبية لا يسكنون بيوت المدر وكان أوّل من ملك منهم مالك بن فهم وكان منزله مما يلى الانبار ثم مات مالك فملك بعده أخوه عمرو بن فهم بن غانم بن دوس الازدى ثم مات فملك بعده جذيمة الابرش بن فهم وقيل ان جذيمة من العادية الاولى من بنى دمار ابن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام والله أعلم

(ذكر جذيمة الابرش)

أوصانى به توفى سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف *(ومات)* الشيخ رضوان امام الجامع الازهر في غرة رمضان سنة خمس عشرة ومائة وألف *(ومات)* الشيخ المجذوب أحمد أبو شوشة خفير باب زويلة وكانت كراماته ظاهرة وكان يضع في فمه نحو المائة ابرة ويأكل ويشرب وهى في فمه لا تعوقه عن الاكل والشرب والكلام مات في يوم الثلاثاء سابع عشرى جمادى الآخرة سنة خمس عشرة ومائة وألف *(ومات)* السند العمدة الشيخ حسن أبو البقاء بن على ابن يحيى بن عمر العجمى المكى الحنفى صاحب الفنون ولد سنة تسع وأربعين وألف كما وجدته بخط والده وبها نشأ وحفظ القرآن وعدة متون وأخذ عن الشيخ زين العابدين الطبرى وعلى بن الجمال وعبد الله بن سعيد باقشير والسيد محمد صادق وحنيف الدين المرشدى والشمس البابلى وبالمدينة على القشاشى ولبس منه الخرقة وأخذ عن جمع من الوافدين كعيسى الجعفرى ومحمد بن محمد العيثاوى الدمشقى وعبد القادر بن احمد الفضى الغزى وعبد الله بن أبى بكر العياشى وأجازه جل شيوخه وكتب اليه بالاجازة غالب مشايخ الاقطار كالشيخ أحمد العجلى وهو من المعمرين والشيخ على الشبراملسى وعبد القادر الصفورى الدمشقى والسيد محمد بن كمال الدين بن حمزة الدمشقى والشيخ عبد القادر الفاسى واعتنى باسانيد الشيوخ ودرس بالحرم وأفاد وانتفع به جماعة من الاعلام كالشيخ عبد الخالق الزجاجى الحنفى المكى وأحمد بن محمد بن على المدرس المدنى وتاج الدين الدهان الحنفى المكى

ومحمد بن الطيب بن محمد الفاسي والشيخ مصطفى بن فتح الله الحموي توفي ظهر يوم الجمعة ثالث شوال سنة ثلاث عشرة ومائة وألف بالطائف ودفن بالقرب

من ابن عباس * (ومات) * السيد عبد الله الامام العلامة الشيخ

أحمد المرحومي الشافعي وذلك سنة اثني عشرة ومائة وألف * (ومات) * الاستاذ المعظم والملاذ المفخم صاحب النفحات والاشارات الشيخ يوسف بن عبد الوهاب أبو الارشاد الوفائي وهو الرابع عشر من خلفائهم تولى السجادة يوم وفاة والده في ثاني رجب سنة ثمان وتسعين وألف وسار سيرا حسنا بكرم نفس وحشمة زائدة ومعروف وديانة الى ان توفي في حادي عشر المحرم سنة ثلاث عشرة ومائة وألف ودفن بحوطة اسلافه رضي الله عنهم * (ومات) * الفقيه محمد بن سالم الحضرمي العوفي أخذ عن سليمان بن أحمد النجار وعنه محمد بن عبد الرحمن بن محمد العيدروس توفي بالهند سنة احدى عشرة ومائة وألف * (ومات) * الامام العلامة المفيد الشيخ أحمد بن محمد المنفلوطي الاصل القاهري الازهري المعروف بابن الفقيه الشافعي ولد سنة أربع وستين وألف وأخذ القراآت عن الشمس البقري والعربية عن الشهاب السندوبي وبه تفقه والشهاب البشبيشي ولازمه السنين العديدة في علوم شتى وكذا أخذ عن النور الشبراملسي وحضر دروس الشهاب المرحومي وكان اماما عالما بارعا ذكيا حلو التقرير رقيق العبارة جيد الحافظة يقرر العلوم الدقيقة بدون مطالعة مع طلاقة الوجه والبشاشة وطارح التكلف ومن تآليفه حاشية

قال وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأيا وابعدهم مغارا وأشدهم نكاية وأول من استجمع له الملك بارض العراق وضم اليه العرب وغزا بالجيوش وكان به برص فكنت العرب عنه فقيل الوضاح والابرش اعظاما له وكانت منازله ما بين الحيرة والانبار وبقة وهيت وعين التمر واطراف البر الى الغمير وخفية وتجبى اليه الاموال وتفد اليه الوفود وكان غزا طسما وجديسا في منازلهم من اليمامة فاصاب حسان بن تبع اسعد أبي كرب قد أغار عليهم فعاد بمن معه وأصاب حسان سرية لجذيمة فاجتاحها وكان له صنمان يقال لهما الضيزنان وكانت اياد بعين أباغ فذكر لجذيمة غلام من لخم في اخواله من اياد يقال له عدي بن نصر بن ربيعة له جمال وظرف فغزاهم جذيمة فبعثت اياد من سرق صنميه وحملهما الى اياد فارسلت اليه ان صنميك اصبحا فينا زهدا فيك فان أوثقت لنا ان لا تغزونا دفعناهما اليك قال وتدفعون معهما عدي بن نصر فأجابوه الى ذلك وارسلوه مع الصنمين فضمه الى نفسه وولاه شرابه فأبصرته رقاش اخت جذيمة فعشقته وراسلته ليخطبها الى جذيمة فقال لا اجترئ على ذلك ولا أطمع فيه فقالت اذا جلس على شرابه فاسقه صرفا واسق القوم ممزوجا فاذا أخذت الخمر فيه فاخطبني اليه فلن يردك فاذا زوجك فأشهد القوم ففعل عدي ما أمرته فاجابه جذيمة واملكه اياها فانصرف اليها فأعرس بها من ليلته وأصبح بالخلوق فقال له جذيمة وانكر ما رأى به ما هذه الآثار يا عدي قال آثار العرس قال أي عرس قال عرس رقاش قال من زوجكها ويحك قال الملك فندم جذيمة وأكب على الارض متفكرا وهرب عدي فلم ير له أثر ولم يسمع له بذكر فأرسل اليها جذيمة

خبريني وأنت لا تكذبيني * أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد فأنت أهل لعبد * أم بدون فأنت أهل لدون

فقالت لا بل أنت زوجتني امرأ عربيا حسيبا ولم تستأمرني في نفسي فكف عنها وعذرها ورجع عدي الى اياد فكان فيهم فخرج يوما مع فتية متصيدين فرمى به فتى منهم فيما بين جبلين فتنكس فمات وحملت رقاش فولدت غلاما فسمته عمرا فلما ترعرع وشب البسته وعطرته وازارته خاله فلما رآه أحبه وجعله مع ولده وخرج جذيمة متبديا باهله وولده في سنة خصيبة فاقام في روضة ذات زهر وغدر فخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكمأة فكانوا اذا أصابوا كمأة جيدة أكلوها واذا أصابها عمرو خبأها فانصرفوا الى جذيمة يتعادون وعمرو يقول هذا جناي وخياره فيه اذ كل جان يده في فيه فضمه جذيمة اليه والتزمه وسر بقوله وأمر فجعل له حلي من فضة وطوق فكان أول عربي ألبس طوقا فبيناهو على أحسن حاله اذا استطارته الجن فطلبه جذيمة في الآفاق زمانا فلم يقدر عليه ثم أقبل رجلان من بلقين من قضاعة يقال لهما مالك وعقيل ابنا فارج بن مالك من الشام يريدان جذيمة واهديا له طرفا فنزلا منزلا ومعهما فتية لهما تسمى ام عمرو فقدمت طعاما

فبينما

على الاشموني لم تكمل وأخرى على شرح أبي شجاع للخطيب ورسالة في بيان السنن والهيآت هل هي داخلة في الماهية أو خارجة عنها وأخرى في أشراط الساعة وشرح البدور السافرة ومات قبل تبييضه فاختلسه بعض الناس و بيضه ونسبه لنفسه وكتمه توفي فجأة قيل مسموما صبيحة يوم الاثنين سابع عشري شوّال سنة ثمان عشرة ومائة وألف *(ومات)* الامام العالم العلامة الشيخ محمد النشرتي المالكي وهو كان وصيا على المرحوم الشيخ الوالد بعد موت الجد توفي يوم الاحد بعد الظهر وأخر دفنه الى صبيحة يوم الاثنين وصلى عليه بالازهر بمشهد حافل وحضر جنازته الصناجق والامراء والاعيان وكان يوما مشهودا وذلك سنة عشرين ومائة وألف (ومات) السيد أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن محمد ابن عبد الرحمن بن عبد الله ابن احمد بن علي بن محمد بن احمد ابن الفقيه المقدم ولد بتريم وأخذ عن احمد بن عمر البيتي والفقيه عبد الرحمن بن علو بلفقيه وأبي بكر بن عبد الرحمن ابن شهاب العيدروس والقاضي أحمد بن الحسين بلفقيه وأحمد بن عمر عيديد وغيرهم وأجازوه وتميز في العلوم وتمهر ودرس وصنف في الفقه والفرائض وممن روى عنه شيخ وجعفر وزين العابدين أولاد مصطفى بن زين العابدين ابن العيدروس ومصطفى بن شيخ بن مصطفى العيدروس وغيرهم توفي بالشحر سنة ثمان عشرة ومائة وألف *(ومات)* الاديب الاريب الشيخ أحمد الدلجاوي شاعر وقته له ديوان في مجلد ومن كلامه وفيه التوجيه قر يحص وشانه * برضا ومغرم بسقه

فبينما هما يأكلان اذ اقبل فتى عريان قد تلبد شعره وطالت اظفاره وساءت حاله فجلس ناحية عنهما ومد يده يطلب الطعام فناولته الفتية كراعا فأكلها ثم مد يده ثانية فقالت لا تعط العبد الكراع فيطمع في الذراع فذهبت مثلا ثم سقتهما من شراب معها وأوكت زقها فقال عمرو بن عدي

صددت الكاس عنا أمّ عمرو * وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة أمّ عمرو * بصاحبك الذي لا تصبحينا

فسألاه عن نفسه فقال ان تنكراني وتنكرا نسبي فانني أنا عمرو بن عدي ابن تنوخية اللخمي وغدا ما تريانني في غمارة غير معصي فنهضا وغسلا رأسه وأصلحا حاله والبساه ثيابا وقالا ما كنا لنهدي لجذيمة أنفس من ابن أخته فخرجا به الى جذيمة فسر به سرورا شديدا وقال لقد رأيته يوم ذهب وعليه طوق فما ذهب من عيني وقلبي الى الساعة وأعادوا عليه الطوق فنظر اليه وقال كبر عمرو عن الطوق وأرسلها مثلا وقال لمالك وعقيل ما حكمكما قالا حكمنا منادمتك ما بقينا وبقيت فهما نديما جذيمة اللذان يضرب بهما مثلا وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة العمليقي من عاملة العمالقة فتحارب هو وجذيمة فقتل عمرو وانهزمت عما كره وعاد جذيمة سالما وملكت بعد عمرو ابنته الزباء واسمها نائلة وكان جنود الزباء بقايا العماليق وغيرهم وكان لها من الفرات الى تدمر فلما استجمع لها امرها واستحكم ملكها اجمعت لغزو جذيمة تطلب بثار أبيها فقالت لها اختها زبيبة وكانت عاقلة ان غزوت جذيمة فانما هو يوم له ما بعده والحرب سجال وأشارت بترك الحرب واعمال الحيلة فأجابتها الى ذلك وكتبت الى جذيمة تدعوه الى نفسها وملكها وكتبت اليه انها لم تجد ملك النساء الا قبحا في السماع وضعفا في السلطان وانها لم تجد لملكها ولا لنفسها كفؤا غيره فلما انتهى كتاب الزباء اليه استخف ما دعته اليه وجمع اليه ثقاته وهو ببقة من شاطئ الفرات فعرض عليهم ما دعته اليه واستشارهم فاجمع رأيهم على أن يسير اليها ويستولي على ملكها وكان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد من لخم وكان سعد تزوج أمة لجذيمة فولدت له قصيرا وكان أديبا حازما ناصحا لجذيمة قريبا منه فخالفهم فيما أشاروا به عليه وقال رأي فاتر وعدو حاضر فذهبت مثلا وقال لجذيمة اكتب اليها فان كانت صادقة فلتقبل اليك والا لم تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت أباها فلم يوافق جذيمة ما أشار به قصير وقال له لا ولكنك امرؤ رأيك في الكن لا في الضح فذهبت مثلا ودعا جذيمة ابن أخته عمرو بن عدي فاستشاره فشجعه على المسير وقال ان غمارة قومي مع الزباء فلو رأوك صاروا معك فأطاعه فقال قصير لا يطاع لقصير أمر وقالت العرب ببقة أبرم الامر فذهبتا مثلا واستخلف جذيمة عمرو بن عدي على ملكه وعمرو بن عبد الجن على خيوله معه وسار في وجوه أصحابه فلما نزل الفرضة قال لقصير ما الرأي قال

عاينه بلطف * وسائله حكم بضبط * فاجابني وهو الذي * طرق الهداية ليس يخطى * لست الامام وانما *
أنا قاسم والله معطى *

(وله تخميس) على قصيدة ابن مليك منه * كل ساق عليك ساق الطلا كل
سيف لحظيك للبرية ماكل
حيثما الكاس لون خديك
شاكل
فتفداك ساقيا قد كساك الـ
حسن من فرقيك المضىء
لساقك

جل من في هواه أسهر طرفي
يامليحا في حسنه حار وصفي
كلما رمت صبوة لست أخفي
تشرق الشمس من يديك ومن فيـ
ـك الثريا والبدر من اشراقك

ياملكا بدولة الحسن طرا
مشترى اللحظ مات باللحظ شطرا
وعجيب قوس الحواجب أرى
أوليس العجيب كونك بدرا
كاملا والخلاق من عشاقك

(وله مواليا)

بالله عليك أثيلات النقا تهززن
أغصانك خبريني لاجفنك
الحزن
من الظباء اللواتي حزن قلبي حزن
حل حزن من جانب الجرعاء
أوما حزن

(الجواب)

قالت نعم حزن بالجرعاء
لما شزن
أوتارهن وألفاظ القنا برزن
قلت ارحمي قالت اسمع والعيون
يغمزن
ان لم تعاود يجددن البكا والحزن
توفي سنة ثلاث وعشرين
ومائة وألف وأرخه الشبراوي
بقوله سألت الشعر هل لك من صديق * وقد سكن الدلنجاوي لحده *
فصاح وخر مغشيا عليه * وأصبح ساكنا في القبر عنده * فقلت لمن أراد الشعر أقصر * فقد أرخت مات الشعر بعده يا قصير

بيعة تركت الرأى فذهبت مثلا واستقبله رسل الزباء بالهدايا والالطاف فقال يا قصير كيف ترى قال خطر يسير وخطب كبير فذهبت مثلا وستلقاك الخيول فان سارت امامك فان المرأة صادقة وان أخذت جنبيك وأحاطت بك فان القوم غادرون فاركب العصا وكانت فرسا لجذيمة لاتجارى فاني راكبها ومسايرك عليها فلقيته الكتائب فحالت بينه وبين العصا فركبها قصير ونظر اليه جذيمة موليا على متنها فقال

ويل امه حزما على متن العصا * فذهبت مثلا وقال ماضل من تجرى به العصا فذهبت مثلا وجرت به الى غروب الشمس ثم نفقت وقد قطعت أرضا بعيدة فبنى عليها برجا يقال له برج العصا وقالت العرب خير ماجاءت به العصا مثل تضربه وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيول حتى دخل على الزباء فلما رأته تكشفت فاذا هي مظفورة الاسب والاسب بالباء الموحدة هو شعر الاست وقالت له ياجذيمة اداب عروس ترى فذهبت مثلا فقال بلغ المدى وجف الثرى وأمر غدر أرى فذهبت مثلا فقالت له أما والهي مابنا من عدم مواس ولا قلة أواس ولكنها شيمة ما اناس فذهبت مثلا وقالت له انبئت ان دماء الملوك شفاء من الكلب ثم أجلسته على نطع وأمرت بطست من ذهب فاعدله وسقته الخمر حتى أخذت منه مأخذها ثم أمرت براهشيه فقطعا وقدمت اليه الطست وقد قيل لها ان قطر من دمه شئ في غير الطست طلب بدمه وكانت الملوك لاتقتل بضرب الرقبة الا في قتال تكرمة للملك فلما ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه في غير الطست فقالت لاتضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعوا ماضيعه أهله فذهبت مثلا فهلك جذيمة وخرج قصير من الحي الذين هلكت العصا بين أظهرهم حتى قدم على عمرو بن عدى وهو بالحيرة فوجده قد اختلف هو وعمرو بن عبد الجن فاصلح بينهما وأطاع الناس عمرو بن عدى وقال له قصير تهيأ واستعد ولا تطل دم خالك فقال كيف لي بها وهي امنع من عقاب الجو فذهبت مثلا وكانت الزباء سألت كهنة عن أمرها وهلاكها فقالوا العسا ترى هلاكك بسبب عمرو بن عدى ولكن حتفك بيدك فحذرت عمرا واتخذت نفقا من مجلسها الى حصن لها داخل مدينتها ثم قالت ان فجأني أمر دخلت النفق الى حصني ودعت رجلا مصورا حاذقا فأرسلته الى عمرو بن عدى متنكرا وقالت له صوره جالسا وقائما ومنفصلا ومتنكرا ومتسلحا بهيئته ولبسه ولونه ثم أقبل الى ففعل المصور ما أوصته الزباء وعاد اليها وأرادت ان تعرف عمرو بن عدى فلا تراه على حال الا عرفته وحذرته وقال قصير لعمرو اجدع انفي واضرب ظهري ودعني واياها فقال عمرو وما أنا بفاعل فقال قصير خل عني اذا وخلاك ذم فذهبت مثلا فقال عمرو فأنت أبصر فجدع قصير أنفه ودق بظهره وخرج كأنه هارب وأظهر أن عمرا فعل ذلك به وسار حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيرا بالباب فأمرت به فادخل عليها فاذا أنفه قد جدع وظهره قد ضرب فقالت لامر ما جدع قصير أنفه فذهبت مثلا قالت ما الذي أرى بك

يا قصير قال زعم عمرو انى غدرت خاله وزينت له المسير اليك ومالأتك عليه ففعل بى ما ترين فاقبلت اليك وعرفت انى لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك فأكرمته وأصابت عنده بعض ما أرادت من الحزم والرأى والتجربة والمعرفة بأمور الملك فلما عرف انها قد استرسلت اليه ووثقت به قال لها ان لى بالعراق أموالا كثيرة ولى بها طرائف وعطر فابعثينى لاحمل مالى واحمل اليك من طرائفها وصنوف ما يكون بها من التجارات فتصيبين ارباحا وبعض ما لا غنى للملوك عنه فسرحته ودفعت اليه أموالا وجهزت معه عيرا فسار حتى قدم العراق وأتى عمرو بن عدى متخفيا وأخبره الخبر وقال جهزنى بالبز والطرف وغير ذلك لعل الله يمكنك من الزباء فتصيب ثارك وتقتل عدوك فأعطاه حاجته فرجع بذلك كله الى الزباء فعرضه عليها فاعجبها وسرها وازدادت به ثقة ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته به فى المرة الاولى فسار حتى قدم العراق وحمل من عند عمرو حاجته ولم يدع طرفة ولا متاعا قدر عليه ثم عاد الثالثة فاخبر عمرا الخبر وقال اجمع لى ثقات أصحابك وجندك وهيئ لهم الغرائر وهو أول من عملها واحمل كل رجلين على بعير فى غرارتين واجعل معقد رؤسهما من باطنهما وقال له اذا دخلت مدينة الزباء أقمتك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا باهل المدينة فمن قاتلهم قاتلوه وان أقبلت الزباء تريد نفقها قتلتها ففعل عمرو ذلك وساروا فلما كانوا قريبا من الزباء تقدم قصير اليها فبشرها وأعلمها كثرة ما حمل من الثياب والطرائف وسألها ان تخرج وتنظر الى الابل وما عليها وكان قصير يكمن النهار ويسير الليل وهو أول من فعل ذلك فخرجت الزباء فابصرت الابل تكاد قوائمها تسوخ فى الارض فقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا ✽ اجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا باردا شديدا ✽ أم الرجال جثما قعودا

ودخلت الابل المدينة فلما توسطتها أنيخت وخرج الرجال من الغرائر ودل عمرو على باب النفق وصاحوا باهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو على باب النفق وأقبلت الزباء تريد الخروج من النفق فلما أبصرت عمرا قائما على باب النفق عرفته بالصورة التى عملها المصور فمصت سما كان فى خاتمها فقالت بيدى ولا بيد عمرو فذهبت مثلا وتلقاها عمرو بالسيف فقتلها وأصاب ما أصاب من المدينة ثم عاد الى العراق وصار الملك بعد جذيمة لابن اخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن سعود بن مالك بن غنم بن نمارة ابن لخم وهو أول من اتخذ الحيرة منزلا من ملوك العرب فلم يزل ملكا حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل مائة وثمانى عشرة سنة منها ايام ملوك الطوائف خمس وتسعون سنة وايام اردشير بن بابك اربع عشرة سنة واشهر وايام ابنه سابور بن اردشير ثمان سنين وشهران وكان منفردا بملكه يغزو المغازى ولا يدين لملوك الطوائف الى ان ملك اردشير بن بابك اهل فارس ولم يزل الملك فى ولده الى

✽(ومات)✽ الشيخ العلامة المفيد سليمان المنزوزى الازهرى توفى سنة اربع وعشرين ومائة وألف ✽(ومات)✽ الامام المحدث الاخبارى مصطفى بن فتح الله الحموى الحنفى المكى أخذ عن العجمى والبابلى والنخلى والثعالبى والبصرى والشبراملسى والمزاحى ومحمد الشلبى وابراهيم الكورانى وشاهين الارمناوى والشهاب أحمد الشبيشى وأكثر عن الشاميين وله رحلة الى اليمن توسع فيها فى الاخذ عن أهلها وألف كتابا فى وفيات الاعيان سماه فوائد الارتحال ونتائج السفر فى أخبار أهل القرن الحادى عشر توفى سنة اربع وعشرين ومائة وألف حدث عنه السيد عمر بن عقيل العلوى ✽(ومات)✽ السيد السند صاحب الكرامات والاشارات السيد عبد الرحمن السقاف باعلوى نزيل المدينة قال الشيخ العيدروس فى ذيل المشرع ولد بالديار الحضرمية ورحل الى الهند فأخذ بها الطريقة النقشبندية عن الاكابر العارفين واشتغل بها حتى لاحت عليه أنوارها وورد الحرمين فقطن بالمدينة المنورة وبها تزوج الشريفة العلوية العيدروسية من ذرية السيد عبد الله صاحب الرهط وممن أخذ عليه بها الطريقة الشيخ محمد حياة السندى باشارة بعض الصالحين وكان المترجم يخبر عن نفسه انه لم يبق بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاب وانه لم يعط الطريقة النقشبندية لاحد الا باذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه أعطى سيف أبى بكر بن العيدروس الاكبر الذى يشير اليه بقوله

وسيفي في غمده * لدفع الشدائد ممدود * (وقوله) * بسيفي يلاقي المهند * وقائع تشيب الوليد * ولم يزل على طريقة حميدة حتى توفي بها سنة أربع وعشرين ومائة وألف * (ومات) * الامام الهمام عمدة المسلمين والاسلام الشيخ عبد ربه بن أحمد الديوي الضرير الشافعي أحد العلماء مصابيح الاسلام ولد ببلده ونشأ بها ثم ارتحل الى دمياط وجاور بالمدرسة المتبولية فحفظ القرآن وعدة متون منها البهجة الوردية واشتغل هناك على أفاضلها كالشمس ابن أبي النور ولازمه في الفنون وتفقه به وقرأ عليه القرآن بالروايات وأخذ عنه الطريق وتهذب به ثم ارتحل الى القاهرة فحضر عند الشهاب الشبيشي قليلا ثم لازم الشمس الشرنبابلي في فنون الى ان توجه الى الحج فأمره بالجلوس موضعه والتقييد بجماعته فتصدى لذلك وعم النفع به وبرعت طلبته وقصدته الفضلاء من الآفاق وكان اماما فاضلا فقيها نحويا فرضيا حيسوبا عروضيا بحرا ماهرا كثير الاستحضار غريب الحافظة صافي السريرة مشتغل الباطن بالله جميل الظاهر بالعلم توفي يوم السبت ثالث عشر ربيع الآخر ودفن يوم الاحد بعد الصلاة عليه بالازهر بمشهد حافل عظيم اجتمع فيه الخاص والعام وذلك سنة ست وعشرين ومائة وألف * (ومات) * الشيخ الامام والعمدة الهمام عبد الباقي القليوبي وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف

* (ومات) * الشيخ العلامة أبو المواهب محمد بن الشيخ تقي الدين عبد الباقي بن عبد القادر الحنبلي البعلي الدمشقي مفتي

ان كان آخرهم النعمان بن المنذر الى ايام ملوك كندة على ما نذكره ان شاء الله وقيل في سبب مسير ولد نصر بن ربيعة الى العراق غير ما تقدم وهو رؤيا رآها ربيعة وسنذكرها عند امر الحبشة ان شاء الله تعالى

* (ذكر طسم وجديس وكانوا ايام ملوك الطوائف) *

كان طسم بن لوذ بن ازهر بن سام بن نوح وجديس بن عامر بن ازهر بن سام ابني عم وكانت مساكنهم موضع اليمامة وكان اسمها حينئذ جوا وكانت من اخصب البلاد واكثرها خيرا وكان ملكهم ايام ملوك الطوائف عمليق وكان ظالما قد تمادى في الظلم والغشم والسيرة الكثيرة القبح وأن امرأة من جديس يقال لها هزيلة طلقها زوجها واراد اخذ ولدها منها فخاصمته الى عمليق وقالت ايها الملك حملته تسعا ووضعته دفعا وارضعته شفعا حتى اذا تمت اوصاله ودنا فصاله اراد ان يأخذه مني كرها ويتركني بعده ورها فقال زوجها ايها الملك انها اعطيت مهرها كملا ولم اصب منها طائلا الا وليدا خاملا فافعل ما كنت فاعلا فامر الملك بالغلام فصار في غلمانه وان تباع المرأة وزوجها فيعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى المرأة عشر ثمن زوجها فقالت هزيلة

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا * فانفذ حكما في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعا * ولا كنت فيمن يبرم الحكم عالما
ندمت ولم اندم واني بعترتي * واصبح بعلي في الحكومة نادما

فلما سمع عمليق قولها امر ان لا تزوج بكر من جديس وتهدى الى زوجها حتى يفترعها فلقوا من ذلك بلاء وجهدا وذلا ولم يزل يفعل ذلك حتى زوجت الشموس وهي عفيرة بنت عباد اخت الاسود فلما ارادوا حملها الى زوجها انطلقوا بها الى عمليق لينالها قبله ومعها القينات فلما دخلت عليه افترعها وخلى سبيلها فخرجت الى قومها في دمائها وقد شقت درعها من قبل ودبر والدم يبين وهي في اقبح منظر تقول

لا احد اذل من جديس * اهكذا يفعل بالعروس
يرضى بذا يا قوم بعل حر * اهدى وقد اعطى وسيق المهر

وقالت أيضا تحرض قومها

أيجمل ما يؤتى الى فتياتكم * وانتم رجال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشي في الدماء عفيرة * جهارا وزفت في النساء الى بعل
ولو اننا كنا رجالا وكنتم * نساء لكنا لا نقر لذا الفعل
فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم * ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
والا فخلوا بطنها وتحملوا * الى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللبين خير من مقام على الاذى * وللموت خير من مقام على الذل
وان انتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لا تعيب من الكحل

ود ونكم طيب النساء فانما * خلقتم لاثواب العروس وللغسل
فبعدا وسحقا للذى ليس دافعا * ويختال يمشى بيننا مشية الفحل

فلما سمع اخوها الاسود قولها وكان سيدا مطاعا قال لقومه يا معشر جديس ان هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم فى داركم الا بملك صاحبهم علينا وعليهم ولولا عجزنا لما كان له فضل علينا ولو امتنعنا لانتصفنا منه فأطيعونى فيما آمركم فانه عز الدهر وقد حمى جديس لما سمعوا من قولها فقالوا نطيعك ولكن القوم أكثر منا قال فانى أصنع للملك طعاما وادعوه وأهله اليه فاذا جاؤا يرفلون فى الحلل أخذنا سيوفنا وقتلناهم فقالوا افعل فصنع طعاما فأكثر وجعله بظاهر البلد ودفن هو وقومه سيوفهم فى الرمل ودعا الملك وقومه فجاؤا يرفلون فى حللهم فلما أخذوا مجالسهم ومدوا ايديهم يأكلون أخذت جديس سيوفهم من الرمل وقتلوهم وقتلوا ملكهم وقتلوا بعد ذلك السفلة ثم ان بقية طسم قصدوا حسان بن تبع ملك اليمن فاستنصروه فسار الى اليمامة فلما كان منها على مسيرة ثلاث قال له بعضهم ان لى أختا متزوجة فى جديس يقال لها اليمامة تبصر الراكب من مسيرة ثلاث وانى أخاف ان تنذر القوم بك فمر أصحابك فليقطع كل رجل منهم شجرة فليجعلها أمامه فأمرهم حسان بذلك فنظرت اليمامة فأبصرتهم فقالت لجديس لقد سارت اليكم حمير قالوا وما ترين قالت أرى رجلا فى شجرة معه كتف يتعرقها او نعلا يخصفها وكان كذلك فكذبوها فصبحهم حسان فأبادهم وأتى حسان باليمامة ففقأ عينها فاذا فيها عروق سود فقال ما هذا قالت حجر أسود كنت أكتحل به يقال له الاثمد وكانت أول من اكتحل به وبهذه اليمامة سميت اليمامة وقد أكثر الشعراء ذكرها فى أشعارهم ولما هلكت جديس هرب الاسود قاتل عمليق الى جبلى طيء فأقام بهما وذلك قبل ان تنزلهما طيء وكانت طيء تنزل الجرف من اليمن وهو الآن لمراد وهمدان وكان يأتى الى طيء بعير أزمان الخريف عظيم السمن ويعود عنهم ولم يعلموا من أين يأتى ثم انهم اتبعوه يسيرون بسيره حتى هبط بهم على اوجا وسلمى جبلى طيء وهما بقرب فيد فرأوا فيه النخل والمراعى الكثيرة ورأوا الاسود بن عفار فقتلوه وأقامت طيء بالجبلين بعده فهم هنالك الى الآن وهذا أول مخرجهم اليهما

(ذكر أصحاب الكهف وكانوا أيام ملوك الطوائف)

كان أصحاب الكهف أيام ملك اسمه دقيوس ويقال دقيانوس وكانوا بمدينة للروم اسمها افسوس وملكهم يعبد الاصنام وكانوا فتية آمنوا بربهم كما ذكر الله تعالى فقال أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا والرقيم خبرهم كتب فى لوح وجعل على باب الكهف الذى أووا اليه وقيل كتبه بعض أهل زمانهم وجعله فى البناء وفيه أسماؤهم وفى أيام من كانوا وسبب وصولهم الى الكهف وقيل كتبه الملك الذى ظهر عليهم وبنى الكنيسة عليهم وكانت عدتهم فيما ذكر ابن عباس سبعة

السادة الحنابلة بدمشق ولد بها وأخذ عن والده وعمن شاركه ثم رحل الى مصر وقرأ بالروايات على مقرئها الشيخ البقرى والفقه على الشيخ محمد البهوتى الخلوتى والحديث على الشمس البابلى والفنون على المزاحى والشبراملسى والعنانى توفى فى شوّال سنة ست وعشرين ومائة وألف عن ثلاث وثمانين سنة حدث عنه الشيخ أبو العباس أحمد بن على بن عمر الدمشقى كتابه وهو عال والشيخ محمد بن أحمد الحنبلى والسيد مصطفى بن كمال الدين الصديقى وغيرهم *(ومات)* الامام العلامة المحقق المعمر الشيخ سليمان بن أحمد بن خضر الخربتاوى البرهانى المالكى وهو والد الشيخ داود الخربتاوى الآتى ذكر ترجمته توفى سنة خمس وعشرين ومائة وألف عن مائة وست عشرة سنة *(ومات)* الشيخ الامام العالم العلامة الشيخ أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوى شارح الرسالة وغيرها ولد ببلدة نفرة ونشأ بها ثم حضر الى القاهرة فتفقه فى مبادى أمره بالشهاب اللقانى ثم لازم العلامة عبد الباقى الزرقانى والشمس محمد بن عبد الله الخرشى وتفقه بهما وأخذ الحديث عنهما ولازم الشيخ عبد المعطى البصير وأخذ العربية والمعقول عن الشيخ منصور الطوخى والشهاب الشبيشى واجتهد وتصدر وانتهت اليه الرياسة فى مذهبه مع كمال المعرفة والاتقان للعلوم العقلية لاسيما النحو وأخذ عنه الاعيان وانتفعوا به ومن مؤلفاته شرح الرسالة وشرح النورية وشرح الآجرومية * توفى سنة خمس وعشرين ومائة وألف عن اثنتين وثمانين سنة *(ومات)* الامام العلامة الشهير الشيخ أبو العباس

أحمد بن محمد بن عطية بن عامر بن نوار بن أبي الخير الموساوي الشهير بالخليفي الضرير أصله من الشرق وقدم جده أبو الخير
وكان صالحا معتقدا وأقام بمنية موسى من أعمال المنوفية فحصل له بها الاقبال ورزق الذرية الصالحة واستمروا
بها وولد الشيخ بها ونشا بها وحفظ القرآن ثم ارتحل الى القاهرة واشتغل بالعلوم على فضلاء عصره فتفقه على الشمس العنانى والشيخ منصور الطوخى وهو الذى سماه بالخليفى لما ثقل عليه نسبة الموسوى فسأله عن أشهر أهل بلده فقال أشهرها من اولياء الله تعالى سيدى عثمان الخليفى فنسبه اليه ولازم الشهاب البشبيشى وأخذ عنه فنونا وحضر دروس الشهاب السندوبى والشمس الشرنبابلى وغيرهما وأجازه الشيخ العجمى واجتهد وبرع وحصل وأتقن وتفنن وكان محدثا فقيها أصوليا نحويا بيانيا متكلما عروضيا منطقيا آية فى الذكاء وحسن التعبير مع البشاشة وسعة الصدر وعدم الملل والسآمة وحلاوة المنطق وعذوبة الالفاظ انتفع به كثير من المشايخ * توفى فى عصر يوم الاربعاء خامس عشر صفر ودفن صبيحة يوم الخميس سادس عشره بالمجاورين سنة سبع وعشرين ومائة وألف عن ستة وستين سنة

(ومات) الامام العمدة الفهامة الشيخ أحمد التونسى المعروف بالدقدوسي الحنفي توفي فجأة بعد صلاة العشاء ليلة الاحد سادس عشر المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف

(ومات) فى تلك السنة أيضا الشيخ العلامة أحمد الشرفى المغربى المالكى

(ومات) الشيخ

وثامنهم كلبهم وقال انا من القليل الذين يعلمونهم وقال ابن اسحق كانوا ثمانية فعلى قوله يكون تاسعهم كلبهم وكانوا من الروم وكانوا يعبدون الاوثان فهداهم الله وكانت شريعتهم شريعة عيسى عليه السلام وزعم بعضهم انهم كانوا قبل المسيح وان المسيح أعلم قومه بهم وان الله بعثهم من رقدتهم بعد رفع المسيح والاول أصح وكان سبب ايمانهم انه جاء حوارى من أصحاب عيسى الى مدينتهم فاراد ان يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد حتى يسجد له فلم يدخلها وأتى حماما قريبا من المدينة فكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام البركة وعلقه الفتية فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فعيره الحوارى فاستحيا ثم رجع مرة أخرى فعيره فسبه وانتهره ودخل الحمام ومعه المرأة فماتا فى الحمام فقيل للملك ان الذى بالحمام قتلهما فاطلب فلم يوجد فقيل من كان يصحبه فذكر الفتية فطلبوا فهربوا فمروا بصاحب لهم على حالهم فى زرع له فذكروا له أمرهم فسار معهم وتبعهم الكلب الذى له حتى آواهم الليل الى الكهف فقالوا نبيت ههنا حتى نصبح ثم نرى رأينا فدخلوه فرأوا عنده عين ماء وثمارا فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء فلما جنهم الليل ضرب الله على آذانهم ووكل بهم ملائكة يقلبونهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا تأكل الارض أجسادهم وكانت الشمس تطلع عليهم وسمع الملك دقيانوس خبرهم فخرج فى أصحابه يتبعون أثرهم حتى وجدهم قد دخلوا الكهف وأمر أصحابه بالدخول اليهم واخراجهم فكلما أراد رجل أن يدخل ارعب فعاد فقال بعضهم أليس لو كنت ظفرت بهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا ففعل فبقوا زمانا بعد زمان ثم ان راعيا أدركه المطر فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت غنمى فيه ففتحه فرد الله اليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا فبعثوا أحدهم بورق ليشترى لهم طعاما واسمه تمليخا فلما أتى باب المدينة رأى ما أنكره حتى دخل على رجل فقال بعنى بهذه الدراهم طعاما فقال فمن أين لك هذه الدراهم قال خرجت أنا وأصحاب لى امس فلما أصبحنا ارسلونى لاشترى لهم طعاما فقال هذه الدراهم كانت على عهد الملك الفلانى فرفعه الى الملك وكان ملكا صالحا فسأله عنها فأعاد عليه حالهم فقال الملك وأين أصحابك قال انطلقوا معى فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف فقال دعونى ادخل الى أصحابى قبلكم لئلا يسمعوا أصواتكم فيخافوا وظنا منهم ان دقيانوس قد علم بهم فدخل عليهم وأخبرهم الخبر فسجدوا شكرا لله وسألوه ان يتوفاهم فاستجاب لهم فضرب على اذنه وآذانهم وأراد الملك الدخول عليهم فكانوا كلما دخل عليهم رجل أرعب فلم يقدروا ان يدخلوا عليهم فعاد عنهم فبنوا عليهم كنيسة يصلون فيها قال عكرمة لما بعثهم الله كان الملك حينئذ مؤمنا وكان قد اختلف أهل مملكته فى الروح والجسد وبعثهما فقال قائل يبعث الله الروح دون الجسد

العلامة شيخ الجامع الازهر الشيخ محمد شنن المالكي وكان مليا متمولا أغنى أهل زمانه بين أقرانه وجعل الشيخ محمد الجداوي وصيا على ولده سيدي موسى فلما بلغ رشده سلمه ماله فكان من صنف الذهب البندقي أربعون ألفا خلاف الجنزرلي والطرلي وأنواع الفضة والاملاك والضياع والوطايف والجوامكي والرزق والاطيان وغير ذلك بدده جميعه ولده موسى وبنى له دارا عظيمة بشاطئ النيل ببولاق أنفق عليها أموالا عظيمة ولم يزل حتى مات مديونا في سنة ثنتين وتسعين ومائة وألف وترك ولدا مات بعده بقليل وكان للمترجم مماليك وعبيد وجوار ومن مماليكه أحمد بك شنن الآتي ذكره * توفي المترجم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف عن سبع وسبعين سنة *(ومات)* العمدة العالم الشيخ أحمد الوسيمي توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وألف *(ومات)* الجناب المكرم السيد حسن أفندي نقيب السادة الاشراف وكانت لابيه وجده وعمه من قبله وبموته انقرضت دولتهم وأقيم في منصب النقابة عوضا السيد مصطفى ابن سيدي أحمد الرفاعي قائمقام الى حين ورود الامر * توفي يوم الجمعة تاسع عشر رجب سنة احدى وعشرين ومائة وألف ثم ورد في شهر جمادى سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف السيد عبد القادر نقيبا ونزل ببولاق بمنزل أحمد جاويش الخشاب وهو اذ ذاك باشجاويش الاشراف وبات هنالك فوجد في صبحها مذبوحا في فراشه وحبس باشجاويش بسبب ذلك بالقلعة ولم يظهر قاتله وتقلد النقابة محمد كتخدا عزبان سابقا

الجسد وقال قائل بعثنا ان جميعا فشق ذلك على الملك فلبس المسوح وسأل الله ان يبين له الحق فبعث الله أصحاب الكهف بكرة فلما بزغت الشمس قال بعضهم لبعض قد اغفلنا هذه الليلة عن العبادة فقاموا الى الماء وكان عند الكهف عين وشجرة فاذا العين قد غارت والاشجار قد يبست فقال بعضهم لبعض ان أمرنا لعجب هذه العين غارت وهذه الاشجار يبست في ليلة واحدة والقى الله عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا فدخل احدهم يشتري الطعام فلما رأى السوق عرف طرقها وأنكر الوجوه ورأى الايمان ظاهرا بها فاتى رجلا يشتري منه فانكر الدراهم فرفعه الى الملك فقال الفتى أليس ملككم فلان فقال الرجل لا بل فلان فعجب لذلك فلما أحضر عند الملك اخبره بخبر أصحابه فجمع الملك الناس وقال لهم انكم قد اختلفتم في الروح والجسد وان الله قد بعث لكم آية هذا الرجل من قوم فلان يعني الملك الذي مضى فقال الفتى انطلقوا بي الى أصحابي فركب الملك والناس معه فلما انتهى الى الكهف قال الفتى للملك ذروني اسبقكم الى أصحابي اعرفهم خبركم لئلا يخافوا اذا سمعوا وقع حوافر دوابكم وأصواتكم فيظنوكم دقيانوس فقال افعل فسبقهم الى أصحابه ودخل على أصحابه فاخبرهم الخبر فعلموا حينئذ مقدار لبثهم في الكهف وبكوا فرحا ودعوا الله ان يميتهم ولا يراهم أحد ممن جاءهم فماتوا لساعتهم فضرب الله على اذنه وآذانهم معه فلما استبطؤه دخلوا الى الفتية فاذا أجسادهم لا ينكرون منها شيأ غير انها لا أرواح فيها فقال الملك هذه آية لكم ورأى الملك تابوتا من نحاس مختوما بخاتم ففتحه فرأى فيه لوحا من رصاص مكتوبا فيه أسماء الفتية وانهم هربوا من دقيانوس الملك مخافة على نفوسهم ودينهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم دقيانوس بمكانهم بالكهف سده عليهم فليعلم من يقرأ كتابنا هذا شانهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي اراهم هذه الآية للبعث ورفعوا أصواتهم بالتحميد والتسبيح وقيل ان الملك ومن معه دخلوا على الفتية فرأوهم احياء مشرقة وجوههم والوانهم لم تبل ثيابهم واخبرهم الفتية بما لقوا من ملكهم دقيانوس واعتنقهم الملك وقعدوا معه يسبحون الله ويذكرونه ثم قالوا له نستودعك الله ورجعوا الى مضاجعهم كما كانوا فعمل الملك لكل رجل منهم تابوتا من الذهب فلما نام رآهم في منامه وقالوا انا لم نخلق من الذهب انما خلقنا من التراب واليه نصير فعمل لهم حينئذ توابيت من خشب فحجبهم الله بالرعب وبنى الملك على باب الكهف مسجدا وجعل لهم عيدا عظيما واسماء الفتية مكسلمينا ويمليخا ومرطوس ونيرونس وكسطومس ودينموس وريطونس وقالوس ومكسيلمينيا وهذه تسعة أسماء وهي أتم الروايات والله أعلم وكلبهم قطمير

(ذكر يونس ابن متى)

لامتناع السيد مصطفى الرفاعى من ذلك ووافق تاريخه ذبح عبد القادر *(ومات)* العلامة الفقيه المحدث الشيخ
منصور بن على بن زين العابدين المنوفى البصير الشافعى ولد بمنف ونشأ بها يتيما فى حجر والدته
وكان بارا بها فكانت تدعو له
بحفظ القرآن وعدة متون ثم
ارتحل الى القاهرة وجاور
بالازهر وتفقه بالشهابين
الشبيشى والسندوبى
والشمس الشرنبابلى والزين
منصور الطوخى ولازم النور
الشبراملسى فى العلوم وأخذ
عنه الحديث وجد واجتهد
وتفنن وبرع فى العلوم العقلية
والنقلية وكان اليه المنتهى
فى الحذق والذكاء وقوة
الاستحضار لدقائق العلوم
سريع الادراك لعويصات
المسائل على وجه الحق ونظم
الموجهات وشرحها وانتفع
به الفضلاء وتخرج به النبلاء
وافتخرت بالاخذ عنه الابناء
على الآباء * توفى حادى عشرين
جمادى الاولى سنة خمس
وثلاثين ومائة وألف وقد
جاوز التسعين (ومات) الامام
العلامة شيخ الشيوخ الشيخ
محمد الصغير المغربى سلخ رجب
سنة ثمان وثلاثين ومائة
وألف *(ومات)* الاجل
الفاضل العمدة العلامة
رضوان أفندى الفلكى
صاحب الزيج الرضوانى الذى
حرره على طريق الدر اليتيم
لابن المجدى على أصول الرصد
الجديد السمرقندى وصاحب
كتاب أسنى المواهب وغير ذلك تآليف وحسابيات وتحقيقات لايمكن ضبطها لكثرتها وكتب فنادى
بخطه ما يعرف عن حمل بعير مسودات وجداول حسابيات وغير ذلك وكان يسكن بولاق منجمعا عن خلطة الناس مقبلا

وكان أمره من الاحداث ايام ملوك الطوائف قيل لم ينسب أحد من الانبياء الى أمه الا عيسى ابن مريم ويونس ابن متى وهى امه وكان من قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعثه الله اليهم بالنهى عن عبادتها والامر بالتوحيد فاقام فيهم ثلاثا وثلاثين سنة يدعوهم فلم يؤمن غير رجلين فلما أيس من ايمانهم دعا عليهم فقيل له ما أسرع ما دعوت على عبادى ارجع اليهم فادعهم اربعين يوما فدعاهم سبعة وثلاثين يوما فلم يجيبوه فقال لهم ان العذاب يأتيكم الى ثلاثة أيام وآية ذلك ان ألوانكم تتغير فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا قد نزل بكم ما قال يونس ولم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم فآمنوا من العذاب وان لم يبت فاعلموا ان العذاب يصبحكم فلما كانت ليلة الاربعين ايقن يونس بنزول العذاب فخرج من بين اظهرهم فلما كان الغد تغشاهم العذاب فوق رؤسهم فخرج عليهم غيم اسود هائل يدخن دخانا شديدا ثم نزل الى المدينة فاسودت منه سطوحهم فلما رأوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا يونس فلم يجدوه فالهمهم الله التوبة فاخلصوا النية فى ذلك وقصدوا اشيخا وقالوا له قد نزل بنا ما ترى فما نفعل فقال آمنوا بالله وتوبوا وقولوا ياحى ياقيوم ياحى حين لاحى ياحى محيى الموتى ياحى لا اله الا أنت فخرجوا من القرية الى مكان رفيع فى براز من الارض وفرقوا بين كل دابة وولدها ثم عجوا الى الله واستقالوه وردوا المظالم جميعا حتى أن كان أحدهم ليقلع الحجر من بنائه فيرده الى صاحبه فكشف الله عنهم العذاب وكان يوم عاشوراء يوم الاربعاء وقيل للنصف من شوال يوم الاربعاء وانتظر يونس الخبر عن القرية واهلها حتى مر به مار فقال ما فعل أهل القرية فقال تابوا الى الله فقبل منهم وأخر عنهم العذاب فغضب يونس عند ذلك فقال والله لا ارجع كذابا ولم تكن قرية رد الله عنهم العذاب بعد ما غشيهم الا قوم يونس ومضى مغاضبا لربه وكان فيه حدة وعجلة وقلة صبر ولذلك نهى النبى صلى الله عليه وسلم ان يكون مثله فقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت واساء فى ظن ان الله لا يقدر عليه اى يقضى عليه العقوبة وقيل يضيق عليه الحبس فسار حتى ركب فى سفينة فأصاب اهلها عاصف من الريح وقيل بل وقفت فلم تسر فقال من فيها هذه الخطيئة أحدكم فقال يونس هذه خطيئتى فالقونى فى البحر فابوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم فساهم فكان من المدحضين فلم يلقوه وفعلوا ذلك ثلاثا ولم يلقوه فالقى نفسه فى البحر وذلك تحت الليل فالتقمه الحوت فاوحى الله الى الحوت ان يأخذه ولا يخدش له لحما ولا يكسر له عظما فاخذه وعاد الى مسكنه من البحر فلما انتهى اليه سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا فاوحى الله اليه فى بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد له كل يوم عمل صالح فشفعوا له عند ذلك

فنادى فى الظلمات ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وظلمة الليل ان لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وكان قد سبق له من العمل الصالح فانزل الله فيه فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وذلك ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر فنبذناه بالعراء وهو سقيم ألقى على جانب البحر وهو كالصبى المنفوس ومكث فى بطن الحوت أربعين يوما وقيل عشرين يوما وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام والله أعلم وانبت عليه شجرة من يقطين وهو القرع يتقطر اليه منه اللبن وقيل هيأ الله له اروية وحشية فكانت ترضعه بكرة وعشية حتى رجعت اليه قوته وصار يمشى فرجع ذات يوم الى الشجرة فوجدها قد يبست فحزن وبكى عليها فعاتبه الله وقيل له أتبكى وتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف وزيادة أردت ان تهلكهم ثم ان الله أمره ان يأتى قومه فيخبرهم ان الله قد تاب عليهم فعمد اليهم فلقى راعيا فسأله عن قوم يونس فأخبره انهم على رجاء ان يرجع اليهم رسولهم قال فاخبرهم انك قد لقيت يونس قال لا أستطيع الا بشاهد فسمى له عنزا من غنمه والبقعة التى كانا فيها وشجرة هنالك وقال كل هذه تشهد لك فرجع الراعى الى قومه فاخبرهم انه رأى يونس فهموا به فقال لا تعجلوا حتى أصبح فلما أصبح غدا بهم الى البقعة التى لقى فيها يونس فاستنطقها فشهدت له وكذلك الشاة والشجرة وكان يونس قد اختفى هنالك فلما شهدت الشاة قالت لهم ان أردتم نبى الله فهو بمكان كذا وكذا فاتوه فلما رأوه قبلوا يديه ورجليه وادخلوه المدينة بعد امتناع فمكث مع أهله وولده أربعين يوما وخرج سائحا وخرج الملك معه يصحبه وسلم الملك الى الراعى فأقام يدبر أمرهم أربعين سنة بعد ذلك ثم ان يونس أتاهم بعد ذلك وقال ابن عباس وشهر بن حوشب كانت رسالة يونس بعدما نبذه الحوت وقالا كذلك أخبر الله تعالى فى سورة الصافات فانه قال فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال شهر ان جبريل أتى يونس فقال له انطلق الى أهل نينوى فانذرهم العذاب فانه قد حضرهم قال ألتمس دابة قال الامر أعجل من ذلك قال ألتمس حذاء قال الامر أعجل من ذلك قال فغضب وانطلق الى السفينة فركب فلما ركب احتبست قال فساهموا فسهم فجاءت الحوت فنودى الحوت انا لم نجعل يونس من رزقك انما جعلناك له حرزا فالتقمه الحوت وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الابلة ثم انطلق به على دجلة حتى ألقاه بنينوى

* (ومما كان من الاحداث أيام ملوك الطوائف) *

ارسال الله تعالى الرسل الثلاثة الى مدينة انطاكية وكانوا من الحواريين أصحاب المسيح أرسل أولا اثنين وقد اختلف فى أسمائهما فقدما انطاكية فرأيا عندها شيخا يرعى غنما وهو حبيب النجار فسلما عليه فقال من أنتما فالا رسولا عيسى ندعوكم الى عبادة الله

على شانه وكان فى أيامه حسن أفندى الروزنامجى وله رغبة ومحبة فى الفن فالتمس منه بعض آلات وكرات فاحضر الصناع وسبك عدة كرات من النحاس الاصفر ونقش عليها الكواكب المرصودة وصورها ودوائر العروض والميول وكتب عليها أسماءها بالعربى ثم طلاها بالذهب وصرف عليها أموالا كثيرة وذلك فى سنة اثنتى عشرة أو ثلاث عشرة ومائة وألف واشتغل عليه الجمالى يوسف مملوك حسن أفندى المذكور وكلارجيه وتفرغ لذلك حتى أنجب وتمهر وصار من المحققين فى الفن واشتهر فضله فى حياة شيخه وبعده وألف كتابا عظيما فى المنحرفات جمع فيه ما تفرق من تحقيقات المتقدمين وأظهر ما فى مكنون دقائق الاوضاع والرسومات والاشكال من القوة الى الفعل وهو كتاب حافل نافع نادر الوجود وله غير ذلك كثير ومن تآليف رضوان أفندى المترجم النتيجة الكبرى والصغرى وهما مشهورتان متداولتان بايدى الطلبة بآفاق الارض وطراز الدور فى رؤية الاهلة والعمل بالقمر وغير ذلك * توفى يوم السبت ثالث عشرى جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف * (ومات) * الشيخ الصالح قطب الوقت المشهور بالكرامات معتقد أرباب الولايات الشيخ عبد الله النكارى الشافعى الشهير بالشرقاوى من قرية بالشرقية يقال لها النكارية أخذ عن الشيخ عبد القادر المغربى وكان يحكى عنه كرامات غريبة وأحوال عجيبة (وممن) كان يعتقده الشيخ الحفنى والشيخ عيسى البراوى والشيخ على الصعيدى وقد خص كل واحد باشارة نالها كما قال له وشاع أمره

بركته وانه تولى القبطانية وكان بينه وبين الشيخ محمد كشك مودة ومؤاخاة * توفى سنة أربع وعشرين ومائة وألف
* (ومات) * الشيخ العمدة المنتقد ١٦٠ الفاضل الشاعر البليغ الصالح العفيف حسن البدري الحجازي الازهري

وكان عالما فصيحا مفوها متكلما منتقدا على أهل عصره وأبناء مصره سمعت من الشيخ الوالد قال رأيته ملازما القراءة الكتب الستة تحت الدكة القديمة منجمعا عن خلطة الناس معتكفا على شأنه قانعا بحاله وله فى الشعر طريقة بديعة وسليقة منيعة على غيره رفيعة وقلما تجد فى نظمه حشوا أو تكملة وله أرجوزة فى التصوف نحو ألف وخمسمائة بيت على طريق الصادح والباغم ضمنها أمثالا ونوادر وحكايات وديوان على حروف المعجم سماه بإسمعين تنبيه الافكار للنافع والضار وإجماع الاياس من الوثوق بالناس شرح فيه حقيقة شرار الخليقة من الناس المنحرفة طباعهم عن طريقة قويم القياس استشهدت بكثير من كلامه فى هذا المجموع بحسب المناسبة وفى بعض الوقائع والتراجم وله مزدوجة سماها الدرة السنية فى الاشكال المنطقية ونظم رسالة الوضع للعلامة العضد ونظم لقطة العجلان فى تعريف النقيضين والضدين والخلافين والمثلين وفى حكم المضارع صحيحا كان أومعتلا

تعالى قال معكما آية قالا نعم نحن نشفى المرضى ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله قال حبيب ان لى ابنا مريضا مذ سنين وأتى بهما منزله فمسحا ابنه فقام فى الوقت صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك اسمه انطيخس يعبد الاصنام فبلغ اليه خبرهما فدعاهما فقال من أنتما قالا رسولا عيسى ندعوك الى الله تعالى قال فما آيتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونشفى المرضى باذن الله فقال قوما حتى ننظر فى أمركما فقاما فضربهما العامة وقيل انهما قدما المدينة فبقيا مدة لا يصلان الى الملك فخرج الملك يوما فكبرا وذكرا الله فغضب وحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذبا وضربا بعث المسيح شمعون رأس الحواريين لينصرهما فدخل البلد متنكرا وعاشر حاشية الملك فرفعوا خبره الى الملك فاحضره ورضى عشرته وأنس به وأكرمه فقال له يوما أيها الملك بلغنى أنك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك الى دينهما فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بينى وبين ذلك قال فان رأى الملك ان يحضرهما حتى نسمع كلامهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ ولا شريك له قال فصفاه وأوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال شمعون فما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك فجئ بغلام مطموس العينين موضعهما كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر وأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك لذلك فقال ان قدر الهكما الذى تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا ان الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا منذ سبعة أيام فلم ندفنه حتى يرجع أبوه وهو غائب فاحضر الميت وقد تغيرت ريحه فدعوا الله تعالى علانية وشمعون يدعو سرا فقام الميت فقال لقومه انى مت مشركا وأدخلت فى أودية من النار وانا احذركم ما أنتم فيه ثم قال فتحت ابواب السماء فنظرت فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن هم فقال هذا وأومأ الى شمعون وهذان وأشار اليهما فعجب الملك فحينئذ دعا شمعون الملك الى دينه فآمن قومه وكان الملك فيمن آمن وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك واجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا النجار وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم فيذكرهم ويدعوهم الى طاعة الله وطاعة المرسلين فذلك قوله تعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث وهو شمعون فاضاف الله تعالى الارسال الى نفسه وانما أرسلهم المسيح لانه أرسلهم باذن الله تعالى فلما كذبهم أهل المدينة حبس الله عنهم المطر فقال أهلها للرسل انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم بالحجارة وقيل لنقتلنكم وليمسنكم منا عذاب أليم فلما حضر حبيب وكان مؤمنا يكتم ايمانه وكان يجمع كسبه كل يوم وينفق على عياله نصفه ويتصدق بنصفه فقال يا قوم اتبعوا المرسلين فقال قومه وأنت مخالف

ورموز الجامع الصغير وختم ديوانه باراجيز بديعة ضمنها نصائح ونوادر وأمثالا واستغاثات وتوسلات لربنا المقبول منه صلات * (ومن كلامه فى قافية الباء) * كن جار كلب وجار الشر اجتنب * ولو أخا لك من أم برى وأب

لربنا ومؤمن بالله هؤلاء فقال ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون فلما قال ذلك قتلوه فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين وأرسل الله عليهم صيحة فماتوا

(ومما كان من الاحداث شمسون)

وكان من قرية من قرى الروم قد آمن وكانوا يعبدون الاصنام وكان على اميال من المدينة وكان يغزوهم وحده ويقاتلهم بلحى جمل فكان اذا عطش انفجر له من الحجر الذى فيه ماء عذب فيشرب منه وكان قد أعطى قوة لا يوثقه حديد ولا غيره وكان على ذلك يجاهدهم ويصيب منهم ولا يقدرون منه على شئ فجعلوا لامرأته جعلا لتوثقه لهم فأجابتهم الى ذلك فاعطوها حبلا وثيقا فتركته حتى نام وشدت يديه فاستيقظ وجذبه فسقط الحبل من يديه فارسلت اليهم فاعلمتهم فارسلوا اليها بجامعة من حديد فتركتها فى يديه وعنقه وهو نائم فاستيقظ وجذبها فقطعت من عنقه ويديه فقال لها فى المرتين ما حملك على ما صنعت فقالت أريد ان أجرب قوتك ومارأيت مثلك فى الدنيا فهل فى الارض شئ يغلبك قال نعم شئ واحد فلم تزل تسأله عنه حتى قال انها ويحك لا يضبطنى الا شعرى فلما نام أوثقت يديه بشعر رأسه وكان كثيرا فأرسلت اليهم فجاؤا فاخذوه فجدعوا انفه واذنيه وفقؤا عينيه وأقاموه للناس وجاء الملك لينظر اليه وكانت المدينة على اساطين فدعا الله شمسون عليهم فامرأن يأخذ عمودين من عمد المدينة فيجذبهما ويرد اليه بصره وما أصابوا من جسده وجذب العمودين فوقعت المدينة بالملك والناس وهلك من فيها هدما وكان شمسون أيام ملوك الطوائف

(ومما كان من الاحداث أيضا جرجيس)

قيل كان بالموصل ملك يقال له دازانه وكان جبارا عاتيا وكان جرجيس رجلا صالحا من أهل فلسطين يكتم ايمانه مع أصحاب له صالحين وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريين فأخذوا عنهم وكان جرجيس كثير التجارة عظيم الصدقة وربما نفد ماله فى الصدقة ثم يعود يكتسب مثله ولولا الصدقة لكان الفقر أحب اليه من الغنى وكان يخاف بالشام ان يفتتن عن دينه فقصد الموصل ومعه هدية لملكها لئلا يجعل لاحد عليه سبيلا فجاءه وحين قدم جاءه أحضر عظماء قومه وأوقد نارا واعد اصنافا من العذاب وأمر بصنم له يقال له افلون فنصب فمن لم يسجد له عذبه وألقى فى النار فلما رأى جرجيس ما يصنع استعظمه وحدث نفسه بجهاده فعمد الى المال الذى معه فقسمه فى أهل ملته وأقبل عليه وهو شديد الغضب فقال له اعلم أنك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيأ ولا لغيرك شيأ وان فوقك ربا هو الذى خلقك ورزقك فأخذ فى ذكر عظمة الله تعالى وشيب صنمه فاجابه الملك بان يسأله من هو ومن اين هو فقال جرجيس أنا عبد الله

ما جار كاسب شكا يوما نوائبه * اذا شكا فقره من وصمة الوصب * وجانب الدار ان ضاقت مرافقها * والمرأة السوء لو معروفة النسب * ومركبا شرس الاخلاق لاسيما * ان كان ذا قصر أو ابتر الذنب * أو كان ذا بط ء سير والعماثم ما تفاحشت كبرا تبدو كما القبب * كذا الخفاف اذا ضاقت أو اتسعت جدا وكل عسير الفتح من ضبب * واحذر سراجا ضعيف الضوء ترقبه فانه الغمة العظمى لمرتقب * كذا الطعام اذا اشتدت حرارته وصارت اليد لم تقبله من لهب * ما فيه من بركات ما حرارته دامت كما ذكرت فابرده واقترب * لا تلق نفسك يوما فى الزحام فما فى زحمة لك خير لو على الذهب * وخذ عن الكثفا فابعد مدى على متون جياد العزم والنجب * قوم دروعهم التكدير فى نفر من التنافر والايحاش والشغب * ثقل العنا وجدوا والذوق قد فقدوا عن أنسهم شرد واذا أعجب العجب * بعض اللطاف تقايا عند رؤيتهم والبعض أغمى وبعض آل للعطب * هم معاول صدع الصخر ما وجدوا فاصدع بهم حيثما آلاته تغب * ان رمت يوما عقاب الذيقين فطف بهم على عدماء الذوق واعتقب * لو قطرة مازجت منهم بحار صفا لكدرت ما صفا من مائها العذب * أو أنهم سمعوا يوما اعادد جا * عرى عن النيرين الضوء والشهب * ان الكثاف لسم للطاف فيا نعم التعاكس لكن الزمان غبى * فاجمع بنفسك عنهم ما استطعت فمن * عنهم تباعد حاز السبق للقصب

يا نقمة الله حلى حيم يحيا * حصبا أبابيل أهل الفيل واحتصب * لترجع الارض فرغى من أذيتهم * وما أنا طوه من صاب
ومن نصب * الهنا يا غياث المستغيث ويا * ١٦٢ * معطى الجزيل ويا منجى من الكرب * أحسن الى حسن البدرى بمغفرة

وابن أمته من التراب خلقت واليه أعود فدعاه الملك الى عبادة صنمه وقال له لو كان ربك ملك الملكوت لرؤى عليك أثره كما ترى على من حولى من ملوك قومى فاجابه جرجيس بتعظيم أمر الله وتمجيده وقال له تعبد افلون الذى لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى من رب العالمين أم تعبد الذى قامت بامره السموات والارض أم تعبد طرقلينا عظيم قومك من الناس عليه السلام فانه كان آدميا يأكل ويشرب فاكرمه الله بان جعله انسيا ملكيا أم تعبد عظيم قومك مخليطيس أيضا وما قال بولا يتك عيسى عليه السلام وذكر من معجزاته وما خصه الله به من الكرامة فقال له الملك انك أتيتنا باشياء لا نعلمها ثم خيره بين العذاب والسجود للصنم فقال جرجيس ان كان صنمك هو الذى رفع السماء وعدد أشياء من قدرة الله عز وجل فقد أصبت ونصحت والا فاخسأ ايها الملعون فلما سمع الملك أمر بحبسه ومشط جسده بامشاط الحديد حتى تقطع لحمه وعروقه ونضح بالخل والخردل فلم يمت فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد فاحميت حتى صارت نارا ثم سمر بها رأسه فسال دماغه فحفظه الله تعالى فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بحوض من نحاس فأوقد عليه حتى جعله نارا ثم أدخله فيه وأطبق عليه حتى برد فلما رأى ذلك لم يقتله دعاه وقال له ألم تجد ألم هذا العذاب قال ان الهى حملنى عذابك وصبرنى ليحتج عليك فايقن الملك بالشر وخافه على نفسه وملكه فاجمع رأيه على أن يخلده فى السجن فقال الملأ من قومه انك ان تركته فى السجن طليقا يكلم الناس ويميل بهم عليك ولكن بعذب بعذاب يمنعه من الكلام فامر به فبطح فى السجن على وجهه ثم أوتد فى يده ورجليه أوتادا من حديد ثم أمر باسطوانة من رخام حملها ثمانية عشر رجلا فوضع على ظهره فظل يومه ذلك تحت الحجر فلما أدركه الليل أرسل الله اليه ملكا وذلك أول ما أيد بالملائكة فاول ما جاءه الوحى قلع عنه الحجر ونزع الاوتاد وأطعمه وأسقاه وبشره وعزاه فلما أصبح أخرجه من السجن فقال له الحق بعدوك فجاهده فانى قد ابتليتك به سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن أربع مرات فى كل ذلك أرد اليك روحك فاذا كانت القتلة الرابعة تقبلت روحك وأوفيتك أجرك فلم يشعر الملك الا وقد وقف جرجيس على رأسه يدعوه الى الله فقال له أجرجيس قال نعم قال من أخرجك من السجن قال أخرجنى من سلطانه فوق سلطانك فلمئ غيظا ودعا باصناف العذاب ومدوه بين خشبتين ووضعوا على رأسه سيفا ثم أشروه حتى سقط بين رجليه وصار جزلتين ثم قطعوهما قطعا وكان له سبعة أسد ضارية فى جب فالقوا جسده اليها فلما رأته خضعت برؤسها وقامت على براثنها الا تالوا أن تقيه الاذى الذى تحتها فظلت يومها تحته ميتا وكان أول ميتة ذاقها فلما أدركه الليل جمع الله جسده وسواه ورد فيه روحه وأخرجه من قعر الجب فلما أصبحوا أقبل جرجيس وهم فى عيد لهم صنعوه فرحا بموت جرجيس فلما نظروا اليه مقبلا قالوا ما أشبه هذا بجرجيس

وأعطه الأمن يوم الضيق والرهب
وصل رب وسلم ما همت سحب
على نبيك خير العجم والعرب
والآل والصحب ما دامت مآثرهم
والتابعين باحسان وكل نبى
(وقال عفا الله عنه)
اخى اظنا كن واحذر الناس جملة
ولا تك مغرورا الظنون الكواذب
فكم من فتى يرضيك ظاهر أمره
وفى باطن يرتاع روغ الثعالب
اذا بك يلقى ظاهرا كان كافرا
به يقلك نكر النكر من كل جانب
ولا سيما نوع الاقارب انهم
عقاربك فى الدنيا وعقر العقارب
اذا كنت فى خير عنوا لك الردى
لارثك ميتا أو لنهبة ناهب
وان كنت ذا فقر فأنت لديهم
أخس خسيس من أخس الاكالب
فلا لك للطلاب للارث تاركا
طلا باسوى خيبات طالبة طالب
وقل لهم هذا تراثكم به
تعيشون ما تحيون بين الاجانب
وان عموا امتم باوفر فاقة
فلا عين تبكيكم ولا نحب ناحب
قبرتم دثرتم لاذكرتم خسرتموا
تبوأتموا عقبى عقاب العواقب
وأنقص خلق الله عقلا فتى غدا
بقبضة أنثى لعبة المتلاعب * يروح ويغدو صادرا عن مقالها * يرى طوعها ما عاش أوجب واجب * قال
فذلك الذى لم يمحو الاندامة * ومتعبة فاقت جميع المتاعب * بهذا أتانا النص عن أشرف الورى * محمد المبعوث من آل غالب

قال الملك هو وقال جرجيس أنا هو حقا بئس القوم أنتم قتلتم ومثلتم فرد الله روحي الى هلموا الى عذاب هذا الرب العظيم الذى أراكم قدرته فقالوا ساحر سحر اعينكم وأيديكم عنه فجمعوا من بلادهم من السحرة فلما جاؤا قال الملك لكبيرهم أعرض على من سحرك ما يسرى به عنى فدعا بثور فنفخ فى أذنيه فاذا هو ثوران ودعا ببذر فبذر وحرث وزرع وحصد ودق وذرى وطحن وخبز أكل فى ساعته فقال له الملك هل تقدر أن تمسخه كلبا قال ادع لى بقدح من ماء فاتى به فنفث فيه الساحر ثم قال لجرجيس اشرب به فشرب به جرجيس حتى أتى على آخره فقال له الساحر ماذا تجد قال ما أجد الا خيرا كنت عطشان فلطف الله بى فسقانى وأقبل الساحر على الملك وقال لو كنت تقاسى جبارا مثلك لغلبته انما تقاسى جبار السماء والارض وكانت أتت جرجيس امرأة من الشام وهو فى أشد العذاب فقالت له انه لم يكن لى مال الا ثور أعيش به من حرثه فمات وجئتك لترحمنى وتسأل الله أن يحيى ثورى فاعطاها عصا وقال اذهبى الى ثورك فاضربيه بهذه العصا وقولى له احى باذن الله فاخذت العصا وأتت مصرع الثور فرأت روقيه وشعر ذنبه فجمعتهما ثم قرعتهما بالعصا وقالت ما أمرها به جرجيس فعاش ثورها وجاء الخبر بذلك فلما قال الساحر ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان أعظمهم بعد الملك اسمعوا منى قالوا نعم قال انكم قد وضعتم أمره على السحر وانه لم يعذب ولم يقتل فهل رأيتم ساحرا قط قدر على أن يدفع عن نفسه الموت أو أحيا ميتا وذكر الثور واحياءه فقالوا له ان كلامك كلام رجل قد أصغى اليه فقال قد آمنت به وأشهد الله انى برىء مما تعبدون فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر فقطعوا لسانه بالخناجر فلم يلبث ان مات وقيل أصابه الطاعون فاعجله قبل أن يتكلم وكتموا شأنه فكشفه جرجيس للناس فاتبعه أربعة آلاف وهو ميت فقتلهم الملك بانواع العذاب حتى أفناهم وقال له رجل من عظماء أصحاب الملك يا جرجيس انك زعمت ان الهك يبدأ الخلق ثم يعيده وانى سائلك أمرا ان فعله الهك آمنت به وصدقتك وكفيتك قومى هذا تحتنا أربعة عشر منبرا ومائدة وأقداح وصحاف من خشب يابس وهو من أشجار شتى فادع ربك ان يعيدها خضرا كما بدأها يعرف كل عود بلونه وورقه وزهره وثمره فقال جرجيس قد سألت أمرا عزيزا على وعليك وانه على الله يسير ودعا الله فما برحوا حتى اخضرت وساخت عروقها وتشعبت ونبت ورقها وزهرها حتى عرفوا كل عود باسمه فقال الذى سأله هذا انا أتولى عذابه فعمد الى نحاس فصنع منه صورة ثور مجوف ثم حشاها نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا وادخل جرجيس فى وسطها ثم أوقد تحت الصورة النار حتى التهبت وذاب كل شىء فيها واختلط ومات جرجيس فى جوفها فلما مات أرسل الله ريحا عاصفا ورعدا وبرقا وسحابا مظلما واظلم ما بين السماء والارض وبقوا اياما متحيرين فارسل الله ميكائيل فاحتمل تلك الصورة فلما أقلها اضرب بها الارض ففزع من روعتها كل من سمعها وانكسرت وخرج

اطاعته اندم وبالخير لم تسكن * بآمرة معنى الحديثين راقب * وخير عباد الله من لازم التقى * شكور العطايا صابر للمصائب
عريا عن الاطماع قنعا قد اكتسى * رقيبا على الانفاس خوف المراقب * فذاك لعمرى أربح الناس صفقة * اذا سقطت فى الخسر صفقة ناكب
وان رمت أن تحيا عريا عن الردى * وتظفر فى الاخرى باسنى المكاسب
مكانك فالزم واعتزل سائر الورى * وسد دونهم سد كل المسارب
ولاسيما الاوباش فى الناس من عروا * عن العرض واستغشوا ثياب المثالب
وآل الاعرج رقصيا وآل الاصفر خلقة * وآل الاعور رقصيا ونوع الاحادب
وآل الاقرع جصيا ومن قصرا أهوى * وآل الاحمر عدسيا وأهل المضارب
كذا الفرسى والدبج ثم البراسى * ومن كان دستيا ونوتى المراكب
أولئك أقوام تفاحش خبثهم * ولاخبث حيات الردى والمعاطب
فلا تك مغترا بظاهر حالهم * ولو أنهم يمشون فوق السحائب
وجرب اذا ما كنت قولى مكذبا * فتجربة الانسان مبدى العجائب
نصيحة الجازى من سعى حسنا خذن * باقبال قلب حاضر غير غائب
فان قبول النصح أنعم نعمة * بها يبلغ الانسان أسنى المآرب
ولا تك من صده اللهو والهوى * عن الرشد حتى عاد أخيب خائب
ولا تعجبن من واقع المنكر والردى * ولكن لعدل قام من غير حاجب
ولا تطمعن فى راحة أى ساعة

منها جرجيس حيا فلما وقف وكلهم انكشفت الظلمة واسفر ما بين السماء والارض قال له عظيم من عظمائهم ادع الله بان يحيي موتانا من هذه القبور فامر جرجيس بالقبور فنبشت وهي عظام رفات ثم دعا فما برحوا حتى نظروا الى سبعة عشر انسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاث صبية وفيهم شيخ كبير فقال له جرجيس متى مت فقال في زمان كذا وكذا فاذا هو أربعمائة عام فلما رأى ذلك الملك قال لم يبق من عذابكم شئ الا وقد عذبتموه وأصحابه الا الجوع والعطش فعذبوه به فعمدوا الى بيت عجوز فقيرة وكان لها ابن اعمى ابكم مقعد فحصروه فيه فلا يصل اليه طعام ولا شراب فلما جاع قال للعجوز هل عندك طعام او شراب قالت لا والذي يحلف به ما لنا عهد بالطعام من كذا وكذا وسأخرج فالتمس لك شيأ فقال لها هل تعبدين الله قالت لا فدعاها فآمنت وانطلقت تطلب له شيأ وفي بيتها دعامة خشبة يابسة تحمل خشب البيت فدعا الله فاخضرت تلك الدعامة وأنبتت كل فاكهة تؤكل وتعرف فظهر للدعامة فروع من فوق البيت تظله وما حوله وعادت العجوز وهو يأكل رغدا فلما رأت الذي في بيتها قالت آمنت بالذي اطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم ان يشفي ابني قال أدنيه مني فأدنته فبصق في عينيه فابصر ونفث في أذنيه فسمع قالت له اطلق لسانه ورجليه قال لها اخريه فان له يوما عظيما ورأى الملك الشجرة فقال أرى شجرة ما كنت أعهدها قالوا تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت ان تعذبه بالجوع وقد شبع منها واشبعت العجوز وشفي لها ابنها فأمر بالبيت فهدم وبالشجرة ان تقطع فلما هموا بقطعها أيبسها الله وتركوها وأمر بجرجيس فبطح على وجهه وأمر بعجل فأوقر اسطوانا وجعل في أسفل العجل خناجر وشفارا ثم دعا بأربعين ثورا فنهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع ثم أمر بقطعه فاحرقت حتى صارت رمادا وبعث بالرماد مع رجال فذروه في البحر فلم يبرحوا حتى سمعوا صوتا من السماء يا بحران الله يأمرك ان تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فاني أريد أن أعيده فأرسل الرياح فجمعته كما كان قبل أن يذروه والذين ذروه قيام لم يبرحوا وخرج جرجيس حيا مغبرا فرجعوا ورجع معهم وأخبروا خبر الصوت والرياح فقال له الملك هل لك فيما هو خير لي ولك ولولا أن يقال انك غلبتني لآمنت بك ولكن اسجد لصنمي سجدة واحدة أو اذبح له شاة واحدة وأنا أفعل ما يسرك فطمع جرجيس في اهلاك الصنم حين يراه وايمان الملك عند ذلك فقال له أفعل خديعة منه وأدخلني على صنمك اسجد له واذبح ففرح الملك بذلك وقبل يده ورجليه وطلب منه أن يكون يومه وليلته عنده ففعل فأخلى له الملك بيتا ودخله جرجيس فلما جاء الليل قام يصلي ويقرأ الزبور وكان حسن الصوت فلما سمعته امرأة الملك استجابت له وآمنت به وكتمت ايمانها فلما أصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد لها وقيل للعجوز ان جرجيس قد افتتن وطمع في الملك بعد الملك فخرجت تحمل ابنها

من الدهر تعرون من جميع النوائب * فادمت في الدنيا فانك لم تزل * على نصب لو نلت أعلى المناصب
وهذا دليل الزهد فيها ورفضها * سوى ما بها يحتاجه من مناسب * وما بعده يدعى ضلالا وباطلا

عناء لمن عاني وعين المعايب
فيا واسع المعروف يا واسع ارضا
ويا خير فتاح ويا خير واهب
أعذنا بمن منك من كل غمة
وهبنا التقى زادا وتوبة تائب
وختما بخير عند ما العمر ينقضي
فان ختام الخير خير المناقب
ونسكن تكبير القبر عنا أزل اذا
خلونا به عن كل خل وصاحب
هنالك لا مال ولا جاه يرتجى
ولا مذهب يأوي لمهرب هارب
سوى رحمات منك يا خير راحم
ويا خير من يرجى لدفع النوائب

(وقال عفا الله عنه)

حذار حذار من قرب الاقارب
فهم صل الافاعي والعقارب
أناس ان تعبت فيستريحوا
وتعلوهم لراحتك المتاعب
غنيا ان تكن حسدوا والا
فعنك تجنبوا من كل جانب
يودونا اكتساب الموت كيما
به يرموك كي يرثوا المكاسب
وموتك من يراقب أجل فاس
مودته فلا تك بالمراقب
أمن فم الافاعي الشهد تعطى
أم السمرات تعطيك الاراطب
أم الاصلاح يصلح من غراب
أم العمران من بوم الاخارب
صحبة كلب آكلب أجرب اخير
وخيرهم فلا تك بالمصاحب

فما كلب بك الاوصاب يرمي * وذاك رماك منه بكل واصب * على الحساد دائرة الدواهي على
تدور بها النواعي والنواعب * سوى ما هم من مستصعبات * ليوم فيه تنتصب المصاعب * ولما ان تعينا المساعد

على عاتقها فى اغراضها تو يج جرجيس فلما دخل بيت الاصنام نظر فاذا العجوز وابنها أقرب الناس اليه فدعا ابنها فاجابه وما تكلم قبل ذلك قط ثم نزل عن عاتق أمه يمشي على قدميه سويين وما وطئ الارض قط فلما وقف بين يدى جرجيس قال له ادع لى هذه الاصنام وهى على منابر من ذهب واحد وسبعون صنما وهم يعبدون الشمس والقمر معها فدعاها فأقبلت تتدحرج اليه فلما انتهت اليه ركض برجله الارض فخسف بها وبمنابرها فقال له الملك ياجرجيس خدعتنى وأهلكت أصنامى فقال له فعلت ذلك عمدا لتعتبر وتعلم انها لو كانت آلهة لامتنعت منى فلما قال هذا قالت امرأة الملك وأظهرت اسلامها وعدت عليهم افعال جرجيس وقالت ما تنتظرون من هذا الرجل الا دعوة فتهلكون كما هلكت أصنامكم فقال الملك ما أسرع ما أضلك هذا الساحر ثم أمر بها فعلقت على خشبة ثم مشط لحمها بامشاط الحديد فلما آلمها العذاب قالت لجرجيس ادع الله أن يخفف عنى الالم فقال انظرى فوقك فنظرت فضحكت فقال لها الملك ما يضحكك قالت أرى على رأسى ملكين معهما تاج من حلى الجنة ينتظران خروج روحى ليزينانى به ويصعدان بها الى الجنة فلما ماتت أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم اكرمتنى بهذا البلاء لتعطينى أفضل منازل الشهداء وهذا آخر ايامى فاسألك أن تنزل بهؤلاء المتكبرين من سطواتك وعقوبتك ما لاقبل لهم به فأمطر الله عليهم النار فاحرقتهم فلما احترقوا بحرها عمدوا اليه فضربوه بالسيوف فقتلوه وهى القتلة الرابعة فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها رفعت من الارض وجعل عاليها سافلها ولبثت زمانا يخرج من تحتها دخان منتن وكان جميع من آمن به وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك

(ذكر خالد بن سنان العبسى)

وممن كان فى الفترة خالد بن سنان العبسى قيل كان نبيا وكان من معجزاته ان نارا ظهرت بارض العرب فافتتنوا بها وكاد وا يتمجسون فأخذ خالد عصاه ودخلها حتى توسطها ففرقها وهو يقول بدا بدا كل هاد مؤد الى الله الاعلى لادخلنها وهى تلظى ولاخرجن منها وثيابى تندى ثم انها طفئت وهو فى وسطها فلما حضرته الوفاة قال لاهله اذا دفنت فانه ستجئ عانة من حمير يقدمها عير أبتر فيضرب قبرى بحافره فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عنى فانى ساخبركم بجميع ما هو كائن فلما مات ودفنوه رأوا ما قال فارادوا نبشه فكره ذلك بعضهم وقالوا نخاف ان نبشناه أن تسبنا العرب بانا نبشنا ميتا لنا فتركوه فقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فيه ذلك نبى ضيعه قومه وأتت ابنته النبى صلى الله عليه وسلم فآمنت به كذا قيل انه آخر الحوادث أيام ملوك الطوائف ولا وجه له فان من أدركت ابنته النبى صلى الله عليه وسلم يكون بعد اجتماع الملك لاردشير بن بابك بدهر طويل ونرجع الى أخبار ملوك الفرس لسياق التاريخ ونقدم قبل ذكرهم عدد

تهيج من مهولات العجائب * تبصرنا فابصرنا البرايا * قد انتقبوا شنيعات المناقب * ذئاب فى ثياب أى شخص *
تخوت له بحالك عليك وانب * ووافر بحر مكر فيه غاصوا * ليلتقطوا المكاره والمكارب * تحابيهم تجاستهم ومن لا *

تجاسة فيه لا يدعى بناجب
فحينئذ على ذى العقل حزما
مجانبة الاقارب والاجانب
وان ألجى لقربهم اضطرار
بقدر ضرورة تلجى فقارب
الى أن ينقضى ما يقتضيه
وفر بعيده فر الثعالب
فان صديق صدق ليس يلفى
زمانك بالمشارق والمغارب
وان أجهدت نفسك فى طلاب
له أعيتك فى الطلب المطالب
وما بقى الصديق الصدق الا
دراهمك المميطة للمعاطب
فصاحبها له يسعى ويدعى
ويرعى حين يبدو كالكواكب
وصدرا فى المجالس أجلسوه
اليه يسار مثلوب المثالب
ولو كذبا يفوه به صريحا
لقالوا لست يا هذا بكاذب
يهش له اذا ما مر حتى
له الاذناب حركت الا كالب
ولو بشرا طوى عنهم وبرا
يحب لما لديه من الحبائب
عليها بالنواجذ عض عضا
فظلك حين تذهب عنك ذاهب
وتبذير افدع ان المبذر
أخو الشيطان من آخاه خائب
ولا تفرح بفان عنه تفنى
ولا تجزع اذا ما ناب نائب
وكن للخير منتدبا فعما
قليل يندب الانسان نادب
وللحسن المجازى سل نجاة

من العقبات أهوال العواقب * خصوصا مرهبات القبر اذ من * وقيها قد وقى كل المراهب * فهيئ ربنا الرحمات انا *
ضعاف منك نلتمس المواهب * حوائجنا لحاجتنا رفعنا * اليك وما على الاحسان حاجب * وان حاسبتنا عدلا هلكنا

ولكن ذو المكارم لايحاسب وكيف ومن تحبيت له حبيبنا * طبيب الداء منتخب الاطايب محمد الحميد من أعز بث عن

محاسنه الاعاجم والاعارب * فصل عليه رب وتابعيه * وسلم ما الدجى ثقبت ثواقب * (وقال عفا الله عنه) *

الملوك الاشغانية من ملوك الطوائف وطبقات ملوك الفرس ان شاء الله تعالى

(ذكر طبقات ملوك الفرس)

الطبقة الاولى الفيشداذية ملوك الارض بعد جيومرث أوشهنج وملك فيشداذ أربعين سنة ومعنى فيشداذ أول حاكم * ملك بعده طهمورث بن نوجهان ثلاثين سنة ثم ملك أخوه جمشيد سبعمائة وست عشرة سنة ثم ملك بيوراسف بن ارونداسف ألف سنة ثم ملك افريدون بن اثفيان خمسمائة سنة ثم ملك منوجهر مائة وعشرين سنة ثم ملك افراسياب التركى اثنتى عشرة سنة ثم ملك زو بن تهماسف ثلاث سنين ثم ملك كرشاسب تسع سنين

(الطبقة الثانية الكيانية)

ثم ملك كيقباذ مائة وستا وعشرين سنة ثم ملك كيكاوس مائة وخمسين سنة ثم ملك كيخسرو ثمانين سنة ثم ملك كى لهراسب مائة وعشرين سنة ثم ملك كى بشتاسب مائة وعشرين سنة ثم ملك كى بهمن مائة واثنتى عشرة سنة ثم ملك خمانى جهرازاد ثلاثين سنة ثم ملك أخوها دارا ابن بهمن اثنتى عشرة سنة ثم ملك ابنه دارا ابن دارا أربع عشرة سنة وهو الذى أخذ الاسكندر الملك منه وكان ملك الاسكندر بعده أربع عشرة سنة

(الطبقة الثالثة الاشغانية)

وهم الذين استولوا على العراق والجبال وكان سائر ملوك الطوائف يعظمونهم فاول ملوك الاشغانيين أيام ملوك الطوائف اشك ملك اثنتين وخمسين سنة ثم ملك ابنه شابور بن اشك أربعا وعشرين سنة ثم ملك ابنه جوذرز بن شابور وهو الذى غزا بنى اسرائيل بعد قتل يحيى بن زكريا خمسين سنة ثم ملك ابن اخيه ويجن بن بلاش احدى وعشرين سنة ثم ملك جوذرز بن ويجن تسع عشرة سنة ثم ملك أخوه نرسه ثلاثين سنة ثم ملك عمه هرمزان بن بلاش بن شابور تسع عشرة سنة ثم ملك ابنه فيروز بن هرمزان اثنتى عشرة سنة ثم ملك ابنه خسرو أربعين سنة ثم ملك أخوه بلاش بن فيروز أربعا وعشرين سنة ثم ملك ابنه اردوان ابن بلاش خمسا وخمسين سنة وقد ذكر بعضهم انه ملك بعد هرمزان بن بلاش اردوان الاكبر اثنتى عشرة سنة وقيل فى عدد ملوك الطوائف غير ذلك والفرس تعترف باضطراب التاريخ عليهم فى أيام ملوك الطوائف وملك بيوراسف وملك افراسياب التركى لانهم زال الملك عنهم ولم يمكن ضبطه

(الطبقة الرابعة الساسانية)

أولهم اردشير بن بابك

(ذكر اخبار اردشير بن بابك وملوك الفرس)

أيتنا لم نمش الى أن رأينا
كل ذى جنة لدى الناس قطبا
علماء هم به يلوذون بل قد
تخذوه من دون ذى العرش ربا
اذ نسوا الله قائلين فلان
من جميع الانام يفرج كربا
واذا مات يجعلوه مزارا
وله يزرعون شجا وعربا
بعضهم قبل الضريح وبعض
عتب الباب قبلوه وتربا
هكذا المشركون تفعل مع أصـ
ـنامهم تبتغى بذلك قربا
وأولو العلم والقران عليهم
صب سوط العذاب والمقت صبا
اذ رموهم بالفسق والزور والجو
ر وظلم العباد سلبا ونهبا
كل ذامن عمى البصيرة والو يـ
ـل لشخص أعمى له الله قلبا
والمجازى من يمحى حسنا يـ
ـقدر من خالف الشرع صعبا
فالحذار الحذار من فعل أهل الـ
ـجهل لو عالما يدرس كتبا
جعل العلم فخ صيد لدنيا
فساوى فى صنعه السوء كلبا
لا بل الكلب منه خير اذا الكلـ
ـب عديم العقاب فى يوم عقبى
وصلاة على الذى شرع الديـ
ـن وزالت به الشكوك وطبا
مع سلام عليه فى كل وقت
مثل ما كان الجهاد وضبا

(وقال)

وسبعة ان حواها الشخص ساد على
جميع أقرانه من غير ما ريب * علم وحلم و بذل مع شجاعته * والنصح والنسب الزاكى مع الادب

قيل

(وقال عفا الله عنه) * حارات أولاد العرب * سبعا سوت من الكرب * بولا وغائطا كذا * ترب غبار وأدب

وصحبة وأهلها * شبه عفاريت الترب * (وقال عفا الله عنه) * وجددوا ولى التسبيح والسبحة * والصوف والعكاز والشملة

والدلق والابريق لاسيما * شيوخ ابليس أولى الشعرة * حوت أباليس يتعدادها * حوت شعورا بل بلا عدة

قيل لما مضى من لدن ملك الاسكندر أرض بابل فى قول النصارى وأهل الكتاب الاول خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة وفى قول المجوس مائتان وست وستون وثب اردشير بن بابك بن ساسان الاصغر بن بابك بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن الملك بن اسفنديار بن بشتاسب وقيل فى نسبته غير ذلك يريد الاخذ بثار الملك دارا ابن دارا ورد الملك الى أهله والى ما لم يزل عليه أيام سلفه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف وجمعه لرئيس واحد وذكران مولده كان بقرية من قرى اصطخر يقال لها طيروده من رستاق اصطخر وكان جده ساسان شجاعا مغرى بالصيد وتزوج امرأة من نسل ملوك فارس يعرفون بالبادرنجيين وكان قيما على بيت نار باصطخر يقال له بيت نار هيد فولدت له بابك فلما كبر قام بأمر الناس بعد أبيه ثم ولد له ابنه اردشير وكان ملك اصطخر يومئذ رجلا من البادرنجيين يقال له جوزهر وكان له خصى اسمه تيرى قد صيره ارجيذ ابدارابجرد فلما أتى لاردشير سبع سنين قدمه أبوه الى جوزهر وسأله ان يضمه الى تيرى ليكون ربيباله وارجيذا بعده فى موضعه فأجابه وأرسله الى تيرى فقبله وتبناه فلما هلك تيرى تقلد اردشير الامر وحسن قيامه به وأعلمه قوم من المنجمين صلاح مولده وانه يملك فازداد فى الخير ورأى فى منامه ملكا جلس عند رأسه فقال له ان الله يملكك البلاد فقويت نفسه قوة لم يعهدها وكان أول ما فعل انه سار الى موضع من دارابجرد يسمى خوبابان فقتل ملكها واسمه فاسين ثم سار الى موضع يقال له كوسن فقتل ملكها واسمه منوجهر ثم الى موضع يقال له لروير فقتل ملكها واسمه دارا وجعل فى هذه المواضع قوما من قبله وكتب الى أبيه بما كان منه وأمره بالوثوب بجوزهر وهو بالبيضاء ففعل ذلك وقتل جوزهر وأخذ تاجه وكتب الى اردوان ملك الجبال وما يتصل بها يتضرع اليه ويسأله فى تتويج ابنه سابور بتاج جوزهر فمنعه من ذلك وهدده فلم يحفل بابك بذلك وهلك فى ثلاثة أيام فتوج سابور بن بابك بالتاج وملك مكان أبيه وكتب الى اردشير يستدعيه فامتنع فغضب سابور وجمع جموعا وسار بهم نحوه ليحاربه وخرج من اصطخر وبها عدة من أصحابه واخوانه وأقاربه وفيهم من هو أكبر سنا منه فأخذوا التاج والسرير وسلموه الى اردشير فتتوج وافتتح أمره بجد وقوة وجعل له وزيرا ورتب موبذ موبذان وأحس من اخوته وقوم كانوا معه بالفتك به فقتل جماعة كثيرة منهم وعصى عليه أهل دارابجرد فعاد اليهم فافتتحها وقتل جماعة من أهلها ثم سار الى كرمان وبها ملك يقال له بلاش فاقتتلا قتالا شديدا وقاتل اردشير بنفسه وأسر بلاش فاستولى على المدينة وجعل فيها ابنا له اسمه اردشير أيضا وكان فى سواحل بحر فارس ملك اسمه اسيون يعظم فسار اليه اردشير فقتله وقتل من معه واستخرج له أموالا عظيمة وكتب الى جماعة من الملوك منهم مهرك صاحب ابرساس من اردشير خره يدعوهم الى الطاعة فلم يفعلوا فسار اليهم فقتل مهرك ثم سار الى جور فأسسها وبنى الجوسق المعروف

والمكرفات الحصر كالبحر بل
يعد فيه البحر كالقطرة
فصار ابليس لهم تابعا
يقول يا للعون والنجدة
مما حويتم علمونى فما
لى عنكم فى المكر من غنية
لكم قيادى وانقيادى وما
مثلكم فى النادو الندوة
وأنتم تاجى على هامتى
ما همت الا كنتم واهمتى
لازلتم وامازلتم واعيبتى
فى غيبتى ما كنت أو حضرتى
بملء الافواه ينادون يا
أهل الوفا يا صاحب النوبة
يا شافعى يا قطب يا رافعى
يا الارفاعى يا بنى الرفعة
يا سيدى أحمد يا أوليا
ءالكون عينونا على الجملة
ذو كرة والمال يبغون ما
لهم بغير المال من بغية
لكنهم فى الفسق أرقى الورى
كما ترى من غير ما مرية
اتخذوا المرد مرادا لهم
تهالكوا فيهم على الهلكة
جهرا وسموهم بدا باتهم
فى الشين والشرة والعرة
والانتها النار جزا كل من
لا ينتهى ما كان ذا نهية
فالبعد كل البعد عنهم فما
فى الخمس من خير ولا خيرة
ومثلهم من مثله قد غدوا
وغودروا فى الدين كالعدة

واستكبروا عن شرعة الشرعة * فتية سوء فقهاء نسبة * انتهبوا الاموال بالفتية * عمائما والكم قد كبروا * أهل الهدى والدين والتقوة * فى هيئة يمشون مع هيبة * تخشعا من غير ما خشية * لجمع الاموال وكى ما يقال

في الظالمين انجعروا مثل ما ✻ تنجحر الحية في الجحرة   فاعقب الظالم منهم ردى ✻ على ردى يعقب في العقبة
وخالفوا الاتر كنوا عسسوا ✻ بالنار لا تبلغكم نصرتي يا ويلهم قد خلعوا دينهم ✻ واختلعوا خبث ما خلعة

بالطوبال وبيت نار هنالك فبيناهو كذلك اذ ورد عليه رسول اردوان بكتاب فجمع الناس فقرأه عليهم فاذا فيه انك عدوت قدرك واجتلبت حتفك أيها الكردي من أذن لك في التاج والبلاد ومن أمرك ببناء المدينة وأعلمه انه قد وجه اليه ملك الاهواز ليأتيه به في وثاق فكتب اليه ان الله حباني بالتاج وملكني البلاد وأنا أرجو ان يمكنني منك فابعث برأسك الى بيت النار الذي أسسته وسار اردشير نحو اصطخر وخلف وزيره ابرسام باردشير خره فلم يلبث الا قليلا حتى ورد عليه كتاب برسام بموافاة ملك الاهواز وعوده منكوبا ثم سار الى اصبهان فملكها وقيل ملكها وعاد الى فارس وتوجه الى محاربة نيروفر صاحب الاهواز وسار الى ارجان والى ميسان وطاسار ثم الى سرق فوقف على شاطئ دجيل فظفر بالمدينة وابتنى مدينة سوق الاهواز وعاد الى فارس بالغنائم ثم عاد من فارس الى الاهواز على طريق خرة وكازرون وقتل ملك ميسان وبنى هنالك كرخ ميسان وعاد الى فارس فأرسل الى اردوان يؤذنه بالحرب ويقول له ليعين موضع القتال فكتب اليه اردوان اني أوافيك في صحراء هرمزجان لانسلاخ مهرماه فوافاه اردشير قبل الوقت وخندق على نفسه واحتوى على الماء ووافاه اردوان وملك الارمانيين وكانا يتحاربان على الملك فاصطلحا على اردشير وحارباه وهما متساندان يقاتله هذا يوما وهذا يوما فاذا كان يوم بابا ملك الارمانيين لم يقم له اردشير واذا كان يوم اردوان لم يقم لاردشير فصالح اردشير بابا ملك الارمانيين على أن يكف عنه ويفرغ اردشير لاردوان فلم يلبث ان قتله واستولى على ما كان له وأطاعه بابا وسمى اردشير شاهنشاه ثم سار الى همذان فافتتحها والى الجبل وأذربيجان وارمينية والموصل فافتتحها عنوة وسار الى السواد من الموصل فملكه وبنى على شاطئ دجلة قبالة طيسفون وهي المدينة التي في شرق المدائن مدينة غربية وسماها به اردشير وعاد من السواد الى اصطخر وسار منها الى سجستان ثم الى جرجان ثم الى نيسابور ومرو وبلخ وخوارزم وعاد الى فارس ونزل جور فجاءه رسل ملك كوسان وملك طوران وملك مكران بالطاعة ثم سار من جور الى البحرين فاضطر ملكها الى ان رمى نفسه من حصنه فهلك وعاد الى المدائن فتوج ابنه سابور بتاجه في حياته وبنى ثمان مدن منها مدينة الخط بالبحرين ومدينة بهرسير مقابل المدائن وكان اسمه به اردشير فعربت بهسير واردشير خره وهي مدينة فيروزاباذ سماها عضد الدولة بن بويه كذلك وبنى بكرمان مدينة اردشير أيضا فعربت بردشير وبنى بهمن اردشير على دجلة عند البصرة والبصريون يسمونها بهمن شير وفرات ميسان أيضا وبنى رامهرمز بخوزستان وبنى سوق الاهواز وبالموصل بودر اردشير وهي حزة ولم يزل محمود السيرة مظفرا منصورا لا ترد له راية ومدن المدن وكور الكور ورتب المراتب وعمر البلاد وكان ملكه من قتله اردوان الى ان هلك أربع عشرة سنة وقيل أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ولما استولى اردشير على العراق كره كثير من تنوخ المقام في مملكته فخرج من كان منهم

من يتبع غير سبيل الهدى
تهوي به الاهواء في هوة
فشاسعا خذ منهم خاب من
خب اليوم غاية الخيبة
يا دافع الاسواء عن عبده
تكرما يا ساتر السوأة
الى المجازي حسن أحسن
بحسن ختم لانقضا المدة
هول النكيرين فقه حين لا
للمرء من حيل ولا حيلة
ونجه من هول يوم اللقا
اذ الشقا حل بذي الشقوة
وقل عبيدي لا تخف وادخلن
في زمرة الداخل في رحمتي
من غير ما سبق حساب ولا
نيل عقاب بل الى جنتي
جوار خير الرسل طه الذي
بوطئه طاب ثرى طيبة
صلى عليه الله والآل والا
تباع من صالح ذي الامة
مسلما ما لاح برق وما
ودق همى أينما وجهة

✻ (وله) ✻

لابد للانسان من سبعة
اذا الشتا عم جميع القباج
كن وكانون وكيس كسا
واللحم والسمن وبيض الدجاج

(وله)

رب قصير في الورى لحيته
طولها الله بلا فائده
كأنها بعض ليالي الشتا
طويلة مظلمة بارده

(وقال عفا الله عنه) الجامع الازهر ابتلاه ✻ رب له العز والوجود بكل فظ تحف وطرف من
عليك بالبدر لا تجود قطعة صخر أليس فيه ✻ الثقل واليبس والجمود عمائما كبروا وكما ✻ قد وسعوها لكي يسودوا

من قضاعة الى الشام ودان له أهل الحيرة والانبار وقد كانت الحيرة والانبار بنيتا زمن بختنصر فخربت الحيرة لتحوّل أهلها الى الانبار وعمرت الانبار خمسمائة سنة وخمسين سنة الى ان عمرت الحيرة زمن عمرو بن عدى فعمرت خمسمائة وبضعا وثلاثين سنة الى أن وضعت الكوفة ونزلها أهل الاسلام

(ذكر ملك سابور بن اردشير بن بابك)

ولما هلك اردشير بن بابك قام بالملك بعده ابنه سابور وكان اردشير قد أسرف فى قتل الاشكانية حتى أفناهم بسبب أليته التى آلاها جده ساسان بن اردشير بن بهمن فانه أقسم انه ان ملك يوما من الدهر لم يستبق من نسل اشك بن حرة أحدا وأوجب ذلك على عقبه فكان أول من ملك من عقبه اردشير فقتلهم جميعا نساءهم ورجالهم غير ان جارية وجدها فى دار المملكة فاعجبته وكانت ابنة للملك المقتول فسألها عن نسبها فذكرت انها خادم لبعض نساء الملك فسألها أبكر أم ثيب فاخبرته انها بكر فاتخذها لنفسه وواقعها فعلقت منه فلما أمنت منه بحبلها أخبرته انها من ولد اشك فنفر منها ودعا هرجد بن اسام وكان شيخا مسنا فاخبره الخبر وقال له ليقتلها اليبر قسم جده فاخذها الشيخ ليقتلها فاخبرته انها حبلى فاتى بالقوابل فشهدن بحبلها فاودعها سربا من الارض ثم قطع مذاكيره ووضعها فى حق وختم عليه وحضر عند الملك فقال ما فعلت فقال استودعتها بطن الارض ودفع الحق اليه وسأله ان يختمه بخاتمه ويودعه بعض خزائنه ففعل ثم وضعت الجارية غلاما فكره الشيخ ان يسمى ابن الملك دونه وخاف أن يعلمه به وهو صغير فاخذ له الطالع وسماه شاه بور ومعناه ابن الملك فيكون اسما وصفة وهو أوّل من تسمى بهذا الاسم وبقى اردشير لا يولد له فدخل عليه الشيخ الذى عنده الصبى يوما فوجده محزونا فقال له ما يحزن الملك فقال ضربت بسيفى ما بين المشرق والمغرب حتى ظفرت وصفا لى ملك آبائى ثم اهلك وليس لى عقب فيه فقال له الشيخ سرك الله أيها الملك وعمرك لك عندى ولد طيب نفيس فادع لى بالحق الذى استودعتك أرك برهان ذلك فدعا اردشير بالحق وفتحه فوجد فيه مذاكير الشيخ وكتابا فيه لما أخبرتنى ابنة اشك التى علقت من ملك الملوك حين أمر بقتلها لم أستحل اتلاف زرع الملك الطيب فاودعتها بطن الارض كما أمر وتبرأنا اليه من أنفسنا لئلا يجد علينا سبيلا فامره اردشير ان يجعل مع سابور مائة غلام وقيل ألف غلام من اشباهه فى الهيئة والقامة ثم يدخلهم عليه جميعا لا يفرق بينهم زى ففعل الشيخ فلما نظر اليهم اردشير قبلت نفسه ابنه من بينهم ثم اعطوا صوالجة وكرة فلعبوا بالكرة وهو فى الايوان فدخلت الكرة الايوان فهاب الغلمان ان يدخلوه واقدم سابور من بينهم ودخل فاستدل باقدامه مع ما كان من قبوله له حين رآه انه ابنه فقال له اردشير ما اسمك قال شاه بور فلما ثبت عنده انه ابنه شهر أمره وعقد له التاج من بعده وكان عاقلا بليغا فاضلا فلما ملك ووضع التاج على

حتى غدا حرفة وحرفا
ما عنه بدو لا محيد
يا لذئاب ذوى ثياب
بين دواب لها تبيد
صلوا وقاموا الدجى وصاموا
والقلب عن كل ذا بعيد
فاين هم ممن اجتمعنا
بهم لهم طالع سعيد
ان أشكل الامر أو عضره
أو كنت فيهم فتستفيد
وهم على ذاك فى خضوع
وخوفهم من غد شديد
أبدلهم دهرنا قرودا
يا بئس دهر له قرود
البعض منهم يقول انى
فى العلم بين الورى فريد
ومن مضى ليس لى يضاهى
حتى الجوينى والجنيد
وما وعمرك ريح علم
شم ولا عنه يحيد
بل ثلاث دعوى وما عليها
قرينة لا ولا شهود
فالبعد خذ عنهم سبيلا
تكن نعم الفتى المجيد
فاسلمنا بغير عزل
بالقلب عنهم كما تريد
ويسأل الله حسن ختم
ألحسن المذهب الشريد
وراحة بعده وحشرا
وجنة رزقها رغيد
بجاه طه نبى البرايا
صلى عليه العلى المجيد

 والآل والصحب ثم تال * ليوم وعد به الوعيد (وقال) * اذا امرأة يوما خطبت فلم تجب *
فدعها ولا ترجع لخطبتها العمر * فعمر ابتداء الشئ آت بشؤمه * وعزة نفس المرء نعمته الكبرى

رأسه فرق الاموال على الناس من قرب ومن بعد وأحسن اليهم فبان فضل سيرته وفاق جميع الملوك وبنى مدينة نيسابور ومدينة سابور بفارس وبنى فيروزسابور وهى الانبار و بنى جنديسابور وقيل انه حاصر الروم بنصيبين وفيها جمع من الروم مدة ثم أتاه من ناحية خراسان ما احتاج الى مشاهدته فسار اليها وأحكم أمرها ثم عاد الى نصيبين فزعموا ان سورها تصدع وانفرجت منه فرجة دخل منها وقتل وسبى وغنم وتجاوزها الى بلاد الشام فافتتح من مدائنها مدنا كثيرة منها قالوقية وقذوقية وحاصر ملكا للروم بانطاكية فاسره وحمله وجماعة كثيرة معه فاسكنهم مدينة جنديسابور

(ذكر خبر مدينة الحضر)

كانت بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضر وكان بها ملك يقال له الساطرون وكان من الجرامقة والعرب تسميه الضيزن وهو من قضاعة وكان قد ملك الجزيرة وكثر جنده وانه تطرق بعض السواد اذ كان سابور بخراسان فلما عاد سابور أخبر بما كان منه فسار اليه وحاصره أربع سنين وقيل سنتين لا يقدر على هدم حصنه ولا الوصول اليه وكان للضيزن بنت تسمى النضيرة فحاضت فأخرجت الى ربض المدينة وكذلك كان يفعل بالنساء وكانت من أجمل النساء وكان سابور من أجمل الناس فرأى كل واحد منهما صاحبه فتعاشقا فارسلت اليه ما تجعل لى ان دللتك على ما تهدم به سور المدينة فقال أحكمك وارفعك على نسائى فقالت عليك بحمامة ورقاء مطوقة فاكتب على رجلها بحيض جارية بكر زرقاء ثم أرسلها فانها تقع على سور المدينة فيخرب وكان ذلك طلسم ذلك البلد ففعل وتداعت المدينة فدخلها عنوة وقتل الضيزن وأصحابه فلم يبق منهم أحد يعرف اليوم وأخرب المدينة واحتمل النضيرة فاعرس بها بعين التمر فلم تزل ليلتها تتضور فالتمس ما يؤذيها فاذا ورقة آس ملتزقة بعكنة من عكن بطنها فقال لها ما كان يغذوك به أبوك قالت بالزبد والمخ وشهد الابكار من النحل وصفو الخمر فقال وأبيك لأنا احدث عهدا وآثر لك من أبيك فامر رجلا فركب فرسا جموحا ثم عصب غدائرها بذنبه ثم استركضها فقطعها قطعا وقد اكثر الشعراء ذكر الضيزن فى أشعارهم وفى ايام سابور ظهر مانى الزنديق وادعى النبوة وتبعه خلق كثير وهم الذين يسمون المانوية وكان ملكه ثلاثين سنة وخمسة عشر يوما وقيل احدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة أيام

(ذكر ملك ابنه هرمز بن سابور بن اردشير بن بابك)

وكان يشبه فى خلقه باردشير غير لاحق به فى تدبيره وكان من البطش والجراءة على أمر عظيم وكانت أمه من بنات مهرك الملك الذى قتلها اردشير و تتبع نسله فقتلهم لان المنجمين أخبروه انه يكون من نسله من يملك فهربت امه الى البادية وأقامت عند

فصنها وقيدها عليك بشكرها * والاتوات عنك ذاهبة قهرا * وماذهبت الا وقد قل عودها * كما وجار فى البرية مستقرى
* لك الحسن البدرى أهدى نصيحة * تفوق اليواقيت الثمينة والدرا * فعض عليها بالنواجذ واسأل *
له ختم خيرا والنجاة من العسرى
(وقال)
وسبعة ان رأى الانسان واحدة
منها يكون أخا من فى الورى قبرا
شيب ثلاث سعال الليل كثرة ما
يفسى وقلة أكل الزاد اذ حضرا
وسرعة البول واحد يداب قامته
كذا اذا اصلع فى رأسه ظهرا
(وقال عفا الله عنه)
وسبعة ان حصلت للفتى
يفوز بالدنيا والآخره
صلاح أولاد وزوج كذا
نفس لمولاها غدت شاكره
كفاف عيش ثم قنع به
والعلم أيضا عمل صاهره
(وقال)
عن علماء مصرك لا تسألن
فان أحوالهم ظاهره
نفعك من جاههم منتف
فى هذه الدنيا وفى الآخره
قوم اذا لاح لهم مطمع
تسارعوا كالاكلب العاقره
والعمل الصالح ما بينهم
همتهم عن فعله فاتره
خانيا خذ منهم تسترح
اذ قربهم صفقتك الخاسره
تقارب الامر وبان العنا
وطمت الغمة والحاصرة
ونفسك الزم فعسى ان تكن
مع فرقة أوجهها ناضره
(وقال عفا الله عنه)
لا شئ تزرعه الا قلعت سوى
* بنى آدم من يزرعه يقلعه * ولا على ذاهب يجرى الدموع دما * الا الذى بالعنا والسلك يجمعه * بعض
وما هم وملك يكى غير نفسك أو * صديق صدق وجميع منك يوجعه * واقرب الناس للانسان عقربه *

بعض الرعاء وخرج سابور متصيدا فاشتد به العطش وارتفعت له الاخبية التى فيها ام هرمز فقصدها وطلب الماء فناولته المرأة فرأى منها جمالا فائقا فلم يلبث ان حضر الرعاء فسألهم سابور عنها فقال بعضهم انها ابنته فتزوجها وسار بها الى منزله وكسيت ونظفت فارادها فامتنعت عليه مدة فلما طال عليه سألها عن سبب ذلك فاخبرته انها ابنة مهرك وانها تفعل ذلك ابقاء عليه من اردشير فعاهدها على ستر أمرها ووطئها فولدت له هرمز فستر أمره حتى صار له سنون فركب اردشير يوما الى منزل ابنه سابور لشئ أراد ذكره له فدخل منزله مفاجأة فلما استقر خرج هرمز وبيده صولجان وهو يصيح فى أثر الكرة فلما رآه اردشير أنكره ووقف على المشابه التى فيه من حسن الوجه وعبالة الخلق وامور غيرها فاستدناه اردشير وسأل عنه سابور فخر ج معترفا على سبيل الاقرار بالخطا واخبر أباه اردشير الخبر فسر واخبره انه قد تحقق الذى ذكره المنجمون فى ولد مهرك وان ذلك قد سلى ما كان فى نفسه واذهبه فلما ملك سابور ولى هرمز خراسان وسيره اليها فقهر الاعداء واستقل بالامر فوشى به الوشاة الى سابور وانه على عزم ان يأخذ الملك منه وسمع هرمز بذلك فقيل انه قطع يده وأرسلها الى أبيه فكتب اليه يعلمه وانه فعل ذلك ازالة للتهمة لان رسمهم انهم كانوا لا يملكون ذا عاهة فلما وصلت يده الى سابور تقطع أسفا وارسل الى هرمز يعلمه ما ناله لذلك وعقد له على الملك وملكه ولما ملك عدل فى رعيته وكان صادقا وسلك سبيل آبائه وكور كورة رامهرمز وكان ملكه سنة وعشرة أيام

(ذكر ملك ابنه بهرام بن هرمز بن سابور)

وكان حليما متأنيا حسن السيرة وقتل مانى الزنديق وسلخه وحشا جلده تبنا وعلق على باب من أبواب جنديسابور يسمى باب مانى وكان ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام وكان عامل سابور بن اردشير وابنه هرمز وبهرام بن هرمز بعد مهلك عمرو بن عدى على ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ ابن لعمرو بن عدى يقال له امرئ القيس الكندى وهو أول من تنصر من آل نصر بن ربيعة وعمال الفرس وعاش ملكا فى عمله مائة سنة واربع عشرة سنة منها فى زمن سابور بن اردشير ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وفى زمن هرمز بن سابور سنة وعشرة أيام وفى زمن بهرام ثلاث سنين وثلاثة اشهر وثلاثة ايام وفى زمن بهرام بن بهرام بن هرمز ثمانى عشرة سنة

(ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن اردشير)

وكان ملكه حسنا وكان عالما بالامور فلما عقد له التاج وعدهم بحسن السيرة واختلف فى سنى ملكه فقيل ثمانى عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة والله أعلم

(ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور)

بل صله بل ذواهيه ومفزعه * فاحذر ركونا اليه والنصح أطع * فالنصح غال واغلى منه طيعه *
وان تلذ بخرب ترجعن الى * قولى فتجربة الانسان ترجعه * وراحة المرء فى دنياه عزلته *

* وصمته عن سوى ما فيه منفعه
اذا السلامة عشر عزلة أخذت
جزأ وتسع بصمت ذاك مجمعه
هذا هو الصدق حقا لاخفاء به
عن النبى رسول الله نرفعه
ولا تكن عاتبا يوما على أحد
الا على حظك المنحوس مطلعه
فذاك صاحبه ميت وتبصره
حيا ولكن على الحيات مضجعه
والظلم والنكر لا تعجب اذا وقعا
واعجب لعدل ترى يوما وتسمعه
ما أكثر الناس لو تحرص بمؤمنهم
ولا امين على ما انت تودعه
وبعد الاحباب من يبقى يحيق به
نكر النكير فظيع الوقع موقعه
اذ المنايا الى الانسان ليس لها
طرق سوى فرقة المحبوب تقرعه
دع المطامع فى الدنيا باجمعها
فانما آفة الانسان مطمعه
الكل فان وما المطموع فيه سوى
ما كان من صالح الاعمال تودعه
فذلك النور التقى والامن حين ثوى
فى حفرة قفرة عما يردعه
اليك ربى الجازى من سمى حسنا
من منكرات نكير القبر مفزعه
اذ من وقيها وقى ما بعدها واذا
لم يوقها الا تسل عما يزعزعه
(وقال عفا الله عنه)
يا اصفع أولى سبعة من أتى
وليمة لم يك فيها دعى
وخائض شيأ ولم يحمه
ومن اذا احدث لم يسمع
وداخل فى سر قوم بلا * اذن ومن يعلو ولم يرفع
ومن بسلطان له شوكة * يهزا ومن يخضع للأوضع
(ومن كلامه سامحه الله) أيها الآتى ضريحى * قف على قبرى شوى * واقرأ القرآن عندى * ينزل الروح على

فلما عقد التاج على رأسه دعا له العظماء فاحسن الرد وكان قبل ان يفضي اليه الامر ملكا على سجستان وكان ملكه اربع سنين

(ذكر ملك نرسى بن بهرام)

وهو أخو بهرام الثالث فلما عقد التاج على رأسه دخل عليه الاشراف والعظماء فدعوا له فوعدهم خيرا وسار فيهم باعدل السيرة وقال ان نضيع شكر ما أنعم الله به علينا وكان ملكه تسع سنين

(ذكر ملك هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز)

وكان الناس قد وجلوا منه لفظاظته فاعلمهم انه قد علم ما كانوا يخافون من شدة ولايته وان الله قد أبدل ما كان فيه من الفظاظة رقة ورأفة وساسهم أرفق سياسة وكان حريصا على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل ثم هلك ولا ولد له فشق ذلك على الناس فسألوا عن نسائه فذكر لهم ان بعضهن حبلى وقيل ان هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحمل وولدت المرأة سابور ذا الاكتاف وكان ملك هرمز ست سنين وخمسة اشهر وقيل سبع سنين وخمسة اشهر واسماء الملوك من سابور بن اردشير الى ههنا لم يحذف منها شئ

(ذكر ملك ابنه سابور ذى الاكتاف)

وهو سابور بن هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن اردشير بن بابك قيل ملك بوصية ابيه له فاستبشر الناس بولادته وبثوا خبره في الآفاق وتقلد الوزراء والكتاب ما كانوا يعملونه في ملك أبيه وسمع الملوك ان ملك الفرس صغير في المهد فطمعت في مملكتهم الترك والعرب والروم وكانت العرب أقرب الى بلاد فارس فسار جمع عظيم منهم في البحر من عبد القيس والبحرين الى بلاد فارس وسواحل اردشير خرة وغلبوا أهلها على مواشيهم ومعايشهم وأكثروا الفساد وغلبت اياد على سواد العراق وأكثروا الفساد فيهم فمكثوا حينا لا يغزوهم احد من الفرس لصغر ملكهم فلما ترعرع سابور وكبر كان أول ما عرف من حسن فهمه انه سمع في السحر ضوضاة واصواتا فسأل عن ذلك فقيل ان الناس يزدحمون في الجسر الذى على دجلة مقبلين ومدبرين فامر بعمل جسر آخر يكون أحدهما للمقبلين والآخر للمدبرين فاستبشر الناس بذلك فلما بلغ ست عشرة سنة وقوى على حمل السلاح جمع رؤساء أصحابه فذكر لهم ما اختل من أمرهم وانه يريد الذب عنهم ويشخص الى بعض الاعداء فدعا له الناس وسألوه ان يقيم بموضعه ويوجه القواد والجنود ليكفوه ما يريد فأبى واختار من عسكره ألف رجل فسألوه الازدياد فلم يفعل وسار بهم ونهاهم عن الابقاء على أحد من العرب وقصد بلاد فارس فاوقع بالعرب وهم غارون فقتل واسروا أكثر ثم قطع البحر الى الخط فقتل من بالبحرين

أين قارون كنوز
أين هامان الدهى
أين كسرى أين قيصر
أين شداد وطى
واناس شاكلوهم
في غرور ماوغى
دمر الله عليهم
وشواهم أى شئ
ولوى من تابعوهم
في البلايا أى لى
أصبحوا فرحى ثراوى
ثم امسوا في الثرى
قصرت عنهم قصور
وتقاصوا في قصى
موعر قفر مخيف
موحش حشو الحشى
قائل كل ألايا
ليت يقضى لى بفى
صالحا على أعمل
ولعلى محض عى
ولكى أنذر قومى
ولكى آلة كى
فتنبه وتدبر
واتعظ من ذا أخى
ما والاصرت وعظا
للورى في أى فى
يا مغيثا مستغيثا
حين يغشاه الغشى
للمجازى حسن هب
حسن ختم منك حى
وازوعنه منكر قبر
ثم حشر أى زى
وصلاة وسلام * سرمدا في الكون حى * للنبي مع تابعيه * ولهم كرم وحى
وله غير ذلك كثير اقتصرنا منه على هذا البعض توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وألف رحمه الله (ومات) الشيخ الامام

بالبحرين لم يلتفت الى غنيمة وسار الى هجر وبها ناس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس فقتل منهم حتى سالت دماؤهم على الارض وأباد عبد القيس وقصد اليمامة وأكثر في أهلها القتل وغور مياه العرب وقصد بكرا وتغلب فيما بين مناظر الشام والعراق فقتل وسبى وغور مياههم وسار الى قرب المدينة ففعل كذلك وكان ينزع اكتاف رؤسائهم ويقتل الى ان هلك فسموه سابور ذا الاكتاف لهذا وانتقلت اياد حينئذ الى الجزيرة وصارت تغير على السواد فجهز سابور اليهم الجيوش وكان لقيط الايادي معهم فكتب الى اياد

سلام في الصحيفة من لقيط * الى من بالجزيرة من اياد
بان الليث كسرى قد أتاكم * فلا يشغلكم سوق النقاد
أتاكم منهم سبعون ألفا * يزجون الكتائب كالجراد

فلم يقبلوا منه وداموا على الغارة فكتب اليهم أيضا

أبلغ ايادا وطول في سراتهم * اني أرى الرأي ان لم اعص قد نصعا

وهي قصيدة مشهورة من أجود ما قيل في صفة الحرب فلم يحذروا وأوقع بهم سابور وأبادهم قتلا الا من لحق بارض الروم فهذا فعله بالعرب وأما الروم فان سابور كان هادن ملكهم وهو قسطنطين وهو أول من تنصر من ملوك الروم ونحن نذكر سبب تنصره عند الفراغ من ذكر سابور ان شاء الله ومات قسطنطين وفرق ملكه بين ثلاثة بنين كانوا له فهلكوا وملكت الروم عليهم رجلا من أهل بيت قسطنطين يقال له اليانوس وكان على ملة الروم الاولى ويكتم ذلك فلما ملك أظهر دينه وأعاد ملة الروم وأخرب البيع وقتل الاساقفة ثم جمع جموعا من الروم والخزر وسار نحو سابور واجتمعت العرب للانتقام من سابور فاجتمع في عسكر اليانوس منهم خلق كثير وعادت عيون سابور اليه فاختلفوا في الاخبار فسار سابور بنفسه مع جماعة من ثقاته نحو الروم فلما قرب من يوسانوس وهو على مقدمة اليانوس اختفى وأرسل بعض من معه الى الروم فأخذوا وأقر بعضهم على سابور فأرسل يوسانوس اليه سرا ينذره فارتحل سابور الى عسكره وحارب هو والعرب والروم فانهزم عسكره وقتل منهم مقتلة عظيمة وملكت الروم مدينة طيسفون وهي المدائن الشرقية وملكوا أيضا أموال سابور وخزائنه وكتب سابور الى جنوده وقواده يعلمهم ما لقي من الروم والعرب ويستحثهم على المسير اليه فاجتمعوا اليه وعاد واستنقذ مدينة طيسفون ونزل اليانوس مدينة بهرسير واختلف الرسل بينهما فبينما اليانوس جالس أصابه سهم لا يعرف راميه فقتله فسقط في أيدي الروم ويئسوا من الخلاص من بلاد الفرس فطلبوا من يوسانوس ان يملك عليهم فلم يفعل وأبى الا ان يعودوا الى النصرانية فأخبروه انهم على ملته وانما كتموا ذلك خوفا من اليانوس فملك عليهم وأرسل سابور الى الروم يتهددهم ويطلب الذي ملك عليهم

خاتمة المحدثين الشيخ عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم بن عيسى البصري منشأ المكي مولدا الشافعي مذهبا ولد يوم الاربعاء رابع شعبان سنة ثمان وأربعين ومائة وألف كما ذكره الحموي وحفظ القرآن وأخذ عن علي بن الجمال وعبد الله بن سعيد باقشير وعيسى الجعفري ومحمد بن محمد بن سليمان والشمس البابلي والشهاب البشبيشي ويحيى الشاوي وعلي بن عبد القادر الطبري والشمس محمد الشرنبابلي والبرهان ابراهيم ابن حسن الكوراني ومحدث الشام محمد بن علي الكاملي ولبس الخرقة من يد السيد عبد الرحمن الادريسي والمسلسل بالاولية عن الشهاب أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي * وتوفي يوم الاثنين رابع رجب سنة أربع وثلاثين ومائة وألف عن أربع وثمانين سنة ودفن بالمعلاة بمقام الولي سيدي عمر العرابي قدس سره وقد أرخه بعضهم فقال

علم	الحديث	مات
١٤٠	٥٥٣	٤٤١

١١٣٤

وأرخه عبد الرحمن ابن علي بن سالم المكي بقوله

محدث العصر قضى نحبه * وسار للجنة سيرا حثيث
وفاز بالقرب فأرخته * ابك له مات امام الحديث

ابك	له	مات	امام	الحديث
٢٣	٣٥	٤٤١	٨٢	٥٣

١١٣٤

حدث عنه شيوخ العصر ابن أخته السيد العلامة عمر بن أحمد بن عقيل العلوي والشهاب أحمد الملوي والجوهري وعلاء الدين بن عبد الباقي المزجاجي الزبيدي والسيد عبد الرحمن بن السيد عبد الرحمن بن السيد أسلم الحسيني والشبراوي والشيخ الوالد حسن الجبرتي وعندي سنده وإجازته له بخطه

والسيد المجدد محمد بن اسمعيل الصنعاني المعروف بابن الامير ذي الشرفين كتابة من صنعاء والسيد العلامة حسن بن عبد
الرحمن باعيديد العلوي كتابة من المخنا والشيخ المعمر صبغة الله بن الهداد الحنفي كتابة من خير آباد ومحمد بن

ليجتمع به فسار اليه يوسانوس في ثمانين رجلا فتلقاه سابور وتساجدا وطعما وقوّى
سابور أمر يوسانوس بجهده وقال للروم انكم أخربتم بلادنا وأفسدتم فيها فاما ان تعطونا
قيمة ما أهلكتم واما ان تعوضونا نصيبين وكانت قديما للفرس فغلبت الروم عليها
فدفعوها اليهم وتحوّل أهلها عنها فحول اليها سابور اثنى عشر ألف بيت من أهل
اصطخر واصبهان وغيرها وعادت الروم الى بلادها وهلك ملكهم بعد ذلك بيسير وقيل
ان سابور سار الى حد الروم وأعلم اصحابه انه على قصد الروم مختفيا لمعرفة أحوالهم
وأخبار مدنهم وسار اليهم فجال فيهم حينا وبلغه ان قيصر أولم وجمع الناس فحضر بزى
سائل لينظر الى قيصر على الطعام ففطن به وأخذ وادرج في جلد ثور وسار قيصر بجنوده
الى أرض فارس ومعه سابور على تلك الحال فقتل وأخرب حتى بلغ جنديسابور فتحصن
أهلها وحاصرها فبينما هو يحاصرها اذ غفل الموكلون بحراسة سابور وكان بقربه قوم
من سبي الاهواز فامرهم ان يلقوا على القد الذي عليه زيتا كان بقربهم ففعلوا ولان
الجلد وانسل منه وسار الى المدينة وأخبر حراسها فادخلوه فارتفعت أصوات أهلها
فاستيقظ الروم وجمع سابور من بها وعباهم وخرج الى الروم سحر تلك الليلة فقتلهم
وأسر قيصر وغنم أمواله ونساءه واثقله بالحديد وأمره بعمارة ما أخرب والزمه بنقل
التراب من بلاد الروم ليبني به ما هدم المنجنيق من جنديسابور وان يغرس الزيتون
مكان النخل ثم قطع عقبه وبعث به الى الروم على حمار وقال هذا جزاؤك ببغيك علينا
فأقام مدة ثم غزا فقتل وسبى سبايا أسكنهم مدينة بناها بناحية السوس سماها ايران
شهر سابور وبنى مدينة نيسابور بخراسان في قول وبالعراق بزرج سابور وكان ملكه
اثنتين وسبعين سنة وهلك في أيامه امرؤ القيس بن عمرو بن عدى عامله على العرب
فاستعمل ابنه عمرو بن امرئ القيس فبقي في عمله بقية ملك سابور وجميع أيام أخيه
اردشير بن هرمز وبعض أيام سابور بن سابور وكانت ولايته ثلاثين سنة وأما سبب تنصر
قسطنطين فانه كان قد كبر سنه وساء خلقه وظهر به وضح كبير فارادت الروم خلعه
وترك ماله عليه فشاور نصحاءه فقالوا له لا طاقة لك بهم فقد اجمعوا على خلعك وانما
تحتال عليهم بالدين وكانت النصرانية قد ظهرت وهي خفية وقالوا له استمهلهم حتى
تزور البيت المقدس فاذا زرته دخلت في دين النصرانية وحملت الناس عليه فانهم
يفترقون فتقاتل من خالفك بمن أطاعك وما قاتل قوم على دين الا انتصروا ففعل ذلك
فاطاعه عالم عظيم وخالفه خلق كثير واقاموا على دين اليونانية فقاتلهم وظفر بهم
فقتلهم فاحرق كتبهم وحكمتهم وبنى القسطنطينية ونقل الناس اليها وكانت رومية
دار ملكهم وبقي ما ملكه عليه وغلب على الشام وكان الاكاسرة قبل سابور ذي
الاكتاف ينزلون طيسفون وهي المدينة الغربية من المدائن فلما انشأ سابور بنى الايوان
بالمدائن الشرقية وانتقل اليه وصاره دار الملك وهو باق الى الآن ونحن في سنة خمس

حسن بن همان الدمشقي كتابة
من القسطنطينية والشهاب بن
أحمد بن عمر بن علي الحنفي كتابة
من دمشق كلهم عنه وحدث
عنه أيضا شيوخ المشايخ الشيخ
المعمر محمد بن حيوة السندي
نزيل المدينة المنورة والشيخ محمد
طاهر الكوراني والشيخ محمد
ابن أحمد بن سعيد المكي والشيخ
العلامة اسمعيل بن محمد بن عبد
الهادي بن عبد الغني العجلوني
الدمشقي والشيخ عيد بن علي
النمرسي الشافعي والشيخ
عبد الوهاب الطندتائي والشيخ
أحمد باعنتر نزيل الطائف
والشهاب أحمد بن مصطفى بن
أحمد الاسكندري وغيرهم
كذا في المربي الكابلي فيمن
روى عن البابلي * ومات
الرجل الصالح المجذوب
الصاحي أحد صلحاء فقراء
السادة الاحمدية بدمياط الشيخ
ربيع الشيال كان مجاورا
ناسكا حافظا لاوقاته مداوما
على الصلوات والعبادات
والاذكار دائم الاقبال على
الله لا يرى الا في طاعة اذا احرم
في الصلاة يصفر لونه وتأخذه
رعدة فاذا نطق بالتكبير يخيل
للشبان كبده قد تمزق وكان
يتكسب بحمل الامتعة للناس
بالاجرة مع صرفه جميع جوارحه
وأعضائه لما خلق لاجله * توفي سنة احدى وعشرين ومائة وألف * ومات الشيخ المقري الصوفي محمد وعشرين
ابن سلامة بن عبد الجواد الشافعي ابن العارف بالله تعالى الشيخ نور الدين ساكن الصغرية من أعمال فارسكور الصغرى

وعشرين وستمائة

(ذكر ملك اردشير بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن سابور بن اردشير بن بابك أخي سابور)

فلما ملك واستقر له الملك عطف على العظماء وذوي الرياسة فقتل منهم خلقا كثيرا فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه

(ذكر ملك سابور بن سابور ذي الاكتاف)

فلما ملك بعد خلع عمه استبشر الناس بعود ملك أبيه اليه وكتب الى العمال بالعدل والرفق بالرعية وأمر بذلك وزراءه وحاشيته واطاعه عمه المخلوع واحبه رعيته ثم ان العظماء وأهل الشرف قطعوا اطناب خيمة كان فيها فسقطت عليه فقتلته وكان ملكه خمس سنين

(ذكر ملك أخيه بهرام بن سابور ذي الاكتاف)

وكان يلقب كرمان شاه لان أباه ملكه كرمان في حياته فكتب الى القواد كتابا يحثهم على الطاعة وكان محمودا في أموره وبنى بكرمان مدينة وثار به ناس من الفتاك فقتله أحدهم بنشابة وكان ملكه احدى عشرة سنة

(ذكر ملك يزدجرد الاثيم بن بهرام بن سابور ذي الاكتاف)

ومن أهل العلم من يقول ان يزدجرد هذا هو أخو بهرام كرمان شاه بن سابور لا ابنه وكان فظا غليظا ذا عيوب كثيرة يضع الشئ في غير مواضعه كثير الرزية في الصغائر واستعمل كل ما عنده في المواربة والدهاء والمخاتلة مع فطنة بجهات الشر وعجب به وكان علقا سيئ الخلق لا يغفر الصغير من الزلات ولا يقبل شفاعة أحد من الناس وان كان قريبا منه كثير التهمة ولا يأتمن احدا على شئ ولم يكن يكافئ أحدا على حسن البلاء وان هو أولى الخسيس من العرف استعظمه واذا بلغه أن أحدا من أصحابه صافى أحدا من أهل صناعته نحاه عن خدمته وكان فيه مع ذلك ذكاء ذهن وحسن أدب وقد مهر في صنوف من العلم واستوزر نرسي حكيم زمانه وكان فاضلا قد كمل أدبه ولقبه هزار بنده فأمل الناس ان يصلح نرسي منه فكان ما أملوه بعيدا فلما استوى له الملك واشتدت شوكته هابته الاشراف والعظماء وحمل على الضعفاء فأكثر من سفك الدماء فلما ابتليت الرعية به شكوا ما نزل بهم منه الى الله تعالى وسألوه تعجيل انقاذهم منه فزعموا أنه كان بجرجان فرأى ذات يوم في قصره فرسا عائرا لم ير مثله فأخبر به فأمر ان يسرج ويلجم ويدخل عليه فلم يقدر أحد على ذلك فاعلم بذلك فخرج اليه بنفسه وألجمه بيده واسرجه فلما رفع ذنبه ليثفره رمحه على فؤاده رمحة هلك منها مكانه وملأ الفرس

الدمياطي المعروف بأبي السعود بن أبي النور استاذ من جمع بين طريقي أهل الباطن والظاهر من أهل مصر وولد بدمياط ونشأ بها بين صلحائها وفضلائها فحفظ القرآن واشتغل بالعلوم فتفقه بالشيخ جلال الدين الفارسكوري وتلقى المنهج تسع مرات في تسع سنين عن العلامة مصطفى التلياني وأخذ الطريق عن جمع من كمل العارفين ثم ارتحل الى القاهرة فلازم الضياء المزاحي فتفقه به وأخذ عنه فنونا وقرأ القرا آت السبع والعشر عليه وأخذ عن العلامة يس الحمصي فنونا واجتهد ودأب وأتقن وألف في القرا آت وغيرها وعم النفع به وأخذ عنه جمع من الافاضل * توفي سنة سبع عشرة ومائة وألف * (ومات) * أحد الأئمة المشاهير الامام العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد النخلي الشافعي المكي ولد بمكة وبها نشأ وأخذ عن علي بن الجمال وعبد الله بن سعيد باقشير وعيسى الثعالبي ومحمد ابن سليمان والشمس البابلي وسليمان بن أحمد الضيلي القرشي والسيد عبد الكريم الكوراني الحسيني والشمس الميداني والشهاب أحمد المنلجي الوفائي والشيخ شرف الدين موسى الدمشقي والشيخ ابراهيم الحلبي الصابوني والشيخ عبد الرحمن العمادي ومحمد بن علان البكري والصفي القشاشي والشيخ خير الدين الرملي وأبي الحسن علي البازوري * توفي بمكة سنة ثلاثين ومائة والف عن تسعين سنة روى عنه السيد عمر بن أحمد والسيد عبد الرحمن بن أسلم الحسيني والسيد عبد الله بن ابراهيم بن حسن الحنفي والشهاب أحمد بن عمر بن علي

فروجه جريا ولم يعلم له خبر وكان ذلك من صنع الله ورأفته بهم وكان ملكهما ثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة عشر يوما وأما العرب فقيل انه لما هلك عمرو بن امرئ القيس الكندي بن عمرو بن عدي في عهد سابور استخلف سابور على عمله اوس بن قلام وهو من العماليق فهلك لخمس سنين وقتل في عهد بهرام بن سابور فاستخلف بعده في عمله امرأ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الكندي فبقي خمسا وعشرين سنة وهلك أيام يزدجرد الاثيم فاستخلف بعده في عمله ابنه النعمان وأمه شقيقة ابنة أبي ربيعة بن ذهل ابن شيبان وهو صاحب الخورنق وسبب بنائه له ان يزدجرد الاثيم كان لا يبقى له ولد فسأل عن منزل بري صحيح فدل على ظاهر الحيرة فدفع ابنه بهرام جور الى النعمان هذا وأمره ببناء الخورنق مسكنا له وأمره باخراجه الى بوادي العرب وكان الذي بنى الخورنق رجلا اسمه سنمار فلما فرغ من بنائه تعجبوا منه فقال لو علمت أنكم توفوني أجري لعملته يدور مع الشمس فقال وانك لتقدر على ما هو أفضل منه ثم أمر به فالقي من رأس الخورنق فهلك فضربت العرب بجزائه المثل وهو مذكور في اشعارها وغزا النعمان هذا الشام مرارا وأكثر المصائب في أهلها وسبى وغنم وجعل معه ملك فارس كتيبتين يقال لاحداهما دوس وهي لتنوخ وللاخرى الشهباء وهي لفارس فكان يغزو بهما الشام ومن لم يطعه من العرب ثم انه جلس يوما في مجلسه من الخورنق فاشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والانهار في يوم من أيام الربيع فاعجبه ذلك فقال لوزيره هل رأيت مثل هذا المنظر قط قال لا لو كان يدوم قال فما الذي يدوم قال ما عند الله في الآخرة قال فيم ينال ذلك قال بترك الدنيا وعبادة الله فترك ملكه من ليلته ولبس المسوح وخرج هاربا لا يعلم به فاصبح الناس فلم يروه وكان ملكه الى ان تركه وساح تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر من ذلك في أيام يزدجرد خمس عشرة سنة وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة وأما علماء الفرس فانهم يقولون غير هذا وسيرد ذكره

* (ذكر ملك بهرام بن يزدجرد الاثيم) *

ولما ولد ليزدجرد بهرام جور اختار لحضانته العرب فدعا بالمنذر بن النعمان واستحضنه بهرام وشرفه وكرمه وملكه على العرب فسار به المنذر واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات اجسام صحيحة واذهان ذكية وآداب حسنة من بنات الاشراف منهن عربيتان وعجمية فارضعنه ثلاث سنين فلما بلغ خمس سنين أحضر له مؤدبين فعلموه الكتابة والرمي والفقه بطلب من بهرام بذلك وأحضر حكيما من حكماء الفرس فتعلم ووعى كل ما علمه بأدنى تعليم فلما بلغ اثنتي عشرة سنة تعلم كل ما أفيد وفاق معلميه فأمرهم المنذر بالانصراف وأحضر معلمي الفروسية فأخذ عنهم كل ما ينبغي له ثم صرفهم ثم أمر فأحضرت خيل العرب للسباق فسبقها فرس أشقر للمنذر وأقبل باقي الخيل بداد

فقرب

الامام أبو العز محمد بن شهاب أحمد بن أحمد بن محمد بن العجمي الوفائي القاهري خاتمة المسندين بمصر سمع على الشمس البابلي المسلسل بالاولية وثلاثيات البخاري وجملة من الصحيح والجامع الصغير وغير ذلك وذلك بعد عوده من مكة المشرفة كما رأيت ذلك بخط والده الشهاب في نص اجازته لنادرة العصر محمد بن سليمان المغربي حدث عنه العلامة محمد بن أحمد بن حجازي العشماوي والشيخ أحمد بن الحسن الخالدي وأبو العباس الملوي وأبو علي المنطاوي وولده المعمر أبو العز أحمد * (ومات) * أبو عبد الله العلامة محمد بن علي الكاملي الدمشقي الشافعي الواعظ انتهى اليه الوعظ بدمشق وكان فصيحا روى عن الشبراملسي وعبد العزيز بن محمد الزمزمي والمزاحي والبابلي والقشاشي وخير الدين الرملي * توفي في خامس عشر ذي القعدة سنة احدى وثلاثين ومائة وألف عن سبع وقيل عن تسع وثمانين روى عنه أبو العباس أحمد بن علي بن عمر العدوي وهو عال والشيخ محمد بن أحمد الحنبلي * (ومات) * العلامة صاحب الفنون أبو الحسن بن عبد الهادي السندي الاثري شارح المسند والكتب السنة وشارح الهداية ولد بالسند وبها نشأ وارتحل الى الحرمين فسمع الحديث على البابلي وغيره من الواردين * وتوفي

بالمدينة سنة ست وثلاثين ومائة وألف *(ومات)* الاجل العمدة بقية السلف الشيخ عبد العظيم بن شرف الدين بن زين
العابدين بن محيي الدين بن ولي الدين أبي زرعة أحمد بن يوسف بن زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الانصاري
الشافعي الازهري من بيت العلم والرياسة جده زكريا شيخ الاسلام عمر فوق المائة وولده يوسف الجمال روى عن أبيه والحافظ السخاوي والسيوطي والقلقشندي وحفيده محيي الدين روى عن جده وحفيده شرف الدين والد المترجم روى عن أبيه وعنه الائمة أبو حامد البديري وغيره نشأ المترجم في عفاف وتقوى وصلاح معظما عند الاكابر وكان كثير الاجتماع بالشيخ أحمد ابن عبد المنعم البكري ومن الملازمين له على طريقة صالحة وعبارة راجحة حتى مات سنة ست وثلاثين ومائة وألف وصلي عليه بالازهر ودفن عند آبائه وقد أرخه محمد أبو النور الشعراني بقوله

لا تحزنوا الى أرخت
٣ جنات عدن أزلفت

(ومات) الشيخ العلامة حسن بن حسن بن عمار الشرنبلالي الحنفي ابو محفوظ حفيد أبي الاخلاص شيخ الجماعة ووالد الشيخ عبد الرحمن الآتي ترجمته في محله كان فقيها فاضلا محققا ذا تؤدة في البحث عارفا بالاصول والفروع رأيت له رسالة سماها غاية التحقيق في أحكام

فقرب المنذر الفرس بيده اليه فقبله وركبه يوما للصيد فبصر بعانة حمر وحش فرمى عليها وقصدها واذا هو بأسد قد أخذ عيرا منها فتناول ظهره بفيه فرماه بهرام بسهم فنفذ في الاسد والعير ووصل الى الارض فساخ السهم الى ثلثه فرآه من معه فعجبوا منه ثم أقبل على الصيد واللهو والتلذذ فمات أبوه وهو عند المنذر فتعاهد العظماء وأهل الشرف على ان لا يملكوا أحدا من ذرية يزدجرد لسوء سيرته فاجتمعت الكلمة على صرف الملك عن بهرام لنشوه في العرب وتخلقه باخلاقهم ولانه من ولد يزدجرد وملكوا رجلا من عقب اردشير بن بابك يقال له كسرى فانتهى هلاك يزدجرد وتمليك كسرى الى بهرام فدعا بالمنذر وابنه النعمان وناس من أشراف العرب وعرفهم احسان والده اليهم وشدته على الفرس وأخبرهم الخبر فقال المنذر لا يهولنك ذلك حتى الطف الحيلة فيه وجهز عشرة آلاف فارس ووجههم مع ابنه النعمان الى طيسبون وبهرسير مدينتي الملك وأمره أن يعسكر قريبا منهما ويرسل طلائعه اليهما وان يقاتل من قاتله ويغير على البلاد ففعل ذلك وأرسل عظماء فارس جوابي صاحب رسائل يزدجرد الى المنذر يعلمه أمر النعمان فلما ورد جوابي قال له الق الملك بهرام فدخل عليه فراعه ما رأى منه فاغفل عن السجود دهشا فعرف بهرام ذلك فكلمه ووعده أحسن الوعد ورده الى المنذر وقال له أجبه فقال له ان الملك بهرام أرسل النعمان الى ناحيتكم حيث ملكه الله بعد أبيه فلما سمع جوابي مقالة المنذر وتذكر ما رأى من بهرام علم ان جميع من تشاور في صرف الملك عن بهرام محجوج فقال للمنذر سر الى مدينة الملوك فتجمع اليك الاشراف والعظماء وتشاوروا في ذلك فلن تخالفوا ما تشير به وسار المنذر بعد رد جوابي من عنده بيوم في ثلاثين ألفا من فرسان العرب الى مدينتي الملك بهرام فجمع الناس وصعد بهرام على منبر من ذهب مكلل بالجوهر وتكلم عظماء الفرس فذكروا فظاظة يزدجرد أبي بهرام وسوء سيرته وكثرة قتله واخراب البلاد وانهم لهذا السبب صرفوا الملك عن ولده فقال بهرام لست أكذبكم ومازلت زاريا عليه ذلك ولم أزل أسأل الله ان يملكني لاصلح ما أفسد ومع هذا فاذا أتى على ملكي سنة ولم أف بما أعد تبرأت من الملك طائعا وانا راض بان تجعلوا التاج وزينة الملك بين أسدين ضاريين فمن تناولهما كان الملك له فاجابوا الى ذلك ووضعوا التاج والزينة بين أسدين وحضر موبذان موبذ فقال بهرام لكسرى دونك التاج والزينة فقال كسرى أنت أولى لانك تطلب الملك بوراثة وأنا فيه مغتصب فحمل بهرام جرزا وتوجه نحو التاج فبدر اليه أحد الاسدين فوثب بهرام فعلا ظهره وعصر جنبي الاسد بفخذيه وجعل يضرب رأسه بالجرز الذي معه ثم وثب الاسد الآخر عليه فقبض أذنيه بيديه ولم يزل يضرب رأسه برأس الاسد الآخر الذي تحته حتى دمغهما ثم قتلهما بالجرز الذي معه وتناول بعد ذلك التاج والزينة فكان أول من اطاعه كسرى وقال جميع من حضر

٢٣ يخ مل ل كى الحصه * توفي سنة تسع وثلاثين ومائة وألف (ومات) العمدة الفاضل السيد محمد النبتيتي

٢ قوله جنات الجمل حروف الشطرة ١٠٩٦ ولى الموجودة قبل ارخت ٤٠ وبذلك يوافق العدد السنة المذكورة

قـد اذعنالك ورضينا بك ملكا وان العظماء والوزراء والاشراف سالوا المنذر ليكلم
بهرام فى العفو عنهم فسأل المنذر الملك بهرام ذلك فاجابه وملك بهرام وهو ابن عشرين
سنة وأمر ان يلزم رعيته راحة ودعة وجلس للناس يعدهم بالخير ويامرهم بتقوى الله
ولم يزل مدة ملكه يؤثر اللهو على ماسواه حتى طمع فيه من حوله من الملوك فى بلاده
وكان أوّل من سبق الى قصده خاقان ملك الترك فانه غزاه فى مائتى ألف وخمسين ألفا من
الترك فعظم ذلك على الفرس ودخل العظماء على بهرام وحذروه فتمادى فى لهوه ثم
تجهز وسار الى أذربيجان ليتنسك فى بيت نارها ويتصيد بامنيته فى سبعة رهط من
العظماء وثلثمائة من ذوى البأس والنجدة واستخلف اخاه نرسى فما شك الناس فى انه
هرب من عدوّه فاتفق رأى جمهورهم على الانقياد الى خاقان وبذل الخراج له خوفا
على نفوسهم وبلادهم فبلغ ذلك خاقان فامن ناحيتهم وسار بهرام من اذربيجان الى
خاقان فى تلك العدة فثبت للقتال وقتل خاقان بيده وقتل جنده وانهزم من سلم من
القتل وامعن بهرام فى طلبهم يقتل ويأسر ويغنم ويسبى وعاد وجنده سالمون وظفر
بتاج خاقان واكليله وغلب على طرف من بلاده واستعمل عليها مرزبانا وأتاه رسل
الترك خاضعين مطيعين وجعلوا بينهم حدا لا يعدونه وارسل الى ماوراء النهر قائدا من
قوّاده فقتل وسبى وغنم وعاد بهرام الى العراق وولى أخاه نرسى خراسان وأمره ان ينزل
مدينة بلخ واتصل به ان بعض رؤساء الديلم جمع جمعا كثيرا وأغار على الرى واعمالها
فغنم وسبى وخرب البلاد وقد عجز أصحابه فى الثغر عن دفعه وقد قرروا عليهم أتاوة
يدفعونها اليه فعظم ذلك عليه وسير مرزبانا الى الرى فى عسكر كثيف وأمره ان يضع على
الديلمى من يطمعه فى البلاد ويغريه بقصدها ففعل ذلك فجمع الديلمى جموعه وسار
الى الرى فارسل المرزبان الى بهرام جور يعلمه خبره فكتب اليه يأمره بالمسير نحو
الديلمى والمقام بموضع سماه له ثم سار جريدة فى نفر من خواصه فادرك عسكره بذلك
المكان والديلمى لا يعلم بوصوله وهو قد قوى طمعه لذلك فعبى بهرام أصحابه وسار نحو
الديلم فلقيهم وباشر القتال بنفسه فاخذ رئيسهم أسيرا وانهزم عسكره فامر بهرام بالنداء
فيهم بالامان لمن عاد اليه فعاد الديلم جميعهم فامنهم ولم يقتل منهم أحدا وأحسن اليهم
وعادوا الى أحسن طاعة وأبقى على رئيسهم وصار من خواصه وقيل كانت هذه
الحادثة قبل حرب الترك والله أعلم ولما ظفر بالديلم أمر ببناء مدينة سماها فيروز بهرام
فبنيت له هى ورستاقها واستوزر نرسى فاعلمه انه ماض الى الهند متخفيا فسار الى الهند
وهو لا يعرفه أحد غير ان الهند يرون شجاعته وقتله السباع ثم ان فيلا ظهر وقطع
السبيل وقتل خلقا كثيرا فاستدل عليه فسمع الملك خبره فارسل معه من يأتيه بخبره
فانتهى بهرام والهندى معه الى الاجمة فصعد الهندى شجرة ومضى بهرام فاستخرج
الفيل وخرج وله صوت شديد فلما قرب منه رماه بسهم بين عينيه كاد يغيب ووقذه

السقاف باعلوى وهو والد السيد جعفر الآتى ذكره أحد السادة الافراد أعجوبة زمانه ومحبوبة أوانه ولد باليمن ودخل
الحرمين وبها أخذ عن السيد عبدالله باحسين السقاف وكان ياخذه الحال فيطعن نفسه بالسلاح فلا يؤثر فيه وكان
يلبس الثياب الفاخرة ويتزيا
بزى أشراف مكة ومن شعره قوله

انما الخلطة خلط ووبا
وأرى العزلة من رأى السداد
ثقة الانسان عجز بالورى
بعد ما أنزل فى سورة صاد

يريد قوله تعالى الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات
وقليل ماهم * توفى بمكة سنة
خمس وعشرين ومائة وألف
(ومات) الاجل الاوحد
السيد سالم بن عبدالله بن شيخ
ابن عمر بن شيخ بن عبدالله بن
عبدالرحمن السقاف ولد بجدة
سنة احدى وثلاثين وألف
تقريبا ثم رحل به والده الى
المدينة وبها حفظ القرآن
وغيره ثم الى مكة وبها سكن
واشتغل على على بن الجمال
وعلى محمد بن أبى بكر الشلى فى
سنة اثنتين وسبعين وألف الى
وقت تأليف الكتاب وجد
فى تحصيل المكارم والفضائل
حتى بلغ الغايات ولبس
الخرقة عن والده وعن
المحجوب ولازمه وصحبه مدة
وله نظم حسن * توفى سنة
ثلاث وعشرين ومائة وألف
(ومات) الحسيب النسيب
السيد محمد بن عبدالله بن عبد
الرحمن بن محمد بن عبدالله بن شيخ
ابن عبدالله بن شيخ العيدروس
ولد بتريم وبها نشا وأخذ عن
السيد عبدالله بافقيه وعن والده وعنه أخذ السيد شيخ العيدروس وغيره * توفى ثامن عشر شوّال بالشقاب
سنة احدى وثلاثين ومائة وألف *(ومات)* الشيخ الامام العالم العلامة محمد بن عبدالرحمن المغربى ناظم كتاب الشفا

بالنشاب وأخذ مشفره ولم يزل يطعنه حتى أمكن من نفسه فاحتز رأسه وأخرجه واعلم الهندى ملكهم بما رأى فأكرمه وأحسن اليه وسأله عن حاله فذكر ان ملك فارس سخط عليه فهرب الى جواره وكان لهذا الملك عدو فقصده فاستسلم الملك وأراد أن يطيع ويبذل الخراج فنهاه بهرام وأشار بمحاربته فلما التقوا قال لاساورة الهندى احفظوا الى ظهرى ثم حمل عليهم فجعل يضرب فى اعراضهم ويرميهم بالنشاب حتى انهزموا وغنم أصحاب بهرام ما كان فى عسكر عدوه فاعطى بهرام الديبل ومكران وانكحه ابنته فامر بتلك البلاد فضمت الى مملكة الفرس وعاد بهرام مسرورا واغزى نرسى بلاد الروم فى أربعين ألفا وأمره ان يطلب ملك الروم بالاتاوة فسار الى القسطنطينية فهادنه ملك الروم فانصرف بكل ما أراد الى بهرام وقيل انه لما فرغ من خاقان والروم سار بنفسه الى بلاد اليمن ودخل بلاد السودان فقتل مقاتلتهم وسبى منهم خلقا كثيرا وعاد الى مملكته ثم انه فى آخر ملكه خرج الى الصيد فشد على عير فامعن فى طلبه فارتطم فى جب فغرق فبلغ والدته ذلك فسارت الى ذلك الموضع وأمرت باخراجه فنقلوا من الجب طينا كثيرا حتى صار آكاما عظاما ولم يقدروا عليه وكان ملكه ثمانى عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما وقيل ثلاثا وعشرين سنة هكذا ذكر أبو جعفر فى اسم بهرام جور وأن اباه أسلمه الى المنذر بن النعمان كما تقدم وذكر عند يزدجرد الاثيم انه سلم ابنه بهرام الى النعمان بن امرئ القيس ولا شك ان بعض العلماء قال هذا وبعضهم قال ذلك الا انه لم ينسب كل قول الى قائله

(ذكر ملك ابنه يزدجرد بن بهرام جور)

لما لبس التاج جلس للناس ووعدهم وذكر أباه ومناقبه واعلمهم انهم ان فقدوا منه طول جلوسه لهم فان خلوته فى مصالحهم وكيد اعدائهم وانه قد استوزر نرسى صاحب أبيه وعدل فى رعيته وقمع اعداءه وأحسن الى جنده وكان له ابنان يقال لاحدهما هرمز وللآخر فيروز وكان لهرمز سجستان فغلب على الملك بعد هلاك أبيه يزدجرد فهرب فيروز ولحق ببلاد الهياطلة واستنجد ملكهم فامده بعد ان دفع اليه الطالقان فاقبل بهم فقتل أخاه بارى وكانا من أم واحدة وقيل لم يقتله وانما أسره وأخذ الملك منه وكان الروم منعوا الخراج عن يزدجرد فوجه اليهم نرسى فى العدة التى أنفذه أبوه فيها فبلغ ارادته وكان ملك يزدجرد ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر وقيل تسع عشرة سنة

(ذكر ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام بعد ان قتل أخاه هرمز وثلاثة من أهل بيته)

ولما ظفر فيروز باخيه وملك أظهر العدل وأحسن السيرة وكان يتدين الا انه كان محدودا مشؤما على رعيته وقحطت البلاد فى زمانه سبع سنين متوالية وغارت الانهار

والمنظومة المسماة درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان * توفى سنة احدى وأربعين ومائة وألف (ومات) الامام العلامة والنحرير الفهامة الشيخ على العقدى الحنفى ولد سنة سبع وخمسين وألف أدرك الشمس البابلى وشملته اجازته وأخذ الفقه عن السيد الحموى وشاهين الارمناوى وعثمان النحراوى والمعقول عن الشيخ سلطان المزاحى وعلى الشبراملسى ومحمد الجبار وعبد القادر الصفورى ولازم عمه العلامة عيسى بن على العقدى وتفقه به وبالبرهان الوسيمى والشرف يحيى الشهاوى وعبد الحى الشرنبلالى ولازمه فى الحديث والعلوم العقلية أكابر عصره كالشهاب أحمد بن عبد اللطيف البشبيشى والشمس محمد بن محمد الشرنبابلى والشهاب أحمد ابن على السندوبى وأخذ عنه الشمائل وغيرها واجتهد وبرع واتقن وتفنن واشتهر بالعلم والفضائل وقصدته الطلبة من الاقطار وانتفعوا به وكان كثير التلاوة للقرآن وبالجملة فكان من حسنات الدهر ونادرة من نوادر العصر * توفى فى شهر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين ومائة وألف عن ست وسبعين سنة وأشهر *(ومات)* الامام العلامة الشيخ محمد الحماقى الشافعى ولد سنة ثلاث وسبعين وألف وتوفى بنخل وهو متوجه الى الحج فى شهر القعدة سنة أربع وثلاثين ومائة وألف

*(ومات) الامام المحدث العلامة والبحر الفهامة الشيخ ابراهيم بن موسى الفيومى المالكى شيخ الجامع الازهر تفقه على الشيخ محمد بن عبد الله الخرشى قرأ عليه الرسالة وشرحها وكان معيدا له فيهما وتلبس بالمشيخة بعد موت الشيخ محمد شنن

وه ولده سنة اثنتين وستين وألف أخذ عن الشبراملسى والزرقانى والشهاب أحمد البشبيشى وغيرهم كالشيخ الغرقاوى
وعلى الجزايرلى الحنفى وأخذ الحديث ١٨٠ عن يحيى الشاوى وعبد القادر الواطى وعبد الرحمن الاجهورى والشيخ
ابراهيم البرماوى والشيخ محمد
الشرنبابلى وآخرين وله شرح
على العزية فى مجلدين * توفى
سنة سبع وثلاثين ومائة
وألف عن خمس وسبعين
سنة *(ومات)* الجناب
المكرم والملاذ المفخم الخواجا
محمد الدادة الشرايبى وكان
انسانا كريم الاخلاق طيب
الاعراق جميل السمات حسن
الصفات يسعى فى قضاء حوايج
الناس ويواسى الفقراء ولما
ثقل فى المرض قسم ماله
بين أولاده وبين الخواجا
عبد الله ابن الخواجا محمد
الكبير وبين ابن أحمد أخى
عبد الله كفعل الخواجا
الكبير فانه قسم المال بين
الدادة وبين عبد الله
وأخيه أحمد وكان المال
ستمائة كيس والمال الذى
قسمه الدادة بين أولاده وبين
عبد الله وابن أخيه وهم قاسم
وأحمد ومحمد جربجى وعبد
الرحمن والغيب وهؤلاء
أولاده لصلبه وعبد الله بن
الخواجا الكبير وابن أخيه
الذى يقال له ابن المرحوم
ألف وأربعمائة وثمانون
كيسا خلاف خان الحمزاوى
وغيره من الاملاك وخلاف
الرهن الذى تحت يده من
البلاد وفائظها ستون كيسا والبلاد المختصة به أربعون كيسا وذلك خلاف الجامكية والوكائل من
والحمامات وثلاث مراكب فى بحر القلزم وكل ذلك احداث الدادة واصل المال الذى استلمه الدادة فى الاصل من

والفتى وقل ماء دجلة ومحلت الاشجار وهاجت عامة الزروع فى السهل والجبل من بلاده وماتت الطيور والوحوش وعم أهل البلاد الجوع والجهد الشديد فكتب الى جميع رعيته انه لا اخراج عليهم ولا جزية ولا مؤنة وتقدم اليهم بان كل من عنده طعام مذخور يواسى به الناس وان يكون حال الغنى والفقير واحدا وأخبرهم انه ان بلغه ان انسانا مات جوعا بمدينة أو قرية عاقبهم ونكل بهم وساس الناس سياسة لم يعطب أحد جوعا ما خلا رجلا واحدا من رستاق أردشير خرة وابتهل فيروز الى الله بالدعاء فازال ذلك القحط وعادت بلاده الى ما كانت عليه فلما حيي الناس والبلاد وأثخن فى أعدائه سار يريد حرب الهياطلة فلما سمع اخشنوار ملكهم خافه فقال له بعض أصحابه اقطع يدى ورجلى وألقنى على الطريق وأحسن الى عيالى لاحتال على فيروز ففعل ذلك واجتاز به فيروز فسأله عن حاله فقال ان اخشنوار فعل بى هذا لانى قلت لا طاقة لك بفيروز ففعل بى هذا وانى أدلك على طريق لم يسلكها ملك وهى أقرب فاغتر فيروز بذلك وتبعه فسار به وبجنده حتى قطع بهم مفازة بعد مفازة حتى اذا علم انهم لا يقدرون على الخلاص اعلمهم حاله فقال أصحاب فيروز لفيروز حذرناك فلم تحذر وليس الا التقدم على كل حال فتقدموا امامهم فوصلوا الى عدوهم وهم هلكى عطشى وقتل العطش منهم كثيرا فلما أشرفوا على تلك الحال صالحوا اخشنوار على ان يخلى سبيلهم الى بلادهم وعلى أن يحلف له فيروز انه لا يغزو بلاده فاصطلحا وكتب فيروز كتابا بالصلح وعاد فلما استقر فى مملكته حملته الانفة على معاودة اخشنوار فنهاه وزراؤه عن نقض العهد فلم يقبل وسار نحوه فلما تقارب بأمر اخشنوار فحفر خلف عسكره خندقا عرضه عشرة أذرع وعمقه عشرون ذراعا وغطاه بخشب ضعيف وتراب ثم عاد وراءه فلما سمع فيروز بذلك اعتقده هزيمة فتبعه ولا يعلم عسكر فيروز بالخندق فسقط هو وأصحابه فيه فهلكوا وعاد اخشنوار الى عسكر فيروز وأخذ كل ما فيه وأسر نساءه وموبذان موبذ ثم استخرج جثة فيروز ومن سقط معه فجعلها فى النواويس وقيل ان فيروز لما انتهى الى الخندق الذى حفره اخشنوار وايقن عقد عليه قناطر وجعل عليها اعلاما له ولاصحابه يقصدونها فى عودهم وجاز الى القوم فلما التقى العسكران احتج عليه اخشنوار بالعهود التى بينهما وحذره عاقبة الغدر فلم يرجع فنهاه أصحابه فلم ينته فضعفت نياتهم فى القتال فلما أبى الا القتال رفع اخشنوار نسخة العهد على رمح وقال اللهم خذ بما فى هذا الكتاب وقاده فيه فقاتله فانهزم فيروز وعسكره فضلوا عن مواضع القناطر فسقطوا فى الخندق فهلك فيروز وأكثر عسكره وغنم اخشنوار أموالهم ودوابهم وجميع ما معهم وغلب اخشنوار على عامة خراسان فسار اليهم رجل من أهل فارس يقال له سوخرا وكان فيهم عظيما وخرج كالمحتسب وقيل بل كان فيروز استخلفه على ملكه لما سار وكان له سجستان فأتى صاحب الهياطلة فاخرجه من خراسان واستعاد منه كل ما أخذ

(ذكر الاحداث في العرب أيام يزدجرد وفيروز)

من عسكر فيروز ثم ما هو في عسكره موجود وأمن السبي وغيره وعاد الى بلاده فعظمته الفرس الى غاية لم يكن فوقها الا الملك وكانت مملكة الهياطلة طخارستان فكان فيروز قد اعطى ملكهم لما ساعده على حرب اخيه الطالقان وكان ملك فيروز ستا وعشرين سنة وقيل احدى وعشرين سنة

(ذكر الاحداث في العرب أيام يزدجرد وفيروز)

كان يخدم ملوك حمير أبناء الاشراف من حمير وغيرهم وكان ممن يخدم حسان بن تبع عمرو ابن حجر الكندي سيد كندة فلما قتل عمرو بن تبع أخاه حسان بن تبع اصطنع عمرو بن حجر وزوجه ابنة أخيه حسان ولم يطمع في التزوج الى ذلك البيت أحد من العرب فولدت الحرث بن عمرو وملك بعد عمرو بن تبع عبد كلال بن مثوب وانما ملكوه لان أولاد عمرو كانوا صغارا وكان الجن قبل ذلك قد استهامت تبع بن حسان وكان عبد كلال على دين النصرانية الاولى ويكتم ذلك ورجع تبع بن حسان من استهامته وهو أعلم الناس بما كان قبله فملك اليمن وهابته حمير فبعث ابن أخته الحرث ابن عمرو بن حجر في جيش الى الحيرة فسار الى النعمان بن امرئ القيس وهو ابن الشقيقة فقاتله فقتل النعمان وعدة من أهل بيته وأفلت المنذر بن النعمان الاكبر وأمه ماء السماء امرأة من النمر بن قاسط فذهب ملك آل النعمان وملك الحرث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون قاله بعضهم وقال ابن الكلبي ملك بعد النعمان المنذر بن النعمان بن المنذر بن النعمان أربعا وأربعين سنة من ذلك في زمن بهرام جور ثماني سنين وفي زمن يزدجرد ابن بهرام ثماني عشرة سنة وفي زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة ثم ملك بعده الاسود بن المنذر عشرين سنة منها في زمن فيروز بن يزدجرد عشر سنين وفي زمن بلاش بن فيروز أربع سنين وفي زمن قباذ بن فيروز ست سنين وهكذا ذكر أبو جعفر ههنا ان الحرث بن عمرو قتل النعمان بن امرئ القيس وأخذ بلاده وانقرض ملك أهل بيته وذكر فيما تقدم ان المنذر بن النعمان أو النعمان على الاختلاف المذكور هو الذي جمع العساكر وملك بهرام جور على الفرس ثم ساق فيما بعد ملوك الحيرة من أولاد النعمان هذا الى آخرهم ولم يقطع ملكهم بالحرث بن عمرو وسبب هذا ان أخبار العرب لم تكن مضبوطة على الحقيقة فقال كل واحد ما نقل اليه من غير تحقيق وقيل غير ذلك وسنذكره في مقتل حجر بن عمرو والد امرئ القيس في أيام العرب ان شاء الله والصحيح ان ملوك كندة عمرو والحرث كانوا بنجد على العرب وأما اللخميون ملوك الحيرة المناذرة فلم يزالوا عليها الى أن ملك قباذ الفرس وازالهم واستعمل الحرث بن عمرو الكندي على الحيرة ثم أعاد انو شروان الحيرة الى اللخميين على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك بلاش بن فيروز بن يزدجرد)

الخواجا محمد الكبير سنة احدى عشرة ومائة والف تسعون كيسا فعجز عن البيع والشراء ولما فعل ذلك وقسم المال بين الدادة وبين عبد الله وأخيه بالثلث غضب عبد الله وقال هو أخ لنا ثالث فقال أبو عبد الله والله لا يقسم المال الا منا صفقة له النصف ولك ولاخيك النصف وهذا الموجود كله لسعد الدادة ومكسبه فاني لما سلمته المال كان تسعين كيسا وها هو الآن ستمائة كيس خلاف ما حدث من البلاد والحصص والرهن والاملاك فكان كما قال وكان جاعلا لعبد الله مرتبا في كل يوم ألف نصف فضة برسم الشبرقة خلاف المصروف والكساوي له ولاولاده ولعياله الى ان مات يوم السبت سادس عشر رجب سنة سبع وثلاثين ومائة والف وحضر جنازته جميع الامراء والعلماء وأرباب السجاجيد والوجاقات السبعة والتجار وأولاد البلد وكان مشهده عظيما حافلا بحيث ان أول المشهد داخل الى الجامع ونعشه عند العتبة الزرقاء وكان زكيا فهيما دراكا سعيد الحركات وعلى قدر سعة حاله وكثرة ايراده ومصرفه لم يتخذ كاتبا ويكتب ويحسب لنفسه *(ومات)* الشيخ الامام العالم العلامة مفرد الزمان ووحيد الاوان محمد بن محمد بن محمد بن الولي شهاب الدين أحمد بن العلامة حسن بن العارف بالله تعالى علي بن الولي الصالح سلامة ابن الولي الصالح العارف بدير بن محمد بن يوسف شمس الدين أبو حامد البديري الحسيني الشافعي الدمياطي مات جده بدير بن محمد سنة ستمائة وخمسين في وادي النسور وحفيده حسن من أخذ عن شيخ الاسلام زكريا الانصاري أخذ أبو حامد

ثم ملك بعد فيروز ابنه بلاش وجرى بينه وبين أخيه قباذ منازعة استظهر فيها قباذ وملك فلما ملك بلاش اكرم سوخرا واحسن اليه لما كان منه ولم يزل حسن السيرة حريصا على العمارة وكان لا يبلغه ان بيتا خرب وجلا أهله الا عاقب صاحب تلك القرية على تركه سد فاقتهم حتى لا يضطروا الى مفارقة أوطانهم وبنى مدينة ساباط بقرب المدائن وكان ملكه أربع سنين

(ذكر ملك قباذ بن فيروز بن يزدجرد)

وكان قباذ قبل ان يصير الملك اليه قد سار الى خاقان مستنصرا به على أخيه بلاش فمر في طريقه بحدود نيسابور ومعه جماعة من أصحابه متنكرين وفيهم زرمهر بن سوخرا فتاقت نفسه الى النكاح فشكا ذلك الى زرمهر وطلب منه امرأة فسار الى امرأة صاحب المنزل وكان من الاساورة وكان له بنت حسناء فخطبها من امها واطمعها وزوجها فزوجاه فدخل بها قباذ من ليلته فحملت بانوشروان وأمر لها بجائزة سنية وردها وسألتها أمها عن قباذ وحاله فذكرت انها لا تعرف من حاله شيأ غير ان سراويله منسوجة بالذهب فعلمت انه من ابناء الملوك ومضى قباذ الى خاقان واستنصره على أخيه فاقام عنده أربع سنين وهو يعده ثم أرسل معه جيشا فلما صار بالقرب من الناحية التي بها زوجته سأل عنها فاحضرت ومعها انوشروان واعلمته انه ابنه وورد الخبر اليه بذلك المكان ان أخاه بلاش قد هلك فتيمن بالمولود وحمله وأمه على مراكب نساء الملوك واستوثق له الملك وخص سوخرا وشكر لولده خدمته وتولى سوخرا الامر فمال الناس اليه وتهاونوا بقباذ فلم يحتمل ذلك فكتب الى سابور الداري وهو اصبهبذ ديار الجبل ويقال للبيت الذي هو منه مهران فاستقدمه ومعه جنده فتقدم اليه فاعلمه عزمه على قتل سوخرا وأمره بكتمان ذلك فاتاه يوما سابور وسوخرا عند قباذ فألقى في عنقه وهقا واخذه وحبسه ثم خنقه قباذ وارسله الى اهله وقدم موضعه سابور الداري وفي ايامه ظهر مزدك وابتدع ووافق زرادشت في بعض ما جاء به وزاد ونقص وزعم انه يدعو الى شريعة ابراهيم الخليل حسبما دعا اليه زرادشت واستحل المحارم والمنكرات وسوى بين الناس في الاموال والاملاك والنساء والعبيد والاماء حتى لا يكون لاحد على أحد فضل في شئ البتة فكثر اتباعه من السفلة والاغتام فصاروا عشرات الوف فكان مزدك يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى الآخر وكذا في الاموال والعبيد والاماء وغيرها من الضياع والعقار فاستولى وعظم شأنه وتبعه الملك قباذ فقال يوما لقباذ اليوم نوبتي من امرأتك أم انوشروان فاجابه الى ذلك فقام انوشروان اليه ونزع خفيه بيده وقبل رجليه وشفع اليه حتى لا يتعرض لامه وله حكمه في سائر ملكه فتركها وحرم ذباحة الحيوان وقال يكفي في طعام الانسان ما تنبته الارض وما يتولد من الحيوان كالبيض واللبن والسمن والجبن فعظمت البلية به على الناس فصار الرجل لا يعرف ولده والولد لا يعرف اباه

المترجم عن الشيخ الفقيه العلامة زين الدين الساسلي امام جامع البدري بالثغر وهو أول شيوخه قبل المجاورة ثم رحل الى الازهر فاخذ عن النور أبي الضياء علي بن محمد الشبراملسي الشافعي والشمس محمد ابن داود العناني الشافعي قراءة على الثاني بالجنبلاطية خارج مصر القاهرة والامام شرف الدين بن زين العابدين ابن محيي الدين بن ولي الدين ابن يوسف جمال الدين ابن شيخ الاسلام زكريا الانصاري والمحدث المقري شمس الدين محمد بن قاسم البقري شيخ القراء والحديث بصحن الجامع الازهر والشيخ عبد المعطي الضرير المالكي وشمس الدين محمد الخرشي والشيخ عطية القهوتي المالكي والشيخ المحدث منصور بن عبد الرزاق الطوخي الشافعي امام الجامع الازهر والشيخ المحدث العلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي النقشبندي والمحقق شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف البشبيشي الشافعي وحيسوب زمنه محمود بن عبد الجواد بن العلامة الشيخ عبد القادر المحلي والعلامة الشيخ سلامة الشربيني والعلامة المهندس الحيسوب الفلكي رضوان أفندي بن عبد الله نزيل بولاق ثم رحل الى الحرمين فاخذ بهما عن الامام العارف ابراهيم بن حسن ابن شهاب الدين الكوراني في سنة احدى وتسعين وألف والسيدة قريش واختها بنت الامام عبد القادر الطبري في سنة اثنتين وتسعين والالف روى وحدث وأفاد وأجاد أخذ عنه الشيخ محمد الحفني وبه تخرج وأخوه الجمال يوسف والشيخ العارف

فلما

فلما مضى عشر سنين من ملك قباذ اجتمع موبذان موبذ والعظماء وخلعوه وملكوا عليهم أخاه جاماسب وقالوا له انك قد أثمت باتباعك مزدك وعمل أصحابه بالناس وليس ينجيك الا اباحة نفسك ونسائك وارادوه على ان يسلم نفسه اليهم ليذبحوه ويقربوه الى النار فامتنع من ذلك فحبسوه وتركوه لا يصل اليه أحد فخرج زرمهر بن سوخرا فقتل من المزدكية خلقا وأعاد قباذا الى ملكه وازال اخاه جاماسب ثم ان قباذ قتل بعد ذلك زرمهر وقيل لما حبس قباذ وتولى أخوه دخلت اخت لقباذ عليه كانها تزوره ثم لفته في بساط وحمله غلام فلما خرج من السجن سأله السجان عما معه فقالت هو مرحل كنت أحيض فيه فلم يمس البساط فمضى الغلام بقباذ وهرب قباذ فلحق بملك الهياطلة يستجيشه فلما صار بايران شهر وهي نيسابور نزل برجل من أهلها له ابنة بكر حسنة جميلة فنكحها وهي أم كسرى أنوشروان فكان نكاحه اياها في هذه السفرة لا في تلك في قول بعضهم وعاد ومعه أنوشروان فغلب أخاه جاماسب على الملك وكان ملك جاماسب ست سنين وغزا قباذ بعد ذلك الروم ففتح مدينة آمد وبنى مدينة ارجان ومدينة حلوان ومات فملك ابنه كسرى أنوشروان بعده فكان ملك قباذ مع سني أخيه جاماسب ثلاثا وأربعين سنة فتولى أنوشروان ما كان أبوه أمر به وفي أيامه خرجت الخزر فاغارت على بلاده فبلغت الدينور فوجه قباذ قائدا من عظماء قواده في اثني عشر ألفا فوطئ بلاد أران وفتح ما بين النهر المعروف بالرس الى شروان ثم ان قباذ لحق به فبنى باران مدينة البيلقان ومدينة البرذعة وهي مدينة الثغر كله وغيرهما وبني الخزر ثم بنى سد اللان فيما بين أرض شروان وباب اللان وبنى على السد مدنا كثيرة خربت بعد بناء باب الابواب

(ذكر حوادث العرب أيام قباذ)

لما ملك الحرث بن عمرو بن حجر الكندي العرب وقتل النعمان بن المنذر بن امرئ القيس كما ذكرناه بعث اليه قباذ انه قد كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهد وأحب لقاءك وكان قباذ زنديقا يظهر الخير ويكره الدماء ويداري أعداءه فخرج اليه الحرث والتقيا واصطلحا على ان لا يجوز الفرات أحد من العرب فطمع الحرث الكندي فأمر أصحابه ان يقطعوا الفرات ويغيروا على السواد فسمع قباذ فعلم انه من تحت يد الحرث فاستدعاه فحضر فقال له ان لصوصا من العرب صنعت كذا وكذا فقال ما علمت ولا استطيع ضبط العرب الا بالمال والجنود وطلب منه شيأ من السواد فاعطاه ستة طساسيج وأرسل الحرث بن عمرو الى تبع وهو باليمن يطمعه في بلاد العجم فسار تبع حتى نزل الحيرة وأرسل ابن أخيه شمرا ذا الجناح الى قباذ فحاربه فهزمه شمر احتى لحق بالري ثم أدركه بها فقتله ثم وجه تبع شمرا الى خراسان ووجه ابنه حسان الى السغد وقال أيكما سبق الى الصين فهو عليها وكان كل واحد منهما في جيش عظيم يقال كانا

بالله تعالى السيد مصطفى بن كمال الدين البكري وهو من أقرانه والفقيه النحوي الاصولي محمد بن عيسى بن يوسف الدنجيهي الشافعي والعلامة عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن محمد الشبيشي الشافعي الدمياطي ومصطفى بن عبد السلام المنزلي

*توفي المترجم أبو حامد بالثغر سنة أربعين ومائة وألف *(ومات)* العلامة الهمام محمد بن أحمد بن عمر الاسقاطي الازهري نزيل أدلب كان جل تحصيله بمصر على والده وبه تخرج وتفنن وصار له قدم راسخ وله مشايخ آخرون أزهريون وحصل بينه وبين والده نزاع في أمر أوجب خروجه الى بر الشام فلما نزل أدلب تلقاه شيخ العلماء بها أحمد بن حسين الكاملي فانزله عنده وأكرمه غاية الاكرام وأرشد الطلبة اليه فانتفعوا به جدا ولم يزل مفيدا على أكمل الحالات حتى مات سنة تسع وثلاثين ومائة وألف *(ومات)* الشيخ العلامة الزاهد الياس ابن ابراهيم الكوراني الشافعي ولد بكوران سنة احدى وثلاثين وألف وأخذ العلم بها عن عدة مشايخ وحج ودخل مصر والشام وألقى بها عصا التسيار عاكفا على اقراء العلوم العقلية والنقلية وكان على غاية من الزهد وروى عنه شيوخ العصر كالشيخ أحمد الملوي والشهاب أحمد ابن علي المنيني وله المؤلفات والحواشي *توفي بدمشق بمدرسة جامع العراس بعد العصر من يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة بقين من شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف ودفن بمقبرة باب الصغير بالقرب

(قوله العراس في بعض النسخ العداس بالدال اه)

في ستمائة ألف وأربعين ألفا وأرسل ابن أخيه بعسكر الى الروم فنزل على القسطنطينية فاعطوه الطاعة والاتاوة ومضى الى رومية فحاصرها فأصاب من معه طاعون فوثب الروم عليهم فقتلوهم ولم يفلت منهم أحد وسار شمر ذو الجناح الى سمرقند فحاصرها فلم يظفر بها وسمع ان ملكها أحمق وان له ابنة وهي التي تقضي الامور فارسل اليها هدية عظيمة وقال لها انني انما قدمت لاتزوج بك ومعي أربعة آلاف تابوت مملوءة ذهبا وفضة أنا أدفعها اليك وامضي الى الصين فان ملكت كنت امرأتي وان هلكت كان المال لك فلما بلغتها الرسالة قالت قد أجبته فليبعث المال فارسل أربعة آلاف تابوت في كل تابوت رجلان وسمرقند أربعة أبواب ولكل باب ألف رجل وجعل العلامة بينهم ان يضرب بالجرس فلما دخلوا البلد صاح شمر في الناس وضرب بالجرس فخرجوا وملكوا الابواب ودخل المدينة فقتل أهلها وحوى مافيها وسار الى الصين فهزم الترك ودخل بلادهم ولقي حسان بن تبع قد سبقه اليها بثلاث سنين فأقاما بها حتى ماتا وكان مقامهما فيما قيل احدى وعشرين سنة وقيل عادا في طريقهما حتى قدما على تبع بالغنائم والسبي والجواهر ثم انصرفوا الى بلادهم ومات تبع باليمن فلم يخرج أحد من اليمن غازيا بعده وكان ملكه مائة واحدى وعشرين سنة وقيل تهوّد قال ابن اسحق كان تبع الآخر وهو تبان اسعد أبو كرب حين أقبل من المشرق بعد ان ملك البلاد جعل طريقه على المدينة وكان حين مر بها في بدايته لم يهيج أهلها وخلف عندهم ابناله فقتل غيلة فقدمها عازما على تخريبها واستئصال أهلها فجمع له الانصار حين سمعوا ذلك ورئيسهم عمرو بن الطلة أحد بني عمرو بن مبذول من بني النجار وخرجوا لقتاله وكانوا يقاتلونه نهارا ويقرونه ليلا فبينما هو على ذلك اذ جاءه حبران من بني قريظة عالمان فقالا له قد سمعنا ما تريد أن تفعل وانك ان أبيت الا ذلك حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فقال ولم ذلك فقالا انها مهاجر نبي من قريش تكون داره فانتهى عما كان يريد وأعجبه ما سمع منهما فاتبعهما على دينهما واستصحبهما كعب واسد وكان تبع وقومه أصحاب أوثان وسار من المدينة الى مكة وهي طريقه فكسا الكعبة الوصائل والملاء وكان أوّل من كساها وجعل لها بابا ومفتاحا وخرج متوجها الى اليمن فدعا قومه الى اليهودية فأبوا عليه حتى حاكموه الى النار وكانت لهم نار تحكم بينهم فيما يزعمون تأكل الظالم ولا تضر المظلوم فقال لقومه أنصفتم فخرج قومه باوثانهم وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما حتى قعدوا عند مخرج النار فخرجت النار فغشيتهم وأكلت الاوثان وماقربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران تعرق جباههما لم تضرهما فاطبقت حمير على دينه وكان قدم على تبع قبل ذلك شافع ابن كليب الصدفي وكان كاهنا فقال له تبع هل تجد لقوم ملكا يوازي ملكي قال لا الا الملك غسان قال فهل تجد ملكا يزيد عليه قال أجده لبار مبرور وزائد بالقهور ووصف

من قبر الشيخ نصر المقدسي رحمه الله *(ومات)* الامام العالم العلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن علي المعمر الكاملي الدمشقي الشافعي ولد سنة أربع وأربعين وألف وأخذ العلم عن جماعة كثيرين وروى وحدث وانتهى اليه الوعظ بدمشق وكان فصيحا واذا عقد مجلس الوعظ تحت قبة النسر غصت أركانها الاربعة بالناس وكان يحضره في دروس الجامع الصغير كثير من الافاضل وتزدحم عليه الناس العوام لعذوبة تقريره روى عنه ولده عبد السلام ومحمد بن أحمد الفرطوسي والشيخ أبو العباس أحمد المنيني *توفي في منتصف القعدة سنة احدى وثلاثين ومائة وألف *(ومات)* الاستاذ بقية السلف الشيخ مصلح الدين بن أبي الصلاح عبد الحليم بن يحيى بن عبد الرحمن بن القطب سيدي عبد الوهاب الشعراني قدس سره جلس على سجادة أبيه وجده وكان رجلا صالحا مهيبا مجذوبا *(توفي)* يوم الثلاثاء تاسع ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وألف ولم يعقب الا ابنته وابن عم له وهو سيدي عبد الرحمن استخلف بعده وابن أخت له من ابراهيم جربجي باشجاويش الجاويشية جعلوا الكل منهم الثلث في الوقف وحرر الفائظ اثنى عشر كيسا *(ومات)* الاستاذ المجذوب الصاحي الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الروحي الضاحي الشناوي الجمال كان والده جمالا من أتباع المشايخ الشناوية وحفظ القرآن واشتغل بالذكر والعبادة الى ان حصل له جذبة وربما اعتراه استغراق وكان من أكابر الاولياء أصحاب الكرامات توفي في رمضان سنة أربع وعشرين

في

في الزبور وفضلت أمته في السفور يفرج الظلم بالنور أحمد النبي طوبى لامته حين يجئ أحمد بني لؤي ثم أحد بني قصي فنظر تبع في الزبور فاذا هو يجد صفة النبي صلى الله عليه وسلم ثم ملك بعد تبع هذا وهو تبان اسعد ابو كرب بن ملكيكرب ربيعة بن نصر اللخمي فلما هلك ربيعة رجع الملك باليمن الى حسان بن تبان اسعد فلما ملك ربيعة رأى رؤيا هالته فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا عائفا الا احضره وقال لهم رأيت رؤيا هالتني فأخبروني بتأويلها فقالوا اقصصها علينا فقال ان أخبرتكم بها لم اطمئن الى خبركم بتأويلها فلما قال ذلك قال له رجل منهم ان كان الملك يريد ذلك فليبعث الى سطيح وشق فهما يخبرانك عما سألت واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب ابن عدي بن غسان وكان يقال له الذئبي نسبة الى ذئب بن عدي وشق بن مصعب بن يشكر بن انمار فبعث اليهما فقدم عليه سطيح قبل شق فلما قدم عليه سطيح سأله عن رؤياه وتأويلها فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة قال له الملك ما اخطأت منها شيأ فما عندك في تأويلها فقال احلف بما بين الحرتين من حنش ليهبطن أرضكم الحبش فليملكن ما بين ابين الى جرش قال الملك وأبيك ياسطيح ان هذا لغائظ موجع فمتى يكون أفي زماني أم بعده قال بل بعده بحين ستين سنة أو سبعين يمضين من السنين قال هل يدوم ذلك من ملكهم أو ينقطع قال بل ينقطع لبضع وسبعين يمضين من السنين ثم يقتلون بها أجمعون ويخرجون منها هاربين قال الملك ومن الذي يلي ذلك قال يليه ارم ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا منهم باليمن قال فيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع قال بل ينقطع يقطعه نبي زكي يأتيه الوحي من العلي وهو رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون قال أحق ما تخبرنا ياسطيح قال نعم والشفق والغسق والفلق اذا اتسق ان ما انبأتك به لحق ثم قدم عليه شق فقال ياشق اني رأيت رؤيا هالتني فاخبرني عنها وعن تأويلها وكتمه ما قال سطيح لينظر هل يتفقان أم يختلفان قال نعم رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة فلما سمع الملك ذلك قال ما اخطأت شيأ فما تأويلها قال احلف بما بين الحرتين من انسان لينزلن أرضكم السودان وليغلبن ما بين ابين الى نجران قال الملك وأبيك ياشق ان هذا لغائظ فمتى هو كائن قال بعد ذلك بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ويذيقهم أشد الهوان وهو غلام ليس بدني ولا مزن يخرج من بيت ذي يزن قال فهل يدوم سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه الى يوم الفصل قال وما يوم الفصل قال يوم تجزى فيه الولاة ويدعى من السماء بدعوات ويسمع منها

ومائة وألف (ومات) الاستاذ العلامة احمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي الشهير بالبناء خاتمة من قام باعباء الطريقة النقشبندية بالديار المصرية ورئيس من قصد لرواية الاحاديث النبوية ولد بدمياط ونشأ بها وحفظ القرآن واشتغل بالعلوم على علماء عصره ثم ارتحل الى القاهرة فلازم الشيخ سلطان المزاحي والنور الشبراملسي فاخذ عنهما القراآت وتفقه بهما وسمع عليهما الحديث وعلى النور الاجهوري والشمس الشوبري والشهاب القليوبي والشمس البابلي والبرهان الميموني وجماعة آخرين واشتغل بالفنون وبلغ من الدقة والتحقيق غاية قل أن يدركها أحد من أمثاله ثم ارتحل الى الحجاز فاخذ الحديث عن البرهان الكوراني ورجع الى دمياط وصنف كتابا في القراآت سماه اتحاف البشر بالقراآت الاربعة عشر أبان فيه عن سعة اطلاعه وزيادة اقتدار حتى كان الشيخ أبو النصر المنزلي يشهد بانه أدق من ابن قاسم العبادي واختصر السيرة الحلبية في مجلد وألف كتابا في اشراط الساعة سماه الذخائر المهمات فيما يجب الايمان به من السمعيات وارتحل أيضا الى الحجاز وحج وذهب الى اليمن فاجتمع بسيدي أحمد ابن عجيل ببيت الفقيه فأخذ عنه حديث المصافحة من

طريق المعمرين وتلقن منه الذكر على طريق النقشبندية وحل عليها كبر نظره ولم يزل ملازما لخدمته الى ان بلغ مبالغ الكمال من الرجال فاجازه وأمره بالرجوع الى بلده والتصدي للتسليك وتلقين

الاحياء والاموات ويجتمع فيه الناس لميقات فلما فرغ من مسئلتهما جهز بنيه وأهل بيته الى العراق بما يصلحهم فمن بقية ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى ابن ربيعة بن نصر ذلك الملك فلما هلك ربيعة بن نصر واجتمع ملك اليمن الى حسان بن تبان بن أبى كرب بن ملكيكرب بن زيد بن عمرو ذى الاذعار كان مما هيج أمر الحبشة وتحول الملك عن حمير ان حسان سار باهل اليمن يريد ان يطأ بهم أرض العرب والعجم كما كانت التبابعة تفعل فلما كان بالعراق كرهت قبائل العرب من اليمن المسير معه فكلموا أخاه عمرا فى قتل حسان وتمليكه فاجابهم الى ذلك الا ما كان من ذى رعين الحميرى فانه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه فعمد ذو رعين الى صحيفة فكتب فيها

ألا من يشترى سهرا بنوم * سعيد من يبيت قرير عين
وأما حمير غدرت وخانت * فمعذرة الاله لذى رعين

ثم ختمها واتى بها عمرا فقال ضع هذه عندك ففعل فلما بلغ حسان ما أجمع عليه أخوه وقبائل اليمن قال لعمرو

يا عمرو لا تعجل على منيتى * فالملك تاخذه بغير حشود

فابى الا قتله فقتله بموضع رحبة مالك فكانت تسمى فرضة نعم فيما قيل ثم عاد الى اليمن فمنع النوم منه فسأل الاطباء وغيرهم عما به وشكا اليهم السهر فقال له قائل منهم ما قتل أحد أخاه أو ذا رحم بغيا الا منع منه النوم فلما سمع ذلك قتل كل من أشار عليه بقتل أخيه حتى خلص الى ذى رعين فلما أراد قتله قال ان لى عندك براءة قال وما هى قال أخرج الكتاب الذى استودعتك فاخرجه فاذا فيه البيتان فكف عن قتله ولم يلبث عمرو أن هلك فتفرقت حمير عند ذلك قلت هذا الذى ذكره أبو جعفر من قتل قباذ بالرى وملك تبع البلاد من بعد قتله من النقل القبيح والغلط الفاحش وفساده اشهر من ان يذكر فلولا اننا شرطنا أن لا نترك ترجمة من تاريخه الا ونأتى بمعناها من غير اخلال بشئ لكان الاعراض عنه أولى ووجه الغلط فيه انه ذكر ان قباذ قتل بالرى ولا خلاف بين أهل النقل من الفرس وغيرهم ان قباذ مات حتف انفه فى زمان معلوم وكان ملكه مدة معلومة كما ذكرناه قبل ولم ينقل أحد انه قتل الا فى هذه الرواية ولما مات ملك ابنه كسرى أنوشروان بعده وهذا أشهر من قفا نبك ولو كان ملك الفرس انتقل بعد قباذ الى حمير كيف كان يملك ابنه بعده وتمكن فى الملك حتى أطاعه ملوك الامم وحملت الروم اليه الخراج ثم ذكر أيضا ان تبعا وجه ابنه حسان الى الصين وشمرا الى سمرقند وابن أخيه الى الروم وانه ملك القسطنطينية وسار الى رومية فحاصرها فيا ليت شعرى ماه واليمن وحضرموت حتى يكون بهما من الجنود ما يكون بعضهم فى بلادهم يحفظها وجيش مع تبع وجيش مع حسان يسير بهم الى مثل الصين فى كثرة عساكره

الذكر فرجع وأقام مرابطا بقرية قريبة من البحر المالح تسمى يعزبه البرج واشتغل بالله وتصدى للارشاد والتسليك وقصد للزيارة والتبرك والاخذ

والرواية وعم النفع به لاسيما فى الطريقة النقشبندية وكثرت تلامذته وظهرت بركته عليهم الى ان صاروا أئمة يقتدى بهم ويتبرك برؤيتهم ولم يزل فى اقبال على الله تعالى وازدياد من الخير الى ان ارتحل الى الديار الحجازية فحج ورجع الى المدينة المنورة فادركته المنية بعد تشييل الحج بثلاثة أيام فى المحرم سنة سبع عشرة ومائة والف ودفن بالبقيع عما ٭ رحمه الله

* وأما من مات فى هذه الاعوام من الامراء المشاهير فلنقتصر على ذكر بعض المشهورين عما يحسن ايراده فى التبيين اذ الامر أعظم عما يحيط به المجيد فلنقتصر من الحلى على ما حسن بالجيد ما وصل علمه الى وثبت خبره لدى اذ التفصيل فى أحوالهم متعذر والدواعى من غير حمية غير متيسر ولم أخترع شيأ من تلقاء نفسى والله مطلع على أمرى وحدسى

*(مات) * الامير ذو الفقار بك تابع الامير حسن بك افقارى تولى الصنجقية وامارة الحج فى يوم واحد وطلع بالحج احدى عشرة مرة وتوفى سنة ثنتين ومائة وألف (ومات) ابنه الامير ابراهيم بك تولى الامارة بعد أبيه وطلع أميرا على الحج سنة ثلاث ومائة وألف وتحارب مع العرب تلك السنة فى مضيق الشرفة وكانت معركة عظيمة وامتنع العرب من حمل غلال الحرمين فركب عليهم هو ودرويش بك وكبس عليهم آخر الليل عند الجبل الاحمر وساق وامنهم ومقاتلته

ومقاتلته وجيش مع ابن أخيه تبع يلتقي به مثل كسرى ويهزمه ويملك بلاده ويحاصر به مثل سمرقند في كبرها وعظمها وكثرة أهلها وجيش مع يعفر يسير بهم الى ملك الروم ويملك القسطنطينية والمسلمون مع كثرة ممالكهم واتساعها وكثرة عددهم قد اجتهدوا ليأخذوا القسطنطينية وما يجاورها واليمن من أقل بلادهم عددا وجنودا فلم يقدروا على ذلك فكيف يقدر عليه بعض عساكر اليمن مع تبع هذا مما تأباه العقول وتمجه الاسماع ثم انه قال ان ملك تبع بلاد الفرس والروم والصين وغيرها كان بعد قتل قباذ يعني أيام ابنه انوشروان ولا خلاف ان مولد النبي صلى الله عليه وسلم كان في زمن انوشروان وكان ملكه سبعا وأربعين سنة ولا خلاف أيضا ان الحبشة لما ملكت اليمن انقرضت ملوك حمير منه وكان آخر ملوكهم ذا نواس وكان ملك حمير قد اختل قبل ذي نواس وانقطع نظامه حتى طمعت الحبشة فيه وملكته وكان ملكهم اليمن أيام قباذ وكيف يمكن ان يكون ملك الحبشة الذي هو مقطوع به أيام قباذ ويكون تبع هو الذي ملك اليمن قد قتل قباذ وملك بلاده قبل ان يملك الحبشة اليمن هذا مردود محال وقوعه وكان ملك الحبشة اليمن سبعين سنة وقيل أكثر من ذلك وكان انقراض ملكهم في آخر ملك انوشروان والخبر في ذلك مشهور وحديث سيف ذي يزن في ذلك ظاهر ولم تزل اليمن بعد الحبشة في يد الفرس الى ان ملكه المسلمون فكيف يستقيم ان ينقضي ملك تبع الذي هو ملك بلاد فارس ومن بعده من ملوك حمير وملك الحبشة وهو سبعون سنة في ملك انوشروان وكان ملكه نيفا وأربعين سنة وأعجب من هذا ان مدة بعضها سبعون سنة تنقضي قبل مضي نيف وأربعين سنة ولو أفكر أبو جعفر في ذلك لاستحيا من نقله وأعجب من هذين أنه قال ثم ملك بعد تبع هذا ربيعة بن نصر اللخمي وهذا ربيعة وجد عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة وكان ملك عمرو الحيرة بعد خاله جذيمة أيام ملوك الطوائف قبل ملك اردشير بن بابك بخمس وتسعين سنة وملك أيضا أيام أردشير وبن اردشير وقباذ ما يقاربه عشر من ملكا وكيف يكون جد عمرو وقد ملك بعد قباذ وهو قبله بهذا الدهر الطويل ولو لم يترجم أبو جعفر على هذه الحادثة بقوله ذكر الحوادث أيام قباذ لكان يحتمل تأويلا فيه ثم ما قنع بذلك حتى قال بعد ان قص مسير تبع وقتل قباذ وملك البلاد وأما ابن اسحق فانه قال ان الذي سار الى المشرق من التبابعة هو تبع الاخير ويعني بقوله تبع الاخير انه آخر من سار الى المشرق وملك البلاد فان ابن اسحق وغيره يقولون ان الذي ملك البلاد المشرقية لما ترقى ملك بعده عدة تبابعة ثم اختل أمرهم زمانا طويلا حتى طمعت الحبشة فيهم وخرجت الى اليمن فليت شعري اذا كان هذا تبع في أيام قباذ فلا شك ان تبعا الاخير الذي أخذ منه اليمن يكون في زمن بني أمية ويكون ملك الحبشة اليمن بعد مدة من ملك بني العباس ويكون أول الاسلام من ثلثمائة سنة من

في أمن وأمان وتاقت نفسه للرآسة ولا يتم له ذلك الا بملك باب مستحفظان وكان بيد القاسمية فأعمل حيلة بمعاضدة حسن أغا باغيه واغراء على باشا والي مصر حين ذاك فقلد رجب كتخدا مستحفظان وسليم افندي صناجق ثم عملوا دعوة على سليم بك المذكور انحط فيها الامر على حبسه وقتله فلما رأى ذلك رجب بك ذهب الى ابراهيم بك واستعفى من الامارة فقلدوه سردار جداوي وسافر من القلزم وتوفي بمكة وخلف ولدا اسمه باكير حضر الى مصر بعد ذلك ولما قتل سليم بك المذكور لاعن وارث ضبط مخلفاته الباشا لبيت المال وأخذوا جميع ما في بيته الذي بالازبكية المجاور لبيت الداده أبي قاسم الشرايبي وهو الذي اشتراه القاضي مواهب أبو مدين جربجي عزبان في سنة أربع ومائة وألف وقتلوا أيضا خليل كتخدا المعروف بالجلب وقلدوا كجك محمد باش أوده باشا وصار له كلمة وسمعة ونفي مصطفى كتخدا القازدغلي الى أرض الحجاز وصفا الوقت لابراهيم بك وكجك محمد من طرفه في باب مستحفظان فعزم على قطع بيت القاسمية فأخرج ايواظ بك الى اقليم البحيرة وقاسم بك الى جهة بني سويف وأحمد بك الى المنوفية وخلا له الجو وانفرد بالكلمة في مصر وصار منزله بدرب الجماميز مفتوحا ليلا ونهارا لقضاء الحوائج مع مشاركة

ملوكهم أيضا عما بعدها حتى يستقيم هذا القول ثم انه قال ان عمر بن طلحة الانصارى خرج الى تبع وعمره هذا قيل انه أدرك النبي صلى الله عليه وسلم شيخا كبيرا ومات عند مرجعه من غزوة بدر ومن الدليل على بطلانه أيضا ان المسلمين لما قصدوا بلاد الفرس مازالت الفرس تقول لهم عند مراسلاتهم ومحاوراتهم في حروبهم كنتم أقل الامم وأذلها واحقرها والعرب تقرلهم بذلك فلو كان ملك تبع قريب العهد لقالت العرب انا بالامس قتلنا ملككم وملكنا بلادكم واستبحنا حريمكم وأموالكم فسكوت العرب عن ذلك واقرارها للفرس دليل على بعد عهده أو عدمه على ان الفرس لا تقر بذلك لا في قديم الزمان ولا في حديثه فانهم يزعمون ان ملكهم لم ينقطع من عهد جيومرث الذى هو آدم في قول بعضهم الى ان جاء الاسلام الا أيام ملوك الطوائف وكان لملوك الفرس طرف من البلاد في ذلك الزمان لم ينقطع انقطاعا كليا على ان أصحاب السير قد اختلفوا في تبع الذى سار وملك البلاد اختلافا كثيرا فقيل شمر ابن افريقش وقيل تبع أسعد وانه بعث الى سمرقند شمر ذا الجناح الى غير ذلك من الاختلافات التى لا طائل فيها وهذا القدر كاف في كشف الخطا فيه

(ذكر ملك لخنيعة)

فلما هلك عمرو وتفرقت حمير وثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له لخنيعة ينوف ذو شناتر فملكهم في قول ابن اسحق فقتل خيارهم وعاث ببيوت أهل المملكة منهم وكان امرأ فاسقا يزعمون انه كان يعمل عمل قوم لوط فكان اذا سمع بغلام من أبناء الملوك انه قد بلغ أرسل اليه فوقع عليه في مشربة له لئلا يملك بعد ذلك ثم يطلع الى حرسه وجنده قد أخذ سواكا فيه يعلمهم انه قد فرغ منه ثم يخلى سبيله فيفضحه

(ذكر ملك ذى نواس وقصة أصحاب الاخدود)

كان من أبناء الملوك زرعة ذو نواس بن تبان أسعد بن كرب وكان صغيرا حين أصيب أخوه حسان فشب غلاما جميلا ذا هيئة فبعث اليه لخنيعة ليفعل به ما كان يفعل بغيره فاخذ سكينا لطيفا فخبأه بين نعله وقدمه ثم انطلق اليه مع رسوله فلما خلا به في المشربة قتله ذو نواس بالسكين ثم احتز رأسه فجعله في كوة مشربته التى يطلع منها ثم أخذ سواكه فجعله في فيه ثم خرج فقالوا له ذو نواس رطب أم يابس فقال سل نخماس استرطبان ذو نواس لا باس فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال فاذا رأس لخنيعة مقطوع فخرجت حمير والحرس في أثر ذى نواس حتى ادركوه فملكوه حيث أراحهم من لخنيعة واجتمعوا عليه وكان بهم وديا و بنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم على استقامة لهم رئيس يقال له عبد الله بن الثامر وكان أصل النصرانية بنجران قال وهب

الامير حسن أغا بلغيه ثم انه عزم على قتل ابراهيم بك أبي شنب واتفق مع الباشا على ذلك بحجة المال والغلال التى عليه فلم يتم ذلك ولم يزل المترجم أميرا على الحج الى أن مات في فصل الشحاتين سنة سبع ومائة وألف وطلع بالحج خمس مرات *(ومات)* الامير اسمعيل بك الكبير الفقارى تابع حسن بك الفقارى وصهر حسن أغا بلغيه تولى الدفترداريه ثلاث سنين وسبعة أشهر ثم عزل وسافر أميرا على عسكر السفر الى الروم ورجع الى مصر وأعيد الى الدفترداريه ثانيا ولم يزل حتى مات سنة تسع عشرة ومائة وألف فجأة ليلة السبت تاسع عشرى المحرم وكانت جنازته حافلة وخلف ولده محمد بك تولى بعده الامارة وطلع بالحج سنة سبع وثلاثين ومائة وألف *(ومات)* الامير حسن أغا بلغيه الفقارى أغات كملويان وأصله رومى الجنس تابع محمد جاويش قياله تولى أغاويه العزب سنة خمس وثمانين وألف ثم عمل متفرقه باشا سنة تسع وثمانين وألف ثم عزل عنها وتقلد أغات كملويان سنة ثلاث وتسعين وألف وكان أميرا جليلا ذا دهاء ورأى وكلمة مسموعة نافذة بارض مصر صاحب سطوة وشهامة وحسن تدبير ولا يكاد يتم أمر من الامور الكلية والجزئية الا بعد مراجعته ومشورته وكل من انفرد بالكلمة في مصر يكون مشاركا له وتزوج بابنة اسمعيل بك الكبير المذكور آنفا وولد له منها ابنه
ابن
محمد بك الآتى ذكره الذى تولى امارة الحج في سنة سبع وثلاثين ومائة وألف ومصطفى كتخدا القازدغلى جد القازدغلية

كان أصله .. راجا عنده وهو الذي رقاه حتى صار الى ما صار اليه وتفرعت عنه شجرة القازدغلية وغالب أمراء مصر
وحكامها يرجعون في النسبة الى أحد البيتين وهم بيت بافيه و بيت رضوان بك صاحب العمارة
المتوفى سنة خمس وستين
وألف ولم يترك أولادا بل ترك
حسن بك أمير الحاج المتقدم
ذكره ولاجين بك حاكم
الغربية وهو صاحب السويقة
المنسوبة اليه وأحمد بك أباظه
وشعبان بك أباسنة وقيطاس
بك جركس وقانصوه بك وعلى
بك الصغير وحمزة بك هؤلاء
قتلوا بعده في فتنة القاسمية
بالطرانة * وأما أمراؤه الذين
لم يقتلوا واستمروا أمراء بمصر
مدة طويلة فهم محمد بك حاكم
جرجا وذو الفقار بك الساعي
الكبير وكان رضوان بك هذا
وافر الحرمة مسموع الكلمة
تولى امارة الحج عدة سنين
وكان رجلا صالحا ملازما
للصوم والعبادة والذكر وهو
الذي عمر القصبة المعروفة به
خارج باب زويلة عند بيته
ووقف وقفا على عتقائه وعلى
جهات بر وخيرات وكان من
الفقارية وأما رضوان بك
أبو الشوارب القاسمي وهو سيد
ابو اظابك فظهر بعد موت
رضوان بك المذكور وانفرد
بالكلمة بمصر مع مشاركة
قاسم بك جركس وأحمد بك
بشناق الذي كان يقتنا طر
السباع وهو قاتل الفقارية
بالطرانة وهو ايضا عم ابراهيم
بك بشناق المعروف بابي شنب سيد محمد جركس الآتي ذكره * ومات قاسم بك هذا سنة اثنتين وسبعين والف وهو دفتردار
بعد عزله من امارة الحج وانفرد بعد رضوان بك ابي الشوارب أحمد بك * ثم مات رضوان بك عن ولده أزبك بك وانفرد

ابن منبه ان رجلا من بقايا أهل دين عيسى يقال له فيميون وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة وكان سائحا لا يعرف بقرية الا خرج منها الى غيرها وكان لا يأكل الا من كسب يده وكان يعمل الطين ويعظم الاحد لا يعمل فيه شيأ ويخرج الى الصحراء يصلي جميع نهاره فنزل قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ففطن به رجل اسمه صالح فاحبه حبا شديدا وكان يتبعه حيث ذهب لا يفطن به فيميون حتى خرج مرة يوم الاحد الى الصحراء واتبعه صالح وفيميون لا يعلم فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا وقام فيميون يصلي فبينما هو يصلي اذ أقبل نحوه تنين فلما رآه فيميون دعا عليه فمات ورآه صالح ولم يدر ما أصابه فخاف على فيميون فصاح يا فيميون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت اليه وأقبل على صلاته حتى امسى وعرف ان صالحا عرفه فكلمه صالح وقال له يعلم الله اني ما أحببت شيأ حبك قط وقد أردت صحبتك حيثما كنت قال افعل فلزمه صالح وكان اذا ماجاءه العبد به ضر شفي اذا دعا له واذا دعي الى أحد به ضر لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فجعل ابنه في حجرة والقى عليه ثوبا ثم قال لفيميون قد أردت ان تعمل في بيتي عملا فانطلق اليه لاشارطك عليه فانطلق معه فلما دخل الحجرة ألقى الرجل الثوب عن ابنه وطلب اليه ان يدعو له فدعا له فابصر وعرف فيميون انه قد عرف بالقرية فخرج هو وصالح ومر بشجرة عظيمة بالشام فناداه رجل وقال مازلت أنتظرك لا تبرح حتى تقوم على فاني ميت قال فمات فواراه فيميون وانصرف ومعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب وأخذهما بعض العرب فباعوهما بنجران وأهل نجران على دين العرب تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد كل سنة تعلق عليها كل ثوب حسن وحلي جميل فعلقوا عليها ازما فابتاع رجل من اشرافهم فيميون وابتاع رجل صالحا فكان فيميون اذا قام من الليل يصلي في بيته استسرج له البيت حتى يصبح عن غير مصباح فلما رأى سيده ذلك أعجبه فسأله عن دينه فأخبره وعاب دين سيده وقال له لو دعوت الهي الذي أعبد لاهلك النخلة فقال افعل فانك ان فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه فصلى فيميون ودعا الله تعالى فارسل الله عليها ريحا فجففتها والقتها فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على شريعة من دين عيسى ودخل عليهم بعد ذلك الاحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران وقال محمد بن كعب القرظي كان أهل نجران يعبدون الاوثان وكان في قرية من قراها ساحر كان أهل نجران يرسلون أولادهم اليه يعلمهم السحر فلما نزلها فيميون وهو رجل كان يعبد الله على دين عيسى ابن مريم عليه السلام فاذا عرف في قرية خرج منها الى غيرها وكان مجاب الدعوة يبرئ المرضى وله كرامات فوصل نجران فسكن خيمة بين نجران وبين الساحر فارسل التامر ابنه عبد الله مع الغلمان الى الساحر فاجتاز بفيميون فرأى ما أعجبه من صلاته فجعل

أحمد بك بشناق بامارة مصر نحو سبعة أشهر فطلع يوم عرفة يهنئ شيطان ابراهيم باشا بالعيد فغدره وقتلوه بالخناجر أواخر سنة اثنتين وسبعين وألف ولم يزل حسن أغا بلغيه المترجم حتى توفي سنة خمس عشرة ومائة وألف على فراشه وعمره نحو تسعين سنة ولما مات حسن أغا انفرد بالكلمة بعده صهره اسمعيل بك وخضعت له الرقاب مع مشاركة ابراهيم بك أبي شنب بضعف (ومات) الامير مصطفى كتخدا القازدغلي تابع الامير حسن أغا بلغيه أصله رومي الجنس حضر الى مصر وخدم عند حسن أغا المذكور ورقاه ولم يزل حتى تقلد كتخدا مستحفظان فلما حصل ما تقدم وتقلد كجك محمد باش أوده باشا بالباب خمل ذكر مصطفى كتخدا وخمدت شهرته ثم نفاه كجك محمد الى الحجاز فأقام بها سنتين الى أن ترجى حسن أغا عند ابراهيم بك أمير الحاج وكجك محمد في رجوعه فردوه الى مصر فقام مع كجك محمد خاملا فاغرى به رجلا سجمانيا كان عنده بناحية طلبا يضرب بندقا فضرب كجك محمد من شباك الجامع بالمحجر فاصابه ومات مصطفى كتخدا باب مستحفظان ذلك اليوم ونفي وقتل وفرق من نحشى طارفه وصفا له الوقت الى ان مات على فراشه سنة خمس عشرة ومائة وألف *(ومات)* كجك محمد المذكور باش أوده باشا وكان له سمعة وشهرة وحسن سياسة ولما قصر مد النيل في سنة ست ومائة وألف وشرقت البلاد وكان القمح بستين نصفا فضة الاردب رآه فزاد سعره و بيع باثنتين وسبعين نصفا فنزل كجك محمد الى بولاق وجلس بالتكية وأحضر الامناء ومنعهم من الزيادة عن

يجلس اليه و يستمع منه فاسلم معه ووحد الله تعالى وعبده وجعل يسأله عن الاسم الاعظم وكان يعلمه فكتمه اياه وقال ان تحتمله والتامر يعتقد ان ابنه يختلف الى الساحر مع الغلمان فلما رأى عبد الله ان صاحبه قد ضن عليه بالاسم الاعظم عمد الى قداح فكتب عليها أسماء الله جميعها ثم ألقاها في النار واحدا واحدا حتى اذا ألقى القدح الذي عليه الاسم الاعظم وثب منها فلم تضره شيأ فاخذه وعاد الى صاحبه فاخبره الخبر فقال له امسك على نفسك وما أظن ان تفعل فكان عبد الله لا يلقى أحدا اذا أتى نجران به ضر الا قال يا عبد الله أتدخل في ديني حتى أدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء فيقول نعم فيوحد الله ويسلم ويدعو له عبد الله فيشفى حتى لم يبق أحد من أهل نجران ممن به ضر الا أتاه واتبعه ودعا له فعوفي فرفع شأنه الى ملك نجران فدعاه فقال له أفسدت على أهل قريتي وخالفت ديني لامثلن بك فقال لا تقدر على ذلك فجعل يرسله الى الجبل الطويل فيلقى من رأسه فيقع على الارض ليس به باس فارسله الى مياه نجران وهي بحور لا يقع فيها شيء الا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس به باس فلما غلبه قال عبد الله بن التامر انك لا تقدر على قتلي حتى توحد الله وتؤمن كما آمنت فانك اذا فعلت قتلتني فوحد الله الملك ثم ضربه بعصا بيده فشجه شجة غير كبيرة فقتله فهلك الملك مكانه واجتمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر قال فسار اليهم ذو نواس بجنوده فجمعهم ثم دعاهم الى اليهودية وخيرهم بينها وبين القتل فاختاروا القتل فخد لهم الاخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف حتى قتل قريبا من عشرين ألفا وهم الذين أنزل الله فيهم قتل أصحاب الاخدود وقال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له ذو نواس واسمه يوسف بن شرحبيل وكان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك اني كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما اسمه عبد الله بن التامر ليعلمه فجعل يختلف الى الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة فقعد اليه الغلام فاعجبه أمره فكان اذا جاء الى المعلم يدخل الى الراهب فيقعد عنده فاذا جاء من عنده الى المعلم ضربه وقال له ما الذي حبسك واذا انقلب الى أبيه دخل الى الراهب فيضربه أبوه و يقول ما الذي أبطا بك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له اذا أتيت المعلم فقل حبسني أبي واذا أتيت أباك فقل حبسني المعلم وكان في ذلك البلد حية عظيمة قطعت طريق الناس فمر بها الغلام فرماها بحجر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها وأتى الراهب فاخبره فقال له الراهب ان لك لشأنا وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدلن على وصار الغلام يبرئ الاكمه والابرص و يشفي الناس وكان للملك ابن عم أعمى فسمع بالغلام وقتل الحية فقال ادع الله أن يرد على بصري فقال الغلام ان رد الله عليك بصرك تؤمن به قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فاردد عليه بصره فعاد بصره ثم دخل على الملك فلما

رآه تعجب منه وساله فلم يخبره وألح عليه فدله على الغلام فجيء به فقال له لقد بلغ من سحرك ما أرى فقال أنا لا أشفي احدا انما يشفي الله من يشاء فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء به فقيل ارجع عن دينك فابى فامر به فوضع المنشار على رأسه فشق نصفين ثم جيء بابن عم الملك فقال ارجع عن دينك فابى فشقه قطعتين ثم قال للغلام ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا فان رجع والا فاطرحوه من رأسه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم فرجف بهم الجبل وهلكوا ورجع الغلام الى الملك فسأله عن أصحابه فقال كفانيهم الله فغاظه ذلك وأرسله في سفينة الى البحر ليلقوه فيه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم فغرقوا ونجا وجاء الى الملك فقال اقتلوه بالسيف فضربوه فنبا عنه وفشا خبره في اليمن فاعظمه الناس وعلموا انه على الحق فقال الغلام للملك انك لن تقدر على قتلي الا ان تجمع أهل مملكتك وترميني بسهم وتقول بسم الله رب الغلام ففعل ذلك فقتله فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك قد نزل بك ما تحذر فاغلق أبواب المدينة وخد اخدودا وملأه نارا وعرض الناس فمن رجع عن دينه تركه ومن لم يرجع ألقاه في الاخدود فاحرقه وكانت امرأة مؤمنة وكان لها ثلاثة بنين أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي والا قتلتك أنت وأولادك فابت فألقى ابنيها الكبيرين فأبت ثم أخذ الصغير ليلقيه فهمت بالرجوع قال لها الصغير يا أماه لا ترجعي عن دينك لا بأس عليك فالقاه والقاها في أثره وهذا الطفل أحد من تكلم صغيرا قيل حفر رجل خربة بنجران في زمن عمر بن الخطاب فرأى عبد الله بن التامر واضعا يده على ضربة في رأسه فاذا رفعت عنها يده جرت دما واذا أرسلت يده ردها اليها وهو قاعد فكتب فيه الى عمر فأمر بتركه على حاله

(ذكر ملك الحبشة اليمن)

قيل لما قتل ذو نواس من قتل من أهل اليمن في الاخدود لاجل العود عن النصرانية أفلت منهم رجل يقال له دوس ذو ثعلبان حتى أعجز القوم فقدم على قيصر فاستنصره على ذي نواس وجنوده وأخبره بما فعل بهم فقال له قيصر بعدت بلادك عنا ولكن سا كتب الى النجاشي ملك الحبشة وهو على هذا الدين وقريب منكم فكتب قيصر الى ملك الحبشة يامره بنصره فأرسل معه ملك الحبشة سبعين ألفا وأمر عليهم رجلا يقال له ارياط وفي جنوده ابرهة الاشرم فساروا في البحر حتى نزلوا بساحل اليمن وجمع ذو نواس جنوده فاجتمعوا ولم يكن حرب غير انه ناوش شيأ من قتال ثم انهزموا ودخلها ارياط فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه اقتحم البحر بفرسه فغرق ووطئ ارياط اليمن فقتل ثلث رجالها وبعث الى النجاشي بثلث سباياهم ثم أقام بها وأذل أهلها وقيل ان الحبشة لما خرجوا الى المندب من أرض اليمن كتب ذو نواس الى اقيال اليمن يدعوهم الى الاجتماع على عدوهم فلم يجيبوه وقالوا يقاتل كل رجل عن بلاده فصنع مفاتيح وحملها

السمين ونحوهم وحدرهم واجلس بالجملة اثنين من القابجية ويرسل حماره كل يومين أو ثلاثة مع الحمار يمشي به جهة الساحل ويرجع فيظنون أن كتخدا محمد ببولاق فلا يمكنهم زيادة في ثمن الغلة فلما قتل كما ذكر بيع القمح في ذلك اليوم بمائة نصف فضة ولم يزل يزيد حتى بلغ ستمائة نصف فضة * ومما اتفق له ان بعض التجار بسوق الصاغة أراد الحج فجمع ما عنده من الذهبيات والفضيات واللؤلؤ والجواهر ومصاغ حريمه ووضعه في صندوق وأودعه عند صاحب له بسوق مرجوش يسمى الخواجا على الفيومي بموجب قائمة أخذها معه مع مفتاح الصندوق وسافر الى الحجاز وجاور هناك سنة ورجع مع الحجاج وحضر اليه احبابه واصحابه للسلام عليه وانتظر صاحبه الحاج على الفيومي فلم يأته فسأل عنه فقيل له انه طيب بخير فأخذ شيأ من التمر واللبان والليف ووضعه في منديل وذهب اليه ودخل عليه ووضع بين يديه ذلك المنديل فقال له من أنت فاني لا أعرفك قبل اليوم حتى تهاديني فقال له أنا فلان صاحب الصندوق الامانة فجحد معرفته وأنكر ذلك بالكلية ولم يكن بينه وبينه بينة تشهد بذلك فطار عقل الجوهري وتحير في أمره وضاق صدره فأخبر بعض أصحابه فقال له اذهب الى كتخدا محمد داوده باشه فذهب اليه واخبره بالقصة فأمره ان يدخل الى المكان الداخل ولا يأتي اليه حتى يطلبه وأرسل الى على الفيومي فلما حضر اليه بش في وجهه ورحب به وآنسه بالكلام الحلو ورأى في يده سبحة مرجان فأخذها من يده وقلبها يلاعب بها ثم قام كأنه يزيل ضرورة

على عدة من الابل ولقى الحبشة وقال هذه مفاتيح خزائن الاموال باليمن فهى لكم ولا تقتلوا الرجل والذرية فأجابوه الى ذلك وساروا معه الى صنعاء فقال لكبيرهم وجه أصحابك لقبض الخزائن فتفرق أصحابه ودفع اليهم المفاتيح وكتب الى الاقيال بقتل كل ثور أسود فقتلت الحبشة ولم ينج منهم الا الشريد فلما سمع النجاشى جهز اليهم سبعين ألفا مع ارياط والاشرم فملك البلاد وأقام بها سنين ونازعه ابرهة الاشرم وكان فى جنده فمال اليه طائفة منهم وبقى ارياط فى طائفة وسار أحدهما الى الآخر وأرسل ابرهة انك ان تصنع بان تلقى الحبشة بعضها على بعض شيأ فيهلكوا ولكن ابرز الى فأينا قهر صاحبه استولى على جنده فتبارزا فرفع ارياط الحربة فضرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت على رأسه فشرمت أنفه وعينه فسمى الاشرم وحمل غلام لابرهة يقال له عتودة كان قد تركه كمينا من خلف ارياط على ارياط فقتله واستولى ابرهة على الجند والبلاد وقال لعتودة احتكم فقال لا تدخل عروس على زوجها من اليمن حتى أصيبها قبله فاجابه الى ذلك فبقى يفعل بهم هذا الفعل حينا ثم عدا عليه انسان من اليمن فقتله فسر ابرهة بقتله وقال لو علمت انه يحتكم هذا لم أحكمه ولما بلغ النجاشى قتل ارياط غضب غضبا شديدا وحلف لا يدع ابرهة حتى يطأ ارضه ويجز ناصيته فبلغ ذلك ابرهة فارسل الى النجاشى من تراب اليمن وجز ناصيته وأرسلها أيضا وكتب اليه بالطاعة وارسال شعره وترابه ليبر قسمه بوضع التراب تحت قدميه فرضى عنه وأقره على عمله فلما استقر باليمن بعث الى أبى مرة ذى يزن فاخذ زوجته ريحانة بنت ذى جدن ونكحها فولدت له مسروقا وكانت قد ولدت لذى يزن ولدا اسمه معدى كرب وهو سيف فخرج ذو يزن من اليمن فقدم الحيرة على عمرو بن هند وسأله ان يكتب له الى كسرى كتابا يعلمه بحاله وشرفه وحاجته فقال انى أفد الى الملك كل سنة وهذا وقتها فأقام عنده حتى وفد معه ودخل الى كسرى معه فاكرمه وعظمه وذكر حاجته وشكا ما يلقون من الحبشة واستنصره عليهم وأطمعه فى اليمن وكثرة مالها فقال له كسرى أنوشروان انى لاحب ان أسعفك بحاجتك ولكن المسالك اليها صعبة وسأنظر وأمر بانزاله فأقام عنده حتى هلك ونشأ ابنه معدى كرب بن ذى يزن فى حجر ابرهة وهو يحسب انه أبوه فسبه ابن لابرهة وسب أباه فسأل أمه عن أبيه فصدقته وأقام حتى مات ابرهة وابنه يكسوم وسار عن اليمن ففعل ما نذكره ان شاء الله

(ذكر ملك كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الاثيم)

لما لبس التاج خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما ابتلوا به من فساد أمورهم ودينهم وأولادهم وأعلمهم انه يصلح ذلك ثم أمر برؤس المزدكية فقتلوا وقسمت أموالهم فى أهل الحاجة وكان سبب قتلهم ان قباذ كان كما ذكرنا قد اتبع مزدك على دينه

وأدطاها لخادمه وقال له خذ خادم الخواجا صحبتك واترك دابته هنا عند بعض الخدم واذهب صحبة الخادم الى بيته ووقفا عند باب الحريم وأعطهم السبحة امارة وقل لهم انه اعترف بالصندوق الامانة فلما رأوا الامارة والخادم لم يشكوا فى صحة ذلك وبعد ما رجع كخك محمد الى مجلسه قال للخواجا بلغنى ان رجلا جواهرجى أودع عندك صندوقا أمانة ثم طلبه فأنكرته فقال لا وحياة رأسك ليس له أصل وكانى اشتبهت عليه أو انه خرفان وذهلان ولا أعرفه قبل ذلك ولا يعرفنى ثم سكتوا واذا بتابع الاوده باشه والخادم داخلين بالصندوق على حمار فوضعوه بين أيديهم فانتقع وجه الفيومى واصفر لونه فطلب الاوده باشه صاحب الصندوق فحضر فقال له هذا صندوقك قال له نعم قال له عندك قائمة بما فيه قال معى وأخرجها من جيبه مع المفتاح فتناولها الكاتب وفتحوا الصندوق وقابلوا ما فيه على موجب القائمة فوجده بالتمام فقال له خذ متاعك واذهب فاخذه وذهب الى داره وهو يدعو له ثم التفت الى الخواجا على الفيومى وهو ميت فى جلده ينتظر ما يفعل به فقال له صاحب الامانة أخذها وايش جلوسك فقام وهو ينفض غبار الموت وذهب (واتفق) ان أحمد البغدادلى أقام مدة يرصد المترجم يرمن عطفة النقيب ليضربه ويقتله الى ان صادفه فضربه بالبندقية من الشباك فلم تصبه وكسرت زاوية حجر واخبروه انها من يد البغدادلى مادعاه فاعرض عن ذلك وقال الرصاص مرصود والحى ماله قاتل وتقلد باش أوده باشه سنة خمس وثمانين وألف فتحركت عليه

مادعاه اليه وأطاعه فى كل ما يأمره به من الزندقة وغيرها مما ذكرنا أيام قباذ وكان المنذر ابن ماء السماء يومئذ عاملا على الحيرة ونواحيها فدعاه قباذ الى ذلك فابى فدعا الحرث بن عمرو الكندى فاجابه فسدد له ملكه وطرد المنذر عن مملكته وكانت أم أنوشروان يوما بين يدى قباذ فدخل عليه مزدك فلما رأى أم أنوشروان قال لقباذ ادفعها الى لاقضى حاجتى منها فقال دونكها فوثب اليه أنوشروان ولم يزل يسأله و يتضرع اليه ان يهب له أمه حتى قبل رجله فتركها فكان ذلك فى نفسه فهلك قباذ على تلك الحال وملك أنوشروان فجلس للملك ولما بلغ المنذر هلاك قباذ أقبل الى أنوشروان وقد علم خلافه على أبيه فى مذهبه واتباع مزدك فان أنوشروان كان منكرا لهذا المذهب كارها له ثم ان أنوشروان أذن للناس اذنا عاما ودخل عليه مزدك ثم دخل عليه المنذر فقال أنوشروان انى كنت تمنيت أمنيتين أرجو أن يكون الله عز وجل قد جمعهما الى فقال مزدك وما هما أيها الملك قال تمنيت ان أملك واستعمل هذا الرجل الشريف يعنى المنذر وان أقتل هذه الزنادقة فقال مزدك أو تستطيع ان تقتل الناس كلهم فقال وانك ههنا يا ابن الزانية والله ماذهب نتن ريح جورب من أنفى منذ قبلت رجلك الى يومى هذا وأمر به فقتل وصلب وقتل منهم ما بين جازر الى النهروان الى المدائن فى ضحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم وسمى يومئذ أنوشروان وطلب أنوشروان الحرث بن عمرو فبلغه ذلك وهو بالانبار فخرج هاربا فى صحابته وماله وولده فمر بالثوية فتبعه المنذر بالخيل من تغلب واياد وبهراء فلحق بارض كلب ونجا وانتهبوا ماله وهجائنه وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بنى آكل المرار فقدموا بهم على المنذر فضرب رقابهم بجفر الاميال فى ديار بنى مرين العباديين بين دير بنى هند والكوفة فذلك قول عمرو بن كلثوم

فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس

ملوك من بنى حجر بن عمرو * يساقون العشية يقتلونا

فلو فى يوم معركة أصيبوا * ولكن فى ديار بنى مرينا

ولم تغسل جماجمهم بغسل * ولكن فى الدماء مرملينا

تظل الطير عاكفة عليهم * وتنتزع الحواجب والعيونا

ولما قتل أنوشروان مزدك وأصحابه أمر بقتل جماعة ممن دخل على الناس فى أموالهم ورد الاموال الى أهلها وأمر بكل مولود اختلفوا فيه ان يلحق بمن هو منهم اذا لم يعرف أبوه وان يعطى نصيبا من ملك الرجل الذى يسند اليه اذا قبله الرجل وبكل امرأة غلبت على نفسها ان يؤخذ مهرها من الغالب ثم تخير المرأة بين الاقامة عنده وبين فراقه الا ان يكون لها زوج فترد اليه وأمر بعيال ذوى الاحساب الذين مات قيمهم فانكح بناتهم الاكفاء وجهزهن من بيت المال وانكح نساءهم من الاشراف واستعان بابنائهم فى

طائفته وأرادوا قتله فخرج من وجاقه الى وجاق آخر وعمل شغله فى قتل كبار المتعصبين عليه وهم ذو الفقار كتخدا والشريف أحمد باشجاويش باتفاق مع عابدى باشا المتولى اذ ذاك الخفية فقتل الباشا الشريف أحمد جاويش فى يوم الخميس خامس الحجة سنة تسع وثمانين وألف وهرب ذو الفقار الى طندتا فأرسلوا خلفه فرمانا خطابا لاسمعيل كاشف الغربية بقتله فركب الى طندتا وقتله وأرسل دماغه وذلك بعد موت أحمد جاويش بعشرة أيام ورجع كجك محمد الى مكانه كما كان واستمر مسموع الكلمة ببابه الى أن ملك الباب جربجى سليمان كتخدا مستحفظان فى سنة أربع وتسعين وألف ونفى كجك محمد الى بلاد الروم ثم رجع فى سنة خمس وتسعين وألف بسعاية بعض أكابر البلكات بشرط ان يرجع الى لبس الضلمة ولا يقارش فى شئ فاستمر خاملا الذكر الى ان مات جربجى سليمان على فراشه فعند ذلك ظهر أمر المترجم وعمل باش أوده باشا كما كان ولم يزل الى سنة سبع وتسعين وألف فاستوحش من سليم افندى كاتب كبير مستحفظان ورجب كتخدا فانتقل الى وجاق جمليان وعمل جربجى وسافر هيسان باشا ثم رجع الى بابه سنة تسع وتسعين وألف كما كان بمعاضدة ابراهيم بك الفقارى واتفق معه على هلاك سليم أفندى ورجب كتخدا فولوهما الصنجقية وقتلوهما كما ذكر وكان سليم افندى المذكور قاسى النسبة واستمر كجك محمد مسموع الكلمة نافذ الحرمة الى ان قتل غيلة كما ذكر فى طريق المحجر فى يوم الخميس سابع المحرم سنة

عماله وعمر الجسور والقناطر وأصلح الخراب وتفقد الاساورة وأعطاهم وبنى في الطرق القصور والحصون وتخير الولاة والعمال والحكام واقتدى بسيرة اردشير وارتجع بلادا كانت مملكة الفرس منها السند وسندوست والرخج وزابلستان وطخارستان وأعظم القتل في النازور وأجلى بقيتهم عن بلاده واجتمع أبخز و بنجر و بلنجر واللان على قصد بلاده فقصدوا أرمينية للغارة على أهلها وكان الطريق سهلا فأمهلهم كسرى حتى توغلوا في البلاد وأرسل اليهم جنودا فقاتلوهم فأهلكوهم ما خلا عشرة آلاف رجل اسروا فأسكنوا أذربيجان وكان لكسرى أنوشروان ولد هو أكبر أولاده اسمه أنوشزاد فبلغه عنه انه زنديق فسيره الى جنديسابور وجعل معه جماعة يثق بدينهم ليصلحوا دينه وأدبه فبينما هم عنده اذ بلغه خبر مرض والده لما دخل بلاد الروم فوثب بمن عنده فقتلهم وأخرج أهل السجون فاستعان بهم وجمع عنده جمعا من الاشرار فأرسل اليه نائب أبيه بالمدائن عسكرا فحصروه بجنديسابور وأرسل الخبر الى كسرى فكتب اليه يأمره بالجد في أمره وأخذه أسيرا فاشتد الحصار حينئذ عليه ودخل العساكر المدينة عنوة فقتلوا بها خلقا كثيرا وأسروا أنوشزاد فبلغه خبر جده لامه الداور الرازي فوثب بعامل سجستان وقاتله فهزمه العامل فالتجأ الى مدينة الرخج وامتنع بها ثم كتب الى كسرى يعتذر ويسأله ان ينفذ اليه من يسلم له البلد ففعل وأمنه وكان الملك فيروز قد بنى بناحية صول واللان بناء يحصن به بلاده وبنى عليه ابنه قباذ زيادة فلما ملك كسرى أنوشروان بنى في ناحية صول وجرجان بناء كثيرا وحصونا حصن بها بلاده جميعها وان سجبو ورخاقان قصد بلاده وكان أعظم الترك واستمال الخزر وأبخز و بلنجر فأطاعوه فأقبل في عدد كثير وكتب الى كسرى يطلب منه الاتاوة ويتهدده ان لم يفعل فلم يجبه كسرى الى شيء مما طلب لتحصينه بلاده وان ثغر أرمينية قد حصنه فصار يكتفي بالعدد اليسير فقصد خاقان بلاده فلم يقدر على شيء منها وعاد خائبا وهذا خاقان هو الذي قتل وزر ملك الهياطلة وأخذ كثيرا من بلادهم

(ذكر ملك كسرى بلاد الروم)

كان بين كسرى أنوشروان و بين غطيانوس ملك الروم هدنة فوقع بين رجل من العرب كان ملكه غطيانوس على عرب الشام يقال له خالد بن جبلة و بين رجل من لخم كان ملكه كسرى على عمان والبحرين واليمامة الى الطائف وسائر الحجاز يقال له المنذر بن النعمان فتنة فأغار خالد على ابن النعمان فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وغنم أمواله فكتب كسرى الى غطيانوس يذكره ما بينهما من العهد والصلح و يعلمه ما لقي المنذر من خالد وسأله ان يأمر خالدا برد ما غنم الى المنذر ويدفع له دية من قتل من أصحابه وينصفه من خالد وانه ان لم يفعل انتقض الصلح ووالى الكتب الى غطيانوس في انصاف المنذر فلم يحفل به فاستعد كسرى وغزا بلاد غطيانوس في بضعة وسبعين

ست ومائة وألف *(ومات)* الامير عبد الله بك بشناق الدفتردار تولى الدفتردارية سنة ثلاث ومائة وألف ثم عزل عنها بعد خمسة أشهر وعشرين يوما وسافر أميرا على العسكر الى الروم ورجع الى مصر وتولى قائمقام عندما عزل حسن باشا السلحدار في سنة اثنتين وذلك قبل سفره وحضر أحمد باشا ثم عزل بعد ذلك المترجم من الدفتردارية واستمر أميرا الى ان مات سنة خمس عشرة ومائة وألف على فراشه *(ومات)* الامير سليمان بك الارمني المعروف ببارم ذيله تولى الصنجقية سنة اثنتين ومائة وألف وكان وجيها ذا امال وخدم ومماليك وتولى كشوفيات المنوفية والغربية مرارا عديدة ولم يزل في امارته الى ان توفي على فراشه سنة احدى وعشرين ومائة وألف وخلف ولدا يسمى عثمان جلبي تقلد امارة والده بعده وكان جميلا وجيها حاذقا يحب مطالعة الكتب وانشاد الاشعار وتقلد كشوفية المنوفية والغربية والبحيرة وكان فارسا شجاعا ولم يزل حتى هرب مع من هرب في واقعة محمد بك قطامش سنة سبع وعشرين ومائة وألف فاختفى بمصر ونهب بيته واستمر مختفيا الى ان مات بالطاعون سنة ثلاثين ومائة وألف وخرجوا بمشهده جهارا ومات وعمره سبع وثلاثون سنة *(ومات)* الامير حمزة بك تابع يوسف بك جلب القرد قائمقام بعد سيده سنة عشرة ومائة وألف فمكث خمس سنوات أميرا ثم سافر بالخزينة ومات بالطريق سنة ست عشرة ومائة وألف *(ومات)* قبله سيده الامير يوسف بك القرد تولى الصنجقية سنة ثلاث وسبعين وألف وتولى

الفا

امارة الحج ولم يزل حتى توفي سنة عشر وألف *(ومات)* الامير رمضان بك تولى الامارة سنة سبع وسبعين وألف وعمل قائمقام عندما عزل أحمد باشا الدفتردار وسبب ذلك انه لما ورد أحمد باشا المذكور واليا على مصر في سنة ست وثمانين وألف واشيع عنه بأن قصده احداث مظالم على البيوت والدكاكين والطواحين مثل الشام ويفتش على الجوامك وغيرها فاجتمع العسكر في خامس الحجة بالرميلة وقاموا قومة واحدة وقطعوا عبد الفتاح افندي الشعراوي كاتب مقاطعة الغلال وهو نازل من الديوان وكان قبل تاريخه ذهب الى الديار الرومية وحضر صحبة أحمد باشا فاتهموه بأنه هو الذي أغرى الباشا على ذلك ولما نزل الامراء وأرباب الديوان قام عليهم العسكر والعامة وقالوا لهم لابد من نزول الباشا والا اطلعنا اليه وقطعناه قطعا قطعا فطلعوا الى الباشا فاعرضوا عليه ذلك فامتنع وتكرر مراجعته والعسكر والناس يزيد اجتماعهم الى قريب العصر فلم يسعه الا النزول بالقهر عنه الى بيت حاجي باشا بالصليبية وولوا رمضان بك هذا قائمقام فلم يزل حتى ورد عبد الرحمن باشا في سادس جمادى الآخرة من سنة سبع وثمانين وألف ولم يزل المترجم أميرا حتى مرض ومات سنة ثلاث عشرة ومائة وألف *(ومات)* الامير درويش بك الفلاح تولى الامارة سنة خمس وتسعين وألف ومات سنة ثمان ومائة وألف *(ومات)* الامير احمد بك تابع يوسف اغا دار السعادة تولى الامارة سنة ست وتسعين وألف ومات بجدة سنة ثمان ومائة وألف *(ومات)* الامير

ألفا وكان طريقه على الجزيرة فأخذ مدينة دارا ومدينة الرها وعبر الى الشام فملك منبج وحلب وانطاكية وكانت أفضل مدائن الشام وفامية وحمص ومدنا كثيرة متاخمة لهذه المدائن عنوة واحتوى على ما فيها من الاموال والعروض وسبى اهل مدينة انطاكية ونقلهم الى ارض السواد وأمر فبنيت لهم مدينة الى جانب مدينة طيسفون على بناء مدينة انطاكية وأسكنهم اياها وهي التي تسمى الرومية وكوّر لها خمسة طساسيج طسوج النهروان الاعلى وطسوج النهروان الاوسط وطسوج النهروان الاسفل وطسوج بادرايا وطسوج باكسايا واجرى على السبي الذين نقلهم اليها من انطاكية الارزاق وولى القيام بامرهم رجلا من نصارى الاهواز ليستأنسوا به لموافقته في الدين وأما سائر مدن الشام ومصر فان قطيانوس ابتاعها من كسرى بأموال عظيمة حملها اليه وضمن له فدية يحملها اليه كل سنة على ان لا يغزو بلاده فكانوا يحملونها كل عام وسار انوشروان من الروم الى الخزر فقتل منهم وغنم وأخذ منهم بثار رعيته ثم قصد اليمن فقتل فيها وغنم وعاد الى المدائن وقد ملك مادون هرقلة وما بينه وبين البحرين وعمان وملك النعمان بن المنذر على الحيرة وأكرمه وسار نحو الهياطلة ليأخذ بثار جده فيروز وكان انوشروان قد صاهر خاقان قبل ذلك ودخل كسرى بلادهم فقتل ملكهم واستأصل اهل بيته وتجاوز بلخ وما وراء النهر وانزل جنوده فرغانة ثم عاد الى المدائن وغزا البرجان ثم رجع وأرسل جنده الى اليمن فقتلوا الحبشة وملكوا البلاد وكان ملكه ثمانيا وأربعين سنة وقيل سبعا وأربعين سنة وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر ملكه وقيل ولد عبد الله ابن عبد المطلب أبو رسول الله لاربع وعشرين سنة مضت من ملك انوشروان وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين وأربعين من ملكه قال هشام بن الكلبي ملك العرب من قبل ملوك الفرس بعد الاسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان سبع سنين ثم ملك بعده النعمان بن الاسود أربع سنين ثم استخلف أبو يعفر بن علقمة بن مالك ابن عدي اللخمي ثلاث سنين ثم ملك المنذر بن امرئ القيس الكندي ولقب ذا القرنين لضفيرتين كانتا له وامه ماء السماء وهي ماوية ابنة عمرو بن جشم ابن النمر بن قاسط تسعا وأربعين سنة ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر ست عشرة سنة قال والثمانى سنين وثمانية أشهر من ولايته ولد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أيام انوشروان عام الفيل فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجه الى سرنديب من بلاد الهند وهي ارض الجوهر قائدا من قواده في جند كثيف فقاتل ملكها فقتله واستولى عليها وحمل الى كسرى منها أموالا عظيمة وجواهر كثيرة ولم يكن ببلاد الفرس بنات آوى فجاءت اليها من بلاد الترك في ملك كسرى انوشروان فشق عليه ذلك واحضر موبذان موبذ وقال له قد بلغنا تساقط هذه السباع الى بلادنا وقد تعاظمنا ذلك فأخبرنا برأيك فيها

دروبشر بك جركس الفقارى وهو سيد أيوب بك تولى الامارة سنة ثمان وتسعين وألف ومات سنة خمس ومائة وألف ❊(ومات)❊ الامير محمد كتخدا عزبان الامير قدار وكان صاحب صولة وعز فى بابه وكلمة وشهرة مع مشاركة محمد كتخدا البيقلى وكان المترجم شهير الذكر وبيته مفتوح وتسعى اليه الامراء والاعيان ويقضى حوائج الناس ويسعى فى أشغالهم وظهر فى أيامه أحمد أوده باشه القيومجى وظالم على جاويش عزبان مات المترجم ثالث عشرى رمضان سنة سبع ومائة وألف على فراشه بمنزله ناحية المظفر ❊(ومات)❊ أيضا محمد كتخدا البيقلى فى ثالث عشرى رمضان سنة خمس ومائة وألف بمنزله بسوق السلاح وعمره ولده بعد موته وهو يوسف كتخدا عزبان وكالة سنة ست عشرة ومائة وألف ❊(ومات)❊ الامير أحمد جربجى عزبان المعروف بالقيومجى وسبب تسميته بالقيومجى ان سيده حسن جربجى كان أصله صائغا ويقال له باللغة التركية قيومجى فشهر بذلك وكان سيده فى باب مستحفظان وأحمد هذا عزبان وكان المشارك لاحمد جربجى فى الكلمة على جاويش المعروف بظالم على الى ان ابسر ظالم على كتخدا الباب سنة ثمان ومائة وألف ومضى عليه نحو سبعة أشهر فانتبذ أحمد جربجى وملك الباب على حين غفلة وأنزل على كتخدا الى الرشيدة فخاف على نفسه ظالم حتى على قائد الوجاق تفكجيان فسعى اليه جماعة منهم ومن أعيان مستحفظان وردوه الى بابه بان يكون اختيارياوضعوه

فقال سمعت فقهاءنا يقولون متى لم يغلب العدل الجور فى البلاد بل جار أهلها غزاهم أعداؤهم وأتاهم ما يكرهون فلم يلبث كسرى ان أتاه ان فتيانا من الترك قد غزوا أقصى بلاده فأمر وزراءه وعماله ان لا يتعدوا فيما هم بسبيله العدل ولا يعملوا فى شئ منها الا به ففعلوا ما أمرهم فصرف الله ذلك العدو عنهم من غير حرب

❊(ذكر ما فعله انوشروان بارمينية واذربيجان)❊

كانت ارمينية واذربيجان بعضها للروم وبعضها للخزر فبنى قباذ سورا مما يلى بعض تلك الناحية فلما توفى وملك ابنه انوشروان وقوى أمره وغزا فرغانة والبرجان وعاد بنى مدينة الشابران ومدينة مسقط ومدينة الباب والابواب وانما سميت أبوابا لانها بنيت على طريق فى الجبل واسكن المدن قوما سماهم السياسيجين وبنى غير هذه المدن وبنى لكل باب قصرا من حجارة وبنى بارض جرزان مدينة سعدبيل وانزلها السغد وأبناء فارس وبنى باب اللان وفتح جميع ما كان بايدى الروم من ارمينية وعمر مدينة اردبيل وعدة حصون وكتب الى ملك الترك يسأله الموادعة والاتفاق ويخطب اليه ابنته ورغب فى صهره وتزوج كل واحد بابنة الآخر فاما كسرى فانه ارسل الى خاقان ملك الترك بنتا كانت قد تبنتها بعض نسائه وذكر انها ابنته وارسل ملك الترك ابنته واجتمعا فأمر انوشروان جماعة من ثقاته ان يكبسوا طرفا من عسكر الترك ويحرقوا فيه ففعلوا فلما أصبحوا اشتكاه ملك الترك ذلك فانكر أن يكون له علم به ثم أمر بمثل ذلك بعد ليال فضج التركى فرفق به انوشروان فاعتذر اليه ثم امر انوشروان ان تلقى النار فى ناحية من عسكره فيها أكواخ من حشيش فلما أصبح شكا الى التركى وقال كافأتنى بالتهمة فحلف التركى انه لم يعلم بشئ من ذلك فقال انوشروان له ان جندنا قد كرهوا صلحنا لانقطاع العطاء والغارات ولا آمن ان يحدثوا حدثا يفسد قلوبنا فنعود الى العداوة والرأى ان تأذن لى فى بناء سور يكون بينى وبينك نجعل عليه أبوابا فلا يدخل اليك الا من تريده ولا يدخل الينا الا من نريده فأجابه الى ذلك وبنى انوشروان السور من البحر وألحقه برؤس الجبال وعمل عليه أبواب الحديد ووكل به من يحرسه فقيل لملك الترك انه خدعك وزوجك غير ابنته وتحصن منك فلم تقدر له على حيلة وملك انوشروان ملوكا رتبهم على النواحى فمنهم صاحب السرير وفيلان شاه واللكز ومسقط وغيرها ولم تزل ارمينية بأيدى الفرس حتى ظهر الاسلام فرفض كثير من السياسيجين حصونهم ومدائنهم حتى خربت واستولى عليها الخزر والروم وجاء الاسلام وهى كذلك

❊(ذكر أمر الفيل)❊

لما دام ملك ابرهة باليمن وتمكن به بنى القليس بصنعاء وهى كنيسة لم ير مثلها فى زمانها بشئ من الارض ثم كتب الى النجاشى انى قد بنيت لك كنيسة لم ير مثلها ولست بمنته

فيما يحدث منه فاستمر مع احمد كتخدا معززا الى أن مات ظالما على فراشه بمنزله بالحبانية الملاصق للحمام سنة خمس عشرة
ومائة والف وانفرد بالكلمة أحمد كتخدا ولم يزل الى أن مات على فراشه بمنزله ببولاق سنة عشرين ومائة والف

حتى اصرف اليها حاج العرب فلما تحدثت العرب بذلك غضب رجل من النسأة من بنى فقيم فخرج حتى أتاها فقعد فيها وتغوط ثم لحق بأهله فأخبر بذلك ابرهة وقيل له انه فعل رجل من أهل البيت الذى تحجه العرب بمكة غضب لما سمع انك تريد صرف الحجاج عنه ففعل هذا فغضب ابرهة وحلف ليسيرن الى البيت فيهدمه وأمر الحبشة فتجهزت وخرج معه بالفيل واسمه محمود وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلا وهى تتبع محمودا وانما وحد الله سبحانه الفيل لانه عنى كبيرها محمودا وقيل فى عددهم غير ذلك فلما سار سمعت العرب به فاعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج عليه رجل من أشراف اليمن يقال له ذو نفر وقاتله فهزم ذو نفر وأخذ أسيرا فاراد قتله ثم تركه محبوسا عنده ثم مضى على وجهه فخرج عليه نفيل بن حبيب الخثعمى فقاتله فانهزم نفيل وأخذ أسيرا فضمن لابرهة ان يدله على الطريق فتركه وسار حتى اذا مر على الطائف بعثت معه ثقيف أبا رغال يدله على الطريق حتى انزله بالمغمس فلما نزله مات أبو رغال فرجمت العرب قبره فهو القبر الذى يرجم وبعث ابرهة الاسود بن مقصود الى مكة فساق أموال اهلها وأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ثم أرسل ابرهة حناطة الحميرى الى مكة فقال سل عن سيد قريش وقل له انى لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تمنعوا عنه فلا حاجة لى بقتالكم فلما بلغ عبد المطلب ما أمره قال له والله مالنا يدحربه هذا بيت الله وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه فهو يمنع بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا من دفع فقال له انطلق معى الى الملك فانطلق معه عبد المطلب حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نفر وكان له صديقا فدل عليه وهو فى محبسه فقال له هل عندك غناء فيما نزل بنا فقال وما غناء رجل اسير بيدى ملك ينتظر أن يقتله لكن أنيس سائس الفيل صديق لى فأوصيه بك واعظم حقك واسأله ان يستاذن لك على الملك فتكلمه بما تريد ويشفع لك عنده ان قدر فقال حسبى فبعث ذو نفر الى انيس فحضره وأوصاه بعبد المطلب واعلمه انه سيد قريش فكلم أنيس ابرهة وقال هذا سيد قريش يستأذن فاذن له وكان عبد المطلب رجلا عظيما جليلا وسيما فلما رآه ابرهة أجله وأكرمه ونزل عن سريره اليه وجلس معه على بساط واجلسه الى جنبه وقال الترجمانه قل له ما حاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب حاجتى ان يرد على مائتى بعير أصابها الى فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتنى حين رايتك ثم زهدت فيك حين كلمتنى أتكلمنى فى ابلك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه قال عبد المطلب انا رب الابل وللبيت رب يمنعه قال ما كان ليمتنع منى وامر بردّ ابله فلما أخذها قلدها وجعلها هديا وبثها فى الحرم لكى يصاب منها شئ فيغضب الله وانصرف عبد المطلب الى قريش واخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج معه من مكة والتحرز فى رؤس الجبال خوفا من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر

وكان سخيا يضرب بكرمه المثل وكان به بعض عرج بفخذه الايسر بسبب سقطة سقطها من على الحمار وهو أوده باشه *(ومات)* الامير الكبير المقدام ايواظ بك والد الامير اسمعيل بك وأصل اسمه عوض فحرفت باعوجاج التركية الى ايواظ فان اللغة التركية ليس فيها الضاد فابدلت وحرفت بما سهل على لسانهم حتى صارت ايواظ وهو جركس الجنس قاسمى تابع مراد بك الدفتردار القاسمى الشهيد بالغزاة ومراد بك تابع أزبك بك أمير الحاج سابقا ابن رضوان بك أبى الشوارب المشهور المتقدم ذكره تولى الامارة عوضا عن سيده مراد بك الشهيد بالغزاة فى سنة سبع ومائة والف وفى سنة عشر ومائة وألف ورد مرسوم من الدولة خطابا بالحسين باشا والى مصر اذذاك بالاخبار كروب على المتغلب عبد الله وافى المغربى بجهة قبلى ومن معه من العربان واجلائهم عن البلاد وحضرت جماعة من الملتزمين والفلاحين يشكون ويتظلمون من المذكورين فجمع حسين باشا الامراء والاغوات وأمرهم بالتهيء للسفر صحبته فقالوا نحن نتوجه جميعا واما انت فتقيم بالقلعة لاجل تحصيل الاموال السلطانية ثم وقع الاتفاق على اخراج تجريدة وأميرها ايواظ بك وصحبته ألف نفر من الوجاقات وقرروا له على كل بلد كبيرة ثلاثة آلاف نصف فضة والصغيرة

آلاف وخمسمائة فاجابهم الى ذلك وجعلوا الكل نفر ثلاثة آلاف فضة وللامير عشرة آلاف كياس وخلع عليه الباشا قفطانا وخرج في يوم السبت سابع عشر جمادى الآخرة بموكب عظيم ونزل بدير الطين فبات به وأصبح متوجها الى قبلي ثم ورد منه في حادي عشر رجب يذكر كثرة الجموع ويطلب الامداد فعمل الباشا ديوانا وجمع الامراء واتفقوا على ارسال خمسة من الامراء الصناجق وهم أيوب بك أمير الحاج حالا واسمعيل بك الدفتردار وابراهيم بك أبو شنب وسليمان بك قيطاس وأحمد بك ياقوت زاده وأغوات الاسباهية الثلاثة واتباعهم وأنفارهم فتهيؤا وسافروا ونزلوا بالجيزة وأقاموا بها أياما فورد الخبر أن ايواظ بك تحارب مع العربان وهزمهم وفروا الى الوجه البحري من طريق الجبل ورجع الامراء الى مصر وفي شوال نزلت جماعة من العربان بكرداسة فكبسهم ذو الفقار كاشف الجيزة وقتل منهم أربعة وسبعين رجلا وطلع برؤسهم الى الديوان ثم ورد الخبر بان جمع أبي زيدين وافى نزل بوادي الطرانة فاحتاط به قائمقام الجيزة وقتل من معه من الرجال واحتاط بالاموال والمواشي ولما بلغ بقية العربان ماحصل لابي زيد ضاقت بهم الارض ففروا الى الواحات وأقاموا بها مدة حتى أخربوها وأغلوها وانقطعت السيارة وألجأتهم الضرورة الى أن هبطوا الى صعيد مصر بحاجر الجعافرة بالقرب من اسنا وصحبتهم ردينة على أبو شاهين شيخ النجمة وحصل منهم الضرر فلما بلغ ذلك عبد الرحمن بك اغرى بهم عربان هوارة فاحتاطوا بهم ونهبوهم

من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

يارب لاارجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم أن يخربوا فناكا

وقال أيضا

لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع رحالك
لايغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
ولئن فعلت فانه * أمر تتم به فعالك
أنت الذي ان جاء باغ نرتجيك له فذالك
ولوا ولم يحووا سوى * خزي وتهلكهم هنالك
لم اسمع يوما بار * جس منهم يبغوا قتالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدالك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون مايفعل ابرهة بمكة اذا دخل فلما أصبح ابرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وكان اسمه محمودا وابرهة مجمع لهدم البيت والعود الى اليمن فلما وجهوا الفيل اقبل نفيل بن حبيب الخثعمي فمسك باذنه وقال ارجع محمود ارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه فالقى الفيل نفسه الى الارض واشتد نفيل فصعد الجبل فضربوا الفيل فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل كذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فسقط الى الارض وأرسل الله عليهم طيرا أبابيل من البحر امثال الخطاطيف مع كل طير منها ثلاثة احجار تحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه فقذفتهم بها وهي مثل الحمص والعدس لاتصيب أحدا منهم الا هلك وليس كلهم أصابت وأرسل الله سيلا ألقاهم في البحر وخرج من سلم مع ابرهة هاربا يبتدرون الطريق الذي جاؤا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته

أين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب غير الغالب

وقال أيضا

الا حييت عنا ياردينا * نعمنا كم مع الاصباح عينا
أتانا قابس منكم عشاء * فلم يقدر لقابسكم لدينا

ردينة لو رأيت ولا تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتني وحمدت رأيي * ولم تاسي لما قد فات بينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسال عن نفيل * كأن على للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل منهل وأصيب ابرهة في جسده فسقطت اعضاؤه عضوا عضوا حتى قدموا به صنعاء وهو مثل الفرخ فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فلما هلك ملك ابنه يكسوم بن ابرهة وبه كان يكنى وذلت حمير واليمن له ونكحت الحبشة نساءهم وقتلوا رجالهم واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب ولما أهلك الله الحبشة وعاد ملكهم ومعه من سلم منهم ونزل عبد المطلب من الغد اليهم لينظر ما يصنعون ومعه أبو مسعود الثقفي لم يسمعا حسا فدخلا معسكرهم فرأيا القوم هلكى فاحتفر عبد المطلب حفرتين ملأهما ذهبا وجوهرا له ولابي مسعود ونادى في الناس فتراجعوا فأصابوا من فضلهما شيأ كثيرا فبقي عبد المطلب في غنى من ذلك المال حتى مات وبعث الله السيل فالقى الحبشة في البحر وقال كثير من أهل السير ان الحصبة والجدري أول ما رؤيا في العرب بعد الفيل وكذلك قالوا ان العشب والحرمل والشيح لم تعرف بارض العرب الا بعد الفيل وهذا مما لا ينبغي ان يعرج عليه فان هذه الامراض والاشجار قبل الفيل مذ خلق الله العالم ولما رد الله الحبشة عن الكعبة وأصابهم ما أصابهم عظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله قاتل عنهم ثم مات يكسوم وملك بعده أخوه مسروق

(ذكر عود اليمن الى حمير واخراج الحبشة عنه)

لما هلك يكسوم ملك اليمن أخوه مسروق بن ابرهة وهو الذي قتله وهرز فلما اشتد البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذي يزن وكنيته أبو مرة وقيل كنية ذي يزن ابو مرة حتى قدم على قيصر وتنكب كسرى لابطائه عن نصر أبيه فانه كان قصد كسرى انوشروان لما أخذت زوجته يستنصره على الحبشة فوعده فاقام ذو يزن عنده فمات على بابه وكان ابنه سيف مع أمه في حجر ابرهة وهو يحسب انه ابنه فسبه ولد لابرهة وسب أباه فسأل امه عن ابيه فأعلمته خبره بعد مراجعة بينهما فاقام حتى مات ابرهة وابنه يكسوم ثم سار الى الروم فلم يجد عند ملكهم ما يحب لموافقته الحبشة في الدين فعاد الى كسرى فاعترضه يوما وقد ركب فقال له ان لي عندك ميراثا فدعا به كسرى لما نزل فقال له من أنت وما ميراثك قال أنا ابن الشيخ اليماني الذي وعدته النصرة فمات ببابك فتلك العدة حق لي وميراث فرق كسرى له وقال له بعدت بلادك عنا وقل خيرها والمسلك اليها وعر ولست اغرر بجيشي وأمر له بمال فخرج وجعل ينثر الدراهم فانتهبها الناس فسمع كسرى فسأله ما حمله على ذلك فقال لم آتك للمال وانما جئتك

وأخذوا منهم جملة كبيرة من الجمال وغيرها ففروا واتبعهم خيل هوارة الى حاجر منفلوط فتبعهم عبد الرحمن بك ومن معه من الكشاف فاثخنوهم قتلا ونهبا وأخذوا منهم ألفا وسبعمائة جمل باحمالها وهرب من بقي وما زالوا كلما هبطوا أرضا قاتلهم أهلها الى ان نزلوا الفيوم بالغرق وافترق منهم أبو شاهين بطائفة الى ولاية الجيزة فعين لهم الباشا تجريدة ذهبوا خلفهم الى الجسر الاسود فوجدوهم عدوا الى المنوفية واما ايواظ بك فانه من حين نزوله الى الصعيد وهو يجاهد ويحارب في العربان حتى شتت شملهم وفرق جمعهم فتلقاهم عبد الرحمن بك فأذاقهم أضعاف ذلك وحضر ايواظ بك الى مصر ودخل في موكب عظيم والرؤس محمولة معه وطلعوا الى القلعة وخلع عليه الباشا وعلى السدادرة الخلع السنية ونزلوا الى منازلهم في أبهة عظيمة وتولى كشوفية الاقاليم الثلاثة على ثلاث سنوات ورجع الى مصر وحضر مرسوم بسفر عسكر الى البلاد الحجازية وعزل الشريف سعد وتولية الشريف عبد الله وأميرها ايواظ بك فخلع عليه الباشا وشهل له جميع احتياجاته وبرز الى العادلية وصحبته السدادرة وسافر في غير أوان الحج ولما وصل الى مكة جمع السدادرة القدم والجدد وحاربوا الشريف سعدا وهزموه وملك دار السعادة وأجلس الشريف عبد الله عوضه وقتل في الحرابة رضوان أغا ولده وكان خازنداره واقام بمكة الى أيام الحج أتى اليه مرسوم بانه يكون حاكم جدة وكانت إمارة جدة لامراء مصر أقام بجدة سنين وحاز منها شيا كثيرا وكان الوكيل عنه بمصر

للرجال ولتمنعني من الذل والهوان وان جبال بلادنا ذهب وفضة فاعجب كسرى بقوله وقال يظن المسكين انه اعرف ببلاده مني واستشار وزراءه في توجيه الجند معه فقال له موبذان موبذ أيها الملك ان لهذا الغلام حقا بنزوعه اليك وموت أبيه ببابك وما تقدم من عدته بالنصرة وفي سجونك رجال ذوو النجدة و بأس فلو ان الملك وجههم معه فان أصابوا ظفرا كان للملك وان هلكوا فقد استراح وأراح أهل مملكته منهم فقال كسرى هذا الرأي فامر بمن في السجون فأحضروا فكانوا ثمانمائة فقود عليهم قائدا من اساورته يقال له وهرز وقيل بل كان من أهل السجون سخط عليه كسرى لحدث احدثه بحبسه وكان يقيد بألف اسوار وأمر بحملهم في ثماني سفن فركبوا البحر فغرق سفينتان وخرجوا بساحل حضرموت ولحق بابن ذي يزن بشر كثير وسار اليهم مسروق في مائة ألف من الحبشة وحمير والاعراب وجعل وهرز البحر وراء ظهره واحرق السفن لئلا يطمع أصحابه في النجاة واحرق كل ما معهم من زاد وكسوة الا ما كانوا وما على أبدانهم وقال لاصحابه انما أحرقت ذلك لئلا يأخذه الحبشة ان ظفروا بكم وان نحن ظفرنا بهم فسنأخذ أضعافه فان كنتم تقاتلون معي وتصبرون اعلمتموني ذلك وان كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفي حتى يخرج من ظهري فانظروا ما حالكم اذا فعل رئيسكم هذا بنفسه قالوا بل نقاتل معك حتى نموت أو نظفر وقال لسيف بن ذي يزن ما عندك قال ما شئت من رجل عربي وسيف عربي ثم أجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعا أو نظفر جميعا وانصرف فجمع اليه سيف من استطاع من قومه فكان أول من لحقه السكاسك من كندة وسمع بهم مسروق بن ابرهة فجمع اليه جنده فعبى وهرز اصحابه وامرهم أن يوتروا قسيهم وقال اذا أمرتكم بالرمي فارموا رشقا واقبل مسروق في جمع لا يرى طرفاه وهو على فيل وعلى رأسه تاج وبين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة لا يرى دون الظفر شيئا وكان وهرز كل بصره فقال أروني عظيمهم فقالوا هذا صاحب الفيل ثم ركب فرسا فقالوا ركب فرسا ثم انتقل الى بغلة فقالوا ركب بغلة فقال وهرز ذل وذل ملكه وقال وهرز ارفعوا الى حاجبي وكانا قد سقطا على عينيه من الكبر فرفعوهما له بعصابة ثم جعل نشابة في كبد قوسه وقال اشيروا الى مسروق فاشاروا اليه فقال لهم سأرميه فان رأيتم أصحابه وقوفا لم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذنكم فاني قد أخطأت الرجل وان رأيتموهم قد استداروا ولاذوا به فقد أصبته فاحملوا عليهم ثم رماه فاصاب السهم بين عينيه ورمى أصحابه فقتل مسروق وجماعة من أصحابه فاستدارت الحبشة بمسروق وقد سقط عن دابته وحملت الفرس عليهم فلم يكن دون الهزيمة شيء وغنم الفرس من عسكرهم ما لا يحد ولا يحصى وقال وهرز كفوا عن العرب واقتلوا السودان ولا تبقوا منهم أحدا وهرب رجل من الاعراب يوما وليلة ثم التفت فرأى في جعبته نشابة فقال لامك الويل ابعد طول مسير وسار وهرز حتى دخل صنعاء

يوسف جو يحيى الجزار عزبان ويرسل له الذخيرة وما يحتاجه من مصر وتولى المترجم امارة الحج سنة اثنتين وعشرين ورجع سنة ثلاث وعشرين وقتل في تلك السنة في الفتنة وهو أمير على الحج وذلك انه لما اشتدت الفتنة بين العزب والينكجرية وحضر محمد بك حاكم الصعيد معينا للينكجرية وصحبته السواد الاعظم من العسكر والعرب والمغاربة والهوارة فنزل بالبساتين ثم دخل الى مصر بجموعه ونزل بيت آقبراي وحارب المترسين بجامع السلطان حسن وكان به محمد بك الصغير وهو تابع قيطاس بك مع من انضم اليه من أتباع ابراهيم بك وايواظ بك ومماليكه فكانت النصرة لمحمد بك الصغير بعد أمور وحروب وانتقل محمد بك جرجا الى جهة الصليبة ووقعت أمور يطول شرحها مشهورة من قتل ونهب وخراب أماكن وطال الامر ثم ان الامراء اجتمعوا بالجامع بشبالك وحضر معهم طائفة من العلماء والاشراف واتفقوا على عزل خليل باشا واقامة قانصوه بك قائمقام وولوا مناصب وأغوات ووالي ووصل الخبر الى الباشا ومن معه بخروج الينكجرية وفيهم افرنج أحمد ومحمد بك جرجا ومن معه على الحرب ووقعت حروب عظيمة بين الفريقين عدة أيام وصار قانصوه بك يرسل بيورلديات بتاريخه وأرسل الى محمد بك جرجا يأمره بالتوجه الى ولايته ويجتهد في تحصيل المال والغلال السلطانية فعندما وصل اليه وقاب
البيورلدي قام وتعدد واحتد واشتد بينهم الجلاد والقتال واجتمع الامراء والصناجق والاغوات عند قائمقام ورتبوا أمورهم

وذهبت طائفة لمحاربة منزل أيوب بك الى ان ملكوه بعد وقائع ونهبوه وخرج أيوب بك هاربا وكذلك منزل أحمد أغا التفكجية
بعد قتله وخرج أيضا محمد أغا الشاطر وعلي جلبي الترجمان وعبد الله الوالي ولحقوا بأيوب بك وفروا

وغلب على بلاد اليمن وأرسل عماله في المخاليف وكان مدة ملك الحبشة اليمن اثنتين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة ملوك ارياط ثم أبرهة ثم ابنه يكسوم ثم مسروق ابن ابرهة وقيل كان ملكهم نحوا اثنتين وثلاثين سنة وقيل غير ذلك والاول أصح فلما ملك وهرز اليمن أرسل الى كسرى يعلمه بذلك وبعث اليه بأموال وكتب اليه كسرى يأمره ان يملك سيف بن ذي يزن و بعضهم يقول معديكرب بن سيف بن ذي يزن على اليمن وأرضها وفرض عليه كسرى جزية وخراجا معلوما في كل عام فملكه وهرز وانصرف الى كسرى وأقام سيف على اليمن ملكا يقتل الحبشة ويبقر بطون الحبالى عن الحمل ولم يترك منهم الا القليل جعلهم خولا فاتخذ منهم جمازين يسعون بين يديه بالحراب فمكث غير كثير ثم انه خرج يوما والحبشة يسعون بين يديه بحرابهم فضربوه بالحراب حتى قتلوه فكان ملكه خمس عشرة سنة ووثب بهم رجل من الحبشة فقتل باليمن وافسد فلما بلغ ذلك كسرى بعث اليهم وهرز في أربعة آلاف فارس وأمره ان لا يترك باليمن اسود ولا ولد عربية من اسود ومن شرك فيه اسود قتله وأقبل حتى دخل اليمن ففعل ما أمره وكتب الى كسرى يخبره فأقره على ملك اليمن فكان يجبيها لكسرى حتى هلك وأمر بعده كسرى ابنه المرزبان بن وهرز حتى هلك ثم أمر بعده كسرى التينجان بن المرزبان ثم أمر بعده خرخرة بن التينجان بن المرزبان ثم ان كسرى ابرويز غضب عليه فاحضره من اليمن فلما قدم تلقاه رجل من عظماء الفرس فالقى عليه سيفا كان لابي كسرى فاجاره كسرى بذلك من القتل وعزله عن اليمن وبعث باذان الى اليمن فلم يزل عليها حتى بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل ان أنوشروان استعمل بعد وهرز زرين وكان مسرفا اذا أراد ان يركب قتل قتيلا ثم سار بين أوصاله فمات انوشروان وهو على اليمن فعزله ابنه هرمز وقد اختلفوا في ولاة اليمن للاكاسرة اختلافا كثيرا لم أرد ذكره فائدة

﴿ذكر ما أحدثه قريش بعد الفيل﴾

لما كان من أمر أصحاب الفيل ما ذكرناه عظمت قريش عند العرب فقالوا هم أهل الله وقطنه يحامي عنهم فاجتمعت قريش بينها وقالوا نحن بنو ابراهيم عليه السلام وأهل الحرم وولاة البيت وقاطنو مكة فليس لاحد من العرب مثل منزلتنا ولا يعرف العرب لاحد مثل ما يعرف لنا فهلموا فلنتفق على ائتلاف اننا لا نعظم شيئا من الحل كما نعظم الحرم فانا اذا فعلنا ذلك استخفت العرب بنا وبحرمنا وقالوا قد عظمت قريش من الحل مثل ما عظمت من الحرم فتركوا الوقوف بعرفة والافاضة منها وهم يعرفون و يقرون انها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرى سائر العرب ان يقفوا عليها وان يفيضوا منها وقالوا نحن أهل الحرم فلا نعظم غيره ونحن الحمس وأصل الحماسة الشدة لانهم تشددوا في دينهم وجعلوا لمن ولدوا واحدة من نسائهم من

الى جهة الشام وخرج محمد بك الكبير الى جهة قبلي وانتهبت جميع بيوت الخارجين وبيت محمد بك الكبير وأحمد جربجي القنيلي وأحرقوا بيت أيوب بك وما لاصقه من البيوت والحوانيت والرباع وفي أثناء ذلك قبل خروج من ذكر أيام اشتداد الحرب خرج محمد بك بمن معه الى جهة قصر العيني فوصل الخبر الى ايواظ بك فركب مع من معه ورفع القواس المزراق امام الصنجق فانشبك في سكفة الباب وانكسر فقالوا للصنجق كسر المزراق قال وتطيروا من ذلك فقال اعمل بعوني ينصلح الحال وطلب مزراقا آخر وسار الى جهة القبر الطويل فظهر محمد بك والهوارة فتحاربوا معهم فانهزم رجال محمد بك وفر هو ومن معه الى السواقي فطمع فيهم ايواظ بك ورمح خلفهم وكان محمد بك أجلس جماعة سجمانية على السواقي لمنع من يطرد خلفهم عند الانهزام فرموا عليهم رصاصا فأصيب ايواظ بك وسقط من على جواده وحصل بعد ذلك ما حصل من الحروب ونصرة القاسمية والعرب وهروب المذكورين وعزل الباشا

 ودفن ايواظ بك بتربة أبي الشوارب وكان أميرا خيرا شهما حزن عليه كثير من الناس
وخلف ولده السعيد الشهيد اسمعيل بك الشهير السابق ذكره والآتي ترجمته وما وقع له ولاخيه محمد بك المعروف بالمجنون

ومصطفى بك وخلف عدة من المماليك والامراء ومنهم يوسف بك الجزار وغيره وفي ذلك يقول الشيخ حسن الحجازي

أيها الشخص لا يكن منك متعب * ان ايذا خلق ربك معطب * ماترى ماجرى لاحمد الاغرنـ

ـج ومن تابعوه من شؤم مكرب

وبأيوب بيك ثم محمد

الصعيدى بيك اذجاء يحرب

وعلينا مدافع نصبوها

في أعالي الابراج ترمى بلهب

وبيوتا عديدة حرقوها

مع نهب الاموال من غير

موجب

وأحاطوا بنا وقد منعونا

استقاء من نيلنا أو نصوب

فعطشنا وماء ملح شربنا

ورمونا بكل ما كان يرعب

مدة مستطيلة ثم باؤا

بعقاب لم يبق منهم معقب

قطعوا الافرنج ثم من شايعوه

ورموهم بزبل وقت مغرب

والبرايا عليهم قد أكبوا

فيهم شامتين الامثال تضرب

وبليل فر الصعيدى وأيو

ب وآل الاتباع واكتفوا شر مهرب

فالصعيدى للصعيد وأيو

ب لشام والاغترار يغرب

وخليل الباشا الردى سجنوه

بعد خلع له وقد كان يشغب

واستراحت منهم اماكن مصر

واستنار الزمان والعيش مخصب

وتعدوا بقتل ابراظ بيك

فرماهم مبيد عاد بمنكب

والذى قد ذكرته مجمل لو

قد بسطناه ضاق تعبير معرب

حسن ذو الحجاز ذلك أرخ

شر مكر مكر لايوب محدب

(وقال أيضا) خليل باشا خاب مصرنا التى * ماكر سوء حاق بنفسه * اثار فى عسكرنا نائرة اخرجتها

تاريخها اضرها بطمسه * أعمى على أفكارهم التى عمى * كل غدا منه رهين عكسه * فليتهم فطنوا والمكره *

العرب ساكنى الحل مثل مالهم بولادتهم ودخل معهم فى ذلك كنانة وخزاعة وعامر لولادة لهم ثم ابتدعوا فقالوا لا ينبغى للحمس ان يعملوا الاقط ولا يسلوا السمن وهم حرم ولا يدخلوا بيتا من شعر ولا يستظلوا الا فى بيوت الادم ما كانوا حرما وقالوا ولا ينبغى لاهل الحل ان يأكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحل فى الحرم اذا جاؤا حجاجا أو عمارا ولا يطوفوا بالبيت طوافهم اذا قدموا الا فى ثياب الحمس فان لم يجدوا طافوا بالبيت عراة فان انف احد من عظمائهم ان يطوف عريانا اذا لم يجد ثياب الحمس فطاف فى ثيابه ألقاها اذا فرغ من الطواف ولا يمسها هو ولا أحد غيره وكانوا يسمونها اللقى فدانت العرب لهم بذلك فكانوا يطوفون كما شرعوا لهم ويتركون أزوادهم التى جاؤا بها من الحل ويشترون من طعام الحرم ويأكلونه هذا فى الرجال واما النساء فكانت المرأة تضع ثيابها كلها الا درعها مفرجا ثم تطوف فيه وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

فكانوا كذلك حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فنسخه فافاض من عرفات وطاف الحجاج بالثياب التى معهم من الحل وأكلوا من طعام الحل فى الحرم أيام الحج وأنزل الله تعالى فى ذلك ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم أراد بالناس العرب أمر قريشا ان يفيضوا من عرفات وانزل الله تعالى فى اللباس والطعام الذى من الحل وتركهم اياه فى الحرم يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا الى قوله لقوم يعلمون

(ذكر حلف المطيبين والاحلاف)

قد ذكرنا ما كان قصى اعطى ولده عبد الدار من الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء ثم ان هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا بنى عبد مناف بن قصى رأوا انهم أحق بذلك من بنى عبد الدار لشرفهم عليه وفضلهم فى قومهم وارادوا أخذ ذلك منهم فتفرقت عند ذلك قريش كانت طائفة مع بنى عبد مناف وطائفة مع بنى عبد الدار يرون انه لا يجوز ان يؤخذ منهم ما كان قصى جعله لهم اذ كان امر قصى فيهم شرعا متبعا معرفة منهم لفضله وتيمنا بامره وكان صاحب أمر بنى عبد مناف بن قصى عبد شمس لانه كان أكبرهم وكان صاحب بنى عبد الدار الذى قام فى المنع عنهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فاجتمع بنو أسد بن عبد العزى بن قصى وبنو زهرة ابن كلاب وبنو تيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر بن مالك بن النضر مع بنى عبد مناف واجتمع بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدى بن كعب مع بنى عبد الدار وخرجت عامر بن لؤى ومحارب بن فهر من ذلك فلم يكونوا مع أحد الفريقين وعقد كل طائفة بينهم حلفا مؤكدا على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا مابل بحر صوفة فاخرجت بنو عبد مناف بن قصى جفنة مملوءة طيبا قيل ان بعض نساء بنى عبد مناف

وقطعوه قبل سلاني رمسة * واتبعوه لعنة وافرة * مدة طاهر الورى ورجسه * ابو اطبيك الفحل ظلما قتلوا *
ونال عند الله دار قدسه * آخر يوم في الخامس قضى * نحبا ضحى حين اشتداد شمسه * ونال شر خيبة قاتله

تغشاه من أسفله لرأسه
لا تنكرن من ذلك الباشا الردى
خبيث فعله وسوء حدسه
لانه أعور اقليط كذا
أعرج نكر شائع في جنسه
فربنا من مصر لا يخرجه
الا قتيلا ذاهبا كأمسه
كذاك أيوب والافرنج ومن
شابه في ابلاسه وابسه
ويسأل الله الجازى حسن
وقاية الباغي وشؤم نحسه
(وقال أيضا)
بلية جاءت مصرا
فاكثرت فيها الهالك
بالنار والسيف الباتر
والجوع من قطع السالك
وخذ لهذا تاريخا
خليل باشا في حالك
ويسأل الله البدري
حسن نجاة من ذلك

(ومات) الامير أيوب بك تابع درويش بك وهو كان ممن تسبب في اثارة الفتنة المذكورة وتولى كبرها مع افرنج احمد وأرسل الى محمد بك جركس فحضر اليه معينا ومعه من ذكر من اخلاط العالم وحصل ماحصل وأصله جركسي الجنس ومن الفقارية تولى امارة الحج بعد موت ابراهيم بك ذى الفقار سنة سبع ومائة والف وطلع بالحج عشر مرات وعزل سنة سبع عشرة ومائة وألف وتولى الدفتردارية ثم عزل عنها ثم وقعت الفتنة وهرب فيها وخرج من مصر هاربا من هرب الى جهة الشام وذهب الى اسلامبول ولم يزل بها حتى مات سنة أربع وعشرين ومائة وألف طريدا غريبا وحيدا بعد

أخرجتها لهم فوضعوها في المسجد وغمسوا أيديهم فيها وتعاهدوا وتعاقدوا ومسحوا الكعبة بايديهم توكيدا على أنفسهم فسموا بذلك المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار ومن معهم من القبائل عند الكعبة على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاحلاف ثم تصافوا للقتال واجمعوا على الحرب فبينما هم على ذلك اذ تداعوا للصلح على ان يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة وان تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار فاصطلحوا ورضي كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجزوا عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الاسلام وهم على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من حلف في الجاهلية فان الاسلام لم يزده الاشدة ولا حلف في الاسلام فولي السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف لان عبد شمس كان كثير الاسفار قليل المال كثير العيال وكان هاشم موسرا جوادا وكان ينبغي ان نذكر هذا قبل الفيل وما حدثه قريش وانما أخرناه للزوم تلك الحوادث بعضها ببعض

(ذكر مافعله كسرى في أمر الخراج والجند)

كان ملوك الفرس ياخذون من غلات كورهم قبل ملك كسرى انوشروان في خراجها من بعضها الثلث ومن بعضها الربع وكذلك الخمس والسدس على قدر شربها وعماراتها ومن الجزية شيأ معلوما فامر الملك قباذ بمسح الارضين ليصح الخراج عليها فمات قبل الفراغ من ذلك فلما ملك أنوشروان أمر باستتمام ذلك ووضع الخراج على الحنطة والشعير والكرم والرطب والنخل والزيتون والارز على كل نوع من هذه الانواع شيأ معلوما ويؤخذ في السنة في ثلاثة انجم وهي الوضائع التي اقتدى بها عمر بن الخطاب وكتب كسرى الى القضاة في البلاد نسخة بالخراج ليمتنع العمال من الزيادة عليه وأمر أن يوضع عمن أصابت غلته جائحة بقدر جائحته والزموا الناس الجزية ماخلا العظماء وأهل البيوتات والجند والهرابذة والكتاب ومن في خدمة الملك كل انسان على قدره اثني عشر درهما وثمانية دراهم وستة دراهم واربعة دراهم واسقطها عمن لم يبلغ عشرين سنة أو جاوز خمسين سنة ثم ان كسرى ولى رجلا من الكتاب من الكفاة والنبلاء اسمه بابك عرض جيشه فطلب من كسرى التمكن من شغله الى ذلك فتقدم ببناء مصطبة ووضع عرض الجيش وفرشها ثم نادى ان يحضر الجند بسلاحهم وكراعهم للعرض فحضروا والخيث لم يرمعهم كسرى امرهم بالانصراف ففعل ذلك يومين ثم امر فنودي في اليوم الثالث أن لا يتخلف احد ولا من اكرم بتاج فسمع كسرى فحضر وقد لبس التاج والسلاح ثم أتى بابك ليعرض عليه فرأى سلاحه تاما ماعدا وترين للقوس كان عادتهم ان يستظهروا بهما فلم يرهما بابك معه فلم يجز على اسمه وقال له هلم كلما يلزمك فذكر كسرى الوترين فتعلقهما ثم نادى منادي بابك وقال للكمي السيد سيد الكماة أربعة آلاف درهم وأجاز على

الذي رآه من العز والجاه بمصر وخلف من الاولاد الذكور والاناث اثني عشر لم ينتج منهم أحد عاشوا وماتوا فقراء لان ماله انتهب في الفتنة *(ومات)* الامير قيطاس بك وهو مملوك ابراهيم بك ذي الفقار كردلي الجنس تولى امارة الحج سنة سبع عشرة ومائة وألف واستمر فيها الى سنة احدى وعشرين ومائة وألف طلع بالحج خمس مرات ثم عزل وتولى الدفتردارية واستمر فيها الى سنة أربع وعشرين ومائة وألف ثم عزل عنها وتولى امارة الحج سنة تاريخه ثم عزل وتلبس بالدفترداريه واستمر فيها الى ان قتل في سنة ست وعشرين ومائة وألف قتله عابدي باشا وذلك انه لما حضر عابدي باشا الى مصر وقدم له الامراء التقادم وقدم له اسمعيل بك ابن ايواظ تقدمة عظيمة وكان اذ ذاك أمين السماط فأحبه الباشا وسأل عمن تسبب في قتل أبيه فقالوا هذه قضية ليس لاحد فيها جنية وانما قيطاس بك وأيوب بك من بيت واحد وكان أيوب بك أعظم فالتجأ قيطاس بك الى المرحوم ايواظ بك الى ان قتل بسببه وقتل أيضا كثير من رجاله وبعدما بلغ مراده سعى في هلاكنا وأراد قتلنا عند أم اخوان وسلط ابن حبيب على خيولنا في المربع وجم أذنابها فقال الباشا يكون خيرا ولما استقر الباشا وتقلد اسمعيل بك امارة الحج وقلدوا مناصب الاقاليم للقاسمية وتقلد عبد الله بك خازندار ايواظ بك الصنجقية وأرسلوا بقتل الامير حسن كاشف اخميم ثم ان قيطاس بك أرسل كور عبد الله سرا الى الباشا وكلمه في ادارة الكشوفيات

وعشرين

اسمه فلما قام عن مجلسه حضر عند كسرى يعتذر اليه من غلظته عليه وذكر له ان أمره لا يتم الا بما فعل فقال كسرى ما غلظ علينا امر نريد به اصلاح دولتنا ومن كلام كسرى الشكر والنعمة عدلان ككفتي الميزان أيهما رجح بصاحبه احتاج الاخف الى أن يزاد فيه حتى يعادل صاحبه فاذا كانت النعم كثيرة والشكر قليلا انقطع الحمد فكثير النعم يحتاج الى كثير من الشكر وكلما زيد في الشكر ازدادت النعم وجاوزته ونظرت في الشكر فوجدت بعضه بالقول وبعضه بالفعل ونظرت احب الاعمال الى الله فوجدته الشئ الذي اقام به السموات والارض وأرسى به الجبال واجرى به الانهار وبرأ به البرية وهو الحق والعدل فلزمته ورأيت ثمرة الحق والعدل عمارة البلدان التي بها قوام الحياة للناس والدواب والطير وجميع الحيوانات ولما نظرت في ذلك وجدت المقاتلة اجراء لاهل العمارة وأهل العمارة اجراء للمقاتلة فاما المقاتلة فانهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لمدافعتهم عنهم ومجاهدتهم من ورائهم فحق على أهل العمارة أن يوفوهم أجورهم فان العمارة والامن والسلامة في النفس والمال لا يتم الا بهم ورأيت ان المقاتلة لا يتم لهم المقام والاكل والشرب وتثمير الاموال والاولاد الا باهل الخراج والعمارة فاخذت للمقاتلة من أهل الخراج ما يقوم باودهم وتركت على أهل الخراج من مستغلاتهم ما يقوم بمؤنتهم وعمارتهم ولم اجحف بواحدة من الجانبين ورأيت المقاتلة وأهل الخراج كالعينين المبصرتين واليدين المتساعدتين والرجلين على أيهما دخل الضرر تعدى الى الاخرى ونظرنا في سير آبائنا فلم نترك منها شيأ يقرب بالثواب من الله والذكر الجميل بين الناس والمصلحة الشاملة للجند والرعية الا اعتمدناه ولا فسادا الا أعرضنا عنه ولم يدعنا الى حب ما لا خير فيه حب الآباء ونظرت في سير أهل الهند والروم وأخذنا محمودها ولم تنازعنا أنفسنا الى ما تميل اليه اهواؤنا وكتبنا بذلك الى جميع أصحابنا ونوابنا في سائر البلدان فانظر الى هذا الكلام الذي يدل على زيادة العلم وتوفر العقل والقدرة على منع النفس ومن كان هذا حاله استحق ان يضرب به المثل في العدل الى أن تقوم الساعة وكان لكسرى أولاد منهم أدير يحمل الملك من بعده لابنه هرمز وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وذلك لمضي اثنتين وأربعين سنة من ملكه وفي هذا العام كان يوم ذي حجلة وهو يوم من أيام العرب المذكورة

(ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم)

قال قيس بن مخرمة وقباث بن اشيم وابن عباس وابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل قال ابن الكلبي ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم لاربع وعشرين سنة مضت من سلطان كسرى أنوشروان وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين وأربعين من سلطانه وارسل الله تعالى لمضي اثنتين

على الفقارية وعمل رشوة فقال له هذه السنة مضت وفي العام القابل نعطيكم جميع الكشوفيات فاطمأن بذلك
وشرع في عمل عزومة للباشا بقصر العيني فأجاب لذلك وذهب مع القاضي وابراهيم بك الدفتردار وأرباب

وعشرين من ملك كسرى ابرويز بن كسرى هرمز بن كسرى انوشروان وهاجر لاثنتين وثلاثين سنة مضت من ملك ابرويز قال ابن اسحق ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول وكان مولده بالدار التي تعرف بدار ابن يوسف قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبها عقيل ابن ابي طالب فلم تزل في يده حتى توفي فباعها ولده من محمد بن يوسف أخي الحجاج فبنى داره التي يقال لها دار ابن يوسف وادخل ذلك البيت في الدار حتى أخرجته الخيزران فجعلته مسجدا يصلى فيه وقيل ولد لعشر خلون منه وقيل لليلتين خلتا منه * قال ابن اسحق ان آمنة ابنة وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحدث انها أتيت في منامها لما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع بالارض فقولي * أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد ثم سميه محمدا ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام فلما وضعته أرسلت الى جده عبد المطلب انه قد ولد لك غلام فأته فانظر اليه فنظر اليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسميه * وقال عثمان بن أبي العاص حدثتني أمي انها شهدت ولادة آمنة ابنة وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما شئ انظر اليه من البيت الا وجدته نورا واني لانظر النجوم تدنو حتى اني لاقول لتقعن علي * وأول من ارضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابن له يقال له مسروح وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الاسد المخزومي فكانت ثويبة تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر فيكرمها وتكرمها خديجة فأرسلت الى أبي لهب ان يبيعها اياها لتعتقها فأبى فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اعتقها أبو لهب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث اليها بصلة الى ان بلغه خبر وفاتها منصرفه من خيبر فسأل عن ابنها مسروح فقيل توفي قبلها فسأل هل لها من قرابة فقيل لم يبق لها أحد * ثم أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ثويبة حليمة بنت أبي ذؤيب واسمه عبد الله بن الحرث بن شجنة من بني سعد بن بكر بن هوازن واسم زوجها الذي أرضعته بلبنه الحرث بن عبد العزى واسم أخوته من الرضاعة عبد الله وأنيسة وحذامة وهي الشيماء عرفت بذلك وكانت الشيماء تحضنه مع أمها حليمة وقدمت حليمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوج خديجة فأكرمها ووصلها وتوفيت قبل فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فلما فتح مكة قدمت عليه أخت لها فسألها عنها فاخبرته بموتها فذرفت عيناه فسألها عمن خلفت فاخبرته فسألته نحلة وحاجة فوصلها وقال عبد الله بن جعفر بن ابي طالب كانت حليمة السعدية تحدث أنها خرجت من بلدها مع نسوة يلتمسن الرضعاء وذلك في سنة شهباء لم تبق شيأ قالت فخرجت على أتان لنا قمراء

الخدم وقدم لهم تقادم وخلع عليها الباشا فروة سمور وركبوا أواخر النهار وذهبوا الى منازلهم ومضى على ذلك ايام وكان محمد بك قطامش تابع قيطاس بك في الخفر بسبيل علام فحضر في بعض الايام الى الديوان لحاجة ودخل عند الباشا فقال له أين كنت ولم تحضر معنا عزومة سيدك فقال أنا في الخفر بسبيل علام فقال الباشا وسبيل علام هذا بلد والاقامة فعرفه انه مثل القلعة وحوله قصور لنزول الامراء فقال الباشا أحب ان أرى ذلك فقال حبا وكرامة تشرفونا يوم السبت فقال كذلك سهل روحك ونأتي صحبة سيدك والقاضي من غير زيادة وادع أنت من شئت وقال الباشا لقيطاس بك تنزل في صبح يوم السبت الى قراميدان فتلاقيني هناك ونركب صحبة فقال كذلك فارسل ابراهيم أبو شنب تلك الليلة تذكرة لقيطاس بك اقبل النصيحة ولا تذهب الى قراميدان فلما قرأ التذكرة وأعرضها على كتخداه محمد اغا الكور فقال هذا اعدوك فلا تأخذ منه نصيحة فانه لا يحب قربك من الباشا وفي الصباح ركب في قلة وذهب الى قراميدان فوجد الباشا نزل وجلس بالكشك واوقف أتباعه وعسكره فلما حضر قيطاس بك قال له الباشا من الشباك اطلع حتى يأتي القاضي ونركب سوية ودخل الطوائف راكبين فنزل وطلع وجلس فهجم

معنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلتنا أجمع من صبينا الذي معي من بكائه من الجوع وما في ثديي ما يغنيه وما في شارفنا ما يغذوه ولكنا نرجو الغيث والفرج فلقد أضرت أتاني بالركب حتى شق عليهم ضعفا وعجفا حتى قدمنا مكة فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاباه اذا قيل لها انه يتيم وذلك انا انما نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم فما عسى ان تصنع أمه وجده فما بقيت امرأة معي الا أخذت رضيعا غيري فلما أجمعن الانطلاق قلت لصاحبي وكان معي اني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه قال افعلي فعسى أن الله يجعل لنا فيه بركة قالت فذهبت فأخذته فلما أخذته ووضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما وما كان ابني ينام قبل ذلك وقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا انها حافل فحلب منها ثم شرب حتى روي ثم سقاني فشربت حتى شبعنا قالت يقول لي صاحبي تعلمين والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت والله لأرجو ذلك قالت ثم خرجنا فركبت أتاني وحملته عليها فلم يلحقني شيء من حمرهم حتى ان صواحبي ليقلن لي يا ابنة أبي ذؤيب اربعي علينا أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها فأقول بلى والله انها هي فيقلن ان لها شأنا ثم قدمنا منازلنا من بني سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة ولا يجدها في ضرع حتى ان كان الحاضر من قومنا ليقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة من لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فلم نزل نتعرف البركة من الله والزيادة في الخير حتى مضت سنتان وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه عندنا لما كنا نرى من بركته فكلمنا أمه في تركه عندنا فأجابت قالت فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه في بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتانا أخوه يشتد فقال لي ولأبيه ذلك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعاه وشقا بطنه وهما يسوطانه قالت فخرجنا نشتد فوجدناه قائما منتقعا وجهه قالت فالتزمته أنا وأبوه وقلنا له مالك يا بني قال جاءني رجلان فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا به شيئا لا أدري ما هو قالت فرجعنا الى خبائنا وقال لي أبوه والله لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك قالت فاحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت ما أقدمك يا ظئر به وقد كنت حريصة على مكثه عندك قالت قلت قد بلغ الله يا بني وقضيت الذي علي وتخوفت عليه الأحداث فأديته اليك كما تحبين قالت ما هذا بشأنك فاصدقيني ولم تدعني حتى أخبرتها قالت فتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا

عليه اتباع الباشا وقتلوه بالخناجر وقطعوا رأسه ورموه لطائفته من الشباك وركب الباشا في الحال وطلع الى القلعة فشاله أتباعه وذهبوا به الى بيته وذهبت طائفة الى سبيل علام أخبروا محمد بك بقتل سيده فركب من ساعته وصحبته عثمان بك فأتوا اصيوان قيطاس بك الاعور وكان طالعا بالخزينة فعرفوه ان سيده قتله القاسمية بيد الباشا وطلبوه يركب معهم يأخذون بثاره فأبى وقال انه قتل بأمر سلطاني والخزنة في تسليمي وأنتم فيكم البركة فساروا الى بيت أستاذهم فوجدوا هناك حسن كتخدا الجلفي وناصف كتخدا القازدغلي وكور عبد الله جاويش واحضروا رأس الصنجق مسلوخة وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه بسبيل المؤمن ودفنوه بالقرافة وكر ذلك محمد بك قطامش تابعه هو وعثمان بك بن سليمان بك بارم ذيله ولم يتم له أمر وهرب محمد بك الى بلاد الروم وسيأتي خبره في ترجمته واختفى عثمان بك في بيت رجل مغربي حتى مات وكان ابراهيم بك أبو شنب يعرف مكانه ويرسل له مصروفا وثارت فتنة عظيمة بعد قتل قيطاس بك بين الينكجرية والعزب وهو ان حسن كتخدا الجلفي وناصف كتخدا وكور عبد الله جاويش اغراض قيطاس بك … وا باب مستحفظان في ذلك اليوم في شهر رجب وقتلوا كتخدا الوقت شريف حسين وابراهيم باش أوده باشه المعروف بكدك وكانوا يتهمونه في قتل قيطاس بك والله ثم في أواخر رمضان ملك باب مستحفظان محمد كتخدا كدك على حين غفلة ليأخذ بثار أخيه حسين وقتل حسن كتخدا الجلفي

وناصف كتخدا القازدغلي وأنزلوا رممهما في صبحها الى بيوتهم وهرب كور عبد الله ثم قبضوا عليه بعد ستة أيام وأحضروه
وهو راكب على حصان وفي عنقه جنزير وعلى رأسه ملاءة فطلع
به محمد بك جركس الى الباشا
فأمر به الى محمد كدك بالباب
فقتله وأرسل رمته الى بيته
بسوق السلاح وذلك في غاية
رمضان سنة سبع وعشرين
ومائة وألف * (ومات) *
الامير عبد الرحمن بك وكان
أصله كاشف الشرقية وكان
مشهورا بالفروسية والشجاعة
قلده الامارة اسمعيل باشا
والى مصر سنة سبع ومائة
وألف هو ويوسف بك المسلماني
فانه لما وقع الفصل في تلك
السنة وغنم الباشا أموالا
عظيمة من حلوان المحاليل
والمصالحات فلما انقضى
الفصل عمل عرسا عظيما لختان
أولاده في سنة ثمان ومائة
وألف وهادته الاعيان والامراء
والتجار بالهدايا والتقادم
وكان مهما عظيما استمر عدة
أيام لم يتفق نظيره لاحد من
ولاة مصر نصبوا في ديوان
الغوري وقايتباي الاحمال
والقناديل وفرشوهما
بالفرش الفاخرة والوسائد
والطنافس وأنواع الزينة
ونصبوا الخيام على حوش
الديوان وحوش السراية
وعلقوا التعاليق بها وخيام
تركية واتصل ذلك بأبواب
القلعة التحتانية الى الرميلة
والمحجر ووقف أرباب العكاكيز
وكتخدا الجاوشية وأغات المتفرقة والامراء وباشجاويش الينكجرية والعزب والاغا والوالي والمحتسب الجميع ملازمون
للخدمة وملاقاة المدعوين وفي أوساطهم الحازم الزردخان وابو السمر الجنكي ملازم بديوان الغوري ليلا ونهارا وجنك

والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابني لشأنا أفلا أخبرك قلت بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر ثم وقع حين وضعته وانه لواضع يديه بالارض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة * وكانت مدة رضاع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين وردته حليمة الى أمه وجده عبد المطلب وهو ابن خمس سنين في قول وقال شداد بن أوس بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ من بني عامر هو ملك قومه وسيدهم شيخ كبير متوكئا على عصا فمثل قائما وقال يا ابن عبد المطلب اني أنبئت انك تزعم انك رسول الله أرسلك بما أرسل به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء الاوائل فهمت بعظيم الا وقد كانت الانبياء من بني اسرائيل وانت ممن يعبد هذه الحجارة والاوثان ومالك وللنبوة وان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولك وبدو شانك فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم بمسائلته ثم قال يا اخا بني عامر اجلس فجلس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان حقيقة قولي وبدو شاني اني دعوة ابي ابراهيم وبشرى اخي عيسى وكنت بكر أمي وحملتني كأثقل ما تحمل النساء ثم رأت في منامها ان الذي في بطنها نور قالت فجعلت أتبع بصري النور وهو يسبق بصري حتى اضاءت لي مشارق الارض ومغاربها ثم انها ولدتني فنشأت فلما نشأت بغضت الي الاوثان والشعر فكنت مسترضعا في بني سعد بن بكر فبينما انا ذات يوم منتبذا من أهلي مع أتراب من الصبيان اذا أتانا ثلاثة رهط معهم طست من ذهب مملوء ثلجا فاخذوني من بين أصحابي فخرج اصحابي هرابا حتى انتهوا الى شفير الوادي ثم أقبلوا على الرهط فقالوا ما اربكم الى هذا الغلام فانه ليس له اب وما يرد عليكم قتله فلما رأى الصبيان الرهط لا يردون جوابا انطلقوا مسرعين الى الحي يؤذنونهم بي ويستصرخونهم على القوم فعمد احدهم فأضجعني على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي فانا انظر اليه لم اجد لذلك مسا ثم اخرج احشاء بطني فغسلها بالثلج فانعم غسلها ثم اخرج قلبي فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده يمنة منه كانه يتناول شيأ فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه فختم به قلبي فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فتنحى عني فامر يده ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم اخذ بيدي فانهضني انهاضا لطيفا ثم قال للاول الذي شق بطني زنه بعشرة من امته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنوني بهم فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنته بامته كلهم لرجح بهم ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت به عينك قال فبينما نحن كذلك

اذا أنا بالحى قدجاؤابحذافيرهم واذ ظئرى آمام الحى تهتف بأعلى صوتها وهى تقول ياضعيفاه قال فانكبوا على يعنى الرهط وقبلوا راسى وما بين عينى وقالوا حبذا انت من ضعيف ثم قالت ظئرى ياوحيداه فانكبوا على فضمونى الى صدورهم وقبلوا مابين عينى وقالوا حبذا انت من وحيد وما انت بوحيد ان الله معك ثم قالت ظئرى يا يتيماه استضعفت من بين اصحابك فقتلت لضعفك فانكبوا على وضمونى الى صدورهم وقبلوا مابين عينى وقالوا حبذا انت من يتيم ما اكرمك على الله لو تعلم ما يراد بك من الخير قال فوصلوا بى الى شفير الوادى فلما بصرت بى ظئرى قالت يا بنى الا اراك حيا بعد فقالت حتى انكبت على وضمتنى الى صدرها فوالذى نفسى بيده انى لفى حجرها وقد ضمتنى اليها وان يدى فى يد بعضهم فجعلت التفت اليهم وظننت ان القوم يبصرونهم يقول بعض القوم ان هذا الغلام أصابه لمم أو طائف من الجن انطلقوا به الى كاهننا حتى ينظر اليه و يداويه فقلت ماهذا ليس بى شئ مما يذكر ان ارادتى سليمة وفؤادى صحيح ليس فى قلبة فقال أبى من الرضاع ألا ترون كلامه صحيحا انى لارجو أن لا يكون بابنى بأس فاتفقوا على أن يذهبوا الى الكاهن فذهبوا بى اليه فلما قصوا عليه قصتى قال اسكتوا حتى أسمع من الغلام فانه أعلم بأمره منكم فقصصت عليه أمرى من أوله الى آخره فلما سمع قولى وثب الى وضمنى الى صدره ثم نادى بأعلى صوته ياللعرب اقتلوا هذا الغلام واقتلونى معه فواللات والعزى لئن تركتموه فأدرك ليبدلن دينكم وليخالفن امركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله قط فانتزعتنى ظئرى منه وقالت لانت اجن واعته من ابنى هذا فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتليه ثم ردونى الى أهلى فاصبحت مفزعا مما فعل بى وأثر الشق ما بين صدرى الى عانتى كأنه الشراك فذلك حقيقة قولى وبدو شأنى يا أخا بنى عامر فقال العامرى اشهد بالله الذى لا اله الا هو ان امرك حق فأنبئنى بأشياء اسألك عنها قال سل قال أخبرنى ما يزيد فى العلم قال التعلم قال فما يدل على العلم قال النبى صلى الله عليه وسلم السؤال قال فأخبرنى ماذا يزيد فى الشئ قال التمادى قال اخبرنى هل ينفع البر مع الفجور قال نعم التوبة تغسل الحوبة والحسنات يذهبن السيآت واذا ذكر العبد الله عند الرخاء أعانه عند البلاء فقال العامرى فكيف ذلك قال ذلك بأن الله عز وجل يقول وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ولا أجمع له خوفين ان خافنى فى الدنيا أمنته يوم اجمع عبادى فى حظيرة القدس فيدوم له امنه ولا أمحقه فيمن امحق وان هو أمننى فى الدنيا خافنى يوم اجمع فيه عبادى لميقات يوم معلوم فيدوم له خوفه قال يا ابن عبد المطلب اخبرنى الى ما تدعو قال أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع الانداد وتكفر باللات والعزى وتقر بما جاء من عند الله من كتاب ورسول وتصلى الصلوات الخمس بحقائقهن وتصوم شهرا من السنة وتؤدى زكاة مالك يطهرك الله تعالى بها ويطيب لك مالك وتحج البيت اذا وجدت اليه سبيلا

اليه وديوان قايتباى وأرباب الملاعيب والبهلوانيين والخيالة بالحيشان وأبواب القلعة مفتوحة ليلا ونهارا واصناف الناس على اختلاف طبقاتهم واجناسهم امراء وأعيان وتجار واولاد بلد وطائفين نازلين للفرجه ليلا ونهارا وختن مع اولاده عند انقضاء المهم مائتى غلام من اولاد الفقراء ورسم لكل غلام بكسوة ودراهم ودعوا فى اول يوم المشايخ والعلماء وثانى يوم ارباب السجاجيد والخرق وثالث يوم الامراء والصناجق ثم الاغوات والوجاقلية والاختيارية والجربجية وواجب رعايات الابواب كل طائفة يوم مخصوص بهم ثم التجار وخواجات الشرب والغورية ثم القاقجية والعقادين والقوافين ومغاربة طيلون وأرباب الحرف ومجاورى الازهر والعميان بوسط حوش الديوان غدوا وعشيا ثم خلع الخلع والفراوى وانعم بخصوص ومقاصد على أرباب الديوان والخدم وكذلك كساوى للجميع وأرباب الملاهى والبهلوانيين والطباخين والمزينين وانعامات وبقاشيش ولما تم وانقضى المهم قال الباشا لابراهيم بك وحسن أفندى وكانا مخصصين به أريد اقلد امارة صنجقين لشخصين يكونان اشراقيين ويكونان شجاعين قادرين فوقع الاتفاق على يوسف اغا المسلمانى وعبد الرحمن اغا كاشف الشرقية او كان ضرب هلباسو يد قبل تاريخه واشتهر بالشجاعة فخلع عليهما فى يوم واحد وعملوا وتقلد الصناجك وسعاة ونزلت لهما الاطواغ والبيارق والنوبة وحضرت لهما التقادم والهدايا ولبس الخلع ثم ان الباشا انشأ له

وتغتسل من الجنابة وتؤمن بالموت والبعث بعد الموت وبالجنة والنار قال يا ابن عبد المطلب فاذا فعلت ذلك فالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى فقال هل مع هذا من الدنيا شيء فانه يعجبني الوطأة من العيش قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم النصر والتمكين في البلاد فاجاب وأناب قال ابن اسحق هلك عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة حامل به قال هشام ابن محمد توفي عبد الله أبو رسول الله بعدما أتى على رسول الله ثمانية وعشرون يوما وقال الواقدي ثبت عندنا ان عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام في عير قريش ونزل بالمدينة وهو مريض فاقام حتى توفي ودفن بدار النابغة الصغرى قال ابن اسحق وتوفيت أمه آمنة وله ست سنين بالابواء بين مكة والمدينة كانت قدمت به المدينة على أخواله من بني النجار تزيره اياهم فماتت وهي راجعة وقيل انها أتت المدينة تزور قبر زوجها عبد الله ومعها رسول الله وأم أيمن حاضنة رسول الله فلما عادت ماتت بالابواء وقيل ان عبد المطلب زار أخواله من بني النجار وحمل معه آمنة ورسول الله فلما رجع توفيت بمكة ودفنت في شعب أبي ذر والاول أصح ولما سارت قريش الى أحد هموا باستخراجها من قبرها فقال بعضهم ان النساء عورة وربما أصاب محمد من نسائكم فكفهم الله بهذا القول اكراما لام النبي صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وتوفي عبد المطلب ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين وقيل ابن عشر سنين ولما مات عبد المطلب صار رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجر عمه أبي طالب بوصية من عبد المطلب اليه بذلك لما كان يرى من بره به وشفقته وحنوه عليه فيصبح ولد أبي طالب غمصا رمصا ويصبح رسول الله صقيلا دهينا

(ذكر قتل تميم بالمشقر)

قال هشام ارسل وهرز باموال وطرف من اليمن الى كسرى فلما كانت ببلاد تميم صعصعة ابن ناجية دعا المجاشعي جد الفرزدق الشاعر بني تميم الى الوثوب عليها فابوا فقال كاني ببني بكر بن وائل وقد انتهبوها فاستعانوا بها على حربكم فلما سمعوا ذلك وثبوا عليها وأخذوها وأخذ رجل من بني سليط يقال له النطف خرجا فيه جوهر فكان يقال اصاب كنز النطف فصار مثلا وصار أصحاب العير الى هوذة بن علي الحنفي باليمامة فكساهم وحملهم وسار معهم حتى دخل على كسرى فاعجب به كسرى ودعا بعقد من در فعقد على رأسه فمن ثم سمي هوذة ذا التاج وسأله كسرى عن تميم هل من قومه أو بينه وبينهم سلم فقال لا بيننا الا الموت قال قد أدركت ثارك وأراد ارسال الجنود الى تميم فقيل له ان ماءهم قليل وبلادهم بلاد سوء وأشير عليه ان يرسل الى عامله بالبحرين وهو ازاد فيروز بن جشيش الذي سمته العرب المكعبر وانما سمي بذلك لانه كان يقطع

تكية في قراميدان ووقف سبع بلاد من التي أخذها من الهالبك في اقليم البحيرة وهي أمانة البدرشين وناحية الشقبانيا وناحية سقارة وناحية مائة رهينة وناحية أبي صير الصدر وناحية شبرامنت بالجيزة وناحية ترسا وجعلها للتكية وسبيلا بطريق الحجاز وجعل الناظر على ذلك خازنداره وأرخى لحيته وأعطاه قائط وعتامنة في دفتر العزب وقلده جربجي تحت نظر أحمد كتخدا القيومجي وأرسل كتخداه قرا محمد أغا الى اسلامبول لتنفيذ ذلك وسافر على الفور وعندما وصل الى اسلامبول أرسل مقرر المخدومة على سنة تسع ومائة وألف صحبة أمير اخور فوصل الى بولاق ونزلت له الملاقية وحضر الى الديوان وبعد انفضاض الديوان دخل الامراء الكبار وهم ابراهيم بك أبو شنب وايواظ بك وقانصوه بك واسمعيل بك الدفتردار للتهنئة ولم يدخل حسن أغا بلفيه والاغوات وعبد الرحمن بك ويوسف بك وسليمان بارم ذيله وقيطاس بك وحسين بك أبو يدك وكامل القفارية فسأل الباشا عنهم فرآهم نزلوا فانقبض خاطره من القفارية وقال لابراهيم بك أنا اكثر عتابي على اشراقي عبد الرحمن بك ويوسف بك وحيث انهما فعلا ذلك أنا أطلب منهما حلوان الصنجقية ثمانية وأربعين كيسا فلاطفه ابراهيم بك وحسن افندي فلم يرجع وأمر بكتابة فرمانين وأرسلهما الى الاميرين المذكورين بطلب أربعة وعشرين كيسا من كل أمير فقال عبد الرحمن بك أنا لم أطلب هذه البلية حتى يأخذ مني عليها هذا القدر ولما حضر الاغا المعين

ليوسف بك تركه فى منزله وركب الى عبد الرحمن بك وركبا معا الى حسن أغا بلغيه وعملوا اشغالهم وعزلوا الباشا وكانوا تخيلوا منه الغدر بهم ونزل الى بيت كان اشتراه من عتقى عثمان جربجى مطل على بركة الفيل بحدرة طولون بجوار حمام السكران ثم باع المنزل والبلاد التى وقفها على التكية والسحابة وغلق الذى تأخر فى طرفه من المال والغلال لحسين باشا المتولى بعده وخرج الى العادلية وسافر الى بغداد وتولى عبد الرحمن بك على ولاية جرجا وحصل له امور مع عربان هوارة بعصيانهم عن دفع المال والغلال ووقائع معهم ومع ابن وافى كما ذكر بعضه فى ترجمة ايواظ بك وانفصل عبد الرحمن بك من ولاية الصعيد وحضر الى مصر ونزل عند الآثار وارسل الى الباشا المتولى تقادم وعبيدا واغوات ونزل الباشا فى ثانى يوم الى قراميدان وحضر عبد الرحمن بك باتباعه ومماليكه وخلفه النوبة التركى فسلم على الباشا وخلع عليه فروة سمور وركب الى البيت الذى نزل فيه وهو بيت رضوان بك بالقصبة المعروفة بالقوافين وكان ذلك الباشا هو قرا محمد كتخدا اسمعيل باشا المنفصل المتقدم ذكره وفى نفسه من المترجم ما فيها بسبب مخدومه فانه هو الذى سعى فى عزله وابطال وقفه وانسلخ من الفقارية وتنافس معهم وصار يقول أنا قاسمى فحقدوا عليه ذلك وسعوا فى عزله من جرجا ولما حضر الى مصر تعصبوا عليه ووافق ذلك غرض الباشا لكراهته له بسبب أستاذه ولما استقر عبد الرحمن بك بمنزله حضرت اليه الامراء للسلام عليه ما عدا حسن

الايدى والارجل فامره بقتل بنى تميم ففعل ووجه اليه رسولا ودعا هوذة وجدد له كرامة وصلة وأمره بالمسير مع رسوله فاقبلا الى المكعبر ايام اللقاط وكانت تميم تصير الى هجر للميرة واللقاط فامر المكعبر مناديا ينادى ليحضر من كان ههنا من بنى تميم فان الملك قد أمر لهم بميرة وطعام فحضروا ودخلوا المشقر وهو حصن فلما دخلوا قتل المكعبر رجالهم واستبقى غلمانهم وقتل يومئذ قعنب الرياحى وكان فارس يربوع وجعل الغلمان فى السفن وعبر بهم الى فارس قال هبيرة بن حدير العدوى رجع الينا بعد ما فتحت اصطخر عدة منهم وشد رجل من بنى تميم يقال له عبيد بن وهب على سلسلة الباب فقطعها وخرج واستوهب هوذة من المكعبر مائة أسير منهم فاطلقهم (حدير بضم الحاء المهملة وفتح الدال)

(ذكر ملك ابنه هرمز بن أنوشروان)

وكانت أمه ابنة خاقان الاكبر لما ملك كسرى أنوشروان كان ملكه ثمانية وأربعين سنة فملك بعده هرمز وكان هرمز بن كسرى أديبا ذا نية فى الاحسان الى الضعفاء والحمل على الاشراف فعادوه وأبغضوه وكان فى نفسه مثل ذلك وكان عادلا بلغ من عدله أنه ركب ذات يوم الى ساباط المدائن فاجتاز بكروم فطلع اسوار من اساورته فى كرم واخذ منه عناقيد حصرم فلزمه حافظ الكروم وصرخ فبلغ من خوف الاسوار من عقوبة كسرى هرمز ان دفع الى حافظ الكرم منطقة محلاة بذهب عوضا من الحصرم فتركه وقيل كان مظفرا منصورا لا يمد يده الى شئ الا ناله وكان داهيا ردئ النية قد نزع الى اخواله الترك وانه قتل من العلماء واهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر الف رجل وستمائة رجل ولم يكن له راى الا فى تألف السفلة وحبس كثيرا من العظماء واسقطهم وحط مراتبهم وحرم الجنود ففسد عليه كثير ممن كان حوله وخرج عليه شابه ملك الترك فى ثلثمائة الف مقاتل فى سنة ست عشرة من ملكه فوصل هراة وباذغيس وارسل الى هرمز والفرس يأمرهم باصلاح الطرق ليجوز الى بلاد الروم ووصل ملك الروم فى ثمانين الفا الى الضواحى قاصدا له ووصل ملك الخزر الى الباب والابواب فى جمع عظيم فان جمعا من العرب شنوا الغارة على السواد فارسل هرمز بهرام خشنش ويعرف بجوبين فى اثنى عشر الفا من المقاتلة اختارهم من عسكره فسار مجدا وواقع شابه ملك الترك فقتله برمية رماها واستباح عسكره ثم وافاه برموده بن شابه فهزمه ايضا وحصره فى بعض الحصون حتى استسلم فارسله الى هرمز اسيرا وغنم ما فى الحصن فكان عظيما ثم خاف بهرام ومن معه هرمز فخلعوه وساروا نحو المدائن واظهروا ان ابنه ابرويز اصلح للملك منه وساعدهم على ذلك بعض من كان بحضرة هرمز وكان غرض بهرام ان يستوحش هرمز من ابنه ابرويز ويستوحش ابنه منه فيختلفا فان ظفر أبرويز بابيه كان امره على بهرام سهلا وان ظفر ابوه نجا بهرام والكلمة مختلفة فينال من هرمز

غرضه

غرضه وكان يحدث نفسه بالاستقلال بالملك فلما علم ابرويز ذلك خاف اباه فهرب الى اذربيجان فاجتمع عليه عدة من المرازبة والاصبهبذين ووثب العظماء بالمدائن وفيهم بندويه وبسطام خالا ابرويز فخلعوا هرمز وسملوا عينيه وتركوه تحرجا من قتله وبلغ ابرويز الخبر فاقبل من اذربيجان الى دار الملك وكان مملكة هرمز احدى عشرة سنة وتسعة اشهر وقيل اثنتي عشرة سنة ولم يسمل من ملوك الفرس غيره لا قبله ولا بعده * ومن محاسن السير ما حكي عنه انه لما فرغ من بناء داره التي تشرف على دجلة مقابل المدائن عمل وليمة عظيمة واحضر الناس من الاطراف فاكلوا ثم قال لهم هل رايتم في هذه الدار عيبا فكلهم قال لا عيب فيها فقام رجل وقال فيها ثلاثة عيوب فاحشة احدها ان الناس يجعلون دورهم في الدنيا وانت جعلت الدنيا في دارك فقد افرطت في توسيع صحونها وبيوتها فتتمكن الشمس في الصيف والسموم فيؤذي ذلك اهلها ويكثر فيها في الشتاء البرد والثاني ان الملوك يتوصلون في البناء على الانهار لتزول همومهم وافكارهم بالنظر الى المياه ويترطب الهواء وتضيء ابصارهم وانت قد تركت دجلة وبنيتها في القفر والثالث انك جعلت حجرة النساء مما يلي الشمال من مساكن الرجال وهو ادوم هبوبا فلا يزال الهواء يجيء باصوات النساء وريح طيبهن وهذا ما تمنعه الغيرة والحمية فقال هرمز اما سعة الصحون والمجالس فخير المساكن ما سافر فيه البصر وشدة الحر والبرد يدفعان بالخيش والملابس والنيران واما مجاورة الماء فكنت عند ابي وهو يشرف على دجلة فغرقت سفينة تحته فاستغاث من بها اليه وابي يتأسف عليهم ويصيح بالسفن التي تحت داره ليلحقوهم فقبل ان يلحقوهم غرق جميعهم فجعلت في نفسي اني لا اجاور سلطانا هو اقوى مني واما عمل حجرة النساء في جهة الشمال فقصدنا به ان الشمال ارق هواء واقل وخامة والنساء يلازمن البيوت فعمل لذلك واما الغيرة فان الرجال لا يخلون بالنساء وكل من يدخل هذه الدار اما هو مملوك وعبد لا قيم واما انت فاخرج هذا منك الا بغض لي فاخبرني عن سببه فقال الرجل لي قرية ملك كنت انفق حاصلها على عيالي فغلبني المرزبان فاخذها مني فقصدتك اتظلم منذ سنتين فلم اصل اليك فقصدت وزيرك وتظلمت اليه فلم ينصفني وانا اؤدي خراج القرية حتى لا يزول اسمي عنها وهذا غاية الظلم ان يكون غيري ياخذ دخلها وانا اؤدي خراجها فسال هرمز وزيره فصدقه وقال خفت اعلام الملك فيؤذيني المرزبان فامر هرمز ان يؤخذ من المرزبان ضعف ما اخذ وان يستخدمه صاحب القرية في اي شغل شاء سنتين وعزل وزيره وقال في نفسه اذا كان الوزير يراقب الظالم فالحري ان غيره يراقبه فامر باتخاذ صندوق وكان يقفله ويختمه بخاتم ويترك على باب داره وفيه خرق يلقي فيه رقاع المتظلمين وكان يفتحه كل اسبوع ويكشف المظالم فافكر وقال اريد اعرف ظلم الرعية ساعة فساعة فاتخذ سلسلة طرفها في مجلسه في السقف والطرف

أغا بلغيه ومصطفى كتخدا القازدغلي ثم بعد انقضاء ذلك ورجوع الهوارة الى بلادهم وعمارهم كتبوا قوائم بما ذهب لهم من خيول وجمال وعبيد وجوار وغلال وأخشاب وفرش ونحاس وغيرها بثلثمائة كيس وجعلوا الآخذ لذلك جميعه عبد الرحمن بك وأرسلوا القوائم الى ابن الحصري ووكلوا وجاق الينكجرية في خلاص ذلك من عبد الرحمن بك فعرض ذلك ابن الحصري على أستاذه القازدغلي وحسن أغا بلغيه وكتبوا بذلك عرضحالا وقدموه للباشا بعد ما وضبوا ما أرادوا من الرابطة والتعصب فارسل اليه الباشا يطلبه فامتنع من الطلوع وقال للآغا المعين سلم على حضرة الباشا وسوف أطلع بعد الديوان أقابله فنزل اليه كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة وتكلموا معه بسبب ما تقدم فقال أنا لم أكن وحدي كان معي غز سيمانية وعرب هوارة بحري وكشاف الامير حسن الاخميمي لهم كثيرة وكل من نال شيأ أخذه وسوف أتوجه للدولة بالخزينة وأعرفهم بفعل أيوب بك وحسن أغا بلغيه والقازدغلي وأضمن لهم فتوح مصر وقطع الجبابرة فلاطفوه وعالجوه على الطلوع فامتنع من الطلوع مع الجمهور وقال أروح معهم الى بيت القاضي ويقيموا بينتهم واثباتهم وأنا قادر وملي وما أنا محتاج ولا مفلس فرجعوا وعرفوا الجمع بما قاله بالحرف الواحد فقال الباشا للقاضي اكتب له مراسلة بالحضور والمرافعة فكتب له مراسلة وأرسلها القاضي صحبة جوخدار من طرفه فلما وصل اليه قال أنا لست بعاصي الشرع ولا أترافع معهم الا في بيت القاضي ولا أطلع

في الجمهور فرجع الجوخدار بالجواب وكان فرغ النهار فعند ذلك بيتوا أمرهم واتفقوا على محاربته واجتمع عند عبد الرحمن بك أغراضه وأحمد أوده باشا البغدادلي ووصله الخبر بركوبهم عليه فضاق صدره وخرج من منزله ماشيا وأراد أن يذهب الى الجامع الازهر يقع على العلماء فلما وصل الى باب زويلة لحقه أحمد البغدادلي وحسن الخازندار فرداه وقالا له اجلس في بيتك ونحاربهم وعندنا العدد والعدد وعند الصباح احتاطوا بداره ونزلت البيارق والمدافع والعسكر من كل جانب ورموا عليه من جميع الجهات ودخلت طائفة من العسكر الى الجامع المواجه للبيت وصعدوا الى المنارة ورموا بالرصاص فاصيب أحمد البغدادلي وحسن الخازندار وماتا وكان الصنجق والطائفة عند النقيب بالاسطبل فاخبروه بموت حسن الخازندار وكان يحبه فطلع الى المقعد فاصيب أيضا ومات فعند ذلك انحلت عزائم الطائفة وأولاد الخزنة خرجوا من البيت مشاة بما عليهم من الثياب خلو دمن طوائف الصناجق ولما رأى الذين في النقب بطلان الرمي دخلوا وطلعوا الى المقعد فوجدوا الصنجق ميتا فاخذوا رأسه ورأس البغدادلي وطلعوا بهم للباشا وعبرت العساكر الى البيت ونهبوه وأخذوا منه أموالا وذخائر عظيمة وسبوا الحريم وأخذوا كامل ما في الحريم من الجوار البيض والسود ومن جملتهم بنت الصنجق يظنوها جارية فخرجت أمها تصرخ من خلفها فخلصها مصطفى جاويش القيصرلي وطلع بها الى الباشا فانعم عليها بخمسة الذي

الآخر خارج الدار في دوزنة وفيها جرس وكان المتظلم يحرك السلسلة فيحرك الجرس فيحضره ويكشف ظلامته

(ذكر مملكة كسرى ابرويز بن هرمز)

وكان من أشد ملوكهم بطشا وانفذهم رأيا وبلغ من البأس والنجدة وجمع الاموال ومساعدة الاقدار ما لم يبلغه ملك قبله ولذلك لقب ابرويز ومعناه المظفر وكان في حياة أبيه قد سعى به بهرام جوبين الى أبيه أنه يريد الملك لنفسه فلما علم ذلك سار الى أذربيجان سرا وقيل غير ذلك وقد تقدم فلما وصلها بايعه من كان بها من العظماء واجتمع من بالمدائن على خلع أبيه فلما سمع ابرويز بادر الوصول الى المدائن قبل بهرام جوبين فدخلها قبله ولبس التاج وجلس على السرير ثم دخل الى أبيه وكان قد سمل فأعلمه انه برئ مما فعل به وانما كان هرب للخوف منه فصدقه وسأله ان يرسل اليه كل يوم من يؤنسه وان ينتقم ممن خلعه وسمل عينيه فاعتذر بقرب بهرام منه في العساكر وانه لا يقدر على ان ينتقم ممن فعل به ذلك الا بعد الظفر ببهرام وسار بهرام الى النهروان وسار ابرويز اليه فالتقيا هناك ورأى ابرويز من أصحابه فتورا في القتال فانهزم ودخل على أبيه وعرفه الحال فاستشاره فاشار عليه بقصد موريق ملك الروم وجهز ثقله وسار في عدة يسيرة فيهم خالاه بندويه وبسطام وكردى أخو بهرام فلما خرجوا من المدائن خاف من معه أن بهرام يرد هرمز الى الملك ويرسل الى ملك الروم في ردهم فيردهم اليه فاستأذنوا ابرويز في قتل أبيه هرمز فلم يحر جوابا فانصرف بندويه وبسطام وبعض من معهم الى هرمز فقتلوه خنقا ثم رجعوا الى ابرويز وساروا مجدين الى ان جاوزوا الفرات ودخلوا ديرا يستريحون فيه فلما دخلوا غشيتهم خيل بهرام جوبين ومقدمها رجل اسمه بهرام بن سياوش فقال بندويه لابرويز احتل لنفسك قال ما عندي حيلة قال بندويه انا أبذل نفسي دونك وطلب منه بزته فلبسها وخرج ابرويز ومن معه من الدير وتواروا بالجبل ووافى بهرام الدير فرأى بندويه فوق الدير عليه بزة ابرويز فاعتقده وسأله ان ينظره الى غد ليصير اليه سلما ففعل ثم ظهر من الغد على حيلته فحمله الى بهرام جوبين فحبسه ودخل بهرام جوبين دار الملك وقعد على السرير ولبس التاج فانصرفت الوجوه عنه لكن الناس اطاعوه خوفا وواطأ بهرام بن سياوش بندويه على الفتك ببهرام جوبين فعلم بهرام جوبين بذلك فقتل بهرام وافلت بندويه فلحق باذربيجان وسار ابرويز الى انطاكية وارسل أصحابه الى الملك فوعده النصرة وتزوج ابرويز ابنة الملك موريق واسمها مريم وجهز معها العساكر الكثيرة فبلغت عدتهم سبعين ألفا فيهم رجل يعد بألف مقاتل فرتبهم ابرويز وسار بهم الى اذربيجان فوافاه بندويه وغيره من المقدمين والاساورة في اربعين ألف فارس من أصبهان وفارس وخراسان وسار الى المدائن وخرج بهرام جوبين نحوه فجرى بينهما حرب شديدة فقتل فيها الفارس الرومي

وثلاثين عثمانى ومائتين ذهب أخذها وأمها مصطفى جاويش وزوجها لبعض مماليك أبيها وكان قتل عبد الرحمن

بك فى ثانى عشر ربيع الاول سنة ثلاث عشرة ومائة وألف وفى ذلك يقول الشيخ حسن الحجازى

وعبد رحمن بيك
بما بداه جنته
حلت به نقمات
تاريخها أذهبته
ربيع الاول دارت
عليه ما أفلتته
الجند قد حاصروه
وبيته أخربته
من المدافع نار
ترمى به أحرقته
ببيت رضوان أغنى
به الفقارى دهته
جداره نقبوه
والجند قد سلكته
وبعد ذا قتلوه
وفرقة عاونته
واجتث عن مصر كرب
والارض مذ فقدته
وقاله حسن من
أرض الحجاز حوته

وأما يوسف بك فانه توفى بالسفر ببلاد الروم (ومات) الامير على أغا مستحفظان المشهور تولى أغاوية مستحفظان فى سنة ثمان ومائة وألف وفى سنة اثنى عشرة وثلاث عشرة وأربع عشرة فشا أمر الفضة المقاصيص والزيوف وقل وجود الديوانى وان وجد اشتراه اليهود بسعر زائد وقصوه فتلف بسبب ذلك أموال الناس فاجتمع أهل الاسواق ودخلوا الجامع الازهر وشكوا أمرهم للعلماء والزموهم بالركوب الى الديوان فى شأن ذلك فكتبوا عرضحال قدموه الى محمد باشا فقرأه كاتب الديوان على رؤس الاشهاد فأمر الباشا بعمل جمعية فى بيت حسن أغا بابطال الفضة المقصوصة

الذى بعد بالف فارس ثم انهزم بهرام جوبين وسار الى الترك وسار ابرويز من المعركة ودخل المدائن وفرق الاموال فى الروم فبلغت جملتها عشرين ألف ألف فاعادهم الى بلادهم واقام بهرام جوبين عند الترك مكرما فارسل ابرويز الى زوجة الملك واجزل لها الهدية من الجواهر وغيرها وطلب منها قتل بهرام فوضعت عليه من قتله فاشتد قتله على ملك الترك ثم علم ان زوجته قتلته فطلقها ثم ان ابرويز قتل بندويه واراد قتل بسطام فهرب منه الى طبرستان لحصانتها فوضع ابرويز عليه فقتله وأما الروم فانهم خلعوا ملكهم موريق بعد أربع عشرة سنة من ملك ابرويز وقتلوه وملكوا عليهم بطريقا اسمه فوقاس فأباد ذريته موريق سوى ابن له هرب الى كسرى ابرويز فارسل معه العساكر وتوجه وملكه على الروم وجعل على عساكره ثلاثة نفر من قواده واساورته أما أحدهم فكان يقال له بوران وجهه فى جيش منها الى الشام فدخلها حتى انتهى الى البيت المقدس فاخذ خشبة الصليب التى تزعم النصارى ان المسيح عليه السلام صلب عليها فارسلها الى كسرى ابرويز وأما القائد الثانى فكان يقال له شاهين فسيره فى جيش آخر الى مصر فافتتحها وارسل مفاتيح الاسكندرية الى ابرويز وأما القائد الثالث وهو أعظمهم فكان يقال له فرخان وتدعى مرتبته شهريراز وجعل مرجع القائدين الاولين اليه وكانت والدته منجبة لا تلد الانجيبا فأحضرها ابرويز وقال لها انى أريد ان اوجه جيشا الى الروم أستعمل عليه بعض بنيك فاشيرى على أيهم استعمل فقالت أما فلان فاروغ من ثعلب واحذر من صقر وأما فرخان فهو انفذ من سنان وأما شهريراز فهو أحلم من كذى فقال قد استعملت الحليم فولاه أمر الجيش فسار الى الروم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع أشجارهم وسار فى بلادهم الى القسطنطينية حتى نزل على خليجها القريب منها ينهب ويغير ويخرب فلم يخضع لابن موريق احد ولا اطاعه غير ان الروم قتلوا فوقاس لفساده وملكوا عليهم بعده هرقل وهو الذى أخذ المسلمون الشام منه فلما رأى هرقل ما أهم الروم من النهب والقتل والبلاء تضرع الى الله تعالى ودعاه فرأى فى منامه رجلا كث اللحية رفيع المجلس عليه برة حسنة فدخل عليهما داخل فالقى ذلك الرجل من مجلسه وقال لهرقل انى قد أسلمته فى يدك فاستيقظ فلم يقص رؤياه فرأى فى الليلة الثانية ذلك الرجل جالسا فى مجلسه وقد دخل الرجل الثالث وبيده سلسلة فالقاها فى عنق ذلك الرجل وسلمه الى هرقل وقال قد دفعت اليك كسرى برمته فاغزه فانك مدال عليه وبالغ امنيتك فى أعدائك فقص حينئذ هذه الرؤيا على عظماء الروم فاشاروا عليه ان يغزوه فاستعد هرقل واستخلف ابنه على القسطنطينية وسلك غير الطريق الذى عليه شهريراز وسار حتى اوغل فى بلاد ارمينية وقصد الجزيرة فنزل نصيبين فارسل اليه كسرى جندا وأمرهم بالمقام بالموصل وأرسل الى شهريراز يستحثه على القدوم عليه ليتظافرا على قتال هرقل وقيل فى مسيره

وظهور الجدد وادارة دار الضرب وعمل تسعيرة وضرب فضة وجدد نحاس ويكون ذلك بحضور كتخدائه وكامل الامراء
الصناجق والقاضي والاغوات ونقيب الاشراف وكبار العلماء وطلب جوابا كافيا واعطاه ليد

غيرهذا وهو ان شهر براز سار الى بلاد الروم فوطئ الشام حتى وصل الى اذرعات ولقي
جيوش الروم بها فهزمها وظفر بها وسبي وغنم وعظم شأنه ثم ان فرخان اخا شهر براز
شرب الخمر يوما وقال لقد رأيت في المنام كاني جالس على سرير كسرى فبلغ الخبر كسرى
فكتب الى أخيه شهر براز يأمره بقتله فعاوده واعلمه شجاعته ونكايته في العدو فعاد
كسرى وكتب اليه بقتله فراجعه فكتب اليه الثالثة فلم يفعل فكتب كسرى بعزل
شهر براز وولاية فرخان العسكر فاطاع شهر براز فلما جلس على سرير الامارة ألقى اليه
القاصد بولايته كتابا من كسرى يامر بقتل شهر براز فعزم على قتله فقال له
شهر براز امهلني حتى اكتب وصيتي فامهله فاحضر درجا واخرج منه كتب كسرى
الثلاثة واطلعه عليها وقال انا راجعت فيك ثلاث مرات ولم اقتلك وانت تقتلني في مرة
واحدة فاعتذر أخوه اليه واعاده الى الامارة واتفقا على موافقة ملك الروم على كسرى
فارسل شهر براز الى هرقل ان لي اليك حاجة لا يبلغها البريد ولا تسعها الصحف فالقني
في خمسين روميا فاني القاك في خمسين فارسيا فاقبل قيصر في جيوشه جميعها ووضع عيونه
تأتيه بخبر شهر براز وخاف ان يكون مكيدة فاتته عيونه فاخبروه انه في خمسين فارسيا
فحضر عنده في مثلها واجتمعا وبينهما ترجمان فقال له انا واخي خربنا بلادك وفعلنا
ما علمت وقد حسدنا كسرى واراد قتلنا وقد خلعناه ونحن نقاتل معك ففرح هرقل
بذلك واتفقا عليه وقتلا الترجمان لئلا يفشي سرهما وسار هرقل في جيشه الى
نصيبين وبلغ كسرى ابرويز الخبر فارسل لمحاربة هرقل قائدا من قواده اسمه راهزار في
اثني عشر الفا وامره ان يقيم بنينوى من ارض الموصل على دجلة يمنع هرقل من ان
يجوزها واقام هو بدسكرة الملك فارسل راهزار العيون فاخبروه ان هرقل في سبعين
ألف مقاتل فارسل الى كسرى يعرفه ذلك وانه يعجز عن قتال هذا الجمع الكثير فلم
يعذره وأمره بقتاله فاطاع وعبى جنده وسار هرقل نحو جنود كسرى وقطع دجلة
من غير الموضع الذي فيه راهزار فقصده راهزار ولقيه فاقتتلوا فقتل راهزار وستة
آلاف من اصحابه وانهزم الباقون وبلغ الخبر ابرويز وهو بدسكرة الملك فهاله ذلك
وعاد الى المدائن وتحصن بها لعجزه عن محاربة هرقل وكتب الى قواد الجند الذين
انهزموا يتهددهم بالعقوبة فاحوجهم الى الخلاف عليه على ما نذكره ان شاء الله وسار
هرقل حتى قارب المدائن ثم عاد الى بلاده وكان سبب عوده ان كسرى لما عجز عن
هرقل أعمل الحيلة فكتب كتابا الى شهر براز يشكره ويثني عليه ويقول له أحسنت
في فعل ما أمرتك به من مواصلة ملك الروم وتمكينه من البلاد والآن فقد اوغل وامكن
من نفسه فتجيء انت من خلفه وانا من بين يديه ويكون اجتماعنا عليه يوم كذا فلا
يفلت منهم أحد ثم جعل الكتاب في عكاز آبنوس واحضر راهبا في دير عند المدائن وقال
له لي اليك حاجة فقال الراهب الملك اكبر من ان يكون له الى حاجة ولكنني عبده

كتخدا الجاويشية فارسل
التنابيه مع الجاويشية تلك
الليلة واجتمع الجميع في
صبحها بمنزل حسن أغا بلغيه
واتفقوا على ابطال المقاصيص
وضرب فضة جديدة توزع
على الصيارف ويستبدلون
المقاصيص بالوزن من الصيارف
وان صرف الكلب بثلاثة
وأربعين نصفا والريال
بخمسين والاشرفي بتسعين
والطرلي بمائة وقيدوا
بتنفيذ ذلك على أغا المذكور
وكذلك الاسمارونية شرط عليهم
ابطال الحمايات وعدم معارضته
في شيء وكل من مسك ميزانا
فهو تحت حكمي وكذلك
الخصاصة وتجار البن
والصابون ويركب بالملازمين
ويكون معه من كل وجاق
جاويش بسبب أنفار الابواب
واخبروا الباشا بما حصل
وكتب القاضي حجة بذلك
وكتب المشايخ عليها وكذلك
الباشا واعطوها الى أغا
فطلع الى الباب واحضر شيخ
الخبازين وباقي مشايخ الحرف
واحضر اردب قمح وطحنه
وعمل معدله على الفضة الديواني
خمسة أواق بجديدين والبن
باثني عشر فضة الرطل
والصابون بثلاثة والسكر
النبات باثني عشر الرطل والخام بخمسة والمنعاد بستة وأربعة جدد والسكر الشفاف

قال

بثمانية فضة وأربعة جدد والشمع السكندري باربعة عشر فضة والعسل الشهد بستة أنصاف والسقر بثلاثة وأربعة

قال ان الروم قد نزلوا قريبا منا وقد حفظوا الطرق عنا ولى الى أصحابى الذين بالشام حاجة وانت نصرانى اذا جزت على الروم لا ينكرونك وقد كتبت كتابا وهو فى هذه العكازة فتوصله الى شهر براز واعطاه مائتى دينار فاخذ الكتاب وفتحه وقرأه ثم اعاده وسار فلما صار بالعسكر ورأى الروم والرهبان والنواقيس رق قلبه وقال انا شر الناس ان اهلكت النصرانية فاقبل الى سرادق الملك وانهى حاله واوصل الكتاب اليه فقرأه ثم احضر اصحابه رجلا قد اخذوه من طريق الشام قد واطأه كسرى ومعه كتاب قد افتعله على لسان شهر براز الى كسرى يقول انى ما زلت اخادع ملك الروم حتى اطمأن الى وجاز الى البلاد كما أمرتنى فيعرفنى الملك فى أى يوم يكون لقاؤه حتى اهجم انا عليه من ورائه والملك من بين يديه فلا يسلم هو ولا اصحابه وامره ان يتعمد طريقا يؤخذ فيها فلما قرأ ملك الروم الكتاب الثانى تحقق الخبر فعاد شبه المنهزم مبادرا الى بلاده ووصل خبر عودة ملك الروم الى شهر براز فاراد ان يستدرك ما فرط منه فعارض الروم فقتل منهم قتلا ذريعا وكتب الى كسرى انى عملت الحيلة على الروم حتى صاروا فى العراق وانفذ من رؤسهم شيأ كثيرا وفى هذه الحادثة انزل الله تعالى الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون يعنى بادنى الارض اذرعات وهى ادنى ارض الروم الى العرب وكانت الروم قد هزمت بها فى بعض حروبها وكان النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد ساءهم ظفر الفرس اولا بالروم لان الروم اهل كتاب وفرح الكفار لان المجوس اميون مثلهم فلما نزلت هذه الآيات راهن ابو بكر الصديق ابى بن خلف على ان الظفر يكون للروم الى تسع سنين والرهن مائة بعير غلبه ابو بكر ولم يكن الرهن ذلك الوقت حراما فلما ظفرت الروم اتى الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية

(ذكر ما رأى كسرى من الآيات بسبب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

من ذلك ان كسرى ابرويز سكر دجلة العوراء وانفق عليها من الاموال ما لا يحصى كثرة وكان طاق مجلسه قد بنى بنيانا لم ير مثله وكان عنده ثلثمائة وستون رجلا من الحزاة من بين كاهن وساحر ومنجم وكان فيهم رجل من العرب اسمه السائب بعث به باذان من اليمن وكان كسرى اذا احزنه امر جمعهم فقال انظروا فى هذا الامر ما هو فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اصبح كسرى وقد انفصم طاق ملكه من غير ثقل وانخرقت دجلة العوراء فلما راى ذلك احزنه وقال انفصم طاق ملكى وانخرقت دجلة العوراء شاه بشكست يقول الملك انكسر ثم دعا كهانه وسحاره ومنجميه وفيهم السائب فقال لهم انظروا فى هذا الامر فنظروا فى امره فاخذت عليهم اقطار السماء واظلمت الارض فلم يعن لهم ما راموه وبات السائب فى ليلة ظلماء على ربوة من الارض ينظر فراى برقا من قبل الحجاز استطار فبلغ المشرق فلما اصبح راى تحت قدميه روضة

جدد والسائل بنصفين والمرسل الحر بنصف فضة والقطر المنعاد بنصفين والقطر القنانى بثلاثة والسمن البقرى بثلاثة فضة وأربعة جدد والمزهر بنصفين وستة جدد والجاموسى بنصفين وجديدين والزبد البقرى بنصفين وأربعة جدد والزبد الجاموسى بنصفين وجديدين واللحم الضانى بنصفين والماعز بنصف واربعة جدد والجاموسى بنصف وجديدين والزيت الطيب بنصفين وستة جدد والشيرج بنصفين والزيت الحار بنصف وستة جدد والجبن الكشكيان بثلاثة أنصاف فضة والوادى بنصفين وأربعة جدد والجاموسى الطرى بنصف وأربعة جدد والجبن المنصورى المغسول بنصف وستة جدد والحالوم الطرى بنصف وجديدين الرطل والجبن المصلوق بنصف واربعة جدد والشالفوطى والقريش بستة جدد الرطل والعيش العلامة خمسة أواق بجديدين والكشكار ستة أواق بجديدين وحصل ذلك بحضرة مشايخ الحرف والمغاربة وأرسل الاغا بقفل الصاغة ومسبك النحاس وأمر باحضار الذهب والفضة المبتاعة والنحاس لدار الضرب وأحضر شيخ الصيارفة وأمرهم باحضار الذهب والريالات وقروش الكلاب يصرفونها بفضة وجدد نحاس واعلمهم أنه يركب ثالث يوم العيد ويشق بالمدينة وكل من وجد دكانه خاليا من الفضة والجدد قتل صاحبه او سمره وكتب القائمة بالاسعار وطاع بها الباشا علم عليها وركب ثالث يوم من شهر شوال سنة أربع عشرة ومائة وألف وعلى رأسه العمامة الديوانية المعروفة بالبيرشانة وامامه القابجية واللازمون

خضراء فقال فيما يعتاف ان صدق ما ارى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق
تخصب عليه الارض كأفضل ما اخصبت على ملك فلما خلص الكهان والمنجمون
والسحار بعضهم الى بعض ورأوا ما اصابهم ورأى السائب ما راى قال بعضهم لبعض
والله ما حال بينكم وبين علمكم الا امر جاء من السماء وانه لنبي بعث او هو مبعوث
يسلب هذا الملك ويكسره ولئن نعيتم لكسرى ملكه ليقتلنكم فاتفقوا على ان
يكتموه الامر وقالوا له قد نظرنا فوجدنا ان وضع دجلة العوراء وطاق الملك قد وضع
على النحوس فلما اختلف الليل والنهار وقعت النحوس مواقعها فزال كل ما وضع
عليها وانا نحسب لك حسابا تضع عليه بنيانك فلا يزول فحسبوا وامروه بالبناء فبنى
دجلة العوراء في ثمانية اشهر فانفق عليها مالا جليلة حتى فرغ فقال لهم أجلس
على سورها قالوا نعم فجلس في أساورته فبينما هو هنالك انتسفت دجلة البنيان من
تحته فلم يخرج الا بآخر رمق فلما أخرجوه جمع كهانه وسحاره ومنجميه فقتل منهم
قريبا من مائة وقال قربتكم واجريت عليكم الارزاق ثم أنتم تلعبون بي فقالوا أيها
الملك أخطأنا كما اخطأ من قبلنا ثم حسبوا له وبناه وفرغ منه وأمروه بالجلوس عليه
فخاف فركب فرسا وسار على البناء فبينما هو يسير انتسفته دجلة فلم يدرك الا بآخر
رمق فدعاهم وقال لاقتلنكم أجمعين أو لتصدقوني فصدقوه الامر فقال ويحكم هلا بينتم
لي فارى فيه رأيي قالوا امنعنا الخوف فتركهم ولهي عن دجلة حين غلبته وكان ذلك
سبب البطائح ولم تكن قبل ذلك وكانت الارض كلها عامرة فلما كان سنة ست من
الهجرة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى فزاد
الفرات والدجلة زيادة عظيمة لم ير قبلها ولا بعدها امثالها فانبثقت البثوق وانتسفت
ما كان بناه كسرى واجتهد ان يسكرها فغلبه الماء كما بينا ومال الى موضع البطائح
فطما الماء على الزروع وغرق عدة طساسيج ثم دخلت العرب أرض الفرس وشغلتهم
عن عملها بالحروب واتسع الخرق فلما كان زمن الحجاج تفجرت بثوق أخر فلم يسدها
مضارة للدهاقين لانه اتهمهم بممالأة ابن الاشعث فعظم الخطب فيها وعجز الناس عن
عملها فبقيت على ذلك الى الآن وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بعث الله الى
كسرى ملكا وهو في بيت ايوانه الذي لا يدخل عليه فيه فلم يرعه الا هو قائما على رأسه
في يده عصا بالهاجرة في ساعته التي يقيل فيها فقال يا كسرى أسلم أو لأكسر هذه العصا
فقال بهل بهل وانصرف عنه فدعا بحراسه وحجابه فتغيظ عليهم وقال من أدخل هذا
الرجل فقالوا ما دخل علينا أحد ولا رأيناه حتى اذا كان العام المقبل أتاه في تلك الساعة
وقال له أسلم أو لأكسر العصا فقال بهل بهل وتغيظ على حجابه وحراسه فلما كان العام
الثالث أتاه فقال أسلم أو لأكسر العصا فقال بهل بهل فكسر العصا ثم خرج فلم يكن
الا تهور ملكه وانبعاث ابنه والفرس حتى قتلوه وقال الحسن البصري قال أصحاب

والوالي وأمين الاحتساب وأوده باشه البوابة بطائفته والسبعة جا وبشية خلفه ونائب القاضي في مقدمته وكيس جوخ
علوء كما كيزشوم على كتف قواس والمشاعلي بيده القائمة وهو ينادي على رأس كل حارة ويقف مقدار نصف
ساعة وضرب في ذلك اليوم
اثنين قبانية وثلاثة زياتين
وجزار لحم خشن ومات الستة
من الضرب ووسم على شيخ
القبانية بان لا أحد يزن في
بيت زيات سمنا ولا جبنا وصار
يتفقد الدراهم ويحرر
الارطال والصنج ويسال
عن أسعار المبيعات ولا يقبل
رشوة وكل من وجده على
خلاف الشرط سواء كان
فلاحا أو تاجرا أو قبانيا
بطحه وضربه بالمساوق
الشوم حتى يتلف أو يموت
وغالبهم لم يعش بذلك وصار
له هيبة عظيمة ووقار زائد ولم
يقف أحد في طريقه سواء
كان خيالا أو حمارا أو ترابا
الا ويخشاه حتى النساء في
في البيوت وهو وقت لم تستطع
امرأة ان تطل من طاقة واتفق
ان اسمعيل بك الدفتردار
صادفه بالصليبة فلما رأى
المقادم دخل درب الميضاة
حتى مر الاغا فقيل له أنت
صنجق ودفتردار وكيف انك
تذهب من طريقه فقال
كذا كتبنا على أنفسنا حتى
يعتبر خلافنا وأقام في هذه
التولية ستة أشهر ثم عزل وولي
رضوان أغا كتخدا الجاويشية
سابقا وذلك أواخر سنة ثمان
عشرة وعزل رضوان أغا في جمادى الاولى سنة تسع عشرة ومائة وألف وتولى أحمد اغا ابن باكير رسول
أفندي ثم تولى في أيام الواقعة الكبيرة في أواخر ربيع الثاني سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف ولم يزل حتى مات في يوم

رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما حجة الله على كسرى فيك قال بعث اليه ملكا فاخرج يده اليه من جدار بيته تلالأ نورا فلما رآها فزع فقال له لم ترع يا كسرى ان الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا فاتبعه تسلم دنياك وآخرتك قال سانظر

(ذكر وقعة ذى قار وسببها)

ذكروا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما بلغه ما كان من ظفر ربيعة بجيش كسرى هذا أول يوم انتصفت العرب من العجم وبى نصروا وحفظ ذلك منه وكان يوم الوقعة قال هشام بن محمد كان عدى بن زيد التميمى وأخوه عمار وهو أبى وعمرو وهو سمى يكونون مع الاكاسرة ولهم اليهم انقطاع وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان فى حجر عدى بن زيد وكان له غير النعمان أحد عشر ولدا وكانوا يسمون الاشاهب لجمالهم فلما مات المنذر بن المنذر وخلف أولاده أراد كسرى بن هرمز أن يملك على العرب من يختاره فاحضر عدى بن زيد وسأله عن أولاد المنذر فقال هم رجال فامره باحضارهم فكتب عدى فاحضرهم وانزلهم وكان يفضل اخوة النعمان عليه ويريهم انه لا يرجو النعمان ويخلو بواحد واحد ويقول له اذا سألك الملك أتكفوننى العرب فقولوا نكفيكهم الا النعمان وقال للنعمان اذا سألك الملك عن اخوتك فقل له اذا عجزت عن اخوتى فانا عن غيرهم اعجز وكان من بنى مرينا رجل يقال له عدى بن أوس ابن مرينا وكان داهيا شاعرا وكان يقول للاسود بن المنذر قد عرفت انى ارجوك وعينى اليك وانى أريد ان تخالف عدى بن زيد فانه والله لا ينصح لك أبدا فلم يلتفت الى قوله فلما أمر كسرى عدى بن زيد ان يحضرهم احضرهم رجلا رجلا وسألهم كسرى اتكفوننى العرب فقالوا نعم الا النعمان فلما دخل عليه النعمان رأى رجلا دميما احمر أبرش قصيرا فقال له اتكفينى اخوتك والعرب قال نعم وان عجزت عن اخوتى فانا عن غيرهم أعجز فملكه وكساه والبسه تاجا قيمته ستون ألف درهم فقال عدى بن مرينا للاسود دونك فقد خالفت الرأى ثم صنع عدى بن زيد طعاما ودعا عدى بن مرينا اليه وقال انى عرفت ان صاحبك الاسود كان أحب اليك ان يملك من صاحبى النعمان فلا تلمنى على شئ كنت على مثله وانى أحب ان لا تحقد على وان نصيبى من هذا الامر ليس باوفر من نصيبك وحلف لابن مرينا ان لا يهجوه ولا يبغيه غائلة أبدا فقام ابن مرينا وحلف انه لا يزال يهجوه ويبغيه الغوائل وسار النعمان حتى نزل الحيرة وقال ابن مرينا للاسود اذا فاتك الملك فلا تعجز أن تطلب بثارك من عدى فان معد الايتام مكرها وأمرتك بمعصيته فخالفتنى وأريد ان لا يأتيك من مالك شئ الا عرضته على ففعل وكان ابن مرينا كثير المال وكان لا يخلى النعمان يوما من هدية وطرفة فصار من أكرم الناس عليه وكان اذا ذكر عدى بن زيد وصفه وقال الا انه فيه مكر وخديعة واستمال أصحاب النعمان فمالوا اليه وواطاهم على ان قالوا للنعمان ان عدى بن زيد

الجمعة ثانى شهر شوال بجامع القلعة وذلك انه صلى الجمعة والسنن بعدها وسجد فى ثانى ركعة فلم يرفع رأسه من السجود فلما أبطأ حركوه فاذاه ميت فغسلوه وكفنوه ودفنوه بتربة باب الوزير وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف وتولى بعده فى اغاوية مستحفظان محمد افندى كاتب جمليان سابقا الشهير بابن طسلق وركب بالبيرشانة والهيئة وذلك عقيب الفتنة الكبيرة بنحو خمسة أشهر ولما مات على أغا وتولى هذا الاغا عملوا تسعيرة أيضا وجعلوا صرف الذهب البندقى بمائة وخمسة عشر نصف فضة والطرلى بمائة والريال بستين والكلب بخمسة وأربعين ونودى بذلك وبمنع التجار وأولاد البلد من ركوب البغال والاكاديش ومنع من بيع الفضة بسوق الصاغة وان لا تباع الابدار الضرب وقفل دكاكين الصواغين وفى موت على أغا يقول الشيخ حسن الحجازى عفى عنه

ألا قل لمن فى موت حاكم مصرنا
غدا فرحا لا عشت حل بك الغم

لقد كنت منه فى رخاء ونعمة
وأمن بحكم لا يقاومه حكم

أحل البلايا والرزايا وما دهى
وما كان قاعا عن دأبه الظلم

من السوقة الاشرار لا انجاس من لهم
من البخس والخسران عزم له عزم

فارجح ميزانا وأوفى مكايلا
وأحمد ميزانا وقام به سلم

وليس له من مبغض غير معرض * عن الحق أو من فى عقيدته سقم * وظن بليد الطبع سوءا فاله فقلت له اكفف فاتك العلم والفهم * فيا زاجرا عن عاكر غير صارم * وما حاكم الا التقى البطل الشهم

وقد كان مفقودا الى ان بدالنا * امام همام دأبه العزم والحزم * على أغات الينكجرية الذى * توفى ثانى عيد فطرله فغم
فقام يصلى جمعة قد تحتمت * فمات بثانى ركعة حفه الرحم * عليه دما كم مقلة قد بكت الى *
ان انعدمت حتى بكى الحجر الصم
وحلت على اقطار مصر كآبة
وداهمة تار بخها كاب الغم
وكنا نقمنا فعله فى حياته *
فدمات بان العكس وانتقم النقم
فهيهات اتيان الزمان بمثله *
وهيهات جبر بعد ماحصل القصم
وليس لهذا الدهر الا تفجع *
وليس لنا الا نوائبه قسم
لعمرك ما نلنا مدى العمر راحة
ولا فى منام لا خيال ولا وهم
ولكن صبر المرء يكتم ضره *
ومع ذا فهما زاد لاعكن الكتم
فهب حسن البدرى الجازى ربنا * ختاما بخير منك ياحبذا الختم

(ومات) الامير الكبير ابراهيم بك المعروف بابى شنب وأصله مملوك مراد بك القاسمى وخشداش ايواظ بك تقلد الامارة والصنجقية مع ايواظ بك وكان من الامراء الكبار المعدودين تولى امارة الحج سنة تسع وتسعين وألف وطلع بالحج مرتين ثم عزل عنها باستعفائه لامور وقعت له مع العرب باغراء بعض أمراء مصر وسافر أميرا على العسكر المعين فى فتح كريد فى غرة المحرم سنة أربع والف ولما ركب بالموكب خرج أمامه شيخ الشحاتين وجملة من طوائفه لانه كان محسنا لهم ويعرفهم بالواحد القبل وكان اذا أعطى بعضهم نصفا فى جهة ولاقاه فى طريقه من جهة أخرى يقول له أخذت نصيبك فى المحل الفلانى ثم رجع الى

يقول انك عامله ولم يزالوا بالنعمان حتى اصغنوه عليه فارسل الى عدى يستزيره فاستأذن عدى كسرى فى ذلك فاذن له فلما اتاه لم ينظر اليه حتى حبسه ومنع من الدخول عليه فجعل عدى يقول الشعر وهو فى السجن وبلغ النعمان قوله فندم على حبسه اياه وخاف منه اذا أطلقه فكتب عدى الى أخيه أبى أبياتا يعلمه بحاله فلما قرأ أبياته وكتابه كلم كسرى فيه فكتب الى النعمان وأرسل رجلا فى اطلاق عدى وتقدم أخو عدى الى الرسول بالدخول الى عدى قبل النعمان ففعل ودخل على عدى واعلمه انه أرسل لاطلاقه فقال له عدى لاتخرج من عندى وأعطى الكتاب حتى أرسله فانك ان خرجت من عندى قتلنى فلم يفعل ودخل أعداء عدى على النعمان فاعلموه الحال وخوفوه من اطلاقه فارسلهم اليه فخنقوه ثم دفنوه وجاء الرسول فدخل على النعمان بالكتاب فقال نعم وكرامة وبعث اليه باربعة آلاف مثقال وجارية وقال اذا أصبحت ادخل اليه فخذه فلما أصبح الرسول غدا الى السجن فلم ير عديا وقال له الحرس انه مات منذ أيام فرجع الى النعمان وأخبره انه رآه بالامس ولم يره اليوم فقال كذبت وزاده رشوة واستوثق منه ان لايخبر كسرى الا انه مات قبل وصوله الى النعمان قال وندم النعمان على قتله واجترأ أعداء عدى على النعمان وهابهم هيبة شديدة فخرج النعمان فى بعض صيده فرأى ابنا لعدى يقال له زيد فكلمه وفرح به فرحا شديدا واعتذر اليه من أمر أبيه وسيره الى كسرى ووصفه له وطلب اليه ان يجعله مكان أبيه ففعل كسرى وكان يلى ما يكتب الى العرب خاصة وسأله كسرى عن النعمان فاحسن الثناء عليه وأقام عند الملك سنوات بمنزلة أبيه وكان يكثر الدخول على كسرى وكان لملوك الاعاجم صفة للنساء مكتوبة عندهم وكانوا يبعثون فى طلب من يكون على هذه الصفة من النساء ولا يقصدون العرب فقال له زيد بن عدى انى أعرف عند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة قال فتكتب فيهن قال أيها الملك ان شر شئ فى العرب وفى النعمان انهم يتكرمون بانفسهم عن العجم فانا أكره ان يعنتهن وان قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك فابعثنى وابعث معى رجلا يفقه العربية فبعث معه رجلا جلدا فخرجا حتى بلغا الحيرة ودخلا على النعمان قال له زيد ان الملك احتاج الى نساء لاهله وولده وأراد كرامتك فبعث اليك قال وما هؤلاء النسوة قال هذه صفتهن قد جئنا بها وكانت الصفة ان المنذر أهدى أنوشروان جارية أصابها عند الغارة على الحرث بن أبى شمر الغسانى وكتب يصفها أنها معتدلة الخلق نقية اللون والثغر بيضاء وطفاء قراء دعجاء حوراء عيناء قنواء شماء شمراء زجاء برجاء أسيلة الخد شهية القد جثيلة الشعر بعيدة مهوى القرط عيطاء عريضة الصدر كاعب الثدى ضخمة مشاشة المنكب والعضد حسنة المعصم لطيفة الكف سبطة البنان لطيفة طى البطن خميصة الخصر غرثى الوشاح رداح

القبل رابية الكفل لفاء الفخذين ريا الروادف ضخمة المنكبين عظيمة الركبة مفعمة الساق مشبعة الخلخال لطيفة الكعب والقدم قطوف المشي مكسال الضحى بضة المتجرد سموع للسيد ليست بخنساء ولا سفعاء ذليلة الانف عزيزة النفر لم تغذ في بؤس حصينة رزينة زكية كريمة الخال تقتصر بنسب أبيها دون فضيلتها وبفضيلتها دون جماع قبيلتها قد احكمتها الامور في الادب فرأيها رأي أهل الشرف وعملها عمل أهل الحاجة صناع الكفين قطيعة اللسان رهوة الصوت تزين البيت وتشين العدو ان أردتها اشتهت وان تركتها انتهت تحملق عيناها وتحمر خداها وتذبذب شفتاها وتبادرك الوثب فقبلها كسرى وأمر باثبات هذه الصفة فبقيت الى أيام كسرى ابن هرمز فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان فشق ذلك عليه وقال لزيد والرسول يسمع ما في عين السواد وفارس ما تبلغون حاجتكم فقال الرسول لزيد ما العين قال البقر وانزلهما يومين وكتب الى كسرى ان الذي طلب الملك ليس عندي وقال لزيد اعذرني عنده فلما عادا الى كسرى قال لزيد أين ما كنت أخبرتني قال قد قلت للملك وعرفته بخلهم بنسائهم على غيرهم وان ذلك لشقائهم وسوء اختيارهم وسل هذا الرسول عن الذي قال فاني أكرم الملك عن ذلك فسأل الرسول فقال انه قال ما في بقر السواد ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا فعرف الغضب في وجهه ووقع في قلبه وقال رب عبد قد اراد ما هو أشد من هذا فصار أمره الى التباب وبلغ هذا الكلام النعمان وسكت كسرى على ذلك اشهرا والنعمان يستعد حتى اتاه كتاب كسرى يستدعيه فحين وصل الكتاب أخذ سلاحه وما قوي عليه ثم لحق بجبلي طي وكان متزوجا اليهم وطلب منهم ان يمنعوه فابوا عليه خوفا من كسرى فاقبل وليس أحد من العرب يقبله حتى نزل في ذي قار في بني شيبان سرا فلقي هانئ بن مسعود بن عمرو الشيباني وكان سيدا منيعا والبيت من ربيعة في آل ذي الجدين لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد ابن ذي الجدين وكان كسرى قد اطعمه الابلة فكره النعمان أن يدفع اليه أهله لذلك وعلم ان هانئا يمنعه مما يمنع منه أهله فاودعه أهله وماله وفيه اربعمائة درع وقيل ثمانمائة درع وتوجه النعمان الى كسرى فلقي زيد بن عدي على قنطرة ساباط فقال انج نعيم فقال انت يا زيد فعلت هذا أما والله لئن انفلت لافعلن بك ما فعلت بابيك فقال زيد أمض نعيم فقد والله وضعت لك اخية لا يقطعها المهر الارن فلما بلغ كسرى انه بالباب بعث اليه فقيده وبعث به الى خانقين حتى وقع الطاعون فمات فيه قال والناس يظنون انه مات بساباط ببيت الاعشى وهو يقول

فذاك وما ينجي من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محزرق

وكان موته قبل الاسلام فلما مات استعمل كسرى اياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان وكان كسرى اجتاز به لما سار الى ملك الروم فاهدى له هدية

مصر في شهر ذي الحجة وطلع الى سكندرية ووصل خبر قدومه الى مصر فجمع الشعاتون من بعضهم دراهم واشتروا حصانا أزرق وعملوا له سرجا مفرقا ورختا وركابا مطليا وعباءة زركش ورشمة كفة ذلك اثنان وعشرون ألف فضة ولما وصل الى الحلي قدموه له فقبله منهم وركبه الى داره وذهبت اليه الامراء والاعيان وسلموا عليه وهنوه بالسلامة وخلع على شيخ الشعاتين ونقيبهم كل واحد جوخة ولكل فقير جبة وطاقية وشملة ولكل امرأة قميص وملاية فيومي وأغدق عليهم اغداقا زائدا وعمل لهم سماطا وكان المتعين بالرياسة في ذلك الوقت ابراهيم بك ذو الفقار وفي عزمه قطع بيت القاسمية فأخرج ابواظ بك الى اقليم البحيرة وقانصوه بك الى بني سويف وأحمد بك الى المنوفية ولما حضر ابراهيم بك أبو شنب واستقر بمصر فاتفق ابراهيم بك ذو الفقار مع علي باشا المتولي اذ ذاك على قتله بحجة المال والغلال المنكسرة عليه في غيبته وقدرها اثنا عشر ألف أردب وأربعون كيسا صيفي وشتوي فأرسل اليه الباشا معين بفرمان يطلبه وكان أتاه شخص من أتباع الباشا أنذره من الطلوع فقال للمعلمين سلم على الباشا وبعد الديوان أطلع أقابله فقال العصر ولم يطلع فارسل الباشا الى درويش بك وكان خفيرا بمصر القديمة وأمره بالجلوس عند باب السر الذي يطلع على زين العابدين والى الوالي والعسس وأرده باشا البوابة يجلس عند بيت ابراهيم بك أبي شنب وأشيع ذلك وضاق خناق ابراهيم بك أبي شنب واغتم جيرانه وأهل حارته لاحسانه في حقهم وحضر اليه بعض أصحابه

يؤانسه مثل ابراهيم جربجي الداودية وشعبان أفندي كاتب مستحفظان سابقا وأحمد أفندي روزنامجي سابقا فهم على ذلك
واذا بسليمان الساعي داخل على الصنجق بعد العشاء فاخبره ان مسلم اسمعيل باشا أمير الحاج
الشامي ورد الى العادلية
وأرسل جماعة جوخدارية
بقائمقامية الى ابراهيم بك فأمر
بدخولهم عليه فدخلوا
وأعطوه التذكرة فقرأها
وعرف ما فيها فسري عنه الغم
وفي التذكرة ان كان غدا أول
توت ندخل والا بعد غد وكانت
سنة تداخل سنة ست في سنة
سبع وكان الباشا أتى له مقرر
من السلطان أحمد وتوفي وتولى
السلطان مصطفى فعزل علي
باشا عن مصر وولي اسمعيل
باشا حاكم الشام وأرسل مسلمه
بقائمقامية الى ابراهيم بك
فسأل الصنجق أحمد أفندي
عن أول توت فأخبره ان غدا
أول توت فقال لأحمد كاشف
الاعسر خذ الحصان الفلاني
وعشرة طائفة والجوخدارية
ومشعلين واذهبوا الى العادلية
وأحضروا بالاغا قبل الفجر
ففعلوا وحضروا به قبل الفجر
بساعتين فخلع عليه فروة سمور
وقال للمهتار دقوا النوبة
قاصد مفرح فلما ضربت
النوبة سمعت الجيران قالوا لا
حول ولا قوة الا بالله ان الصنجق
اختل عقله عارف انه ميت
ويدق النوبة ولما طلع النهار
وأكلوا الفطور وشربوا القهوة
ركب الصنجق بكامل طوائفه
وصحبته الاغا وطلع الى القلعة وجلس معه بديوان الغوري وحضر اليهم كتخدا الباشا فاطلعوه على (ذكر
المرسوم فدخل الكتخدا فأخبر مخدومه بذلك فقال لا اله الا الله وتعجب في صنع الله ثم قال هذا الرجل يأكل رؤس الجميع

فشكر ذلك له وارسل اليه فبعث كسرى بان يجمع ما خلفه النعمان و يرسله اليه فبعث اياس الى هانئ بن مسعود الشيباني يامره بارسال ما استودعه النعمان فابى هانئ ان يسلم ما عنده فلما أبى هانئ غضب كسرى وعنده النعمان بن زرعة التغلبي وهو يحب هلاك بكر بن وائل فقال لكسرى أمهلهم حتى يقيظوا و يتساقطون على ذي قار تساقط الفراش في النار فتأخذهم كيف شئت فصبر كسرى حتى جاؤا نحو ذي قار فارسل اليهم كسرى النعمان بن زرعة يخيرهم واحدة من ثلاث اما ان يعطوا ما بايديهم واما ان يتركوا ديارهم واما ان يحاربوا فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة العجلي فاشار بالحرب فآذنوا الملك بالحرب فارسل كسرى اياس بن قبيصة الطائي أمير الجيش ومعه مرازبة الفرس والهامرز التسوى وغيره من العرب تغلب واياد وقيس ابن مسعود بن قيس بن ذي الجدين وكان على طف سفوان فارسل الفيول وكان قد بعث النبي صلى الله عليه وسلم فقسم هانئ بن مسعود دروع النعمان وسلاحه فلما دنت الفرس من بني شيبان قال هانئ بن مسعود يا معشر بكر لا طاقة لكم في قتال كسرى فاركنوا الى الفلاة فسارع الناس الى ذلك فوثب حنظلة بن ثعلبة العجلي وقال يا هانئ أردت نجاءنا فالقيتنا في الهلكة ورد الناس وقطع وضن الهوادج وهي الحزم للرحال فسمي مقطع الوضن وضرب على نفسه قبة وأقسم ان لا يفر حتى تفر القبة فرجع الناس واستقوا ماء نصف شهر فاتتهم العجم فقاتلتهم بالجنود فانهزمت العجم خوفا من العطش الى الجبابات فتبعتهم بكر وعجل وابليت يومئذ بلاء حسنا اصطفت عليهم جنود العجم فقال الناس هلكت عجل ثم حملت بكر فوجدت عجلا تقاتل وامرأة منهم تقول

ان تظفروا نحفز وافينا الغزل * ايها فداء لكم بني عجل

فقاتلوهم ذلك اليوم ومالت العجم الى بطحاء ذي قار خوفا من العطش فارسلت اياد الى بكر وكانوا مع الفرس وقالوا لهم ان شئتم هربنا الليلة وان شئتم أقمنا ونفر حين تلاقون الناس فقالوا بل تقيمون وتنهزمون اذا التقينا وقال زيد بن حسان السكوني وكان حليفا لبني شيبان اطيعوني واكمنوا لهم ففعلوا ثم تقاتلوا وحرض بعضهم بعضا وقالت ابنة القرين الشيبانية

ايها بني شيبان صفا بعد صف * ان تنهزموا تضيعوا فينا القلف

فقطع سبعمائة من بني شيبان ايدي أقبيتهم من مناكبهم لتخف أيديهم لضرب السيوف فجالدوهم وبارز الهامرز فبرز اليه برد بن حارثة اليشكري فقتله برد ثم حملت ميسرة بكر وميمنتها وخرج الكمين فشدوا على قلب الجيش وفيهم اياس بن قبيصة الطائي وولت اياد منهزمة كما وعدتهم فانهزمت الفرس واتبعتهم بكر تقتل ولا تلتفت الى سلب وغنيمة وقال الشعراء في وقعة ذي قار فأكثروا

ودخلوا اليه فخلع عليه وعلى المسلم ونزل الى داره ووصل الخبر الى اسمعيل بك الدفتردار فركب اسمعيل بك الى ابراهيم ذى الفقار أمير الحاج فركب معه بباقى الامراء وذهبوا الى ابراهيم بك يهنوه وكذلك بقية الاعيان وخلع على محمد بك أباظه وجعله أمين السماط وتولى المترجم الدفتردارية سنة تسع عشرة ومائة وألف واستمر بها الى سنة احدى وعشرين ومائة وألف ثم عزل وتقلد امارة الحج ثم أعيد الى الدفتردارية فى سنة سبع وعشرين ومائة وألف ولم يزل الى أن مات بالطاعون سنة ثلاثين ومائة وألف وعمره اثنان وتسعون سنة وخلف ولده محمد بك أميرا يأتى ذكره * (ومات) * افرنج أحمد أوده باشا مستحفظان الذى تسببت عنه الفتنة الكبيرة والحروب العظيمة التى استمرت المدة الطويلة والليالى العديدة * وحاصلها على سبيل الاختصار هو ان افرنج أحمد أوده باشا المذكور لما ظهر أمره بعد موت مصطفى كتخدا القازدغلى مع مشاركة مراد كتخدا وحسن كتخدا فلما مات مراد كتخدا فى سنة سبع عشرة ومائة وألف زاد ظهور أمر المترجم ونفذت كلمته على أقرانه وكان جبارا عنيدا فتعصب عليه طائفة وقبضوا عليه على حين غفلة وسجنوه بالقلعة وكان ممن تعصب عليه حسن كتخدا الجلفى وناصف كتخدا ابن أخت القازدغلى وكور عبد الله ثم أخرجوه من مصر منفيا فغاب أياما ورجع بنفسه ودخل الى مصر والتجأ الى وجاق الجملية وطلب غرضه من باب مستحفظان فلم يرضوا بذلك وقالوا لابد من خروجه الى محل ما كان ووقع بينهم التشاجر واتفقوا بعد جهد على عدم نفيه

* (ذكر ملوك الحيرة بعد عمرو بن هند) *

قد ذكرنا من ملك من آل نصر بن ربيعة الى هلاك عمرو بن هند فلما هلك عمرو ملك بعده أخوه قابوس بن المنذر أربع سنين من ذلك أيام أنوشروان ثمانية أشهر وفى أيام هرمز ثلاث سنين وأربعة أشهر ثم ولى بعده قابوس السهراب ثم ملك بعده المنذر بن النعمان اربع سنين ثم ولى بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة من ذلك فى زمان هرمز سبع سنين وثمانية أشهر وفى زمان ابنه ابرويز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر ثم ولى اياس بن قبيصة الطائى ومعه النخيرجان فى زمان كسرى ابن هرمز أربع عشرة سنة والثمانية أشهر من ولاية اياس بعث النبى صلى الله عليه وسلم ثم ولى ازاذبه ابن ماببان الهمذانى سبع عشرة سنة من ذلك فى زمان كسرى ابن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر وفى زمان شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر وفى زمن اردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر وفى زمن بوران دخت ابنة كسرى شهرا ثم ولى المنذر بن النعمان بن المنذر وهو الذى يسميه العرب المغرور الذى قتل بالبحرين يوم جواثا وكانت ولايته الى أن قدم عليه خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر وكان آخر من بقى من آل نصر وانقرض ملكهم مع انقراض ملك فارس فجميع ملوك آل نصر فيما زعم هشام عشرون ملكا ملكوا خمسمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر

* (ذكر المروزان وولايته اليمن من قبل هرمز) *

قال هشام استعمل كسرى هرمز المروزان بعد عزل زرين عن اليمن وأقام باليمن حتى ولد له فيها ثم ان أهل جبل يقال له المصانع منعوه الخراج فقصدهم فرأى جبلهم لا يقدر عليه لحصانته وله طريق واحد يحميه رجل واحد وكان يحاذى ذلك الجبل جبل آخر قد قارب هذا الجبل فأجرى فرسه فعبر به ذلك المضيق فلما رأته حمير قالوا هذا شيطان وملك حصنهم وأدوا الخراج وأرسل الى كسرى يعلمه فاستدعاه اليه فاستخلف ابنه خرخسره على اليمن وسار اليه فمات فى الطريق وعزل كسرى خرخسره عن اليمن وولى باذان وهو آخر من قدم اليمن من ولاة العجم

* (ذكر قتل كسرى ابرويز) *

كان كسرى قد طغى لكثرة ماله وما فتحه من بلاد العدو ومساعدة الاقدار وشره على أموال الناس ففسدت قلوبهم وقيل كانت له اثنا عشر ألف امرأة وقيل ثلاثة آلاف امرأة يطأهن والوف جوار وكان له خمسون ألف دابة وكان أرغب الناس فى الجوهر والاوانى وغير ذلك وقيل انه امر ان يحصى ما جبى من خراج بلاده فى سنة ثمانى عشرة

من ملكه فكان من الورق مائة ألف ألف مثقال وعشرون ألف ألف مثقال وانه احتقر الناس وأمر رجلا اسمه زاذان بقتل كل مقيد في سجونه فبلغوا ستة وثلاثين ألفا فلم يقدم زاذان على قتلهم فصاروا أعداء له وكان أمر بقتل المنهزمين من الروم فصاروا أيضا أعداءه واستعمل رجلا على استخلاص بواقي الخراج فعسف الناس فظلمهم ففسدت نياتهم ومضى ناس من العظماء الى بابل فاحضروا ولده شيرويه بن ابرويز فان كسرى كان قد ترك أولاده بها ومنعهم من التصرف وجعل عندهم من يؤدبهم فوصل الى بهرسير فدخلها ليلا فاخرج من كان في سجونها واجتمع اليه أيضا الذين كان كسرى أمر بقتلهم فنادوا قباذشاهنشاه وساروا حين أصبحوا الى رحبة كسرى فهرب حرسه وخرج كسرى الى بستان قريب من قصره هاربا فاخذ اسيرا وملكوا ابنه فارسل الى أبيه يقرعه بما كان منه ثم قتلته الفرس وساعدهم ابنه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ولمضى اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة قيل وكان لكسرى ابرويز ثمانية عشر ولدا وكان أكبرهم شهريار وكانت شيرين قد تبنته فقال المنجمون لكسرى انه سيولد لبعض ولدك غلام يكون خراب هذا المجلس وذهاب الملك على يديه وعلامته نقص في بعض بدنه فمنع ولده عن النساء لذلك حتى شكا شهريار الى شيرين الشبق فارسلت اليه جارية كانت تحجمها وكانت تظن انها لا تلد فلما وطئها علقت بيزدجرد فكتمته خمس سنين ثم انها رأت من كسرى رقة للصبيان حين كبر فقالت أيسرك ان ترى لبعض بنيك ولدا قال نعم فاتته بيزدجرد فاحبه وقربه فبيناهو يلعب ذات يوم ذكر ماقيل فامر به فجرد من ثيابه فرأى النقص في أحد وركيه فاراد قتله فمنعته شيرين وقالت ان كان الامر في الملك قد حضر فلا مرد له فامرت به فحمل الى سجستان وقيل بل تركته في السواد في قرية يقال لها خمانية ولما قتل كسرى ابرويز بن هرمز ملك ابنه شيرويه

(ذكر ملك كسرى شيرويه بن ابرويز بن هرمز بن انوشروان)

لما ملك شيرويه بن ابرويز وأمه مريم ابنة موريق ملك الروم واسمه قباذ دخل عليه العظماء والاشراف فقالوا لا يستقيم أن يكون لنا ملكان فاما ان تقتل كسرى ونحن عبيدك واما ان نخلعك ونطيعه فانكسر شيرويه ونقل أباه من دار الملك الى موضع آخر حبسه فيه ثم جمع العظماء وقال قد رأينا الارسال الى كسرى بما كان من اساءته ونوقفه على أشياء منها فارسل اليه رجلا يقال له اسبادخشنش كان يلي تدبير المملكة وقال له قل لأبينا الملك عن رسالتنا ان سوء أعمالك فعل بك ما ترى منها جراءتك على أبيك وسملك عينيه وقتلك اياه ومنها سوء صنيعك الينا معشر ابنائك في منعنا من مجالسة الناس وكل مالنا فيه دعة ومنها اساءتك الى من خلدت في السجون ومنها اساءتك الى النساء تاخذهن لنفسك وتركك العطف عليهن ومنعهن عمن يعاشرهن

وان يجعلوه صنجقا وقلدوه ذلك على كره منه واستمر مدة فلم يهنأ له عيش وخمل ذكره وأنفق ما جمعه قبل ذلك فاتفق مع أيوب بك الفقاري وعصب الوجاقات ونفوا حسن كتخدا الجلفي وناصف كتخدا وكور عبد الله باش أوده باشا وقرا اسمعيل كتخدا ومصطفى كتخدا الشريف وأحمد جربجي تابع باكير أفندي وابراهيم أوده باشا الاكنجي وحسين اوده باشا العنترلي الجميع من باب مستحفظان فاخرجوهم الى قرى الارياف ورمى المترجم الصنجقية ورجع الى بابه وركب الحمار ثانيا وصار أوده باشا كما كان وهذا لم يتفق نظيره أبدا وكان يقول عندما استقر صنجقا الذي جمعه الحمار أكله الحصان ولما فعل ذلك زادت كلمته وعظمت شوكته ثم ان المنفيين المتقدم ذكرهم حضروا الى مصر باتفاق الوجاقات الستة ولم يتمكنوا من الرجوع الى بابهم وذلك ان الوجاقات الستة وبعض الامراء الصناجق أرادوا رجوع المذكورين الى باب مستحفظان وان افرنج أحمد يلبس حكم قانونهم أو يعمل جربجي وان كور عبد الله أوده باشا يرجع الى بابه ويلبس باش كما كان فعاند افرنج أحمد وعضده أيوب بك وانضم اليهم من انضم من الاختيارية والصناجق والامراء ووقع التفاقم والعناد وافترقت عساكر مصر وأمراؤها فرقتين وجرى ما لم يقع مثله في الحروب والكروب وخراب الدور وطالت مدة ذلك قريبا من ثلاثة أشهر وانجلت عن ظهور العزب على الينكجرية ويرزقن وقتل في أثنائها الامراء الذين ذكر مذاكر بعضها آنفا في ترجمة المرحوم ايواظ بك وغيره وهرب أيوب بك ومحمد بك

و يرزقن منه الولد ومنها ما اتيت الى رعيتك عامة من العنف والغلظة والفظاظة ومنها جمع الاموال في شدة وعنف من أربابها ومنها تجميرك الجنود في ثغور الروم وغيرها وتفريقك بينهم وبين أهليهم ومنها غدرك بموريك ملك الروم مع احسانه اليك وحسن بلائه عندك وتزويجه اياك بابنته ومنعك اياه خشبة الصليب التي لم يكن بك ولا باهل بلادك اليها حاجة فان كان لك حجة تذكرها فافعل وان لم يكن لك حجة فتب الى الله تعالى حتى يأمر فيك بأمره قال فجاء الرسول الى كسرى ابرويز فادى اليه الرسالة فقال ابرويز قل عني لشيرويه القصير العمر لا ينبغي لاحد ان يتوب من أجل الصغير من الذنب الا بعد ان يتيقنه فضلا عن عظيمه ولو كنا كما تقول لم يكن لك أيها الجاهل ان تنشر عنا مثل هذا العظيم الذي يوجب علينا القتل لما يلزمك في ذلك من العيوب فان قضاة أهل ملتك ينفون ولد المستوجب للقتل من أبيه و ينفونه من مضامة الاخيار ومجالستهم فضلا عن أن يملك مع انه قد بلغ منا بحمد الله من اصلاحنا أنفسنا وابناءنا ورعيتنا ما ليس في شيء منه تقصير ونحن نشرح الحال فيما الزمنا من الذنوب لتزداد علما بجهلك فمن جوابنا ان الاشرار أغروا كسرى هرمز والدنا حتى اتهمنا فرأينا من سوء رأيه فينا ما يخوفنا منه فاعتزلنا بابه الى أذربيجان وقد استفاض ذلك فلما انتهك منه ما انتهك شخصنا الى بابه فهجم المنافق بهرام علينا فاجلانا عن المملكة فسرنا الى الروم وعدنا الى ملكنا واستحكم أمرنا فبدأنا باخذ الثار عن قتل أبانا او شرك في دمه واما ماذكرت في أبنائنا فانا وكلنا بكم من يكفكم عن الانتشار فيما لا يعنيكم فتتأذى بكم الرعية والبلاد وكنا أقمنا لكم النفقات الواسعة وجميع ما تحتاجون اليه واما أنت خاصة فان المنجمين قضوا في مولدك انك مثرب علينا وان يكون ذلك بسببك وان ملك الهند كتب اليك كتابا وأهدى لك هدية فقرأنا الكتاب فاذا هو يبشرك بالملك بعد ثمان وثلاثين سنة من ملكنا وقد ختمنا على الكتاب وعلى مولدك وهما عند شيرين فان أحببت ان تقرأهما فافعل فلم يمنعنا ذلك عن برك والاحسان اليك فضلا عن قتلك واما ماذكرت ممن خلدناه في السجون فجوابنا انا لم نحبس الا من وجب عليه القتل أو قطع بعض الاطراف وقد كان الموكلون بهم والوزراء يأمروننا بقتل من وجب قتله قبل أن يحتالوا لانفسهم فكنا بحبنا الاستبقاء وكراهتنا لسفك الدماء نتأنى بهم ونكل أمرهم الى الله تعالى فان أخرجتهم من محبسهم عصيت ربك ولتجدن غب ذلك واما قولك انا جمعنا الاموال وأنواع الجواهر والامتعة بأعنف جمع وأشد الحاح فاعلم أيها الجاهل انه انما يقيم الملك بعد الله تعالى الاموال والجنود وخاصة ملك فارس الذي قد اكتنفه الاعداء ولا يقدر على كفهم وردعهم عما يريدونه الا بالجنود والاسلحة والعدد ولا سبيل الى ذلك الا بالمال وقد كان اسلافنا جمعوا الاموال والسلاح وغير ذلك فاغار المنافق بهرام ومن معه على ذلك الا اليسير فلما ارتجعنا ملكنا واذعن لنا الرعية

الصعيدي ومن تبعهم ونهبت دور الجميع وأحزابهم وانتصر القاسمية ثم أنزلوا الباشا بأمان وهجمت العساكر على باب مستحفظان وملكوه وقبضوا على المترجم وقطعوا رأسه ورؤس من معه وفيهم حسن كتخدا واسمعيل أفندي وعمر أغات الجراكسة وذهبوا برؤسهم الى بيت قانصوه بك قائمقام ثم طافوا بها على بيوت الامراء ثم وضعوها على أجسادهم بالرميلة ثم أرسلوهم عند الغروب الى منازلهم وذلك في أوائل جمادى الاولى سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف وهو صاحب القصر والغيط المعروف به الذي كان بطريق بولاق ونهبه في ايام الفتنة يوسف بك الجزار وكان به شيء كثير من الغلال والابقار والاغنام والارز والخيل والجاموس والدجاج والاوز والحمام حتى قلع أشجاره وهدم حيطانه ولما بلغ محمد بك الكبير مافعله يوسف بك الجزار في غيط افرنج أحمد عمد هو أيضا الى غيط حسن كتخدا الجلفي وفعل به مثل مافعل يوسف بك بغيط افرنج أحمد ووقع غير ذلك أمور يطول شرحها ورأيت مؤلفا للشيخ علي الشاذلي في خصوص هذه الواقعة وما حصل فيها مفصلا وعمل فيها الشعراء أشعارا وتواريخ منظومة فمن ذلك قول الشيخ حسن الحجازي عفي عنه

بلية عظيمة بمصر أتت * ماوجدت قط وقد لا توجد
دامت عليها مدة مديدة * في كل وقت هولها يجدد
أيوب والافرنج والباشا كذا * محمد الصعيدي بيك الاوحد
قد فعلوا مناكرا شنيعة * باهلها تفتت منها الاكبد
ضرب مدافع ودور حرقت * وسادة قد قتلت وأعبد

بالطاعة ارسلنا الى نواحي بلادنا أصبهبذين وقاموسانين فكفوا الاعداء وأغاروا على بلادهم ووصل الينا غنائم بلادهم من أصناف الاموال والامتعة مالا يعلمه الا الله تعالى وقد بلغنا انك هممت بتفريق هذه الاموال على رأي الاشرار المستوجبين للقتل ونحن نعلمك ان هذه الاموال لم تجتمع الا بعد الكد والتعب والمخاطرة بالنفوس فلا تفعل ذلك فانها كهف ملكك وبلادك وقوة على عدوك فلما انصرف اسباد خشنس الى شيرويه قص عليه جواب أبيه ثم ان عظماء الفرس عادوا الى شيرويه فقالوا اما ان تأمر بقتل أبيك واما ان نطيعه ونخلعك فأمر بقتله على كره منه وانتدب لقتله رجالا ممن وترهم كسرى ابرويز وكان الذي باشر قتله شاب يقال له مهرهرمز بن مردانشاه من ناحية نيمروذ فلما قتل شق شيرويه ثيابه وبكى ولطم وجهه وحملت جنازته وتبعها العظماء وأشراف الناس فلما دفن أمر شيرويه بقتل مهرهرمز قاتل أبيه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ثم ان شيرويه قتل اخوته فهلك منهم سبعة عشر أخا ذوي شجاعة وأدب بمشورة وزيره فيروز وابتلي شيرويه بالامراض ولم يلتذ بشيء من الدنيا وكان هلاكه بدسكرة الملك وجزع بعد قتل اخوته جزعا شديدا ويقال انه لما كان اليوم الثاني من قتل اخوته دخلت عليه بوران وازرميدخت اختاه فأغلظتا له وقالتا حملك الحرص على الملك الذي لا يتم لك على قتل أبيك واخوتك فلما سمع ذلك بكى بكاء شديدا ورمى التاج عن رأسه ولم يزل مهموما مدنفا ويقال انه أباد من قدر عليه من أهل بيته وفشا الطاعون في أيامه فهلك من الفرس أكثرهم ثم هلك هو وكان ملكه ثمانية أشهر

(ذكر ملك اردشير)

وكان عمره سبع سنين فلما توفي شيرويه ملك الفرس عليهم ابنه اردشير وحضنه رجل يقال له بهادر جسنس مرتبته رياسة أصحاب المائدة فأحسن سياسة الملك فبلغ من أحكامه ذلك مالم يحس معه بحداثة سن اردشير وكان شهربراز بثغر الروم في جند ضمهم اليه كسرى ابرويز وكان قد صلح له بعده مافعل بالروم مما ذكرناه وكان ينفذ له الخلع والهدايا وكان ابرويز وشيرويه يكاتبانه ويستشيرانه فلما لم يشاوره عظماء الفرس في تمليك اردشير اتخذ ذلك ذريعة الى التعنت وبسط يده في القتل وجعله سببا للطمع في الملك احتقارا لاردشير لصغر سنه فأقبل بجنده نحو المدائن فتحول اردشير وبهادر جسنس ومن بقي من نسل الملك الى مدينة طيسفون فحاصرهم شهربراز ونصب عليهم المجانيق فلم يظفر بشيء فأتاها من قبل المكيدة فلم يزل يخدع رئيس الحرس وأصبهبذ نيمروذ حتى فتحا له باب المدينة فدخلها وقتل جماعة من الرؤساء وأخذ أموالهم وقتل بعض أصحابه اردشير في ايوان خسرو شاه قباذ بأمر شهربراز وكان ملكه سنة وستة أشهر

وفي الرعايا القتل والنهب فشا * والجوع والظما ومالا يعهد * وجملة القول من الذي جرى * لا تسأل عن شرحه لا ينفد
والعلما أهل الضلال والردى * لهم أباحوا كل مالا يحمد * وبعد ذا أيوب والصعيدي مع
من صحبا فروا بليل لا هدوا
ودار أيوب جميعا نهبوا *
نهبا ذريعا ماعليه أزيد
ودور من ناصر حتى غدا *
لليوم فيها مقعد ومرقد
فأصبحوا ولست ترى الا السكن
كذاك يجزى المجرمون المرد
وبعد الافرنج جهرا قطعوا
وكل من شايعه قد اجهدوا
والباشة المعكوس جهرا انزلوا
من قلعة واللعنة قد زودوا
وقطعوا فيها ابن عاشور الردى
خليفة الدسوقي وهو يفند
وكفرت بقتله ذنوبهم *
وجنة الخلد بذاك أوردوا
اذ كان زنديقا اباحياله *
في المنكرات القدم المشيد
وانتصرت اذ ذاك أجناد العرب
على الأكابر بتهاو سودوا
والله اذا ماشئت آية الهدى
ينصر من يشاء منها ترشد
وابتهجت مصر وسر أهلها *
وانشرحوا وانبسطوا وعيدوا
تبارك الله مبيد من طغى *
ومن بغى ومن تكبر ايقصد
نعوذ بالله من أهل ذا الزمن *
فانهم في الظلم شخص أوحد
أعدلهم من عن صواب عادل *
ومن على العدل لديهم أحيد
تلك البلايا والرزايا أرخت *
خليل باشا في ذهاب يلهد
وسأل الله الجازي حسن *
وقاية من فتن توقد * وكانت كل فرقة أخذت فتوى على جواز قتال الاخرى (ذكر
ولما انتصرت فرقة العزب نفوا جماعة من الفقهاء الى بلاد الارياف ثم رجعوا بعد أيام (وقال أيضا في ذلك)

ان رمت أن لاتنال قهرا * فلاترم للأنام شرا * الاترى من بغوا وجاروا * كيف لهم جورهم تجرا
أيوب وافرنج والصعيدى * محمد ثم باش مصرا * أعنى خليلا من اختلالا * حوى وللسوء قد تحرى

(ذكر ملك شهريراز)

ولم يكن من بيت الملك لما قتل اردشير جلس شهريراز واسمه فرخان على تخت المملكة فحين جلس ضرب عليه بطنه فاشتد ذلك ثم عوفى وتعاهد ثلاثة اخوة من أهل اصطخر على قتله غضبا لقتل اردشير وكانوا فى حرسه وكان الحرس يقفون سماطين اذا ركب الملك عليهم السلاح وبأيديهم السيوف والرماح فاذا حاذى الملك بعضهم وضع جبهته على ترسه فوق الترس كهيئة السجود فركب شهريراز يوما فوقف الاخوة الثلاثة بعضهم قريب من بعض فلما حاذاهم طعنوه فسقط ميتا فشدوا فى رجله حبلا وجروه وساعدهم بعض العظماء وتساعدوا على قتل جماعة قتلوا اردشير وكان جميع ملكه أربعين يوما

(ذكر ملك بوران ابنة ابرويز بن هرمز بن أنوشروان)

لما قتل شهريراز ملكت الفرس بوران لانهم لم يجدوا من بيت المملكة رجلا يملكونه فلما ملكت أحسنت السيرة فى رعيتها وعدلت فيهم فاصلحت القناطر ووضعت ما بقى من الخراج وردت خشبة الصليب على ملك الروم وكانت مملكتها سنة وأربعة أشهر ثم مات بعدها رجل يقال له خشنشبنده من بنى عم ابرويز الابعدين وكان ملكه أقل من شهر وقتله الجند لانهم أنكروا سيرته

(ذكر ملك ارزميدخت ابنة ابرويز)

لما قتل خشنشبنده ملكت الفرس ارزميدخت ابنة ابرويز وكانت من أجمل النساء وكان عظيم الفرس يومئذ فرخهرزا اصبهبذ خراسان فارسل اليها يخطبها فقالت ان التزوج للملكة غير جائز وغرضك قضاء حاجتك منى فصر الى وقت كذا ففعل وسار اليها تلك الليلة فتقدمت الى صاحب حرسها أن يقتله فقتله وطرح فى رحبة دار المملكة فلما أصبحوا رأوه قتيلا فغيبوه وكان ابنه رستم وهو الذى قاتل المسلمين بالقادسية خليفة أبيه بخراسان فسار فى عسكر حتى نزل بالمدائن وسمل عينى ارزميدخت وقتلها وقيل بل سمت وكان ملكها ستة أشهر قيل ثم أتى رجل يقال له كسرى بن مهرجسنس من عقب اردشير بن بابك كان ينزل الاهواز فملكه العظماء ولبس التاج وقتل بعد أيام وقيل ان الذى ملك بعد ارزميدخت خرزاد خسرو من ولد ابرويز وأمه كردية أخت بسطام قيل وجد بحصن الحجارة بقرب نصيبين فمكث أياما يسيرة ثم خلعوه وقتلوه وكان ملكه ستة أشهر وقال الذين قالوا ملك كسرى بن مهرجسنس انه لما قتل طلب عظماء الفرس من له نسب ببيت المملكة ولو من النساء فأتوا برجل كان يسكن ميسان يقال له فيروز بن مهران جسنس ويسمى أيضا جسنسنده أمه صهاربخت ابنة يزدانزاد ابن أنوشروان فملكوه وكان ضخم الرأس فلما توج قال ما أضيق هذا التاج فتطيروا من كلامه فقتلوه فى الحال وقيل كان قتله بعد أيام

وكان أيوب فى البرايا * رأس البلايا أشد مكرا
أرسل اذضاق للصعيدى * كمابه أن ينال نصرا
فجاءه مسرعا بجيش * لم يحص فى العالمين قدرا
فجاهدوا جهدهم الى أن * قد قتلوا الصنجق الامرا
ايواظ وقت الضحى شهيدا * ونال عند الاله قدرا
وقاتلوه بأو ابشر * فى هذه الدار ثم الاخرى
قد نصبوا فوقنا المدافع * ترمى بأعلى البروج جمرا
فأحرقونا وحاصرونا * وجنبونا الورود قسرا
عن نيلنا ثم قد شربنا * ملحا فزاد الكبود حرا
وبعد هذا النكال ذاقوا * ذوقا يفوق النكير نكرا
فافرنج قد قطعوا ومن قد * تابعه وارتموا بقبرا
وفر أيوب والصعيدى * ليلا وأتباع ذين خسرا
سكرى حيارى اثنوا بكسر * وكسرهم ما أصاب جبرا
والباشة الخمس أنزلوه * وأرهقوه السجن عسرا
وابتهجت مصر واستراحت * لفقدهم والسرور قرا
ثلاثة الاشهر اتباعا * جهادهم فى الورى استمرا
وعامهم ذا الخبيث أرخ * خاب الصعيدى ثم باء فقرا
والمحسن الازهرى الحجازى * يرجو لما قد جناه غفرا * من عالم الجهر والخفايا * فهو غنى ونحن فقرا

يخ مل ل

(ذكر ملك يزدجرد بن شهريار بن ابرويز)

ثم ان الفرس اضطرب أمرهم ودخل المسلمون بلادهم فطلبوا أحدا من بيت المملكة ليملكوه ويقاتلوا بين يديه ويحفظوا بلادهم فظفروا بيزدجرد بن شهريار بن ابرويز باصطخر فأخذوه وساروا به الى المدائن فملكوه واستقر في الملك غير ان ملكه كان كالخيال عند ملك أهل بيته وكان الوزراء والعظماء يدبرون ملكه لحداثة سنه وضعف أمر مملكة فارس واجترأ عليهم الاعداء وتطرقوا بلادهم وغزت العرب بلاده بعد ان مضى من ملكه سنتان وكان عمره كله الى أن قتل ثمانيا وعشرين سنة وبقي من أخباره ما نذكره ان شاء الله في موضعه من فتوح المسلمين * هذا آخر ملوك الفرس ونذكر بعده التواريخ الاسلامية على سياقة سني الهجرة ونقدم قبل ذلك الايام المشهورة للعرب في الجاهلية ثم نأتي بعدها بالحوادث الاسلامية ان شاء الله تعالى

(ذكر أيام العرب في الجاهلية)

لم يذكر أبو جعفر من أيامها غير يوم ذي قار وجذيمة الابرش والزباء وطسم وجديس وما ذكر ذلك الا حيث انهم ملوك فأغفل ما سوى ذلك ونحن نذكر الايام المشهورة والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمع كثير وقتال شديد ولم أعرج على ذكر غارات تشتمل على النفر اليسير لانه يكثر ويخرج عن الحصر فنقول وبالله التوفيق

(ذكر حرب زهير بن جناب الكلبي مع غطفان وبكر وتغلب وبني القين)

كان زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة الكلبي أحد من اجتمعت عليه قضاعة وكان يدعى الكاهن لصحة رأيه وعاش مائتين وخمسين سنة أوقع فيها مائتي وقعة وقيل عاش أربعمائة وخمسين سنة وكان شجاعا مظفرا ميمون النقيبة وذكر ان سبب غزاته غطفان ان بني بغيض بن ريث بن غطفان حين خرجوا من تهامة ساروا بأجمعهم فتعرضت لهم صداء وهي قبيلة من مذحج فقاتلوهم وبنو بغيض سائرون بأهليهم وأموالهم فقاتلوهم عن حريمهم فظهروا على صداء وفتكوا فيهم فعزت بغيض بذلك وأثرت وكثرت أموالها فلما رأوا ذلك قالوا والله لنتخذن حرما مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عائذه فبنوا حرما ووليه بنو مرة بن عوف فلما بلغ فعلهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب قال والله لا يكون ذلك أبدا وأنا حي ولا أخلي غطفان تتخذ حرما أبدا فنادى في قومه فاجتمعوا اليه فقام فيهم فذكر حال غطفان وما بلغه عنهم وقال ان أعظم مأثرة يدخرها هو وقومه ان يمنعوهم من ذلك فأجابوه وغزا بهم غطفان وقاتلهم أبرح قتال وأشده وظفر بهم زهير وأصاب حاجته منهم وأخذ فارسا منهم في حرمهم فقتله وعطل ذلك الحرم ثم من على غطفان ورد النساء وأخذ

الاموال

(ومات) محمد بك المعروف بالدالي وقد كان سافر بالخزينة سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف ومات ببلاد الروم ووصل خبر موته الى مصر فقلدوا ابنه اسمعيل بك في الامارة عوضا عنه بعد انقضاء الفتنة سنة أربع وعشرين ومائة وألف وكان جركسي الجنس وعمل أغات متفرقة ثم أغات جمليان سنة ثلاث عشرة ومائة وألف ثم تقلد الصنجقية وسافر بالخزينة ومات بالديار الرومية كما ذكر (ومات) الامير حسن كتخدا عزبان الجلفي وكان انسانا خير الله برومعروف وصدقات واحسان للفقراء ومن مآثره انه وسع المشهد الحسيني واشترى عدة أماكن بماله وأضافها اليه ووسعه وصنع له تابوتا من أبنوس مطعما بالصدف مضببا بالفضة وجعل عليه سترا من الحرير المزركش بالمخيش ولما تموا صناعته وضعه على قفص من جريد وحمله أربع رجال وعلى جوانبه أربع عساكر من الفضة مطليات بالذهب ومشت أمامه طائفة الرفاعية بطبولهم وأعلامهم وبين أيديهم المباخر الفضة وبخور العود والعنبر وقماقم ماء الورد يرشون منها على الناس وساروا بهذه الهيئة حتى وصلوا المشهد ووضعوا ذلك الستر على المقام * توفي يوم الاربعاء تاسع شوال سنة أربع وعشرين ومائة وألف وخرجوا بجنازته من بيته بمشهد عظيم حافل وصلى عليه بسبيل المؤمن بالرميلة واجتمع بمشهده زيادة عن عشرة آلاف انسان وكان حسن الاعتقاد محبا للفقراء والمساكين رحمه الله *(ومات)* الامير ابراهيم جربجي الصابونجي عزبان وكان أسدا ضرغاما

وبطالا معقدا ما كان ظهوره فى سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف وشارك فى الكلمة أحمد كتخدا عزبان أمين البحرين وحسن جربجى عزبان الجلفى وعملا كتخدا أوده باشه فلما لبس

الاموال وقال زهير فى ذلك

فلم تصبر لنا غطفان لما * تلاقينا واحرزت النساء
فلولا الفضل منا ما رجعتم * الى عذراء شيمتها الحياء
فدونكم ديونا فاطلبوها * وأوتارا ودونكم اللقاء
فانا حيث لا يخفى عليكم * ليوث حين يحتضر اللواء
فقد أضحى لحى بنى جناب * فضاء الارض والماء الرواء
نفينا نخوة الاعداء عنا * بارماح أسنتها ظماء
ولولا صبرنا يوم التقينا * لقينا مثل ما لقيت صداء
غداة تضرعوا لبنى بغيض * وصدق الطعن للنوكى شفاء

واما حربه مع بكر وتغلب ابنى وائل فكان سببها ان ابرهة حين طلع الى نجد أتاه زهير فاكرمه وفضله على من أتاه من العرب ثم أمره على بكر وتغلب ابنى وائل فوليهم حتى أصابتهم سنة فاشتد عليهم ما يطلب منهم من الخراج فاقام بهم زهير فى الحرب ومنعهم من النجعة حتى يؤدوا ما عليهم فكانت مواشيهم تهلك فلما رأى ذلك ابن زيابة أحد بنى تيم الله ابن ثعلبة وكان فاتكا اتى زهيرا وهو نائم فاعتمد التيمى بالسيف على بطن زهير فخرقها حتى خرج من ظهره مارقا بين الصفاق وسلمت امعاؤه وما فى بطنه وظن التيمى انه قد قتله وعلم زهير انه قد سلم فلم يتحرك لئلا يجهز عليه فسكت فانصرف التيمى الى قومه فاعلمهم انه قتل زهيرا فسرهم ذلك ولم يكن مع زهير الا نفر من قومه فامرهم أن يظهروا أنه ميت وان يستأذنوا بكرا وتغلب فى دفنه فاذا أذنوا دفنوا ثيابا ملفوفة وساروا به مجدين الى قومهم ففعلوا ذلك فاذنت لهم بكر وتغلب فى دفنه فحفروا وعمقوا ودفنوا ثيابا ملفوفة لم يشك من رآها ان فيها ميتا ثم ساروا مجدين الى قومهم فجمع لهم زهير الجموع وبلغهم الخبر فقال ابن زيابة

طعنة ما طعنت فى غلس الليل زهيرا وقد توافى الخصوم
حين يحمى له المواسم بكر * أين بكر وأين منها الحلوم
خاننى السيف اذ طعنت زهيرا * وهو سيف مضلل مشؤم

وجمع زهير من قدر عليه من اهل اليمن وغزا بكرا وتغلب وكانوا علموا به فقاتلهم قتالا شديدا انهزمت به بكر وقاتلت تغلب بعدها فانهزمت أيضا وأسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة وأخذت الاموال وكثرت القتلى فى بنى تغلب وأسر جماعة من فرسانهم ووجوههم فقال زهير فى ذلك من قصيدة

أين أين الفرار من حذر المو * ت اذ يتقون بالاسلاب
اذ أسرنا مهلهلا وأخاه * وابن عمرو فى القيد وابن شهاب
وسبينا من تغلب كل بيضا * ء رقود الضحى برود الرضاب

حسن جربجى الجلفى كتخدائية عزبان لبس المترجم باش أوده باشه وذلك فى سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف فزادت حرمته ونفذت بمصر كلمته ولما قتل قيطاس بك الفقارى فى سنة سبع وعشرين ومائة وألف خمدت بموته كلمة أحمد كتخدا أمين البحرين فانفرد بالكلمة فى بابه ابراهيم جربجى الصابونجى المذكور وصار ركنا من اركان مصر العظيمة ومن أرباب الحل والعقد والمشورة وخصوصا فى دولة اسمعيل بك ابن ايواظ وأدرك من العز والجاه ونفاذ الكلمة وبعد الصيت والهيبة عند الاكابر والاصاغر الغاية وكان يخشاه أمراء مصر وصناجقها ووجاقاتها ولم يتقلد الكتخدائية مع جلالة قدره وسبب تسميته بالصابونجى أنه كان متزوجا بابنة الحاج عبد الله الشامى الصابونجى لكونه كان ملتزما بوكالة الصابون وكان له عزوة عظيمة ومماليك وأتباع ومنهم عثمان كتخدا الذى اشتهر ذكره بعده ولم يزل فى سيادته الى ان مات على فراشه خامس شهر شوال سنة احدى وثلاثين ومائة وألف وخلف ولدا يسمى محمدا تقلد بعده جربجيا سيأتى ذكره وسمى له عثمان كاشف مملوك والده وخلص له البلاد من غير حلوان وكان عثمان اذ ذاك جربجيا عثمان عزبان ... الامير الحلمى يوسف بك المعروف بالجزار تابع الامير الكبير ايواظ بك تقلد الامارة والصنجقية

حين تدعوا مهلهل يا لبكر * ها أهذى حفيظة الاحساب
و يحكم و يحكم أبيح حما كم * يابنى تغلب أنا ابن رضاب
وهم هاربون فى كل فج * كشريد النعام فوق الروابى
واستدارت رحا المنايا عليهم * بليوث من عامر وجناب
فهم بين هارب ليس يألوا * وقتيل معفر فى التراب
فضل العز عزنا حين نسمو * مثل فضل السماء فوق السحاب

واما حربه مع بنى القين بن جسر فكان سببها ان اخت زهير كانت متزوجة فيهم فجاء رسولها الى زهير ومعه صرة فيها رمل وصرة فيها شوك قتاد فقال زهير انها تخبركم أنه يأتيكم عدو كثير ذو شوكة شديدة فاحتملوا فقال الجلاح بن عوف السحمى لا نحتمل لقول امرأة فظعن زهير وأقام الجلاح وصبحه الجيش فقتلوا عامة قوم الجلاح وذهبوا باموالهم وماله ومضى زهير فاجتمع مع عشيرته من بنى جناب وبلغ الجيش خبره فقصدوه فقاتلهم وصبر لهم فهزمهم وقتل رئيسهم فانصرفوا عنه خائبين ولما طال عمر زهير وكبرت سنه استخلف ابن أخيه عبد الله بن عليم فقال زهير يوما ألا ان الحى ظاعن فقال عبد الله ألا ان الحى مقيم فقال زهير من هذا المخالف على فقالوا ابن أخيك عبد الله بن عليم فقال أعدى الناس للمرء ابن أخيه ثم شرب الخمر صرفا حتى مات وممن شرب الخمر صرفا حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبى وأبو عامر ملاعب الاسنة العامرى

(ذكر يوم البردان)

فكان من حديثه ان زياد بن الهبولة ملك الشام وكان من سليح بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة أغار على حجر بن عمرو بن معاوية بن الحرث الكندى ملك عرب نجد ونواحى العراق وهو يلقب آكل المرار وكان حجر قد اغار فى كندة وربيعة على البحرين فبلغ زيادا خبرهم فسار الى أهل حجر وربيعة وأموالهم وهم خلوف ورجالهم فى غزاتهم المذكورة فاخذ الحريم والاموال وسبى منهم هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية وسمع حجر وكندة وربيعة بغارة زياد فعادوا عن غزوهم فى طلب ابن الهبولة ومع حجر اشراف ربيعة عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان وعمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان وغيرهما فادركوا عمرا بالبردان دون عين أباغ وقد أمن الطلب فنزل حجر فى سفح جبل ونزلت بكر وتغلب وكندة مع حجر دون الجبل بالصحان على ماء يقال له حفير فتعجل عوف بن محلم وعمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان وقالا لحجر انا متعجلان الى زياد لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا فسارا اليه وكان بينه وبين عوف اخاء فدخل عليه وقال له يا خير الفتيان اردد على امرأتى امامة فردها عليه وهى حامل فولدت له بنتا فأراد عوف ان يئدها فاستوهبها منه عمرو بن أبى ربيعة وقال لعلها تلد أناسا فسميت أم أناس فتزوجها الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار فولدت عمرا

فى سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف أيام الواقعة الكبيرة بعد موت أستاذه من قانصوه بك قائمقام اذ ذاك وكانت له اليد البيضاء فى الهمة والاجتهاد والسعى لاخذ ثار سيده والقيام الكلى فى خذلان المعاندين وجمع الناس ورتب الامور وركب فى اليوم الثانى من قتل سيده وصحبته اسمعيل ابن أستاذه وأتباعهم وطلع الى باب العزب وفرق فيهم عشرة آلاف دينار وأرسل الى البلكات الخمسة مثل ذلك وجر المدافع وخرج بمن انضم اليه الى ميدان الحرب بقصر العينى وحارب محمد بك الصعيدى وطائفته ومن بصحبته من الهوارة حتى هزمهم وأجلاهم عن الميدان الى السواقى واستمر يخرج الى الميدان فى كل يوم ويكر ويفر ويدبر الامور وينفق الاموال وينقب النقوب ويدبر الحروب حتى تم لهم الامر بعد وقائع وأمور ذكرنا بعضها فى ولاية خليل باشا وفى بعض التراجم وفى ذلك يقول الشيخ حسن الحجازى رحمه الله

أيها الانسان دع عنك الدغش
لا تكن من عباد الله غش
كم أناس مكرهم قد غرهم *
فيهم قد حاق واستغشوا الوغش
ثم راموا بعد ان يخلصوا *
من تباريح البلايا والبلش
فابى ذاك عليهم قاهر *
لا يقاوى بطشه مهما بطش
أصبحوا والست ترى الا السكن *
موحشا قد قرابه اليوم عرش
منهم خذ عبرة لا سيما *
بيك أيوب الذى المكر افترش * مع خليل باش مصر وكذا * الصعيدى بك والاقرع الاخش
ويعرف
فعلوا فى مصر انواع الردى * بعباد الله مما قد دهش * من أعالى السور نارا أرسلوا * فى البرايا كى يحشوا أى حش

واستمر وامدة طالت وقد * عمنا خوف وجوع وعطش * فرمى كيدهم وافى نحرهم * فاهر نمت عنه قطش
بيد الجزار يدعى يوسفا * بيك فاستمكن منهم ونهش * بعدما أن قتلوا سيده * ٢٢٩ بيك ابواظ الفتى الشهم الاجش
قطع الافرنج مع أصحابه
ورماهم بالثرى رمى الكرش
بعدما أيوب مع أتباعه
من جنود البغي فروا بغبش
وخليل الباشة النحس الردى
أسكنوه السجن قهرا وانكمش
واستراح الناس منهم والزمن
بعدما كان عبوس الوجه هش
والجازى حسن قد أرخه
يوسف الجزار كأس قد قرش
وتقلد المترجم امارة الحج
وطلع به فى تلك السنة وتقلد
قائمقامية فى سنة ست وعشرين
ومائة وألف عن عابدى باشا
ولما حقدوا على اسمعيل بك
ابن سيده ودبروا على ازالته فى
أيام رجب باشا وظهر جركس
من اختفائه بعد أن أخرجوا
المترجم ومن معه بحيلة قوف
العرب وقتلوا من كان منهم
بمصر وأخرجوا الهم تجريدة
قام المترجم فى تدبير الامر
واختفى اسمعيل بك ودخل
منهم من دخل الى مصر سرا
ووزع المماليك والامتعة على
أرباب المناصب والسدادرة
وأشاع ذهابهم الى الشام مع
الشريف يحيى وتصدر هو
للامر وكتم أموره ولم يزل يدبر
على اظهار ابن سيده واستمال
أرباب الحل والعقد وانفق
الاموال سرا وضم اليه من
الاخصام أعاظمهم وعقلاءهم مثل أحمد بك الاعسر وقاسم بك الكبير واتفق معهم على اظهار اسمعيل بك وأخيه اسمعيل
بك جرجا وعمل وليمة فى بيته جمع فيها محمد بك جركس وباقى أرباب الحل والعقد وأبرز لهم اسمعيل بك ومن معه بعد المذاكرة

و يعرف بابن أم أناس ثم ان عمرو بن أبى ربيعة قال لزياد يا خير الفتيان اردد على ما أخذت من ابلى فردها عليه وفيها فحلها فنازعه الفحل الى الابل فصرعه عمرو فقال له زياد يا عمرو لو صرعتم يا بنى شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم أنتم أنتم فقال له عمرو لقد اعطيت قليلا وسميت جليلا وجررت على نفسك ويلا طويلا ولتجدن منه ولا والله لا تبرح حتى اروى سنانى من دمك ثم ركض فرسه حتى صار الى حجر فلم يوضح له الخبر فارسل سدوس بن شيبان بن ذهل وصليع بن عبد غنم يتجسسان له الخبر ويعلمان علم العسكر فخرجا حتى هجما على عسكره ليلا وقد قسم الغنيمة وجيء بالشمع فاطعم الناس تمرا وسمنا فلما اكل الناس نادى من جاء بحزمة حطب فله قدرة تمر فجاء سدوس وصليع بحطب وأخذا قدرتين من تمر وجلسا قريبا من قبته ثم انصرف صليع الى حجر فاخبره بعسكر زياد وأراه التمر وأما سدوس فقال لا ابرح حتى آتيه بامر جلى وجلس مع القوم يتسمع ما يقولون وهند امرأة حجر خلف زياد فقالت لزياد ان هذا التمر أهدى الى حجر من هجر والسمن من دومة الجندل ثم تفرق أصحاب زياد عنه فضرب سدوس يده الى جليس له وقال له من أنت مخافة ان يستنكره الرجل فقال أنا فلان بن فلان ودنا سدوس من قبة زياد بحيث يسمع كلامه ودنا زياد من امرأة حجر فقبلها وداعبها وقال لها ما ظنك الآن بحجر فقالت ما هو ظن ولكنه يقين انه والله ان يدع طلبك حتى تعاين القصور الحمر يعنى قصور الشام وكأنى به فى فوارس من بنى شيبان يذمرهم ويذمرونه وهو شديد الكلب تزبد شفتاه كانه بعير اكل مرارا فالنجاء النجاء فان وراءك طالبا حثيثا وجمعا كثيفا وكيدا متينا ورأيا صليبا فرفع يده فلطمها ثم قال لها ما قلت هذا الا من عجبك به وحبك له فقالت والله ما أبغضت احدا بغضى له ولا رأيت رجلا احزم منه نائما ومستيقظا ان كان لتنام عيناه فبعض اعضائه مستيقظ وكان اذا أراد النوم امرنى ان أجعل عنده عسا من لبن فبيناهو ذات ليلة نائم وانا قريب منه انظر اليه اذ اقبل أسود سالخ الى رأسه فنحى رأسه فمال الى يده فقبضها فمال الى رجله فقبضها فمال الى العس فشربه ثم مجه فقلت يستيقظ فيشربه فيموت فاستريح منه فانتبه من نومه فقال على بالاناء فناولته فشمه ثم ألقاه فهريق فقال اين ذهب الاسود فقلت ما رأيته فقال كذبت والله وذلك كله يسمعه سدوس فسار حتى اتى حجرا فلما دخل عليه قال

اتاك المرجفون بأمر غيب * على دهش وجئتك باليقين
فمن يك قد اتاك بامر لبس * فقد آتى بامر مستبين

ثم قص عليه ما سمع فجعل حجر يعبث بالمرار ويأكل منه غضبا وأسفا ولا يشعر انه يأكله من شدة الغضب فلما فرغ سدوس من حديثه وجد حجر المرار فسمى يومئذ آكل المرار والمرار نبت شديد المرارة لا تأكله دابة الا قتلها ثم أمر حجر فنودى فى الناس وركب وسار الى زياد فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم زياد وأهل الشام وقتلوا قتلا ذريعا

واستنقذت بكر وكندة ما كان بايديهم من الغنائم والسبي وعرف سدوس زيادا فحمل عليه فاعتنقه وصرعه واخذه اسيرا فلما رآه عمرو بن أبي ربيعة حسده فطعن زياد فقتله فغضب سدوس وقال قتلت اسيرى وديته دية ملك فتحا كما الى حجر فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك واعانهم من ماله واخذ حجر زوجته هندا فربطها فى فرسين ثم ركضهما حتى قطعاها ويقال بل احرقها وقال فيها

ان من غرّه النساء بشئ * بعد هند لجاهل مغرور

حلوة العين والحديث ومر * كل شئ أجن منها الضمير

كل أنثى وان بدالك منها * آية الحب حبها خيتعور

ثم عاد الى الحيرة (قلت) هكذا قال بعض العلماء ان زياد بن هبولة السليحى ملك الشام غزا حجرا وهذا غير صحيح لان ملوك سليح كانوا باطراف الشام مما يلى البر من فلسطين الى قنسرين والبلاد للروم ومنهم اخذت غسان هذه البلاد وكلهم كانوا عمالا لملوك الروم كما كان ملوك الحيرة عمالا لملوك الفرس على البر والعرب ولم يكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشام ولا بشبر واحد على سبيل التفرد والاستقلال وقولهم ملك الشام غير صحيح وزياد بن هبولة السليحى ملك مشارق الشام اقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل لان حجرا هو جد الحرث بن عمرو بن حجر الذى ملك الحيرة والعرب بالعراق أيام قباذ ابى أنوشروان وبين ملك قباذ والهجرة نحو مائة وثلاثين سنة وقد ملكت غسان اطراف الشام بعد سليح ستمائة سنة وقيل خمسمائة سنة وأقل ما سمعت فيه ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وكانوا بعد سليح ولم يكن زياد آخر ملوك سليح فتزيد المدة زيادة اخرى وهذا تفاوت كثير فكيف يستقيم ان يكون ابن هبولة الملك أيام حجر حتى يغير عليه وحيث اطبقت رواة العرب على هذه الغزاة فلا بد من توجيهها واصلح ما قيل فيه ان زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيسا على قوم أو متغلبا على بعض اطراف الشام حتى يستقيم هذا القول والله أعلم وقولهم ايضا ان حجرا عاد الى الحيرة لا يستقيم أيضا لان ملوك الحيرة من ولد عدى بن نصر اللخمى لم ينقطع ملكهم لها الا ايام قباذ فانه استعمل الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار كما ذكرناه قبل فلما ولى انوشروان عزل الحرث وأعاد اللخميين ويشبه ان يكون بعض الكنديين قد ذكر هذا تعصبا والله أعلم أن أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ولم يذكر ان ابن هبولة من سليح بل قال هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان ولم يذكر عوده الى الحيرة فزال هذا الوهم * وسليح بفتح السين المهملة وكسر اللام وآخره حاء مهملة *

(ذكر مقتل حجر أبى امرئ القيس والحروب الحادثة بمقتله الى أن مات امرؤ القيس)

نذكر أولا سبب ملكهم العرب بنجد ونسوق الحادثة الى قتله وما يتصل به فنقول

والحديث والتوطئة وعموا أغراضهم وعزلوا الباشا وأنزلوه من القلعة وتأمر اسمعيل بك وظهر أمره كما كان وتولى الدفتردارية فى سنة سبع وعشرين ومائة وألف بعد انفصاله من امارة الحج ثم عزل عنها واستمر أميرا مسموع الكلمة وافر الحرمة الى أن مات فى سنة اربع وثلاثين ومائة وألف ووقع له مع العرب عدة وقائع وقتل منهم الوفا فلذلك سمى بالجزار ولما مات قلدوا مملوكه ابراهيم أغا الصنجقية عوضا عنه (ومات) الامير الجليل قانصوه بك القاسمى تابع قيطاس بك الكبير الدفتردار الذى كان بقناطر السباع رباه سيده وأرخى لحيته وجعله كتخداه وسافر معه الى سفر الجهاد فى سنة ست وتسعين ومائة وألف فمات سيده بالسفر فقلدوه الامارة والصنجقية بالديار الرومية عوضا عن سيده وحضر الى مصر وتقلد كشوفية بنى سويف خمس مرات وكشوفية البحيرة ثلاث مرات ولما حصلت الفتنة فى أيام خليل باشا كعب الشوم الكوسة سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف كما تقدم غير مرة كان هو أحد الاعيان الرؤساء المشار اليهم من فرقة القاسمية فاجتمعوا وقلدوا المترجم قائمقام وعملوا ديوانهم وجمعيتهم فى بيته حتى انقضت الفتنة ونزل الباشا واستمر هو يتعاطى الاحكام أحدا وتسعين يوما حتى حضر ولى باشا الى مصر فعزل وكف بصره ومكث بمنزله حتى توفى على فراشه سنة سبع وعشرين ومائة وألف وقلدوا امرته وصنجقيته لتابعه الامير ذى الفقار أغا وتزوج بابنته وفتح بيت سيده وأحيا مآثره من كان

كان سفهاء بكر قد غلبوا على عقلائها وغلبوهم على الامر وأكل القوى الضعيف فنظر العقلاء فى أمرهم فرأوا ان يملكوا عليهم ملكا يأخذ للضعيف من القوى فنهاهم العرب وعلموا ان هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم لانه يطيعه قوم ويخالفه آخرون فساروا الى بعض تبابعة اليمن وكانوا للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين وطلبوا منه ان يملك عليهم ملكا فملك عليهم حجر بن عمرو آكل المرار فقدم عليهم ونزل ببطن عاقل واغار ببكر فانتزع عامة ما كان بايدى اللخميين من أرض بكر وبقى كذلك الى ان مات فدفن ببطن عاقل فلما مات صار عمرو بن حجر آكل المرار وهو المقصور ملكا بعد أبيه وانما قيل له المقصور لانه قصر على ملك أبيه وكان أخوه معاوية وهو الجون على اليمامة فلما مات عمرو ملك بعده ابنه الحرث وكان شديد الملك بعيد الصوت فلما ملك قباذ بن فيروز الفرس خرج فى أيامه مزدك فدعا الناس الى الزندقة كما ذكرناه فاجابه قباذ الى ذلك وكان المنذر بن ماء السماء عاملا لاكاسرة على الحيرة ونواحيها فدعاه قباذ الى الدخول معه فامتنع فدعا الحرث بن عمرو الى ذلك فاجابه فاستعمله على الحيرة وطرد المنذر عن مملكته وقيل فى تمليكه غير ذلك وقد ذكرناه أيام قباذ فبقوا كذلك الى ان ملك كسرى انوشروان بن قباذ بعد أبيه فقتل مزدك وأصحابه واعاد المنذر بن ماء السماء الى ولاية الحيرة وطلب الحرث بن عمرو وكان بالانبار وبها منزله فهرب باولاده وماله وهجائنه وتبعه المنذر بالخيل من تغلب واياد وبهراء فلحق بارض كلب فنجا وانتهبوا ماله وهجائنه وأخذت تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بنى آكل المرار فيهم عمرو ومالك ابنا الحرث فقدموا بهم على المنذر فقتلهم فى ديار بنى مرينا وفيهم يقول عمرو ابن كلثوم

فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينا

وفيهم يقول امرئ القيس

ملوك من بنى حجر بن عمرو * يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة أصيبوا * ولكن فى ديار بنى مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل * ولكن فى الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم * وتنتزع الحواجب والعيونا

واقام الحرث بديار كلب فتزعم كلب انهم قتلوه وعلماء كندة تزعم انه خرج يتصيد فتبع تيسا من الظباء فاعجزه فاقسم ان لا يأكل شيأ الا من كبده فطلبته الخيل فأتى به بعد ثلاثة وقد كاد يهلك جوعا فشوى له بطنه فاكل فلذة من كبده حارة فمات ولما كان الحرث بالحيرة أتاه اشراف عدة قبائل من نزار فقالوا انا فى طاعتك وقد وقع بيننا من الشر والقتل ما تعلم ونخاف الفناء فوجه معنا بنيك ينزلون فينا فيكفون بعضنا عن بعض ففرق أولاده فى قبائل العرب فملك ابنه حجرا على بنى اسد بن خزيمة وغطفان وملك ابنه شرحبيل وهو الذى قتل يوم الكلاب على بكر بن وائل باسرها وعلى غيرها

بعده (ومات) الامير اسمعيل بك المنفصل من كتخدائية الجاويشية وأصله جلبي ابن كتخدا ابرى بك وهو من اشراقات اسمعيل بك ابن ايواظ قلده الصنجقية سنة ثمان وعشرين ومائة وألف وتولى الدفتردارية سنة احدى وثلاثين ومائة وألف واستمر فيها سنتين وخمسة أشهر وقتله رجب باشا هو واسمعيل أغا كتخدا الجاويشية فى وقت واحد عندما دبروا على قتل اسمعيل بك ابن ايواظ وهو راجع من الحج فاحتجوا بالعرب وأرسلوا ابو يوسف بك الجزار ومحمد بك ابن ايواظ واسمعيل بك ومحمد لمحاربة العرب فلما بعدوا عن مصر طلع المترجم وصحبته اسمعيل أغا كتخدا الجاويشية وكان أصله كتخدا ايواظ بك الكبير فقتلوهما فى سلام ديوان الغورى غدرا باغراء محمد بك جركس وفى ذلك الوقت ظهر جركس وركب حصان اسمعيل بك المذكور ونزل الى بيته وكان قتلهما فى أوائل سنة ثلاث وثلاثين ومائة والف وقتلا ظلما وعدوانا رحمهما الله (ومات) الامير حسين بك المعروف بابى يدك وأصله جرجى الجنس تقلد الامارة والصنجقية سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف وكان مصاهرا لسليمان بك بارم ذيله وكان متزوجا بابنته وكان معدودا من الفرسان والشجعان الا أنه كان قليل المال ولما قتل قيطاس بك الفقارى وهرب محمد بك تابعه المعروف بقطامش الى الديار الرومية اختفى المترجم بمصر وذلك فى سنة سبع وعشرين ومائة وألف بعد ما أقام فى الامارة أربعة وعشرين سنة ثم ظهر مع من ظهر فى الفتنة التى حصلت

بين محمد بك جركس وبين اسمعيل بك ابن ايواظ وكان المترجم من أغراض جركس فلما هرب جركس هرب هو أيضا فلحقه عبد الله بك صهر ابن ايواظ وقتله بالريف ٣٣٢ وقطع رأسه فكان ظهوره سببا لقتله وذلك فى سنة احدى وثلاثين ومائة وألف (ومات) الامير حسين بك أرنؤد المعروف بابى يدك وكان أصله أغات جراكسة ثم تقلد الصنجقية وكشوفيات الاقاليم مرارا عديدة وسافر الى الروم أميرا على النفر فى سنة أربع وعشرين ومائة وألف فلما رجع فى سنة تسع وعشرين ومائة وألف استعفى من الصنجقية وسافر الى الحجاز وجاور بالمدينة المنورة فكانت مدة امارته ثلاثا وعشرين سنة واستمر مجاورا بالمدينة أربع سنوات ومات هنالك سنة أربع وثلاثين ومائة وألف ودفن بالبقيع (ومات) الامير يوسف بك المسلمانى وكان أصله اسرائيليا وأسلم وحسن اسلامه ولبس أغات جراكسة ثم تقلد كتخدا الجاويشية وانفصل عنها وتقلد الصنجقية سنة سبع ومائة وألف وتلبس كشوفية المنوفية ثم امارة جدة ومشيخة الحرم وجاور بالحجاز عامين ثم رجع وسافر بالعسكر الى الروم ورجع سالما وأخذ جمرك دمياط وذهب اليها وأقام بها الى أن مات سنة عشرين ومائة وألف وأقام فى الصنجقية اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر وترك ولدا يسمى محمد كتخدا عزبان (ومات) الامير حمزة بك تابع يوسف بك جلب القرد تقلد الامارة عوضا عن سيده سنة عشرة ومائة وألف ثم سافر بالخزينة ومات بالطريق سنة ست عشرة ومائة وألف

وملك ابنه معد يكرب وهو غلفاء وانما قيل له غلفاء لانه كان يغلف رأسه بالطيب على قيس عيلان وطوائف غيرهم وملك ابنه سلمة على تغلب والنمر بن قاسط وبنى سعد بن زيد مناة من تميم فبقى حجر فى بنى اسد وله عليهم جائزة واتاوة كل سنة لما يحتاج اليه فبقى كذلك دهرا ثم بعث اليهم من يجبى ذلك منهم وكانوا بتهامة وطردوا رسله وضربوهم فبلغ ذلك حجرا فسار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة فأتاهم فأخذ سرواتهم وخيارهم وجعل يقتلهم بالعصا وأباح الاموال وسيرهم الى تهامة وحبس منهم جماعة من أشرافهم منهم عبيد بن الابرص الشاعر فقال شعرا يستعطفه لهم فرق لهم وارسل من يردهم فلما صاروا على يوم منه تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الاسدى فقال لهم من الملك الصلهب * الغلاب غير المغلب فى الابل كانها الربرب هذا دمه يثعب وهو غدا أول من يستلب قالوا ومن هو قال لولا تجيش نفس خاشيه لاخبرتكم انه حجر ضاحيه فركبوا كل صعب وذلول حتى بلغوا الى عسكر حجر فهجموا عليه فى قبته فقتلوه طعنه علباء بن الحرث الكاهلى فقتله وكان حجر قتل أباه فلما قتل قالت بنو أسد يا معشر كنانة وقيس أنتم اخواننا وبنو عمنا والرجل بعيد النسب منا ومنكم وقد رأيتم سيرته وما كان يصنع بكم هو وقومه فانتهبوهم فشدوا على هجائنه فانتهبوها ولفوه فى ريطة بيضاء والقوه على الطريق فلما رأته قيس وكنانة انتهبوا اسلابه واجار عمرو بن مسعود عياله وقيل ان حجرا لما رأى اجتماع بنى أسد عليه خافهم فاستجار عوير بن شجنة احد بنى عطارد بن كعب بن زيد مناة بن تميم لابنته هند بنت حجر وعياله وقال لبنى اسد ان كان هذا شأنكم فانى مرتحل عنكم ومخليكم وشأنكم فوادعوه على ذلك وسار عنهم واقام فى قومه مدة ثم جمع لهم جمعا عظيما واقبل اليهم مدلا بمن معه فتآمرت بنو اسد وقالوا والله لئن قهركم ليحكمن عليكم حكم الصبى فما خير العيش حينئذ وتموتوا كراما فاجتمعوا وساروا الى حجر فلقوه فاقتتلوا قتالا شديدا وكان صاحب امرهم علباء بن الحرث فحمل على حجر فطعنه فقتله وانهزمت كندة ومن معهم وأسر بنو أسد من أهل بيت حجر وغنموا حتى ملؤا ايديهم من الغنائم وأخذوا جواريه ونساءه وما معهم فاقتسموه بينهم وقيل ان حجرا أخذ أسيرا فى المعركة وجعل فى قبة فوثب عليه ابن أخت علباء فضربه بحديدة كانت معه لان حجرا كان قتل اباه فلم يجهز عليه فاوصى حجر ودفع كتابه الى رجل وقال له انطلق الى ابنى نافع وكان أكبر أولاده فان بكى وجزع فاتركه واستقرهم واحدا واحدا حتى تاتى امرأ القيس وكان أصغرهم فايهم لم يجزع فادفع اليه خيلى وسلاحى ووصيتى وقد كان بين فى وصيته من قتله وكيف كان خبره فانطلق الرجل بوصيته الى ابنه نافع فوضع التراب على رأسه ثم أتاهم كلهم ففعلوا مثله حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلعب معه بالنرد فقال قتل حجر فلم يلتفت الى قوله وامسك

نديمه

(ومات) الامير محمد بك الكبير الفقاري تقلد الامارة بعد سيده سنة سبع عشرة ومائة وألف وتولى امارة جرجا وحكم الصعيد مرتين وكان من أخصاء أيوب بك المتقدم ذكرهما في الواقعة الكبيرة وأرسل اليه

أيوب بك يستنصر به فاجاب دعوته وحضر الى مصر ومعه الجم الغفير من العربان والهوارة والمغاربة وأجناس البوادي وحارب وقاتل داخل المدينة وخارجها كما تقدم ذكر ذلك غير مرة وكان بطلا هماما وأسدا ضرغاما ولم يزل حتى هرب مع ايواظ بك الى بلاد الروم فقلدوه الباشوية وعين في سفر الجهاد ومات سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف *(ومات)* الامير مصطفى بك المعروف بالشريف وهو ابن الامير ايواظ بك الجرجي مملوك حسن أغا وكان والده ايواظ بك المذكور تولى أغاوية العزب سنة سبعين وألف وتزوج ببنت النقيب برهان الدين أفندي فولد له منها المترجم فلذلك عرف بالشريف وتقلد والده كتخدا الجاويشية سنة تسع وسبعين وألف ثم عزل عنها وتقلد الصنجقية سنة احدى وثمانين وألف وتولى كشوفية الغربية وتقلد قائمقام مصر وعزل ولم يزل أميرا حتى مات على فراشه وترك ولده هذا المترجم وكان سنه حين مات والده اثنتي عشرة سنة فرباه ريحان أغا تابع والده ثم مات ريحان أغا فعند ذلك اسرف مصطفى جلبي وأتلف أموال أبيه وكانت كثيرة جدا وكان المترجم في وجاق المتفرقة وصار فيهم اختيارا الى أن لبس سردارية المتفرقة في سفر الخزينة

نديمه فقال له امرئ القيس اضرب فضرب حتى اذا فرغ قال ما كنت لافسد دستك ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره فقال له الخمر والنساء على حرام حتى أقتل من بني أسد مائة وأطلق مائة وكان حجر قد طرد امرئ القيس لعدم قوله الشعر وكان يأنف منه * وكانت أم امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحرث أخت كليب بن وائل وكان يسير في احياء العرب يشرب الخمر على الغدران ويتصيد فأتاه خبر قتل أبيه وهو بدمون من أرض اليمن فلما سمع الخبر قال

تطاول الليل علينا دمون * دمون انا معشر يمانون * واننا لقومنا محبون

ثم قال ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا لا صحو اليوم ولا سكر غدا اليوم خمر وغدا أمر فذهبت مثلا ثم ارتحل حتى نزل ببكر وتغلب فسألهم النصر على بني اسد فاجابوه فبعث العيون الى بني أسد فنذروا به فلجؤا الى بني كنانة وعيون امرئ القيس معهم فقال لهم علباء بن الحرث اعلموا ان عيون امرئ القيس قد عادوا اليه بخبركم وانكم عند بني كنانة فارحلوا بليل ولا تعلموا بني كنانة فارتحلوا وأقبل امرئ القيس بمن معه من بكر وتغلب وغيرهم حتى انتهى الى بني كنانة وهو يظنهم بني اسد فوضع السلاح فيهم وقال يالثارات الملك يالثارات الهمام فقيل له أبيت اللعن لسنا لك بثار نحن بنو كنانة فدونك ثارك فاطلبهم فان القوم قد ساروا بالامس فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم فقال في ذلك

الا يا لهف هند اثر قوم * هموا كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببني أبيهم * وبالاشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضا * ولو أدركنه صفر الوطاب

يعني ببني أبيهم كنانة فان أسدا وكنانة ابني خزيمة هما اخوان وقوله ولو أدركنه صفر الوطاب قيل كانوا قتلوه واستاقوا ابله فصفرت وطابه من اللبن اى خلت وقيل كانوا قتلوه لخلا جلده وهو وطابه من دمه بقتله فسار امرئ القيس في آثار بني أسد فادركهم ظهرا وقد تقطعت خيله وهلكوا عطشا وبنو اسد نازلون على الماء فقاتلهم حتى كثرت القتلى بينهم وهربت بنو أسد فلما أصبحت بكر وتغلب ابوا ان يتبعوهم وقالوا قد أصبت ثارك فقال لا والله فقالوا بلى ولكنك رجل مشؤم وكرهوا قتالهم بني كنانة فانصرفوا عنه ومضى الى ازدشنوأة يستنصرهم فابوا ان ينصروه وقالوا انهم اخواننا وجيراننا فسار عنهم ونزل بقيل يدعى مرثد الخير بن ذي جدن الحميري وكان بينهما قرابة فاستنصره على بني أسد فامده بخمسمائة رجل من حمير ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس وملك بعده رجل من حمير يقال له قرمل فزود امرئ القيس ثم سير معه ذلك الجيش وتبعه شذاذ من العرب واستأجر غيرهم من قبائل اليمن فسار بهم الى بني أسد وظفر بهم ثم ان المنذر طلب امرئ القيس ولج في طلبه ووجه الجيوش اليه فلم يكن لامرئ القيس بهم طاقة وتفرق عنه من كان معه من حمير وغيرهم فنجا في جماعة

سنة تسع ومائة وألف فمات صنجق الخزينة درويش بك الفلاح في السفر بالروم فلبس صنجقية المذكور حكم القانون ورجع الى مصر أميرا واستمر في امارته حتى مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف وكان قليل المال

(ومات) الامير أحمد بك الدالي تابع الامير ابواظ بك الكبير القاسمي تقلد الصنجقية يوم الخميس سابع جمادى الاولى سنة سبع وعشرين ومائة وألف ولبس في يومها قفطان الامارة على العسكر المسافر الى بلاد مورة بالروم عوضا عن خشداشه يوسف بك الجزار وسافر بعد ستين يوما ومات هنالك وتقلد عوضه مملوكه علي بك ورجع الى مصر صنجقا وهو علي بك المعروف بالهندي *(ومات)* كل من الامير حسين كتخدا الينكجرية المعروف بحسين الشريف وابراهيم باش أوده باشا المعروف بكذلك وذلك انه لما قتل قيطاس بك الفقاري بقراميدان على يد عابدي باشا في شهر رجب سنة سبع وعشرين ومائة وألف وثارت بعد ذلك الفتنة بين باب الينكجرية والعزب وذلك ان حسن كتخدا الجلفي وناصف كتخدا وكور عبد الله كانوا من عصبة قيطاس بك فلما قتل خافوا على أنفسهم فملكوا باب مستحفظان على حين غفلة وقتلوا المذكورين وكانوا يتهمونهما بانهما تسببا في قتل قيطاس بك *(ومات)* أيضا كل من الامير حسن كتخدا الجلفي وناصف كتخدا القازدغلي وكور عبد الله وذلك انه لما ملك قابي المذكورون الباب وقتلوا حسين كتخدا الشريف وابراهيم الباش كما تقدم وذلك في أواخر رجب وسكن الحال انتدب محمد

من أهله ونزل بالحرث بن شهاب اليربوعي وهو أبو عتيبة بن الحرث فارسل اليه المنذر يتوعده بالقتال ان لم يسلمهم اليه فسلمهم ونجا امرئ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحرث وابنته هند عمة امرئ القيس وادراعه وسلاحه وماله فخرج ونزل على سعد بن الضباب الايادي سيد قومه فاجاره ومدحه امرئ القيس ثم تحول عنه ونزل على المعلى بن تيم الطائي فاقام عنده واتخذ ابلا هناك فعدا قوم من جديلة يقال لهم بنو زيد عليها فاخذوها فاعطاه بنو نبهان معزى يحلبها فقال

اذا ما لم يكن ابل فمعزى * كأن قرون جلتها العصى

الابيات ثم رحل عنهم ونزل بعامر بن جوين فاراد ان يغلب أمرئ القيس على ماله وأهله فعلم امرئ القيس بذلك فانتقل الى رجل من بني ثعل يقال له حارثة بن مر فاستجاره فاجاره فوقعت بين عامر بن جوين والثعلي حرب وكانت أمور كبيرة فلما رأى امرئ القيس ان الحرب قد وقعت بين طيء بسببه خرج من عندهم فقصد السموأل بن عادياء اليهودي فاكرمه وأنزله فأقام عنده امرئ القيس ما شاء الله ثم طلب منه ان يكتب له الى الحرث ابن أبي شمر الغساني ليوصله الى قيصر ففعل ذلك وسار الى الحرث وأودع أهله وادراعه عند السموأل فلما وصل الى قيصر أكرمه فبلغ ذلك بني أسد فأرسلوا رجلا منهم يقال له الطماح كان امرئ القيس قتل أخاله فوصل الاسدي وقد سير قيصر مع امرئ القيس جيشا كثيفا فيهم جماعة من أبناء الملوك فلما سار امرئ القيس قال الطماح لقيصر ان امرئ القيس غوي عاهر وقد ذكر انه كان يراسل ابنتك ويواصلها وقال فيها اشعارا أشهرها بها في العرب فبعث اليه قيصر بحلة وشي منسوجة بالذهب مسمومة وكتب اليه اني أرسلت اليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك فالبسها واكتب الى بخبرك من منزل منزل فلبسها امرئ القيس وسر بذلك فاسرع فيه السم وسقط جلده ولذلك سمي ذا القروح فقال امرئ القيس في ذلك

لقد طمح الطماح من نحو أرضه * ليلبسني مما يلبس أبؤسا

فلو انها نفس تموت سوية * ولكنها نفس تساقط أنفسا

فلما وصل الى موضع من بلاد الروم يقال له أنقرة احتضر بها فقال رب خطبة مسحنفرة وطعنة مثعنجرة وجفنة متحيرة حلت بأرض أنقرة ورأى قبر امرأة من بنات ملوك الروم وقد دفنت بجنب عسيب وهو جبل فقال

أجارتنا ان الخطوب تنوب * واني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا انا غريبان ها هنا * وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات فدفن الى جنب المرأة فقبره هنالك ولما مات امرئ القيس سار الحرث بن أبي شمر الغساني الى السموأل بن عادياء وطالبه بادراع امرئ القيس وكانت مائة درع وبماله عنده فلم يعطه فأخذ الحرث ابنا للسموأل فقال اما ان تسلم الادراع واما قتلت ابنك

كتخدا كدك لاخذ ثار أخيه وملك الباب على حين غفلة وذلك ليلة الثلاثاء ثالث عشري رمضان وتعصب معه طائفة من أهل بابه وطائفة من باب العزب وقتل فى تلك الليلة حسن كتخدا الجدلى وناصف كتخدا وأنزلوهما الى بيوتهما فى صبح تلك الليلة فى توابيت وهرب كور عبد الله فقبض عليه محمد بك جركس بعد ستة أيام وحضر به وهو راكب على الحصان وفى عنقه الحديد ومغطى الرأس وطلع به الى عابدى باشا فلما مثل بين يديه سبه ووبخه وأمره بأخذه الى بابه فامر محمد كتخدا كدك بحبسه بالقلعة وقتل فى ذلك اليوم وأنزلوه الى بيته بسوق السلاح (ومات) أيضا محمد كتخدا كدك المذكور فانه اشتهر صيته بعد هذه الحوادث ونفذت كلمته ببابه ولم يزل حتى مات على فراشه فى شهر القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف (ومات) الامير أحمد بك المسلمانى ويعرف أيضا باسكى نازى وكان أصله كاتب جراكسة وكان يسمى باحمد افندى ثم عمل باش اختيار جراكسة وحصل له عز عظيم وثروة وكثرة مال وكان أغنى الناس فى زمانه وكان بينه وبين اسمعيل بك ابن ايواظ وحشة وكان ابن ايواظ يكرهه ويريد قتله فالتجأ الى محمد بك جركس فلما هرب جركس فى المرة الاولى اختفى أحمد أفندى المترجم وبيعت بلاده وتاته فلما ظهر جركس ثانيا ظهر أحمد أفندى وعمل صنجقا سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف وصار صنجقا فقيرا ثم ورد مرسوم بان يتوجه المترجم الى مكة لاجراء الصلح بين الاشراف فتوجه ومكث هناك سنة ثم رجع الى مصر ومكث بها مدة الى سنة ست وثلاثين فأرسلوا

فأبى السموأل ان يسلم اليه شيأ فقتل ابنه فقال السموأل فى ذلك

وفيت بأدرع الكندى انى * اذا ما ذم أقوام وفيت
وأوصى عاديا يوما بأن لا * تهدم ياسموأل ما بنيت
بنى لى عاديا حصنا حصينا * وماء كلما شئت استقيت

وقد ذكر الاعشى هذه الحادثة فقال

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به * فى جحفل كسواد الليل جرار
اذ سامه خطتى خسف فقال له * قل ما تشاء فانى سامع حار
فقال غدر وثكل أنت بينهما * فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له * اقتل أسيرك انى مانع جارى

وهى أكثر من هذا

* (يوم خزاز) *

وكان من حديثه أن ملكا من ملوك اليمن كان فى يديه أسارى من مضر وربيعة وقضاعة فوفد عليه وفد من وجوه بنى معد منهم سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة وعوف بن محلم ابن ذهل بن شيبان وعوف بن عمرو بن جشم بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان وجشم بن ذهل بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان فلقيهم رجل من بهراء يقال له عبيد بن قراد وكان فى الاسارى وكان شاعرا فسألهم ان يدخلوه فى عدة من يسألون فيه فكلموا الملك فيه وفى الاسارى فوهبهم لهم فقال عبيد بن قراد البهراوى

بنفسى الفداء لعوف الفعال * وعوف ولابن هلال جشم
تداركنى بعد ما قد هويت * مستمسكا بعرا فى الوذم
ولولا سدوس وقد شمرت * بى الحرب زلت بنعلى القدم
وناديت بهراء كى يسمعوا * وليس بآذانهم من صمم
ومن قبلها عصمت قاسطا * معدا اذا ما عزيز أزم

فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهينة وقال للباقين ائتونى برؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لى والا قتلت أصحابكم فرجعوا الى قومهم فأخبروهم الخبر فبعث كليب وائل الى ربيعة فجمعهم واجتمعت عليه معد وهو احد النفر الذين اجتمعت عليهم معد على ما نذكره فى مقتل كليب فلما اجتمعوا عليه سار بهم وجعل على مقدمته السفاح التغلبى وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن تغلب وأمرهم أن يوقدوا على خزاز نارا ليهتدوا بها وخزاز جبل بطخفة ما بين البصرة الى مكة وهو قريب من سالع وهو جبل أيضا وقال له ان غشيك العدو فاوقد نارين فبلغ مذحجا اجتماع ربيعة ومسيرها فاقبلوا بجموعهم واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن وساروا اليهم فلما سمع أهل تهامة بمسير مذحج انضموا الى ربيعة

الى ولايه جرجا ليشهل غلال الميرى وكان ذلك حيلة عليه فلما توجه الى جرجا أرسل محمد باشا فرمانا الى سليمان كاشف خفية بقتله فذهب سليمان كاشف ليسلم عليه فغمز عليه بعض أتباعه فضربوه وقتلوه عند العرصة وقطعوا رأسه فى حادى عشرى شهر القعدة سنة ست وثلاثين ومائة وألف *(ومات)* الامير على كتخدا المعروف بالداوديه مستحفظان وكان من أعيان باب الينكجرية وأصحاب الكلمة مع مشاركة مصطفى كتخدا الشريف وكان من الاعيان المعدودين بمصر ولم يزل نافذ الكلمة وافر الحرمة الى أن مات على فراشه فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف *(ومات)* الامير ابراهيم أفندى كاتب كبير الشهير بشهراوغلان مستحفظان وكان أيضا من الاعيان المشهورين ببابهم مع مشاركة عثمان كتخدا الجرجى تابع شاهين جربجى وانفرد معه بالكلمة بعد مصطفى كتخدا الشريف ورجب كتخدا بشناق لما أخرجهما اسمعيل بك ابن ايواظ الى الكشيدة كما تقدم الاشارة الى ذلك فلما قتل اسمعيل بك رجع مصطفى كتخدا الشريف ورجب كتخدا ثانيا الى الباب وانحطت كلمة المترجم وعثمان كتخدا ثم عزل ابراهيم أفندى المذكور الى دمياط وأهين ومكث هنالك أشهرا ثم أحضروه وجعلوه سردار جداوى وتوجه مع الحج ومات هنالك فى سنة سبع وثلاثين ومائة وألف (ومات) الامير النبيه الفطن الذكى حسن أفندى الروزنامجى الدمرداشى وكان باش قلفة الروزنامجه فلما حضر اسمعيل باشا واليا

ووصلت مذحج الى خزازيلا فرفع السفاح نارين فلما رأى كليب النارين أقبل اليهم بالجموع فصبحهم فالتقوا بخزازى فتقاتلوا قتالا شديدا أكثروا فيه القتل فانهزمت مذحج وانفضت جموعها فقال السفاح فى ذلك

وليلة بت أوقد فى خزاز * هديت كتائبا متحيرات
ضلان من السهاد وكن لولا * سهاد القوم أحسب هاديات

وقال الفرزدق يخاطب جريرا ويهجوه

لولا فوارس تغلب ابنة وائل * دخل العدو عليك كل مكان
ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا * نارين أشرفتا على النيران

وقيل انه لم يعلم أحد من كان الرئيس يوم خزاز لان عمرو بن كلثوم وهو ابن ابنة كليب يقول

ونحن غداة أوقد فى خزاز * رفدنا فوق رفد الرافدينا

فلو كان جده الرئيس لذكره ولم يقتصر بانه رفد ثم جعل من شهد خزازا متساندين فقال

فكنا الايمنين اذا التقينا * وكان الايسرين بنو أبينا
فصالوا صولة فيمن يليهم * وصلنا صولة فيمن يلينا

فقالوا لذا استأثرت على اخوتك يعنى مضر ولما ذكر جده فى القصيدة قال

ومنا قبله الساعى كليب * فأى المجد الا قد ولينا

فلم يدع له الرياسة يوم خزاز وهى أشرف ما كان يفتخر به (حبيب بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره باء أخرى موحدة)

(ذكر مقتل كليب والايام بين بكر وتغلب)

وكان من حديث الحرب التى وقعت بين بكر وتغلب ابنى وائل بن هنب بن افصى بن دعمى ابن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بسبب قتل كليب واسمه وائل ابن ربيعة بن الحرث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وانما لقب كليبا لانه كان اذا سار اخذ معه جرو كلب فاذا مر بروضة او موضع يعجبه ضربه ثم القاه فى ذلك المكان وهو يصيح ويعوى فلا يسمع عواءه احد الا تجنبه ولم يقربه وكان يقال كليب وائل ثم اختصروا فقالوا كليب فغلب عليه وكان لواء ربيعة بن نزار للاكبر فالاكبر من ولده فكان اللواء فى عنزة بن اسد بن ربيعة وكان سنتهم انهم يوفرون لحاهم ويقصون شواربهم فلا يفعل ذلك من ربيعة الا من يخالفهم ويريد حربهم ثم تحول اللواء فى عبد القيس بن افصى بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار وكانت سنتهم اذا شتموا والحموا من شتمهم واذا لطموا قتلوا من لطمهم ثم تحول اللواء فى النمر بن قاسط ابن هنب وكان لهم غير سنة من تقدمهم ثم تحول اللواء الى بكر بن وائل فساؤا غيرهم فى فرخ طائر كانوا يوقون الفرخ بقارعة الطريق فاذا لم يمكنه لم يسلك احد ذلك

الطريق

على مصر في سنة ست ومائة وألف وكانت سنة تداخل فتكلم الباشا مع ابراهيم بك أبي شنب في كسر الخزينة وعرض عليه المرسوم السلطاني بتعويض كسر الخزينة من أشغال العشرين ألف عثماني التي كانت عليهم

(بياض بجميع نسخ الاصل)

شراقي السلطان محمد بأي وجه كان اما بالشطب عليها واما رجوع التنازيل من ايام السلطان سليم واما مضاف على المقاطعات وقال له كيف يكون العمل في ذلك فقال له ابراهيم بك لا يحسنه الا حسن افندي باش قلفة الروزنامه فان الروزنامجي الآن كاتب ترزيع فلا يدري في ذلك فطلب الباشا المترجم وخلع عليه منصب الروزنامة قهرا عنه وامره بالتوجه الى ابراهيم بك وكان اذ ذاك قائمقامه ليعرفه المطلوب فذهب اليه وعرفه بالمراد فدبر ذلك على اتم وجه واحسنه بعد ان عملوا جمعية في بيت حسن اغا بلغيه وكان له ميل للعلوم والمعارف وخصوصا الرياضيات والفلكيات ويوسف الكلارجي الفلكي الماهر هو تابع المذكور ومملوكه وقرأ على رضوان افندي صاحب الازياج والمعارف وكان كثير العناية برضوان افندي المذكور ورسم باسمه عدة آلات وكرات من نحاس مطلية بالذهب واحضر المتقنين من ارباب الصنائع صنعوا له ما اراد بمباشرة وارشاد رضوان افندي وصرف على ذلك اموالا عظيمة وباقي اثر ذلك الى اليوم بمصر وغيرها ونقش عليها اسمه واسم رضوان افندي وذلك سنة ثلاث عشرة ومائة والف وقبل ذلك وبعدها ولم يزل في سيادته حتى توفي (ومات) الامير

الطريق ويسلك من يريد الذهاب والمجيء عن يمينه ويساره ثم تحول اللواء الى تغلب فوليه وائل ابن ربيعة وكانت سنته ماذكرناه من جر والكلاب ولم يجتمع معد الا على ثلاثة نفر وهم عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحرث وهو عدوان بن عمرو بن قيس عيلان وهو الناس ابن مضر بالنون وهو أخو الياس بن مضر وكان قائد معد حين تمذحجت مذحج وسارت الى تهامة وهي أول وقعة كانت بين تهامة واليمن والثاني ربيعة بن الحرث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كلب وكان قائد معد يوم السلان بين أهل اليمامة واليمن والثالث وائل بن ربيعة وكان قائد معد يوم خزاز ففض جموع اليمن وهزمهم وجعلت له معد قسم الملك وتاجه وطاعته وبقي زمانا من الدهر ثم دخله زهو وشديد وبغى على قومه حتى بلغ من بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه وكان يقول وحش أرض كذا في جواري فلا يصاد ولا يورد أحد مع ابله ولا يوقد نار مع ناره ولا يمر أحد بين بيوته ولا يحتبي في مجالسه وكانت بنو جشم وبنو شيبان اخلاطا في دار واحدة ارادة الجماعة ومخافة الفرقة وتزوج كليب جليلة بنت مرة بن شيبان بن ثعلبة وهي أخت جساس بن مرة وحمى كليب أرضا من العالية في أول الربيع وكان لا يقربها الا محارب ثم ان رجلا يقال له سعد بن شمس بن طوق الجرمي نزل بالبسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة وكان للجرمي ناقة اسمها سراب ترعى مع نوق جساس وهما اللتان ضربت العرب بهما المثل فقالت اشأم من سراب واشأم من البسوس فخرج كليب يوما يتعهد الابل ومراعيها فاتاها وتردد فيها وكانت ابله وابل جساس مختلطة فنظر كليب الى سراب فانكرها فقال له جساس وهو معه هذه ناقة جارنا الجرمي فقال لا تعد هذه الناقة الى هذا الحمى فقال جساس لا ترعى ابلي مرعى الا وهذه معها فقال كليب لئن عادت لاضعن سهمي في ضرعها فقال جساس لئن وضعت سهمك في ضرعها لاضعن سنان رمحي في لبتك ثم تفرقا وقال كليب لامرأته أترين أن في العرب رجلا مانعا مني جاره قالت لا أعلمه الا جساسا فحدثها الحديث وكان بعد ذلك اذا أراد الخروج الى الحمى منعته وناشدته الله ان يقطع رحمه وكانت تنهى أخاها جساسا ان يسرح ابله فيها ثم ان كليبا خرج الى الحمى وجعل يتصفح الابل فرأى ناقة الجرمي فرمى ضرعها فانفذه فولت ولها عجيج حتى بركت بفناء صاحبها فلما رأى ما بها صرخ بالذل وسمعت البسوس صراخ جارها فخرجت اليه فلما رأت ما بناقته وضعت يدها على رأسها ثم صاحت واذلاه وجساس يراها ويسمع فخرج اليها فقال لها اسكتي ولا تراعي وسكن الجرمي وقال لهما اني سأقتل جملا أعظم من هذه الناقة سأقتل غلالا وكان غلال فحل ابل كليب لم ير في زمانه مثله وانما اراد جساس بمقالته كليبا وكان لكليب عين يسمع ما يقولون فاعاد الكلام على كليب فقال لقد اقتصر من يمينه على غلال ولم يزل جساس يطلب غرة كليب فخرج كليب يوما

مصطفى بك القزلار المعروف بالخطاط تابع يوسف اغا القزلار دار السعادة تولى الامارة والصنجقية في سنة اربع وتسعين
والف وتقلد قائمقامية بعد عزل اسمعيل باشا وذلك سنة تسع ومائة والف قهرا عنه وتقلد مناصب
عديدة مثل كشوفية جرجا
وغيرها ثم تقلد الدفتردارية
سنة ثلاث وثلاثين فكان بين
لبسه الدفتردارية والقائمقامية
اربع وعشرون سنة وبعد
عزله من الدفتردارية مكث
في منزله صنجقا بطالا الى ان
توفي سنة اثنتين واربعين
ومائة والف * (ومات) *
الامير المعظم والملاذ المفخم
الامير اسمعيل بك ابن الامير
الكبير ايواظ بك القاسمى
من بيت العز والسيادة والامارة
نشا في حجر والده في صيانة
ورفاهية وكان جميل الذات
والصفات وتقلد الامارة
والصنجقية بعد موت والده
الشهيد في الفتنة الكبيرة كما
تقدم وكان لها اهلا ومحلا
وكان عمره اذذاك ست عشرة
سنة وندب عداره وعمته
الفداء قيطة بك فانه لما
اصيب والده في المعركة بالرملة
تجاه الروضة وقتل في ذلك
اليوم من الغز والاجناد
خاصة نحو السبعمائة ودفن
والده فلما اصبحوا ركب
يوسف الجزار تابع ايواظ
بك واحمد كاشف واخذوا
معهم المترجم وذهبوا الى
بيت قانصوه بك قائمقام
فوجدوا عنده ابراهيم بك
اباشنب واحمد بك تابعه وقيطاس بك القنارى وعثمان بك بارم ذيله ومحمد بك قطامش وهم
جلوس وعليهم الكآبة والحزن وصاروا مثل الغنم بلا راع متحيرين في امرهم وما يؤول اليه حالهم فلما استقر بهم الجلوس

آمنا فلما بعد عن البيوت ركب جساس فرسه وأخذ رمحه وأدرك كليبا فوقف كليب فقال له جساس يا كليب الرمح وراءك فقال ان كنت صادقا فاقبل الى من أمامي ولم يلتفت اليه فطعنه فارداه عن فرسه فقال يا جساس أغثني بشربة من ماء فلم يأته بشئ وقضى كليب نحبه فامر جساس رجلا كان معه اسمه عمرو بن الحرث بن ذهل بن شيبان فجعل عليه أحجار الثلاثة لئلا تأكله السباع وفي ذلك يقول مهلهل بن ربيعة أخو كليب

قتيل ما قتيل المرء عمرو * وجساس بن مرة ذي صريم
أصاب فؤاده بأصم لدن * فلم يعطف هنالك على حميم
فان غدا وبعد غد لرهن * لامر ما يقام له عظيم
جسيما ما بكيت به كليبا * اذا ذكر الفعال من الجسيم
سأشرب كأسها صرفا وأسقي * بكأس غير منطقة مليم

ولما قتل جساس كليبا انصرف على فرسه يركضه وقد بدت ركبتاه فلما نظر أبوه مرة الى ذلك قال لقد أتاكم جساس بداهية ما رأيته قط بادي الركبتين الى اليوم فلما وقف على أبيه قال مالك يا جساس قال طعنت طعنة يجتمع بنو وائل غدا لها رقصا قال ومن طعنت لأمك الثكل قال قتلت كليبا قال أفعلت قال نعم قال بئس والله ما جئت به قومك فقال جساس

تأهب عنك أهبة ذي امتناع * فان الامر جل عن التلاحي
فاني قد جنيت عليك حربا * تغص الشيخ بالماء القراح

فلما سمع أبوه قوله خاف خذلان قومه لما كان من لائمته اياه فقال يجيبه

فان تك قد جنيت على حربا * تغص الشيخ بالماء القراح
جمعت بها يديك على كليب * فلا وكل ولا رث السلاح
سألبس ثوبها وأذود عني * بها عار المذلة والفضاح

ثم ان مرة دعا قومه الى نصرته فأجابوه وجلوا الاسنة وشحذوا السيوف وقوموا الرماح وتهيؤا للرحلة الى جماعة قومهم وكان همام بن مرة أخو جساس ومهلهل أخو كليب في ذلك الوقت يشربان فبعث جساس الى همام جارية لهم تخبره الخبر فانتهت اليهما وأشارت الى همام فقام اليها فاخبرته فقال له مهلهل ما قالت لك الجارية وكان بينهما عهد أن لا يكتم أحدهما صاحبه شيأ فذكر له ما قالت الجارية وأحب ان يعلمه ذلك في مداعبة وهزل فقال له مهلهل استُ أخيك أضيق من ذلك فاقبلا على شربهما فقال له مهلهل اشرب فاليوم خمر وغدا أمر فشرب همام وهو حذر خائف فلما سكر مهلهل عاد همام الى أهله فساروا من ساعتهم الى جماعة قومهم وظهر أمر كليب فذهبوا اليه فدفنوه فلما دفن شقت الجيوب وخمشت الوجوه وخرجت الابكار وذوات الخدور والعواتق اليه وقمن للمأتم فقال النساء لاخت كليب أخرجي جليلة أخت جساس

عنا

نظر يوسف الجزار الى قيطاس بك فرآه يبكي فقال له لاى شئ تبكي هذه القضية ليس لنا فيها ذنب ولا علاقة واصل الدعوى فيكم معشر الفقارية والآن انجرحنا وقتل منا واحد وخلف مالاً ورجالاً قلدوني الصنجقية وامير الحاج وسر عسكر وكذلك قلدوا ابن سيدي هذا صنجقية والده فيكون عوضا عنه ويفتح بيته واعطونا فرمانا وحجة من الذي جعلتموه نائب شرع بالمسافة من الحلوان ونحن نصرف الحلوان على المقاتلين والله يعطي النصر لمن يشاء ففعلوا ذلك ورجع يوسف بك وصحبته اسمعيل بك ومن معهم الى بيت المرحوم ايواظ بك وقضوا اشغالهم ورتبوا امورهم وركبوا في صبحها الى باب العزب واخذوا معهم الاموال فانفقوا في الست بلكات وغيرهم من المقاتلين ونظموا احوالهم في الثلاثة ايام الهدنة التي كانوا اتفقوا على رفع الحرب فيها بعد موت ايواظ بك وكان الفاعل لذلك أيوب بك وقصده حتى يرتب أموره في الثلاثة أيام ثم يركب على بيت قانصوه بك ويهجم على من فيه ولو فعل ذلك في اليوم الذي قتل فيه ايواظ بك لتم له الامر ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا ولم يرد الله لهم بذلك وأخذوا في الجد والاجتهاد وبرزوا للحرب في داخل المدينة وخارجها وعملوا المكايد ونصبوا شباك المصايد وأنفقوا الاموال ونقبوا النقوب حتى نصرهم الله على الفرقة الاخرى وهم أيوب بك ومحمد بك الصعيدي وافرنج أحمد وباب الينكجرية ومن تبعهم وقتل من قتل وفر من فر ونهبت دورهم وشردوا في البلاد وتشتتوا في البلاد البعيدة كما ذكر

منا فان قيامها فيه شماتة وعار علينا وكانت امرأة كليب كما ذكرنا فقالت لها أخت كليب اخرجي عن مأتمنا فانت أخت قاتلنا وشقيقته وأثرنا فخرجت تجر عطافها فلقيها أبوها مرة فقال لها ما وراءك يا جليلة فقالت ثكل العدد وحزن الابد وفقد خليل وقتل أخ عن قليل وبين هذين غرس الاحقاد وتفتت الاكباد فقال لها أو يكف ذلك كرم الصفح واغلاء الديات فقالت أمنية مخدوع ورب الكعبة بالبدن تدع لك تغلب دم ربها ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب رحلة المعتدي وفراق الشامت ويل غدا لآل مرة من الكرة بعد الكرة فبلغ قولها جليلة فقالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها أسعد الله أختي ألا قالت نفرة الحياء وخوف الاعداء ثم أنشأت تقول

يا ابنة الاقوام ان شئت فلا * تعجلي باللوم حتى تسألي
فاذا ما أنت تبينت الذي * يوجب اللوم فلومي واعذلي
ان تكن أخت امرئ ليمت على * شفق منها عليه فافعلي
جل عندي فعل جساس فيا * حسرتا عما انجلت أو تنجلي
فعل جساس على وجدي به * قاطع ظهري ومدن أجلي
لو بعين فقئت عين سوى * أختها فانفقأت لم أحفل
تحمل العين قذى العين كما * تحمل الام أذى ما تفتلي
يا قتيلا قوض الدهر به * سقف بيتي جميعا من عل
هدم البيت الذي استحدثته * وانثنى في هدم بيتي الاول
ورماني قتله من كثب * رمية المصمى به المستأصل
يا نسائي دونكن اليوم قد * خصني الدهر برزء معضل
خصني قتل كليب بلظى * من ورائي ولظى مستقبل
ليس من يبكي ليوميه كمن * انما يبكي ليوم مقبل
يشتفي المدرك بالثار وفي * دركي ثاري ثكل المثكل
ليته كان دما فاحتلبوا * دررا منه دمي من أكحل
انني قاتلة مقتولة * ولعل الله أن يرتاح لي

وأما مهلهل واسمه عدي وقيل امرؤ القيس وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندي وانما لقب مهلهلا لانه أول من هلهل الشعر وقصد القصائد وأول من كذب في شعره بانه لما صاح لم يرعه الا النساء يصرخن ألا ان كليبا قتل فقال وهو أول شعر قيل في هذه الحادثة

كنا نغار على العواتق أن ترى * بالامس خارجة عن الاوطان
فخرجن حين ثوى كليب حسرا * مستيقنات بعده بهوان
فترى الكواعب كالظباء عواطلا * اذ حان مصرعه من الاكفان

غير مرة واستقر الحال وسافر أمير الحاج في تلك السنة يوسف بك الجزار واستقر المترجم بمصر وافر الحرمة محتشم المكانة
مشاركا لابراهيم بك أبي شنب وقيطاس بك في الامر والرأي وفي نفس قيطاس بك مافيهما من حقد العصبية
فصار بينا كدهما سرا وسلط
حبيب وابنه سالم على خيول
اسمعيل بك فخم اذنابها
ومعارفها كتخذ كر ثم نصب
لهما ولمن والاهما شبا كا
ومكايد ولم يظفره الله بهما ولم
يزل على ذلك وهما يتغافلان
ويتغاضيان عن مساويه الخفية
الى أن حضر عابدي باشا
وأرسل قلد يوسف بك الجزار
قائمقام وخلع يوسف بك على
ابن سيده اسمعيل بك وجعله
امين السماط ولما وصل الباشا
الى العادلية وقدمت له الامراء
التقادم وقدم له اسمعيل بك
المترجم تقدمة عظيمة وتقيد
بخدمة السماط أحبه عابدي
باشا ومال بكليته اليه ثم انه
اختلى معه ومع يوسف بك
وسألهما عن سبب موت
والده فاخبراه ان مصر من قديم
الزمان فرقتان وعرفاه حقيقة
الحال وان قيطاس بك
وأيوب بك بيت واحد
ووقعت بينهما خصومة
وأيوب بك أكثر عزوة وجندا
فوقع قيطاس بك على ابراهيم
بك والتجأ اليه فقام بنصرته
وفاداه وأنفق بسببه أموالا
وتجندلت من رجاله أبطال
الى أن مات وقتل وبلغ
قيطاس بك بناما بلغ فلم يراع
معنا جميلا وفي كل وقت ينتصب لنا الحبائل ويحفر لنا الغوائل ونحن بالله نستعين فقال الباشا
يكون خيرا وأضمر لقيطاس بك السوء ولم يزل حتى قتله كتخدا كربقراميدان وورد أمر بتقليد المترجم على الحج أميرا وتقلد

قتل

يخمشن من أدم الوجوه حواسرا * من بعده ويعدن بالازمان
متسلبات نكدهن وقد وري * أجوافهن بحرقة وروانى
ويقلن من للمستضيف اذا دعا * أم من لخضب عوالى المران
أم من تسارله بجزور اذا غدا * ريح يقطع معقد الاشطان
أم من لاسباق الديات وجمعها * ولفادحات نوائب الحدثان
كان الذخيرة للزمان فقد أتى * فقدانه وأخل ركن مكانى
يالهف نفسي من زمان فاجع * ألقى على بكلكل وجران
بمصيبة لاتستقال جليلة * غلبت عزاء القوم والنسوان
هدت حصونا كن قبل ملاوذا * لذوى الكهول معا وللشبان
أضحت وأضحى سورها من بعده * متهدم الاركان والبنيان
فابكين سيد قومه واندبنه * شدت عليه قباطى الاكفان
وابكين للايتام لما أقحطوا * وابكين عند تخاذل الجيران
وابكين مصرع جيده متزملا * بدمائه فلذاك ما أبكانى
لاتركن به قبائل تغلب * قتلى بكل قرارة ومكان
قتلى تعاورها النسور أكفها * ينهشنها وحواجل الغربان

ثم انطلق الى المكان الذى قتل فيه كليب فرأى دمه وأتى قبره فوقف عليه ثم قال

ان تحت التراب حزما وعزما * وخصيما الدذا مملاق
حية فى الوجار أربد لاينفع منه السليم نفث الراقى

ثم جز شعره وقصر ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرم القمار والشراب وجمع اليه قومه وأرسل رجالا منهم الى بنى شيبان فاتوا مرة بن ذهل بن شيبان وهو فى نادى قومه فقالوا له انكم أتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناقة وقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وانا نعرض عليك خلالا أربعا لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع اما ان تحيى لنا كليبا أو تدفع الينا قاتله جساسا فنقتله به أوهماما فانه كفء له أو تمكننا من نفسك فان فيك وفاء لدمه فقال لهم أما احيائى كليبا فلست قادرا عليه وأما دفعى جساسا اليكم فانه غلام طعن طعنة على عجل وركب فرسه فلا أدرى أى بلاد قصد وأما همام فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه بجريرة غيره وأما انا فما هو الا ان تجول الخيل جولة فاكون أول قتيل فما أتعجل الموت ولكن لكم عندى خصلتان أما احداهما فهؤلاء أبنائى الباقون فخذوا أيهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم وأما الاخرى فانى أدفع اليكم ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر فغضب القوم وقالوا لقد أسأت ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كليب ونشبت الحرب بينهم ولحقت جليلة زوجة كليب بابيها وقومها واعتزلت قبائل بكر الحرب وكرهوا مساعدة بنى شيبان على القتال وأعظموا

ابراهيم بك الدفترداريه والبسهما عابدى باشا الخلع وتسلم أدوات الحج والجمال وأرسل غلال الحرمين وبعث القومانية
والغلال الى البنادر وأرسل أناسا وعينهم لحفر الآبار المردومة وتنقية الاحجار من طريق الحجاج

قتل كليب فتحوّلت لجيم ويشكر وكف الحرث بن عباد عن نصرهم ومعه أهل بيته
وقال مهلهل عدة قصائد يرثى كليبا منها

كليب لاخير فى الدنيا ومن فيها ✽ اذ أنت خليتها فيمن يخليها
كليب أى فتى عز ومكرمة ✽ تحت السقائف اذ يعلوك سافيها
نعى النعاة كليبا الى فقلت لهم ✽ مالت بنا الارض أوزالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنيعته ✽ ما كل آلائه يا قوم أحصيها
القائد الخيل تردى فى أعنتها ✽ رهوا اذا الخيل لجت فى تعاديها
من خيل تغلب ما تلقى اسنتها ✽ الا وقد خضبوها من أعاديها
يهزهزون من الخطى مدمجة ✽ صما أنابيبها زرقا عواليها
ليت السماء على من تحتها وقعت ✽ وانشقت الارض فانجابت بمن فيها
لا أصلح الله منا من يصالحكم ✽ مالاحت الشمس فى أعلى مجاريها

فالتقوا أول قتال كان بينهم فى قول يوم عنيزة وهى عند فلج وكانا على السواء فقال
مهلهل

كأنا غدوة وبنى أبينا ✽ بجنب عنيزة رحيا مدير
ولولا الريح أسمع أهل حجر ✽ صليل البيض تقرع بالذكور

فتفرقوا ثم بقوا زمانا ثم انهم التقوا بماء يقال له النهى كانت بنو شيبان نازلة عليه
ويروى انها أول وقعة كانت بينهم وكان رئيس تغلب مهلهلا ورئيس شيبان الحرث
ابن مرة وكانت الدائرة على بنى تغلب وكانت الشوكة فى بنى شيبان واستحر القتال فيهم
الا انه لم يقتل ذلك اليوم أحد من بنى مرة ثم التقوا بالذنائب وهى أعظم وقعة كانت لهم
فظفرت بنو تغلب وقتلت بكرا مقتلة عظيمة وقتل فيها شراحيل بن مرة بن همام بن
ذهل بن شيبان وهو جد الحوفزان وجد معن بن زائدة وقتل الحرث بن مرة بن ذهل بن
شيبان وقتل من بنى ذهل بن ثعلبة عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل وغيرهم من
رؤساء بكر ثم التقوا يوم واردات فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت تغلب أيضا وكثر القتل
فى بكر فقتل همام بن مرة ابن ذهل بن شيبان أخو جساس لابيه وأمه فمر مهلهل فلما
رآه قتيلا قال والله ماقتل بعد كليب أعز على منك وتالله لاتجتمع بكر بعد كما على خير
أبدا وقيل انما قتل يوم القصيبات وقيل يوم قضة قتله ناشرة وكان همام قد التقطه
ورباه وسماه ناشرة وكان عنده فلما شب علم انه تغلبى فلما كان هذا اليوم جعل
همام يقاتل فاذا عطش جاء الى قربة له يشرب منها فتغفله ناشرة فقتله ولحق بقومه
تغلب وكاد جساس يؤخذ فسلم فقال مهلهل

لوان خيلى أدركتك وجدتهم ✽ مثل الليوث بستر غب عرين

(ويقول فيها)

ولاوردن الخيل بطن اراكة ✽ ولاقضين بفعل ذاك ديونى

وقلد المناصب وأمر عدة
صناجق وهم محمد أخوه
المعروف بالمجنون وعبد الله
كاشف صهره وصارى على وعلى
الارمنى واسمعيل كاشف
وعلى الهندى وكتخدا أبيه
اسمعيل أغا تقلد كتخدا
جاويشية وعبد الرحمن ولجه
أغات جمليان وكذلك ابراهيم
بك أبى شنب قلد من طرفه
خمسة صناجق وهم قاسم
الكبير وقاسم الصغير
وابراهيم فارسكور ومحمد جلبى
ابن ابراهيم بك ومحمد جركس
الصغير وأخذ اسمعيل بك
لامرائه كشوفيات الاقاليم
وطلع بالحج سنين آخرها سنة
ثمان وعشرين فى أمن وأمان
وسخاء ورخاء ونظم الوجاقات
السبعة وصير أعيانها أغراضه
مثل كدك محمد كتخدا
مستحفظان وابراهيم كتخدا
الصابونجى عزبان وعبد
الرحمن أغا ملتزم الوجه أغات
جملية وأظهر شان حسن
جاويش القازدغلى فى بابه وهو
والد عبد الرحمن كتخدا وقلد
مملوكه عثمان أوده باشا وهو
الذى تقلد بعد ذلك كتخدا
مستحفظان وقلد أيضا حسن
كتخدا سليمان جاويش تابع
مصطفى كتخدا القازدغلى أوده

 باشا وسليمان هذا هو سيد ابراهيم كتخدا الآتى ذكره ثم توفى ابراهيم بك أبو شنب فى سنة
ثلاثين كما تقدم فسكن محمد بك ولده فى منزله وحضر محمد بك جركس تابعه من السفر وحد سيده توفى فتاقت نفسه للرياسة

ولاقتلن جحاجحا من بكركم * ولا بكين بها جفون عيون
حتى تظل الحاملات مخافة * من وقعنا يقذفن كل جنين

وقيل فى ترتيب الايام غير ماذكرناوسنذكره ان شاء الله تعالى وكان أبو نويرة التغلبى وغيره طلائع قومه وكان جساس وغيره طلائع قومهم والتقى بعض الليالى جساس وأبو نويرة فقال له أبو نويرة اختر اما الصراع أو الطعان أو المسايفة فاختار جساس الصراع فاصطرعا وأبطأ كل واحد منهما على أصحاب حيه وطلبوهما فاصابوهما وهما يصطرعان وقد كاد جساس يصرعه ففرقوا بينهما وجعلت تغلب تطلب جساسا أشد الطلب فقال له أبوه مرة الحق باخوالك بالشام فامتنع فألح عليه أبوه فسيره سرا فى خمسة نفر وبلغ الخبر الى مهلهل فندب أبا نويرة ومعه ثلاثون رجلا من شجعان أصحابه فساروا مجدين فادركوا جساسا فقاتلهم فقتل أبو نويرة وأصحابه ولم يبق منهم غير رجلين وجرح جساس جرحا شديدا مات منه وقتل أصحابه فلم يسلم غير رجلين أيضا فعاد كل واحد من السالمين الى أصحابه فلما سمع مرة قتل ابنه جساس قال انما يحزننى أن كان لم يقتل منهم أحدا فقيل له انه قتل بيده أبا نويرة رئيس القوم وقتل معه خمسة عشر رجلا ماشركه منا أحد فى قتلهم وقتلنا نحن الباقين فقال ذلك مما يسكن قلبى عن جساس وقيل ان جساسا آخر من قتل فى حرب بكر وتغلب وكان سبب قتله ان أخته جليلة كانت تحت كليب وائل فلما قتل كليب عادت الى أبيها وهى حامل ووقعت الحرب وكان من الفريقين ما كان ثم عادوا الى الموادعة بعدما كادت الفئتان تتفانى فولدت أخت جساس غلاما فسمته هجرسا ورباه جساس وكان لا يعرف أبا غيره فزوجه ابنته فوقع بين هجرس وبين رجل من بكر كلام فقال له البكرى ما أنت بمنته حتى نلحقك بأبيك فامسك عنه ودخل الى أمه كئيبا حزينا فاخبرها الخبر فلما نام الى جنب امرأته رأت من همه وفكره ما أنكرته فقصت على أبيها جساس قصته فقال ثائر ورب الكعبة وبات على مثل الرضف حتى أصبح فاحضر الهجرس فقال له انما أنت ولدى وأنت منى بالمكان الذى تعلم وزوجتك ابنتى وقد كانت الحرب فى أبيك زمانا طويلا وقد اصطلحنا وتحاجزنا وقد رأيت ان تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وان تنطلق معى حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا فقال الهجرس أنا فاعل فحمله جساس على فرس فركبه ولبس لامته وقال مثلى لا يأتى أهله بغير سلاحه فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس القصة وأعلمهم ان الهجرس يدخل فى الذى دخل فيه جماعتهم وقد حضر ليعقد ما عقدتم فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال وفرسى وأذنيه ورمحى ونصليه وسيفى وغراريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بقومه وكان آخر قتيل فى بكر والاول أكثر ونرجع الى سياقة الحديث فلما قتل جساس أرسل أبوه مرة الى مهلهل انك قد

ادركت

وضم اليه جماعة من الفقارية مثل حسين بك أبى يدك وذى الفقار معتوق عمر أغا بلغيه وأصلان وقبلان وأمثالهم وأخذوا يحفرون للمترجم ويتصبون له الغوائل واتفقوا على غدره وخيانته ووقف له طائفة منهم بطريق الرميلة وهو طالع الى الديوان وصحبته يوسف بك الجزار واسمعيل بك جر جاوصارى على بك فرموا عليهم بالرصاص فلم يصب منهم سوى رجل قواس ورجع اسمعيل بك وأمراؤه الى باب القلعة ونزل بباب العزب وكتب عرضحال وأرسله الى على باشا صحبة يوسف بك الجزار مضمونه الشكوى من محمد بك جركس وانه جامع عنده المفاسيد ويريدون اثارة الفتن فى البلد فكتب الباشا فرمانات الى الوجاقات باحضار محمد بك جركس وان أبى حاربوه وركب جركس بالمنضمين اليه وهم قاسمية وفقارية وذلك بعد ابائه وعصيانه فصادف المتوجهين اليه فحاربهم بالرميلة وآل الامر الى انهزامه وتفرق من حوله ولم يتمكن من الوصول الى داره وخرج هاربا من مصر وقبض عليه العربان وأحضروه الى اسمعيل بك أسيرا عريانا فى أسوا حال فكساه وأكرمه وألبسه فروة سمور وأشار عليه أحمد كتخدا أمين البحرين وعلى كتخدا الجلفى بقتله فلم يوافقهما على ذلك وقال انه دخل الى بيتى وحل فى ذمامى فلا يصح ان أقتله ثم انه نفاه الى قبرص ولما سافر محمد بك ابن أبى شنب الى اسلامبول بالخزينة فى تلك السنة وصى قاسم بك بالارسال الى جركس واحضاره الى مصر ففعل وحضر الى مصر سرا واختفى عنده

واما وصل محمد بك بالخزينة واجتمع بالوزير الاعظم دس اليه كلاما فى حق المترجم وقال له ان أهملتم أمره استولى على
الممالك المصرية وطرد الولاة ومنع الخزينة فان الامراء والدفتردارية وكبار الامراء والوجاقات
صاروا كلهم أتباعه ومماليكه ومماليك أبيه والذى ليس كذلك فهم صنائعه وعلى باشا المتولى لا يخرج عن مراده فى كل ما يأمره وأخرج من مصر وأقصى كل ناصح فى خدمة الدولة مثل محمد بك جركس ومن يلوذ به وعمل للوزير أربعة آلاف كيس على ازالة اسمعيل بك والباشا وتولية خلافه ويكون صاحب شهامة وتدبير وكان ذلك فى دولة السلطان أحمد فأجابوه الى ذلك وعين رجب باشا أمير الحاج الشامى ورسم له رسوما باملاء محمد بك أبى شنب ملخصها قتل الباشا واسمعيل بك وعشيرته ما عدا على بك الهندى ولما حضر رجب باشا الى مصر وقد كان قاسم بك احضر محمد جركس وأخفاه وكان اسمعيل بك ابن ايواظ طالعا بالحج سنة احدى وثلاثين ومائة وألف فاليوم الذى وصل فيه رجب باشا الى العريش ووصل المسلم الى مصر كان خروج اسمعيل بك بالحج من مصر وارسل رجب باشا مرسوما الى أحمد بك الاعسر وجعله قائمقاما وأمره بانزال على باشا الى قصر يوسف والاحتفاظ به ففعلوا ذلك ووصل رجب باشا فاحضر على باشا وخازنداره وكاتب خزينته والروزنامجى وأمرهم بعمل حسابه ثم أمر بقتله فقتلوه ظلما وسلخ رأسه وأرسلها الى الروم وضبط مخلفاته ودبر مع أمراء ابن ايواظ فقال له التدبير فى ذلك ان نرسل الى العرب

أدركت ثارك وقتلت جساسا فاكفف عن الحرب ودع اللجاج والاسراف وأصلح ذات البين فهو أصلح للحيين وانكأ لعدوهم فلم يجب الى ذلك وكان الحرث بن عباد قد اعتزل الحرب فلم يشهدها فلما قتل جساس وهمام ابنا مرة حمل ابنه بجيرا وهو ابن عمرو بن عباد أخى الحرث بن عباد فلما حمله على الناقة كتب معها الى مهلهل انك قد أسرفت فى القتل وأدركت ثارك سوى ما قتلت من بكر وقد أرسلت ابنى اليك فاما قتلته باخيك وأصلحت بين الحيين واما أطلقته وأصلحت ذات البين فقد مضى من الحيين فى هذه الحروب من كان بقاؤه خيرا لنا ولكم فلما وقف على كتابه أخذ بجيرا فقتله وقال بؤ بشسع نعل كليب فلما سمع أبوه بقتله ظن انه قد قتله باخيه ليصلح بين الحيين فقال نعم القتيل قتيلا أصلح من ابنى وائل فقيل انه قال بؤ بشسع نعل كليب فغضب عند ذلك الحرث بن عباد وقال

قربا مربط النعامة منى * لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة منى * شاب رأسى وأنكرتنى رجالى
لم أكن من جناتها علم الله * وانى بحرها اليوم صالى

فاتوه بفرسه النعامة ولم يكن فى زمانه مثلها فركبها وولى أمر بكر وشهد حربهم وكان أول يوم شهده يوم قضة وهو يوم تحلاق اللمم وانما قيل له تحلاق اللمم لان بكرا حلقوا رؤسهم ليعرف بعضهم بعضا الا جحدر بن ضبيعة بن قيس أبو المسامعة فقال لهم أنا قصير فلا تشينونى وانا أشترى لمتى منكم باول فارس يطلع عليكم فطلع ابن عناق فشد عليه فقتله وكان يرتجز ذلك اليوم ويقول

ردوا على الخيل ان ألمت * ان لم أقاتلهم فجزوا لمتى

وقاتل يومئذ الحرث بن عباد قتالا شديدا فقتل فى تغلب مقتلة عظيمة وفيه يقول طرفة

سائلوا عنا الذى يعرفنا * بقوانا يوم تحلاق اللمم
يوم تبدى البيض عن أسوقها * وتلف الخيل أفواج النعم

وفى هذا اليوم أسر الحرث بن عباد مهلهلا واسمه عدى وهو لا يعرفه فقال له دلنى على عدى وأنا أخلى عنك فقال له المهلهل عليك عهد الله بذلك ان دللتك عليه قال نعم قال فانا عدى فجز ناصيته وتركه وقال فى ذلك

لهف نفسى على عدى ولم أعـ * ـرف عديا اذ أمكنتنى اليدان

وكانت الايام التى اشتدت فيها الحرب بين الطائفتين خمسة أيام يوم عنيزة تكافؤا فيه وتناصفوا ثم اليوم الثانى يوم واردات كان لتغلب على بكر ثم اليوم الثالث الحنو كان لبكر على تغلب ثم اليوم الرابع يوم القصيبات أصيب بكر حتى ظنوا انهم لن يستقيلوا ثم اليوم الخامس يوم قضة وهو يوم التحالق وشهده الحرث بن عباد ثم كان بعد ذلك أيام دون هذه منها يوم النقية ويوم الفصيل لبكر على تغلب ثم لم يكن بينهما مزاحفة

اما كان مغاورات ودامت الحرب بينهما أربعين سنة ثم ان مهلهلا قال لقومه قد رأيت ان تبقوا على قومكم فانهم يحبون صلاحكم وقد أتت على حربكم أربعون سنة وما لمتكم على ما كان من طلبكم بوتركم فلو مرت هذه السنون فى رفاهية عيش لكانت تمل من طولها فكيف وقد فنى الحيان وثكلت الامهات ويتم الاولاد ونائحة لا تزال تصرخ فى النواحى ودموع لا ترقأ وأجساد لا تدفن وسيوف مشهورة ورماح مشرعة وان القوم سيرجعون اليكم غدا بمودتهم ومواصلتهم وتتعطف الارحام حتى تتواسوا فى قتال القتل فكان كما قال ثم قال مهلهل اما أنا فما تطيب نفسى ان أقيم فيكم ولا أستطيع ان أنظر الى قاتل كليب وأخاف ان أحملكم على الاستئصال وأنا سائر الى اليمن وفارقهم وسار الى اليمن ونزل فى جنب وهى حى من مذحج فخطبوا اليه ابنته فمنعهم فاجبروه على تزويجها وساقوا اليه صداقها جلودا من أدم فقال فى ذلك

أعزز على تغلب بما لقيت * أخت بنى الاكرمين من جشم

أنكحها فقدها الاراقم فى * جنب وكان الحباء من أدم

لو بابانين جاء يخطبها * ضرج ما أنف خاطب بدم

الاراقم بطن من جشم بن تغلب يعنى حيث فقدت الاراقم وهم عشيرتها تزوجها رجل من جنب بادم ثم ان مهلهلا عاد الى ديار قومه فأخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة البكرى أسيرا بنواحى هجر فاحسن أسره فمر عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر وكان صديقا لمهلهل فاهدى اليه وهو أسير زقا من خمر فاجتمع اليه بنو مالك فنحروا عنده بكرا وشربوا عند مهلهل فى بيته الذى أفرد له عمرو فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل بما كان يقوله من الشعر وينوح به على أخيه كليب فسمع منه عمرو ذلك فقال انه لريان والله لا يشرب عندى ماء حتى يرد زبيب وهو فحل كان له لا يرد الاخمسا فى حمارة القيظ فطلب بنو مالك زبيبا وهم حراص على ان لا يهلك مهلهل فلم يقدروا عليه حتى مات مهلهل عطشا وقيل ان ابنة خال مهلهل وهى ابنة المجالد التغلبى كانت امرأة عمرو وأرادت ان تأتى مهلهلا وهو أسير فقال يذكرها

طفلة ما ابنة المجالد بيضا * ء لعوب لذيذة فى العناق

فاذهبى ما اليك غير بعيد * لا يؤاتى العناق من فى الوثاق

ضربت صدرها الىّ وقالت * يا عديا لقد وقتك الاواقى

وهى أبيات ذوات عدد فنقل شعره الى عمرو بن مالك فحلف عمرو ان لا يسقيه الماء حتى يرد زبيب فسأله الناس ان يرد زبيبا قبل وروده ففعل وأورده وسقاه حتى يقال من عينه ثم انه سقى مهلهلا من ماء هنالك هو أوخم المياه فمات مهلهل (عباد بضم العين وفتح الباء الموحدة وتخفيفها)

(ذكر الحرب بين الحرث الاعرج وبنى تغلب)

يقفوا فى طريق الوشاشة فانهم يرسلون يعرفونكم فأرسلوا اليهم عبد الله بك وبعد عشرة أيام أرسلوا يوسف بك الجزار ومحمد بك ابن ايواظ واسمعيل بك جرجا وعبد الرحمن أغا وكجه فعندما يرحلون من البركة أقتل اسمعيل بك الدفتردار وكتخدا الجاويشية فعند ذلك أنا أظهر ثم تقلد محمد بك ابن اسمعيل بك امارة الحج ونرسله بتجريدة الى ابن ايواظ يقتلونه مع عبد الله بك واسمعيل بك جرجا وهذا هو التدبير وأرسلوا الى العرب كما ذكر وسافرت الوشاشة مثل العادة القديمة ثانى عشرى الحجة سنة احدى وثلاثين فوجدوا العرب قاطعين الطريق فارسلوا الخبر بذلك فأظهر الباشا الغيظ والحدة وقال أنا أسافر بالعقابة وأخرج من حق هؤلاء المفاسيد فقال يوسف بك الجزار ونحن أى شئ صناعتنا وأقل ما فينا يخرج من حقهم فقال عبد الله بك أنا الذى أذهب للوشاشة ويوسف بك يأتى بعدى مع العقابة فخلع الباشا على عبد الله بك وسافر فى ذلك اليوم فلما وصل الى العقبة هرب العرب فلما رحل الحج من قلعة النخل سمع بانوبة عبد الله بك من بعيد فلما وصلوا اليهم نزل عبد الله بك وسلم على الصنجق وحكى له القصة فاشتغل خاطره واما ما كان من أمر الباشا وجراكس ومن معهم فانه لما سافر يوسف بك الجزار ومن معه على الرسم المتقدم عملوا اشغالهم وقتلوا اسمعيل بك الدفتردار واسمعيل اغا كتخدا الجاويشية وظهر محمد بك جركس ونزل من القلعة الى بيته وهو راكب ركوبة الدفتردار واستقر الباشا بحمد بك الاصغر دفتردار ولما وصل المتوجهون الى سطح العقبة نزل يوسف فال

قال أبو عبيدة ان بكرا وتغلب ابنى وائل اجتمعت للمنذر بن ماء السماء وذلك بعد حربهم وكان الذى اصلح بينهم قيس بن شراحيل بن مرة بن همام فغزا بهم المنذر بنى آكل المرار وجعل على بنى بكر وتغلب ابنه عمرو بن هند وقال اغزا خوالك فغزاهم فاقتتلوا فانهزم بنوا آكل المرار وأسروا وجاؤا بهم الى المنذر فقتلهم ثم انتقضت تغلب على المنذر ولحقت بالشام ونحن نذكر سبب ذلك فى اخبار شيبان ان شاء الله وعادت الحرب بينهم وبين بكر فخرج ملك غسان بالشام وهو الحرث بن أبى شمر الغسانى فمر بافاريق من تغلب فلم يستقبلوه وركب عمرو بن كلثوم التغلبى فلقيه فقال له ما منع قومك ان يتلقونى فقال لم يعلموا بمرورك فقال لئن رجعت لاغزونهم غزوة تتركهم ايقاظا لقدومى فقال عمرو ما استيقظ قوم قط الا نبل رأيهم وعزت جماعتهم فلا توقظن نائمهم فقال كانك تتوعدنى بهم اما والله لتعلمن اذا نالت غطاريف غسان الخيل فى دياركم ان ايقاظ قومك سينامون نومة لا حلم فيها تجتث أصولهم وينفى فلهم الى اليابس الجدد والنازح الثمد ثم رجع عمرو بن كلثوم عنه وجمع قومه وقال

الا فاعلم أبيت اللعن أنا * أبيت اللعن نادما تريد
وتعلم ان محملنا ثقيل * وان دبار كبتنا شديد
وانا ليس حى من معد * يقاومنا اذا لبس الحديد

فلما عاد الحرث الاعرج فغزا بنى تغلب فاقتتلوا واشتد القتال بينهم ثم انهزم الحرث وبنو غسان وقتل أخو الحرث فى عدد كثير فقال عمرو بن كلثوم

هلا عطفت على أخيك اذا دعا * بالثكل ويل أبيك يا ابن أبى شمر
فذق الذى جشمت نفسك واعترف * فيها أخاك وعامر ابن أبى حجر

(يوم عين أباغ)

وهو بين المنذر بن ماء السماء وبين الحرث الاعرج بن أبى شمر جبلة وقيل أبو شمر عمرو بن جبلة بن الحرث بن حجر بن النعمان بن الحرث الايهم بن الحرث بن مارية الغسانى وقيل فى نسبه غير هذا وقيل هو ازدى تغلب على غسان والاول اكثر وأصح وهو الذى طلب أدراع امرئ القيس من السموال بن عاديا وقتل ابنه وقيل غيره والله أعلم وسبب ذلك ان المنذر بن ماء السماء ملك العرب سار من الحيرة فى معد كلها حتى نزل بعين أباغ بذات الخيار وأرسل الى الحرث الاعرج بن جبلة بن الحرث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو مزيقياء ابن عامر الغسانى ملك العرب بالشام اما ان تعطينى الفدية فأنصرف عنك بجنودى واما ان تأذن بحرب فارسل اليه الحرث أنظرنا ننظر فى أمرنا فجمع عساكره وسار نحو المنذر وأرسل اليه يقول له انا شيخان فلا تهلك جنودى وجنودك ولكن يخرج رجل من ولدى ويخرج رجل من ولدك فمن قتل خرج عوضه آخر واذا فنى أولادنا خرجت أنا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك فتعاهدا على ذلك فعمد المنذر الى رجل من شجعان

بك الجزار وترك محمد بك ابن ابو انا واسمعيل بك جرجا فى السفائن فلما دخل على الصنجق وسلم عليه اشتغل خاطره وقال له لاى شئ جئت فقال أنا است وحدى بل صحبتى أخوك محمد بك واسمعيل بك جرجا وعبد الرحمن أغا ومحمد فقال لا اله الا الله كيف انكم تتركون البلد وتأتون اما تعلموا ان لنا أعداء والعثمانية ليس لهم أمان ولا صاحب وتصيدون الارنب بالعجلة ولكن لا يقع فى ملكه الا ما يريد ثم انهم أقاموا الايام المعلومة وساروا الى نخل ونزلوا هنالك واذا برجل بدوى ارسله على كتخدا عزبان الجلفى بمكتوب يخبر الامير اسمعيل بك بما وقع بمصر فلما قرأه بكى واسترجع فقال يوسف بك ايش الخبر قال له الذى كنت أظنه قد حصل وأعطاه المكتوب فقرأه وبكى أيضا وكان بصحبة الصنجق الشريف يحيى بركات مطرودا من مكة تولى عوضه مبارك ابن أحمد فأشار على الصنجق بالاختفاء ولا يحارب فان العرب ينهبون الحاج وودعه وسار الى غزة فاحضر الصنجق ثلاث هجن واركب عبد الله بك واسمعيل بك جرجا وعبد الرحمن أغا ومحمد فأخذوا معهم ما يحتاجون اليه من فرش ومأكول وانعم على البدوى الذى أحضر له المكتوب وأمره ان يسافر مع المذكورين من الطريق التى حضر منها ويدخلهم من الدرب المحروق وقت الغروب ويأخذ حملاو تلك الثلاث هجن وما عليها ففعلوا ذلك ودخلوا الى مصر واختفوا وأما محمد بك جركس فانه أرسل فرمانا ومكاتبات الى سالم بن حبيب يأمره بالركوب بخيوله ويأخذ صحبته عرب الجيزة ويذهبون صحبته

أصحابه فأمره ان يخرج فيقف بين الصفين ويظهر انه ابن المنذر فلما خرج اخرج اليه الحرث ابنه ابا كرب فلما رآه رجع الى أبيه وقال ان هذا ليس بابن المنذر انما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه فقال يا بنى أجزعت من الموت ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه وقاتله فقتله الفارس والقى رأسه بين يدى المنذر وعاد فأمر الحرث ابنا له آخر بقتاله والطلب بثار أخيه فخرج اليه فلما واقفه رجع الى أبيه وقال يا أبت هذا والله عبد المنذر فقال يا بنى ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه فشد عليه فقتله فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفى وكانت أمه غسانية وهو مع المنذر فقال أيها الملك ان الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام وقد غدرت بابن عمك دفعتين فغضب المنذر وأمر باخراجه فلحق بعسكر الحرث فاخبره فقال له سل حاجتك فقال له حلتك وخلتك فلما كان الغد عبى الحرث أصحابه وحرضهم وكان فى أربعين ألفا واصطفوا للقتال فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل المنذر وهزمت جيوشه فأمر الحرث بابنيه القتيلين فحملا على بعير بمنزلة العدلين وجعل المنذر فوقهما فردا وقال يا العلاوة دون العدلين فذهبت مثلا وسار الى الحيرة فنهبها وأحرقها ودفن ابنيه بها وبنى الغريين عليهما فى قول بعضهم وفى ذلك اليوم يقول ابن الرعلاء الضبانى

كم تركنا بالعين عين اباغ ✽ من ملوك وسوقة اكفاء

امطرتهم سحائب الموت تترى ✽ ان فى الموت راحة الاشقياء

ليس من مات فاستراح بميت ✽ انما الميت ميت الاحياء

(يوم مرج حليمة وقتل المنذر بن المنذر بن ماء السماء)

لما قتل المنذر بن ماء السماء على ما تقدم ملك بعده ابنه المنذر وتلقب الاسود فلما استقر وثبت قدمه جمع عساكره وسار الى الحرث الاعرج طالبا بثار أبيه عنده وبعث اليه انى قد أعددت لك الكهول على الفحول فأجابه الحرث قد أعددت لك المرد على الجرد فسار المنذر حتى نزل بمرج حليمة فترك من به من غسان للاسود وانما سمى مرج حليمة بحليمة ابنة الحرث الغسانى وسنذكر خبرها عند الفراغ من هذا اليوم ثم ان الحرث سار فنزل بالمرج أيضا فأمر أهل القرى التى فى المرج ان يصنعوا الطعام لعسكره ففعلوا ذلك وحملوه فى الجفان وتركوه فى العسكر فكان الرجل يقاتل فاذا أراد الطعام جاء الى تلك الجفان فأكل منها فأقامت الحرب بين الاسود والحرث أياما ينتصف بعضهم من بعض فلما رأى الحرث ذلك قعد فى قصره ودعا ابنته هندا وأمرها فاتخذت طيبا كثيرا فى الجفان وطيبت به أصحابه ثم نادى يا فتيان غسان من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتى هندا فقال لبيد بن عمرو الغسانى لابيه يا أبت أنا قاتل ملك الحيرة او مقتول دونه لا محالة ولست أرضى فرسى فاعطنى فرسك الزيتية فاعطاه فرسه فلما زحف الناس واقتتلوا ساعة شد لبيد على الاسود فضربه ضربة فالقاه عن فرسه وانهزم أصحابه

عسكر وأمير الحاج محمد بك اسمعيل لقتال ابن ايواظ فاجتمع الجميع بالبركة وركبوا وساروا الى اجرود فنزل محمد بك والعسكر واغات التفكجية واغات الباشا والسدادرة وعملوا متاريس وركبوا المدافع وانتظروا وصول الحجاج واذا بالحجاج قادمون ومعهم يوسف بك الجزار والمحمل والنوبة ولم يجدوا الصنجق فتسلم المحمل والجمال محمد بك وتسلم الخزينة والسحاحير والخيام والهجن والذخيرة أغات الباشا وكان يوسف بك وزع تعلقات الصناجق الذين اختفوا على كتخدا الحاج والدويدار والسدادرة وسأل الواصلون على الصنجق والامراء ومماليكهم فقال لهم يوسف بك انهم ذهبوا الى غزة صحبة الشريف يحيى بركات ثم انهم أقاموا فى أجرود يوما زائدا وهم يفتشون على الصنجق فى الاحمال والمواهى الى أن وصلوا الى البركة فلم يقعوا له على خبر وستر عليه الستار وقيل انه لما اختفى دخل فى حجاج المغاربة وكان أول قادم فيهم فى صورة امرأة مغربية عليها عارحة صوف قديمة فى شقدف على جمل ضعيف وقيل ركب مع زوجة المقدم فى المحمل بزى امرأة ولم يخرج الناس مثل العادة لملاقاة الحجاج ودخل أمير الحاج الجديد والحجاج عليهم برود فلما حصل ذلك أحضر الباشا محمد بك جركس وألزمه بالتفتيش على الثلاث صناجق وأمر بضبط كامل ما فى بيت اسمعيل بك بقوائم بحضرة نائب الشرع واودعوه فى خزانة الجاويشية واشتغل محمد بك جركس بالفحص والتفتيش على الامراء المختفين ويوسف بك الجزار

يشتغل مع الجميع بالكلية حتى طيب خواطر الجميع وانفق الاموال سرا وضم اليه احمد بك الاعسر وقاسم بك غلى
خاو وراسمعيل بك ابن ايواظ وباقى المختفين فلما استوثق منهم عمل لهم وليمة فى بيته ثم جمع الجميع وركب
قاسم بك وأحمد بك وذهبوا
الى محمد بك جركس فطلبوه
للدعوة فركب صحبتهم الى
ان دخلوا منزل يوسف بك
فرأى فيه ازدحاما عظيما
وخيولا كثيرة فاراد الرجوع
فقال له احمد بك عيب تدخل
ثم ترجع فدخلوا وطلعوا
عند يوسف بك فوجدوا عنده
على بك الهندى وعلى بك
أبا العدب وصارى على بك
وخلافهم فلما استقر بهم
الجلوس قال أحمد كتخدا أمين
البحرين ما أحسن هذا المجلس
لو كان معنا اسمعيل بك ابن
ايواظ فقال يوسف بك كان
أخونا محمد بك يغتاظ فقال
جركس الله يجازى من كان
السبب انا ايش فعل معى
اسمعيل بك ما رجل قدر على
قتلى وأشار عليه الناس فلم
يفعل وأكرمنى وكسانى
واعطانى دراهم ونفانى لاجل
تمهيد الفتنة واذا باسمعيل بك
خارج عليهم من خلف الستارة
وصحبته اسمعيل بك جرجا
واخوه محمد بك ابن ايواظ فقام
الجميع وسلموا عليه وجلس
فى صدر المكان وهنوه بالسلامة
وتحدثوا ساعة ثم انتقلوا الى
التدبير فى ظهور المشار اليه
فكل منهم يرى رأيه فى ذلك
ويناقضه خلافه فقال اسمعيل بك يا اخوانى ان كان مرادكم وخاطركم طيبا على ظهورى فاسمعوا ما أقول فقالوا انا لم
نجتمع الا لذلك فقال الرأى عندى اننا نركب نحن الجميع فى الصباح ونذهب الى بيت أحمد بك الدفتردار فنأخذه ونذهب

أصحابه فى كل وجه ونزل فاحتز رأسه وأقبل به الى الحرث وهو على قصره ينظر اليهم فالقى
الرأس بين يديه فقال له الحرث شأنك بابنتى حليمة فقد زوجتكها فقال بل أنصرف
فأواسى أصحابى بنفسى فاذا انصرف الناس انصرفت فرجع فصادف أخا الاسود وقد
رجع اليه الناس وهو يقاتل وقد اشتدت نكايته فتقدم لبيد فقاتل فقتل ولم يقتل فى
هذه الحرب بعد تلك الهزيمة غيره وانهزمت لخم هزيمة ثانية وقتلوا فى كل وجه
وانصرفت غسان باحسن ظفر وذكر ان الغبار فى هذا اليوم اشتد وكثر حتى ستر
الشمس وحتى ظهرت الكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر
لان الاسود سار بعرب العراق أجمع وسار الحرث بعرب الشام أجمع وهذا اليوم من
أشهر أيام العرب وقد فخر به بعض شعراء غسان فقال

يوم وادى حليمة وازدلفنا * بالعناجيج والرماح الظماء
اذ شحذنا أكفنا من رقاق * رق من وقعها سنا السحناء
وأتت هند بالخلوق الى من * كان ذا نجدة وفضل غناء
وقصدنا الجفان فى ساحة المر * ج فلنا الى جفان ملاء

وقيل فى قتله غير ما تقدم ونحن نذكره قال بعض العلماء وكان سببه ان الحرث بن أبى
شمر جبلة بن الحرث الاعرج الغسانى خطب الى المنذر بن المنذر اللخمى ابنته
وقصد انقطاع الحرب بين لخم وغسان فزوجه المنذر ابنته هندا وكانت لا تريد الرجال
فصنعت بجلدها شبيها بالبرص وقالت لابيها انا على هذه الحالة وتهدينى لملك غسان
فندم على تزويجها فامسكها ثم ان الحرث أرسل يطلبها فمنعها أبوها واعتل عليه ثم ان
المنذر خرج غازيا فبعث الحرث بن أبى شمر جيشا الى الحيرة فانتهبها وأحرقها فانصرف
المنذر من غزاته لما بلغه من الخبر فسار يريد غسان وبلغ الخبر الحرث فجمع أصحابه
وقومه فسار بهم فتوافقوا بعين أباغ فاصطفوا للقتال فاقتتلوا واشتد الامر بين الطائفتين
فحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحرث وفيها ابنه فقتلوه وانهزمت الميسرة وحملت ميمنة
الحرث على ميسرة المنذر فانهزم من بها وقتل مقدمها فروة بن مسعود بن عمرو بن أبى
ربيعة بن ذهل ابن شيبان وحملت غسان من القلب على المنذر فقتلوه وانهزم أصحابه فى
كل وجه فقتل منهم بشر كثير وأسر خلق كثير منهم من بنى تميم ثم من بنى حنظلة مائة أسير
منهم شاس بن عبدة فوفد أخوه علقمة بن عبدة الشاعر على الحرث يطلب اليه ان يطلق
أخاه ومدحه بقصيدته المشهورة التى أولها

طحا بك قلب فى الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب
تكلفنى ليلى وقد شط أهلها * وعادت عواد بيننا وخطوب

ويقول فيها

فان تسألونى بالنساء فاننى * بصير بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له فى ودهن نصيب

الى بيت محمد بك أمير الحاج ثم نذهب جميعا الى الرميلة ونامر الباشا بالنزول الى بيت مصطفى كتخدا عزبان ويتقلد أحمد بك قائمقام وناخذ منه فرمانا بتسليم متاعى وخيولى بموجب القوائم المكتوبة ونعمل بعد ذلك جمعية واكتبوا عرض

يردن ثراء المال حيث وجدنه * وشرخ الشباب عندهن عجيب
وخالد من غسان أهل حفاظها * وهند وناس ماصنعت بشيب
تخشخش آبدان الحديد عليهم * كما خشخشت بين الحصاد جنوب
فلم يبق الاشطبة بلجامها * والاطمر كالقناة نجيب
والاكمى ذو حفاظ كانه * بما ابتل من حد الظبات خضيب
وفى كل حى قد خبطت بنعمة * فحق لشأس من نداك ذنوب
فلاتحرمنى نائلا عن جناية * فانى امرؤ وسط القباب غريب

فلما بلغ الى قوله فحق لشأس من نداك ذنوب قال الملك أى والله وأذنبة ثم اطلق شأسا وقال له ان شئت الحباء وان شئت اسراء قومك وقال لجلسائه ان اختار الحباء على قومه فلا خير فيه فقال أيها الملك ما كنت لاختار على قومى شيأ فاطلق له الاسرى من تميم وكساه وحباه وفعل ذلك بالاسرى جميعهم وزودهم زادا كثيرا فلما بلغوا بلادهم اعطوا جميع ذلك لشأس وقالوا أنت كنت السبب فى اطلاقنا فاستعن بهذا على دهرك فحصل له مال كثير من ابل وكسوة وغير ذلك (عبدة بفتح العين والباء الموحدة) وقيل فى قتله انه جمع عسكرا ضخما وسار حتى نزل الشام وسار ملك الشام وهو عندالا كثر الحرث بن أبى شمر فنزل مرج حليمة وهو ينسب الى حليمة بنت الملك ونزل الملك اللخمى فى مرج الصفر فسير الحرث فارسين طليعة أحدهما فارس خصاف وكانت فرسه تجرى على ثلاث فلا تلحق فسارا حتى خالطا القوم وقربا من الملك وأمامه شمعة فقتلاه ما ملها ففزع القوم فاضطربوا باسيافهم فقتل بعضهم بعضا حتى اصبحوا وأتاهم رسل الحرث ملك غسان يبذل الصلح والاتاوة وقال انى باعث رؤس القبائل لتقرير الحال وندب أصحابه فتندب له مائة غلام وقيل ثمانون غلاما فالبسهم السلاح وأمر ابنته حليمة ان تطيبهم وتلبسهم ففعلت فلما مر بها لبيد بن عمرو فارس الزينية قبلها فأتت أباها باكية فقال هو اسد القوم ولئن سلم لانكحنه اياك وأمره على القوم وساروا فلما قاربوا العسكر العراقى جمع الملك رؤس أصحابه وجاءت الغسانيون وعليهم السلاح قد لبسوا فوقها الثياب والبرانس فلما تتاموا عند الملك أبدوا السلاح فقتلوا من وجدوا وقتل لبيد بن عمرو وملك العراقيين وأحيط بالغسانيين فقتلوا الا لبيد بن عمرو فان فرسه لم تبرح فاستوى عليها وعاد فاخبر الملك فقال له قد انكحتك ابنتى حليمة فقال لا يتحدث الناس انى فل مائة ثم عاد الى القوم فقاتل فقتل وتفقد أهل العراق أشرافهم واذا بهم قد قتلوا فضعفت نفوسهم لذلك وزحفت اليهم غسان فانهزموا قلت قد اختلف النسابون وأهل السير فى مدة الايام وتقديم بعضها على بعض واختلفوا أيضا فى المقتول فيها فمنهم من يقول انه يوم حليمة وهو الذى قتل فيه المنذر بن ماء السماء ويوم اباغ هو اليوم الذى قتل فيه المنذر بن المنذر ومنهم من يقول بضد ذلك

محضر بما يخلصكم من الله فى حقنا وبنزول الباشا وننتظر الجواب فاستحسن الجميع رأيه وقرأوا الفاتحة على ذلك وفى الصباح اجتمعوا على ذلك الاتفاق وأنزلوا الباشا فاجتمعت عليه الاولاد الصغار تحت شباك المكان وهما روايقولون

باشا يا باشا ياعين القمله *
من قال لك تعمل دى العمله
باشا يا باشا ياعين الصيره *
من قال لك تدبر دى التدبيره

فضاق منهم فأرسل الى أحمد بك الاعسر فنقله الى بيت ابراهيم جربجى الداودية واستلم اسمعيل بك ماله وخيوله وجماله وكتبوا عرض محضر كما ذكروا وأرسلوه وبعد ايام وصل مرسوم بالامان والرضا لاسمعيل بك وجماعته وولوا على مصر محمد باشا النشانجى وسافر رجب باشا من حيث أتى بعد مادفع المائة وعشرين كيسا التى أخذها من دار الضرب وصرفها على تجريدة أجرود ولم يزل محمد بك جركس ومحمد بك ابن سيده ومن يلوذ بهم مصرين على حقدهم وعداوتهم للمترجم وهو يتغافل عنهم ويغضى عن مساويهم ويسامح زلاتهم حتى غدروا به وقتلوه بالقلعة على حين غفلة وذلك انه لم يزل ذو الفقار تابع عمر اغا بطالب بفائظ حصته فى قرن العروس ويكلم جركس يشفع له عند اسمعيل بك فيقول له اطرد الصيرفى من عندك وأرسل الى بعد ذلك ذا الفقار ويأخذ ومنهم

ومنهم من يجعل اليومين واحدا فيقول لم يقتل الا المنذر بن ماء السماء واما ابنه المنذر فمات بالحيرة وقيل ان المقتول من ملوك الحيرة غيرهما فالصحيح ان المقتول هو المنذر ابن ماء السماء لا شك فيه واما ابنه ففيه خلاف كثير والاصح انه لم يقتل ومن اثبت قتله اختلفوا في سببه على ما ذكرناه وانما ذكرت اختلافهم والحادثة واحدة لان كل سبب منهما قد ذكره بعض العلماء فمتى تركنا أحدهما ظن من ليس له معرفة ان كل سبب منهما حادث مستقل وقد اهملناه فأتينا بهما جميعا لذلك ونبهنا عليه

(ذكر قتل مضرط الحجارة)

وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمي صاحب الحيرة وكان يلقب مضرط الحجارة لشدة ملكه وقوة سياسته وأمه هند بنت الحرث بن عمرو المقصور بن آكل المرار وهي عمة امرئ القيس بن حجر بن الحرث وكان سبب قتله انه قال يوما لجلسائه هل تعلمون ان أحدا من العرب من أهل مملكتي يأنف ان تخدم أمه امي قالوا ما نعرفه الا ان يكون عمرو بن كلثوم التغلبي فان امه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم وابنها عمرو فسكت مضرط الحجارة على ما في نفسه وبعث الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويامره ان تزور امه ليلى ام نفسه هند بنت الحرث فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلب ومعه امه ليلى فنزل على شاطئ الفرات وبلغ عمرو بن هند قدومه فامر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات وارسل الى وجوه اهل مملكته فصنع لهم طعاما ثم دعا الناس اليه فقرب اليهم الطعام على باب السرادق وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص اصحابه في السرادق ولامه هند قبة في جانب السرادق وليلى ام عمرو ابن كلثوم معها في القبة وقد قال مضرط الحجارة لامه اذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق الا الطرف فنحي خدمك عنك فاذا دنا الطرف فاستخدمي ليلى ومريها فلتناولك الشئ بعد الشئ ففعلت هند ما امرها به ابنها فلما استدعى الطرف فقالت هند لليلى ناوليني ذلك الطبق قالت لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها فالحت عليها فقالت ليلى واذلاه يا آل تغلب فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه والقوم يشربون فعرف عمرو بن هند الشر في وجهه وثار ابن كلثوم الى سيف ابن هند وهو معلق في السرادق وليس هناك سيف غيره فاخذه ثم ضرب به رأس مضرط الحجارة فقتله وخرج فنادى يا آل تغلب فانتهبوا ماله وخيله وسبوا النساء وساروا فلحقوا بالحيرة فقال أفنون التغلبي

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا * لتخدم ليلى أمه بموفق
فقام ابن كلثوم الى السيف مصلتا * وأمسك من ندمانه بالمخنق

(يوم الكلاب الاول)

الذي يطلع له عندي الى ان ضاق خناق ذي الفقار من القتل والاعدام فطلع الى كتخدا الباشا وشكا اليه حاله فقال له وما الذي تريد نفعله قال أريد أن أقتل ابن ايواظ عندما يأتي الى هنا واعطوني صنجقية وعشرين كيسا فائظ من بلاده وكشوفية المنوفية فدخل الكتخدا وأخبر مخدومه بذلك فاجابه الى مطلوبه على شرط ان لا يدخلنا في دمه فنزل ذو الفقار وأخبر جركس بما حصل وطلب ان يكون ذلك بحضوره هو وابراهيم بك فارسكور فاجابه الى ذلك ولما اجتمعوا في ثاني يوم عند كتخدا الباشا دخل ذو الفقار وقدم له عرضحال الى اسمعيل بك فاخذه وشرع يقرأ فيه واذا بذي الفقار سحب الخنجر وضرب الصنجق به في مودوده وكان معه قاسم بك الصغير واصلان وقبلان وخلافهم مستعدين لذلك فعندما رأوه ضرب اسمعيل بك سحبوا سيوفهم وضربوا أيضا اسمعيل بك جرجا فقتلوه فهرب صاري على وكتخدا الجاويشية مشاة الى باب الينكجرية وقطعوا رأس الاميرين وشالوا جثتهما الى بيوتهما فغسلوهما وكفنوهما ودفنوهما بمدفن أبي الشوارب الذي بطريق الازبكية عند غيط الطواشي وذلك في سنة ست وثلاثين ومائة وألف ثم ارسلوا رأسيهما مسلوخين فدفنوهما أيضا وانقضت دولة اسمعيل بك ابن ايواظ وكانت ايامه سعيدة وافعاله حميدة والاقاليم في أمن وامان من قطاع الطريق واولاد الحرام وله وقائع مع حبيب وأولاده يطول شرحها وسيأتي استطراد بعضها في ترجمة سويلم وكان صاحب

قال ابن الكلبي أول من اشتد ملكه من كندة حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحرث الكندي فلما هلك ملك بعد أبيه عمرو ومثل ملك أبيه فسمي المقصور لانه قصر على ملك أبيه فتزوج عمرو أم اياس بنت عوف بن محلم الشيباني فولدت له الحرث فملك بعد أربعين سنة وقيل ستين سنة فخرج يتصيد فرأى عانة وهي حمر الوحش فشد عليها فانفرد منها حمار فتبعه واقسم أن لا يأكل شيأ قبل كبده وهو بمحلان فطلبته الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته فأتى به وقد كاد يموت من الجوع فشوى على النار وأطعم من كبده وهي حارة فمات وكان الحرث فرق بنيه في قبائل معد فجعل حجرا في بني اسد وكنانة وهو أكبر ولده وجعل شرحبيل في بكر بن وائل وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبني أسيد بن عمرو بن تميم والرباب وجعل سلمة وهو أصغرهم في بني تغلب والنمر بن قاسط وبني سعد بن زيد مناة بن تميم وجعل ابنه معديكرب ويعرف بغلفاء في قيس عيلان وقد تقدم هذا في قتل حجر أبي امرئ القيس وانما أعدناه ههنا للحاجة اليه فلما هلك الحرث تشتت أمر أولاده وتفرقت كلمتهم ومشى بينهم الرجال وكانت المغاورة بين الاحياء الذين معهم وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش فسار شرحبيل فيمن معه من الجيوش فنزل الكلاب وهو ماء بين البصرة والكوفة وأقبل سلمة فيمن معه وفي الصنائع أيضا وهم قوم كانوا مع الملوك من شذاذ العرب فاقبلوا الى الكلاب وعلى تغلب السفاح بن خالد بن كعب بن زهير فاقتتلوا قتالا شديدا وثبت بعضهم لبعض فلما كان آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل وانهزموا وثبتت بكر وانصرفت بنو سعد ومن معها عن تغلب وصبرت تغلب ونادى منادي شرحبيل من أتاني برأس سلمة فله مائة من الابل ونادى منادي سلمة من أتاني برأس شرحبيل فله مائة من الابل فاشتد القتال حينئذ كل يطلب ان يظفر لعله يصل الى قتل أحد الرجلين ليأخذ مائة من الابل فكانت الغلبة آخر النهار لتغلب وسلمة ومضى شرحبيل منهزما فتبعه ذو السنينة التغلبي فالتفت اليه شرحبيل فضربه على ركبته فاطن رجله وكان ذو السنينة أخا أبي حنش لامه فقال لاخيه قتلني الرجل وهلك ذو السنينة فقال أبو حنش لشرحبيل قتلني الله ان لم أقتلك وحمل عليه فادركه فقال يا أبا حنش اللبن اللبن يعني الدية فقال قد هرقت لبنا كثيرا فقال يا أبا حنش املكا بسوقة فقال ان أخي ملكي فطعنه فالقاه عن فرسه ونزل اليه فاخذ رأسه وبعث به الى سلمة مع ابن عم له فاتاه به وألقاه بين يديه فقال سلمة لو كنت ألقيته أرفق من هذا وعرفت الندامة في وجه سلمة والجزع عليه فهرب أبو حنش منه فقال سلمة

الا ابلغ أبا حنش رسولا * فمالك لا تجيء الى الثواب
اتعلم ان خير الناس طرا * قتيل بين احجار الكلاب

تداعت

عقل وتدبير وسياسة في الاحكام وفطانة ورياسة وفراسة في الامور * فمن ذلك ما يحكى عنه ان امرأة من الشرقية تعدى عليها بعض الحرامية وسرق بقرتها ومعها عجلتها فاستيقظت من نومها وصرخت وأصبحت خرجت من دارها وهي تقول لا بد من ذهابي الى ابن ايواظ وكيف يأخذ وابقرتي في أيامه ولم تزل حتى وصلت اليه وكان لا يحجب أحدا يأتي اليه في شكوى أو تظلم فقال لها من أي بلد أنت قالت من تلبانة قال اكتبوا القائمقام يفحص لها عن بقرتها وختم الورقة وأعطاها لرجل قواس وامره بالذهاب معها وقال له اذهب واذا وصلت الى القرية أول من يلاقيكما ويسالكما فاقبض عليه واذهب به الى قائمقام يقرره فان البقرة عنده فلما وصلا الى القرية واذا برجل هابط من فوق التل وهو يسال المرأة ويقول لها ايش فعل معك ابن ايوظ فقبض عليه القواس وأخذه الى قائمقام فأمر بعقوبته وضربه فاقر بالبقرة انها عنده في القاعة فارسل من أتى بها وأعطاها لصاحبتها فاخذتها وذهبت وهي فرحانة * ومنها انه حضر بين يديه جماعة متهومون وسالهم فانكروا فامرهم بالخروج من بين يديه وأحضرهم مرة أخرى كذلك فانكروا وكرر احضارهم واخراجهم ثم عرق منهم شخصا وامر بتقريره فاقر بادنى عقوبة فتعجب من شاهد ذلك وسئل عن سر معرفة ذلك الشخص من دون الجماعة فقال انه علم ... يكون هو آخرهم في الدخول وعندما آمرهم بالانصراف يكون هو أولهم في الخروج فعلمت من ذلك

تداعت حوله جشم بن بكر * وأسلمه جعاسيس الرباب

فاجابه أبو حنش فقال

أحاذران أجيئك ثم تحبو * حباء أبيك يوم ضبيعات
وكانت غدرة شنعاء تهفو * تقلدها أبوك الى الممات

وكان سبب يوم ضبيعات ان ابنا للحرث كان مسترضعا في تميم و بكر ولدغته حية فمات فاخذ خمسين رجلا من تميم وخمسين رجلا من بكر فقتلهم به ولما قتل شرحبيل قام بنو زيد مناة بن تميم دون أهله وعياله فمنعوهم وحالوا بين الناس و بينهم حتى الحقوهم بقومهم ومامنهم ولما بلغ خبر قتله أخاه معد يكرب وهو غلفاء قال يرثيه

ان جنبي عن الفراش لنابي * كتجافي الاسر فوق الظراب
من حديث نمى الى فما تر * قأ عيني ولا أسيغ شرابي
مرة كالذعاف أكتمها النا * س على حر ملة كالشهاب
من شرحبيل اذ تعاوره الار * ماح من بعد لذة وشباب
يا ابن امي ولو شهدتك اذ تد * عو تميما وأنت غير مجاب
ثم طاعنت من ورائك حتى * يبلغ الرحب أو تبز ثيابي
احسنت وائل وعادتها الاحـ * ـسان بالجب يوم ضرب الرقاب
يوم فرت بنو تميم وولت * خيلهم يتقين بالاذناب

وهي طويلة ثم ان تغلب اخرجوا سلمة من بينهم فلجأ الى بكر بن وائل وانضم اليهم ولحقت تغلب بالمنذر بن امرئ القيس اللخمي (الكلاب بضم الكاف أسيد بن عمرو بضم الهمزة وفتح السين المهملة وتشديد الياء المثناة من تحت وذا السفينة بضم السين المهملة تصغير سن والرباب بكسر الراء وتخفيف الباء الاولى الموحدة)

(يوم أوارة الاول)

وهو يوم كان بين المنذر بن امرئ القيس وبين بكر بن وائل وكان سببه ان تغلب لما أخرجت سلمة بن الحرث عنها التجأ الى بكر بن وائل كما ذكرناه آنفا فلما صار عند بكر أذعنت له وحشدت عليه وقالوا لا يملكنا غيرك فبعث اليهم المنذر يدعوهم الى طاعته فابوا ذلك فحلف المنذر ليسيرن اليهم فان ظفر بهم فليذبحنهم على قلة جبل أوارة حتى يبلغ الدم الحضيض وسار اليهم في جموعه فالتقوا باوارة فاقتتلوا قتالا شديدا وأجلت الواقعة عن هزيمة بكر وأسر يزيد بن شرحبيل الكندي فامر المنذر بقتله فقتل وقتل في المعركة بشر كثير وأسر المنذر من بكر أسرى كثيرة فامر بهم فذبحوا على جبل أوارة فجعل الدم يجمد فقيل له أبيت اللعن لو ذبحت كل بكري على وجه الارض لم يبلغ دماؤهم الحضيض ولكن لو صببت عليه الماء ففعل فسال الدم الى الحضيض وأمر بالنساء ان يحرقن بالنار وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعا الى المنذر فكلمه في سبي

انه صاحب العملة وله عدة مآثر ومآثر * ومنها انه جدد سقف الجامع الازهر وكان قد آل الى السقوط وأنشأ مسجد سيدي ابراهيم الدسوقي بدسوق وكذلك أنشأ مسجد سيدي علي المليجي على الصفة التي هما عليها الآن ولما تم بناء المسجد المليجي سافر اليه ليراه وذلك في منتصف شهر شعبان سنة خمس وثلاثين ومائة وألف ثم ذهب الى طندتا وزار ضريح سيدي أحمد البدوي وتعجب الناس من قوة جنانه وخروجه من مصر وبها أخصامه والكارهون له ويريدون له الغوائل وهو يعلم ذلك مع ان محمد بك جركس مع شهرته بالشجاعة لم يخرج الى العادلية من يوم ظهوره وأكثر أيامه ملازم لبيته * ومن افاعيله الجميلة انه كان يرسل غلال الحرمين في أوانها ويرسل القومانية الى البنادر ويجعل في بندر السويس والمويلح والينبع غلال سنة قابلة في الشون تشحن السفائن وتسافر في أوانها ويرسل خلافها على هذا النسق ولما بلغ خبر موته لاهل الحرمين حزنوا عليه وصلوا عليه صلاة الغيبة عند الكعبة وكذلك أهل المدينة صلوا عليه بين المنبر والمقام ومات وله من العمر ثمان وعشرون سنة وطلع أميرا بالحج ست مرات آخرها سنة ثلاث وثلاثين ورثاه الشعراء بمراث كثيرة لم أظفر بشيء منها سوى أبيات من قصيدة طويلة وهي * وماهذه الدنيا سوى دار غرة * فنعماؤها بؤس وفي نفعها ضر * ورفعتها خفض وراحتها عنا وعزتها ذل وفي صفوها كدر * تريك سرورا وافي سرور وغبطة * كجان أصاب الايم في يانع الثمر * ألم تر ما أودت عزيزا وملكت *

بكر بن وائل فاطلقهم للمنذر فقال الاعشى يفتخر بشفاعة القيسي الى المنذر فى بكر

ومنا الذى أعطاه بالجمع ربه * على فاقة وللملوك هباتها
سبايا بنى شيبان يوم أوارة * على النار اذ تجلى به فتياتها

(يوم أوارة الثانى)

كان عمرو بن المنذر اللخمى قد ترك ابنا له اسمه أسعد عند زرارة بن عدس التميمى فلما ترعرع مرت به ناقة سمينة فعبث بها فرمى ضرعها فشد عليه ربها سويد أحد بنى عبد الله ابن دارم التميمى فقتله وهرب فلحق بمكة فحالف قريشا وكان عمرو بن المنذر غزا قبل ذلك ومعه زرارة فأخفق فلما كان حيال جبلى طيئ قال له زرارة أى ملك اذا غزا لم يرجع ولم يصب فضل على طيئ فانك بحيالهما فمال اليهم فاسر وقتل وغنم فكانت فى صدور طيئ على زرارة فلما قتل سويد أسعد وزرارة يومئذ عند عمرو وقال له عمرو بن ملقط الطائى يحرض عمرا على زرارة

من مبلغ عمرا بان المرء لم يخلق صباره
ها ان عجزة أمه * بالسفح أسفل من أواره
فاقتل زرارة لا أرى * فى القوم أوفى من زراره

فقال عمرو يا زرارة ما تقول قال كذبت قد علمت عداوتهم فيك قال صدقت فلما جن الليل سار زرارة مجدا الى قومه ولم يلبث ان مرض فلما حضرته الوفاة قال لابنه يا حاجب ضم اليك غلمتى فى بنى نهشل و قال لابن أخيه عمرو بن عمرو عليك بعمرو بن ملقط فانه حرض على الملك فقال له يا عماه لقد اسندت الى أبعدهما شقة وأشدهما شوكة فلما مات زرارة تهيأ عمرو بن عمرو فى جمع وغزا طيئا فاصاب الطريفين طريف بن مالك وطريف بن عمرو وقتل الملاقط فقال علقمة بن عبدة فى ذلك

ونحن جلبنا من ضرية خيلنا * نجنبها حد الاكام قطاقطا
أصبنا الطريف والطريف بن مالك * وكان شفاء لو اصبن الملاقطا

فلما بلغ عمرو بن المنذر وفاة زرارة غزا بنى دارم وقد كان حلف ليقتلن منهم مائة فسار يطلبهم حتى بلغ أوارة وقد أنذروا به فتفرقوا فاقام مكانه وبث سراياه فيهم فاتوه بتسعة وتسعين رجلا سوى من قتلوا فى غاراتهم فقتلهم فجاء رجل من البراجم شاعر ليمدحه فاخذه ليقتله ليتم مائة ثم قال ان الشقى وافد البراجم فذهبت مثلا وقيل انه نذر ان يحرقهم فلذلك سمى محرقا فاحرق منهم تسعة وتسعين رجلا واجتاز رجل من البراجم فشم قتار اللحم فظن ان الملك يتخذ طعاما فقصده فقال من أنت فقال أبيت اللعن أنا وافد البراجم فقال ان الشقى وافد البراجم ثم أمر به فقذف فى النار فقال جرير للفرزدق

أين الذين بنار عمرو أحرقوا * أم اين أسعد فيكم المسترضع

وصارت تميم بعد ذلك يعيرون بحب الاكل لطمع البرجمى فى الاكل فقال بعضهم

ذليلا ودلث بالغرور وبالغرر * فلا تغتروا ذا اللب يوما بها وكن * على حذر فالعارفون على حذر * ترى بؤس اسمعيل بيك بعض مرنا
الى ان له دانت رقاب ذوى الخطر * وكان جديرا بالرئاسة والعلا * فقد سار فينا سيرة سار ها عمر

وكان له حزم ورأى ومنعة * ولكن اذا جاء القضا عمى البصر
به غدر الجبار جركس ما كرا
فعما قليل سوف يجزى بما مكر
أشرله كيدا به كان حتفه
بديوان مصر بئس والله ما أسر
فقطعه اربا وسيق لجثة
وقاتله ظلما يساق الى سقر
وجندل من اتباعه كل صنجق
كبير عظيم الشان أو بعد غرر
فتبت يداه أو فشلت يمينه
والا رماه الله بالعجز والقصر

(ومنها)

فمن بعده الاذناب فوق الرؤس قد
علت وعلى الاشراف قد جاء محتقر
تقدمت الانذال لما تأخرت
صناديدها هذا العمرى من الكبر
ألا فى سبيل الله قامت قرودها
ونامت سراحين المعارك فى الحفر
فاين جبان القلب من أسد الشرى
وهيهات أم أين الذوات من الصور

(ومنها)

فكل مصاب عنده مصطبر سوى
مصاب أتانا فيه ما عنه مصطبر
فسبحان من عز الملوك بعزه
ومن بعده للخلق بالموت قد قهر
الهى فامطر سحب عفوك دائما
اتهمى عليه فى المساء وفى السحر
وكن رب عن تقصيره متجاوزا
وعامله بالغفران يا خير من غفر * (ثم ظفرت) بابيات فى اوراق مدشتة بخط الامام العلامة الشيخ محمد العمرى وهى
اذا
* أفى أمان وسيف الامن قد غمدا * وبدر أفق سماء العدل قد فقدا *

اذا ما مات ميت من تميم * فسرك أن يعيش فجئ بزاد
بخبز أو بلحم أو بتمر * أوالشئ الملفف فى البجاد
تراه ينقب البطن ساحولا * ايا كل رأس لقمان بن عاد

قيل دخل الاحنف بن قيس على معاوية بن أبى سفيان فقال له معاوية ما الشئ الملفف فى البجاد يا أبا بحر قال السخينة يا أمير المؤمنين والسخينة طعام تعير به قريش كما كانت تعير تميم بالملفف فى البجاد قال فلم يرمثا زحان أو قرمهما

(ذكر قتل زهير بن جذيمة وخالد بن جعفر بن كلاب والحرث بن ظالم المرى وذكر يوم الرحرحان)

كان زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس العبسى وهو والد قيس بن زهير صاحب حرب داحس والغبراء سيد قيس عيلان فتزوج اليه ملك الحيرة وهو النعمان بن امرئ القيس جد النعمان بن المنذر واشرفه وسوده فارسل النعمان الى زهير يستزيره بعض أولاده فارسل ابنه شاسا وكان أصغر ولده فاكرمه وحباه فلما انصرف الى أبيه كساه حللا وأعطاه مالا وطيبا فخرج شاس يريد قومه فبلغ ماء من مياه غنى بن أعصر فقتله رباح بن الاشل الغنوى وأخذ ما كان معه وهو لا يعرفه وقيل لزهير ان شاسا أقبل من عند الملك وكان آخر العهد به بماء من مياه غنى فسار زهير الى ديار غنى وهم حلفاء فى بنى عامر بن صعصعة فاجتمعوا عنده فسألهم عن ابنه فحلفوا انهم لم يعلموا خبره قال لكنى أعلمه فقال له أبو عامرة ما الذى يرضيك منا قال واحدة من ثلاث اما تحيون ولدى واما تسلمون الى غنيا حتى أقتلهم بولدى واما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا وبقيتم فقالوا ما جعلت لنا فى هذه مخرجا أما احياء ولدك فلا يقدر عليه الا الله وأما تسليم غنى اليك فهم يمتنعون مما يمتنع منه الاحرار وأما الحرب بيننا فوالله اننا لنحب رضاك ونكره سخطك ولكن ان شئت الدية وان شئت نطلب قاتل ابنك فنسلمه اليك أو تهب دمه فانه لا يضيع فى القرابة والجوار فقال ما أفعل الا ما ذكرت فلما رأى خالد بن جعفر بن كلاب تعدى زهير على اخواله من غنى قال والله ما رأينا كاليوم تعدى رجل على قومه فقال له زهير فهل لك ان تكون طلبتى عندك وأترك غنيا قال نعم فانصرف زهير وهو يقول

فلولا كلاب قد أخذت قريتى * برد غنى أعبدا ومواليا
ولكن حمتهم عصبة عامرية * يهزون فى الارض القصار العواليا
مساعير فى الهيجا مصاليت فى الوغى * أخوهم عزيز لا يخاف الاعاديا
يقيمون فى دار الحفاظ تكرما * اذا ما فنى القوم أضحت خواليا

ثم انه أرسل امرأة وأمرها ان تكتم نسبها وأعطاها لحم جزور سمينة وسيرها الى غنى لتبيع اللحم بطيب وتسأل عن حال ولده فانطلقت المرأة الى غنى وفعلت ما أمرها فانتهت الى

وشمس نصر عباد الله قد كسفت * ودولة العز ماتت بالذى لحدا * ياعين جودى بدمع هاطل ندما * على الذى كان فى مصر لنا سندا
يا اهل مصر بكاء واندبوا رجلا * مهذبا مثله فى العز ما وجدا * كم قد اغاث فقيرا من ظلامته * وابدل الجور عدلا والفسوق هدى
فالآن حق لكم ذوب الفؤاد اسى * فقد فقدتم وحق الله كل ندى
وقد فقدتم اميرا لا نظير له * فى دولة المجد ما خلى ولا ولدا
نجل لا بوانا اسمعيل فاق على * أقرانه وبجمع الخير انفردا
فالله يرحمه فضلا ويلهم من * بقى من الدولة الاصلاح والرشدا
تاريخ ذلك قرى فى آية تليت * فى الروم قد ذكرت هذا الذى وردا
وهى قوله تعالى ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدى الناس (وأيضا)
ألا ان اسمعيل قدس سره * بحور حسان فى الجنان تنازله
سيلقى نعيما دائما عند ربه * وجنات عدن أزلفت ومنازله
ولا بد أن الله يأخذ من سطا * عليه بتاريخ سيقتل قاتله
*وكان منزله هو بيت يوسف بك بدرب الجماميز المجاور لجامع بشتاك المطل على بركة الفيل وقد عمره وزخرفه بانواع الرخام الملون وصرف عليه أموالا عظيمة وقد خرب وصار حيشانا ومساكن للفقراء وطريقا يسلك منها المارة الى البركة ويسمونها الخرابة
ولما مات لم يخلف سوى ابنة صغيرة ماتت بعده بمدة يسيرة وحملين فى سريتين ولدت احداهن ولدا وسموه ابو الذهب عاش نحو سبعة أشهر ومات وولدت الاخرى بنتا ماتت فى فصل كودون البلوغ فسبحان الحى الذى لا يموت *(ومات)* الامير

اسمعيل بك جرجا وكان أصله خازندارا ايواظ بك الكبير وأمره اسمعيل بك وقلده صنجقا ومنصب جرجا فلذلك لقب بذلك
ولم يزل حتى قتل مع ابن سيده في ساعة واحدة ودفن معه في مدفن رضوان بك أبي الشوارب

امرأة رباح بن الاشل وقالت له قد زوجت بنتا لي وابغي الطيب بهذا اللحم فاعطتها طيبا وحدثتها بقتل زوجها شاسا فعادت المرأة الى زهير واخبرته فجمع خيله وجعل يغير على غني حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ووقعت الحرب بين بني عبس وبني عامر وعظم الشر ثم ان زهيرا خرج في بنيه واهل بيته في الشهر الحرام الى عكاظ فالتقى هو وخالد بن جعفر بن كلاب فقال له خالد لقد طال شرنا منك يا زهير فقال زهير اما والله ما دامت لي قوة ادرك بها ثارا فلا انصرام له وكانت هوازن تؤتي زهير بن جذيمة الاتاوة كل سنة بعكاظ وهو يسومها الخسف وفي أنفسها منه غيظ وحقد ثم عاد خالد وزهير الى قومهما فسبق خالد الى بلاد هوازن فجمع اليه قومه وندبهم الى قتال زهير فاجابوه وتاهبوا للحرب وخرجوا يريدون زهيرا وهم على طريقه وسار زهير حتى نزل على اطراف بلاد هوازن فقال له ابنه قيس انج بنا من هذه الارض فانا قريب من عدونا فقال له يا عاجز وما الذي تخوفني به من هوازن وتتقي شرها فانا اعلم الناس بها فقال ابنه دع عنك اللجاج وأطعني وسر بنا فاني خائف عاديتهم وكانت تماضر بنت الشريد بن رباح بن يقظة بن عصية السلمية أم ولد زهير وقد أصاب بعض اخوتها دما فلحق ببني عامر وكان فيهم فارسله خالد عينا ليأتيه بخبر زهير فخرج حتى أتاهم في منزلهم فعلم قيس بن زهير حاله وأراده وأبوه ان يوثقوه ويأخذوه معهم الى ان يخرجوا من أرض هوازن فمنعت أخته فاخذوا عليه العهود ان لا يخبر بهم واطلقوه فسار الى خالد ووقف الى شجرة يخبرها الخبر فركب خالد ومن معه الى زهير وهو غير بعيد منهم فاقتتلوا قتالا شديدا والتقى خالد وزهير فاقتتلا طويلا ثم تعانقا فسقطا على الارض وشد ورقاء بن زهير على خالد وضربه بسيفه فلم يصنع شيأ لانه قد ظاهر بين درعين وحمل جندح بن البكاء وهو ابن امرأة خالد على زهير فقتله وهو وخالد يعتركان فثار خالد عنه وعادت هوازن الى منازلها وحمل بنو زهير اباهم الى بلادهم فقال ورقاء بن زهير في ذلك

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد * فاقبلت أسعى كالعجول أبادر
الى بطلين يعتران كلاهما * يريد رياش السيف والسيف نادر
فشلت يميني يوم اضرب خالدا * ويمنعه مني الحديد المظاهر
فيا ليت اني قبل أيام خالد * وقبل زهير لم تلدني تماضر
لعمري لقد بشرت بي اذ ولدتني * فماذا الذي ردت عليك البشائر
فلا يدعني قومي صريحا بحرة * لئن كنت مقتولا ويسلم عامر
فطر خالدا ان كنت تستطيع طيرة * ولا تقعن الا وقلبك حاذر
اتتك المنايا ان بقيت بضربة * تفارق منها العيش والموت حاضر

وقال خالد يمن على هوازن بقتله زهيرا

ابلغ هوازن كيف تكفر بعدما * اعتقتهم فتوالدوا احرارا

(ومات) * كل من الامير عبد الله بك والامير محمد بك بن ايواظ والامير ابراهيم بك تابع الجزار قتل الثلاثة المذكورون في ليلة واحدة وذلك انه لما قتل الامير اسمعيل بك ابن ايواظ بالقلعة بيد ذي الفقار تمالأ محمد بك جركس في الباطن وعبد الله بك لم يكن حاضرا انضمت طوائف الامراء المقتولين ومماليكهم الى عبد الله بك لكونه زوج أخت المرحوم اسمعيل بك ومن خاصة مماليك ايواظ بك الكبير وكان كتخداه في حياته وقلده اسمعيل بك الامارة والصنجقية وطلع أميرا بالحج في السنة الماضية التي هي سنة خمس وثلاثين ورجع سنة ست وثلاثين فلما وقع ذلك انضموا اليه لكونه أرأس الموجودين وأعقلهم وأقبلت عليه الناس يعزونه في ابن سيده اسمعيل بك وازدحم بيته بالناس وتحققت المبغضون انه ان استمر وجوده ظهر شأنه وانتقم منهم فاعملوا الحيلة في قتله وقتل امرائهم وطلع في ثاني يوم ذو الفقار قاتل المرحوم اسمعيل بك الى القلعة فخلع عليه الباشا وقلده الامرية والصنجقية وكاشف اقاليم المنوفية ونزل الى بيت جركس ومعه تذكرة من كتخدا الباشا مضمونها انه يجمع عنده عبد الله بك وقتلت
ومحمد بك ومحمد بك ابن ايواظ وابراهيم بك الجزار ويعمل الحيلة في قتلهم فكتب جركس تذكرة الى عبد الله بك وأرسلها

وقتلت ربهم زهيرا بعدما * جدع الانوف وأكثر الاوتارا
وجعلت مهر نسائهم ودياتهم * عقل الملوك هجائنا وبكارا

وكان زهير سيد غطفان فعلم خالد ان غطفان ستطلبه بسيدها فسار الى النعمان بن امرئ القيس بالحيرة فاستجاره فاجاره فضرب له قبة وجمع بنو زهير لهوازن فقال الحرث ابن ظالم المرى اكفونى حرب هوازن وأنا أكفيكم خالد بن جعفر وسار الحرث حتى قدم على النعمان فدخل عليه وعنده خالد وهما يأكلان تمرا فاقبل النعمان يسائله فسده خالد فقال للنعمان أبيت اللعن هذا رجل لى عنده يد عظيمة قتلت زهيرا وهو سيد غطفان فصار هو سيدها فقال الحرث ساجزيك على يدك عندى وجعل الحرث يتناول التمر ليأكله فيقع من بين اصابعه من الغضب فقال عروة لاخيه خالد ما أردت بكلامه وقد عرفته فتاكا فقال خالد وما يخوفنى منه فوالله لو رآنى نائما ما ايقظنى ثم خرج خالد وأخوه الى قبتهما فشرجاها عليهما ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه فلما أظلم الليل انطلق الحرث الى خالد فقطع شرج القبة ودخلها وقال لعروة لئن تكلمت قتلتك ثم أيقظ خالدا فلما استيقظ قال اتعرفنى قال أنت الحرث قال خذ جزاء يدك عندى وضربه بسيفه المعلوب فقتله ثم خرج من القبة وركب راحلته وسار وخرج عروة من القبة يستغيث وأتى باب النعمان فدخل عليه وأخبره الخبر فبث الرجال فى طلب الحرث قال الحرث فلما سرت قليلا خفت ان أكون لم أقتله فعدت متنكرا واختلطت بالناس ودخلت عليه فضربته بالسيف حتى تيقنت انه مقتول وعدت فلحقت بقومى فقال عبد الله بن جعدة الكلابى

ياحار لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعشا ولا معزالا
شقت عليه الجعفرية جيبها * جزعا وماتبكى هناك ضلالا
فاتموا أبا بحر بكل مجرب * حران يحسب فى القناة هلالا
فليقتلن بخالد سرواتكم * وليجعلن لظالم تمثالا

فاجابه الحرث

تالله قد نبهته فوجدته * رخو اليدين مواكلا عسقالا
فعلوته بالسيف اضرب رأسه * حتى أضل بسلحه السربالا

فجعل النعمان يطلبه ليقتله بجاره وهوازن تطلبه لتقتله بسيدها خالد فلحق بتميم فاستجار بضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم فاجاره على النعمان وهوازن فلما علم النعمان ذلك جهز جيشا الى بنى دارم عليهم ابن الخمس التغلبى وكان يطلب الحرث بدم أبيه لانه كان قتله ثم ان الاحوص بن جعفر أخا خالد جمع بنى عامر وسار بهم فاجتمعوا هم وعسكر النعمان على بنى دارم وساروا فلما صاروا بادنى مياه بنى دارم رأوا امرأة تجنى الكماة ومعها جمل لها فاخذها رجل من غنى وتركها عنده فلما

صحبة كتخداه يطلبه للحضور عنده ليعمل معه تدبيرا فى قتل قاتل المرحومين فلما حضر كتخدا جركس الى بيت عبد الله بك بالتذكرة وجد البيت مملوأ بالناس والعساكر والاختيارية والجربجية وواجب رعاياه وعنده على كتخدا الجلفى عزبان وحسن كتخدا حبانية تابع يوسف كتخدا تابع محمد كتخدا البيورقلى وغيرهم نفر وطوائف كثيرة فأعطاه التذكرة فقرأها ثم قال لعلى بك الهندى خذ محمد بك وابراهيم بك واذهبوا الى بيت محمد بك جركس وانظروا كلامه وارجعوا فاخبرونى بما يقول فركبوا وذهبوا عند جركس فدخلوا عليه فوجدوا عنده ذا الفقار بك وهو يتناجى معه سرا فادخلهم الى تهنة المجلس وأرسل فى الحال الى كتخدا الباشا يخبره بحضور المذكورين عنده ويقول له ارسل الى عبد الله بك واطلبه فان طلع اليكم وعوقتموه ملكنا غرضنا فى باقى الجماعة فارسل الكتخدا يقول لجركس أن لا يتعرض لعلى بك الهندى لان السلطان أوصى عليه وكذلك صارى على أوصى عليه الباشا لانه أمين العنبر وناصح فى الخدمة وأرسل فى الحال تذكرة الى عبد الله بك باخذ خاطره ويعزيه فى العزيز ابن سيده ويطلبه للحضور عنده ليدبر معه أمر هذه القضية وقتل قاتل المرحوم فراج عليه ذلك الكلام والتمويه ويقول له أيضا انه يحضر صحبة مصطفى جلبى ابن ايواظ يلبسونه صنجقية أخيه يفتح بيت أخيه لانه عاقل عن أخيه محمد وأرسلها صحبة جوخدار من طرفه فلما دخل الى بيت عبد الله بك وجده مزدحما بالناس

كان الليل نام فقامت الى جملها فركبته وسارت حتى صبحت بنى دارم وقصدت سيدهم زرارة بن عدس فاخبرته الخبر وقالت أخذنى أمس قوم لا يريدون غيرك ولا أعرفهم قال فصفيهم لى قالت رأيت رجلا قد سقط حاجباه فهو يرفعهما بخرقة صغير العينين وعن أمره يصدرون قال ذاك الاحوص وهو سيد القوم قالت ورأيت رجلا قليل المنطق اذ تكلم اجتمع القوم كما تجتمع الابل لفحلها أحسن الناس وجها ومعه ابنان له يلازمانه قال ذاك مالك بن جعفر وابناه عامر وطفيل قالت ورأيت رجلا جسيما كأن لحيته مجمرة معصفرة قال ذاك عوف بن الاحوص قالت ورأيت رجلا هلقاما جسيما قال ذاك ربيعة ابن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب قالت ورأيت رجلا اسود أخنس قصيرا قال ذاك ربيعة ابن قرط بن عبد الله بن أبى بكر قالت ورأيت رجلا أقرن الحاجبين كثير شعر السبلة يسيل لعابه على لحيته اذا تكلم قال ذاك جندح بن البكاء قالت ورأيت رجلا صغير العينين ضيق الجبهة يقود فرساله معه جفير لا يفارق يده قال ذاك ربيعة بن عقيل بن كعب قالت ورأيت رجلا معه ابنان اصهبان اذا أقبلا رماهما الناس بابصارهم فاذا أدبرا كانا كذلك قال ذاك الصعق بن عمرو بن خويلد بن نفيل وابناه يزيد وزرعة قالت ورأيت رجلا لا يقول كلمة الا وهى أحد من شفرة قال ذاك عبد الله بن جعدة بن كعب وأمرها زرارة فدخلت بيتها وأرسل زرارة الى الرعاء يامرهم باحضار الابل ففعلوا وأمرهم فحملوا الاهل والاثقال وساروا نحو بلاد بغيض وفرق الرسل فى بنى مالك بن حنظلة فاتوه فاخبرهم الخبر وأمرهم فوجهوا اثقالهم الى بلاد بغيض وباتوا معدين وأصبح بنو عامر وأخبرهم الغنوى حال الظعينة وهربها فسقط فى أيديهم واجتمعوا يريدون الرأى فقال بعضهم كانى بالظعينة قد أتت قومها فاخبرتهم الخبر فحذروا وأرسلوا أهليهم وأموالهم الى بلاد بغيض وباتوا معدين لكم فى السلاح فاركبوا بنا فى طلب نعمهم وأموالهم فانهم لا يشعرون حتى نصيب حاجتنا وننصرف فركبوا يطلبون ظعن بنى دارم فلما أبطأ القوم عن زرارة قال لقومه ان القوم قد توجهوا الى ظعنكم وأموالكم فسيروا اليهم فساروا مجدين فلحقوهم قبل ان يصلوا الى الظعن والنعم فاقتتلوا قتالا شديدا فقتلت بنو مالك بن حنظلة بن الخمس التغلبى رئيس جيش النعمان واسرت بنو عامر معبد بن زرارة وصبر بنو دارم حتى انتصف النهار وأقبل قيس بن زهير فيمن معه من ناحية أخرى فانهزمت بنو عامر وجيش النعمان وعادوا الى بلادهم ومعبد أسير مع بنى عامر فبقى معهم حتى مات وفى تلك الايام أيضا مات زرارة بن عدس وقيل فى استجارة الحرث بنى تميم غير ذلك وهو أن النعمان طلب شيأ يغيظ به الحرث بعد قتل خالد وهربه فقيل له كان قصد الحيرة ونزل على عياض بن وهب التميمى وهو صديق له فبعث اليه النعمان فأخذ ابلاله فركب الحرث وأتى الحيرة متخفيا واستنقذ ماله من الرعاء ورده عليه وطلب شيأ يغيظ به النعمان فرأى ابنه فضبان فضرب رأسه بالسيف فقتله وبلغ

النعمان

قد دخل اليه وأعطاه التذكرة فقرأها وأعطاها لعلى كتخدا الجلفى فقرأها أيضا فاشار عليه بعدم الذهاب فلم يقبل وركب فى الحال لاجل نفاذ المقدور وقال لعلى كتخدا اجلس هنا ولا تفارق حتى أرجع وطلع الى القلعة ومعه عشرة من الطائفة ومملوكان والسعاة فقط ودخل على كتخدا الباشا فتلقاه بالبشاشة ورحب به وشاغله بالكلام الى العصر وعندما بلغ محمد بك جركس ركوب عبد الله بك وطلوعه الى القلعة صرف على بك الهندى ووضع القبض على محمد بك ابن ايواظ وابراهيم بك الجزار وربط خيولهما بالاسطبل وطردوا جماعتهم وطوائفهم وسراجينهم ولم يزل كتخدا الباشا يشاغل عبد الله بك ويحادثه ويلاهيه الى قبيل الغروب حتى قلق عبد الله بك وأراد الانصراف فقال له كتخدا الباشا لابد من ملاقاتك الباشا ومحادثتك معه وقام يستاذن له ودخل ورجع اليه وقال له ان الباشا لا يخرج من الحريم الا بعد الغروب وأنت ضيفى فى هذه الليلة لاجل ما تتحادث مع الباشا فى الليل وحسن له ذلك فعند ذلك قال لاتباعه وطوائفه انزلوا ائتوا أهل البيت وأتونى فى الصباح فنزلوا ثم ان الكتخدا قام وأخذ صحبته الصنجق ودخل به الى أودة الخازندار وقام وتركه الى الصباح فطلع محمد بك جركس وابن سيده محمد بك ابن أبى شنب وذو الفقار بك وقاسم بك وابراهيم بك ابو شنب وأحمد بك الاعسر الدفتردار فخلع الباشا على محمد بك اسمعيل وقلده أمير الحاج وقلد عمر

أغا كتخدا جاويشية هو ضامن عبد الله أغا وقلد محمد أغا الهلوبة والي ونزلوا الى بيوتهم وطاعت طوائف عبد الله بك وأتباعه
وانتظروه حتى انقضى أمر الديوان ولم ينزل فاستمروا في انتظار الى بعد العصر ثم سألوا عنه فقالوا
لهم انه جالس مع الباشا في
التنهة روحوا وتعالوا في
الصباح فنزلوا وأرسل محمد
بك جركس الهلوبة الوالي
الى بيت كتخدا الباشا فقعد
به الى بعد العشاء فدخلت
الجوخدارية الى عبد الله
بك فاخذوا ثيابه ومافي جيوبه
وأنزلوه وسلموه الى الوالي
فاركبه على ظهر كديش ونزل
به من باب الميدان وساروا
به الى بيت جركس فاوقفوه
عند الحوض المرصود ونزلوا
بمحمد بك ابن ايواظ وابراهيم
بك الجزار فاركبوهما حمارين
وسار بهم ابراهيم بك
فارسكور والوالي على جزيرة
الخيوطية وأنزلوهم في
المركب وصحبتهم المشاعلي
فقتلوهم وسلخوا رؤسهم
ورموهم الى البحر ورجعوا
وانقضى أمرهم وتغيب
حالهم ومافعل بهم أياما
(ومما اتفق) ان بعض
الاتباع الحاضرين قتلهم
أخذ خاتم عبد الله بك من
أصبعه وكتب تذكرة بعد
أيام عن لسان المرحوم عبد
الله بك خطابا لزوجته هانم
بنت ايواظ بك يقول فيها اننا
طيبون بخير غير أننا الا نظهر في
ايام محمد بك جركس والفروة
التي علينا ترى فيها القمل والصيبان والمراد ترسلوا لنا الجبة السمور التي وجهها
الجوخ الاخضر وبدلة حوائج وحزم ومنشفة وصوف ومائة جنزرلي من الامانة فلما قرأتها تحققت حياته وصدقت ذلك

النعمان الخبر فبعث في طلبه فلم يدركه فقال الحرث في ذلك

أخصي حمار بات يكدم نجمة * اتؤكل جاراتي وجارك سالم
فان تك أذوادا أصبت ونسوة * فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم
علوت بذي الحيات مفرق رأسه * ولا يركب المكروه الا الا كارم
فتكت به كما فتكت بخالد * وكان سلاحي تحتويه الجماجم
بدأت بتلك وانثنيت بهذه * وثالثة تبيض منها المقادم
حسبت أبا قابوس انك مخفري * ولما تذق ثكلا وأنفك راغم

كذا قال بعضهم وقيل ان المقتول كان شرحبيل بن الاسود بن المنذر وكان الاسود قد ترك ابنه شرحبيل عند سنان بن أبي حارثة المري ترضعه زوجته فمن هنالك كان لسنان مال كثير وكان ابنه هرم يعطي منه فجاء الحرث متخفيا فاستعار سرج سنان ولا يعلم سنان ثم أتى امرأة سنان فقال يقول بعلك ابعثي بشرحبيل بن الملك مع الحرث بن ظالم حتى يستأمن به ويتخفر به وهذا سرجه علامة فزينته ودفعته اليه فأخذه وقتله وهرب فغزا الاسود بني ذبيان وبني أسد بشط اربل فقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى واستاصل الاموال وأقسم ليقتلن الحرث فسار الحرث متخفيا الى الحيرة ليفتك بالاسود فبينما هو في منزله اذ سمع صارخة تقول أنا في جوار الحرث بن ظالم وعرف حالها وكان الاسود قد أخذ لها صرمة من الابل فقال لها انطلقي غدا الى مكان كذا واتاه الحرث فلما وردت ابل النعمان أخذ مالها فسلمه اليها وفيها ناقة تسمى اللقاع فقال الحرث في ذلك

اذا سمعت حنة اللقاع * فادعي أبا ليلى فنعم الداعي
يمشي بعضب صارم قطاع * يفري به مجامع الصداع

ثم اقبل يطلب مجيرا فلم يجره أحد من الناس وقالوا من يجيرك على هوازن والنعمان قد قتلت ولده فاتى زرارة بن عدس وضمرة بن ضمرة فاجاراه على جميع الناس ثم ان عمرو بن الاطنابة الخزرجي لما بلغه قتل خالد بن جعفر وكان صديقا له قال والله لو وجده يقظان ما أقدم عليه ولوددت اني لقيته وبلغ الحرث قوله وقال والله لآتينه في رحله ولا ألقاه الا ومعه سلاحه فبلغ ذلك ابن الاطنابة فقال أبياتا منها

أبلغ الحرث بن ظالم المو * عد والناذر النذور عليا
انما تقتل النيام ولا تقـ * ـتل يقظان ذا سلاح كميا

فبلغ الحرث شعره فسار الى المدينة وسأل عن منزل ابن الاطنابة فلما دنا منه نادى يا ابن الاطنابة أغثني فاتاه عمرو فقال من أنت قال رجل من بني فلان خرجت أريد بني فلان فعرض لي قوم قريبا منك فاخذوا ما كان معي فاركب معي حتى نستنقذه فركب معه ولبس سلاحه ومضى معه فلما أبعد من منزله عطف عليه وقال أنائم انت أم يقظان

الرجل ورأت ختمه وصادف قوله من الامانة وكان أعطاها كيسا وقال لها احفظيه فانه أمانة فاعطت الرجل ما في التذكرة
وانسرت بحيات زوجها ثم ان والدة محمد بك زوجة أبي شنب وكانت محظية على باشا أتت اليها مع نسوة يعزينها

فقال يقظان فقال أنا أبو ليلى وسيفي المغلوب فالتى ابن الاطنابة سيفه وقيل رمحه وقال قد أعجلتني فامهلني حتى آخذ سيفي فقال خذه قال أخاف ان تعجلني عن أخذه قال لك ذمة ظالم لا أعجلك عن أخذه قال فوذمة الاطنابة لا آخذه فانصرف الحرث وهو يقول أبياتا منها

بلغتنا مقالة المرء عمرو * فالتقينا وكان ذاك بديلا
فهممنا بقتله اذ برزنا * ووجدناه ذا سلاح كميا
غير ما انثم يروع بالفتك ولكن مقلدا مشرفيا
فمننا عليه بعد علو * بوفاء وكنت قدما وفيا

ثم ان الحرث لما علم ان النعمان قد جد في طلبه وهوازن لا تقعد عن الطلب بثار خالد خرج متنكرا الى الشام واستجار بيزيد بن عمرو فاكرمه وأجاره وكان ليزيد ناقة محماة في عنقها مدية وزناد وملح ليمتحن بذلك رعيته فوحمت زوجة الحرث واشتهت شحما ولحما فاخذ الحرث الناقة فادخلها شعبا فذبحها وحمل الى امرأته من شحمها ولحمها ورفع منه وفقدت الناقة فطلبت فوجدت عقيرة بالوادي فارسل الملك الى كاهن فسأله عنها فذكر له ان الحرث نحرها فارسل امرأة بطيب تشتري من لحمها من امرأة الحرث فادركها الحرث وقد اشترت اللحم فقتلها ودفنها في البيت فسأل الملك الكاهن عن المرأة فقال قتلها من نحر الناقة واذا كرهت ان تفتش بيته فأمر الرجل بالرحيل فاذا رحل فتشت بيته ففعل ذلك فلما رحل الحرث فتش الكاهن بيته فوجد المرأة وأحس الحرث بالشر فعاد الى الكاهن فقتله فاخذ الحرث وأحضر عند الملك فامر بقتله فقال انك قد أجرتني فلا تغدر بي فقال ان غدرت بك مرة واحدة فقد غدرت بي مرارا فقتله

(أيام داحس والغبراء وهي بين عبس وذبيان)

وكان سبب ذلك ان قيس بن زهير بن جذيمة العبسي سار الى المدينة ليتجهز لقتال عامر والاخذ بثار أبيه فأتى أحيحة بن الجلاح يشتري منه درعا موصوفة فقال له لا أبيعها ولولا أن تذمني بنو عامر لوهبتها منك ولكن اشترها بابن لبون ففعل ذلك وأخذ الدرع وتسمى ذات الحواشي ووهبه أحيحة أيضا أدراعا وعاد الى قومه وقد فرغ من جهازه فاجتاز بالربيع بن زياد العبسي فدعاه الى مساعدته على الاخذ بثاره فاجابه الى ذلك فلما أراد فراقه نظر الربيع الى عيبته فقال ما في حقيبتك قال متاع عجيب لو أبصرته لراعك وأناخ راحلته فاخرج الدرع من الحقيبة فأبصرها الربيع فاعجبته ولبسها فكانت في طوله فمنعها من قيس ولم يعطه اياها وترددت الرسل بينهما في ذلك ولج قيس في طلبها ولج الربيع في منعها فلما طالت الايام على ذلك سير قيس أهله الى مكة وأقام ينتظر غرة الربيع ثم ان الربيع سير ابله وأمواله الى مرعى كثير الكلا وأمر أهله فظعنوا وركب فرسه وسار الى المنزل فبلغ الخبر قيسا فسار في أهله واخوته فعارض

في اخوتها وزوجها فقالت أما اخوتي فعليهم رحمة الله وأما زوجي فانه حي فقالت لها أم محمد بك والله يا بنتي مات ليلة نزوله من القلعة وساوى من له سنين ومروا بهم من على بيتي وسألت ابني فقال رحمة الله عليهم فاخبرتها بالتذكرة والامارة فقالت لها هذه مصادفة حصلت للرجل حتى أخذ نصيبه وسوف يرجع اليك مرة أخرى ويطالب أشياء أخر بتذكرة أخرى فاذا أتى فقولي له عرفني بمكانه حتى أذهب اليه سرا وأراه ثم أعطيك المطلوب فكان كذلك وحضر الرجل في شكل غير الاول ومعه تذكرة وفيها مطلوبات فاجابته بذلك فحاورها وتحيل بما أمكنه فلم تعطه شيئا وذهب فلم يرجع بعد ذلك ومحمد بك ابن ابواظ الذي قتل مع عبد الله بك هو أخو المرحوم اسمعيل بك ابن ابواظ وكان يعرف بالمجنون لخفة عقله ورعونته وعمر له بيتا بمصر القديمة تجاه المقياس ويعاشر رجلا مشهورا يسمى أحمد المنشلي وله مشاديد واصطلاح فيما بينهم وبين أمثالهم وكان ينزل في الليل
ويلعب الكورة مع الاولاد تحت قصره بمصر القديمة ولما دار الدور عليه في السفر علم أخوه انه
لا يصلح لذلك فقلده الصنجقية لبعض مماليك أبيه وهو أحمد بك سيد على بك الهندي كما تقدم ومات بالروم وابراهيم بك

ظعائن

الجزار وهو مملوك يوسف بك الجزار تابع ايواظ بك وكانت قتلتهم في شهر ربيع الاول سنة ست وثلاثين ومائة والف (ومات) عبد الله بك وهو متقلد امارة الحج وعمره ست وثلاثون سنة وكان حليما سموح النفس صافي الباطن (ومات) محمد بك ابن ايواظ بك وسنه ست وعشرون سنة وكان أصغر من أخيه المرحوم (ومات) الامير قاسم بك الكبير وهو مملوك ابراهيم بك أبي شنب وخشداش محمد بك جركس تقلد الامارة والصنجقية بعد قتل قيطاس بك في سنة ست وعشرين ومائة والف في أيام عابدي باشا ولما هرب جركس وقبض عليه العربان وأحضروه الى اسمعيل بك ونفاه الى قبرص اتفق محمد بك ابن أبي شنب مع قاسم بك سرا على احضاره الى مصر وسافر محمد بك الى الروم بالخزينة واشتغل شغله هنالك على قتل اسمعيل بك وأرسل في الخفية وأحضره الى مصر وأخفاه حتى حضر رجب باشا وفعلوا ما تقدم ذكره ولم يزل أميرا ومتكلما بمصر حتى وقعت حادثة ظهور ذي الفقار بك والمحاربة الكبيرة التي خرج فيها جركس من مصر فقتل قاسم بك المذكور في بيته أصيب برصاصة من منارة الجامع كما تقدم وعند ما علم جركس بموته حضر اليه والحرب قائم وكشف وجهه فرآه ميتا فقال لم يبق لنا عيش بمصر وخرج في الحال من مصر وذلك سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف * (ومات) * الامير قاسم بك الصغير وهو أيضا من أتباع ابراهيم بك أبي شنب وكان فرعون هذه الطائفة في دولة محمد بك جركس وهو ومن جملة المتعصبين مع ذي الفقار على قتل اسمعيل بك ابن ايواظ

ظعائن الربيع وأخذ زمام أمه فاطمة بنت الخرشب وزمام زوجته فقالت فاطمة أم الربيع ما تريد يا قيس قال أذهب بكن الى مكة فابيعكن بها بسبب درعي قالت هي في ضماني وخل عنا ففعل فلما جاءت الى ابنها قالت له في معنى الدرع فحلف انه لا يرد الدرع فارسلت الى قيس اعلمته بما قال الربيع فاغار على نعم الربيع فاستاق منها أربعمائة بعير وسار بها الى مكة فباعها واشترى بها خيلا وتبعه الربيع فلم يلحقه فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء وقيل ان داحسا كان من خيل بني يربوع وان أباه كان فرسا لرجل من بني ضبة يقال له أنيف بن جبلة وكان الفرس يسمى السبط وكانت أم داحس لليربوع فطلب اليربوعي من الضبي ان ينزي فرسه على حجره فلم يفعل فلما كان الليل عمد اليربوعي الى فرس الضبي فاخذه فانزاه على فرسه فاستيقظ الضبي فلم ير فرسه فنادى في قومه فاجابوه وقد تعلق باليربوعي فاخبرهم الخبر فغضب ضبة من ذلك فقال لهم لا تعجلوا دونكم نطفة فرسكم فخذوها فقال القوم قد انصف فسطا عليها رجل من القوم فدس يده في رحمها فاخذ ما فيها فلم تزد الفرس الا لقاحا فنتجت مهرا فسمي داحسا بهذا السبب فكان عند اليربوعي ابنان له واغار قيس بن زهير على بني يربوع فنهب وسبي ورأى الغلامين أحدهما على داحس والآخر على الغبراء فطلبهما فلم يلحقهما فرجع وفي السبي أم الغلامين واختان لهما وقد وقع داحس والغبراء في قلبه وكان ذلك قبل ان يقع بينه وبين الربيع ما وقع ثم جاء وفد بني يربوع في فداء الاسرى والسبي فاطلق الجميع الا أم الغلامين واختيهما وقال ان أتاني الغلامان بالمهر والفرس الغبراء والا فلا فامتنع الغلامان من ذلك فقال شيخ من بني يربوع كان اسيرا عند قيس أبياتا وبعث بها الى الغلامين وهي

ان مهرا فدا الرباب وجملا * وسعادا لخير مهر اناس
ادفعوا داحسا بهن سراعا * انها من فعالها الاكياس
دونها والذي يحج له النا * س سبايا يبعن بالافراس
ان قيسا يرى الجواد من الخيـ * ـل حياة في متلف الانفاس
يشتري الطرف بالجراجرة الجلـ * ـة يعطي عفوا بغير مكاس

فلما انتهت الابيات الى بني يربوع قادوا الفرسين الى قيس وأخذوا النساء وقيل ان قيسا انزى داحسا على فرس له فجاءت بمهرة فسماها الغبراء ثم ان قيسا أقام بمكة فكان أهلها يفاخرونه وكان فخورا فقال لهم نحوا كعبتكم عنا وحرمكم وهاتوا ما شئتم فقال له عبد الله بن جدعان اذا لم نفاخرك بالبيت المعمور وبالحرم الآمن فبم نفاخرك فمل قيس مفاخرتهم وعزم على الرحلة عنهم وسر ذلك قريشا لانهم قد كانوا كرهوا مفاخرته فقال لاخوته ارحلوا بنا من عندهم أولا والا تفاقم الشر بيننا وبينهم والحقوا ببني بدر فانهم أكفاؤنا في الحسب وبنو عمنا في النسب واشراف قومنا في الكرم ومن

والضارب فيه أيضا وفي اسمعيل بك جرجا ولم يزل حتى مات في رمضان بولاية البهنسا سنة سبع وثلاثين ومائة وألف يقال
انه ضرب رجلا من المجاذيب وهو راكب في طائفته وفي الحال انحنى على قربوص السرج وخرج الدم
من أنفه وفمه ومات ودفنوه هناك ولما بلغ خبر موته محمد بك جركس حزن عليه واغتم غما شديدا وقلد على أغا مملوك ابن أخيه صنجقا عوضا عن سيده *(ومات)* محمد أغا متفرقة سنبلاوين وكان أغات وجاق المتفرقة وصاحب وجاهة ومات مقتولا باغراء من محمد بك جركس وسبب ذلك انه لما اختفى ذو الفقار بك كان المترجم يعرف محله ويجتمع به في بعض الاحيان فاتفق ان ابراهيم أفندي كتخدا العزب انحرفت نفسه من جركس بسبب دعوى بيد الصيفي سراج جركس شفع فيها ابراهيم كتخدا فرده الصيفي وشتم القابجي الذي أرسله اليه فانحرف مزاج ابراهيم كتخدا وعزم على نقض دولة جركس وكان متزوجا بزوجة عمر أغا استاذ ذي الفقار بك وكان ساكنا في بيته فارسل الى محمد أغا فحضر اليه وكلمه في ظهور ذي الفقار ويكون معهم وتحالف معه وواعده على الاجتماع بذي الفقار فبلغ جركس اجتماعهما فتحيل من ذلك لعلمه ان محمد أغا سنبلاوين يعرف محل ذي الفقار وابراهيم كتخدا متكلم باب العزب فخرج على عادته الى مصر القديمة ومر في طريقه على بيت ابن أستاذه محمد بك وقال له ودعوا
ابعث الى محمد أغا فاذا حضر اليك فارسله عندي صحبة كتخداك من طريق زين العابدين وأوصاه على ما يفعله فلما حضر

لا يستطيع الربيع ان يتنا ولنا معهم فلحق قيس واخوته ببني بدر وقال في مسيره اليهم

اسير الى بني بدر بامر * هم فيه علينا بالخيار
فان قبلوا الجوار فخير قوم * وان كرهوا الجوار فغير عار
أتينا الحرث الخير ابن كعب * بنجران واى مجار جار
فجاورنا الذين اذا أتاهم * غريب حل في سعة القرار
فيأمن فيهم ويكون منهم * بمنزلة الشعار من الدثار
وان نفرد بحرب بني ابينا * بلا جار فان الله جاري

ثم نزل ببني بدر فنزل بحذيفة فاجاره هو وأخوه حمل بن بدر وأقام فيهم وكان معه افراس له ولاخوته لم يكن في العرب مثلها وكان حذيفة يغدو ويروح الى قيس فينظر الى خيله فيحسده عليها ويكتم ذلك في نفسه وأقام قيس فيهم زمانا يكرمونه واخوته فغضب الربيع ونقم ذلك عليهم وبعث اليهم بهذه الابيات

الا أبلغ بني بدر رسولا * على ما كان من شنا ووتر
باني لم أزل لكم صديقا * ادافع عن فزارة كل أمر
اسالم سلمكم وأرد عنكم * فوارس أهل نجران وحجر
وكان أبي ابن عمكم زياد * صفي أبيكم بدر بن عمرو
فالجأتم أخا الغدرات قيسا * فقد أفعمتم ايغار صدري
نخشى من حذيفة ضم قيس * وكان البدء من حمل بن بدر
فاما ترجعوا أرجع اليكم * وان تأبوا فقد أوسعت عذري

فلم يتغيروا عن جوار قيس فغضب الربيع وغضبت عبس لغضبه ثم ان حذيفة كره قيسا واراد اخراجه عنهم فلم يجد حجة وعزم قيس على العمرة فقال لاصحابه انى قد عزمت على العمرة فاياكم ان تلابسوا حذيفة بشئ واحتملوا كل ما يكون منه حتى ارجع فاني قد عرفت الشر في وجهه وليس يقدر على حاجته منكم الا ان تراهنوه على الخيل وكان ذا رأى لا يخطئ فيما يريده وسار الى مكة ثم ان فتى من عبس يقال له ورد بن مالك أتى حذيفة فجلس اليه فقال له ورد لو اتخذت من خيل قيس فحلا يكون أصلا لخيلك فقال حذيفة خيلي خير من خيل قيس ولجا في ذلك الى ان تراهنا على فرسين من خيل قيس وفرسين من خيل حذيفة والرهن عشرة اذواد وسار ورد فقدم على قيس بمكة فاعلمه الحال فقال له اراك قد أوقعتني في بني بدر ووقعت معي وحذيفة ظلوم لا تطيب نفسه بحق ونحن لا نقر له بضيم ورجع قيس من العمرة فجمع قومه وركب الى حذيفة وساله ان يفك الرهن فلم يفعل فساله جماعة فزارة وعبس فلم يجب الى ذلك وقال ان أقر قيس ان السبق لي والا فلا فقال أبو جعدة الفزاري

آل بدر دعوا الرهان فانا * قد مللنا اللجاج عند الرهان

محمد أغا فقال له أخوك محمد بك جركس يطلبك بمصر القديمة اذهب اليه صحبة حسين أغا وقال لحسين أغا عندما تصلون هناك
اذهب الى علي بك أبي العذب وكلمه على عليق خيول الباشا وكان جركس أكمن له جماعة سراجين في الجفينة ووقف منهم اثنان عند بيت البحدلي فلما وصل اليهما محمد أغا قالا له الصنجق في الروضة ويطلبك هناك فقال له حسين كتخدا محمد بك اذهب معهما حتى أصل الى أبي العذب وأكلمه على العليق فذهب معهما فدخلوا به جنينة جركس وقتلوه وأخذوا فروته وثيابه وما في جيوبه وهرب سراجه وأتباعه الى منزله ثم أخذوا تابوتا وذهبوا ليأتوا به فلم يجدوه وبقي دمه على البلاط مدة طويلة بعد ذلك وكان رجلا خيرا محسنا قليل الاذى ورجعت السراجون فأخبروا سيدهم بتمام ما أمروا به فاقام ببيت ابن ابواظ بمصر القديمة الى بعد العصر ورجع الى مصر وأخذ في طريقه أحمد بك وقاسم بك فذهبوا الى ابراهيم أفندي كتخدا وصالحوه بعد الغروب وراحت على من راح وكان ذلك في سنة سبع وثلاثين ومائة وألف * (ومات) * الامير ابراهيم أفندي كتخدا العزب المذكور قتله سليمان أغا أبو دفية وسليمان كاشف وخازندار ابن ابواظ بالرميلة في حادثة ظهور ذي الفقار كما تقدم ذكر ذلك في أيام علي باشا وملكوا
في ذلك الوقت باب العزب وحضر محمد باشا وعلي باشا ووقعت الحروب مع محمد بك جركس حتى خرج من مصر وذلك
سنة ثمان وثلاثين وسيأتي تتمة ذلك في ترجمة جركس * (ومات) * الامير عبد الرحمن بك ملتزم الوجه وهو من أتباع

ودعوا المرء في فزارة جارا * ان ما غاب عنكم كالعيان
ليت شعري عن هاشم وحصين * وابن عوف وحرث وسنان
حين يأتيهم لجاجك قيسا * ولصاح أتيت أم نشوان

وسأل حذيفة اخوته وسادات أصحابه في ترك الرهان ولج فيه وقال قيس علام تراهنني قال على فرسيك داحس والغبراء وفرسي الخطار والحنفاء وقيل كان الرهن على فرسين داحس والغبراء قال قيس داحس اسرع وقال حذيفة الغبراء اسرع وقال لقيس اريد ان أعلمك ان بصري بالخيل اثقب من بصرك والاول اصح فقال له قيس نفس في الغاية وارفع في السبق فقال حذيفة الغاية من ابلى الى ذات الاصاد وهو قدر مائة وعشرين غلوة والسبق مائة بعير وضمروا الخيل فلما فرغوا اقادوا الخيل الى الغاية وحشدوا ولبسوا السلاح وتركوا السبق على يد عقال بن مروان بن الحكم القيسي وأعدوا الامناء على ارسال الخيل واقام حذيفة رجلا من بني اسد في الطريق وأمره ان يلقي داحسا في وادي ذات الاصاد ان مر به سابقا فيرمي به الى اسفل الوادي فلما أرسلت الخيل سبقها داحس سبقا بينا والناس ينظرون اليه وقيس وحذيفة على رأس الغاية في جميع قومهما فلما هبط داحس في الوادي عارضه الاسدي فلطم وجهه فالقاه في الماء فكاد يغرق هو وراكبه ولم يخرج الا وقد فاتته الخيل واما راكب الغبراء فانه خالف طريق داحس لما رآه قد ابطأ وعاد الى الطريق واجتمع مع فرسي حذيفة ثم سقطت الحنفاء وبقي الغبراء والخطار فكانا اذا أحزنا سبق الخطار واذا أسهلا سبقت الغبراء فلما قربا من الناس وهما في وعث من الارض تقدم الخطار فقال حذيفة سبقتك يا قيس فقال رويدك يعلون الجدد فذهبت مثلا فلما استوت بهما الارض قال حذيفة خدع والله صاحبنا فقال قيس ترك الخداع من أجرى من مائة وعشرين فذهبت مثلا ثم ان الغبراء جاءت سابقة وتبعها الخطار فرس حذيفة ثم الحنفاء له ايضا ثم جاء داحس بعد ذلك والغلام يسير به على رسله فاخبر الغلام قيسا بما صنع بفرسه فانكر حذيفة ذلك وادعى السبق ظلما وقال جاء فرساي متتابعين ومضى قيس وأصحابه حتى نظروا الى القوم الذين حبسوا داحسا واختلفوا وبلغ الربيع بن زياد خبرهم فسره ذلك وقال لاصحابه هلك والله قيس وكاني به ان لم يقتله حذيفة وقد أتاكم يطلب منكم الجوار اما والله لئن فعل ما لنا من ضمه من بد ثم ان الاسدي ندم على حبس داحس فجاء الى قيس واعترف بما صنع فسبه حذيفة ثم ان بني بدر قصروا بقيس واخوته وآذوهم بالكلام فعاتبهم قيس فلم يزدادوا الا بغيا عليه وبذاءة ثم ان قيسا وحذيفة تناكرا في السبق حتى هما بالمؤاخذة فنهاهما الناس وظهر لهم بغي حذيفة وظلمه ولج في طلب السبق فارسل ابنه ندبة الى قيس يطالبه به فلما ابلغه الرسالة طعنه فقتله وعادت فرسه الى ابيه ونادى قيس يا بني عبس الرحيل

فرحلوا كلهم ولما أتت الفرس حذيفة علم ان ولده قتل فصاح في الناس وركب فيمن معه وأتى منازل بني عبس فرآها خالية ورأى ابنه قتيلا فنزل اليه وقبله بين عينيه ودفنوه وكان مالك بن زهير اخو قيس متزوجا في فزارة وهو نازل فيهم فارسل اليه قيس اني قد قتلت ندبة بن حذيفة ورحلت فالحق بنا والا قتلت فقال انما ذنب قيس عليه ولم يرحل فارسل قيس الى الربيع بن زياد يطلب منه العود اليه والمقام معه اذ هم عشيرة وأهل فلم يجبه ولم يمنعه وكان مفكرا في ذلك ثم ان بني بدر قتلوا مالك بن زهير أخا قيس وكان نازلا فيهم فبلغ مقتله بني عبس والربيع بن زياد فاشتد ذلك عليهم وأرسل الربيع الى قيس عينا يأتيه بخبره فسمعه يقول

أينجو بنو بدر بمقتل مالك * ويخذلنا في النائبات ربيع
وكان زياد قبله يتقى به * من الدهر ان يوم الم فظيع
فقل لربيع يحتذي فعل شيخه * وما الناس الا حافظ ومضيع
والا فما لي في البلاد اقامة * وأمر بني بدر على جميع

فرجع الرجل الى الربيع فاخبره فبكى الربيع على مالك وقال

منع الرقاد فما أغمض ساعة * جزعا من الخبر العظيم الساري
أفبعد مقتل مالك لمضيعة * يرجو النساء عواقب الاطهار
من كان محزونا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه * ويقمن قبل تبلج الاسحار
يضربن حر وجوههن على فتى * ضخم الدسيعة غير ما خوار
قد كن يكنن الوجوه تسترا * فاليوم حين برزن للنظار

وهي طويلة فسمعها قيس فركب هو وأهله وقصدوا الربيع بن زياد وهو يصلح سلاحه فنزل اليه قيس وقام الربيع فاعتنقا وبكيا وأظهرا الجزع لمصاب مالك ولقي القوم بعضهم بعضا فنزلوا فقال قيس للربيع انه لم يهرب منك من لجأ اليك ولم يستغن عنك من استعان بك وقد كان لك شر يومي فليكن لي خير يوميك وانما انا بقومي وقومي بك وقد أصاب القوم مالكا ولست أهم بسوء لاني ان حاربت بني بدر نصرتهم بنو ذبيان وان حاربتني خذلني بنو عبس الا ان تجمعهم علي وأنا والقوم في الدماء سواء قتلت ابنهم وقتلوا أخي فان نصرتني طمعت فيهم وان خذلتني طمعوا في فقال الربيع يا قيس انه لا ينفعني ان أرى لك من الفضل ما لا أراه لي ولا ينفعك أن ترى لي ما لا أراه لك وقد مال على قتل مالك وأنت ظالم ومظلوم ظلموك في جوادك وظلمتهم في دمائهم وقتلوا أخاك بابنهم فان يبوء الدم بالدم فعسى ان تلقح الحرب أقم معك وأحب الامرين الى مسالمتهم ونخلو بحرب هوازن وبعث قيس الى أهله وأصحابه فجاؤا ونزلوا مع الربيع وأنشدهم عنترة بن شداد مرثيته في مالك

قائمقام تقطان ولاية جرجا واستعجله في الذهاب والسفر الى قبلي نقضي اشغاله وبرز بخيامه الى ناحية الآثار وخرجت الامراء والاغوات والاختيارية والوجاقات ومشوا في موكبه الى العبادة ونزلوا بصيوانه وشربوا القهوة والشربات وودعوه ورجعوا الى منازلهم ثم انه قال للاغوات والاتباع اذهبوا الى منازلكم واحضروا بعد غد عندكم وانزلوا بالمراكب ونسير على بركة الله تعالى ثم انه تعشى هو ومماليكه وخواصه وعلق على الخيول والجمال وركب وسار راجعا من خلف القلعة الى جهة سبيل علام الى الشرقية ولم يزل سائرا الى أن وصل الى بلاد الشام ومنها الى بلاد الروم هذا ما كان من أمره وأما جركس فانه أحضر علي بك وقاسم بك وعمر بك أمير الحاج وأمرهم بالركوب بعد العشاء بالطوائف ويأخذوا اهبة راحتهم عند السواقي ثم يركبوا بعد نصف الليل ويهجموا على عبد الرحمن بك ويجهة على حين غفلة ويقتلوه ويأخذوا جميع ما معه ففعلوا ذلك وساروا الى ترابه فلم يجدوا الا الخيام فأخذوها ورجعوا ولم يزل المترجم حتى وصل الى اسلامبول واجتمع برجال الدولة فاسكنوه في مكان وأخذ مكتوبا من أغات دار السعادة قزلار آغا الى وكيله بمصر يصرف له في كل سنة من جهة دفتر المستوفي ويرسل له الفائظ كل سنة واستمر

هناك الى أن مات * (ومات) الامير الشهير محمد بك جركس وأصله من مماليك يوسف بك القرد وكان معروفا بالفروسية بين مماليك المذكور فلما مات يوسف بك في سنة سبع ومائة ٢٦٣ والف أخذه ابراهيم بك أبو شنب وأرخى لحيته وعمله قائمقام الطرانة وتولى كشوفية البحيرة عدة مرار ثم امارة جرجا وسافر الى الروم سرعسكر على السفر في سنة ثمان وعشرين ومائة وألف ولما لبس القفطان على ذلك ونزل الى داره طوى القفطان وأرسله الى سيده وقال له انظر خلاني فاني قشلان فرضاه بعشرين كيسا فاستقلها فكتب له وصولا على الطرانة بعشرة أكياس أخرى فبرز الى الحلي وأحضر اليه حريمه وأقام في حظ وكيف مدة أيام والباشا يستعجله بالسفر وهو لا يسمع لذلك ولا يبالي فكلم الباشا ابراهيم بك في ذلك فلما نزل أرسل اليه فقال لا أسافر حتى يعطيني العشرة أكياس نقدا ورد له الوصول فلم يسمع أستاذه الا ارسال العشرة أكياس وقال سوف هذا يخرب بيتي بعناده وكان كذلك ولما رجع في سنة ثلاثين وجد أستاذه ابراهيم بك توفي وتقلد ابنه محمد امارة أبيه وسكن دار الكلمة والرآسة للامير اسمعيل بك ابن ايواظ فتاقت نفس المترجم للشهرة ونفاذ الكلمة واستولى عليه وعلى ابن أستاذه الحسد والحقد لاسمعيل بك فضم اليه المبغضين له من القاسمية وغيرهم وتوافقوا على اغتياله ورصد له طائفة منهم ووقفوا له بالرميلة وضربوا عليه بالرصاص فنجاه الله من شرهم وطلع اسمعيل بك وصناجقه الى باب العزب وطلب جركس الى الديوان ليتداعى

فلله عينا من رأى مثل مالك * عقيرة قوم أن جرى فرسان
فليتهما لم يطعما الدهر بعدها * وليتهما لم يجمعا لرهان
وليتهما ماتا جميعا ببلدة * وأخطاهما قيس فلا يريان
لقد جلبا جلبا لمصرع مالك * وكان كريما ماجدا لهجان
وكان اذا ما كان يوم كريهة * فقد علموا اني وهو فتيان
وكنا لدى الهيجاء نحمي نساءنا * ونضرب عند الكرب كل بنان
فسوف ترى ان كنت بعدك باقيا * وأمكنني دهري وطول زماني
فاقسم حقا لو بقيت لنظرة * لقرت بها العينان حين تراني

وبلغ حذيفة ان الربيع وقيسا اتفقا فشق ذلك عليه واستعد للبلاء وقيل ان بلاد عبس كانت قد أجدبت فانتجع أهلها بلاد فزارة وأخذ الربيع جوارا من حذيفة وأقام عندهم فلما بلغه مقتل مالك قال لحذيفة لي ذمتي ثلاثة أيام فقال حذيفة ذلك لك فانتقل الربيع من بني فزارة فبلغ ذلك حمل بن بدر فقال لحذيفة أخيه بئس الرأي رأيت قتلت مالكا وخليت سبيل الربيع والله ليضرمنها عليك نارا فركبا في طلب الربيع ففاتهم فعلما انه قد أضمر الشر واتفق الربيع وقيس وجمع حذيفة قومه وتعاقدوا على عبس وجمع الربيع وقيس قومهما واستعدوا للحرب فاغارت فزارة على بني عبس فاصابوا نعما ورجالا فحميت عبس واجتمعت للغارة فنذرت بهم فزارة فخرجوا اليهم فالتقوا على ماء يقال له العذق وهي أوّل وقعة كانت بينهم فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل عوف بن بدر قتله جندب بن خلف العبسي وانهزمت فزارة وقتلوا قتلا ذريعا وأسر الربيع بن زياد حذيفة بن بدر وكان حرب بن الحرث العبسي قد نذر ان قدر على حذيفة أن يضربه بالسيف وله سيف قاطع يسمى الاصرم فأراد ضربه بالسيف لما أسر وفاء بنذره فارسل الربيع الى امرأته فغيبت سيفه ونهوه عن قتله وحذروه عاقبة ذلك فابى الا ضربه فوضعوا عليه الرجال فضربه فلم يصنع السيف شيأ وبقي حذيفة أسيرا فاجتمعت غطفان وسعوا في الصلح فاصطلحوا على ان يهدروا دم بدر بن حذيفة بدم مالك بن زهير ويعقلوا عوف بن بدر ويعطوا حذيفة عن ضربته التي ضربه حرمائتين من الابل وان يحملوها عشارا كلها وأربعة أعبد واهدر حذيفة دماء من قتل من فزارة في الوقعة وأطلق من الاسر فلما رجع الى قومه ندم على ذلك وساءت مقالته في بني عبس وركب قيس بن زهير وعمارة بن زياد فمضيا الى حذيفة وتحدثا معه فاجابهما الى الاتفاق وان يردا عليهما الابل التي أخذها منهما وكانت توالدت عنده فبيناهم في ذلك اذ جاءهم سنان ابن أبي حارثة المري فقبح رأي حذيفة في الصلح وقال ان كنت لا بد فاعلا فاعطهم ابلا عجافا مكان ابلهم واحبس أولادها فوافق ذلك رأي حذيفة فابى قيس وعمارة ذلك وقيل ان الابل التي طلبوها منه هي ابل كان قد أخذها سبقا عن قيس وقيل أيضا ان

معه فعصى وامتنع وتهيأ للحرب والقتال فقوتل وهزم وخرج هاربا من مصر فقبض عليه العربان وأحضروه أسيرا الى
اسمعيل بك فأشاروا عليه بقتله فأبى وقال انه دخل حيا الى بيتي فلا سبيل الى قتله وأنزله بمكان وأحضر له
الطبيب فداوى جراحته وأكرمه وأعطاه ملابس وخلع عليه فروة سمور وألف دينار ونفاه الى قبرص حسما للشر واستمر الحقد في قلوب خشداشينه ومحمد بك ابن أبي شنب ابن أستاذهم واتفقوا على أحضار جركس سرا الى مصر وسافر ابن أبي شنب بالخزينة الى دار السلطنة فأغرى رجال الدولة ورشاهم وجعل لهم أربعة آلاف كيس على ازالة اسمعيل بك وعشيرته ووقع ما تقدم ذكره في ولاية رجب باشا وحضر جركس الى مصر في صورة درويش عجمي واختفى عند قاسم بك ودبروا بعد ذلك ما دبروه من قتل الباشا وما تقدم ذكره في ترجمة اسمعيل بك ونجا اسمعيل بك أيضا من مكرهم وظهر عليهم وسامحهم في كل ما صدر منهم مع قدرته على ازالتهم ولم يزالوا مضمرين له السوء حتى ترافقوا على قتله غدرا وخانوه وقتلوه بالديوان وأزالوا دولته وصفا عند ذلك الوقت لمحمد بك جركس وعشيرته فلم يحسن السيرة وتجبر وسار في الناس بالعسف والجور واتخذ له سراجا من
أقبح خلق الله وأظلمهم وهو الذي يقال له الصيفي ورخص له فيما يفعله ولا يقبل فيه قول أحد فاجتمعت
واتخذ له أعوانا من جنسه وخدما وكلهم على طريقته في الظلم والتعدي فكانوا يأخذون الاشياء من الباعة ولا يدفعون

مالك بن زهير قتل بعد هذه الوقعة المذكورة قال حميد بن بدر في ذلك

قتلنا بعوف مالكا وهو ثأرنا * ومن يبتدع شيأ سوى الحق يظلم

وجعل سنان يحث حذيفة على الحرب فتشمروا لها ثم ان الانصار بلغهم ما عزموا عليه فاتفق جماعة من رؤسائهم وهم عمرو بن الاطنابة ومالك بن عجلان وأحيحة بن الجلاح وقيس بن الخطيم وغيرهم وساروا ليصلحوا بينهم فوصلوا اليهم وترددوا في الاتفاق فلم يجب حذيفة الى ذلك وظهر لهم بغيه فحذروه عاقبته وعادوا عنه وأغار حذيفة على عبس وأغارت عبس على فزارة وتفاقم الشر وأرسل حذيفة أخاه حملا فأغاروا سر ريان بن الاسلع بن سفيان وشدوه وثاقا وحملوه الى حذيفة فأطلقه ابرهنه ابنيه وجبير ابن أخيه عمرو ابن الاسلع ففعل ريان ذلك ثم سار قيس الى فزارة فلقي منهم جمعا فيهم مالك بن بدر فقتله قيس وانهزم فزارة فأخذ حينئذ حذيفة ولدي ريان فقتلهما وهما يستغيثان يا أبتاه حتى ماتا وأما ابن أخيه فمنعه أخواله ولما قتل مالك والغلامان اشتدت الحرب بين الفريقين وأكثرها في فزارة ومن معها ففي بعض الايام التقوا واقتتلوا قتالا شديدا دامت الحرب بينهم الى آخر النهار وأبصر ريان ابن الاسلع زيد بن حذيفة فحمل عليه فقتله وانهزمت فزارة وذبيان وأدرك الحرث بن بدر فقتل ورجعت عبس سالمة لم يصب منها أحد فلما قتل زيد والحرث جمع حذيفة جميع بني ذبيان وبعث الى أشجع وأسد بن خزيمة فجمعهم فبلغ ذلك بني عبس فضموا أطرافهم وأشار قيس بن زهير بالسبق الى ماء العقيقة ففعلوا ذلك وسار حذيفة في جموعه الى عبس ومشى السفراء بينهم فحلف حذيفة انه لا يصطلح حتى يشرب من ماء العقيقة فأرسل اليه قيس منه في سقاء وقال لا أترك حذيفة يحنث واصطلحوا على ان تعطي بنو عبس حذيفة ديات من قتل له ووضعوا الرهائن عنده الى ان يجمعوا الديات وهي عشر وكانت الرهائن أبنا لقيس بن زهير وابنا للربيع بن زياد فوضعوا أحدهما عند قطبة بن سنان والآخر عند رجل من بكر بن وائل أعمى فعير بعض الناس حذيفة بقبول الدية فحضر هو وأخوه حمل عند قطبة بن سنان والبكري وقال ادفعا الينا الغلامين لنكسوهما ونسرحهما الى أهلهما فأما قطبة فدفع اليهما الغلام الذي عنده وهو ابن قيس وأما البكري فامتنع من تسليم من عنده فلما أخذا ابن قيس عادا فلقيا في الطريق ابنا لعمارة ابن زياد العبسي وابن عم له فأخذاهما وقتلاهما مع ابن قيس فلما بلغ ذلك بني عبس أخذوا ما كانوا جمعوا من الديات فحملوا عليه الرجال واشتروا السلاح ثم خرج قيس في جماعة فلقوا ابنا لحذيفة ومعه فوارس من ذبيان فقتلوهم فجمع حذيفة وسار الى عبس وهم على ماء يقال له عراعر فاقتتلوا فكان الظفر لفزارة ورجعت سالمة وجد حذيفة في الحرب وكرهها أخوه حمل وندم على ما كان وقال لاخيه في الصلح فلم يجب الى ذلك وجمع الجموع من أسد وذبيان وسائر بطون غطفان وسار نحو بني عبس

فاجتمعت عبس وتشاوروا في أمرهم فقال لهم قيس بن زهير انه قد جاءكم ما لا قبل لكم به وليس لبني بدر الا دماؤكم والزيادة عليكم واما من سواهم فلا يريدون غير الاموال والغنيمة والرأى اننا نترك الاموال بمكانها ونترك معها فارسين على داحس وعلى فرس آخر جواد ونرحل نحن ونكون على مرحلة من المال فاذا جاء القوم الى الاموال سار الينا الفارسان فاعلمانا وصولهم فان القوم يشتغلون بالنهب وحيازة الاموال وان نهاهم ذوو الرأى عن ذلك فان العامة تخالفهم وتنتقض تعبيتهم ويشتغل كل انسان بحفظ ما غنم ويعلقون أسلحتهم على ظهور الابل ويامنون فنعود نحن اليهم عند وصول الفارسين فندركهم وهم على حال تفرق وتشتت فلا يكون لاحدهم همة الا نفسه ففعلوا ذلك وجاء حذيفة ومن معه فاشتغلوا بالنهب فنهاهم حذيفة وغيره فلم يقبلوا منه وكانوا على الحال التي وصف قيس وعادت بنو عبس وقد تفرقت اسد وغيرهم وبقي بنو فزارة في آخر الناس فحملوا عليهم من جوانبهم فقتل مالك ابن سبيع التغلبي سيد غطفان وانهزمت فزارة وحذيفة معهم وانفرد في خمسة فوارس وجد في الهرب وبلغ خبره بني عبس فتبعه قيس بن زهير والربيع بن زياد وقرواش بن عمرو بن الاسلع وريان بن الاسلع الذي قتل حذيفة ابنيه وتبعوا أثرهم في الليل وقال قيس كأني بالقوم وقد وردوا جفر الهباءة ونزلوا فيه فساروا الليل كلها حتى أدركوهم مع طلوع الشمس في جفر الهباءة في الماء وقد أرسلوا خيولهم فاخذوا بجمعها فحال قيس وأصحابه بينهم وبينها وكان مع حذيفة في الجفر أخوه حمل بن بدر وابنه حصن بن حذيفة وغيرهم فهجم عليهم قيس والربيع ومن معهما وهم ينادون لبيكم لبيكم يعني انهم يجيبون نداء الصبيان لما قتلوا ينادون يا ابتاه فقال لهم قيس يا بني بدر كيف رأيتم عاقبة البغي فناشدوهم الله والرحم فلم يقبلوا منهم ودار قرواش بن عمرو حتى وقف خلف ظهر حذيفة فضربه فدق صلبه وكان قرواش قد رباه حذيفة حتى كبر عنده في بيته وقتلوا حملا اخاه وقطعوا رأسيهما واستبقوا حصن بن حذيفة لصباه وكان عدد من قتل في هذه الوقعة من فزارة واسد وغطفان يزيد على أربعمائة قتيل وقتل من عبس ما يزيد على عشرين قتيلا وكانت فزارة تسمى هذه الوقعة البوار وقال قيس بن زهير

أقام على الهباءة خير ميت * وأكرمه حذيفة لا يريم
لقد جمعت به قيس جميعا * موالى القوم والقوم الصميم
وعم به لمقتله بعيد * وخص به لمقتله حميم *

وهى طويلة وقال ايضا

ألم تر ان خير الناس أمسى * على جفر الهباءة لا يريم
فلولا ظلمه ما زلت أبكى * عليه الدهر ما طلع النجوم

اهاليهم او من امتنع عليهم ضربوه بل وقتلوه وصاروا يخطفون النساء والاولاد ومن جملة أفاعيلهم ان الطائفة من سراجينه صاروا يدخلون بيوت التجار في رمضان بالليل فلا ينصرفون حتى يأخذ كل شخص منهم أطاسية وشاشا وخمسة جنزرلى فكان أعيان الناس والتجار يدخلون بيوتهم من العصر ويغلقون أبوابها فلا يفتحونها الى الصباح ومما وقع من أفاعيلهم الخبيثة مع الخواجا لطفي النطرونى وكان من مياسير التجار ومشهورا بكثرة المال والثروة وقد كف بصره فبينما هو جالس بمنزله بالسبع قاعات بالقرب من مسجد شرف الدين والناس في صلاة التراويح دخل عليه شخصان من السراجين ووقف منهم أربعة على باب الدرب وقتلوه بالخناجر وأخذوا ما أخذوه وساروا وحضر بعد ذلك الصيفي فاخذ ما في البيت من نقد ومتاع وتمسكات وحجج وتقاسيط وغير ذلك من أفاعيلهم القبيحة الشنيعة والوالى في وقته أحمد أغا المعروف بلهلوبة على مثل ذلك ويشيع عنهم في كل يوم قبائح متعددة وزاد تجبر جركس واتباعه في سنة سبع وثلاثين ومائة وألف وخرم نظام الامور وامتنع من طلوع الديوان ومن صلاة الجمعة وكذلك الدفتردار الذي هو محمد بك ابن أستاذه فكان الروزنامجى وبعض الكتبة الاغاوات وبعض الوجاقلية والجاويشية يطلعون ويقيمون مقدار عشر درجات ثم ينزلون فضاق صدر الباشا وأبرز مرسوما من الدولة برفع صنجقية محمد بك جركس وكتب فرمانات وأرسلها الى الوجاقات ومشايخ العلم

والبكري وشيخ السادات ونقيب الاشراف بالاخبار بذلك وبالمنع من الاجتماع عليه أو دخول منزله ووصل الخبر الى محمد بك جركس فكتب في الحال تذاكر وأرسلها الى اختيارية الوجاقات والمشايخ بالحضور ساعة تاريخه لسؤال وجواب فاجتمعوا مع بعضهم وتشاوروا في ذلك ثم قالوا نذهب اليه ثم نرجع ولا نعود اليه بعد ذلك فذهب اليه الاختيارية فاكرمهم وأجلهم وأجلسهم ثم حضر المشايخ فلما تكامل المجلس أوقف طوا ئفه ومماليكه بالاسلحة ثم قال لهم تدرون لاى شئ جمعتكم قالوا لا قال تكونوا معي أو اقتلكم جميعا فلم يسعهم الا انهم قالوا له جميعا نحن معك على ماتريد فقال أريد عزل الباشا ونزوله فقالوا نحن معك على ماتختار ثم انهم كتبوا فتوى مضمونها ماقولكم في نائب السلطان أراد الافساد في المملكة وتسليط البعض على البعض وتحريك الفتن لاجل قتلهم وأخذ أموالهم فماذا يلزم في ذلك فكتب المشايخ بوجوب ازالته وعزله قطعا للفساد وحقنا للدماء فاخذ الفتوى منهم وقام وأخذ معه رجب كتخدا ومصطفى كتخدا وابراهيم كتخدا عزبان ودخل الى داخل وترك الجماعة في المقعد والحوش وعليهم الحرس وباتوا على ذلك من غير عشاء ولا دثار فالذى أحضر شيأ من داره أو من السوق وأكله والا طوى على الجوع فلما أصبح صباح يوم الجمعة عاشر القعدة أرسل أحمد بك الاعسر الى الباشا يقول له انت تنزل أو تحارب وكان أرسل قاسم بك الكبير الى ناحية الجبل بنحو خمسمائة خيال فقال بل أنزل وانظروا الى مكانا

ولكن الفتى حمل بن بدر * بغى والبغي مرتعه وخيم

وأكثروا القول في يوم الهباءة ثم ان عبسا ندمت على مافعلت يوم الهباءة ولام بعضهم بعضا فاجتمعت فزارة الى سنان بن ابي حارثة المرى وشكوا اليه مانزل بهم فاعظمه وذم عبسا وعزم على ان يجمع العرب ويأخذ بثار بنى بدر وفزارة وبث رسله فاجتمع من العرب خلق كثير لايحصون ونهى أصحابه عن التعرض الى الاموال والغنيمة وأمرهم بالصبر وساروا الى بنى عبس فلما بلغهم مسيرهم اليهم قال قيس الرأى اننا لانلقاهم فانا قد وترناهم فهم يطالبوننا بالذحول والطوائل وقد رأوا امانالهم بالامس باشتغالهم بالنهب والمال فهم لايتعرضون اليه الآن والذى ينبغى ان نفعله اننا نرسل الظعائن والاموال الى بنى عامر فان الدم لنا قبلهم فهم لايتعرضون لكم ويبقى اولوا القوة والجلد على ظهور الخيل ونماطلهم القتال فان ابوا الا القتال كنا قد أحرزنا أهالينا وأموالنا وقاتلناهم وصبرنا لهم فان ظفرنا فهو الذى نريد وان كانت الاخرى كنا قد احترزنا وحفظنا اموالنا ونحن على حامية ففعلوا ذلك وسارت ذبيان ومن معها فلحقوا بنى عبس على ذات الجراجر فاقتتلوا قتالا شديدا يومهم ذلك وافترقوا فلما كان الغد عادوا الى اللقاء فاقتتلوا أشد من اليوم الاول وظهرت في هذه الايام شجاعة عنترة بن شداد فلما رأى الناس شدة القتال وكثرة القتلى لاموا سنان بن أبي حارثة على منعه حذيفة عن الصلح وتطيروا منه وأشاروا عليه بحقن الدماء ومراجعة السلم فلم يفعل وأراد مراجعة الحرب في اليوم الثالث فلما رأى فتور اصحابه وركونهم الى السلم رحل عائدا فلما عاد عنهم رحل قيس وبنو عبس الى بنى شيبان بن بكر وجاوروهم وبقوا معهم مدة فرأى قيس من غلمان شيبان مايكرهه من التعرض لاخذ اموالهم فرحلوا عنهم فتبعهم جمع من شيبان فلقيتهم بنو عبس واقتتلوا فانهزمت شيبان وسارت عبس الى هجر ليحالفوا ملكهم وهو معاوية بن الحرث الكندى فعزم معاوية على الغارة عليهم ليلا فبلغهم الخبر فساروا عنه مجدين وسار معاوية مجدا في اثرهم فتاه بهم الدليل على عمد لئلا يدركوا عبسا الا وهم قد لحقهم ودوابهم النصب فادركوهم بالفروق فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم معاوية وأهل هجر وتبعتهم عبس فاخذت من أموالهم وقتلوا منهم ما أرادوا ورجعوا سائرين فنزلوا بماء يقال له عرعر عليه حى من كلب فركبوا اليقاتلوا بنى عبس فبرز الربيع وطلب رئيسهم فبرز اليه واسمه مسعود بن مصاد فاقتتلا حتى سقطا الى الارض وأراد مسعود قتل الربيع فانحسرت البيضة عن رقبته فرماه رجل من بنى عبس بسهم فقتله فثار به الربيع فقطع رأسه وحملت عبس على كلب والرأس على رمح فانهزمت كلب وغنمت عبس أموالهم وذراريهم فساروا الى اليمامة فحالفوا اهلها من بنى حنيفة وأقاموا ثلاث سنين فلم يحسنوا جوارهم وضيقوا عليهم فساروا عنهم وقد تفرق كثير منهم وقتل منهم وهلكت دوابهم ووترهم العرب

فراستهم

أنزل فيه ونزل في ذلك اليوم قبل الصلاة الى بيت محمد أغا الدالي بقوصون ولم يخرج جركس من بيته ولا أحد من الموقعين سوى قاسم بك وأحمد بك ثم انه كتب عرضا على موجب الفتوى وختم عليه المشايخ والوجاقات وكتبوا فيه انه باع غلال الحرمين وغلال الانبار وباع من غلال الدشائش والخواسك ثمانية وعشرين ألف أردب وختم عليه القاضي أيضا وأرسله صحبة ستة أنفار من الوجاقلية في غرة الحجة سنة سبع وثلاثين ومائة وألف ولما فعل ذلك أقام محمد بك الدفتردار ابن أستاذه قائمقام فصار يعمل الدواوين في منزله ولم يطلع الى القلعة الا في يوم نزول الجامكية ولما فعل جركس ذلك صفاله الوقت وعزل مملوكه محمد أغا الوالي وقلده الصنجقية وسماه جركس الصغير وألبس علي أغا مملوكه ابن أخي قاسم بك الصغير صنجقية عمه وأعطاه بلاده وماله وجواره وقلد علي الهرجي مملوكه الصنجقية أيضا وكذلك أحمد الخازندار مملوك أحمد بك الاعسر وسليمان أغا جميزة تابع أحمد أغا الوكيل صناجق ألبسهم الجميع قائمقام في بيته ولم يتفق نظير ذلك وحضر رجب علي باشا وطلع الى القلعة فلم يقابله جركس الا في قصر الحلي وكمل له من الامراء ثلاثة عشر صنجقا واستولوا على جميع المناصب والكشوفيات ولما تأمر ذو الفقار بعد قتل اسمعيل بك انضم اليه كثير من الفقارية وسافر الى المنوفية فاراد ان يجرد عليه وطلب من الباشا فرمانا بذلك فامتنع فتغير خاطره من الباشا واستوحش كل من الآخر وحصل ما تقدم ذكره من عزل الباشا ثم جرد على ذي الفقار فاختفى

فراسلتهم بنو ضبة وعرضوا عليهم المقام عندهم ليستعينوا بهم على حرب تميم ففعلوا وجاوروهم فلما انقضى الامر بين ضبة وتميم تغيرت ضبة لعبس وأرادوا اقتطاعهم فخاربتهم عبس فظفرت وغنمت من أموال ضبة وسارت الى بني عامر وحالفوا الاحوص ابن جعفر بن كلاب فسر بهم ليقوى بهم على حرب بني تميم لانه كان بلغه ان لقيط بن زرارة يريد غزو بني عامر والاخذ بثار اخيه معبد فاقامت عبس عند بني عامر فقصدتهم تميم وكانت وقعة شعب جبلة وسنذكره ان شاء الله ثم ان ذبيان غزوا بني عامر بن صعصعة وفيهم بنو عبس فاقتتلوا فهزمت عامر وأسر قرواش بن هني العبسي ولم يعرف فلما قدموا به الحي عرفته امرأة منهم فلما عرفوه سلموه الى حصن بن حذيفة فقتله ثم رحلت عبس عن عامر ونزلت بتيم الرباب فبغت تيم عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا وتكاثرت عليهم تيم فقتلوا من عبس مقتلة عظيمة ورحلت عبس وقد ملوا الحرب وقلت الرجال والاموال وهلكت المواشي فقال لهم قيس ماترون قالوا نرجع الى اخواننا من ذبيان فالموت معهم خير من البقاء مع غيرهم فساروا حتى قدموا على الحرث ابن عوف بن أبي حارثة المري وقيل على هرم بن سنان بن ابي حارثة ليلا وكان عند حصن بن حذيفة بن بدر فلما عاد ورآهم رحب بهم وقال من القوم قالوا اخوانك بنو عبس وذكروا حاجتهم فقال نعم وكرامة أعلم حصن بن حذيفة فعاد اليه وقال طرقت في حاجة قال اعطيتها قال بنو عبس وجدت وفودهم في منزلي قال حصن صالحوا قومكم اما انا فلا ادي ولا اتدي قد قتل آبائي وعمومتي عشرين من عبس فعاد الى عبس وأخبرهم بقول حصن واخذهم اليه فلما رآهم قال قيس والربيع بن زياد نحن ركبان الموت قال بل ركبان السلم ان تكونوا اختللتم الى قومكم فقد اختل قومكم اليكم ثم خرج معهم حتى أتوا سنانا فقال له قم بامر عشيرتك وأصلح بينهم فاني ساعينك ففعل ذلك وتم الصلح بينهم وعادت عبس وقيل ان قيس بن زهير لم يسر مع عبس الى ذبيان وقال لا تراني غطفانية ابدا وقد قتلت أخاها أو زوجها أو ولدها أو ابن عمها ولكني أتوب الى ربي فتنصر وساح في الارض حتى انتهى الى عمان فترهب بها زمانا فلقيه حوج بن مالك العبدي فعرفه فقتله وقال لا رحمني الله ان رحمتك وقيل ان قيسا تزوج في النمير بن قاسط لما عادت عبس الى ذبيان وولد له ولد اسمه فضالة فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم وعقد له على من معه من قومه وكانوا تسعة وهو عاشرهم انقضى حرب داحس والغبراء والحمد لله

(يوم شعب جبلة)

كان لقيط بن زرارة قد عزم على غزو بني عامر بن صعصعة للاخذ بثار أخيه معبد بن زرارة وقد ذكرنا موته عندهم أسيرا فبينما هو يتجهز أتاه الخبر بحلف بني عبس وبني عامر فلم يطمع في القوم وأرسل الى كل من كان بينه وبين عبس ذحل يسأله الحلف

والتظافر على غزو عبس وعامر فاجتمعت اليه اسد وغطفان وعمرو بن الجون ومعاوية ابن الجون واستوثقوا واستكثروا وساروا فعقد معاوية بن الجون الالوية فكان بنو اسد وبنو فزارة بلواء مع معاوية بن الجون وعقد لعمرو بن تميم مع حاجب بن زرارة وعقد للرباب مع حسان بن همام وعقد لجماعة من بطون تميم مع عمرو بن عدس وعقد لحنظلة باسرها مع لقيط بن زرارة وكان مع لقيط ابنته دختنوس وكان يغزو بها معه ويرجع الى رأيها وسار وافى جمع عظيم لا يشكون فى قتل عبس وعامر وادراك ثارهم فلقى لقيط فى طريقه كرب بن صفوان بن الحباب السعدى وكان شريفا فقال ما منعك ان تسير معنا فى غزاتنا قال انا مشغول فى طلب ابل لى قال لا بل تريد ان تنذر بنا القوم ولا اتركك حتى تحلف انك لا تخبرهم فحلف له ثم سار عنه وهو مغضب فلما دنا من عامر اخذ خرقة فصر فيها حنظلة وشوكا وترابا وخرقتين من يمانية وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم فاخذها معاوية بن قشير فاتى بها الاحوص بن جعفر وأخبره ان رجلا ألقاها وهم يسقون فقال الاحوص لقيس بن زهير العبسى ماترى فى هذا الامر قال هذا من صنع الله لنا هذا رجل قد اخذ عليه عهد على ان لا يكلمكم فاخبركم ان أعداءكم قد غزوكم عدد التراب وان شوكتهم شديدة واما الحنظلة فهى رؤساء القوم واما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم واما الخرقة الحمراء فهى حاجب بن زرارة واما الاحجار فهى عشر ليال يأتيكم القوم اليها قد انذرتكم فكونوا أحرارا فاصبروا كما يصبر الاحرار الكرام قال الاحوص فانا فاعلون وآخذون برأيك فانه لم تنزل بك شدة الا رأيت المخرج منها قال فاذ قد رجعتم الى رأيى فادخلوا نعمكم شعب جبلة ثم أظمؤها هذه الايام ولا توردوها الماء فاذا جاء القوم أخرجوا عليهم الابل وانخسوها بالسيوف والرماح فتخرج مذاعير عطاشا فتشغلهم وتفرق جمعهم واخرجوا أنتم فى آثارها واشفوا نفوسكم ففعلوا ما اشار به وعاد كرب بن صفوان فلقى لقيطا فقال له انذرت القوم فاعاد الحلف له انه لم يكلم أحدا منهم حتى عنه فقالت دختنوس ابنة لقيط لابيها ردنى الى اهلى ولا تعرضنى لعبس وعامر فقد انذرهم لامحالة فاستحمقها وساء كلامها وردها وسار حتى نزل على فم الشعب بعسا كر جرارة كثيرة الصواهل وليس لهم هم الا الماء فقصدوه فقال لهم قيس أخرجوا عليهم الآن الابل ففعلوا ذلك فخرجت الابل مذاعير عطاشا وهم فى اعراضها وادبارها فخبطت تميما ومن معها وقطعتهم وكانوا فى الشعب وابرزتهم الى الصحراء على غير تعبية وشغلوا عن الاجتماع الى ألويتهم وحملت عليهم عبس وعامر فاقتتلوا قتالا شديدا وكثرت القتلى فى تميم وكان اول من قتل من رؤسائهم عمرو بن الجون واسر معاوية بن الجون وعمرو بن عمرو بن عدس زوج دختنوس بنت لقيط واسر حاجب بن زرارة وانحاز لقيط بن زرارة فدعا قومه وقد تفرقوا عنه فاجتمع اليه نفر يسير فنحر زبر ايته فوق جرف ثم حمل فقتل فيهم

ذو الفقار وتغيب بمصر الى ان حضر على باشا والى جريد واستقر بالقلعة ودبروا فى ظهور ذى الفقار كما تقدم فى خبر محمد باشا
وخرج محمد بك جركس هاربا من مصر فنهبوا بيته وبيوت أتباعه وعشيرته فاخرجوا من
بيته شيأ لا يحد ولا يوصف حتى انه وجد به من صنف الحديد اكثر من ألف قنطار ومن الغنم أزيد من الالف خروف وبعدما أحاطوا بما فيه من المواشى والامتعة ونهبوها هدموه وأخذوا أخشابه وشبابيكه وأبوابه ولم يمض ذلك النهار حتى خرب عن آخره ولم يبق به مكان قائم الاركان وقد أقام يعمر فيه نحو أربع سنوات فخرب جميعه من الظهر الى قبيل المغرب وقتلوا كل من وجدوه من أتباعه واختفى منهم من اختفى ومن ظهر بعد ذلك قتلوه أيضا ونهبوا دياره وأخرج خلفه ذو الفقار تجريدة فلم يدركوه وذهب من خلف الجبل الاخضر الى درنة فصادف مركبا من مراكب الافرنج فنزل فيها مع بعض عساكره وتفرق من كان معه من الامراء بالبلاد القبلية وسافر المترجم الى بلاد الافرنج فاكرموه وتشفعوا فيه عند العثمانى بواسطة الالجى فتقبلوا شفاعتهم فيه وأخذوا له مرسوما بالعود الى مصر وأخذها ان قدر على ذلك بعد ان عرضوا عليه الولاية والباشوية ببعض الممالك
فلم يقبل ولم يرض الا بالعود الى مصر فوصل الى مالطة وأنشأ له سفينة وشحنها بالجبخانه والآلات ورجع
والمدافع ورجع الى درنه فطلع من هنالك وأمر الرؤساء بالذهاب بالسفينة الى ثغر سكندرية وحضر اليه بعض أمرائه وأتباعه

ورجع وصاح انا لقيط وحمل ثانية فقتل وجرح وعاد فكثر جمعه فانحط الجرف بفرسه وحمل عليه عنترة فطعنه طعنة قصم بها صلبه وضربه قيس بالسيف فالقاه متشحطا فى دمه فذكر ابنته دختنوس فقال

يا ليت شعرى عنك دختنوس * اذا اتاها الخبر المرموس
اتحلق القرون ام تميس * لا بل تميس انها عروس

ثم مات وتمت الهزيمة على تميم وغطفان ثم فدوا حاجبا بخمسمائة من الابل وفدوا عمرو بن عمرو بمائتين من الابل وعاد من سلم الى أهله وقالت دختنوس ترثى اباها قصائد منها

عثر الاغر بخير خندف كهلها وشبابها
وأضرها لعدوها * وأفكها لرقابها
وقريعها ونجيبها * فى المطبقات ونابها
ورئيسها عند الملو * ك وزين يوم خطابها
وأتمها نسبا اذا * رجعت الى أنسابها
فرعى عمودا للعشيرة رافعا لنصابها
ويعولها ويحوطها * ويذب عن احسابها
ويطا مواطن للعدو * وكان لا يمشى بها
فعل المدل من الاسو * د لحينها وتبابها
كالكوكب الدرى فى * سماء لا يخفى بها
عبث الاغر به وكل منية لكتابها
فرت بنو أسد فرا * ر الطير عن اربابها
وهوازن اصحابهم * كالفار فى اذنابها

وذكر محمد بن اسحق فى يوم جبلة غير ما ذكرنا قال كان سببه ان بنى خندف كان لهم على قيس أكل تأكله القعد من خندف فكان ينتقل فيهم حتى انتهى الى تميم ثم من تميم الى بنى عمرو بن تميم وهم اقل بطنا منهم واذله فابت قيس ان تعطى الاكل وامتنعت منه فجمعت تميم وحالفت غيرها من العرب وساروا الى قيس فذكر القصة نحو ما تقدم وخالف فى البعض فلا حاجة الى ذكره وفى هذا اليوم ولد عامر بن الطفيل العامرى وقد قال بعض العلماء ان المجوسية كان يدين بها بعض العرب بالبحرين وكان زرارة بن عدس وابناه حاجب ولقيط والاقرع بن حابس وغيرهم مجوسا وان لقيطا تزوج ابنته دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسى وانه قتل وهى تحته فقال فى ذلك

* يا ليت شعرى عنك دختنوس * الابيات والاول اصح والله اعلم

* (يوم ذات نكيف) *

المتفرقين فركب معهم وذهب الى ناحية البحيرة فصادف حسين بك الخشاب فهرب من وجهه فنهب حملته وخيامه وذهب الى الاسكندرية وكانت سفينته قد وصلت الى مينتها فاخذ ما فيها من المتاع والجبخانة والآلات ورجع الى قبلى على حوش ابن عيسى واجتمع عليه الكثير من العربان وسار الى الفيوم فهجم على دار السعادة وهربت الصيارف فاخذ ما وجده من المال ونزل على بنى سويف وكان هناك على بك المعروف بالوزير فنزل اليه وقابله ثم سار الى القطيعة بالقرب من جرجا ثم عرج جهة الغرب قبلى جرجا وأرسل الى سليمان بك وطلبه للحضور اليه من عنده من القاسمية فعدى اليه سليمان بك ومن معه وقابله وأطلعه على ما بيده من المرسوم والامان والعفو وحضر اليه أحمد بك الاعسر وجركس الصغير فركب بجمعية الجميع وانحدر الى جهة بحرى فتعرض لهم حسن بك والسدادرة وعسكر جرجا وحاربوهم فقتل حسن بك وطائفته ولم ينج منهم الا من دخل تحت بيارق العسكر ونزل جركس بصيوان حسن بك وأنزلوا مطابخهم وعازقهم فى المراكب وسار بمن معه طالبين مصر ووصلت أخبارهم الى ذى الفقار بك فعمل جمعية وأخذ فرمانا بسفر تجريدة وأميرها عثمان بك تابع ذى الفقار وعلى بك قطامش وعساكر اسباهية وغيرهم فقضوا أشغالهم وعدوا الى أم خنان وصحبتهم الخبيرى وساروا الى وادى البهنسا فتقابلا واصطدما يوما وليلة وكان مع جركس طائفة من الزيدية

كان بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة مبغضين لقريش مضغنين عليهم لما كان من قصي حين اخرجهم من مكة مع من اخرج من خزاعة حين قسمها رباعا وخططا بين قريش فلما كانوا على عهد عبد المطلب هموا باخراج قريش من الحرم وان يقاتلوهم حتى يغلبوهم عليه وعدت بنو بكر على نعم لبني الهون بن خزيمة فاطردوها ثم جمعوا وجمعهم وجمعت قريش جموعهم واستعدت وعقد عبد المطلب الحلف بين قريش والاحابيش وهم بنو الحرث بن عبد مناة وبنو الهون بن خزيمة بن مدركة وبنو المصطلق من خزاعة فلقوا بني بكر ومن انضم اليهم وعلى الناس عبد المطلب فاقتتلوا بذات نكيف فانهزم بنو بكر وقتلوا قتلا ذريعا فلم يعودوا لحرب قريش قال ابن شعلة الفهري

فلله عينا من رأى من عصابة * غوت غي بكر يوم ذات نكيف
أناخوا الى ابياتنا ونسائنا * فكانوا لنا ضيفا فابشر مضيف

فقتل يومئذ عبد بن السفاح القاري من القارة قتادة بن قيس اخا بلعاء بن قيس واسم بلعاء مساحق ويومئذ قيل قد أنصف القارة من راماها والقارة من ولد الهون بن خزيمة وهو من ولد عضل بن الديش قال رجل منهم

دعونا قارة لا تنفرونا * فنجفل مثل اجفال الظليم

وقيل بهذا البيت سموا قارة وكان يقال للقارة رماة الحدق

* (ذكر الفجار الاول والثاني) *

اما الفجار الاول فلم يكن فيه كثير أمر ليذكر وانما ذكرناه لئلا يرى ذكر الفجار الثاني وما كان فيه من الامور العظيمة فيظن ان الاول مثله وقد اهملناه فلهذا ذكرناه قال ابن اسحق كان الفجار الاول بين قريش ومن معها من كنانة كلها وبين قيس عيلان وسببه ان رجلا من كنانة كان عليه دين لرجل من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن فاعدم الكناني فوافى النصري سوق عكاظ بقرد وقال من يبيعني مثل هذا بمالي على فلان الكناني فعل ذلك تعييرا للكناني وقومه فمر به رجل من كنانة فضرب القرد بالسيف فقتله انفة مما قال النصري فصرخ النصري في قيس وصرخ الكناني في كنانة فاجتمع الناس وتحاوروا حتى كاد يكون بينهم القتال ثم اصطلحوا وقيل كان سببه أن فتية من قريش قعدوا الى امرأة من بني عامر وهي وضيئة عليها برقع فقالوا لها اسفري لننظر الى وجهك فلم تفعل فقام غلام منهم فشق ذيل درعها الى ظهرها ولم تشعر فلما قامت انكشفت دبرها فضحكوا وقالوا منعتينا النظر الى وجهك فقد نظرنا الى دبرك فصاحت المرأة يا لبني عامر فضجت فاتاها الناس واشتجروا حتى كادوا يكون قتال ثم رأوا أن الامر يسير فاصطلحوا وقيل بل قعد رجل من بني غفار يقال له ابو معشر بن مكرز وكان عازيا منيعا في نفسه وكان بسوق عكاظ فمد رجله ثم قال

نحن بنو مدركة بن خندف * من يطعنوا في عينه لا يطرف

والهوارة وهرب نصف حرام فكانت الهزيمة على التجريدة واستولى محمد جركس ومن معه على عرضيهم وخيامهم وقتل منهم نحو مائة وسبعين جنديا وحال بينهم الليل ورجع المهزومون الى مصر وقالوا الذي الفقار بك ان لم تتداركوا أمركم والا دخلوا عليكم البيوت فجمع ذو الفقار بك الامراء واتفقوا على تشهيل تجريدة أخرى واحتاجوا الى مصروف فطلبوا من الباشا فرمانا بمبلغ ثلثمائة كيس من الميري أو من مال البهار على السنة القابلة فامتنع الباشا فركبوا عليه وعزلوه وأنزلوه ولبس محمد بك قطامش قائمقام وأخذوا منه فرمانا وجهزوا أمر التجريدة فاخرجوا فيها مدافع كبارا وأحضروا سالم بن حبيب ومعه نصف سعد وخرجوا الى جهة الشمعي ونزل عثمان جاويش القازدغلي بجماعة جهة البدرشين وصحبته على كتخدا الجلفي بالمراكب ورتبوا أمورهم وأشغالهم ووصل جركس ومن معه ناحية دهشور والمنشية ووقعت بينهم حروب ووقعت الهزيمة على جركس وقتل سليمان بك ونزلت القرابة المراكب وسارت الخيالة صحبة العرب مقبلين وسار عثمان جاويش القازدغلي خلف قرامصه في جاويش ليلا ونهارا حتى أدركه عند أبي جرج فقبض عليه ومعه ثلاثة وأخذ ماوجد معه وأنزلهم في المركب وأتى بهم الى مصر وقطعوا رؤسهم وأرسلوا فرمانا برجوع التجريدة ومن وبحرق الصنجقيين وأغات البلك والاسباهية وسالم بن حبيب بجركس أينما توجه فسافروا خلفه أياما ثم عدى الى جهة

ومن يكونوا قومه يغطرف * كأنه لجة بحر مسرف

أنا والله أعز العرب فمن زعم أنه أعز مني فليضرب بها بالسيف فقام رجل من قيس يقال له احمر بن مازن فضربها بالسيف فخدشها خدشا غير كبير فاختصم الناس ثم اصطلحوا (بنو نصر بالنون) * وأما الفجار الثار الثاني وكان بعد الفيل بعشرين سنة وبعد موت عبد المطلب باثنتي عشرة سنة ولم يكن في ايام العرب أشهر منه ولا اعظم وانما سمي الفجار لما استحل الحيان كنانة وقيس فيه من المحارم وكان قبله يوم جبلة وهو مذكور من ايام العرب والفجار أعظم منه وكان سببه ان البراض بن قيس بن رافع الكناني ثم الضمري وكان رجلا فاتكا خليعا قد خلعه قومه لكثرة شره وكان يضرب المثل بفتكه فيقال أفتك من البراض قال بعضهم

والفتى من تعرفته الليالي * فهو فيها كالحية النضناض
كل يوم له بصرف الليالي * فتكة مثل فتكة البراض

خرج حتى قدم على النعمان بن المنذر وكان النعمان يبعث كل عام بلطيمة للتجارة الى عكاظ تباع له هناك وكان عكاظ وذو المجاز ومجنة أسواقا تجتمع بها العرب كل عام اذا حضر الموسم فيؤمن بعضهم بعضا حتى تنقضي أيامها وكانت مجنة بالظهران وكانت عكاظ بين نخلة والطائف وكان ذو المجاز بالجانب الايسر اذا وقفت على الموقف فقال النعمان وعنده البراض وعروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب المعروف بالرحال وانما قيل له ذلك لكثرة رحلاته الى الملوك من يجيز لي لطيمتي هذه حتى يبلغها عكاظ فقال البراض أبيت اللعن أنا أجيزها على كنانة فقال النعمان انما أريد من يجيزها على كنانة وقيس فقال عروة أكلب خليع يجيزها لك أبيت اللعن أنا أجيزها على اهل الشيح والقيصوم من اهل تهامة واهل نجد فقال البراض وغضب وعلى كنانة تجيزها يا عروة قال عروة وعلى الناس كلهم فدفع النعمان اللطيمة الى عروة الرحال وأمره بالمسير بها وخرج البراض يتبع أثره وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه حتى اذا كان عروة بين ظهري قومه بوادي يقال له تيمن بنواحي فدك أدركه البراض بن قيس فاخرج قداحه يستقسم بها في قتل عروة فمر به عروة فقال ما تصنع يا براض فقال استقسم في قتلك أيؤذن لي أم لا فقال عروة استك أضيق من ذلك فوثب اليه البراض بالسيف فقتله فلما رآه الذين يقومون على العير والاجمال قتيلا انهزموا فاستاق البراض العير وسار على وجهه الى خيبر وتبعه رجلان من قيس ليأخذاه أحدهما غنوي والآخر غطفاني اسم الغنوي أسد بن جوين واسم الغطفاني مساور بن مالك فلقيهما البراض بخيبر أول الناس فقال لهما من الرجلان قالا من قيس قدمنا لنقتل البراض فانزلهما وعقل راحلتيهما ثم قال أيكما أجرأ عليه وأجود سيفا قال الغطفاني أنا فأخذه ومشى معه ليدله بزعمه على البراض فقال للغنوي احفظ

الشرق ومعه عرب نحو بلده وأقام هناك ينتظر حركة القاسمية بمصر وكانوا قد تواعدوا معه شرا على قتل ذي الفقار بك فعدى اليه علي بك قطامش والعسكر وسالم ابن حبيب فقتلا قواسمه ووقع بينهم مقتلة عظيمة انجلت عن انهزام جركس ومن معه حتى ألقوا بأنفسهم في البحر وأما جركس فانه خلع لجام الحصان وأراد أن يعدي به بمفرده الى البر الآخر فانغرز الحصان في ربة وتحتها الماء عميق فنزل من على ظهره ليخلصه فزلقت رجله وغرق بجانبه وكان بالقرب منه شادوف وعليه رجلان من الفلاحين ينقلان الماء الى المزرعة فنزلا اليه فوجدا الحصان ميتا وهو غاطس بجانبه ولم يعلما من هو فجراه من رجله وأخذا سلاحه وزردخه وثيابه ومافي جيوبه ودفناه بالجزيرة ومر بهما قارب صياد فطلباه ووضعاه فيه وكان علي بك جالسا بجنب البحر ومعه سالم بن حبيب فنظر سالم الى القارب وهو مقبل فقال ما هذا الا سمكة عظيمة واصلة الينا فاوقفوا القارب في ناحية من البر وتقدم أحد الصيادين الى الصنجق وباس يده فقال له ما خبرك قال وجدنا جنديا من المهزومين وهو غرقان بحصانه فلعله من المطلوبين والا رميناه البحر فقال لمملوكه سليمان بك انزل اليه وانظره فلعلك تعرفه فلما رآه عرفه ورجع الى الصنجق وقال له البشارة هو محمد بك جركس الكبير وهذا خاتمه فامر باخراجه من القارب ووضع أحد الرجلين في الحديد وقال للثاني اذهب فات بكامل ما أخذتماه وأنا أطلق لك رفيقك وأمر بسلخ رأسه وغسلوه وكفنوه ودفنوه ناحية

راحلتيكما ففعل وانطلق البراض بالغطفاني حتى أخرجه الى خربة فى جانب خيبر خارجا من البيوت فقال للغطفاني هو فى هذه الخربة اليها يأوى فامهلني حتى انظر أهو فيها أم لا فوقف ودخل البراض ثم خرج فقال هو فيها وهو نائم فأرني سيفك حتى انظر اليه أضارب هو أم لا فاعطاه سيفه فضربه به حتى قتله ثم اخفى السيف وعاد الى الغنوي فقال له لم أر رجلا اجبن من صاحبك تركته فى البيت الذى فيه البراض وهو نائم فلم يتقدم عليه فقال انظر لى من يحفظ الراحلتين حتى أمضى اليه فاقتله فقال دعهما وهما على ثم انطلقا الى الخربة فقتله وسار بالعير الى مكة فلقى رجلا من بنى أسد بن خزيمة فقال له البراض هل لك الى ان اجعل لك جعلا على ان تنطلق الى حرب بن أمية وقومى فانهم قومى وقومك لان أسد بن خزيمة من خندف أيضا فتخبرهم ان البراض بن قيس قتل عروة الرحال فليحذروا قيسا وجعل له عشرا من الابل فخرج الاسدى حتى أتى عكاظ وبها جماعة الناس فاتى حرب بن أمية فاخبره الخبر فبعث الى عبد الله بن جدعان التيمى والى هشام بن المغيرة المخزومى وهو والد أبى جهل وهما من أشراف قريش وذوى السن منهم والى كل قبيلة من قريش أحضر منها رجلا والى الحليس بن يزيد الحارثى وهو سيد الاحابيش فاخبرهم أيضا فتشاوروا وقالوا نخشى من قيس ان يطلبوا ثار صاحبهم منا فانهم لا يرضون أن يقتلوا به خليعا من بنى ضمرة فاتفق رأيهم على ان يأتوا أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ملاعب الاسنة وهو يومئذ سيد قيس وشريفها فيقولوا له انه قد كان حدث بين نجد وتهامة وانه لم يأتنا علمه فاحجز بين الناس حتى تعلم ونعلم فاتوه وقالوا له ذلك فاجاز بين الناس واعلم قومه ما قيل له ثم قام نفر من قريش فقالوا يا اهل عكاظ انه قد حدث فى قومنا بمكة حدث اتانا خبره ونخشى ان تخالفنا منهم تفاقم الشر فلا يروعنكم تحملنا ثم ركبوا على الصعب والذلول الى مكة فلما كان آخر اليوم أتى عامر بن مالك ملاعب الاسنة الخبر فقال غدرت قريش وخدعنى حرب بن أمية والله لا تنزل كنانة عكاظ أبدا ثم ركبوا فى طلبهم حتى ادركوهم بنخلة فاقتتل القوم فاشتعلت قيس فكادت قريش تنهزم الا انها على حاميتها تبادر دخول الحرم ليأمنوا به فلم يزالوا كذلك حتى دخلوا الحرم مع الليل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم وعمره عشرون سنة وقال الزهرى لم يكن معهم ولو كان معهم لم ينهزموا وهذه العلة ليست بشئ لانه قد كان بعد الوحى والرسالة ينهزم أصحابه ويقتلون واذا كان فى جمع قبل الرسالة وانهزموا فغير بعيد ولما دخلت قريش الحرم عادت عنهم قيس وقالوا لهم يا معشر قريش انا لا نترك دم عروة وميعادنا عكاظ فى العام المقبل وانصرفت الى بلادها يحرض بعضها بعضا ويبكون عروة الرحال ثم ان قيسا جمعت جموعها ومعها ثقيف وغيرها وجمعت قريش جموعها منهم كنانة جميعها والاحابيش واسد بن خزيمة وفرقت قريش السلاح فى الناس فاعطى عبد الله بن

جدعان

شرونه وارتحلوا وساروا الى مصر وكان القاسمية الذين بمصر فعلوا افعالهم وقتلوا ذا الفقار بك وذلك فى أواخر رمضان والبلد فى كرب والقاسمية منتظرون قدوم جركس وأبواب المدينة مقفلة وعلى كل باب أمير من الصناجق والوجاقلية دائرون بالطوف فى الشوارع وبايديهم الاسلحة فلما وصل على بك قطامش الى الآثار النبويه وأرسل عرفهم بما حصل خرج اليه عثمان بك ودخل صحبته بموكب والرأس امامهم محمولة فى صينية فكان ذلك اليوم يوم سرور عند الفقارية وحزن عظيم عند القاسمية فطلعوا بالرأس الى القلعة فخلع عليهم الباشا الخلع السمور ونزلوا الى منازلهم وأتتهم التقادم والهدايا فكان بين موت جركس وذى الفقار خمسة أيام ولم يشعر أحدهما بموت الآخر ثم تتبعوا القاسمية وقتلوا منهم ألوفا وبهذه الحوادث انقطعت دولة القاسمية والسبب فى دمارهم محمد بك جركس المترجم وابن استاذه محمد بك ابن أبى شنب وسوء أفعالهما وخبث نياتهما فان جركس هذا كان من أظلم خلق الله وأتباعه كذلك وخصوصا سراجه المعروف بالصيفى وطائفته وكانت أيامه أشر الايام وحصل منهم من أنواع الفساد والافساد ما لا يمكن ضبطه فمن جملة ذلك ان سراجينه خطفوا النحاس من النحاسين وأخذوا من الصاغة الفضة والذهب وكذلك أنواع الاقمشة من خان الخليلى والغوريه وكذلك البكر من البكرية وهجموا على النساء فى الحمامات وأخذوا ثيابهن فعلوا ذلك بحمام القاضى وحمام أمير حسين وحمام

الموسكي وشلحوا كثيرا من الناس بوسط الاسواق ومنهم الخواجا حسن مرزوق وكان في جيبه أربعمائة وعشرون جنزرلي
وقتلوا أنفارا من أعيان الناس بطريق بولاق وبوسط المدينة ومنهم علي جلبي قتل بعد العصر بالخراطين وسلمان جلبي بحارة الروم بعد الظهر وأيوب كاشف تابع ابراهيم جربجي الصابونجي في رأس الخيمية في يوم الجمعة بعد الظهر وقتل شخص من الاجناد بالصليبة ليلا ووجد في الصباح مقطعا أربع قطع وصار على رؤس الناس الطير واجتمع الناس الى العلماء بالازهر والتمسوا منهم الذهاب الى الباشا في شأن هذه الاحوال فاعتذروا اليهم بانهم ممنوعون من الطلوع الى القلعة * ومما اتفق ان الشيخ عبد الرحيم السلموني باشر وقف السلطان الغوري صنع مهما لزواج ابنته في أيام جركس ودعا بعض الامراء من الصناجق والاختيارية وبعدما أكل الاعيان مدوا سماطا ودعوا السراجين للاكل فابوا وقالوا لانا كل حتى ناخذ وائدنا من صاحب الفرح كما هو شأن أتباع الحكام في البلاد الرومية ويقولون لذلك ديش كراسي أي كراء الاسنان فلم يسع الرجل الا انه أعطى كل شخص منهم ريالا وكانوا خمسة وأربعين سراجا وذلك بحضور كتخدا الينكجرية والعزب والمقادم فلم يتكلم منهم أحد
٣٥ يخ مل ل وغير على ذلك مالم يقل وكان موت محمد بك جركس وهلاكه في أواخر رمضان سنة اثنتين
وأربعين ومائة وألف (ومات) الامير علي بك المعروف بالهندي وهو مملوك أحمد بك تابع ايواظ بك الكبير جرجي الجنس

جدعان مائة رجل سلاحا تاما وفعل الباقون مثله وخرجت قريش للوعد على كل بطن منها رئيس فكان على بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخوته أبو طالب وحمزة والعباس بنو عبد المطلب وعلى بني أمية واحلافها حرب ابن أمية وعلى بني عبد الدار عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وعلى بني أسد بن عبد العزى خويلد بن أسد وعلى بني مخزوم هشام بن المغيرة أبو أبي جهل وعلى بني تيم عبد الله بن جدعان وعلى بني جمح معمر بن خبيب بن وهب وعلى بني سهم العاص بن وائل وعلى بني عدي زيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد وعلى بني عامر بن لوي عمرو ابن عبد شمس والد سهيل بن عمرو وعلى بني فهر عبد الله بن الجراح والد أبي عبيدة وعلى الاحابيش الحليس بن يزيد وسفيان بن عويف هما قائداهم والاحابيش بنو الحرث ابن عبد مناة بن كنانة وعضل والقارة والديش من بني الهون بن خزيمة والمصطلق ابن خزاعة سموا بذلك لحلفهم بني الحرث والتحبش التجمع وعلى بني بكر بلعاء بن قيس وعلى بني فراس بن غنم من كنانة عمير بن قيس جذل الطعان وعلى بني أسد بن خزيمة بشر ابن أبي حازم وكان على جماعة الناس حرب بن أمية لمكانه من عبد مناف سنا ومنزلة وكانت قيس قد تقدمت الى عكاظ قبل قريش فعلى بني عامر ملاعب الاسنة أبو براء وعلى بني نصر وسعد وثقيف سبيع بن ربيع بن معاوية وعلى بني جشم الصمة والد دريد وعلى غطفان عوف ابن أبي حارثة المري وعلى بني سليم عباس بن رعل بن هني بن أنس وعلى فهم وعدوان كدام ابن عمرو وسارت قريش حتى نزلت عكاظ وبها قيس وكان مع حرب بن أمية اخوته سفيان وأبو سفيان والعاص وأبو العاص بنو أمية فعقل حرب نفسه وقيد سفيان وأبو العاص نفسيهما وقالوا لن يبرح رجل منا من مكانه حتى نموت أو نظفر فيومئذ سموا العنابس والعنبس الاسد واقتتل الناس قتالا شديدا فكان الظفر أول النهار لقيس وانهزم كثير من بني كنانة وقريش فانهزم بنو زهرة وبنو عدي وقتل معمر بن خبيب الجمحي وانهزمت طائفة من بني فراس وثبت حرب بن أمية وبنو عبد مناف وسائر قبائل قريش ولم يزل الظفر لقيس على قريش وكنانة الى ان انتصف النهار ثم عاد الظفر لقريش وكنانة فقتلوا من قيس فاكثروا وحمي القتال واشتد الامر فقتل يومئذ تحت راية بني الحرث بن عبد مناة بن كنانة مائة رجل وهم صابرون فانهزمت قيس وقتل من اشرافهم عباس بن رعل السلمي وغيره فلما رأى أبو السيد عم مالك بن عوف النصري ما تصنع كنانة من القتل نادى يامعشر بني كنانة أسرفتم في القتل فقال ابن جدعان انا معشر يسرف ولما رأى سبيع بن ربيع بن معاوية هزيمة قبائل قيس عقل نفسه واضطجع وقال يامعشر بني نصر قاتلوا عني أو ذروا فعطفت عليه بنو نصر وجشم وسعد بن بكر وفهم وعدوان وانهزم باقي قبائل قيس فقاتل هؤلاء أشد قتال رآه الناس ثم انهم تداعوا الى الصلح فاصطلحوا على أن

يعدوا القتلى فاى الفريقين فضل له قتلى أخذ ديتهم من الفريق الآخر فتعادوا القتلى فوجدوا قريشا وبني كنانة قد فضلوا على قيس عشرين رجلا فرهن حرب بن أمية يومئذ ابنه أبا سفيان في ديات القوم حتى يؤديها ورهن غيره من الرؤساء وانصرف الناس بعضهم عن بعض ووضعوا الحرب وهدموا ما بينهم من العداوة والشر وتعاهدوا على أن لا يؤذي بعضهم بعضا فيما كان من أمر البراض وعروة

(يوم ذي نجب)

وكان من حديث يوم ذي نجب ان بني عامر لما أصابوا من تميم ما أصابوا يوم جبلة رجوا ان يستأصلوهم فكاتبوا حسان بن كبشة الكندي وكان ملكا من ملوك كندة وهو حسان بن معاوية بن حجر فدعوه الى أن يغزو معهم بني حنظلة من تميم فأخبروه أنهم قد قتلوا فرسانهم ورؤساءهم فاقبل معهم بصنائعه ومن كان معه فلما أتى بني حنظلة خبر مسيرهم قال لهم عمرو بن عمرو يا بني مالك انه لا طاقة لكم بهذا الملك وما معه من العدد فانتقلوا من مكانكم وكانوا في أعالي الوادي مما يلي مجيء القوم وكانت بنو يربوع باسفله فتحولت بنو مالك حتى نزلت خلف بني يربوع وصارت بنو يربوع تلي الملك فلما رأوا ما صنع بنو مالك استعدوا وتقدموا الى طريق الملك فلما كان وجه الصبح وصل ابن كبشة فيمن معه وقد استعد القوم فاقتتلوا فلما رآهم بنو مالك وصبرهم في القتال ساروا اليهم وشهدوا معهم القتال فاقتتلوا مليا فضرب جشيش بن نمران الرياحي ابن كبشة الملك على رأسه فصرعه فمات وقتل عبيدة بن مالك بن جعفر وانهزم طفيل بن مالك على فرسه قرزل وقتل عمرو بن الاحوص بن جعفر وكان رئيس عامر وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن كبشة قال جرير في الاسلام يذكر اليوم بذي نجب

بذي نجب ذدنا وواكل مالك * أخا لم يكن عند الطعان بواكل

وكان يوم ذي نجب بعد يوم جبلة بسنة وبقي الاحوص بعد ابنه عمرو يسيرا وهلك أسفا عليه

(يوم نعف قشاوة)

وهو يوم لشيبان على تميم قال أبو عبيدة أغار بسطام بن قيس على بني يربوع من تميم وهم بنعف قشاوة فأتاهم ضحى وهو يوم ريح ومطر فوافق النعم حين سرح فأخذه كله ثم كر راجعا وتداعت عليه بنو يربوع فلحقوه وفيهم عمارة بن عتيبة بن الحرث بن شهاب فكر عليه بسطام فقتله ولحقهم مالك بن حطان اليربوعي فقتله وأتاهم أيضا بجير بن أبي مليل فقتله بسطام وقتلوا من يربوع جماعة وأسروا آخرين منهم مليل بن أبي مليل وسلموا وعادوا غانمين فقال بعض الاسرى لبسطام أيسرك ان أبا مليل مكاني قال نعم قال فان دللتك عليه أتطلقني الآن قال نعم قال فان ابنه بجيرا كان أحب خلق الله

تقلد الامارة والصنجقية بالديار الرومية وذلك انه لما قلد اسمعيل بك ابن ايواظ استاذه أحمد بك الصنجقية والامارة على السفر الى بلاد مورة في سنة سبع وعشرين ومائة وألف عوضا عن يوسف بك الجزار جعل عليا هذا كتخداه فلما توجهوا الى هناك وتلاقوا في مصاف الحرب هجم المصريون على طابور العدو بعد انهزام الروميين فكسروا الطابور وانهزم العدو واستشهد أحمد بك أمير العسكر المصري فلما رجعوا الى اسلامبول ذكروا ذلك وحكوه لرجال الدولة فانعموا على علي الهندي وأعطوه صنجقية استاذه أحمد بك وأعطوه مرسوما بنظر الخاصكية قيد حياته زيادة على ذلك ورجع الى مصر ولم يزل معدودا في الامراء الكبار ومدة دولة اسمعيل بك ابن سيد استاذه حتى قتل اسمعيل بك وأراد قتله محمد بك جركس هو وعلي بك الارمني المعروف بابي العدبات فدافع عنهما محمد باشا وقال ان الهندي منظور مولانا السلطان والارمني أمين المنبر وناصح في خدمته وضمن غائلتهما الباشا فاستمر راقي امارتهما فلما استوحش جركس من ذي الفقار وجرد عليه وهو في كشوفية المنوفية هرب وحضر الى مصر ودخل عند علي بك الهندي المذكور فاخفاه عنده خمسة وستين يوما ثم انتقل الى مكان آخر والمترجم يكتم أمره فيه وجركس وأتباعه يتجسسون ويفحصون عليه ليلا ونهارا ولما نزل جركس محمد شاه وحضر علي باشا ودبروا أمر ظهور ذي الفقار مع عثمان كتخدا القازدغلي وأحضروا اليهم المترجم وصدروه لذلك وأعانوه بالمال وفتح بيته وجمع اليه الايواظية وسعده

والخاملين من عشيرتهم وكتمو أمرهم وثاروا ثورة واحدة وأزالوا دولة جركس كما تقدم وظهر أمر ذى الفقار وتقلد على بك
الهندى الدفترداريه بموجب الشرط المتقدم وحضر محمد بك قطامش من الديار الرومية باستدعاء
المصريين بتقليد الدفترداريه
من الدولة فلم يمكنه المترجم منها
حتى ضاقت نفسه منه ووجه
عزمه الى ذى الفقار بك وألح
عليه وهو يعده ويمنيه ويأمره
بالصبر والتأنى الى أن حضر
المملوك الواشى وأخبر على بك
باجتماع مصطفى بك ابن ايواظ
وأبى العدب ومن معهم وذكر
له ما قالوه فى حال نشوتهم فلم
يتغافل عن ذلك وقال لذلك
المملوك اذهب الى ذى الفقار
بك فاخبره فذهب اليه فعرفه
صورة الحال فاوقع بهم ما تقدم
ذكره من قتلهم بيد الباشا
وكان يظن مصافاة ذى الفقار
له ويعتقد مراعاة حقه له وبهذه
النكتة صار على بك وحيدا
فطمع فيه العدو واختلى محمد
بك قطامش بذى الفقار بك
وتذاكر معه أمر الدفترداريه
وعدم نزول على بك عنها وقال
لابد من قتل اياه فقال
له ذو الفقار لا ادخل معك فى
دمه فان له فى عنقى جميلا فان
كنت ولابد فاعلا فاذهب الى
يوسف كتخدا البركاوى
ورضوان أغا وعثمان جاويش
القازدغلى ودبر معهم ما تريد
ولكن ان قتلتم الهندى
فلازم من قتل محمد بك الجزار
وذى الفقار فانصروه فقال
محمد بك قطامش ان ابن الجزار له فى عنقى جميل فانه صان بيتى وحريمى فى غيابى كوالده من قبل فقال ذو الفقار بك
وأنا كذلك أقت فى الاختفاء عنزل على بك و بغمره ما طلاعه وانحط الامر بينهم على الخيانة والغدر وذهب محمد بك فاجتمع

وستجده الآن مكبا عليه يقبله فخذه أسيرا فعاد بسطام فرآه كما قال فأخذه أسيرا
وأطلق اليربوعى فقال له أبو مليل قتلت بجيرا وأسرتنى وابنى مليلا والله لا أطعم
الطعام أبدا وأنا موثق فخشى بسطام أن يموت فاطلقه بغير فداء على أن يفادى مليلا
وعلى أن لا يتبعه بدم ابنه بجير ولا يبغيه غائلة ولا يدل له على عورة ولا يغير عليه ولا على
قومه أبدا وعاهده على ذلك فاطلقه وجز ناصيته فرجع الى قومه وأراد الغدر ببسطام
والنكث به فارسل بعض بنى يربوع الى بسطام يخبره فحذره وقال متمم بن نويرة

أبلغ شهاب بنى بكر وسيدها * عنى بذاك أبا الصهباء بسطاما
أروى الاسنة من قومى فانهلها * فاصبحوا فى بقيع الارض نواما
لا يطبقون اذا هب النيام ولا * فى مرقد يحلمون الدهر احلاما
أشجى تميم بن مر لا مكايدة * حتى استعادوا له اسرى وأنعاما
هلا أسيرا فدتك النفس تطعمه * مما أرادوقدما كنت مطعاما

وهى أبيات عدة

(يوم الغبيط)

وهو يوم كانت الحرب فيه بين بنى شيبان وتميم أسر فيه بسطام بن قيس الشيبانى وسبب
ذلك ان بسطام بن قيس و الحوفزان بن شريك ومفروق بن عمرو وساروا فى جمع من
بنى شيبان الى بلاد تميم فاغاروا على ثعلبة بن يربوع وثعلبة بن سعد بن ضبة وثعلبة بن
عدى بن فزارة وثعلبة بن سعد بن ذبيان وكانوا متجاورين بصحراء فلج فاقتتلوا فانهزمت
الثعالبة وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم بنو شيبان أموالهم ومروا على بنى مالك بن حنظلة
من تميم وهم بين صحراء فلج وغبيط المدرة فاستاقوا ابلهم فركبت اليهم بنو مالك
يقدمهم عتيبة بن الحرث بن شهاب اليربوعى وفرسان بنى يربوع وساروا فى أثر بنى
شيبان ومعهم من رؤساء تميم الاحيمر بن عبد الله وأسيد بن جباة وحر بن سعد ومالك بن
نويرة فادركوهم بغبيط المدرة فقاتلوهم وصبر الفريقان ثم انهزمت شيبان واستعادت
تميم ما كانوا غنموه من أموالهم وقتلت بنو شيبان أبا مرحب ربيعة بن حصبة والح عتيبة
ابن الحرث على بسطام ابن قيس فادركه فقال له استأسر أبا الصهباء فانا خير لك من
الفلاة والعطش فاستأسر له بسطام بن قيس فقال بنو ثعلبة لعتيبة ان أبا مرحب قد
قتل وقد أسرت بسطاما وهو قاتل مليل و بجيرا بنى أبى مليل ومالك بن حطان وغيرهم
فاقتله قال انى معيل وأنا أحب اللبن قالوا انك تفاديه فيعود فيحرب بنا ما لنا فابى عليهم
وسار به الى بنى عامر بن صعصعة لئلا يؤخذ فيقتل وانما قصد عامرا لان عمته خولة بنت
شهاب كانت نا كحا فيهم فقال مالك ابن نويرة فى ذلك

لله عتاب بن ميسة اذ رأى * الى ثارنا فى كفه يتلدد
أتحيي امرأ أردى بجيرا ومالكا * وأتوى حريثا بعدما كان يقصد

بيوسف البركاوى ومن ذكر وتوافقوا على ذلك فاحضر يوسف كتخدا البركاوى باش سراجينه وكلمه على قتل الهندى
ووعده بالاكرام فاخذه معه فى صحبة خمسة أنفار ووقف بهم عند باب العزب فلما أقبل على بك فى طائفته

ونحن تأدينا قبل ذلك ابن امه * غداة الكلابين والجمع يشهد

فلما توسط عتيبة بيوت بنى عامر صاح بسطام واشيباناه ولا شيبان لى اليوم فبعث اليه عامر بن الطفيل ان استطعت أن تلجأ الى قبتى فافعل فانى سأمنعك وان لم تستطع فاقذف نفسك فى الركا فاتى عتيبة تابعه من الجن فاخبره بذلك فامر ببيته فقوّض فركب فرسه واخذ سلاحه ثم أتى مجالس بنى جعفر وفيه عامر بن الطفيل الغنوى فحياهم وقال يا عامر قد بلغنى الذى ارسلت به الى بسطام فانا مخيرك فيه خصالا ثلاثا فقال عامر وما هى قال ان شئت فاعطنى خلعتك وخلعة اهل بيتك حتى اطلقه لك فلبست خلعتك وخلعة اهل بيتك بشر من خلعته وخلعة اهل بيته فقال عامر هذا لا سبيل اليه قال عتيبة ضع رجلك مكان رجله فلبست عندى بشر منه فقال ما كنت لافعل قال عتيبة تتبعنى اذا جاوزت هذه الرابية فتقارعنى عنه على الموت فقال عامر هذه ابغضهن الى فانصرف به عتيبة الى بنى عبيد بن ثعلبة فرأى بسطام مركب أم عتيبة رثا فقال يا عتيبة هذا رحل امك قال نعم قال ما رايت رحل ام سيد قط مثل هذا فقال عتيبة واللات والعزى لا أطلقك حتى تاتينى امك بهودج هاوكان كبيرا ذا ثمن كثير وهذا الذى اراد بسطام ان يرغب فيه فلا يقتله فارسل بسطام فاحضر هودج امه وفادى نفسه باربعمائة بعير وقيل بالف بعير وثلاثين فرسا وهودج أمه وحدجها وخلص من الاسر فلما خلص من الاسر أذكى العيون على عتيبة وابله فعادت اليه عيونه فأخبروه انها على اراب فأغار عليها وأخذ الابل كلها وما لهم معها (عتيبة بالتاء فوقها نقطتان والياء تحتها نقطتان ساكنة وفى آخرها باء موحدة)

(يوم الشيبان على بنى تميم)

قال أبو عبيدة خرج الاقرع بن حابس وأخوه فراس التميميان وهما الاقرعان فى بنى مجاشع من تميم وهما يريدان الغارة على بكر بن وائل ومعهما البروك أبو جعل فلقيهم بسطام بن قيس الشيبانى وعمران بن مرة فى بنى بكر بن وائل بزبالة فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت فيه بكر وانهزمت تميم وأسر الاقرعان وابو جعل وناس كثير وافتدى الاقرعان نفسيهما من بسطام وعاهداه على ارسال الفداء فاطلقهما فبعدا ولم يرسلا شيأ وكان فى الاسرى انسان من يربوع فسمعه بسطام بن قيس فى الليل يقول

تدى بوالدة عن شفيقة * فكأنها حرض على الاسقام
لوانها علمت فيسكن جاشها * أنى سقطت على الفتى المنعام
ان الذى ترجين ثم ايابه * سقط العشاء به على بسطام
سقط العشاء به على متنعم * سمح اليدين معاود الاقدام

فلما سمع بسطام ذلك منه قال له وأبيك لا تخبر امك عنك غيرك وأطلقه وقال ابن رميض العنزى

ابتكر ذلك السراج مشاجرة مع بعض السراجين وتسابوا فقيل لهم اما تستحوا من الصنجق فاخرج ذلك السراج الطبنجة وضربها فى صدر الصنجق فنفذت الرصاصة من كمه وساق على بك جواده الى جهة الحجر وسار على باب زويلة وذهب الى داره بحارة عابدين وحضر اليه طوائفه وأغراضه وأصحابه ومنهم على كتخدا عزبان الجلفى وعلى كتخدا مملوك يوسف كتخدا حبانية ومحمد جرجى بشناق عزبان ومصطفى جاويش كذلك وغيرهم وامتلا البيت والشارع وباتوا تلك الليلة وعند الفجر ركب محمد بك قطامش وحضر عند ذى الفقار بك فركب معه الى جامع السلطان حسن وحضر عندهم رضوان أغا وعثمان جاويش القازدغلى ويوسف كتخدا البركاوى وباقى الاقوات فارسلوا من طرفهم جاسوسا الى بيت الهندى فرجع وعرفهم بمن عنده فقال رضوان أغا انا أذهب اليه وأحضره بحيلة الى بيت ذى الفقار بك وباقى اغات مستحفظان فيأخذه اليكم فركب رضوان أغا

وأرسلوا الى ذى الفقار بك فاتاه وأتى عندهم أيضا فلما دخل رضوان أغا على على بك الهندى جاءت

وجده شبه ما رخاس معه وحادثه وخادعه وقال له بلغنى ان ذا الفقار بك أقام فى بيتك خمسة وستين رماو بينك وبينه عهد

جاءت هدايا من الرحمن مرسلة * حتى أنيخت لدى أبيات بسطام
جيش الهذيل وجيش الاقرعين معا * وكبة الخيل والازواد فى عام
مسوّم خيله تعدو مقانبه * على الذوائب من أولاد همام

وقال أوس بن حجر

وصبحنا عار طويل بناؤه * تسب به ما لاح فى الافق كوكب
فلم أر يوما كان أكثر باكيا * ووجها ترى فيه الكآبة تجنب
أصابوا البروك وابن حابس عنوة * فظل لهم بالقاع يوم عصبصب
وان أبا الصهباء فى حومة الوغى * اذا ازورت الابطال ليث مجرب

وأبو الصهباء هو بسطام بن قيس وأكثر الشعراء فى هذا اليوم وفى مدح بسطام بن قيس تركنا ذكره اختصارا (حجر بفتح الحاء والجيم)

(يوم مبايض)

وهو لشيبان على بنى تميم قال أبو عبيدة حج طريف بن تميم العنبرى التميمى وكان رجلا جسيما يلقب مجدعا وهو فارس قومه ولقيه حميصة بن جندل الشيبانى من بنى أبى ربيعة وهو شاب قوى شجاع وهو يطوف بالبيت فأطال النظر اليه فقال له طريف لم تشدد نظرك الى قال حميصة أريد أن أثبتك لعلى أن ألقاك فى جيش فاقتلك فقال طريف اللهم لا تحوّل الحول حتى ألقاه ودعا حميصة مثله فقال طريف

أوكلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم
لا تنكروا نى اننى أنا ذاكم * شاكى السلاح فى الحوادث معلم
حولى فوارس من أسيد جمة * وبنى الهجيم وحول بيتى خضم
تحتى الاغر وفوق جلدى نثرة * زغف ترد السيف وهو مثلم

فى أبيات ثم ان بنى أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان وبنى مرة بن ذهل بن شيبان كان بينهم شر وخصام فاقتتلوا شيأ من قتال ولم يكن بينهم دم فقال هانئ بن مسعود رئيس بنى أبى ربيعة لقومه انى أكره أن يتفاقم الشر بيننا فارحلوا بهم فنزل على ماء يقال له مبايض وهو قريب من مياه بنى تميم فأقاموا عليه أشهرا وبلغ خبرهم بنى تميم فارسل بعضهم الى بعض وقالوا هذا حى منفرد وان اصطلمتموهم أوهنتم بكر بن وائل واجتمعوا وساروا على ثلاثة رؤساء أبو الجدعاء الطهوى على بنى حنظلة وابن فدكى المنقرى على بنى سعد وطريف بن تميم على بنى عمرو بن تميم فلما قاربوا بنى أبى ربيعة بلغهم الخبر فاستعدوا للقتال فخطبهم هانئ بن مسعود وحثهم على القتال فقال اذا أتوكم فقاتلوهم شيأ من قتال ثم انحازوا عنهم فاذا اشتغلوا بالنهب فعودوا اليهم فانكم تصيبون منهم حاجتكم وصبحهم بنو تميم والقوم حذرون فاقتتلوا قتالا شديدا وفعلت بنو شيبان ما أمرهم هانئ فاشتغلت تميم بالغنيمة وبرز رجل منهم يابن هانئ بن مسعود وهى فاخذه

ومیثاق فقم بنا الى بيته وهو ينظر السراج الذى ضرب عليك الطبجة ويقتص منه ودع الجماعة ينتظروننا الى أن نعود اليهم فطلب الحصان فاشار عليه على كتخدا الجلفى بعدم الذهاب فلم يسمع وركب فى قلة من أتباعه وصحبته مملوكان فقط وذهب مع رضوان أغا فدخل معه بيت ذى الفقار بك وتركه وسار الباقى اليه بذى الفقار بك وذهب اليهم وعرفهم حصوله فى بيت ذى الفقار فارسلوا اليه أغاة مستحفظان فى جماعة كثيرة فدخلوا بيت ذى الفقار بك وأخذوا الحصان والكرك من عليه وقدموا له اكديشا عريانا فقام عثمان تابع صالح كتخدا عزبان الرزاز وأخذ كاليما قديما فوضعه فوق الاكديش وميل عليه وقال له هذا جزاء من يقص جناحه بيده وأركبوه عليه وذهبوا به الى السلطان حسن فلما رآه ذو الفقار بك قال خذوا هذا أيضا وأشار الى ذى الفقار قانصوه وكان رجلا وجيها ولحيته بيضاء عظيمة وعليه هيبة ووقار فقال خذوا أخى البلاد والصنجقية ولا تقتلونى فسحبوهما مشاة على أقدامهما الى سبيل المؤمن وقطعوا رؤسهما ووضعوهما فى تابوت وذهبوا بهما الى بيوتهما فاما شعر الجماعة الجالسون فى بيت الهندى الا وهم داخلون عليهم برمته فغسلوه وكفنوه ومشوا فى جنازته وذهبوا الى منازلهم وانفض الجمع وركب ذو الفقار ومن معه وطلعوا الى القلعة وتمموا أغراضهم وكان المترجم سليم الصدر وعنده الحلم والدين وسماحة النفس وتولى كشوفية الغربية والمنوفية وبنى سويف ونظر الخاصكية بامر سلطانى قمدة حياته فلما ترأس محمد بك جركس رأى

وقال حسبي هذا من الغنيمة وسار به وبقيت تميم مع الغنيمة والسبي فعادت شيبان عليهم فهزموهم وقتلوهم وأسروهم كيف شاؤا ولم تصب تميم بمثلها لم يفلت منهم الا القليل ولم يلووا على أحد وانهزم طريف فاتبعه حميصة فقتله واستردت شيبان الاهل والمال وأخذوا مع ذلك ما كان معهم وفادى هانئ بن مسعود ابنه بمائة بعير وقال بعض شيبان في هذا اليوم

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل * غمر وأنت بمنظر لا تعلم
وأتيت حيا في الحروب محلهم * والجيش باسم أبيهم يستهزم
فوجدتهم يرعون حول ديارهم * بسلا اذا حام الفوارس أقدموا
واذا اعتزوا بابي ربيعة أقبلوا * بكتيبة مثل النجوم تلملم
ساموك درعك والاغر كليهما * وبنو أسيد أسلموك وخضم

وقال عمرو بن سواد يرثي طريفا

لا تبعدن يا خير عمرو بن جندب * لعمري لمن زار القبور ليبعدا
عظيم رماد النار لا متعبس * ولا مؤتسا منها اذا هو أوقدا
وما كان وقافا اذا الخيل أحجمت * وما كان مبطانا اذا ما تجردا

(يوم الزويرين)

قال أبو عبيدة كانت بكر بن وائل قد أجدبت بلادهم فانتجعوا بلاد تميم بين اليمامة وهجر فلما تدانوا اجتمعوا لا يلقى بكري تميميا الا قتله ولا يلقى تميمي بكريا الا قتله اذا وأصاب أحدهما مال الآخر أخذه حتى تفاقم الشر وعظم فخرج الحوفزان بن شريك والوادك بن الحرث الشيبانيان ليغيرا على بني دارم فاتفق ان تميما في تلك الحال اجتمعت في جمع كثير من عمرو بن حنظلة والرباب وسعد وغيرها وسارت الى بكر بن وائل وعلى تميم أبو الرئيس الحنظلي فبلغ خبرهم بكر بن وائل فتقدموا وعليهم الاصم عمرو بن قيس بن مسعود وأبو مفروق وحنظلة بن سيار العجلي وحمران بن عبد عمرو العبسي فلما التقوا جعلت تميم والرباب بعيرين وجللوهما وجعلوا عندهما من يحفظهما وتركوهما بين الصفين معقولين وسموهما زويرين يعني الهين وقالوا لا نفر حتى يفر هذان البعيران فلما رأى أبو مفروق البعيرين سأل عنهما فاعلم حالهما فقال أنا زويركم وبرك بين الصفين وقال قاتلوا عني ولا تفروا حتى أفر فاقتتل الناس قتالا شديدا فوصلت شيبان الى البعيرين فأخذوهما فذبحوهما واشتد القتال عليهما فانهزمت تميم وقتل أبو الرئيس مقدمهم ومعه بشر كثير واحترفت بكر أموالهم ونساءهم وأسروا أسرى كثيرة ووصل الحوفزان الى النساء والاموال وقد سار الرجال عنها للقتال فاخذ جميع ما خلفوه من النساء والاموال وعاد الى أصحابه سالما وقال الاعشى في ذلك اليوم

استاذه محمد بك ابن أبي شنب الدفتردارية ثم نزعها منه فورد بذلك مرسوم من الدولة بالتمكين للمترجم بنظر الخاصكية وألبسه محمد باشا قفطانا بذلك فلم يمتثل محمد بك ابن أبي شنب ولم يمكنه منها فورد بعد ذلك مرسوم كذلك بتمكين علي بك فالبسه علي باشا قفطانا فقال له علي بك أنت تلبسني وهم لا يمكنوني ولم يسلموني المفاتيح وقد تقدم مثل ذلك مرتين فقال له الباشا أنا آتيك بها وأرسلها اليك وبعث الى محمد بك يطلب منه المفاتيح فوعده بذلك ثم أحضر وهاله بسعى رجب كتخدا ومحمد جاويش الداودية فاعطاها الى علي بك فركب بصحبة الاغا المعين ونائب القاضي ومن كل باب واحد وفتحوا الخاصكية فلم يجدوا فيها شيأ فاخذ حجة بذلك وكان موت المترجم في أوائل سنة أربعين ومائة وألف (ومات) الامير ذو الفقار بك قانصوه وهو تابع قانصوه بك الكبير الايواظلي القاسمي تقلد الامارة والصنجقية في سابع شعبان سنة ثمان وعشرين ومائة وألف وتقلد عدة مناصب كثيرة مثل كشوفية بني سويف والبحيرة ولما حصلت الحوادث وقتل اسمعيل بك ابن ايواظ اعتكف في بيته ولازم داره ولم يتداخل معهم في شيء من الامور فلما تعصب ذو الفقار بك ومحمد بك قطامش ومن معهم على قتل علي بك الهندي واتحاد فرقة القاسمية عزم على قتل ذي الفقار فاتصوه أيضا وأرسل اليه وأحضره الى جامع يا سلم
السلطان حسن وهو لم يخطر بباله انهم يغدرونه لانجماعه عنهم فلما أحضروا علي بك الهندي على الصورة المتقدمة وسحبوه

الى القتل فقال ذو الفقار بك خذوا هذا أيضا وأشار الى المترجم لحزازة قديمة بينهما أو لعلمه بانه من رؤساء القاسمية وقاعدة من قواعدهم فقال لهم وماذنبي خذوا عني الابرية والبلاد

ولا تقتلوني ظلما فلم يمهلوه ولم يسمعوا لقوله فسحبوه ماشيا مع الهندي وقتلوهما تحت سبيل المؤمن بالرميلة وكان انسانا عظيما وجيها منور الشيبة عظيم اللحية رحمه الله تعالى (ومات) الامير محمد بك ابن يوسف بك الجزار تقلد الامارة والصنجقية في شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف بعد واقعة محمد بك جركس وخروجه من مصر ولما قتل علي بك الهندي وذو الفقار بك قانصوه كان هو في كشوفية المنوفية فعينوا له تجريدة وعليها اسمعيل بك قيطاس وأخذ صحبته عربان نصف سعد وكان قد وصل اليه الخبر فاخذ ما يعز عليه وترك الوطاق وارتحل الى جسر سديمة فلحقوه هناك واحتاطوا به وحاربوه وحاربهم وقتل بينهم أجناد وعرب وحمى نفسه الى الليل ثم أحضر مركبا فنزل فيها وصحبته مملوكان لا غير وفراش وأخراج وذهب الى رشيد وترك أربعة وعشرين مملوكا خلاف المقتولين فاخذوا الهجن وساروا الى لامتجرين حتى جاوزوا وطاق اسمعيل بك وتخلف منهم شخص فحضر الى وطاق اسمعيل بك قيطاس فاخبره فارتحل كتخداه بطائفة فردوهم وأحضرهم عنده فخدموه الى أن مات ودخل محمد بك الجزار ثغر رشيد فاختفى في وكالة فنمي خبره الى حسين جربجي الخشاب السردار فحضر اليه وقبض عليه وسجنه مع أحد المملوكين وكان الثاني غائبا بالسوق

ياسلم لا تسألي عنا فلا كشف * عند اللقاء ولا سود مقاريف
نحن الذين هزمنا يوم صبحنا * يوم الزويرين في جمع الاحاليف
ظلوا وظلت تكر الخيل وسطهم * بالشيب منا وبالمرد الغطاريف
تستأنس الشرف الاعلى بأعينها * لمح الصقور علت فوق الاطاليف
انسل عنها نسيل الصيف فانجردت * تحت اللبود متون كالزحاليف

قد أكثر الشعراء في هذا اليوم لاسيما الاغلب العجلي فمن ذلك أرجوزته التي أولها

* ان سرك العز فجحجح بجشم * يقول فيها

جاؤا بزوريهم وجئنا بالاصم * شيخ لنا كالليث من باقي ارم
شيخ لنا معاود ضرب البهم * يضرب بالسيف اذا الرمح انقصم
* هل غير غار صك غارا فانهزم *

الغاران بكر وتميم وله الارجوزة التي أولها

* يارب حرب ثرة الاخلاف * يذكر فيها هذا اليوم

(ذكر أسر حاتم طيئ)

قال أبو عبيدة أغار حاتم طيئ بجيش من قومه على بكر بن وائل فقاتلوهم وانهزمت طيئ وقتل منهم وأسر جماعة كثيرة فكان في الاسرى حاتم بن عبد الله الطائي فبقي موثقا عند رجل من عنزة فاتته امرأة من اسمها عالية بناقة فقالت له افصد هذه فنحرها فلما رأتها منحورة صرخت فقال حاتم

عالي لا تلتدمن عاليه * ان الذي أهلكت من ماليه
ان ابن أسماء لكم ضامن * حتى يؤدي أنس ناويه
لا أفصد الناقة في أنفها * لكنني أوجرها العاليه
اني عن الفصد لفي مفخر * يكره مني المفصد الآليه
والخيل ان شمص فرسانها * تذكر عند الموت امثاليه

وقال رميض العنزي يفتخر

نحن اسرنا حاتما وابن ظالم * فكل ثوى في قيدنا وهو يخشع
وكعب اياد قد أسرنا وبعده * أسرنا أبا حسان والخيل تطمع
وريان غادرنا بوج كأنه * واشياعه فيها صريع مصرع

وقال يحيى بن منصور الذهلي قصيدة يفتخر بأيام قومه وهي طويلة وفيها آداب حسنة تركناها كراهية التطويل وأولها

أمن عرفان منزلة ودار * تعاورها البوارح والسواري

وقال أبو عبيدة جاء الاسلام وليس في العرب أحد أعز دارا ولا أمنع جارا ولا أكثر حليفا

من شيبان كانت عنيزة من لخم في الاحلاف وكانت درمكة بن كندة في بني هند وكانت طرمة من طيئ وحوتكة من عذرة وبنته كل هؤلاء في بني الحرث بن همام وكانت عائذة من قريش وضبة وحواس من كندة هؤلاء في بني أبي ربيعة وكانت سليمة من بني عبد القيس في بني أسعد بن همام وكانت ثعلبة من ثعلبة وبنو خيبر من طيئ في بني تيم ابن شيبان وكانت عوف بن حارث من كندة في بني محلم كل هذه قبائل وبطون جاورت شيبان فعزت بها وكثرت

(يوم مسحلان)

قال أبو عبيدة غزا ربيعة بن زياد الكلبي في جيش من قومه فلقي جيشا لبني شيبان عامتهم بنو أبي ربيعة فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت بهم بنو شيبان وهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وذلك يوم مسحلان وأسروا ناسا كثيرا وأخذوا ما كان معهم وكان رئيس شيبان يومئذ حسان بن عبد الله بن قيس الحلمي وقيل كان رئيسهم زياد بن مرثد من بني أبي ربيعة فقال شاعرهم

ربيعة سائل حيث حل بجيشه * مع الحي كلب حيث نبت فوارسه
عشية ولى جمعهم فتتابعوا * فصار الينا نهبه وعوانسه

ثم ان المربع بن زياد الكلبي نادى قومه وحاربهم فهزموه فاتبعهم وسار حتى حل ببني شيبان فاستجار برجل اسمه زياد من بني أبي ربيعة فقتله بنو أسعد بن همام ثم ان شيبان حملوا ديته الى كلب مائتي بعير فرضوا

(حرب سليم وشيبان)

قال أبو عبيدة خرج جيش لبني سليم عليهم النصيب السلمي وهم يريدون الغارة على بكر ابن وائل فلقيهم رجل من بني شيبان اسمه صليع بن عبد غنم وهو محرم على فرس له يسمى البحراء فقال لهم أين تذهبون قالوا نريد الغارة على بني شيبان فقال لهم مهلا فاني لكم ناصح اياكم وبني شيبان فاني أقسم لكم بالله لتأتينكم على ثلثمائة فرس خصي سوى الفحول والاناث فأبوا الا الغارة عليهم فدفع صليع فرسه ركضا حتى أتى قومه فأنذرهم فركبت شيبان واستعدوا فأتاهم بنو سليم وهم معدون فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت شيبان وانهزمت سليم وقتل منهم مقتلة كثيرة وأسر منهم ناس كثير ولم ينج الا القليل وأسر النصيب رئيسهم أسره عمران بن مرة الشيباني فضرب رقبته فقال صليع

نهيت بني زعل غداة لقيتهم * وجيش نصيب والظنون تطاع
وقلت لهم ان الحريب وراءكم * به نعم ترعى المراد رتاع
ولكن فيه الموت يرتع سربه * وحق لهم ان يقبلوا ويطاعوا
متى تأته تلق على الماء حرثا * وجيشا له يوفي بكل بقاع

(يوم

فتغيب ولم يظهر الا بعد مدة وأرخى لحيته وفتح له دكانا يبيع و يشتري ولم يعرفه أحد وأرسل حسين جربجي الخبر الى مصر مع الساعي الى ذي الفقار بك ويستأذن في أمره بشرط أن يجعلوه صنجقا و يعطوه كشوفية البحيرة عن سنة أربعين وألف ومائة فأجيب الى ذلك وأرسلوا اليه فرمانا بقتل محمد بك الجزار وقتل مملوكه وان يأتي هو الى مصر ويعطوه مراده وصحبته ومع الفرمان آغا معين من طرف الباشا فقتلوا محمد بك ومعه مملوكه وسلخوا رؤسهما ورجع بهما الاغا المعين الى مصر (ومات) الامير محمد بك ابن ابراهيم بك أبي شنب القاسمي تقلد الامارة والصنجقية في حياة والده في سنة سبع وعشرين ومائة وألف ولما توفي والده انتقل الى بيته الذي بالشرايبي من جامع ايدال بالقرب من قناطر السباع وتولى عدة كشوفيات بالقاسمية في أيام المرحوم اسمعيل بك ابن ايواظ وكان يحقده ويحسده ويكرهه باطنا هو ومحمد بك ابن ايواظ أخيه وحده وصالح بك جركس وأرادوا اغتياله وأوقعوا له في طريقه من يقتله ونجاه الله منهم فظفر بهم وأخرج جركس منفيا الى قبرص كما تقدم وسافر محمد بك المترجم بالخزينة فاغرى به رجال الدولة وأوشى في حقه وحصل ما تقدم ذكره وأيده الله عليهم أيضا في تلك المرة ولما قتل اسمعيل بك واستقل محمد جركس تقلد المترجم دفتردار وصار أميرا كبيرا يشار اليه ويرجع اليه في جميع الامور ولما عزل أحمد باشا الكشكجي تقلد المترجم أيضا قائمقام وعمل الدوادار بن في بيته ولم يطلع الى القلعة كعادة

(يوم جدود)

وهو يوم بين بكر بن وائل وبني منقر من تميم وكان من حديثه ان الحوفزان واسمه الحرث بن شريك الشيباني كانت بينه وبين بني سليط بن يربوع موادعة فهم بالغدر بهم وجمع بني شيبان وذهلا واللهازم وعليهم حمران بن عبد عمرو بن بشر بن عمرو ثم غزاهم ويرجو أن يصيب غرة من بني يربوع فلما انتهى الى بني يربوع نذر به عتيبة بن الحرث بن شهاب فنادى في قومه فحالوا بين الحوفزان وبين الماء وقال لعتيبة اني لا أرى معك الا رهطك وأنا في طوائف من بني بكر فلئن ظفرت بكم قل عدد كم وطمع فيكم عدوكم ولئن ظفرتم بي ما تقتلون الا أقاصي عشيرتي وما اياكم أردت فهل لكم أن تسالمونا وتأخذوا ما معنا من التمر ووالله لا نروع يربوعا أبدا فأخذ ما معهم من التمر وخلى سبيلهم فسارت بكر حتى أغاروا على بني ربيع بن الحرث وهو مقاعس بجدود وانما سمي مقاعسا لانه تقاعس عن حلف بني سعد فاغار عليهم وهم خلوف فاصاب سبيا ونعما فبعث بنو ربيع صريخهم الى بني كليب فلم يجيبوهم فأتى الصريخ بني منقر بن عبيد فركبوا في الطلب فلحقوا بكر بن وائل وهم مقاتلون فما شعر الحوفزان وهو في ظل شجرة الا بالاهتم بن سمي بن سنان المنقري واقفا على رأسه فركب فرسه فنادى الاهتم يا آل سعد ونادى الحوفزان يا آل وائل ولحق بنو منقر فقاتلوا قتالا شديدا فهزمت بكر وخلوا السبي والاموال وتبعتهم منقر فمن قتيل وأسير وأسر الاهتم حمران بن عبد عمرو ولم يكن لقيس بن عاصم المنقري همة الا الحوفزان فتبعه على مهر والحوفزان على فرس فارح فلم يلحقه وقد قاربه فلما خاف أن يفوته حفزه بالرمح في ظهره فاحتفز بالطعنة ونجا فسمي يومئذ الحوفزان وقيل غير هذا وقال الاهتم في اسره حمران

نيطت بحمران المنية بعدما * حشاه سنان من شراعة أزرق
دعا يال قيس واعتزيت لمنقر * وكنت اذا لاقيت في الخيل أصدق

وقال سوار بن حيان المنقري يفتخر على رجل من بكر

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * كسته نجيعا من دم البطن أشكلا
وحمران قسرا أنزلته رماحنا * فعالج غلا في ذراعيه مثقلا
فيالك من أيام صدق نعدها * كيوم جؤاثي والنباج وثيتلا
قضى الله أنا يوم تقتسم العلا * أحق بها منكم فاعطى فأجزلا
فلست بمستطيع السماء ولم تجد * لعز بناه الله فوقك منقلا

(منقر بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف وربيع بضم الراء وفتح الباء الموحدة)

(يوم الاياد وهو يوم أعشاش ويوم العظالى)

وانما سمي يوم العظالى لان بسطام بن قيس وهانئ بن قبيصة ومفروق بن عمرو تعاظلوا على الرياسة وكانت بكر تحت يد كسرى وفارس وكانوا يقرونهم ويجهزونهم فاقبلوا

الوكالة والبواب وقلد المناصب والامريات في منزله وصار كأنه سلطان وكان على نسق مملوك أبيه محمد جركس في العسف وسوء التدبير ولا يخرج أحدهما عن مراد الآخر ولم يزل على ذلك حتى وقعت حادثة ظهور ذي الفقار وخرج محمد بك جركس ومن معه هاربين واختفى المترجم ثم ان جماعة من العامة وجدوه ميتا بالجامع الازهر فاخبروا سليمان أغا أبادفية أغات مستحفظان فأخذه في تابوت وطلع به الى القلعة ووضعه بديوان قايتباي وحضرت والدته خلفه وهي تبكي وخرج محمد باشا فكشف وجهه ورآه وقال لو كان عليك شطارة كنت قطعت رأسك أخربت البيتين بفتنتك ثم التفت الى أمه وقال لها هذا ابنك قالت نعم قال ليتك ولدت حجرا ولا هذا خذيه وادفنيه فأخذته وغسلته وكفنته ودفنته بباب الوزير ونهبوا بيته وانقضى أمره (ومات) أيضا عمر بك أمير الحاج تابع عبد الرحمن بك جرجا المتقدم ذكره انطوى الى محمد بك جركس وأمره وجعله أمير الحاج في أيامه وكان غنيا وصاحب فائظ كثير ومات في واقعة جركس (ومات) رضوان بك وهو من مماليك محمد بك جركس ويقال له رضوان الخازندار قلده الصنجقية وأخذ نظر الخاصكية من علي بك الهندي وأعطاه له وتنافس بسببهما مع جركس وانجمع كل منهما عن الآخر مدة طويلة ولما وقع لجركس ما وقع اختفى رضوان بك المذكور عند يوسف بك زوج هانم فاخبر عنه وأخذه سليمان أغا وقتله فسمي لذلك يوسف الخائن

(ومات) الامير علي بك المعروف بالارمني ويعرف أيضا بالشامي وهو من اتباع ابن ايواظ وكان أمين العنبر ويعرف أيضا بابي العدب تقلد الصنجقية في عشري

شهر القعدة سنة خمس وثلاثين ومائة وألف ولما أراد اسمعيل بك تأميره لم يجدوا له امرية في المحلول فانعم عليه الباشا بصنجقية كتخداه رعاية لخاطر ابن ايواظ ونزل حاكما بجرجا وكان يجعل لعمامته عذبة فسموه في الصعيد بابي العدب وتقلد أمين العنبر في سنة ست وثلاثين وحفظ الغلال وصرفها للمستحقين ومرتبات الحرمين والاوقاف وغلال الباشا والعليق وارتاح الباشا والناس في أيامه فلما قتل اسمعيل بك أراد جركس البطش به وبالهندي فدافع عنهما الباشا وقال ان علي بك الهندي منظور مولانا السلطان وأبو العدب منظوري وعلى ضمانهما فلما زالت دولة جركس بظهور ذي الفقار وطائفة الفقارية ثقل عليهم وجودهما فاخذوا يدبرون في الايقاع بهما وذو الفقار مظهر الصداقة والمؤاخاة للهندي ويراعي حق جميله معه أيام اختفائه والهندي يعتقد خلوصه له الى ان اجتمع أبو العدب ومصطفى بك ابن ايواظ ومن معهم في مجلس أنسهم ووقع منهم ما تقدم ذكره وذهب المملوك فاخبر الهندي فلم يتلاف الهندي أمر ذلك ولم يتدبره بل أرسله الى ذي الفقار بك فعند ذلك لاحت له الفرصة وأرسله الى الباشا وأخبره بالسهم وقولهم وان أبا اخوه العدب قال أنا أقتل الباشا يوم جبر الخليج فاحتد الباشا وأمر باحضار المترجم فلما مثل بين يديه قال له أنت تريد قتلي

من عند عامل عين التمر في ثلثمائة متساندين وهم يتوقعون انحدار بني يربوع في الحزن فاجتمع بنو عتيبة وبنو عبيد وبنو زبيد في الحزن فحلت بنو زبيد الحديقة وحلت بنو عتيبة وبنو عبيد روضة الثمد فاقبل جيش بكر حتى نزلوا هضبة الخصي فرأى بسطام السواد بالحديقة وثم غلام عرفه بسطام وكان قد عرف غلمان بني ثعلبة حين أسر عتيبة فسأله بسطام عن السواد الذي بالحديقة فقال هم بنو زبيد قال هم من كم بيت قال من خمسين بيتا قال فاين بنو عتيبة وبنو عبيد قال هم بروضة الثمد وسائر الناس بخفاف وهو موضع فقال بسطام أتطيعونني يا بني بكر قالوا نعم قال أرى لكم ان تغنموا هذا الحي المتفرد بني زبيد وتعودوا سالمين قالوا وما يغني بنو زبيد عنا قال ان في السلامة احدى الغنيمتين قالوا ان عتيبة بن الحرث قد مات وقال مفروق قد انتفخ سحرك يا أبا الصهباء وقال هانئ أحمقا فقال ان أسيد بن حناءة لا يفارق فرسه الشقراء ليلا ونهارا فاذا أحس بكم ركبها حتى يشرف على مليحة فينادي يا آل ثعلبة فيلقاكم طعن ينسيكم الغنيمة ولم يبصر أحد منكم مصرع صاحبه وقد عصيتموني وأنا تابعكم وستعلمون فاغاروا على بني زبيد واقبلوا نحو بني عتيبة وبني عبيد فاحست الشقراء فرس أسيد بوقع الحوافر فبحثت بحافرها فركبها أسيد وتوجه نحو بني يربوع على مليحة ونادى يا سوء صباحاه يا آل ثعلبة بن يربوع فما ارتفع الضحى حتى تلاحقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت شيبان بعد ان قتلت من تميم جماعة من فرسانهم وقتل من شيبان أيضا وأسر جماعة منهم هانئ بن قبيصة ففدى نفسه ونجا فقال متمم بن نويرة في هذا اليوم

لعمري لنعم الحي اسمع غدوة * أسيد وقد جد الصراخ المصدق
وأسمع فتيانا كجنة عبقر * لهم ريق عند الطعان ومصدق
أخذن بهم جنبي أفاق وبطنها * فما رجعوا حتى أرقوا وأعتقوا

وقال العوام في هذا اليوم

قبح الاله عصابة من وائل * يوم الافاقة أسلموا بسطاما
ورأى أبو الصهباء دون سوامهم * طعنا يسلي نفسه وزحاما
كنتم أسودا في الوغا وجدتم * يوم الافاقة في الغبيط نعاما

وأكثر العوام الشعر في هذا اليوم فلما ألح فيه أخذ بسطام ابله فقالت أمه

أرى كل ذي شعر أصاب بشعره * خلا أن عواما بما قال عيلا
فلا ينطقن شعرا يكون جوازه * كما شعر عوام أعام وأرجلا

(يوم الشقيقة وقتل بسطام بن قيس)

هذا يوم بين بني شيبان وضبة بن أد قتل فيه بسطام بن قيس سيد شيبان وكان سببه ان بسطام بن قيس بن مسعود بن خالد بن عبد الله ذي الجدين غزا بني ضبة ومعه

أخوه السليل بن قيس ومعه رجل يزجر الطير من بني أسد بن خزيمة يسمى نقيدا فلما كان بسطام في بعض الطريق رأى في منامه كان آتيا أتاه فقال له * الدلو تأتي الغرب المزله * فقص رؤياه على نقيد فتطير وقال ألا قلت * ثم تعود باديا مبتله * فتفرط عنك النحوس ومضى بسطام على وجهه فلما دنا من نقا يقال له الحسن في بلاد ضبة صعده ابراه فاذا هو بنعم قد ملأ الارض فيه ألف ناقة لمالك بن المنتفق الضبي من بني ثعلبة ابن سعد بن ضبة قد فقأ عين فحلها وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية اذا بلغت ابل أحدهم ألف بعير فقؤا عين فحلها التردة عنها العين وهي ابل مرتبعة ومالك بن المنتفق فيها على فرس له جواد فلما أشرف بسطام على النقا تخوف ان يروه فينذروا به فاضطجع وتدهدى حتى بلغ الارض وقال يا بني شيبان لم اركاليوم قط في الغرة وكثرة النعم ونظر نقيد الى لحية بسطام معفرة بالتراب لما تدهدى فتطير له أيضا وقال ان صدقت الطير فهو أول من يقتل وعزم الاسدي على فراقه فاخذته رعدة تهيبا لفراقه والانصراف عنه وقال له ارجع يا أبا الصهباء فاني أتخوف عليك ان تقتل فعصاه ففارقه نقيد وركب بسطام وأصحابه وأغاروا على الابل واطردوها وفيها فحل لمالك يقال له أبو شاعر وكان أعور فنجا مالك على فرسه الى قومه من ضبة حتى اذا أشرف على تعشار نادى يا صباحاه وعاد راجعا وادرك الفوارس القوم وهم يطردون النعم فجعل فحله أبو شاعر يشذ من النعم ليرجع وتتبعه الابل فكلما اتبعته ناقة عقرها بسطام فلما رأى مالك ما يصنع بسطام وأصحابه قال ماذا السفه يا بسطام لا تعقرها فاما لنا واما لك فأبى بسطام وكان في أخريات الناس على فرس ادهم يقال له الزعفران يحمي أصحابه فلما لحقت خيل ضبة قال لهم مالك ارموا روايا القوم فجعلوا يرمونها فيشقونها فلحقت بنو ثعلبة وفي أوائلهم عاصم بن خليفة الصباحي وكان ضعيف العقل وكان قبل ذلك يعقب قناة له فيقال له ما تصنع بها يا عاصم فيقول أقتل عليها بسطاما فيهزؤن منه فلما جاء الصريخ ركب فرس أبيه بغير أمره ولحق الخيل فقال لرجل من ضبة أيهم الرئيس قال صاحب الفرس الادهم فعارضه عاصم حتى حاذاه ثم حمل عليه فطعنه بالرمح في صماخ اذنه أنفذ الطعنة الى الجانب الآخر وخر بسطام على شجرة يقال لها الالاءة فلما رأت ذلك شيبان خلوا سبيل النعم وولوا الادبار فمن قتيل وأسير واسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس أخا بسطام في سبعين من بني شيبان وكان عبد الله بن عنمة الضبي مجاورا في شيبان فخاف ان يقتل فقال يرثي بسطاما

لأم الارض ويل ما اجنت * غداة أضر بالحسن السبيل
يقسم ماله فينا وندعو * أبا الصهباء اذ جنح الاصيل
اجدك ان تريه ولن نراه * تخب به عذافرة ذمول
حقيبة بطنها بدن وسرج * تعارضها مربية دؤول

يا خائن وأنا الذي دافعت عنك وحميتك من القتل فحلف له انه افتراء وغيمة من الاعداء فلم يصدقه وأمر بهم في الحال فنزلوا به الى حوش الديوان وقطعوا رأسه تحت ديوان قايتباي ونهبوا بيته وأخذوا منه أشياء كثيرة (ومات) * أيضا مصطفى بك وهو أخو اسمعيل بك ابواظ الامارة والصنجقية أيام ذي الفقار كما تقدم وصار الامراء القاسمية المعدودين فلما أحضر الباشا علي بك الارمني وقتله وأمر بالقبض على باقي الجماعة فقبضوا على مصطفى بك المذكور وأحضروه على حمار وصحبته المقدم تابعه فقتلوهما تحت ديوان قايتباي بعد قتل علي بك بيومين * (ومات) * الامير صاري علي بك ويقال له علي بك الاصغر لان صاري بمعنى الاصغر وهو من اتباع ابواظ بك تقلد الامارة والصنجقية غاية شعبان سنة أربع وثلاثين ومائة وألف ولبس كشوفية الغربية ولما قتل ابن استاذه اسمعيل بك استعفى من الصنجقية وعمل جربجيا بباب العزب واعتكف بيته ولم يتداخل في أمر من الامور ثم أعيد وسافر أميرا بالعسكر الى الروم وتوفي بدار السلطنة سنة احدى وأربعين ومائة وألف (ومات) الامير أحمد كتخدا عزبان المعروف بامين البحرين وكان من الاعيان المشهورين نافذ الكلمة وافر الحرمة وكان بينه وبين الامير اسمعيل بك ابن ابواظ وحشة وكان يكرهه ولما ظهر اسمعيل بك تجدد كلمة المترجم واستمر في خموله ثم انضم الى اسمعيل بك وتحابب له وصار من اكبر أصدقائه وعمل باش أوده باشه ثم تولى الكتخدائية وعمل أمين البحرين ثالث مرة وسعت

الى ميعاد ارعن مكفهر * تضمر في جوانبه الخيول
لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيطة والفضول
لقد ضمت بنو زيد بن عمرو * ولا يوفى ببسطام قتيل
تخر على الالاءة لم يوسد * كان جبينه سيف صقيل
فان يجزع عليه بنو ابيه * فقد فجعوا وفاتهم جليل
بمطعام اذا الاشوال راحت * الى الحجرات ليس لها فصيل

فلم يبق في بكر بن وائل بيت الا والتي لقتله اعلوه. له وقال شمعلة بن الاخضر بن هبيرة الضبي يذكره

ويوم شقيقة الحسنين لاقت * بنو شيبان آجالا قصارا
شككنا بالرماح وهن زور * صماخي كبشهم حتى استدارا
وأوجرناه اسمر ذا كعوب * يشبه طوله مسدا مغارا

(الشقيقة أرض صلبة بين جبلي رمل والحسنان نقوا رمل كانت الوقعة عندهما)

وقالت أم بسطام بن قيس ترثيه

ليبك ابن ذي الجدين بكر بن وائل * فقد بان منها زينها وجمالها
اذا ما غدا فيهم غدوا وكأنهم * نجوم سماء بينهن هلالها
فلله عينا من رأى مثله فتى * اذا الخيل يوم الروع هب نزالها
عزيز المكر لايهد جناحه * وليث اذا الفتيان زلت نعالها
وحمال اثقال وعائذ محجر * تحل اليه كل ذاك رحالها
سيبكيك عان لم يجد من يفكه * ويبكيك فرسان الوغى ورجالها
وتبكيك أسرى طالما قد فككتهم * وأرملة ضاعت وضاع عيالها
مفرج حومات الخطوب ومدرك الحروب اذا صالت وعز صيالها
تغشى بها حينا كذاك ففجعت * تميم به ارماحها ونبالها
فقد ظفرت منا تميم بعثرة * وتلك لعمري عثرة لا تقالها
أصيبت به شيبان والحي يشكر * وطير يرى ارسالها وحبالها

(عنمة بفتح العين المهملة والنون)

(يوم النسار)

النسار اجبل متجاورة وعندها كانت الوقعة وهو موضع معروف عندهم وكان سبب ذلك اليوم ان بني تميم بن مر بن أد كانوا اكانوا هم ومنهم ضبة بن أد وبني عبد مناة بن أد فاصابت ضبة رهطا من تميم فطلبتهم تميم فانزاحت جماعة الرباب وهم تيم وعدى وثور وأطحل وعكل بنو عبد مناة بن أد وضبة بن أد وانما سموا الرباب لانهم غمسوا أيديهم في الرب حين تحالفوا فلحقت ببني أسد وهم يومئذ حلفاء لبني ذبيان بن بغيض

كلمته وهي صحبتها قتل اسمعيل بك رجع الى نحوله ثم نفي الى أبي قير بمعرفة اختيارية الباب ونصب ابراهيم كتخدا وكان اذذاك ضعيف المزاج فارسلوا اله الفرمان صحبة كشك جاويش ومعه نحو المائتين نفر فدخلوا افندي رله بدرب السادات على بركة الفيل على بين غفلة وأركبوه من ساعته وهم حوله الى بولاق وأرسلوه الى أبي قير ثم أرسلوا اله فرمانا بالسفر الى سفر العجم مع صاري على وجعلوه سردار العزب ومع الفرمان القفطان وفيه الامر له بان يجهز نفسه ويسافر من أبي قير الى الاسكندرية ولا يأتي مصر بل ينتظر بسكندرية وصول العساكر المسافرين فذهب الى سكندرية واستمر بها حتى وصلت العسكر وسافر معهم الى اسلامبول فلما وصل هناك استأذن في المقام بها الى ان تسافر العسكر وتعود فاذن له فاقام هناك الى ان توفي في سنة احدى وأربعين ومائة وألف *(ومات)* الامير علي بك قاسم وهو ابن أخي قاسم بك الصغير ويلقب بالمافق ولما مات قاسم بك بالبهنسا كما تقدم قلد محمد بك جركس عليا هذا الصنجقية عوضا عن قاسم بك ونزل في منصبه وأعطاه فائظه ولم يزل أميرا حتى خرج محمد بك جركس من مصر هاربا وخرج معه من خرج واختفى المترجم فيمن اختفى في بيت امرأة دلالة في كوم الشيخ سلامة ومات به وزوجها أجير عند بعض التجار بخان الخليلي فاخرجه وعمل بعض الطوائف فبلغ الخبر سليمان فنادى أغا بادقية أغات مستحفظان فهجم على بيت المرأة فلم يجدها ووجد زوجها فاخذه وزفه على باب الكوم لكونه كتم أمره ولم يدل

فنادى صارخ بنى ضبة يا آل خندف فاصرختهم بنو أسد وهو أول يوم تخندفت فيه ضبة واستمدوا حليفهم طيئا وغطفان فكان رئيس أسد يوم النسار عوف بن عبد الله ابن عامر بن جذيمة ابن نصر بن قعين وقيل خالد بن نضلة وكان رئيس الرباب الاسود بن المنذر أخو النعمان وليس بصحيح وكان على الجماعة كلهم حصن بن حذيفة بن بدر وفيه يقول زهير بن أبى سلمى

ومن مثل حصن فى الحروب ومثله * لانداد ضيم أو لامر يحاوله
اذا حل احياء الاحاليف حوله * بذى نجب هداته وصواهله

فلما بلغ بنى تميم ذلك استمدوا بنى عامر بن صعصعة فامدوهم وكان حاجب بن زرارة على بنى تميم وكان عامر بن صعصعة جوابا وهو لقب مالك بن كعب من بنى أبى بكر بن كلاب لان بنى جعفر كانوا جعلوا بنى قد أخرجهم الى بنى الحرث بن كعب فى حلفهم وقيل كان رئيس عامر شريح بن مالك القشيرى وسار الجمعان فالتقوا بالنسار واقتتلوا فصبرت عامر واستحر بهم القتل وانفضت تميم فنجت ولم يصب منهم كثير وقتل شريح القشيرى رأس بنى عامر وقتل عبيد بن معاوية بن عبد الله بن كلاب وغيرهما وأخذت من اشراف نساء بنى عامر منهن سلمى بنت المخلف والعنقاء بنت همام وغيرهما فقالت سلمى تعير جوابا والطفيل

لحى الاله ابا ليلى بفرته * يوم النسار وقنب العير جوابا
كيف الفخار وقد كانت بمعترك * يوم النسار بنو ذبيان أربابا
لم تمنعوا القوم اذ اشلوا سوامكم * ولا النساء وكان القوم أحزابا

وقال رجل يعير جوابا والطفيل بفراره عن امرأتيه

وفر عن ضرتيه وجه خارئة * ومالك فر قنب العير جواب

القنب غلاف الذكر وجواب لقب لانه كان يجوب الآثار واسمه مالك وقال بشر بن أبى خازم فى هزيمة حاجب

وافلت حاجب جوب العوالى * على شقراء تلمع فى السراب
ولو أدركن رأس بنى تميم * عفرن الوجه منه بالتراب

وكان يوم النسار بعد يوم جبلة وقتل لقيط بن زرارة (جواب بفتح الجيم وتشديد الواو وآخره باء موحدة وخازم بالخاء المعجمة والزاى)

(يوم الجفار)

لما كان على رأس الحول من يوم النسار اجتمع من العرب من كان شهد النسار وكان رؤساؤهم بالجفار الرؤساء الذين كانوا يوم النسار الا ان بنى عامر قيل كان رئيسهم بالجفار عبد الله بن جعدة بن كعب بن ربيعة فالتقوا بالجفار واقتتلوا وصبرت تميم فعظم فيها القتل وخاصة فى بنى عمرو بن تميم وكان يوم الجفار يسمى الصيلم لكثرة من قتل به وقال بشر بن أبى خازم فى عصبة تميم لبنى عامر

عليه *(ومات)* الامير رجب كتخدا سليمان الاقواسى وذلك انه لما انقضى أمر جركس قلدوا رجب كتخدا سردار جداوى وجعلوا الاقواسى يمق وجهزا أمورهما واحمالهما وخرجا الى البركة ليذهبا الى السويس فخرج اليهما صنجق من الامراء وصحبته جاويش من الباب فاتياهما آخر الليل وقتلاهما وقطعا رؤسهما وضبطاما وجداه من متاعهما وسلماه لبيت المال بالباب *(ومات)* الامير أحمد افندى كاتب الروزنامة ابن محمد افندى التذكرجى خنقه محمد باشا النشنجى فى واقعة جركس وظهور ذى الفقار بك ولما خرج جركس من مصر هاربا خرج معه الى وردان وكان جسيما فانقطع مع بعض المنقطعين وأخذت ثيابهم العرب وقبضوا على من قبضوا عليه وفيهم أحمد افندى الروزنامجى وأتوا بهم الى مصطفى تابع رضوان اغا وكان فى الدرانة قائمقام فاخذهم وقتل منهم أناسا وأرسل رؤسهم وأرسل أحمد افندى بالحياة فحضروا به الى بيت الدفتردار وهو راكب على ظهر حمار سوقى فارسله على بك الهندى الدفتردار الى ذى الفقار فقال على بك ركبنى جوادا وأخرج عنى هذا الحديد من رجلى فقال له على بك لو رحمتمونا كنا رحمناكم فلما أحضروه الى ذى الفقار وهو على هذه الصورة لم يلتفت اليه ولم يخاطبه وأرسله الى الباشا فمثل بين يديه وكان يوم ديوان وذلك بعد الواقعة بخمسة أيام فارسله الباشا الى كتخداه فبات عنده تلك الليلة ثم أرسله الى كتخدا مستحفظان فحبسه بالقلعة وخنقوه تلك الليلة وأنزلوه الى بيته فغسلوه وكفنوه

ودفنوه وبيته هو بيت لاجين بك الذى هو بقرب الداودية تجاه جامع الحين و به السويقة المعروفة بسويقة لاجين وهو بيت عبد الرحمن اغا مستحفظان وهو آخر من سكنه ورأيته مكتوبا فى وقف أحمد افندى المذكور وتولى بعده

فى كتابة الروزنامة عبد الله افندى ثم رحساب الروزنامة فعجزت ثمانين كيسا فضبطوا موجودات أحمد افندى فبلغت أربعين كيسا فقعد الباشا بالباقى ولما انقضى أمر ذلك ومضى عليه نحو السنة حضرت جارية من جوارى المترجم الى ذى الفقار بك وشكت اليه من أخى أحمد افندى وانه أعطى لكل جارية من الجوارى البيض والسود اسم جامكية ولم يعطها شيأ مع انها من جواريه القديمة وأخبرته انها تعلم مخبأة فيها مال سيدها وذخائره فارسلها ذو الفقار بك الى كتخدا الباشا فاخبرته وعرف مخدومه فقال له خذ كاتب الخزنة ونائب القاضى وشاهدا وانزلوا معها وانظروا ذلك وحرروه فنزلوا الى بيت أحمد افندى والجارية معهم فهرب أخوه وطلعوا الى الحريم فادخلتهم الجارية الى قاعة ورفعت البساط والحصير وأطلعتهم على بلاط المخبأة فكشفوه فظهر طابق ففتحوه وأوقدوا شمعة وأخرجوا من تلك المخبأة أشياء كثيرة من مصاغ وذهبيات وفضيات ولؤلؤ وعنبر وعود وسروج وفى مزركشة وقمح أقمشة هندية وأمتعة نفيسة وأوانى صينى وباباغورى وعشرين كيسا نقودا

فضبطوا جميع ذلك وأمر الباشا ببيع الاعيان الموجودة وأعطى الجارية مائة فندقلى واسمين جامكية وأمر عبد الله أفندى

عصبت تميم ان يقتل عامر * يوم النسار فاعقبوا بالصيلم
كنا اذا نفروا والحرب نفرة * نشفى صداهم برأس صلدم
نعلوا الفوارس بالسيوف ونعتزى * والخيل مشعلة النحور من الدم
يخرجن من خلل الغبار عوابسا * خبب السباع بكل ليث ضيغم

وهى عدة أبيات وقال ايضا

يوم الجفار ويوم النسا * ر كانا عذابا وكانا غراما
فاما تميم تميم بن مر * فالفاهم القوم روبى نياما
وأما بنو عامر بالجفا * ر ويوم النسار فكانوا نعاما

فلما أكثر بشر على بنى تميم قيل له هلك تميم وهم أقرب الناس منك أرحاما فقال اذا فرغت منهم فرغت من الناس ولم يبق أحد

(يوم الصفقة والكلاب الثانى)

أما يوم الصفقة فسببه ان باذان نائب كسرى ابرويز بن هرمز باليمن أرسل اليه حملا من اليمن فلما بلغ الحمل الى نطاع من أرض نجد اغارت تميم عليه وانتهبوه وسلبوا رسل كسرى واساورته فقدموا على هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة مسلوبين فاحسن اليهم وكساهم وقد كان قبل هذا اذا أرسل كسرى لطيمة تباع باليمن يجهز رسله ويخفرهم ويحسن جوارهم وكان كسرى يشتهى ان يراه ليجازيه على فعله فلما أحسن أخيرا الى هؤلاء الرسل الذين أخذتهم تميم قالوا له ان الملك لا يزال يذكرك و يؤثر أن تقدم عليه فسار معهم اليه فلما قدم عليه أكرمه وأحسن اليه وجعل يحادثه لينظر عقله فرأى ما سره فامر له بمال كثير وتوجه بتاج من تيجانه واقطعه أموالا بهجر وكان هوذة نصرانيا وأمره كسرى ان يغزو هو والمكعبر مع عساكر كسرى بنى تميم فساروا الى هجر ونزلوا بالمشقر وخاف المكعبر وهوذة ان يدخلا بلاد تميم لانها لا تحتملها العجم وأهلها يمتنعون فبعثا رجالا من بنى تميم يدعونهم الى الميرة وكانت شديدة فاقبلوا على كل صعب وذلول فجعل المكعبر يدخلهم الحصن خمسة خمسة وعشرة عشرة واقل واكثر يدخلهم من باب على انه يخرجهم من آخر فكل من دخل ضرب عنقه فلما طال ذلك عليهم ورأوا ان الناس يدخلون ولا يخرجون بعثوا رجالا يستعلمون الخبر فشد رجل من عبس فضرب السلسلة فقطعها وخرج من كان بالباب فامر المكعبر بغلق الباب وقتل كل من كان بالمدينة وكان يوم الفصح فاستوهب هوذة منه مائة رجل فكساهم وأطلقهم يوم الفصح فقال الاعشى من قصيدة يمدح هوذة

بهم يقرب يوم الفصح ضاحية * يرجو الاله بما أسدى وما صنعا

فصار يوم المشقر مثلا وهو يوم الصفقة لاصفاق الباب وهو اغلاقه وكان يوم الصفقة وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بعد لم يهاجر * وأما يوم الكلاب الثانى فان

رجلا

الروزنامجي ان يجهزها ويزوجها ففعل ذلك وزوجها لبعض أتباعه (ومات) محمد جربجي المرالي وكان ذا مال عريض وضبط موجوده ألفي كيس ولم يعقب أولادا الا أولاد سيده وزوجته بنت أستاذه وأوصى لشخص يقال له عمر أغا بثلاثين كيسا ولآخر بألفي دينار ولآخر بألف ولكل مملوك من مماليكه ألف دينار ولمجاوري الازهر خمسمائة دينار توفي في عشرين رمضان سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف (ومات) المعلم داود صاحب عيار خنقه محمد باشا النشنجي بعد خروج محمد بك جركس فقبضوا عليه وحبسوه بالعرقانه وخنقوه وهو الذي ينسب اليه الجدد الداودية وفي سنة سبع وثلاثين ومائة وألف الماضية حضر من الديار الرومية أمين ضربخانه وصاحب عيار وصناع دار الضرب وصحبتهم سكة الفندقلي والنصف فندقلي وان يكون عياره ثلاثة وعشرين قيراطا وصرف الفندقلي مائة وأربعة وثلاثون نصفا والنصف سبعة وستون فاحضر الباشا المعلم داود وطلب منه سكة الجنزرلي وأعطاه سكة الفندقلي وختم على سكة الجنزرلي في كيس وأودعها في خزانة الديوان وعند ما سمع داود بهذه الاخبار قبل حضورهم الى مصر تدارك أمره وفرق على الباشا وكتخدا الباشا ومحمد بك جركس والمتكلمين عشرين ألف دينار فلما قرئ المرسوم بالديوان قالوا سمعنا وأطعنا في أمر السكة وأما صاحب عيار فانه لا يتغير فقال الباشا كذلك لكن يكون الاغا ناظرا على الضربخانة لاجل اجراء المرسوم وتم الامر على ذلك فلما عزل الباشا اجتمع الموزدون

رجلا من بني قيس بن ثعلبة قدم أرض نجران على بني الحرث بن كعب وهم اخواله فسألوه عن الناس خلفه فحدثهم انه أصفق على بني تميم باب المشقر وقتلت المقاتلة وبقيت أموالهم وذراريهم في مساكنهم لامانع لها فاجتمعت بنو الحرث من مذحج واحلافها من نهد وجرم بن ريان فاجتمعوا في عسكر عظيم بلغوا ثمانية آلاف ولا يعلم في الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بذي قار ومن يوم جبلة وساروا يريدون بني تميم فحذرهم كاهن كان مع بني الحرث واسمه سلمة بن المغفل وقال انكم تسيرون أعيانا وتغزون احيانا سعدا ورباناو تردون مياها جيابا فتلقون عليها ضرابا وتكون غنيمتكم ترابا فاطيعوا أمري ولا تغزوا تميما فعصوه وساروا الى عمروة فبلغ الخبر تميما فاجتمع ذووالرأي منهم الى أكثم بن صيفي وله يومئذ مائة وتسعون سنة فقالوا له يا أبا حيدة حقق هذا الامر فانا قد رضيناك رئيسا فقال لهم

وان امرأ قد عاش تسعين حجة * الى مائة لم يسأم العيش جاهل
مضت مائتان غير عشر وفاؤها * وذلك من عد الليالي قلائل

ثم قال لهم لا حاجة لي في الرياسة ولكني أشير عليكم لينزل حنظلة بن مالك بالدهناء ولينزل سعد بن زيد مناة والرباب وهم ضبة بن أد وثور وعكل وعدي بنو عبد مناة بن أد الكلاب فاي الطريقين أخذ القوم كفى احدهما صاحبه ثم قال لهم احفظوا وصيتي لا تحضروا النساء الصفوف فان نجاة اللئيم في نفسه ترك الحريم واقلوا الخلاف على امرائكم ودعوا كثرة الصياح في الحرب فانه من الفشل والمرء يعجز لا محالة فان أحق الحمق الفجور وأكيس الكيس التقى كونوا جميعا في الرأي فان الجميع معزز للجميع واياكم والخلاف فانه لا جماعة لمن اختلف ولا تلبثوا ولا تسرعوا فان أحزم الفريقين الركين ورب عجلة تهب ريثا واذا عز أخوك فهن البسوا جلود النمور وابرزوا للحرب وادرعوا الليل واتخذوه جملا فان الليل أخفى للويل والثبات أفضل من القوة وأهنأ الظفر كثرة الاسرى وخير الغنيمة المال ولا ترهبوا الموت عند الحرب فان الموت من ورائكم وحب الحياة لدى الحرب زلل ومن خير امرائكم النعمان بن مالك بن حارث بن جساس وهو من بني تميم ابن عبد مناة بن أد فقبلوا مشورته ونزلت عمرو بن حنظلة الدهناء ونزلت سعد والرباب الكلاب واقبلت مذحج ومن معها من قضاعة فقصدوا الكلاب وبلغ سعدا والرباب الخبر فلما دنت مذحج نذرهم شميت بن زنباع اليربوعي فركب جمله وقصد سعدا ونادى يا آل تميم يا صباحاه فثار الناس وانتهت مذحج الى النعم فانتهبها الناس وراجزهم يقول

في كل عام نعم ننتابه * على الكلاب غيب أصحابه
يسقط في آثاره غلابه

فلحق قيس بن عاصم المنقري والنعمان بن جساس ومالك بن المنتفق في سرعان الناس فأجابه قيس يقول

للذهب عند المعلم داود وكلموه في اخراج سكة الجنزرلي لانهم هابوا سكة الفندقلي وامتنعوا من جلب الذهب وتعطل الشغل فرشاه فأقام وأخرج له سكة الجنزرلي وسلمه لداود فأخذها الى داره بالجيزة وعمل له فرنا للذهب وأحضر الصناع والذهب من التجار وضرب في ستين يوما وليلة تسعمائة وثمانين ألف جنزرلي ونقص من عياره قيراطا ودفع المصلحة وسدد ما عليه من ثمن الذهب وقضى ديونه واكتفى بقدار الضرب فصارت الصيارف تتوقف فيه ويقولون ضرب الجيزة بخمسة أنصاف فضة فنقم محمد باشا على داود لما عاد الى المنصب في واقعة جركس وذي الفقار وقبض عليه وقتله وذلك في أواخر جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف (ومات) الامير أحمد بك الاعسر وهو من مماليك ابراهيم بك أبي شنب القاسمي تقلد الامارة والصنجقية في عشرين شهر شوال سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف وتقلد من بعده مناصب مثل جرجا والبحيرة والدفتردارية وعزل عنها وهو خشداش جركس وعضده وخرج معه من مصر ولما ذهب جركس الى بلاد الافرنج تخلف عنه وأقام عند العرب ونزل عند ابن غازي بناحية درنه فلما وصل الحاج المغربي أرسل معهم ثلاثة من مماليكه وأرسل معهم مكاتيب ومفاتيح الى ولده وذكر له انه يتوجه الى رجل سماه له فلما وصلت السفينة التي نزلوا بها لاسكندرية أعلم القبطان سردار مستحفظان فقبض عليهم وأرسل يخبرهم الى باب مستحفظان فاخبروا الباشا فاحضروا الى الشرطة وأمره

عما قليل تلتحق أربابه * مثل النجوم حسرا سحابه
ليمنعن النعم اغتصابه * سعد وفرسان الوغى اربابه

ثم حمل عليهم قيس وهو يقول

في كل عام نعم تحوونه * يلحقه قوم وينتجونه
أربابه نوكى فلا يحمونه * ولا يلاقون طعانا دونه
أنعم الابناء تحسبونه * هيهات هيهات لما ترجونه

فاقتتل القوم قتالا شديدا يومهم اجمع فحمل يزيد بن شداد بن قنان الحارثي على النعمان ابن مالك بن جساس فرماه بسهم فقتله وصارت الرياسة لقيس بن عاصم واقتتلوا حتى حجز بينهم الليل وباتوا يتحارسون فلما أصبحوا اغدوا على القتال وركب قيس بن عاصم وركبت مذحج واقتتلوا أشد من القتال الاول فكان أول من انهزم من مذحج مدرج الرياح وهو عامر بن الجون بن عبد الله الجرمي وكان صاحب لوائهم فالقى اللواء وهرب فلحقه رجل من بني سعد فعقر به دابته فنزل يهرب ماشيا ونادى قيس بن عاصم يا آل تميم عليكم الفرسان ودعوا الرجالة فانها لكم وجعل يلتقط الاسارى وأسر عبد يغوث ابن الحرث بن وقاص الحارثي رئيس مذحج فقتل بالنعمان بن مالك بن جساس وكان عبد يغوث شاعرا فشدوا لسانه قبل قتله لئلا يهجوهم فاشار اليهم ليحلوا لسانه ولا يهجوهم فحلوه فقال شعرا

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا * فما لكما في اللوم نفع ولا ليا
ألم تعلما أن الملامة نفعها * قليل وما لومي أخي من شماليا
فيا راكبا إما عرضت فبلغن * نداماي من نجران أن لا تلاقيا
ابا كرب والايهمين كليهما * وقيسا باعلى حضرموت اليمانيا
أقول وقد شدوا لساني بنسعة * معاشر تيم اطلقوا من لسانيا
كأني لم اركب جوادا ولم أقل * لخيلي كري كرة من ورائيا
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل * لايسار صدق عظموا ضوء ناريا
وقد علمت عرسي مليكة انني * انا الليث معدوا عليه وعاديا
لحى الله قوما بالكلاب شهدتهم * صميمهم والتابعين المواليا
ولو شئت نجتني من القوم شطبة * ترى خلفها الكمت العتاق تواليا
وكنت اذا ما الخيل شمصها القنا * لبيقا بتصريف القناة بنانيا
فيا عاص فك القيد عني فانني * صبور على مر الحوادث ناكيا
فان تقتلوني تقتلوا بي سيدا * وان تطلقوني تحربوني ماليا

أبو كرب بشر بن علقمة بن الحرث والايهمان الاسود بن علقمة بن الحرث والعاقب وهو عبد المسيح بن الابيض وقيس بن معديكرب فزعموا ان قيسا قال لو جعلني أول القوم

لافتديته بكل ما املك ثم قتل ولم يقبل له فدية (رباب بالراء والباء الموحدة)

(يوم ظهر الدهناء)

وهو يوم بين طيئ وأسد بن خزيمة وسبب ذلك ان أوس بن حارثة بن لأم الطائى كان سيدا مطاعا فى قومه وجوادا مقداما فوفد هو وحاتم الطائى على عمرو بن هند فدعا عمرو أوسا فقال له أنت أفضل ام حاتم فقال ابيت اللعن ان حاتما أوحدها وأنا أحدها ولو ملكنى حاتم وولدى ولحمتى لوهبنا فى غداة واحدة ثم دعا عمرو حاتما فقال له أنت افضل أم أوس فقال ابيت اللعن انما ذكرت أوسا ولاحد ولده أفضل منى فاستحسن ذلك منهما وحباهما وأكرمهما ثم ان وفود العرب من كل حى اجتمعت عند النعمان بن المنذر وفيهم أوس فدعا بحلة من حلل الملوك وقال للوفود احضروا فى غد فانى ملبس هذه الحلة أكرمكم فلما كان الغد حضر القوم جميعا الا أوسا فقيل له لم تتخلف فقال ان كان المراد غيرى فاجمل الاشيائى أن لا أكون حاضرا وان كنت المراد فسأطلب فلما جلس النعمان ولم ير أوسا قال اذهبوا الى أوس فقولوا له احضر آمنا مما خفت فحضر فالبس الحلة فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة أهجه ولك ثلثمائة ناقة فقال كيف اهجو رجلا لا أرى فى بيتى اثاثا ولا مالا الا منه ثم قال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من أهل لأم بظهر الغيب تأتينى

فقال لهم بشر بن أبى خازم انا اهجوه لكم فاعطوه النوق وهجاه فافحش فى هجائه وذكر أمه سعدى فلما عرف أوس ذلك أغار على النوق فاكتسحها وطلبه فهرب منه والتجا الى بنى أسد عشيرته فمنعوه منه ورأوا تسليمه اليه عارا فجمع أوس جديلة طيئ وسار بهم الى أسد فالتقوا بظهر الدهناء تلقاء تيم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت بنوا أسد وقتلوا قتلا ذريعا وهرب بشر فجعل لا يأتى حيا يطلب جوارهم الا امتنع من اجارته على أوس ثم نزل على جندب بن حصن الكلابى بأعلى الصمان فارسل اليه أوس يطلب منه بشرا فارسله اليه فلما قدم به على أوس أشار عليه قومه بقتله فدخل على أمه سعدى فاستشارها فاشارت ان يرد عليه ماله ويعفو عنه ويحبوه فانه لا يغسل هجاءه الا مدحه فقبل ما أشارت به وخرج اليه وقال يا بشر ما ترى انى أصنع بك فقال

انى لارجو منك يا أوس نعمة * وانى لأخرى منك يا أوس راهب
وانى لامحو بالذى انا صادق * به كل ما قد قلت اذ أنا كاذب
فهل نافعى فى اليوم عندك أننى * ساشكر ان انعمت والشكر واجب
فدى لابن سعدى اليوم كل عشيرتى * بنى اسد اقصاهم والاقارب
تداركنى أوس بن سعدى بنعمة * وقد امكنته من يدى العواقب

فمنّ عليه أوس وحمله على فرس جواد ورد عليه ما كان أخذ منه واعطاه من ماله مائة من الابل فقال بشر لا جرم لا مدحت أحدا حتى أموت غيرك ومدحه بقصيدته المشهورة

باحضار ابن أحمد بك الاعسر فاحضره فامر بحبسه بالعرقانه فحبسوه وعاقبوه فاقر بان المال عند ابن درويش المزين وهو كان مزين ابراهيم بك أبى شنب فارسلوا اليه وهجموا عليه ليلا وأخذوا كل ما فى داره ووجدوا عنده ثلاثة صناديق للاعسر ثم نفوا بعد ذلك ابن أحمد بك الى دمياط ولم يزل أحمد بك ينتقل مرة عند عرب درنه ومرة عند الهوّارة بالصعيد وكذلك باقى جماعة جركس وخشداشينه حتى رجع اليهم جركس وخرجت اليهم التجاريد وقتل فى الحرب سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف فى واقعة البهنسا ودفن عند قبور الشهداء *(ومات)* الامير مصطفى بك الدمياطى قلده الصنجقية ذو الفقار بك بعد هروب محمد بك جركس وولاه جرجا وكان يقال له مصطفى الهندى فلما نزل الى جرجا وكان بها سليمان بك القاسمى عدى سليمان بك الى البر الشرقى تجاهه وصار كل يوم يعمل نشانا ويضرب الجرة فلم يتجاسر مصطفى بك على التعدية وكان غالب أتباع مصطفى بك وطوائفه قاسمية من أتباع المقتولين فراسلهم سليمان بك وراسلوه سرا ثم اتفقوا على قتل مصطفى بك فقتلوه وغدروه ليلا وأخذوا خزائنه وما امكنهم من متاعه وعدوا الى سليمان بك وانضموا اليه فلما أصبح مماليكه وخاصته وجدوا سيدهم مقتولا فغسلوه

٣٧ مخ مل ل وكفنوه ودفنوه وكتب كتخداه بذلك الى ذى الفقار بك فلما وصل اليه الجواب أرسل اليه بالحضور بمخلفاته ومماليكه المشتروات ففعل ذلك وقلد عوضه حسن كاشف من أتباعه الصنجقية وولاية جرجا فارسل

التى أوّلها

أتعرف من هنيدة رسم دار * بخرجى ذروة فالى لواها
ومنها منزل ببراق خبت * عفت حقبا وغيرها بلاها

وهى طويلة

(يوم الوقيط)

وكان من حديثه ان اللهازم تجمعت وهى قيس وتيم اللات ابنا ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ومعها عجل بن لجيم وعنزة بن اسد بن ربيعة بن نزار لتغير على بنى تميم وهم غارون فرأى ذلك الاعور وهو ناشب بن بشامة العنبرى وكان أسيرا فى قيس بن ثعلبة فقال لهم اعطونى رجلا أرسله الى أهلى أوصيهم ببعض حاجتى فقالوا له ترسله ونحن حضور قال نعم فاتوه بغلام مولد فقال أتيتمونى باحمق فقال الغلام والله ما أنا باحمق فقال انى أراك مجنونا قال والله ما بى جنون قال أتعقل قال نعم انى لعاقل قال فالنيران أكثر أم الكواكب قال الكواكب وكل كثيرة فملأ كفه رملا وقال كم فى كفى قال لا أدرى فانه لكثير فاومأ الى الشمس بيده وقال ما تلك قال الشمس قال ما أراك الا عاقلا اذهب الى قومى فابلغهم السلام وقل لهم ليحسنوا الى أسيرهم فانى عند قوم يحسنون الى ويكرمونى وقل لهم فليعروا جملى الاحمر ويركبوا ناقتى العيساء وليرعوا حاجتى فى بنى مالك واخبرهم ان العوسج قد اورق وان النساء قد اشتكت وليعصوا همام بن بشامة فانه مشؤم محدود وليطيعوا هذيل بن الاخنس فانه حازم ميمون واسألوا الحرث عن خبرى وسار الرسول فاتى قومه فابلغهم فلم يدروا ما أراد فاحضروا الحرث وقصوا عليه خبر الرسول فقال للرسول اقصص على أوّل قصتك فقص عليه أوّل ما كلمه حتى أتى على آخره فقال ابلغه التحية والسلام واخبره انا نستوصى بما أوصى به فعاد الرسول ثم قال لبنى العنبر ان صاحبكم قد بين لكم أما الرمل الذى جعل فى كفه فانه يخبركم انه قد أتاكم عدد لا يحصى وأما الشمس التى أومأ اليها فانه يقول ذلك أوضح من الشمس وأما جمله الاحمر فالصمان فانه يأمركم ان تعروه يعنى ترتحلوا عنه وأما ناقته العيساء فانه يأمركم ان تحترزوا فى الدهناء وأما بنو مالك فانه يأمركم ان تنذروهم معكم وأما ايراق العوسج فان القوم قد لبسوا السلاح وأما اشتكاء النساء فانه يريد ان النساء قد خرزن الشكاء وهى اسقية الماء للغزو فحذر بنو العنبر وركبوا الدهناء وانذروا بنى مالك فلم يقبلوا منهم ثم ان اللهازم وعجلا وعنزة أتوا بنى حنظلة فوجدوا عمرا قد اجلت فاوقعوا ببنى دارم بالوقيط فاقتتلوا قتالا شديدا وعظمت الحرب بينهم فاسرت ربيعة جماعة من رؤساء بنى تميم منهم ضرار بن القعقاع بن معبد ابن زرارة فجزوا ناصيته واطلقوه واسروا عثجل بن المأمون بن زرارة وجبرة بن بدر بن عبد الله بن دارم ولم يزل فى الوثاق حتى رآهم يوما يشربون فانشأ يتغنى يسمعهم ما يقول

فاقامه ثم جهز أمره ونزل الى منصبه *(ومات)* حسن بك المذكور وذلك انه لما نزل الى جرجا واستمر بها الى أن رجع محمد بك جركس من غيبته وسار الى ناحية جرجا كما تقدم جيش عليه حسن بك وجمع اليه السدادرة وحكام النواحى وبرز لمحاربة جركس وحاربه فوقعت عليه الهزيمة واستولى جركس ومن معه على خيامه ووطاقه وقتل المترجم فى الحرب وذلك فى أوائل سنة أربعين *(ومات)* سليمان بك القاسمى المذكور آنفا وذلك انه لما رجع محمد بك جركس وسار الى ناحية القطيعة ثم انتقل الى الجهة الغربية قبلى جرجا فارسل الى المترجم يطلبه للحضور اليه بمن معه من القاسمية فعدى اليه بمن ذكر وصحبته قرا مصطفى أوده باشا فقابلوه وارتحل معهم الى بحرى فبرز اليهم حسن بك وقتل كما ذكر واستولى جركس على حيوانه ومطابخه وعازقه وارتحل جركس ومن معه الى بحرى وخرجت اليهم التجاريد وأميرها عثمان بك وعلى بك قطامش فتلاقوا معهم بوادى البهنسا ووقعت بينهم الحروب وكان مع جركس طوائف الزيدية وخلافهم وانجلت الحرب عن هزيمة المصريين واستولى جركس ومن معه على خيامهم ونزل جركس فى وطاق عثمان بك وسليمان بك المترجم فى وطاق على بك ورجع المنهزمون الى مصر وزحف جركس ومن معه الى ناحية دهشور وخرجت لهم التجريدة ونصبوا اتجاههم فاصبح سليمان وقاتله
بك وتهيأ للركوب والمحاربة فمنعه جركس وقال له هذا اليوم ليس لنا فيه حظ فقال له كيف أصبر على القعاد والراية

وقائلة ما غاله ان يزورنا * وقد كنت عن تلك الزيارة فى شغل
وقد أدركتنى والحوادث جمة * مخالب قوم لا ضعاف ولا عزل
سراع الى الجلى بطاء عن الخنا * رزان لدى البادين فى غير ما جهل
لعلهم ان يمطرونى بنعمة * كما صاب ماء المزن فى البلد المحل
فقد ينعش الله الفتى بعد ذلة * وقد تبتنى الحسنى سراة بنى عجل

فلما سمعوا الابيات اطلقوه واسروا أيضا نعيم وعوف ابنا القعقاع بن معبد بن زرارة وغيرهما من سادات بنى تميم وقتل حكيم بن النهشلى ولم يشهدها من نهشل غيره وعادت بكر فمرت بطريقها بعد الوقعة بثلاثة بحديقة بن الاصيلع نفر من بنى العنبر لم يكونوا ارتحلوا مع قومهم فلما رأوهم طاردوا ابلهم فاحرزوها من بكر وأكثر الشعراء فى هذا اليوم فمن ذلك قول أبى مهوش الفقعسى يعير تميما بيوم الوقيط

فما قاتلت يوم الوقيط بن نهشل * ولا الانكد الشؤمى فقيم بن دارم
ولا قضبت عوف رجال مجاشع * ولا فشر الاستاه غير البراجم

وقال أبو الطفيل عمرو بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد

حكت تميم بركها لما التقت * راياتنا ككواسر العقبان
دهموا الوقيط بجحفل جم الوغى * ورماحها كنوازع الاشطان

* (يوم المروت) *

وهو يوم بنى تميم وعامر بن صعصعة وكان سببه انه التقى قعنب بن عتاب الرياحى وبحير ابن عبد الله بن سلمة العامرى بعكاظ فقال بحير لقعنب ما فعلت فرسك البيضاء قال هى عندى وما سؤالك عنها قال لانها نجتك منى يوم كذا وكذا فانكر قعنب ذلك وتلاعنا وتداعيا ان يجعل الله ميتة الكاذب بيد الصادق فمكثا ما شاء الله وجمع بحير بنى عامر وسار بهم فاغار على بنى العنبر بن عمرو بن تميم بأرم الكلابة وهم خلوف فاستاق السبى والنعم ولم يلق قتالا شديدا وأتى الصريخ بنى العنبر بن عمرو بن تميم وبنى مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبنى يربوع بن حنظلة فركبوا فى الطلب فتقدمت عمرو بن تميم فلما انتهى بحير الى المروت قال يا بنى عامر انظروا هل ترون شيأ قالوا نرى خيلا عارضة رماحها على كواهل خيلها قال هذه عمرو بن تميم وليست بشئ فلحقهم بنو عمرو فقاتلوهم شيأ من قتال ثم صدروا عنهم ومضى بحير ثم قال يا بنى عامر انظروا هل ترون شيأ قالوا نرى خيلا ناصبة رماحها قال هذه مالك بن حنظلة وليست بشئ فلحقوا فقاتلوا شيأ من قتال ثم صدروا عنهم ومضى بحير وقال يا بنى عامر أنظروا هل ترون شيأ قالوا نرى خيلا ليست معها رماح وكأنما عليها الصبيان قال هذه يربوع رماحها بين آذان خيلها اياكم والموت الزؤام فاصبروا ولا أرى ان تنجوا فكان أول من لحق من بنى يربوع الواقعة وهو نعيم بن عتاب وكان يسمى الواقعة لبليته فحمل على المثلم

البيضاء امامى ثم ركب وهجم على التجريدة وقتل أناسا كثيرا وشتتهم وانحازوا خلف المتاريس وردوه بالمدافع وبرزوا اليه مرتين وهزمهم وفى الثالثة أصيب جواده برصاصة فى فخذه فسقط الى الارض فتلاقت به طوائفه وممالیکه وذهب بعض الخدم ايأتى اليه بمركوب آخر وتابع الاخصام الرمى حتى تفرق من حوله ولم يبق معه سوى مملوك وآخر من الطوائف فاصيب هو والطائفة فوقعا فهجم عليه سالم بن حبيب وأخذوهما الى الصيوان وقطعوا دماغهما ودفنوهما عند الشيمى فلما وقع لسليمان بك ما وقع ارتحل جركس وسار نحو الجبل وكان المترجم صاحب خيرات وله مآثر بجرجا أنشأ بها زاوية وعمل بها ميضاة وحنفية وأنشأ ساقية وحوضا لشرب الدواب وهدم البوظة خارج البلد وأبطل موقف الخواطى والمنكرات غفر الله له (ومات) قرا مصطفى جاويش وكان أوده باشا فلما به جركس الضلمة فى أيام رجب كتخدا مستحفظان سابقا ثم عمل كتخدا جاويش ونزل يجمع عوائد الباب من الوجه القبلى فوقع بمصر ما وقع من حروب جركس وقتل رجب كتخدا والاقواسى فالتجأ الى سليمان بك المذكور عند صحبته الشرق فلما وقعت الحروب وقتل سليمان بك اجتمع اليه الطوائف القرابة ونزل بهم المراكب وساروا الى قبلى فتبعه عثمان جاويش القازدغلى ليلا ونهارا حتى لحقه وهو راسى تحت أبى جرج وكانت الاجناد الذين بصحبته طلعوا جهة الشرق قرابة من عدم القومانية فقبضوا على مصطفى جاويش المذكور ومعه ثلاثة من الغز فهرب عثمان جاويش

ماوجده فى المراكب وحضر الى مصر فقطعوا رأس مصطفى جاويش المذكور ومن معه (ومات) الامير ذوالفقار بك الفقارى وهو مملوك عمر أغا من أتباع باغيه قتل سيده المذكور بعد انفصال الفتنة الكبيرة لما طلع الامير اسمعيل بك أثر ذلك الى باب العزب وقتل حسن كتخدا برمق سر وأمر بقتل عمر أغا المذكور فقتلوه عند باب القلعة وأمر بقتل المترجم أيضا وكان اذذاك خازنداره فالتجا الى على خازندار حسن كتخدا الجلفى وكان من بلده فحماه وخاصم أستاذه من أجله وخاص له نصف قن العروس وكانت لاستاذه فاخرج له تقسيطها وأخذ النصف الثانى اسمعيل بك من المحلول وتصرف فى كامل البلدومات حسن كتخدا الجلفى فانطوى المترجم الى محمد بك جركس وترجاه فى استخلاص قائظه من اسمعيل بك وكلمه بسببه مرارا فلم يجع وكلما خاطبه فى أمره قطب وجهه وقال له اما يكفيك أنى تاركه حيا لاجل خاطرك فان أردت قبول شفاعتك فيه اطرد الصيفى من بيتك وأرسل الى بعد ذلك المذكور يحاسبنى وأعطيه الذى له فسكت جركس وضاق الحال بالمترجم من القتل والاعدام فاستاذن جركس فى غدر ابن ابراهيم فقال افعل ماتريد فوقف له مع نظرائه بالرميلة وضربوا عليه بالرصاص فلم يصيبوه ووقع بسبب ذلك ماوقع لجركس وأخرج من مصر ونفى الى قبرص كما تقدم وتغيب المترجم فلم يظهر اتونا حتى رجع جركس وظهر أمره ثانيا وعاد الى طلب قائظه والالحاح على جركس بذلك وهو يسوفه ويعده ويمنيه ويعتذر له

القشيرى فاسره وحملت قشير على دوكس بن واقد بن حوط فقتلوه وأسر نعيم المصفى القشيرى فقتله وحمل كدام بن بجيلة المازنى على بحير فعانقه ولم يكن لقعنب همة الا بحير فنظر اليه والى كدام قد تعانقا فاقبل نحوهما فقال كدام ياقعنب أسيرى فقال قعنب مازرأسك والسيف يريد يامازنى فخلى عنه كدام وشد عليه قعنب فضربه فقتله وحمل قعنب أيضا على صهبان وأم صهبان مازنية فاسره فقالت بنومازن ياقعنب قتلت أسيرنا فاعطنا ابن أخينا مكانه فدفع اليهم صهبان فى بحير فرضوا بذلك واستنقذت بنو يربوع أموال بنى العنبر وسبيهم من بنى عامر وعادوا (بحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة)

(يوم فيف الريح)

وهو بين عامر بن صعصعة والحرث بن كعب وكان خبره ان بنى عامر كانت تطالب بنى الحرث ابن كعب باوتار كثيرة فجمع لهم الحصين بن يزيد بن شداد بن قنان الحارثى وهو ذوالغصة واستعان بجعفى زبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصداء ونهد وخثعم وشهران وناهس ثم أقبلوا يريدون بنى عامر وهم منتجعون مكانا يقال له فيف الريح ومع مذحج النساء والذرارى حتى لايفروا فاجتمعت بنو عامر فقال لهم عامر بن الطفيل اغيروا بنا على القوم فانى أرجو أن نأخذ غنائمهم ونسبى نساءهم ولاتدعوهم يدخلون عليكم فاجابوه الى ذلك وساروا اليهم فلما دنوا من بنى الحرث ومذحج ومن معهم أخبرتهم عيونهم وعادت اليهم مشايخهم فحذروا فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا ثلاثة أيام يغادونهم القتال بفيف الريح فالتقى الصميل بن الاعور الكلابى وعمرو بن صبيح النهدى فطعنه عمرو فاعتنق الصميل فرسه وعاد فلقيه رجل من خثعم فقتله وأخذ درعه وفرسه وشهدت بنونمير يومئذ مع عامر ابن الطفيل فابلوا بلاء حسنا وسموا ذلك اليوم حريجة الطعان لانهم اجتمعوا وبرماحهم فصاروا بمنزلة الحرجة وهى شجر مجتمع وسبب اجتماعهم ان بنى عامر جالوا جولة الى موضع يقال له العرقوب والتفت عامر بن الطفيل فسأل عن بنى نمير فوجدهم قد تخلفوا فى المعركة فرجع وهو يصيح ياصباحاه يانميراه ولانمير لى بعد اليوم حتى اقتحم فرسه وسط القوم فقويت نفوسهم وعادت بنو عامر وقد طعن عامر بن الطفيل مابين ثغرة نحره الى سرته عشرين طعنة وكان عامر فى ذلك اليوم يتعهد الناس فيقول يافلان مارأيتك فعلت شيأ فمن أبلى فليرنى سيفه أو رمحه ومن لم يبل شيأ تقدم فابلى فكان كل من ابلى بلاء حسنا أتاه فاراه الدم على سنان رمحه أوسيفه فأتاه رجل من الحارثيين اسمه مسهر فقال له ياأبا على أنظر ماصنعت بالقوم انظر الى رمحى فلما أقبل عليه عامر لينظر وجأه بالرمح فى وجنته ففلقها وفقأ عينه وترك رمحه وعاد الى قومه وانما دعاه الى ذلك مارآه يفعل بقومه فقال هذا والله مبير قومى فقال عامر بن الطفيل

الى ان ضاق خناقه وعاد الى حالة الغدر الاولى وفعل ما تقدم من المخاطرة بنفسه وقتله لابن ابواظ بمجلس كتخدا الباشا وكان اذ ذاك من آحاد الاجناد ولم يتقدم له امارة ولا منصب فعندها قلدوه الصنجقية وكشوفية المنوفية وأخذ من فائظ اسمعيل بك عشرين كيسا وانضم اليه الكثير من فرقة الفقارية وحقد عليه القاسمية وحضر رجب كتخدا ومحمد جاويش الداودية عند جركس وتذاكروا امر ذي الفقار وانهم نظروه وهو خارج بالموكب الى كشوفية المنوفية ومعه عصبة الفقارية وأمراؤهم راكبين في موكبه مثل مصطفى بك بلغيه ومحمد بك أمير الحاج واسمعيل بك الدالي وقيطاس بك الاعور واسمعيل بك ابن سيده ومصطفى بك قزلار وغيرهم وقالا له ان غفلنا عن هذا الحال قتلتنا الفقارية فحركا فيه حمية الجاهلية وقتلا اصلان وقيلان بيد الصيفي وطلب من محمد باشا فرمانا بالتجريد على ذي الفقار فامتنع الباشا من ذلك وقال رجل خاطر بنفسه وفعل ما فعله باطلاعكم فكيف أعطيكم فرمانا بقتله فتحامل جركس على الباشا وعزله وقلد محمد بك ابن أستاذه قائمقام وأخذ منه فرمانا وجهز التجريدة الى ذي الفقار وكتب بذلك مصطفى بك بلغيه الى ذي الفقار يخبره بما حصل ويأمره بالاختفاء ففعل ذلك وحضر الى مصر واختفى عند أحمد أوده باشا المطر باز أياما وعند علي بك الهندي زيادة عن شهرين وحصل له ما تقدم ذكره من حضور علي باشا والقبطان وقيام الايواظية والفقارية وظهور ذي الفقار ووقوع الحرب بينهم وبين محمد بك جركس وخروجه من مصر وذهابه الى بلاد

أتونا بشهران العريضة كلها * وأكلب طرا في جياد السنور

لعمري وما عمري علي بهين * لقد شان حر الوجه طعنة مسهر

فبئس الفتى ان كنت أعور عاقرا * جبانا وما أغنى لدى كل محضر

وأسرت بنو عامر يومئذ سيد مراد جريحا فلما برئ من جراحته أطلق وممن أبلى يومئذ أربد ابن قيس بن حر بن خالد بن جعفر وعبيد بن شريح بن الاحوص بن جعفر وقال لبيد بن ربيعة ويقال انها لعامر بن الطفيل

أتونا بشهران العريضة كلها * وأكلبها في مثل بكر بن وائل

فبتنا ومن ينزل به مثل ضيفنا * يبت عن قرى أضيافه غير غافل

أعاذل لو كان البداد لقوبلوا * ولكن أتانا كل جن وخابل

وخثعم حي يعدلون بمذحج * فهل نحن الامثل احدى القبائل

وأسرع القتل في الفريقين جميعا ثم انهم افترقوا ولم يشتغل بعضهم عن بعض بغنيمة وكان الصبر فيها والشرف لبني عامر

* (يوم التحاليق ويعرف أيضا بقارات حوق) *

وهو بين قبائل طيئ بعضها في بعض وكان سبب ذلك ان الحرث بن جبلة الغساني كان قد أصلح بين طيئ فلما هلك عادت الى حربها فالتقت جديلة والغوث بموضع يقال له غرثان فقتل قائد بني جديلة وهو أسبع بن عمرو بن لأم عم أوس بن خالد بن حارثة بن لام وأخذ رجل من سنبس يقال له مصعب أذنيه فخصف بهما نعليه وفي ذلك يقول أبو سروة السنبسي

نخصف بالآذان منكم نعالنا * ونشرب كرها منكم في الجماجم

وتناقل الحيان في ذلك اشعارا كثيرة وعظم ما صنعت الغوث على أوس بن خالد بن لأم وعزم على لقاء الحرب بنفسه وكان لم يشهد الحروب المتقدمة هو ولا أحد من رؤساء طيئ كحاتم بن عبد الله وزيد الخيل وغيرهم من الرؤساء فلما تجهز أوس للحرب وأخذ في جمع جديلة ولفها قال أبو جابر

أقيموا علينا القصد يا آل طيئ * والا فان العلم عند التحاسب

فمن مثلنا يوما اذا الحرب شمرت * ومن مثلنا يوما اذا لم نحاسب

فان تقطعيني أو تريدي مساءتي * فقد قطع الخوف المخوف ركائبي

وبلغ الغوث جمع أوس لها ووقدت النار على مناع وهي ذروة أجا وذلك أول يوم توقد عليه النار فأقبلت قبائل الغوث كل قبيلة وعليها رئيسها منهم زيد الخيل وحاتم وأقبلت جديلة مجتمعة على أوس بن حارثة بن لأم وحلف أوس أن لا يرجع عن طيئ حتى ينزل معها جبليها أجا وسلمى ويجبي له اهلها وتزاحفوا والتقوا بقارات حوق على راياتهم فاقتتلوا قتالا شديدا ودارت الحرب على بني كباد بن جندب فأبيروا فقال عدي

ابن حاتم انى لواقف يوم الجاميم والناس يقتتلون اذ نظرت الى زيد الخيل قد أحضر ابنيه مكنفا وحريثا فى شعب لامنفذ له وهو يقول أى ابنى أبقيا على قومكما فان اليوم يوم التفانى فان يكن هؤلاء اعمامكم فهؤلاء أخوالكم فقلت كأنك قد كرهت قتال أخوالك قال فاحمرت عيناه غضبا وتطاول الى حتى نظرت الى ما تحته من سرجه فخفته فضربت فرسى وتنحيت عنه واشتغل بنظره الى عن ابنيه فخرجا كالصقرين وحمل قيس بن عازب على بجير بن زيد الخيل بن حارثة بن لأم فضربه على رأسه ضربة عنق لها بجير فرسه وولى فانهزمت جديلة عند ذلك وقتل فيها قتل ذريع فقال زيد الخيل

بجئ بنى لأم جياد كأنها * عصائب طير يوم طل وحاصب
فان تنج منها الايزل بك شامة * اناعديا بين الشحى والترائب
وفر ابن لأم واتقانا بظهره * يردعه بالرمح قيس بن عازب
وجاءت بنو معن كأن سيوفهم * مصابيح من سقف فليس بآيب
وما فرحتى أسلم ابن حارس * لوقعة مصقول من البيض قاضب

فلم تبق لجديلة بقية للحرب بعد يوم الجاميم فدخلوا بلاد كلب فحالفوهم وأقاموا معهم

(يوم ذى طلوح)

وهو يوم الصمد ويوم أود أيضا وهو بين بكر وتميم وكان من حديثه ان عميرة بن طارق بن ارقم اليربوعى التميمى تزوج مرية بنت جابر العجلى أخت أبجر وسار الى عجل ليبتنى باهله وكان له فى بنى تميم امرأة أخرى تعرف بابنة النطف من بنى تميم فاتى أبجر أخته يزورها وزوجها عندها فقال لها أبجر انى لارجو أن آتيك بابنة النطف امرأة عميرة فقال له ما أراك تبقى على حتى تسلبنى أهلى فندم أبجر وقال له ما كنت لاغزو قومك ولكنى متاسر فى هذا الحى من تميم وجمع أبجر والحوفزان بن شريك الشيبانى الحوفزان على شيبان وأبجر على اللهازم ووكلا بعميرة من يحرسه لئلا يأتى قومه فينذرهم فسار الجيش فاحتال عميرة على الموكل بحفظه وهرب منه وجد السير الى أن وصل الى بنى يربوع فقال انهم قد غزا كم الجيش من بكر بن وائل فاعلموا بنى ثعلبة بطنا منهم فارسلوا طليعة منهم فبقوا ثلاثة أيام ووصلت بكر فركبت يربوع والتقوا بذى طلوح فركب عميرة واتى أبجر فعرفه نفسه والتقى القوم واقتتلوا فكان الظفر ليربوع وانهزمت بكر وأسر الحوفزان وابنه شريك وابن عنمة الشاعر وكان مع بنى شيبان فافتكه متمم بن نويرة وأسرا كثر الجيش البكرى وقال ابن عنمة يشكر متمما

جزى الله رب الناس عنى متمما * بخير جزاء ما أعف وأجودا
أجيرت به أبناؤنا ودماؤنا * وشارك فى اطلاقنا وتفردا
أبا نهشل أنى لكم غير كافر * ولا جاعل من دونك المال سرمدا

(يوم أقرن)

الافرنج ورجوعه وتجهيزذى الفقار بك التجاريد اليه وهزمها وزحفه على مصر وقد كان أوقع بالاوباطية فى غيبة جركس ما أوقعه من القتل والتشريد ماذكرناه فلما قرب جركس من أرض مصر راسل القاسمية سرا ومنهم سليمان أغا أبودفية وهم اذ ذاك خاملون ومتغيبون ومختفون وذوالفقار بك يفحص عنهم ويامر الوالى والاغا والاوده باشة البوابة بالتجسس والتفتيش على كل من كان من القاسمية وخصوصا يعسوبهم سليمان اغا المذكور وقرب ركب جركس من مصر بعدما كسر التجاريد وعدى الى جهة الشرق واشتد الكرب بذى الفقار واجتهد فى تحصين المدينة واجلس امراءه وصناجقه على الابواب وفى النواحى والجهات ولازم أرباب الدرك والمقادم الطواف والحرس وخصوصا بالليل وفتائل البندق مشعلة بالنار فى الازقة والشوارع والقاسمية منتظرون الفرصة والوثوب من داخل البلدة فلما راسل جركس سليمان اغا ابادفية فى الوثوب واعمال الحيلة على قتل ذى الفقار بك باى وجه أمكن توافقوا فيما بينهم على وقت معين واجتمع أبودفية وخليل اغا تابع محمد بك قطامش وجمعوا اليهم ثلاثين اوده باشا من القاسمية وأعطاهم ألفا ومائتى جنزلى وان يضم كل واحد منهم اليه عشرة أنفار ويتفرقوا متفرقين جهة باب الخرق وجامع الكيخيا وقت أذان العشاء وجمع اليه خليل أغا نحو سبعين نفرا من القاسمية ولبسوا كلهم بلباس أتباع أوده باشة البوابة ومن داخل ثيابهم الاسلحة وبايديهم النبابيت ولبس خليل اغا

قال

هيئة الاوده باشا وزيه وكان شبيها به في الصورة واخذوا معهم سليمان آغا ابادقية وهو مغطى الراس و بيده القرابينة ودخلوا الى بيت ذي الفقاري بك في كيكبة وهم يقولون قبضنا على أبي دفية وكان المترجم جالسا بالمقعد ومعه الحاج قاسم الشرايبي وآخرون وهو مشمر ذراعيه يريد الوضوء لصلاة العشاء فلما وقفوا بين يديه وقف على أقدامه وقال أين هو فقال خليل أغا ها هو وكشفوا رأسه فاراد أن يكلمه ويوبخه فاطلق أبو دفية القرابينة في بطن الصنجق وأطلق باقي الجماعة ما معهم من الطبنجات فانعقدت الدخنة بالمقعد فنط قاسم الشرايبي ومن معه من المقعد الى الحوش ونزلوا على الفور فوجدوا سراجه المسمى بالشتوي فقتلوه في سلالم المقعد وعلى بك المعروف بالوزير قتلوه أيضا وهو داخل يطلبه مصطفى بك بلغيه واذا بعلي الخازندار يقول باعلى صوته الصنجق طيب هاتوا السلاح وسمعها الجماعة فكانت هذه الكلمة سببا لظهور الفقارية وانقراض القاسمية الى آخر الدهر ولم يقم لهم بعدها قائم أبدا فانهم لما سمعوا قول الخازندار ذلك اعتقدوا صحته وتحققوا فساد طبختهم وخرجوا على وجوههم وتفرق جمعهم وذهب أبو دفية ويوسف بك الشرايبي وخليل أغا فاختفوا وكان يوسف بك زوج هانم بنت ايواظ الذي هو مختف في فيسه وأربعة من أعيانهم اختفوا في دار عند مطبخ الازهر وأما الجماعة المجتمعون بباب الخرق في انتظار أذان العشاء فما يشعرون الا بالكرشة في الناس فتفرقوا واختفوا فلو قدر الله انه اجتمع الواصلون والمجتمعون بباب الخرق بهم عجزوا عن

قال أبو عبيدة فغزا عمرو بن عمرو بن عدس التميمي بني عبس فاخذ ابلهم واستاق سبيهم وعاد حتى اذا كان أسفل ثنية أقرن نزل وابتنى بجارية من السبي ولحقه الطلب فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل أنس الفوارس بن زياد العبسي عمرا وابنه حنظلة واستردوا الغنيمة والسبي ففي جرير على بني دارم ذلك فقال

أتنسون عمرا يوم برقة أقرن * وحنظلة المقتول اذ هو يافعا

وكان عمرو أسلع أبرص وكان هو ومن معه قد أخطؤا ثنية الطريق في عودهم وسلكوا غير الطريق فسقطوا من الجبل الذي سلكوه فلقوا اشدة في ذلك يقول عنترة

كأن السرايا يوم نيق وصارة * عصائب طير ينتحين لمشرب
شفى النفس مني أو دنا من شفائها * تهورهم من حالق متصوب
وقد كنت أخشى أن أموت ولم تقم * مراتب عمرو وسط نوح مسلب

وكانت أم سماعة بن عمرو بن عمرو بن عدس فزارية خاله فقتله بابيه فقال في ذلك مسكين الدارمي

وقاتل خاله بابيه منا * سماعة لم يبع نسبا بخال

(يوم السلان)

قال أبو عبيدة كان بنو عامر بن صعصعة حمسا والحمس قريش ومن له فيهم ولادة والحمس متشددون في دينهم وكانت عامر أيضا لقاحا لا يدينون للملوك فلما ملك النعمان بن المنذر ملكه كسرى ابرويز وكان يجهز كل عام لطيمة وهي التجارة لتباع بعكاظ عرضت بنو عامر لبعض ما جهزه فاخذوه فغضب لذلك النعمان وبعث الى أخيه لامه وهو وبرة بن رومانس الكلبي وبعث الى صنائعه ووضائعه والصنائع من كان يصطنعه من العرب ليغزيه والوضائع هم الذين كانوا شبه المشايخ وأرسل الى بني ضبة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم فجمعهم فاجابوه فأتاه ضرار بن عمرو الضبي في تسعة من بنيه كلهم فوارس ومعه حبيش بن دلف وكان فارسا شجاعا فاجتمعوا في جيش عظيم فجهز النعمان معهم عيرا وأمرهم بتسييرها وقال لهم اذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الحرم ورجع كل قوم الى بلادهم فاقصدوا بني عامر فانهم قريب بنواحي السلان فخرجوا وكتموا أمرهم وقالوا خرجنا لئلا يعرض أحد للطيمة الملك فلما فرغ الناس من عكاظ علمت قريش بحالهم فارسل عبد الله بن جدعان قاصدا الى بني عامر يعلمهم الخبر فسار اليهم وأخبرهم خبرهم فحذروا وتهيؤا للحرب وتحرزوا ووضعوا العيون وعاد عامر عليهم عامر بن مالك ملاعب الاسنة وأقبل الجيش فالتقوا بالسلان فاقتتلوا قتالا شديدا فبينما هم يقتتلون اذ نظر يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق الى وبرة بن رومانس أخي النعمان فاعجبه هيئته فحمل عليه فاسره فلما صار في أيديهم هم الجيش بالهزيمة فنهاهم ضرار بن عمرو الضبي وقام بامر الناس فقاتل هو وبنوه قتالا شديدا فلما رآه أبو براء عامر بن مالك ما يصنع بني عامر هو

وبنوه حمل عليه وكان أبو براء رجلا شديد الساعد فلما حمل على ضرارا قتتلا فسقط ضرار الى الارض وقاتل عليه بنوه حتى خلصوه وركب وكان شيخا فلما ركب قال من سره بنوه ساءته نفسه فذهبت مثلا يعنى من سره بنوه اذا صاروا رجالا كبر وضعف فساءه ذلك وجعل أبو براء يلح على ضرار طمعا فى فدائه وجعل بنوه يحمونه فلما رأى ذلك أبو براء قال له لتموتن أولا ثم وتن دونك فاحلني على رجل له فداء فاومأ ضرار الى حبيش بن دلف وكان سيدا فحمل عليه أبو براء فاسره وكان حبيش أسود نحيفا دميما فلما رآه كذلك ظنه عبدا وان ضرارا خدعه فقال انا لله أعز سائر القوم الا فى الشؤم وقعت فلما سمعها حبيش منه خاف أن يقتله فقال أيها الرجل ان كنت تريد اللبن يعنى الابل فقد أصبته فافتدى نفسه بار بعمائة بعير وهزم جيش النعمان فلما رجع الفل اليه أخبروه باسر أخيه وبقيام ضرار بامر الناس وما جرى له مع أبى براء وافتدى وبرة بن رومانس نفسه بالف بعير وفرس من يزيد بن الصعق فاستغنى يزيد وكان قبله خفيف الحال وقال لبيد يذكر أيام قومه

انى امرؤ منعت أرومة عامر ❊ ضيمى وقد حنقت على خصوم

يقول فيها

وغداة قاع القريتين أتاهم ❊ رهوا يلوح خلالها التسويم

بكتائب رجح تعوّد كبشها ❊ نطح الكباش كانهن نجوم

قوله قاع القريتين يعنى يوم السلان (حبيش بن دلف بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة وبالياء المثناة من تحتها نقطتان وآخره شين معجمة)

❊(يوم ذى علق)❊

وهو يوم التقى فيه بنو عامر بن صعصعة وبنو أسد بذى علق فاقتتلوا قتالا عظيما فقتل فى المعركة ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى أبو لبيد الشاعر وانهزمت عامر فتبعهم خالد بن نضلة الاسدى وابنه حبيب والحرث بن خالد بن المضلل وأمعنوا فى الطلب فلم يشعروا الا وقد خرج عليهم أبو براء عامر بن مالك من وراء ظهورهم فى نفر من أصحابه فقال لخالد يا أبا معقل ان شئت أجزتنا وأجزناك حتى نحمل جرحانا وندفن قتلانا قال قد فعلت فتواقفوا فقال له أبو براء هل علمت ما فعل ربيعة قال نعم تركته قتيلا قال ومن قتله قال ضربته أنا واجهز عليه صامت بن الافقم فلما سمع أبو براء بقتل ربيعة حمل على خالد هو ومن معه فانهزم خالد وصاحباه وأخذوا سلاح حبيب بن خالد ولحقهم بنو أسد فمنعوا أصحابهم وحموهم فقال الجميح

سائل معدا عن الفوارس لا ❊ أوفوا بجيرانهم ولا سلموا

يسعى بهم قرزل ويستمع الناس اليهم وتخفق اللمم

ركضا وقد غادروا ربيعة فى الا ثار لما تقارب النعم

فى صلاة التراويح لتتم غرضهم وظهر شأن القاسمية ولكن لم يرد الله بذلك ثم ان على الخازندار أرسل الى مصطفى بك بلغيه فحضر اليه بجمعه واذا برجل سراج من العصبة المتقدمة حضر اليهم وعرفهم بصورة الواقع ليأخذ بذلك وجاهة عندهم فحبسوه الى طلوع النهار فحضر عثمان جاويش القازدغلى ويوسف كتخدا البركاوى وعلى كتخدا الجلفى ومحمد بك قطامش وخليل افندى جراكسة فمروا على الخازندار فقال على الخازندار لمحمد بك قطامش دم الصنجق عندك فان القاتل لاستاذنا لو كان خليل أغا فقال أنا طارده من يوم عزل من أغاوية العزب ووقت ما تجدوه اقتلوه ثم أحضروا ذلك السراج بين أيديهم وسأله عثمان جاويش فعرفه انه ينكجرى فارسلوه الى الباب ليقرره على أسماء المجتمعين ثم غسلوا الصنجق وكفنوه وصلوا عليه فى مصلى المؤمنين ودفنوه بالقرافة وطلعوا الى القلعة وقلدوه الصنجقية وقلدوا أيضا صالح كاشف تابع محمد بك قطامش وعزلوا محمد بك من امارة الحج باستعفائه لعدم قدرته وأرسلوا الى خشداشه عثمان بك فحضر من التجريدة وسكن ببيت أستاذه وسكن على بك فى بيت محمد أغا تابع اسمعيل باشا فى الشيخ الظلام وتزوج بزوجة سيده بعد ذلك وقطعوا فرمانا فى اليوم الذى تقلد فيه على بك الصنجقية بقتل القاسمية ومات محمد بك جركس بعد موت ذى الفقار كما ذكر وحضر برأسه فى
على بك قطامش وذلك بعد موت ذى الفقار بك بخمسة أيام وانقضت دولة القاسمية وتتبعهم الفقارية بالقتل حتى أفنوهم

في صدره صعدة ونحليه * بالرمح حران باسلا اضم
قرزل فرس الطفيل والد عامر بن الطفيل وقال لبيد من قصيدة يذكر أباه
ولامن ربيعة المقترين رزيته * بذي علق فاقني حياءك واصبري

(يوم الرقم)

قال أبو عبيدة غزت عامر بن صعصعة غطفان ومع بني عامر يومئذ عامر بن الطفيل شابا لم يرأس بعد فبلغوا وادي الرقم وبه بنو مرة بن عوف بن سعد ومعهم قوم من أشجع بن ذئب بن غطفان وناس من فزارة بن ذبيان فنذروا ببني عامر وهجمت عليهم بنو عامر بالرقم وهو واد بقرب تضرع فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فانقبل عامر بن الطفيل فرأى امرأة من فزارة فسألها فقالت أنا أسماء بنت نوفل الفزاري وقيل كانت أسماء بنت حصن بن حذيفة فبينا عامر يسألها خرج عليه المنهزمون من قومه وبنو مرة في أعقابهم فلما رأى ذلك عامر ألقى درعه الى أسماء وولى منهزما فادتها اليه بعد ذلك وتبعتهم مرة وعليهم سنان بن حارثة بن أبي حارثة المري وجعل الاشجعيون يذبحون كل من أسروه من بني عامر لوقعة كانت أوقعتها بهم بنو عامر فذلك البطن من بني أشجع يسمون بني مذبح فذبحوا سبعين رجلا منهم فقال عامر بن الطفيل يذكر غطفان ويعرض باسماء

قد سألت أسماء وهي خفية * لضحائها اطردت أم لم اطرد
فلا بغينكم القنا وعوارضا * ولاقبلن الخيل لابة ضرغد
ولابرزن بمالك وبمالك * واخي المروراة الذي لم يسند

في أبيات عدة فلما بلغ شعره غطفان هجاه منهم جماعة وكان نابغة بن ذبيان حينئذ غائبا عند ملوك غسان قد هرب من النعمان فلما آمنه النعمان وعاد سأل قومه عما هجوا به عامر ابن الطفيل فانشدوه ما قالوا فيه وما قال فيهم فقال لقد أفحشتم وليس مثل عامر يهجى بمثل هذا ثم قال يخطئ عامرا في ذكره امرأة من عقائلهم

فان يك عامر قد قال جهلا * فان مظنة الجهل الشباب
فانك سوف تحلم أو تباهى * اذا ما شبت أو شاب الغراب
فكن كابيك أو كابي براء * توافقك الحكومة والصواب
فلا تذهب بحلمك طامثات * من الخيلاء ليس لهن باب

الى آخرها فلما سمعها عامر قال ما هجيت قبلها

(يوم ساحوق)

قال أبو عبيدة غزت بنو ذبيان بني عامر وهم بساحوق وعلى ذبيان سنان بن أبي حارثة المري وقد جهزهم وأعطاهم الخيل والابل وزودهم فاصابوا نعما كثيرة وعادوا فلحقتهم بنو عامر واقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت بنو عامر واصيب منهم رجال وركبوا

وكان موت ذي الفقار وجركس في أواخر شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف وكان الامير ذو الفقار بك أميرا جليلا شجاعا بطلا مهيبا كريم الاخلاق مع قلة ايراده وعدم ظلمه وكان يرسل الياكات والكساوي في شهر رمضان لجميع الامراء والاعيان والوجاقات ويرسل لاهل العلم بالازهر ستين كسوة ودراهم تفرق على الفقراء المجاورين بالازهر ومن انشائه الجنينة والحوض ببركة الحاج والوكالة التي برأس الجودرية ولم يتمها *(ومات)* الامير يوسف بك زوج هانم بنت ايواظ بك تزوج بها بعد موت عبد الله بك وأصل يوسف بك من مماليك ايواظ بك وتقلده الامارة والصنجقية اسمعيل بك ويعرف بالخائن لانه لما هرب عنده رضوان بك خازندار جركس أخبر عنه وخفر ذمة نفسه وسلمه اليهم فقتلوه فسماه أهل مصر الخائن ولما حصل ما تقدم ذكره من قصة اجتماعهم وحديثهم في حال نشوتهم بعزل على بك الارمني ونقل عنهم المملوك مجلسهم الى على بك الهندي وأرسله على بك الى الامير ذي الفقار والباشا فنقل لهما ذلك وقتل الباشا على بك الارمني ومصطفى بك ابن ايواظ فاختفى المترجم وباقي الجماعة ولم يزل في اختفائه الى أن حضر رجل عطار الى أغات مستحفظان وأخبره عن رجل من الفقهاء

يأتي الى الجزار بجواره ويأخذ منه كل يوم زيادة عن عشرة أرطال من اللحم الضاني وكان من عادته أن لا يأخذ سوى رطلين ونصف في يومين ولابد لذلك من سبب بأن يكون عنده أناس من

الفلاة فولاك أكثرهم عطشا وكان الحر شديدا وجعلت ذبيان تدرك الرجل منهم فيقولون له قف ولك نفسك وضع سلاحك فيفعل وكان يوما عظيما على عامر وانهزم عامر بن الطفيل وأخوه الحكم ثم ان الحكم ضعف وخاف ان يؤسر فجعل فى عنقه حبلا وصعد الى شجرة وشده ودلى نفسه فاختنق وفعل مثله رجل من بنى غنى فلما ألقى نفسه ندم فاضطرب فادركوه وخلصوه وعيروه بجزعه وقال عروة بن الورد العبسى فى ذلك

ونحن صبحنا عامرا فى ديارها * علالة ارماح وضربا مذكرا
بكل رقاق الشفرتين مهند * ولدن من الخطى قد طر اسمرا
عجبت لهم اذ يخنقون نفوسهم * ومقتلهم اذ يلتقى كان اعذرا

(يوم أعيار ويوم النقيعة)

كان المثلم بن المشجر العائذى ثم الضبى مجاورا لبنى عبس فقامره وعمارة بن زياد وهو أحد الكملة فقمره عمارة حتى اجتمع عليه عشرة ابكر فطلب منه المثلم ان يخلى عنه حتى يأتى أهله فيرسل اليه بالذى له فأبى ذلك فرهنه ابنه شرحاف بن المثلم وخرج المثلم فأتى قومه فاخذ البكارة فأتى بها عمارة وافتك ابنه فلما انطلق بابنه قال له فى الطريق يا أبتاه من معضال قال ذلك رجل من بنى عمك ذهب فلم يوجد الى الساعة قال شرحاف فانى قد عرفت قاتله قال أبوه ومن هو قال عمارة بن زياد سمعته يقول للقوم يوما وقد أخذ فيه الشراب انه قتله ولم يأت له طالب وابثوا بعد ذلك حينا وشب شرحاف ثم ان عمارة جمع جمعا عظيما من عبس وغار بهم على بنى ضبة فاخذوا ابلهم وركبت بنو ضبة فادركوهم فى المرعى فلما نظر شرحاف الى عمارة قال يا عمارة أتعرفنى قال من أنت قال أنا شرحاف أدّ الى ابن عمى معضالا لامثله يوم قتلته وحمل عليه فقتله واقتتلت ضبة وعبس قتالا شديدا واستنقذت ضبة الابل وقال شرحاف

الا ابلغ سراة بنى بغيض * بما لاقت سراة بنى زياد
وما لاقت جذيمة اذ تحامى * وما لاقى الفوارس من بجاد
تركنا بالنقيعة آل عبس * شعاعا يقتلون بكل واد
وما ان فاتنا الا شريد * يؤم القفر فى تيه البلاد
فسل عنا عمارة آل عبس * وسل وردا وما كل بداد
تركتهم بوادى البطن رهنا * لسيدان القرارة والجلاد

(يوم النباة)

قال أبو عبيدة خرجت بنو عامر تريد غطفان لتدرك بثارها يوم الرقم ويوم ساحوق فصادفت بنى عبس وليس معهم أحد من غطفان وكانت عبس لم تشهد يوم الرقم ولا

المطلوبين فركب الاغا والوالى الى ذلك البيت فوجدوا به امرأتين عجوزتين وعندهم حال وقصاع ومعالق وليس بالبيت فراش ولا متاع فطلعوا الى أعلى المكان ونزلوا أسفله فلم يجدوا شيأ فنزل الاغا وهو يشتم العطار وأراد ضربه واذا بشخص من الاجناد أراد أن يزيل ضرورة فى ناحية فلاح له رأس انسان فى مكان متسفل مظلم فلما رأى ذلك الجندى خبا رأسه وانزوى الى داخل فاخبر الاغا فأوقدوا الطلق واذا بشخص صاعد من المحل وبيده سيف مسلول وهو يقول طريق فتكاثروا عليه وقتلوه ونزلوا بالطلق الى أسفل فوجدوا يوسف بك المترجم ومعه شخصان فقبضوا عليهم وانعم الاغا على العطار وأخذهم الى الباشا فارسلهم الى عثمان بك ذى الفقار فضرب رقابهم تحت المقعد *(ومات)* كل من الامير محمد بك جركس الصغير وأخو محمد بك الكبير وذلك انه لما انقضى أمر محمد بك جركس الكبير اختفى المذكوران ودخلا الى مصر متنكرين واختفيا فى بيت رجل من أتباعهما بخطة القبر الطويل ومعهما مملوكان فاخلى لهم البيت وباع الخيل وشال العدد وأتى الى أغات الينكجرية فاخبره فارسل الاغا والوالى والاوده باشا وحضروا اليهم فرموا عليهم بالرصاص من الجانبين وكمنوهم الى الليل وحضر على بك ومصطفى بك بلغيه ونقبت عليهم مصطفى بك من بيت الى بيت حتى وصل اليهم وأوقدنارا من أسفل المكان الذى هم فيه فانحصروا بذلك ففر أحد المملوكين وهرب وقتل الثانى برصاصة وقبضوا على الاثنين وقتلوهما ودفنوهما *(ومات)*

يوم

يوم ساحوق مع غطفان ولم يعينوهم على بنى عامر وقيل بل شهدها أشجع وفزارة وغيرهما من بنى غطفان على ما نذكره قال وأغارت بنو عامر على نعم بنى عبس وذبيان وأشجع فأخذوها وعادوا متوجهين الى بلادهم فضلوا فى الطريق فسلكوا وادى النباءة فامتنعوا فيه ولا طريق لهم ولا مطلع حتى قاربوا آخره وكاد الجبلان يلتقيان اذا هم بامرأة من بنى عبس تخبط الشجر لهم فى قلة الجبل فسألوها عن المطلع فقالت لهم الفوارس المطلع وكانت قد رأت الخيل قد أقبلت وهى على الجبل ولم يرها بنو عامر لانهم فى الوادى فأرسلوا رجلا الى قلة الجبل ينظر فقال لهم أرى قوما كأنهم الصبيان على متون الخيل أسنة رماحهم عند آذان خيلهم قالوا تلك فزارة قال وأرى قوما بيضا جعادا كأن عليهم ثيابا حمرا قالوا تلك أشجع قال وأرى قوما نسورا قد قلعوا خيولهم بين أيديهم كأنما يحملونها حملا بأفخاذهم آخذين بعوامل رماحهم يجرونها قالوا تلك عبس أتاكم الموت الزؤام ولحقهم الطلب بالوادى فكان عامر بن الطفيل أول من سبق على فرسه الورد ففات القوم وأعيا فرسه الورد وهو المربوق أيضا فعقره لئلا تقتله فزارة واقتتل الناس ودام القتال بينهم وانهزمت عامر فقتل منهم مقتلة كبيرة قتل فيها من أشرافهم البراء بن عامر بن مالك وبه يكنى أبوه وقتل نهشل وأنس وهزار بنو مرة بن أنس بن خالد بن جعفر وقتلوا عبد الله بن الطفيل أخا عامر قتله الربيع بن زياد العبسى وغيرهم كثير وعمت الهزيمة على بنى عامر

(يوم الفرات)

قال أبو عبيدة أغار المثنى بن حارثة الشيبانى وهو ابن أخت عمران بن مرة على بنى تغلب وهم عند الفرات وذلك قبيل الاسلام فظفر بهم فقتل من أخذ من مقاتلتهم وغرق منهم ناس كثير فى الفرات وأخذ أموالهم وقسمها بين أصحابه فقال شاعرهم فى ذلك

ومنا الذى غشى الدليكة سيفه * على حين ان أعيا الفرات كتائبه
ومنا الذى شد الركى ليستقى * ويسقى محضا غير ضاف جوانبه
ومنا غريب الشام لم ير مثله * أفك لعان قد تناءى أقاربه

الدليكة فرس المثنى بن حارثة والذى شد الركى مرة بن همام وغريب الشام ابن القلوص ابن النعمان بن ثعلبة

(يوم بارق)

قال المفضل الضبى ان بنى تغلب والنمر بن قاسط وناسا من تميم اقتتلوا حتى نزلوا ناحية بارق وهى من أرض السواد وأرسلوا وفدا منهم الى بكر بن وائل يطلبون اليهم الصلح فاجتمعت شيبان ومن معهم وأرادوا قصد تغلب ومن معهم فقال زيد بن شريك الشيبانى انى قد أجرت أخوالى وهم النمر بن قاسط فامضوا جوار وساروا وأوقعوا

الامير خليل أغا تابع محمد بك قطامش أغات العزب سابقا وهو الذى انتدب العمل المتصف المتقدم ذكره وتزيا بزى أوده باشة البوابة ودخل الى بيت الامير ذى الفقار وقت أذان العشاء ومعه سليمان أبو دفية وقتلوا ذا الفقار بك كما تقدم ثم كانت الدائرة عليهم واختفوا ثم وقعوا بالخازندار بالخليج فقبضوا عليه وسجنوه وقرروه فأقر على سيده وغيره فقبضوا على خليل أغا من المكان الذى كان مختفيا فيه وكان بصحبته يوسف بك الشرايبى وسليمان أغا أبو دفية ففى ذلك الوقت قال أبو دفية قوموا بنا من هذا المكان فان قلبى يختلج فقال يوسف الشرايبى وأنا كذلك فتقنعا وخرجا واستمر خليل أغا فى محله حتى وصلوا اليه فى ذلك اليوم وقتل كما ذكر وأخذه الاغا الى بيت على بك ذى الفقار فأرسله الى الباشا وأرسله الباشا الى عثمان بك فرمى دماغه تحت المقعد وكذلك عثمان أغا الرزاز وغيره وأما أبو دفية فانه لما تقنع هو ويوسف الشرايبى وخرجا فركب كل واحد منهما حمارا وتفرقا فذهب أبو دفية الى بيت مقدمه ولبس زى بعض القواسة وركب فرسه ووضع له أوراقا فى عمامته وخرج فى وقت الفجر الى جهة الشرقية وذهب مع القافلة الى غزة ثم الى الشام وسافر منها الى اسلامبول وخرج فى السفر وذهب الى عند التمرخان فأعطاه منصبا وعمله مرزة وتزوج بقونية ولم يزل هناك حتى مات وأما يوسف بك الشرايبى فذهب الى دار بالازبكية وخفى أمره ومات بعد مدة ولم يعلم له خبر (ومات) * عبد الغفار أغا ابن حسن أفندى وقد تقدم انه

تقلد في أيام ابن ايواظ أغاوية المتفرقة بموجب مرسوم ورد من الدولة بذلك وسببه ان حسن افندي والده كان له يد وشهرة في رجال الدولة وكان من ياتي منهم الى مصر يترددون اليه في منزله ويهادونه ويهاديهم فاتفق انه اهدى الى السلطنة عبد اطواشيا فترقى هناك وأرسل الى ابن سيده مرسوما باغاوية المتفرقة وذلك في سنة خمس وثلاثين ومائة والف بعد موت والده والبسه الباشا قفطانا بذلك وعد ذلك من النوادر والتي لم يسبق نظيرها ووقع بذلك فتنة في البلكات تقدم الالماع بذكر بعضها والتجا المترجم الى ابن ايواظ وهرب من الباب وحديث قتله نبأ غريب وذلك انه في اثناء تتبع القاسمية وقتلهم ورد مكتوب من كتخدا الوزير الى عبد الله باشا الكبورلي بالوصية على عبد الغفار أغا فقال الباشا لكتخدا الجاويشية عندكم انسان يسمى عبد الغفار أغا قال له نعم كان أغات متفرقة ثم عمل أغات عزب وعزل فقال ارسل اليه بالحضور فخرج كتخدا الجاويشية وأخبر محمد بك قطامش الدفتردار فقال ارسل اليه واطلبه للحضور وطلب الوالي فقال له اذا انقضى امر الديوان فانزل الى باب العزب واجلس هناك وانتظر عبد الغفار أغا وهو نازل من عند الباشا فاركب وسر خلفه حتى يدخل الى بيته فاقبض عليه واقطع رأسه فلما أحضر المترجم صحبة الجاويش ودخل الى الباشا وصحبته كتخدا الجاويشية وعرف الباشا عنه بجيم وتركه وخرج وانقضى الديوان وحضر الغداء فاشار الى عبد الغفار أغا بالجلوس وأكل صحبته وحادثه الباشا فقال له أنت لك

بني تغلب وتميم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم تصب تغلب بمثلها واقتسموا الاسرى والاموال وكان من اعظم الايام عليهم قتل الرجال ونهب الاموال وسبي الحريم فقال أبو كابة الشيباني

واليلة بسعادى لم تدع سندا * التغلبي ولا انقا ولا حسبا
والنمريون لولا سرمن ولدوا * من آل مرة شاع الحي منتهبا

(يوم طخفة)

وهو لبني يربوع على عساكر النعمان بن المنذر قال أبو عبيدة وكان سبب هذه الحرب ان الردافة وهي بمنزلة الوزارة وكان الرديف يجلس عن يمين الملك كانت لبني يربوع من تميم يتوارثونها صغيرا عن كبير فلما كان أيام النعمان وقيل أيام ابنه المنذر سألها حاجب بن زرارة الدارمي التميمي النعمان ان يجعلها للحرث بن بيبة بن قرط بن سفيان ابن مجاشع الدارمي التميمي فقال النعمان لبني يربوع في هذا وطلب منهم أن يجيبوا الى ذلك فامتنعوا وكان منزلهم اسفل طخفة فحيث امتنعوا من ذلك بعث اليهم النعمان قابوس ابنه وحسانا اخاه ابني المنذر قابوس على الناس وحسان على المقدمة وضم اليهما جيشا كثيفا منهم الصنائع والوضائع وناس من تميم وغيرهم فساروا حتى أتوا طخفة فالتقوهم وبنو يربوع واقتتلوا وصبرت يربوع وانهزم قابوس ومن معه وضرب طارق أبو عميرة فرس قابوس فعقره واسره وأراد ان يجز ناصيته فقال ان الملوك لا تجز نواصيها فارسله واما حسان فاسره بشر بن عمرو بن جوين فمن عليه وأرسله فعاد المنهزمون الى النعمان وكان شهاب بن قيس بن كياس اليربوعي عند الملك فقال له يا شهاب أدرك ابني وأخي فان أدركتهما حيين فلبني يربوع حكمهم وأرد عليهم ردافتهم واترك لهم من قتلوا وما غنموا واعطيهم الفي بعير فسار شهاب فوجدهما حيين فاطلقهما ووفى الملك لبني يربوع بما قال ولم يعرض لهم في ردافتهم وقال مالك بن نويرة

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما * رأى القوم منه الموت والخيل تلحب
عليه دلاص ذات نسج وسيفه * جراز من الهندي ابيض مقضب
طلبنا بها انا مداريك نيلها * اذا طلب الشأو البعيد المغرب

(يوم النباج وثيتل)

قال أبو عبيدة غزا قيس بن عاصم المنقري ثم التميمي مقاعس وهم بطون من تميم وهم صريم وربيع وعبيد بنو والحرث بن عمرو بن كعب بن سعد وغزا معه سلامة بن ظرب الحماني في الاحارث وهم بطون من تميم أيضا وهم حمان وربيعة ومالك والاعرج بنو كعب ابن سعد فغزوا بكر بن وائل فوجدوا اللهازم وهم بنو قيس وتيم اللات ابناء ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ومعهم بنو ذهل بن ثعلبة وعجل بن

صاحب في الدولة قال نعم كان لابي صديق من أغوات عابدي باشا وكان شهر حوالة و بلغني انه الآن كتخدا الوزير وكان اشترى جارية ووضعها عندنا في مكان فكان ينزل و يبيت عندنا ولما عزل عابدي باشا اخذها وسافر فهو الى الآن يودنا و يراسلنا بالسلام فقال له الباشا انه أرسل يوصينا عليك فانظر ماتريد من الحوايج او المناصب فقال لا اريد شيا و يكفيني نظركم ودعاؤكم وأخذ خاطر الباشا ونزل الى داره فلما مر بباب العزب ركب الوالي ومشى في أثره ولم يزل سائرا خلفه حتى دخل الى البيت ونزل من على الحصان بسلم الركوبة وكان بيته بالناصرية فعند ذلك قبضوا عليه واخذوا عمامته وفروته وثيابه وسحبوه الى باب الاسطبل فقطعوا رأسه وأخذها الوالي مع الحصان واتى بهما الى بيت محمد بك قطامش فصرخت والدته وزوجته وجواريه وتقنعن وطلعن الى القلعة صارخات فقال الباشا ما خبر هذا الحريم فسألوهن فقالت والدته حيث ان الباشا اراد قتله كان يعزيه ذلك بعيدا عنا فتعجب الباشا وقام من مجلسه وخرج الى ديوان قايتباي واستخبرهن فاخبرنه بما حصل فاغتم غما شديدا وطلب الوالي وأمر برجوع الحوايج والرأس واعطاهن كفنا ودراهم واعطى والدته فرمانا بكامل ما كان تحت تصرفه من غير حلوان ونزلت الاغوات والنساء فاخذوا الرأس والثياب وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه ولما طلع محمد بيك قطامش الى الديوان قال له الباشا تقتلون الاغوات في بيوتها من غير فرمان فقال لم نقتله الا بفرمان فانه

بجيم وعنزة بن اسد بن ربيعة بالنباج وثيتل وبينهما روحة فاغار قيس على النباج ومضى سلامة الى ثيتل ليغير على من بها فلما بلغ قيس الى النباج سقى خيله ثم أراق ما معهم من الماء وقال لمن معه قاتلوا فالموت بين ايديكم والفلاة من ورائكم فاغار على من به من بكر صبحا فقاتلوهم قتالا شديدا وانهزمت بكر وأصيب من غنائمهم مالا يحد كثرة فلما فرغ قيس من النهب عاد مسرعا الى سلامة ومن معه نحو ثيتل فادركهم ولم يغر سلامة على من به فاغار عليهم قيس ايضا فقاتلوه وانهزموا وأصاب من الغنائم نحو ما أصاب بالنباج وجاء سلامة فقال اغرتم على من كان لي فتنازعوا حتى كاد الشر يقع بينهم ثم اتفقوا على تسليم الغنائم اليه ففي ذلك يقول ربيعة بن طريف

فلا يبعدنك الله قيس بن عاصم * فانت لنا عز عزيز ومعقل
وانت الذي حويت بكر بن وائل * وقد عضلت بها النباج وثيتل

وقال قرة بن زيد بن عاصم

انا ابن الذي شق المرار وقد رأى * بثيتل احياء اللهازم حضرا
فصبحهم بالجيش قيس بن عاصم * فلم يجدوا الا الاسنة مصدرا
سقاهم بها الذيفان قيس بن عاصم * وكان اذا ما اورد الامر اصدرا
على الجرد يعلكن الشكيم عوابسا * اذا الماء من اعطافهن تحدرا
فلم يرها الراؤن الا فجاءة * يثرن عجاجا كالدواخن اكدرا *
وحران ادته الينا رماحنا * فنازع غلا في ذراعيه اسمرا

ثيتل بالثاء المثلثة المفتوحة والياء الساكنة المثناة من تحتها والتاء المثناة من فوقها

(يوم فلج)

قال أبو عبيدة هذا يوم لبكر بن وائل على تميم وسببه ان جمعا من بكر ساروا الى الصعاب فشتوا بها فلما انقضى الربيع انصرفوا فمروا بالدو فلقوا اناسا من بني تميم من بني عمرو وحنظلة فغاروا على نعم كثير لهم ومضوا وأتى بني عمرو وحنظلة الصريخ فاستجاشوا لقومهم فاقبلوا في آثار بكر بن وائل فساروا يومين وليلتين حتى جهدهم السير وانحدروا في بطن فلج وكانوا قد خلفوا رجلين على فرسين سابقين ربيئة ليخبراهم بخبرهم ان ساروا اليهم فلما وصلت تميم الى الرجلين اجريا فرسيهما وسارا مجدين فانذرا قومهما فاتاهم الصريخ بمسير تميم عندوصولهم الى فلج فضرب حنظلة بن يسار العجلي قبته ونزل فنزل الناس معه وتهيؤا للقتال معه ولحقت بنو تميم فقاتلهم بكر بن وائل قتالا شديدا وحمل عرفجة بن بجير العجلي على خالد بن مالك بن سلمة التميمي فطعنه وأخذه اسيرا وقتل في المعركة ربعي بن مالك بن سلمة فانهزمت تميم وبلغت بكر بن وائل منهم ما أرادت ثم ان عرفجة اطلق خالد بن مالك وجز ناصيته فقال خالد

وجدنا الرفد رفد بني لجيم * اذا ما قلت الارفاد زادا

كان من جملة الثلثمائة المتعصبين على قتل اخينا ذى الفقار بك وعزل الباشا الوالى وقلد خلافه فى الزعامة وكان المترجم
آخر من قتل من القاسمية المعروفين

رحمه الله وكان عند المترجم سبعة مماليك من مماليك
محمد بك ابن ابى شنب فبلغ خبرهم محمد بك قطامش فارسل من أخذهم من عنده قبل كائنته بنحو ثمانية ايام

(الفصل الثانى فى ذكر حوادث مصر وولاتها وتراجم اعيانها ووفياتهم من ابتداء سنة ثلاث واربعين ومائة والف) ووجه ان بهذا التاريخ كان انقراض فرقة القاسمية وظهور امر الفقارية وخلع السلطان احمد من السلطنة وولاية السلطان محمود خان ووالى مصر اذ ذاك عبد الله باشا الكبورلى بياء معطشة فارسية نسبة الى كبور بلدة بالروم وحضر الى مصر فى السنة الخالية وكان من ارباب الفضائل وله ديوان شعر جيد على حروف المعجم ومدحه شعراء مصر لفضله وميله الى الادب (وقال بعض شعراء مصر فى بعض قصائده

ولما جاء مصر ارخوه
لقد سعدت بعبد الله مصر

وكان انسانا خيرا صالحا كامنقاد الى الشريعة ابطل المنكرات والخمامير ومواقف الحواطى والبوظ من بولاق وباب اللوق وطولون ومصر القديمة وجعل للوالى والمقدمين عوضا عن ذلك فى كل شهر كيسا من كشوفيات الباشاوات وكتب بذلك حجة شرعية وفيها لعن كل من تسبب فى رجوع ذلك (ايام
ووصل الامر بالزينة فى ايامه لتولية السلطان محمود وكان الوقت غير قابل لذلك فعملوا شنكا ومدافع بالقلعة واتفق

هم واضربوا القباب ببطن فلج * وذادوا عن محارمهم ذيادا
وهم منوا على واطلقونى * وقد طاوعت فى الجنب القيادا
اليسوا خير من ركب المطايا * واعظمهم اذا اجتمعوا رمادا
أليس هم واعماد الحى بكرا * اذ نزلت مجللة شدادا

وقال قيس بن عاصم يعير خالدا

لو كنت حرا يا ابن سلمى بن جندل * نهضت ولم تقصد لسلمى بن جندل
فما بال أصداء بفلج غريبة * تنادى مع الاظلال يا آل ابن حنظل
صوادى لا مولى عزيز يجيبها * ولا اسرة تسقى صداها بمنهل
وغادرت ربعيا بفلج ملحبا * وأقبلت فى اولى الرعيل المعجل
تؤامل من خوف الردى لا وقيته * كما نالت الكدراء من حين اجدل

يعيره حيث لم يأخذ بثار أخيه ربعى ومن قتل معه يوم فلج ويقول ان أصداءهم تنادى ولا يسقيها احد على مذهب الجاهلية ولولا التطويل لشرحناه أبين من هذا

(يوم الشيطين)

قال أبو عبيدة كان الشيطان لبكر بن وائل فلما ظهر الاسلام فى نجد سارت بكر وقبل السواد وبقى مقاعس بن عمرو العبثدى ابن عائذة من قريش حليف بنى شيبان بالشيطين فلما اقامت بكر فى السواد لحقهم الوباء والطاعون الذى كان ايام كسرى شيرويه فعادوا هاربين فنزلوا اللعلع وهى مجدبة وقد اخصب الشيطان فسارت تميم فنزلوا بها وبلغت اخبار خصب الشيطين الى بكر فاجتمعوا وقالوا نغير على تميم فان فى دين ابن عبد المطلب يعنون النبى ان من قتل نفسا قتل بها فنغير هذه الغارة ثم نسلم عليها فارتحلوا من لعلع بالذرارى والاموال ورئيسهم بشر بن مسعود بن قيس بن خالد فاتوا الشيطين فى أربع ليال والذى بينهما مسيرة ثمان ليال فسبقوا كل خبر حتى صبحوهم وهم لا يشعرون فقاتلوهم قتالا شديدا وصبرت تميم ثم انهزمت فقال رشيد بن رميض العنبرى يفخر بذلك

وما كان بين الشيطين ولعلع * لنسوتنا الا مناقل أربع
فجئنا بجمع لم ير الناس مثله * يكاد له ظهر الوديعة يظلع
بأرعن دهم تنسل البلق وسطه * له عارض فيه المنية تلمع
صبحناهم سعدا وعمرا ومالكا * فظل لهم يوم من الشر أشنع
وذا حسب من آل ضبة غادروا * يجرى كما يجرى الفصيل المقرع
تقصع يربوع بسرة ارضنا * وليس ليربوع بها متقصع

ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى بكر بن وائل على ما بايديهم (الشيطين بالشين المعجمة والياء المشددة المثناة من تحت وبالطاء المهملة آخره نون)

(أيام الانصار وهم الاوس والخزرج التي جرت بينهم)

الانصار لقب قبيلتي الاوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان لقبهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر اليهم ومنعوه ونصروه وام الاوس والخزرج قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد ولذلك يقال لهما ابناء قيلة وانما لقب ثعلبة العنقاء لطول عنقه ولقب عمرو مزيقياء لانه كان يمزق عنه كل يوم حلة لئلا يلبسها احد بعده ولقب عامر ماء السماء لسماحته وبذله كانه ناب مناب المطر وقيل لشرفه ولقب امرئ القيس البطريق لانه أول من استعان به بنو اسرائيل من العرب بعد بلقيس فبطرقه رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام فقيل له البطريق وكانت مساكن الازد بمأرب من اليمن الى ان أخبر الكهان عمرو بن عامر مزيقياء ان سيل العرم يخرب بلادهم ويغرق أكثر اهلها عقوبة لهم بتكذيبهم رسل الله تعالى اليهم فلما علم ذلك عمرو باع ماله من مال وعقار وسار عن مأرب هو ومن تبعه ثم تفرقوا في البلاد فسكن كل بطن ناحية اختاروها فسكنت خزاعة الحجاز وسكنت غسان الشام ولما سار ثعلبة بن عمرو بن عامر فيمن معه اجتازوا بالمدينة وكانت تسمى يثرب فتخلف بها الاوس والخزرج ابنا حارثة فيمن معهما وكان فيها قرى واسواق وبها قبائل من اليهود من بني اسرائيل وغيرهم منهم قريظة والنضير وبنو قينقاع وبنو ماسلة وزعورا وغيرهم وقد بنوا لهم حصونا يجتمعون بها اذا خافوا فنزل عليهم الاوس والخزرج فابتنوا المساكن والحصون الا ان الغلبة والحكم لليهود الى ان كان من الفطيون ومالك بن العجلان ما نذكره ان شاء الله تعالى فعادت الغلبة للاوس والخزرج ولم يزالوا على حال اتفاق واجتماع الى ان حدث بينهم حرب سمير على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر غلبة الانصار على المدينة وضعف أمر اليهود بها وقتل الفطيون)

قد ذكرنا ان الاستيلاء كان لليهود على المدينة لما نزلها الانصار ولم يزل الامر كذلك الى ان ملك عليهم الفطيون اليهودي وهو من بني اسرائيل ثم من بني ثعلبة وكان رجل سوء فاجرا وكانت اليهود تدين له بان لا تزوج امرأة منهم الا دخلت عليه قبل زوجها وقيل انه كان يفعل ذلك بالاوس والخزرج أيضا ثم ان اختا لمالك بن العجلان السالمي الخزرجي تزوجت فلما كان زفافها خرجت عن مجلس قومها وفيه أخوها مالك وقد كشفت عن ساقيها فقال لها مالك لقد جئت بسوء فقالت الذي يراد بي الليلة أشد من هذا ادخل على غير زوجي ثم عادت فدخل عليها أخوها فقال لها هل عندك من خير قالت نعم فما عندك قال أدخل مع النساء فاذا خرجن ودخل عليك قتلته

ان الشيخ عبد الله الشبراوي استدعى المولى عبد الغفور أفندي تابع الوزير عبد الله باشا المذكور وكتب له

محبك يا شقيق الروح يرجو * مجيئك للتآنس والسرور
ويشهي انه لك ذو اشتياق * تضيق له فسيحات السطور
وياهل منك في ذا اليوم تاتي
وتنعم بالجلوس أو المرور
فان تك قد أخذت اليوم اذنا
من المولى الوزير ابن الوزير
لخير البر عاجله والا
فخذ اذنا وعجل بالحضور
ولا تترك محبك في انتظار
فما يقوى على البعد الكبير
وقل للفاضل المولى علي
وصاحبه الشهاب المستنير
محبكما المنزله دعانا
فلا تتناهلا بالبكور
واني ارتجي منكم جميعا
اجابة ما يؤمله ضميري
وأشكر فضل مولانا علي
وأحمد في الزيارة والمسير
وأسال لطف كل منهما في
زيارة منزل العبد الفقير
فان أنتم تفضلتم وجئتم
فقد حزتم عظيمات الاجور
وان عاقتكم الاقدار عنا
بعذر كان أو أمر ضروري
فيوم غير هذا اليوم لكن
يوعد فيه شرح للصدور
ولا تضجر شقيق الروح مني
فليس أخو المودة بالضجور
وان الحب يستر كل عيب
خصوصا ود من خل ستور
وان الله مولانا غفور
وأنت كما ترى عبد الغفور
وطب نفسا بصحبة من تسامى
الى العليا منقطع النظير
أبي اليقظان عبد الله باشا * سليل المكرمات ابن الكبوري * عريق المجد مولى كل مولى * كريم الطبع والاصل الشهير
وزير في سعادته ظهير * حكى شمس الظهيرة في الظهور * توشحت الوزارة منه علاء * بعقد صانها من كل زور

قالت افعل فلما ذهب بها النساء الى الفطيون انطلق مالك معهن في زي امرأة ومعه سيفه فلما خرج النساء من عندها ودخل عليها الفطيون قتله مالك وخرج هاربا فقال بعضهم في ذلك من أبيات

هل كان للفطيون عقر نسائكم * حكم النصيب فبئس حكم الحاكم
حتى حباه مالك بمرشة * حمراء تضحك عن نجيع قاتم

ثم خرج مالك بن العجلان هاربا حتى دخل الشام فدخل على ملك من ملوك غسان يقال له أبو جبيلة واسمه عبيد بن سالم بن مالك بن سالم وهو أحد بني غضب بن جشم بن الخزرج وكان قد ملكهم وشرف فيهم وقيل انه لم يكن ملكا وانما كان عظيما عند ملك غسان وهو الصحيح لان ملوك غسان لم يعرف فيهم هذا وهو أيضا من الخزرج على ما ذكر فلما دخل عليه مالك شكا اليه ما كان من الفطيون وأخبره بقتله وانه لا يقدر على الرجوع فعاهد الله أبو جبيلة أن لا يمس طيبا ولا يأتي النساء حتى يذل اليهود ويكون بكر الاوس والخزرج أعز أهلها ثم سار من الشام في جمع كثير وأظهر انه يريد اليمن حتى قدم المدينة فنزل بذي حرض وأعلم الاوس والخزرج ما عزم عليه ثم أرسل الى وجوه اليهود يستدعيهم اليه وأظهر لهم انه يريد الاحسان اليهم فأتاه أشرافهم في حشمهم وخاصتهم فلما اجتمعوا ببابه أمر بهم فأدخلوا رجلا رجلا وقتلهم عن آخرهم ولما فعل بهم ذلك صارت الاوس والخزرج أعز أهل المدينة فشاركوا اليهود في النخل والدور ومدح الرمق بن زيد الخزرجي أبا جبيلة بقصيدة منها

وأبو جبيلة خير من * يمشي وأوفاه يمينا
وأبرهم برا وأعـ * ـلمهم بهدي الصالحينا
أبقت لنا الايام والـ * ـحرب المهمة تعترينا
كبشا له قرن يعض * حسامه الذكر السنينا

فقال له أبو جبيلة عسل طيب في وعاء سوء وكان الرمق رجلا ضئيلا فقال الرمق (انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه) ورجع أبو جبيلة الى الشام (حرض بضم الحاء والراء المهملتين وآخره ضاد معجمة)

* (حرب سمير) *

ولم يزل الانصار على حال اتفاق واجتماع وكان أول اختلاف وقع بينهم وحرب كانت لهم حرب سمير وكان سببها أن رجلا من بني ثعلبة من سعد بن ذبيان يقال له كعب بن العجلان نزل على مالك بن العجلان السالمي فحالفه وأقام معه فخرج كعب يوما الى سوق بني قينقاع فرأى رجلا من غطفان معه فرس وهو يقول ليأخذ هذا الفرس أعز أهل يثرب فقال رجل فلان وقال رجل آخر أحيحة بن الجلاح الاوسي وقال غيرهما فلان بن فلان اليهودي أفضل أهلها فدفع الغطفاني الفرس الى مالك بن العجلان فقال كعب

الم أقل لكم ان حلفي ما لكم أفضل لكم فغضب من ذلك رجل من الاوس من بني عمرو ابن عوف يقال له سمير وشتمه وافترقا وبقي كعب ماشاء الله ثم قصد سوقا لهم بقباء فقصده سمير ولازمه حتى خلا السوق فقتله وأخبر مالك بن العجلان بقتله فارسل الى بني عمرو بن عوف يطالب قاتله فارسلوا انا لا ندري من قتله وترددت الرسل بينهم هو يطالب سميرا وهم ينكرون قتله ثم عرضوا عليه الدية فقبلها وكانت دية الحليف فيهم نصف دية النسيب منهم فأبى مالك الا أخذ دية كاملة وامتنعوا من ذلك وقالوا نعطي دية الحليف وهي النصف ولج الامر بينهم حتى أتى الى المحاربة فاجتمعوا والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وافترقوا ودخل فيها سائر بطون الانصار ثم التقوا مرة أخرى واقتتلوا حتى حجز بينهم الليل وكان الظفر يومئذ للاوس فلما افترقوا أرسلت الاوس الى مالك يدعونه الى ان يحكم بينهم المنذر بن حرام النجاري الخزرجي جد حسان بن ثابت بن المنذر فاجابهم الى ذلك فاتوا المنذر فحكم بينهم المنذر بان يدوا كعبا حليف مالك دية الصريح ثم يعودون الى سنتهم القديمة فرضوا بذلك وحملوا الدية وافترقوا وقد ثبتت البغضاء في نفوسهم وتمكنت العداوة بينهم

(ذكر حرب كعب بن عمرو المازني)

ثم ان بني جحجبا من الاوس وبني مازن بن النجار من الخزرج وقع بينهم حرب كان سببها ان كعب بن عمرو المازني تزوج امرأة من بني سالم فكان يختلف اليها فامر أحيحة بن الجلاح سيد بني جحجبا جماعة فرصدوه حتى ظفروا به فقتلوه فبلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو فأمر قومه فاستعدوا للقتال وارسل الى بني جحجبا يؤذنهم بالحرب فالتقوا بالرحابة فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت بنو جحجبا ومن معهم وانهزم معهم أحيحة فطلبه عاصم بن عمرو فادركه وقد دخل حصنه فرماه بسهم فوقع في باب الحصن فقتل عاصم أخا لاحيحة فمكثوا بعد ذلك ليالي فبلغ احيحة ان عاصما يطلبه ليجد له غرة فيقتله فقال احيحة

تنبئت انك جئت تسـ * ـري بين داري والقبابه
فلقد وجدت بجانب الضـ * ـحيان شبانا مهابه
فتيان حرب في الحديـ * ـد وشامرين كأسد غابه
هم نكبوك عن الطريـ * ـق فبت تركب كل لابه
أعصيم لا تجزع فا * ن الحرب ليست بالدعابه
فانا الذي صبحتكم * بالقوم اذ دخلوا الرحابه
وقتلت كعبا قبلها * وعلوت بالسيف الذؤابه

فاجابه عاصم

ابلغ أحيحة ان عرضـ * ـت بداره عني جوابه
وانا الذي أعلنته * عن مقعد الهى كلابه

وهذا ما سمعت مع اختصار * ولكن جئت في الزمن الاخير
وحسبك أنه عبد مطيع * لشرع نبيه طه البشير
عليه الله صلى ما تناجت * على الاغصان ألسنة الطيور
تخذها بنت يوم وهي لفظ * قصير ليس يخلو من قصور
وعذري واضح فيه الاتى * لدى الفضلاء ذوي باع قصير
ومدح علاه لا يحصيه شئ * يقدر بالسنين أو الشهور

(وعزل) عبد الله باشا المذكور أواخر سنة أربع وأربعين ومائة وألف وأمراء مصر في هذا التاريخ محمد بك قطامش وتابعه علي بك قطامش وعثمان جاويش القازدغلي ويوسف كتخدا البركاوي وعبد الله كتخدا القازدغلي وسليمان كتخدا القازدغلي وحسن كتخدا القازدغلي ومحمد كتخدا الداودية وعلي بك ذو الفقار وعثمان بك ذو الفقار خشداشه ووصل مسلم محمد باشا السلحدار وأخبر بولاية محمد باشا السلحدار وقدم من البصرة سنة خمس وأربعين ومائة وألف ونزل عبد الله باشا الى بيت شكر بره واستمر محمد باشا واليا على مصر الى سنة ست وأربعين ثم عزل وتولى عثمان باشا الحلبي ووصل المسلم بقائمقامية الى علي بك ذي الفقار فطلع الى الديوان ولبس القفطان من عثمان باشا ونزل الى بيته وحضر اليه الامراء وهنوه وخلع على اسمعيل بك أبي قلنج

أميرا اسماط ووصل عثمان باشا الى العريش وتوجهت اليه الملاقاة وأرباب الخدم وحضر الى العادلية وعملوا له شنكا
وطلع الى القلعة وخلع الخلع وورد قابجى باشا بابطال السكة وابطال سكة الذهب الفندقلى وضرب الزرمحبوب كامل

ورميته سهما فاخـ * طأه واغلق ثم بابه

في أبيات ثم ان أحيحة اجمع ان يبيت بني النجار وعنده سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية وهي ام عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم فتمارضت فلما جنها الليل وقد سهر معها أحيحة فنام فلما نام سارت الى بني النجار فاعلمتهم ثم رجعت فحذروا وغدا أحيحة بقومه مع الفجر فلقيهم بنو النجار في السلاح فكان بينهم شيء من قتال وانحاز أحيحة و بلغه ان سلمى أخبرتهم فضربها حتى كسر يدها واطلقها وقال أبياتا منها

لعمر أبيك ما يغني مكاني * من الحلفاء آكلة غفول
تؤوم لا تناص مشعلا * مع الفتيان مضجعه ثقيل
تنزع للحليلة حيث كانت * كما يعتاد لقحته الفصيل
وقد اعددت للحدثان حصنا * لو ان المرء ينفعه العقول
جلاد القين ثمت لم تخنه * مضاربه ولا لطته فلول
فهل من كاهن آوي اليه * اذا ما حان من آل نزول
يراهنني ويرهنني بنيه * وارهنه بني بما أقول
فما يدرى الفقير متى غناه * وما يدرى الغنى متى يعيل
وما تدرى وان اجمعت أمرا * باى الارض يدركك المقيل
وما تدرى وان انتجت سقبا * لغيرك ام يكون لك الفصيل
وما ان اخوة كبروا وطابوا * بباقية وأمهم هبول
ستثكل او يفارقها بنوها * بموت أو بحي لهم قتول

(ذكر الحرب بين بني عمرو بن عوف و بني الحرث وهو يوم السرارة)

ثم ان بني عمرو بن عوف من الاوس و بني الحرث من الخزرج كان بينهما حرب شديدة وكان سببها ان رجلا من بني عمرو قتله رجل من بني الحرث فعدا بنو عمرو على القاتل فقتلوه غيلة فاستكشفوا أهله فعلموا كيف قتل فتهيؤا للقتال وأرسلوا الى بني عمرو بن عوف يؤذنونهم بالحرب فالتقوا بالسرارة وعلى الاوس حضير بن سماك والد أسيد بن حضير وعلى الخزرج عبد الله بن سلول أبو الحباب الذي كان رأس المنافقين فاقتتلوا قتالا شديدا صبر بعضهم لبعض أربعة أيام ثم انصرفت الاوس الى دورها ففخرت الخزرج بذلك وقال حسان بن ثابت في ذلك

فدى لبني النجار أمي وخالتي * غداة لقوهم بالمثقفة السمر
وصرم من الاحياء عمرو بن مالك * اذا ما دعوا كانت لهم دعوة النصر
فوالله لا أنسى حياتي بلاءهم * غداة رموا عمرا بقاصمة الظهر

وقال حسان أيضا

لعمر أبيك الخير بالحق ما نبا * على لساني في الخطوب ولا يدي

لساني

وصرفه مائة نصف فضة وعشرة أنصاف وكذلك سكة النصف محبوب وصرفه خمسة وخمسون وزاد في الفندقلي الموجود بايدي الناس اثني عشر نصف فضة فصار يصرف بمائة نصف وستة وأربعين نصفا وحضر مرسوم أيضا بتعيين صنجق للوجه القبلي بتحرير النصارى واليهود وما عليهم من الجزية في كل بلد العال أربعمائة نصف وعشرون نصفا والوسط مائتان وسبعون والدون مائة فتشاوروا فيمن ينزل بصحبة الاغا والكاتب من الامراء الصناجق لتحرير بلاد قبلي فقال حسين بك الخشاب أنا مسافر بمنصب جرجا وينزل بصحبتي الاغا المعين وانظروا من يذهب الى بحرى فقال محمد بك قطامش كل اقليم يتقيد بتحريره الكاشف المتولي عليه ومعه الاغا والكاتب فاتفق الرأي على ذلك (وفي أيامه) عمل اسمعيل بك ابن محمد بك الدالي مهما لزواج ولده ودعا عثمان باشا الى منزله الذي ببركة الفيل وعندما حضر الباشا واستقر به الجلوس وضع بين يديه [illegible] فيه ألف دينار برسم [illegible] وركب [illegible] الشيش على الخدم [illegible] عجيب وقدم له تقادم خيول وهدايا وجوادا امرختا وذلك في شعبان سنة سبع [illegible] مائة وألف * ومن الحوادث في أيامه انه في أوائل رمضان سنة تاريخه ظهر بالجامع الازهر رجل تكروري

لسانى وسيفى صارمان كلاهما * ويبلغ مالا يبلغ السيف مذودى
فلا الجهد ينسينى حياتى وحفظتى * ولا وقعات الدهر فللن مبردى
أكثر أهلى من عيال سواهم * واطوى على الماء القراح المبرد

(ومنها)

وانى لحباء المطى على الوجى * وانى لنزال لما لم أعود
وانى لقوال لذى اللوث مرحبا * وأهلا اذا ما ريع من كل مرصد
وانى ليدعونى الندى فاجيبه * واضرب بيض العارض المتوقد
فلا تعجلن ياقيس واربع فانما * قصاراك ان تلقى بكل مهند
حسام وارماح بايدى أعزة * متى ترهم يا ابن الخطيم تلبد
أسود لدى الاشبال يحمى عرينها * مداعيس بالخطى فى كل مشهد

وهى أبيات كثيرة فاجابه قيس بن الخطيم

تروح عن الحسناء ام أنت مغتدى * وكيف انطلاق عاشق لم يزود
تراءت لنا يوم الرحيل بمقلتى * شريد بملتف من السدر مفرد
وجيد كجيد الريم حال يزينه * على النحر ياقوت وفص زبرجد
كأن الثريا فوق ثغرة نحرها * توقد فى الظلماء أى توقد
ألا ان بين الشرعبين وراتج * ضرابا كتحذيم السيال المعضد
لنا حائطان الموت أسفل منهما * وجمع متى تصرخ بيثرب يصعد
ترى اللابة السوداء يحمر لونها * ويسهل منها كل ربع وفدفد
فانى لاغنى الناس عن متكلف * يرى الناس ضلالا وليس بمهتد
فنساعمرا ثوراشقيا مرهطا * ألد كأن رأسه رأس أصيد
كثير المنى بالزاد لا صبر عنده * اذا جاع يوما يشتكيه ضحى الغد
وذى شيمة عسراء خالف شيمتى * فقلت له دعنى ونفسك أرشد
فما المال والاخلاق الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود
متى ما تقد بالباطل الحق يأبه * فان قدت بالحق الرواسى تنقد
اذا ما أتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تدخل من الباب تهتد

وهى طويلة (وقال عبيد بن ناقد)

لمن الديار كأنهن المذهب * بليت وغيرها الدهور تقلب

يقول فيها فى ذكر الوقعة

لكن فرار أبى الحباب بنفسه * يوم السرار تسى منه الاقرب
ولى وألقى يوم ذلك درعه * اذ قيل جاء الموت خلفك يطلب
نجاك منا بعدما قد اشرعت * فيك الرماح هنالك اشد المذهب

وادعى النبوة فاحضروه بين يدى الشيخ أحمد العماوى فساله عن حاله فاخبره انه كان فى شربين فنزل عليه جبريل وعرج به الى السماء ليلة سبع وعشرين رجب وانه صلى بالملائكة ركعتين وأذن له جبريل ولما فرغ من الصلاة أعطاه جبريل ورقة وقال له أنت نبى مرسل فانزل وبلغ الرسالة وأظهر المعجزات فلما سمع الشيخ كلامه قال له أنت مجنون فقال لست بمجنون وانما أنا نبى مرسل فامر بضربه فضربوه وأخرجوه من الجامع ثم سمع به عثمان كتخدا فاحضره وساله فقال مثل ماقاله للشيخ العماوى فارسله الى المارستان فاجتمع عليه الناس والعامة رجالا ونساء ثم انهم أخفوه عن أعين الناس ثم طلبه الباشا فسأله فاجابه بمثل كلامه الاول فامر بحبسه فى العرقانة ثلاثة أيام ثم انه جمع العلماء فى منتصف شهر رمضان وسالوه فلم يتحول عن كلامه فامروه بالتوبة فامتنع وأصر على ماهو عليه فامر الباشا بقتله فقتلوه بحوش الديوان وهو يقول فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ثم أنزلوه وألقوه بالرميلة ثلاثة أيام وعمل فى ذلك الشعراء أبياتا وتواريخ فمن ذلك قول بعضهم مواليا

واحد ظهر وادعى انو نبى من حق
وانو عرج للسماء وانو اجتمع بالحق
وابليس ضلو وصدو عن طريق الحق
قم ياوزير البلد واحكم على قتله * أهل العلوم أرخوا هذا كفر بالحق

* (ومن الحوادث الغريبة) * فى أيامه أيضا ان فى يوم الاربعاء رابع عشرى الحجة آخر سنة سبع وأربعين ومائة وألف أشيع فى الناس بمصر ان القيامة قائمة يوم الجمعة

وهي طويلة أيضا وأبو الحباب هو عبد الله بن سلول

(حرب الحصين بن الاسلت)

ثم كانت حرب بين بني وائل بن زيد الاوسيين وبين بني مازن بن النجار الخزرجيين وكان سببها ان الحصين بن الاسلت الاوسي الوائلي نازع رجلا من بني مازن فقتله الوائلي ثم انصرف الى أهله فتبعه نفر من بني مازن فقتلوه فبلغ ذلك أخاه أبا قيس بن الاسلت فجمع قومه وأرسل الى بني مازن يعلمهم انه على حربهم فتهيئوا للقتال ولم يتخلف من الاوس والخزرج أحد فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعا وقتل أبو قيس بن الاسلت الذين قتلوا أخاه ثم انهزمت الاوس فلام وحوح بن الاسلت أخاه أبا قيس وقال لا يزال منهزم من الخزرج فقال أبو قيس لاخيه ويكنى أبا حصين

أبلغ أبا حصن وبعـ * ـض القول عندي ذو كباره
ان ابن أم المرء ليـ * ـس من الحديد ولا الحجاره
ماذا عليكم ان يكو * ن لكم بها رحلا عماره
يحمي ذماركم وبعـ * ـض القوم لا يحمي ذماره
يبني لكم خيرا وين * بان الكريم له أثاره

في أبيات

(حرب ربيع الظفري)

ثم كانت حرب بين بني ظفر من الاوس وبين بني مالك بن النجار من الخزرج وكان سببها ان ربيعا الظفري كان يمر في مال لرجل من بني النجار الى مال له فمنعه النجاري فتنازعا فقتله ربيع فجمع قومهما فاقتتلوا قتالا شديدا كان أشد قتال بينهم فانهزمت بنو مالك بن النجار فقال قيس بن الخطيم الاوسي في ذلك

أجد بعمرة غنيانها * فتهجر أم شاننا شانها
فان تمس شطت بها دارها * وباح لك اليوم هجرانها
فما روضة من رياض القطا * كأن المصابيح حوذانها
بأحسن منها ولا مزنة * ولوج تكشف أدجانها
وعمرة من سروات النسا * ء تنفح بالمسك أردانها

(منها)

ونحن الفوارس يوم الربيع * قد علموا كيف أبدانها
جنونا لحرب وراء الصريخ * حتى تقصد مرانها
تراهن يخلجن خلج الدلا * ء يبادر بالنزع اشطانها

وهي طويلة فأجابه حسان بن ثابت الخزرجي بقصيدة أولها

لقد

سادس عشري الحجة وشاع هذا الكلام في الناس قاطبة حتى في القرى والارياف وودع الناس بعضهم بعضا ويقول الانسان لرفيقه بقي من عمرنا يومان وخرج الكثير من الناس والمخاليع الى الغيطان والمتنزهات ويقول بعضهم لبعض دعونا نعمل حظا ونودع الدنيا قبل ان تقوم القيامة وطلع أهل الجيزة نساء ورجالا وصاروا يغتسلون في البحر ومن الناس من علاه الحزن وداخله الوهم ومنهم من صار يتوب من ذنوبه ويدعو ويبتهل ويصلي واعتقدوا ذلك ووقع صدقه في نفوسهم ومن قال لهم خلاف ذلك أو قال هذا كذب لا يلتفتون لقوله ويقولون هذا صحيح وقاله فلان اليهودي وفلان القبطي وهما يعرفان في الجفور والزايرجات ولا يكذبان في شيء يقولانه وقد أخبر فلان منهم على خروج الريح الذي خرج في يوم كذا وفلان ذهب الى الامير الفلاني وأخبره بذلك وقال له احبسني الى يوم الجمعة وان لم تقم القيامة فاقتلني ونحو ذلك من وساوسهم وكثر فيهم الهرج والمرج الى يوم الجمعة المعين المذكور فلم يقع شيء ومضى يوم الجمعة وأصبح يوم السبت فانتقلوا يقولون فلان العالم قال ان سيدي أحمد البدوي والدسوقي والشافعي تشفعوا في ذلك وقبل الله شفاعتهم فيقول الآخر اللهم انفعنا بهم فاننا يا أخي لم نشبع من الدنيا وشارعون نعمل حظا ونحو ذلك من الهذيانات * وكم ذا بمصر من المضحكات * ولكنه ضحك كالبكا *

وأقام عثمان باشا في ولاية مصر الى سنة ثمان وأربعين ومائة وألف فكانت مدة ولايته بمصر سنة واحدة وخمسة أشهر

(وتولى بعده) باكير باشا وهي ولايته الثانية فقدم من جدة الى السويس من القلزم لانه كان واليا عليها بعد انفصاله من مصر فقدم يوم السبت رابع عشري شوال سنة سبع وأربعين ومائة وألف ولما ركب بالموكب كان خلفه من أتباعه نحو الثلاثين خيالا ملبسة بالزروخ المذهبة وله من الاولاد خمسة ركبوا امامه في الموكب وصرخت العامة في وجهه من جهة فساد المعاملة وهي الاخشا والمرادي والمقصوص والفندقلي فان الاخشا صار بستة عشر جديدا والمرادي باثني عشر والمقصوص بثمانية جدد وصار صرف الفندقلي بثلثمائة نصف والجنزرلي بمائتين وغلت بسبب ذلك الاسعار وصار الذي كان بالمقصوص بالديواني فلم يلتفت الباشا لذلك * وفي شهر القعدة ورد أغا وعلى يده مرسوم بطلب سفر ثلاثة آلاف عسكري لمحافظة بغداد وان يكون العسكر من أصحاب العثامنة ولا يرسلوا عسكرا من فلاحين القليوبية والجيزة والبحيرة وشرق اطفيح والمنصورة فقلدوا أمير السفر مصطفى بك أباظه حاكم جرجا سابقا وسافر حسن بك الدالي بالخزينة وارتحل من العادلية في منتصف شهر الحجة وكان خروجه بالموكب في أوائل رجب فاقام خارج القاهرة نحو خمسة أشهر وثمانية عشر يوما وركب مصطفى بك بموكب السفر يوم الخميس خامس الحجة وسافر في المحرم سنة ثمان واربعين * وفي عاشر الحجة يوم الاضحية قبل أذان العصر خرجت ريح سوداء غربية أظلمت منها الدنيا وحجبت نور الشمس فغرق منها مراكب وسقطت أشجار ومن

لقد هاج نفسك أشجانها * وغادرها اليوم أديانها

(ومنها)

ويثرب تعلم انا بها * اذا التبس الحق ميزانها
ويثرب تعلم انا بها * اذا قحط القطر نوآنها
ويثرب تعلم اذ حاربت * بانا لدى الحرب فرسانها
ويثرب تعلم أن النبيت * عند الهزاهز ذلانها

(ومنها)

متى ترنا الاوس في بيضنا * نهز القنا تخب نيرانها
وتعط القياد على رغمها * وتنزل ملهوما عصيانها
فلا تفخرن والقس ملجأ * فقد عاود الاوس أديانها

(حرب فارع بسبب الغلام القضاعي)

ومن أيامهم يوم فارع وسببه ان رجلا من بني النجار أصاب غلاما من قضاعة ثم من بلي وكان عم الغلام جار المعاذ بن النعمان بن امرئ القيس الاوسي والد سعد بن معاذ فاتى الغلام عمه يزوره فقتله النجاري فأرسل معاذ الى بني النجار ان ادفعوا الى دية جاري أو ابعثوا الى بقاتله أرى فيه رأيي فابوا ان يفعلوا فقال رجل من بني عبد الاشهل والله ان لم تفعلوا لانقتل به الا عامر بن الاطنابة وعامر من أشراف الخزرج فبلغ ذلك عامرا فقال

ألا من مبلغ الاكفاء عني * وقد تهدى النصيحة للنصيح
فانكم وما ترجون شطري * من القول المزجى والصريح
سيندم بعضكم عجلا عليه * وما أثر اللسان الى الجروح
أبت لي عزتي وأبى بلائي * وأخذي الحمد بالثمن الربيح
واعطائي على المكروه مالي * وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي
لادفع عن مآثر صالحات * واحمي بعد عن عرض صحيح
بذي شطب كلون الملح صاف * ونفس لا تقر على القبيح

فقال الربيع بن أبي الحقيق اليهودي في عراض قول عامر بن الاطنابة

ألا من مبلغ الاكفاء عني * فلا ظلم لدي ولا افتراء
فلست بغائظ الاكفاء ظلما * وعندي للملامات اجتزاء
فلم أر مثل من يدنو لخسف * له في الارض سير واستواء
وما بعض الاقامة في ديار * يهان بها الفتى الا عناء
وبعض القول ليس له علاج * كمحض الماء ليس له اناء
وبعض خلائق الاقوام داء * كداء الشح ليس له دواء

جملتها شجرة جميز عظيمة بناحية الشيخ فرج وهدمت دورا قديمة وشجرة اللبخة بديوان مصر القديمة ثم أعقبها بعد العشاء مطرة عظيمة ووصل أيوب بك أمير سفر العجم وطلع الى الديوان وألبسه الباشا قفطان القدوم والسدادرة وأصحاب الدركات وكانت مدة غيابه سنتين وثلاثة أشهر * وفي أيامه ورد أغا وعلى يده مراسيم وأوامر منها ابطال مرتبات الاولاد والعيال ومنها ابطال التوجيهات وان المال يقبض الى الديوان ويصرف من الديوان وان الدفاتر تبقى بالديوان ولا تنزل بها الافندية الى بيوتهم فلما قرئ ذلك قال القاضي أمر السلطان لا يخالف ويجب اطاعته فقال الشيخ سليمان المنصوري يا قاضي الاسلام هذه المرتبات فعل نائب السلطان وفعل النائب كفعل السلطان وهذا شئ جرت به العادة في مدة الملوك المتقدمين وتداولته الناس وصار يباع ويشرى ورتبوه على خيرات ومساجد وأسبلة ولا يجوز ابطال ذلك واذا بطل بطلت الخيرات وتعطلت الشعائر المرصدلها ذلك فلا يجوز لاحد يؤمن بالله ورسوله ان يبطل ذلك وان أمر ولي الامر بابطاله لا يسلم له ويخالف أمره لان ذلك مخالف للشرع ولا يسلم للامام في فعل ما يخالف الشرع ولا لنائبه أيضا فسكت القاضي فقال الباشا هذا يحتاج الى المراجعة ثم قال الشيخ سليمان وأما التوجيهات ففيها تنظيم وصلاح وأمر بتحليه وانه من الديوان على دالتو وكتب الشيخ عبد الله ليسوا الشبراوي عرضا في شأن المرتبات من انشائه ولولا خوف الاطالة لسطرته في هذا المجموع ثم انهم عملوا مصالحة على تنفيذ

وبعض الداء ملتمس شفاء * وداء النوك ليس له شفاء
يحب المرء ان يلقى نعيما * ويأبى الله الاما يشاء
ومن يك عاقلا لم يلق بؤسا * ينخ يوما بساحته القضاء
تعاوره بنات الدهر حتى * تثلمه كما ثلم الاناء
وكل شدائد نزلت بحي * سيأتي بعد شدتها رخاء
فقل للمتقي عرض المنايا * توق فليس ينفعك اتقاء
فما يعطى الحريص غنى بحرص * وقد ينمي لدى الجود الثراء
وليس بنافع ذا البخل مال * ولا مزر بصاحبه الحباء
غنى النفس ما استغنى بشئ * وفقر النفس ما عمرت شقاء
يود المرء ما فنى الليالي * وكان فناؤهن له فناء

فلما رأى معاذ بن النعمان امتناع بني النجار من الدية أو تسليم القاتل اليه تهيأ للحرب وتجهز هو وقومه واقتتلوا عند فارع وهو اطم حسان بن ثابت واشتد القتال بينهم ولم تزل الحرب بينهم حتى حمل ديته عامر بن الاطنابة فلما فعل صلح الذي كان بينهم وعادوا الى أحسن ما كانوا عليه فقال عامر بن الاطنابة في ذلك

صرمت ظليمة خلتي ومراسلي * وتباعدت عنا بزاد الراحل
جهلا وما تدري ظليمة انني * قد استقل بصرم غير الواصل
ذال ركابي حيث شئت مشيعي * انى أروع قطا المكان العاقل
اظليم ميدريك رب خليلة * حسن مرغمها كظبي الحائل
قد بت مالكها وشارب قهوة * درياقة روّيت منها واغلي
بيضاء صافية يرى من دونها * قعر الاناء يضيء وجه الناهل
ومراجل داجرة قطعت اذا جرى * فوق الاكام بذات لون بازل
أجد مراحلها كأن عفاءها * سقطان من كتفي ظليم جافل
فلنأ كذن بناجزمن مالنا * والنشر بن بدين عام قابل
انى من القوم الذين اذا انتدوا * بدأوا ببر الله ثم النائل
المانعين من الخنى جيرانهم * والحاشدين على طعام النازل
والخالطين فقيرهم بغنيهم * والباذلين عطاءهم للسائل
والضاربين الكبش يبرق بيضه * ضرب المهند عن حياض الناهل
والعاطفين على المصاف خيولهم * والملحقين رماحهم بالقاتل
والمدركين عدوهم بذحولهم * والنازلين لضرب كل منازل
والقائلين معاشر والقرانكم * ان المنية من وراء الوائل
خزر عيونهم الى اعدائهم * يمشون مشى الاسد تحت الوابل

ذلك فجعلوا على كل عثمانى نصف جنزرلى وحصروا المرتبات فى قائمقامية ابراهيم بك ابى شنب وابن درويش بك وقطامش وعلى بك الصغير تابع ذى الفقار بك من سنة ثلاثين فبلغت ثمانية واربعين ألف عثمانى

ليسوا بانكاس ولاميل اذا * ما الحرب شبت اشعلوا بالشاعل
لا يطبعون وهم على احسابهم * يشفون بالاحلام داء الجاهل
والقائلين فلا يعاب خطيبهم * يوم المقالة بالكلام الفاصل

وانما اثبتنا هذه الابيات وليس فيها ذكر الوقعة لجودتها وحسنها

(حرب حاطب)

ثم كانت الوقعة المعروفة بحاطب وهو حاطب بن قيس من بنى أمية بن زيد بن مالك بن عوف الاوسى وبينها وبين حرب سمير نحو مائة سنة وكان بينهما ايام ذكرنا المشهور منها وتركنا ما ليس بمشهور وحرب حاطب آخر وقعة كانت بينهم الا يوم بعاث حتى جاء الله بالاسلام وكان سبب هذه الحرب ان حاطبا كان رجلا شريفا سيدا فاتاه رجل من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان فنزل عليه ثم انه غدا يوما الى سوق بنى قينقاع فرآه يزيد بن الحرث المعروف بابن فسحم وهى امه وهو من بنى الحرث بن الخزرج فقال يزيد لرجل يهودى لك ردائى ان كسعت هذا الثعلبى فاخذ رداءه وكسعه كسعة سمعها من بالسوق فنادى الثعلبى يا لحاطب كسع ضيفك وفضح وأخبر حاطب بذلك فجاء اليه فساله من كسعه فاشار الى اليهودى فضربه حاطب بالسيف ففلق هامته فاخبر ابن فسحم الخبر وقيل له قتل اليهودى قتله حاطب فاسرع خلف حاطب فادركه وقد دخل بيوت أهله فلقى رجلا من بنى معاوية فقتله فثارت الحرب بين الاوس والخزرج واحتشدوا واجتمعوا والتقوا على جسر ردم بنى الحرث بن الخزرج وكان على الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضى وعلى الاوس حضير بن سماك الاشهلى وقد كان ذهب ذكر ما وقع بينهم من الحروب فيمن حولهم من العرب فسار اليهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى وخيار بن مالك بن حماد الفزارى فقدما المدينة وتحدثا مع الاوس والخزرج فى الصلح وضمنا ان يتحملا كل ما يدعى بعضهم على بعض فابوا ووقعت الحرب عند الجسر وشهدها عيينة وخيار فشاهدا من قتالهم وشدتها ما أيسا معه من الاصلاح بينهم فكان الظفر يومئذ للخزرج وهذا اليوم من أشهر أيامهم وكان بعده عدة وقائع كلها من حرب حاطب

(فمنها يوم الربيع)

وسببه أنه التقت الانصار بعد يوم الجسر بالربيع وهو حائط فى ناحية السفح فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كاد يفنى بعضهم بعضا فانهزمت الاوس وتبعها الخزرج حتى بلغوا دورهم وكانوا قبل ذلك اذا انهزمت احدى الطائفتين فدخلت دورهم كفت الاخرى عن اتباعهم فلما تبع الخزرج الاوس الى دورهم طلبت الصلح فامتنعت بنو النجار من الخزرج عن اجابتهم فحصنت الاوس النساء والذرارى فى الآطام وهى الحصون

فكانت أربعة وعشرين ألف جنزرلى فقسموها بينهم وأرسلوا الى عثمان بك ورضوان بك ألف جنزرلى فابيا من قبولها وقالا هذه دموع الفقراء والمساكين فلا نأخذ منها شيئا فان رجع رد الجواب بالقبول كانت مظلمة وان جاء بعدم القبول كانت مظلمتين *(ووقع الطاعون)* المسمى بطاعون كوو ويسمى أيضا الفصل العائق يأخذ على الرائق ومات به كثير من الاعيان وغيرهم بحيث مات من بيت عثمان كتخدا القازدغلى فقط مائة وعشرون نفسا وصارت الناس تدفن الموتى بالليل فى المشاعل ووقع فى أيامه الفتنة التى قتل فيها عدة من الامراء وسببها ان صالح كاشف زوج هانم بنت ايواظ بك كان ملتجئا الى عثمان بك ذى الفقار وتزوج بنت ايواظ بك بعد يوسف بك الخائن وكان من القاسمية فغرضته على طلب الامارة والصنجقية وتأخذ له فائظ عشرين كيسا وكلم عثمان بك فى شأن ذلك فوعده ببلوغ مراده وخاطب محمد بك قيطاس المعروف بقطامش وهو اذ ذاك كبير القوم فى ذلك فلم يجبه وقال له تريد ان تفتح بيتا للقاسمية فيقتلونا على غفلة هذا لا يكون أبدا ما دمت حيا وكان عثمان بك المذكور أخذ كشوفية المنصورة فانزل فيها صالح كاشف قائمقام فلما كمل السنة ورجع تحركت

ثم كفت عنهم الخزرج فقال صخر بن سليمان البياضى

الا أبلغا عنى سويد بن صامت * ورهط سويد بلغا وابن الاسلت
بانا قتلنا بالربيع سراتكم * واذلت مجروحا به كل مفلت
فلولا حقوق فى العشيرة انها * ادلت بحق واجب ان ادلت
لنالهم منا كما كان نالهم * مقانب خيل أهلكت حين حلت

فاجابه سويد بن الصامت

الا ابلغا عنى صخيرا رسالة * فقد ذقت حرب الاوس فيها ابن الاسلت
قتلنا سرايا كم بقتلى سراتنا * وليس الذى ينجو اليكم بمفلت *

(ومنها يوم البقيع)

ثم التقت الاوس والخزرج ببقيع الغرقد فاقتتلوا قتالا شديدا فكان الظفر يومئذ للاوس فقال عبيد بن ناقد الاوسى

لما رأيت بنى عوف وجمعهم * جاؤا وجمع بنى النجار قد حفلوا
دعوت قومى وسهلت الطريق لهم * الى المكان الذى أصحابه حللوا
جادت بانفسها من مالك عصب * يوم اللقاء فما خافوا ولا فشلوا
وعاوروكم كؤس الموت اذ برزوا * شطر النهار وحتى ادبر الاصل
حتى استقاموا وقد طال المراس بهم * فكلهم من دماء القوم قد نهلوا
تكشف البيض عن قتلى أولى رحم * لولا المسالم والارحام ما قتلوا
تقول كل فتاة غاب قيمها * اكل من خلفنا من قومنا قتلوا
لقد قتلتم كريما ذا محافظة * قد كان حالفه القينات والحلل
جزل نوافله حلو شمائله * ريان واغله تشقى به الابل

الواغل الذى يدخل على القوم وهم يشربون فاجابه عبد الله بن رواحة الحارثى الخزرجى

لما رأيت بنى عوف واخوتهم * كعبا وجمع بنى النجار قد حفلوا
قدما أباحوا حماكم بالسيوف ولم * يفعل بكم أحد مثل الذى فعلوا

وكان رئيس الاوس يومئذ فى حرب حاطب أبو قيس بن الاسلت الوائلى فقام فى حربهم وهجر الراحة فشحب وتغير وجاء يوما الى امرأته فانكرته حتى عرفته بكلامه فقالت له لقد أنكرتك حتى تكلمت فقال

قالت ولم تقصد لقيل الخنى * مهلا فقد ابلغت اسماعى
واستنكرت لونا له شاحبا * والحرب غول ذات أوجاع
من يذق الحرب يجد طعمها * مرا وتتركه بجعجاع
قد حصت البيضة رأسى فما * أطعم نوما غير تهجاع

الهمة الى طلب الصنجقية وعاود عثمان بك فى الخطاب وهو كذلك تكلم مع محمد بك فصمم على الامتناع فوقع على الاغوات والاختيارية فلم يجب ولم يرض ووافقه على الامتناع على بك تابع المذكور وخليل أفندى فذهب صالح كاشف الى عثمان كتخدا القازدغلى واتفق معه على قتل الثلاثة وقال له اعمل تدبيرا فى قتلهم فذهب الى رضوان بك أمير الحاج سابقا وسليمان بك الفراش فاتفق معهما على قتل الثلاثة فى بيت محمد بك الدفتردار باطلاع باكير باشا وعرفوا محمد بك بذلك فرضى وكتب فرمانا بالجمعية فى بيت الدفتردار بسبب الحلوان والخزينة فركبوا بعد العصر الى بيت محمد بك قطامش وركبوا معه الى بيت الدفتردار وصحبتهم على بك وصالح بك وخليل أفندى وأغات الجملية وعلى صالح جربجى واختيار من الاسباهية ويوسف كتخدا البركاوى وحضر عثمان بك ذو الفقار وعثمان كتخدا القازدغلى وأحمد كتخدا الخربطلى وكتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة وعلى جلبى الترجمان فلما تكاملت الجمعية أمر محمد بك قطامش بكتابة عرضحال وقال للكاتب اكتب كذا وكذا فطلع الى خارج وصحبته كتخدا الجاويشية ومتفرقه باشا وجلس يكتب فى العرض وقد قرب الغروب فارادوا الانصراف فوقف الدفتردار وقال هاتوا شربات وكان ذلك القول هو الاشارة مع صالح كاشف وعثمان كاشف ومملوك اسمى سليمان بك ففتحوا باب الخزانة وخرج منها جماعة بطرابيش وهم شاهرون السلاح فوقف محمد بك قطامش على أقدامه

أسعى على جل بنى مالك * كل امرئ فى شأنه ساعى
اعددت للاعداء موضونة * فضفاضة كالنهى بالقاع
أحفزها عنى بذى رونق * مهند كاللمع قطاع
صدق حسام وادق حده * ومجنإ اسمر قراع

وهى طويلة * ثم ان أباقيس بن اسلت جمع الاوس وقال لهم ما كنت رئيس قوم قط الا هزم وافر تسوّ عليكم من احببتم فرأسوا عليهم حضير الكتائب بن السماك الاشهلى وهو والد أسيد بن حضير لولده صحبة وهو بدرى فصار حضير يلى أمورهم فى حربهم فالتقى الاوس والخزرج بمكان يقال له الغرس فكان الظفر للاوس ثم تراسلوا فى الصلح فاصطلحوا على ان يحسبوا القتلى فمن كان عليه الفضل أعطى الدية فافضلت الاوس على الخزرج ثلاثة نفر فدفعت الخزرج ثلاثة غلمة منهم رهنا بالديات فغدرت الاوس فقتلت الغلمان

(حرب الفجار الاول للانصار)

ولیس بفجار كنانة وقيس فلما قتلت الاوس الغلمان جمعت الخزرج وحشدوا والتقوا بالحدائق وعلى الخزرج عبد الله بن أبى ابن سلول وعلى الاوس أبو قيس بن الاسلت فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كاد بعضهم يفنى بعضا وسمى ذلك اليوم يوم الفجار لغدرهم بالغلمان وهو الفجار الاول فكان قيس بن الخطيم فى حائط له فانصرف فوافى قومه قد برزوا للقتال فهل عن أخذ سلاحه الا السيف ثم خرج معهم فعظم مقامه يومئذ وابلى بلاء حسنا وجرح جراحة شديدة فمكث حينا يتداوى منها وأمر ان يحتمى عن الماء وفى ذلك يقول عبد الله بن رواحة

رمينا لك أيام الفجار فلم تزل * حيا فمن يشرب فلست بشارب

(يوم معبس ومضرس)

ثم التقوا عند معبس ومضرس وهما جداران فكانت الخزرج وراء مضرس وكانت الاوس وراء معبس فاقاموا أياما يقتتلون قتالا شديدا ثم انهزمت الاوس حتى دخلت البيوت والآطام وكانت هزيمة قبيحة لم ينهزموا مثلها ثم ان بنى عمرو بن عوف وبنى اوس مناة من الاوس وادعوا الخزرج فامتنع من الموادعة بنو عبد الاشهل وبنو ظفر وغيرهم من الاوس وقالوا لانصالح حتى ندرك ثارنا من الخزرج فالحت الخزرج عليهم بالاذى والغارة حين وادعهم بنو عمرو بن عوف واوس مناة فعزمت الاوس الامن ذكرنا على الانتقال من المدينة فاغارت بنو سلمة على مال لبنى عبد الاشهل يقال له الرعل فقاتلوهم عليه فجرح سعد بن معاذ الاشهلى جراحة شديدة واحتمله بنو سلمة الى عمرو بن الجموح الخزرجى فاجاره وأجار الرعل من الحريق وقطع الاشجار فلما كان

وقال هى خونة فضربه الضارب بالقرابينة فى صدره ووقع الضرب وهاج الجالس فى دخنة البارود وظلام الوقت فلم يعلم القاتل من المقتول وعندما سمع كتخدا الجاويشية أوّل ضربة وهو جالس مع الافندى الكاتب نزل مسرعا وركب وعلى الترجمان التى بنفسه من شباك الجنينة وعثمان بك ذو الفقار أصابه سيف فقطع شاشه وقاووقه ودفعه صالح كاشف فنجا بنفسه الى أسفل وركب حصان بعض الطوائف وخرج من باب البركة وأصيب باش اختيار مستحفظان البرلى بجراحة قوية فارسلوه الى منزله ومات بعد ثلاثة أيام ثم أوقدوا الشموع وتفقدوا المقتولين واذاهم محمد بك قطامش وعلى بك تابعه وصالح بك وعثمان بك كتخدا القازدغلى وأحمد كتخدا الخربطلى ويوسف كتخدا البركاوى وخليل أفندى وأغات الجملية وعلى صالح جربجى والاسباهى تتمة عشرة وباش اختيار الذى مات بعد ذلك فى بيته فعروا المقتولين ثيابهم وقطعوا رؤسهم وأتوا بهم جامع السلطان حسن فوجدوه مغلوقا فاحرقوا ضرفة الباب الذى جهة سوق السلاح ووضعوا الرؤس العشرة على البسطة ووضعوا عند كل رأس شيأ من التبن وظنوا انهم غالبون وطلع صالح كاشف الى الباشا من باب الميدان فخلع عليه الصنجقية فطلب منه دراهم يفرقها فى العسكر المجتمعين اليه فقال له انزل لاشغالك وأنا أرسل اليك ما تطلب فنزل الى السلطان حسن فوجد محمد كتخدا الداودية حضر بتباعته وجماعة هنالك يظن انهم غالبون وعندما بلغ الخبر سليمان كتخدا

الجانى ركب فى جماعته بعد المغرب وطلع الى باب العزب وكان كتخدا الوقت اذذاك أحمد كتخدا اشراق يوسف كتخدا البركاوى فطرق الباب فقال التفكجية من هذا فعرفهم عن نفسه فقال الكتخدا قولوا له أنت توليت الكتخدائية وتعرف القانون وان الباب لا يفتح بعد الغروب فان كان له حاجة يأتى فى الصباح وأما عثمان بك فانه لما خرج من باب البركة وشاشه مقطوع لم يزل سائرا الى باب الينكجرية فوجده ملآن جاويشية وواجب رعايا ونفر وطلع عندهم عمر جلبى ابن على بك قطامش فأخذه حسن جاويش الجلفى ومعه طائفة وطلع به الى الباشا بعد نزول صالح كاشف فخلع عليه صنجقية أبيه وأعطاه فرمانا بالخروج من حق الذين قتلوا الامراء وحرقوا باب المجلس ونزل فردعلى كتخدا الوقت وصحبته حسن جاويش الجلفى ومعهم بيرق وأنفار وواجب رعايا من الحجر خلف جامع المحمودية وبيت الحصرى وزاوية الرفاعى وكانت ليلة مولد وهى أول جمعة فى شهر رجب سنة تسع وأربعين ومائة وألف فعملوا متريزا على باب الدرب قبالة باب السلطان حسن وضربوا عليهم بالرصاص وكذلك من باب العزب وبيت الاغا وكان اغات العزب عبد اللطيف افندى روزنامجى مصر سابقا واما صالح بك فانه انتظر وعد الباشا فلم يرسل له شيأ فأخذ رضوان بك وعثمان كاشف ومملوك سليمان بك واختفوا فى خان الخليلى واختفى فذلوا
أصحابه وبلغ اسمعيل ومحمد كتخدا الداودية فندم على مافعل فركب بجماعته وذهب الى بيت مصطفى بك الدمياطى فوجده

يوم بعاث جازاه سعد على ماقد كره ان شاء الله ثم سارت الاوس الى مكة لتحالف قريشا على الخزرج واظهروا انهم يريدون العمرة وكانت عادتهم انه اذا أراد احدهم العمرة أو الحج لم يعرض اليه خصمه ويعلق المعتمر على بيته كرانيف النخل ففعلوا ذلك وساروا الى مكة فقدموها وحالفوا قريشا وأبو جهل غائب فلما قدم أنكر ذلك وقال لقريش اما سمعتم قول الاول ويل للاهل من النازل انهم لاهل عدد وجلد ولقلما نزل قوم على قوم الا أخرجوهم من بلادهم وغلبوهم عليه قالوا فالمخرج من حلفهم قال أنا أكفيكموهم ثم خرج حتى جاء الاوس فقال انكم حالفتم قومى وأنا غائب فجئت لاحالفكم واذكر لكم من أمرنا ما تكونون بعده على رأس أمركم انا قوم تخرج اماؤنا الى أسواقنا ولا يزال الرجل منا يدرك الامة فيضرب عجيزتها فان طابت أنفسكم ان تفعل نساؤكم مثل ما تفعل نساؤنا حالفنا كم وان كرهتم ذلك فردوا الينا حلفنا فقالوا لانقر بهذا وكانت الانصار باسرها فيهم غيرة شديدة فردوا اليهم حلفهم وساروا الى بلادهم فقال حسان بن ثابت يفخر بما أصاب قومه من الاوس

الا أبلغ أباقيس رسولا * اذا القى له سمع مبين
فلست لحاصن ان لم تزركم * خلال الدار مسبلة طحون
يدين لها العزيز اذا رآها * ويسقط من مخافتها الجنين
تشيب الناهد العذراء منها * ويهرب من مخافتها القطين
يطوف بها من النجار أسد * كأسد الغيل مسكنها العرين
يظل الليث فيها مستكينا * له فى كل ملتفت أنين
كأن بهاءها للناظريها * من الاسلات والبيض الفتين
كأنهم من المأذى عليهم * جمال حين يجتلدون جون
فقد لاقاك قبل بعاث قتل * وبعد بعاث ذل مستكين

وهى طويلة أيضا

(يوم الفجار الثانى للانصار)

كانت الاوس قد طلبت من قريظة والنضير ان يحالفوهم على الخزرج فبلغ ذلك الخزرج فارسلوا اليهم يؤذنونهم بالحرب فقالت اليهود انا لا نريد ذلك فاخذت الخزرج رهنهم على الوفاء وهم أربعون غلاما من قريظة والنضير ثم ان يزيد بن فسحم شرب يوما فسكر فتغنى بشعر يذكر فيه ذلك

هلم الى الاحلاف اذرق عظمهم * واذ أصلحوا ما لا لجذمان ضائعا
اذا ما امرؤ منهم اساء عمارة * بعثنا عليهم من بنى العير جادعا
فاما الصريخ منهم فتحملوا * وأما اليهود فاتخذنا بضائعا
أخذنا من الاولى اليهود عصابة * لغدرهم كانوا لدينا ودائعا

فذلوا الرهن عندنا في حبالنا * مصانعة يخشون منا القوارعا

وذلك بانا حين نلقى عدونا * نصول بضرب يترك العز خاشعا

فبلغ قوله قريظة والنضير فغضبوا وقال كعب بن أسد نحن كما قال ان لم نغر فخالف الاوس على الخزرج فلما سمعت الخزرج بذلك قتلوا كل من عندهم من الرهن من أولاد قريظة والنضير واطلقوا نفرا منهم سليم بن أسد القرظي جد محمد بن كعب بن سليم واجتمعت الاوس وقريظة والنضير على حرب الخزرج فاقتتلوا قتالا شديدا وسمي ذلك الفجار الثاني لقتل الغلمان من اليهود وقد قيل في قتل الغلمان غير هذا وهو ان عمرو بن النعمان البياضي الخزرجي قال لقومه بني بياضة ان أبا كم أنزلكم منزلة سوء والله لا يمس رأسي ماء حتى أنزلكم منازل قريظة والنضير أو أقتل رهنهم وكانت منازل قريظة والنضير خير البقاع فارسل الى قريظة والنضير اما ان تخلوا بيننا وبين دياركم واما أن نقتل الرهن فهموا بان يخرجوا من ديارهم فقال لهم كعب بن أسيد القرظي يا قوم امنعوا دياركم وخلوه يقتل الغلمان ماهي الا ليلة يصيب فيها أحدكم امرأته حتى يولد له مثل أحدهم فارسلوا اليهم انا لا ننتقل عن ديارنا فانظروا في رهننا فعوا لنا فعدا عمرو بن النعمان على رهنهم فقتلهم وخالفه عبد الله بن أبي ابن سلول فقال هذا بغي واثم ونهاه عن قتلهم وقتال قومه من الاوس وقال له كأني بك وقد حملت قتيلا في عباءة يحملك أربعة رجال فلم يقتل هو ومن أطاعه أحدا من الغلمان وأطلقوهم ومنهم سليم ابن أسد جد محمد بن كعب وحالفت حينئذ قريظة والنضير الاوس على الخزرج وجرى بينهم قتال سمي ذلك اليوم يوم الفجار الثاني وهذا القول أشبه بان يسمى اليوم فجارا وأما على القول الاول فانما قتلوا الرهن جزاء الغدر من اليهود فليس بفجار من الخزرج الا أن يسمى فجار الغدر اليهود

(يوم بعاث)

ثم ان قريظة والنضير جددوا العهود مع الاوس على المؤازرة والتناصر واستحكم أمرهم وجدوا في حربهم ودخل معهم قبائل من اليهود غير من ذكرنا فلما سمعت بذلك الخزرج جمعت وحشدت وراسلت حلفاءها من أشجع وجهينة وراسلت الاوس حلفاءها من مزينة ومكثوا أربعين يوما يتجهزون للحرب والتقوا ببعاث وهي من أعمال قريظة وعلى الاوس حضير الكتائب بن سماك والد أسيد بن حضير وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي وتخالف عبد الله بن أبي ابن سلول فيمن تبعه من الخزرج وتخلف بنو حارثة بن الحرث عن الاوس فلما التقوا اقتتلوا قتالا شديدا وصبروا جميعا ثم ان الاوس وجدت مس السلاح فولوا منهزمين نحو العريض فلما رأى حضير هزيمتهم برك وطعن قدمه بسنان رمحه وصاح واعقراه كعقر الجمل والله لا أعود حتى أقتل فان شئتم يا معشر الاوس ان تسلموني فافعلوا فعطفوا عليه وقاتل عنه غلامان من بني عبد

مقفولا فطرق الباب فلم يجبه أحد فذهب الى بيت ابراهيم بك بالغيه ودخل هنالك ولما بطل الرمي من السلطان حسن هجم حسن جاويش فلم يجد به أحدا ولما طلع النهار ذهبوا الى بيت الدفتردار فنهبوه ونهبوا أيضا بيت رضوان بك وذهبوا الى سليمان بك قتلوه وقطعوا رأسه ونهبوا البيت وأتوا الى الباب ثم ان السبع وجاقات اجتمعوا في بيت علي كتخدا الجلفي وقالوا له انت بيت سر يوسف كتخدا البركاوي ولا يفعل شيأ الا باطلاعك وعندك خبر بقتل أمرائنا وأعياننا والشاهد على ذلك مجيء خشداشك سليمان كتخدا بعد المغرب بطائفته عند باب العزب فحلف بالله العظيم لم يكن عنده خبر بشيء من ذلك ولا بمجيء سليمان كتخدا الى الباب ولكن أي شيء جاء محمد كتخدا الداودية الى السلطان حسن ثم انهم أنزلوا أبا كبر باشا وعزلوه وطلبوا عليه حلوان بلاد المقتولين وكتبوا عرض محضر وسفروه صحبة سبعة أنفار فحضر مصطفى أغا أمير اخور كبير ومعه مرسوم من الدولة بضبط متروكات المقتولين فمكث بمصر شهرين ثم ورد أمر بولايته على مصر وتوجيه باكير باشا الى جده فتولى مصطفى باشا قائمقام والي مصر الى سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف * وتولى بعده سليمان باشا الشامي الشهير بابن العظم ولما استقر في ولاية مصر أراد ايقاع فتنة بين الامراء فضم اليه عمر بك ابن علي بك قطامش فارسل اليه من يأمنه على سره واتفق معه على قتل عثمان بك ذي الفقار وابراهيم بك قطامش وعبد الله كتخدا القازدغلي وعلي كتخدا الجلفي وهم اذ ذاك أصحاب الرياسة بمصر ووعده نظير ذلك امارة مصر

والحاج وان يعطيه من بلادهم فانطا عشرين كيسا فجمع عمر بك خليل أغا وأحمد كتخدا عزبان وابراهيم جاويش قازدغلي

واختلى بهم وعرفهم بالمقصود وتكفل أحمد كتخدا بقتل علي كتخدا وخليل أغا بعثمان بك وابراهيم جاويش بعبد

الله كتخدا واذا انفرد ابراهيم بك أخذوه بعد ذلك بحيلة وقتلوه في الديوان ثم ان أحمد كتخدا أغرى بعلي كتخدا لاظ ابراهيم فقتل علي كتخدا عند بيت أقبري وهو طالع الى الديوان وبلغ الخبر عثمان بك فتدارك الامر وخلص من القضية حتى انكشف له سرها وعلم شغله وقتل أحمد كتخدا وعندما قتل علي كتخدا ظن الباشا تمام المقصد فاراد أن يملك باب الينكجرية بحيلة وأرسل مائتي تفكجي ومعهم مطرجي وجوخدار وهم مستعدون بالاسلحة فمنعهم التفكجية من العبور وطلب الكتخدا شخصين من أعيانهم يسألهما عن مرادهم فقالا ان الباشا متصرف في حقنا ولم يعطنا علائفنا فارسل معهم باش جاويش بالسلام على الباشا من الاختيارية والوصية بهم فقبل ذلك ولم يتمكن من مراده ثم ان حسين بك الخشاب طلع الى باب العزب وتحيل في نزول أحمد كتخدا من الباب ومات هو والباب واجتمعوا بعد ذلك وأمروا الباشا بالنزول الى قصر يوسف فركب وأراد ان يدخل الى باب الينكجرية فرفعوا عليه البنادق فدخل الى قصر يوسف فوجده خرابا فاخذ حسن جاويش القيدلي خاطر الينكجرية على نزوله بيت الاغا وانتقل الاغا الى السرجي فاقام الباشا الى أن نزل بيت السردار وسافر بعد ذلك

الاشهل يقال لهما محمود ويزيد ابنا خليفة حتى قتلا وأقبل سهم لا يدرى من رمى به فاصاب عمرو بن النعمان البياضي رئيس الخزرج فقتله فبينما عبد الله بن أبي ابن سلول يتردد راكبا قريبا من بعاث يتجسس الاخبار اذ طلع عليه بعمرو بن النعمان قتيلا في عباءة يحمله أربعة رجال كما كان قال له فلما رآه قال ذق وبال البغي وانهزمت الخزرج ووضعت فيهم الاوس السلاح فصاح صائح يا معشر الاوس احسنوا ولا تهلكوا اخوانكم فجوارهم خير من جوار الثعالب فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم وانما سلبهم قريظة والنضير وحملت الاوس حضيرا مجروحا فمات واحرقت الاوس دور الخزرج ونخيلهم فاجار سعد بن معاذ الاشهلي أموال بني سلمة ونخيلهم ودورهم جزاء بما فعل له في الرعل وقد تقدم ذكره ونجى يومئذ الزبير بن اياس بن باطا ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي أخذه فجز ناصيته وأطلقه وهي اليد التي جازاه بها ثابت في الاسلام يوم بني قريظة وسنذكره وكان يوم بعاث آخر الحروب المشهورة بين الاوس والخزرج ثم جاء الاسلام واتفقت الكلمة واجتمعوا على نصر الاسلام وأهله وكفى الله المؤمنين القتال وأكثرت الانصار والاشعار في يوم بعاث فمن ذلك قول قيس بن الخطيم الظفري الاوسي

أتعرف رسما كاطراد المذاهب * لعمرة وحشا غير موقف راكب
ديار التي كانت ونحن على منى * تحل بنا لولا نجاء الركائب
تبدت لنا كالشمس تحت غمامة * بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ومنها

وكنت امرأ لا أبعث الحرب ظالما * فلما أبوا أشعلتها كل جانب
أذنت بدفع الحرب حتى رأيتها * عن الدفع لا تزداد غير تقارب
فلما رأيت الحرب حربا تجردت * لبست مع البردين ثوب المحارب
مضاعفة يغشى الانامل ريعها * كأن قتيرها عيون الجنادب
ترى قصد المران تلقى كأنها * تذرع خرصان بأيدي الشواطب
وساعدني منكم كاهنين ومالك * وثعلبة الاخيار رهط المصاعب
رجال متى يدعوا الى الحرب يسرعوا * كمشي الجمال المشعلات المصاعب
اذا ما فررنا كان أسوا فرارنا * صدود الخدود وازورار المناكب
صدود الخدود والقنا متشاجر * ولا تبرح الاقدام عند التضارب
ظأرناكم بالبيض حتى لأنتم * أذل من السقبان بين الحلائب
يجردن بيضا كل يوم كريهة * ويرجعن حمرا حاميات المضارب
لقيتكم يوم الحدائق حاسرا * كأن يدي بالسيف مخراق لاعب
ويوم بعاث أسلمتنا سيوفنا * الى حسب في جذم غسان ثاقب

قتلنا

قتلنا كمو يوم الفجار وقبله * ويوم بعاث كان يوم التغالب
أتت عصب للاوس تخطر بالقنا * كمشي الاسود في رشاش الاهاضب

فأجابه عبد الله بن رواحة

أشاقتك ليلى في الخليط المجانب * نعم فرشاش الدمع في الصدر غالب
بكى اثر من شطت نواه ولم يقم * لحاجة محزون شكا الحب ناصب
لدن غدوة حتى اذا الشمس عارضت * أراحت له من لبه كل غارب
تحامى على احسابنا بتلادنا * لمفتقر أو سائل الحق واجب
واعمى هدته للسبيل سيوفنا * وخصم أقمنا بعد مانج ثاعب
ومعترك ضنك يرى الموت وسطه * مشينا له مشي الجمال المصاعب
برجل ترى الماذي فوق جلودهم * وبيضا نقيا مثل لون الكواكب
وهم حسر لا في الدروع تخالهم * أسودا متى تنشا الرماح تضارب
معاقلهم في كل يوم كريهة * مع الصدق منسوب السيوف القواضب

وهي طويلة وليلى التي شبب بها ابن رواحة هي أخت قيس بن الخطيم وعمرة التي شبب بها ابن الخطيم هي أخت عبد الله بن رواحة وهي ام النعمان بن بشير الانصاري (بعاث بضم الباء الموحدة وبالعين المهملة وقال صاحب كتاب العين وحده وهو بالغين المعجمة)

(ذكر غلبة ثقيف على الطائف والحرب بين الاحلاف وبني مالك)

كانت أرض الطائف قديما لعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر فلما كثر بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان غلبوهم على الطائف بعد قتال شديد وكان بنو عامر يصيفون بالطائف ويشتون بارضهم من نجد وكانت مساكن ثقيف حول الطائف وقد اختلف الناس فيهم فمنهم من جعلهم من اياد فقال ثقيف اسمه قسي بن نبت بن منبه بن منصور بن يقدم بن افصى بن دعمي بن اياد بن معد ومنهم من جعلهم من هوازن فقال هو قيس بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان فرأت ثقيف البلاد فاعجبهم نباتها وطيب ثمرها فقالوا لبني عامر ان هذه الارض لا تصلح للزرع وانما هي أرض ضرع ونراكم على ان آثرتم الماشية على الغراس ونحن اناس ليست لنا مواش فهل لكم ان تجمعوا الزرع والضرع بغير مؤنة تدفعون الينا بلادكم هذه فنثيرها ونغرسها ونحفر فيها الاطواء ولا نكلفكم مؤنة نحن نكفيكم المؤنة والعمل فاذا كان وقت ادراك الثمر كان لكم النصف كاملا ولنا النصف بما عملنا فرغب بنو عامر في ذلك وسلموا اليهم الارض فنزلت ثقيف الطائف واقتسموا البلاد وعملوا الارض وزرعوها من الاعناب والثمار ووفوا بما شرطوا لبني عامر حينا من الدهر وكان بنو عامر يمنعون ثقيفا ممن أرادهم من العرب فلما كثرت ثقيف وشرفت حصنت

فكانت ولايته على مصر الى شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف * ثم تولى بعده الوزير علي باشا حكيم أوغلي وهي توليته الاولى بمصر فدخل مصر في شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين ومكث الى عاشر جمادى الاولى سنة أربع وخمسين ومائة والف ونزل سليمان باشا الى بيت البيرقدار وعمل علي باشا أول ديوان بقراميدان بحضرة الجم الغفير وقرئ مرسوم الولاية بحضرة الجميع ثم قال الباشا أنا لم آت الى مصر لاجل اثارة فتن بين الامراء وافراء ناس على ناس وانما أتيت لاعطي كل ذي حق حقه وحضرة السلطان أعطاني المقاطعات وأنا أنعمت بها عليكم فلا تتعبوني في خلاص المال والغلال وأخذ عليهم حجة بذلك وانفض المجلس ثم انه سلم على الشيخ البكري وقال له أنا بعد غد ضيفك ثم ركب وطلع الى السراية وأرسل الى الشيخ البكري هدية وأغناما وسكرا وعسلا ومربات ونزل اليه في الميعاد وأمر ببناء رصيف الجنينة التي في بيته وكان له فيه اعتقاد عظيم لرؤيا منامية رآها في بعض سفراته منقولة عنه مشهورة وكانت أيامه أمنا وأمانا والفتن ساكنة والاحوال مطمئنة ثم عزل ونزل الى قصر عثمان كتخدا القازدغلي بين بولاق وقصر العيني * ثم تولى يحيى باشا ودخل الى مصر وطلع الى القلعة في موكبه على العادة وطلع اليه علي باشا وسلم عليه ونزل هو والآخر وسلم على علي باشا بالقصر ودعاه عثمان بك ذو الفقار وعمل له وليمة في بيته وقدم له تقادم كثيرة وهدايا ولم يتفق نظير ذلك فيما تقدم ان الباشا نزل الى بيت أحد من الامراء في دعوة وانما كان الامراء

يعملون لهم الولائم بالقصور في الخلاء مثل قصر العيني أو المقياس وأقام يحيى باشا في ولاية مصر الى ان عزل في عشرين

شهر رجب سنة ست وخمسين ومائة وألف * وتولى بعده محمد باشا اليدكشي وحضر الى مصر

وطلع الى القلعة وفي أيامه كتب فرمان بابطال شرب الدخان في الشوارع وعلى الدكاكين وأبواب البيوت ونزل الاغا والوالي فنادوا بذلك وشددوا في الانكار والنكال بمن يفعل ذلك من عال أودون وصار الاغا يشق البلد في التبديل كل يوم ثلاث مرات وكل من رأى في يده آلة الدخان عاقبه وربما أطعمه الحجر الذي يوضع فيه الدخان بالنار وكذلك الوالي (وفي أيامه) أيضا قامت العسكر بطلب جراياتهم وعلائفهم من الشون ولم يكن بالشون أردب واحد فكتب الباشا فرمانا بعمل جمعية في بيت على بك الدمياطي الدفتردار وينظروا الغلال في ذمة أي من كان يخلصونها منه فلما كان في ثاني يوم اجتمعوا وحضر الروزنامجي وكاتب الغلال والتلقات وأخبروا ان بذمة ابراهيم بك قطامش أربعين ألف اردب والمذكور لم يكن في الجمعية وانتظروه فلم يأت فأرسلوا له كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة فامتنع من الحضور في الجمهور وقال الذي له عندي حاجة يأتي عندي فرجعوا وأخبروهم

بما قال فقال العسكر نذهب اليه ونهدم بيته على دماغه فقاموا وأتوا دار السعادة وأخذوا معهم من بجمشورة

كل بلك اثنين اختيارية وذهبوا الى ابراهيم بك قطامش فقال له الركين أي شيء هذا الكلام والعسكر قائمة على اختيار بيتها

بلادها وبنوا سورا على الطائف وحصنوه ومنعوا عامرا مما كانوا يحملونه اليهم عن نصف الثمار وأراد بنو عامر أخذه منهم فلم يقدروا عليه فقاتلوهم فلم يظفروا وكانت ثقيف بطنين الاحلاف وبني مالك وكان للاحلاف في هذا أثر عظيم ولم يزل تعتد بذلك على بني مالك فاقاموا كذلك ثم ان الاحلاف أثروا وكثرت خيلهم فحموا لها حمى من أرض بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوزان يقال له حلذان فغضب من ذلك بنو نصر وقاتلوهم عليه ولجت الحرب بينهم وكان رأس بني نصر عفيف بن عوف بن عباد النصري ثم اليربوعي ورأس الاحلاف مسعود بن معتب فلما لجت الحرب بين بني نصر والاحلاف اغتنم ذلك بنو مالك ورئيسهم جندب بن عوف بن الحرث بن مالك بن حطيط بن جشم من ثقيف لضغائن كانت بينهم وبين الاحلاف فحالفوا بني يربوع على الاحلاف فلما سمعت الاحلاف بذلك اجتمعوا وكان أول قتال بين الاحلاف وبين بني مالك وحلفائهم من بني نصر يوم الطائف واقتتلوا قتالا شديدا فانتصر الاحلاف واخرجوهم منه الى واد من وراء الطائف يقال له لحب (١) وقتل من بني مالك وبني يربوع مقتلة عظيمة في شعب من شعاب ذلك الجبل يقال له الابان ثم اقتتلوا بعد ذلك أياما مسميات منهن يوم عمر ذي كندة من نحو نخلة ومنهن يوم كرونا (٢) من نحو حلوان وصاح عفيف بن عوف اليربوعي في ذلك اليوم صيحة يزعمون ان سبعين حبلى منهم ألقت ما في بطنها فاقتتلوا أشد قتال ثم افترقوا فسارت بنو مالك تبتغي الحلف من دوس وخثعم وغيرهما على الاحلاف وخرجت الاحلاف الى المدينة تبتغي الحلف من الانصار على بني مالك فقدم مسعود بن معتب على أحيحة بن الجلاح أحد بني عمرو بن عوف من الاوس وكان أشرف الانصار في زمانه فطلب منه الحلف فقال له أحيحة والله ما خرج رجل من قومه الى قوم قط بحلف أو غيره الا أقر لا ولئك القوم بشر مما أنف منه من قومه فقال له مسعود اني أخولك وكان صديقا له فقال أخولك الذي تركته وراءك فارجع اليه وصالحه ولو بجدع انفك واذنك فان أحدا لن يبرلك في قومك اذ خالفته فانصرف عنه وزوده بسلاح وزادوا عطاه غلاما كان يبني الآطام يعني الحصون بالمدينة فبنى لمسعود بن معتب أطما فكان أول اطم بني بالطائف ثم بنيت الآطام بعد بالطائف ولم يكن بعد ذلك بينهم حرب تذكر وقالوا في حربهم اشعارا كثيرة فمن ذلك قول عبروة ور بيعة بن سفيان أحد بني عوف بن عقدة من الاحلاف

وما كنت ممن أرث الشر بينهم * ولكن مسعودا جناها وجندبا
قريعي ثقيف انشبا الشر بينهم * فلم يك عنها منزع حين أنشبا
عناقا ضروسا بين عوف ومالك * شديدا لظاها تترك الطفل أشيبا
مضرمة شبا أشبا وقودها * بأيديهما ما أورياها وأثقبا
أصابت براءمن طوائف مالك * وعوف بما جراعليها وأجلبا

كجمثورة جاؤا تخطوا مآبنا * اليهم وتدعو في اللقاء معتبا
وتدعو بني عوف بن عقدة في الوغى * وتدعو علاجا والحليف المطيبا
حبيبا وحيا من رباب كتائبا * وسعدا اذا الداعي الى الموت ثوبا
وقوما عشكروثا شنت معتب * بغارتها فكان يوما عصبصبا
فأسقطا حبال النساء بصوته * عفيف اذا نادى بنصر فطربا
(عفيف هذا بضم العين وفتح الفاء)

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني أوله نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

قال والمراد أي شيء وليس عندنا غلال فقال له الوكيل نجعلها مثمنة بقدر معلوم فثمنوا القمح بستين نصف فضة الاردب والشعير باربعين فقال ابراهيم بك يصبروا حتى يأتينا شيء من البلاد فقال الوكيل العسكر لا يصبروا و يحصل من ذلك أمر كبير فثمنوا مبلغ اليكون فبلغ ثمانين كيسا فرهن عند الوكيل بالدين لاجل معلوم وكتب بذلك تمسك وأخذ التقاسيط ورجع الوكيل الى محل الجمعية واحضر مبلغ الدراهم وكل من كان عليه غلال أورد بذلك السعر وهذه كانت أول بدعة ظهرت في تمن غلال الانبار للمستحقين واستمر محمد باشا في ولاية مصر حتى عزل سنة ثمان وخمسين ومائة وألف